فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوًى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

{ مصر — الأحد ٣٠ المحرم ١٣٢٧ — ٢١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩ }

فاتحة السنة الثانية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، ولا جعل علينا فيما شرعه لنا من الدين حرجاً ، بل جعل مع العسر يسراً ومع الشدة فرجاً ، ومن يتق الله بإقامة سننه يجعل له مخرجاً ، ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً

والصلاة والسلام على من بعث الى الابيض والأحمر ، وقام بأمر ربه ١٥ : ٩٤ فاصدع بما تؤمر ، فمكر به قومه ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ، فهاجر من وطنه ووطنهم فتبعوه وحاربوه ، حتى شجوا

رأسه ، وكسروا سنه ، وعذبوا من اتبعه من ضعفاء المؤمنين ، فصبر وصبروا حتى كانت العاقبة للمتقين ، ٣٧ : ١٩٦ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ *

وبعد فإنا نقص في فاتحة منار هذه السنة وهي الثانية عشرة له نبأ من تاريخه الصريح ، الذي كنا نشير اليه بالتلويح ، تذكيراً وتفصيلا للقراء السابقين ، وعبرة للقراء اللاحقين ، وأخص الشامين الذين طالما ارتعدت فرائصهم عند ذكر المنار ، حتى ربما كنى عنه محبوه بلفظ النار ،

أنشئ المنار في أواخر شوال سنة ١٣١٥ وكان صحيفة ذات ثماني صفحات ، وقد بينت في العدد الأول منه الغرض من انشائه ، ومذهبه في الاصلاح الديني والاجتماعي والأدبي ، وسكت عن بيان منهاجه في الاصلاح السياسي ، مع التصريح بنزعته العثمانية ، وخدمته للدولة العلية ، وانما أسكتني عن ذلك الأستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى) فقد كنت استشرته في انشائه ، وقرأت له تلك الفاتحة قبل طبعها ، وكان فيها أن من مقاصده بيان حقوق الامة على الامام ، وحقوق الامام على الامة ، فاستحسن كل ما أودعته تلك الفاتحة الا هذه الكلمة ، فاقترح علي أن أحذفها ، ولم يراجعني في شيء غيرها ، وكان مما قاله في ذلك : « ان المسلمين ليس لهم امام في هذا العصر غير القرآن » ، وان الخوض في السياسة العثمانية فتنة يخشى ضررها ولا يرجى نفعها ، وان الناس هنا لا يحبون ان يسمعوا في السلطان والدولة الا ما يشتهون ، ومصر ليس فيها سياسة ، والمسلمون لا ينهضون الا بالتربية والتعليم ، فلا تخلط السياسة بمقاصدك الاصلاحية لئلا تفسدها عليك ، فانها ما دخلت في عمل الا وأفسدته

هذا معنى ما قاله ، وقد حذفت تلك الكلمة استجابة له ، وليت

السياسة تركتني كما تركتها ، أو سالمتني كما سالمتها ، ولكون أبى عليها الخرق والعتو ، الا ان تجاهد مني غير عدو ، فآذنتني بالحرب ، وآذتني في الأهل والصحب ، حتى ألجأني اعتداؤها على حقيقتي ، الى التقصي في استعراف ظلمها لامتي ، ثم الى الدخول في زمر المجاهدين ، لرؤسائها واعوانها الظالمين ، ٥١:٤٥ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾

جئت مصر وأنا أحسن الظنّ بالسلطان ، دون من يحيط به من الوزراء والقرناء والخصيان ، وأسيء الظن بطلاب الاصلاح من الاحرار ، واعتقد أنهم انما يطلبون الرتب والاوسمة والدينار ، وقد كنت أصرح بهذا وذاك في السنة الاولى مع المطالبة بالاصلاح ، والشكوى من عاقبة الظلم والافساد ، وما كنت لا قول الا ما اعتقده وأبث الا ما أعلم وأجده

منع رشيد بك والي بيروت (أحد أركان الافساد في حكومة الاستبداد) توزيع العدد الثاني من السنة الاولى وأرسل البرقيات الى جميع أنحاء الولاية بوجوب جمع ما وزع منه واحراقه ، ولم يكن فيه شيء مما كانت تنكره الحكومة في ذلك الوقت ، وانما فعل ذلك مرضاة للشيخ أبي الهدى افندي الصيادي ، الذي كان يعلم اني من حزب السيد جمال الدين الافغاني ، فهو الذي أوعز الى الوالي بأن يصادر المنار ، كما أوعز بذلك الى بدري باشا متصرف طرابلس الشام ، فصار كل منهما يمنع بعض الاعداد ، التي يؤذن بتوزيعها في الاستانة وغيرها من البلاد ، حتى هبطت الارادة السنية ، وصدرت الاوامر العلية ، بمنعه من جميع الولايات العثمانية ، وذلك قبل ان يتم له نصف سنة !

لم يشف هذا غيظ أبي الهدى أفندي فأوعز الى بدري باشا واعوانه

بأن يؤذوا والدي واخوتي ، وينذروا عشيرتي وذوي مودتي ، ولما رأى
غيري اشأ أن مجلس ادارة اللواء ، لا يوافقه على ما يقصد من الايذاء ،
وان الايذاء بغير يد الحكومة ، لا يشبع تلك النفس الضارية المنهومة ،
أغرى هو وشيعته السيد الوالد (رحمه الله تعالى) نواجز الشر ، ثم أشخصوه
الى مصر ، ليحملني على مشايعة أبي الهدى ، وعدم المبالاة بمن دونه من
الورى ، وبعد طول المذاكرة رضي مني بأن اكتب اليه كتابا مني أبين
له فيه أنه ليس من قصدي الطعن فيه واني لا أريد الا الاصلاح ما
استطعت ، وكتب هو اليه كتابا آخر ، فما لبث أن جاءنا منه الجواب
وهذا نص ما كتبه الي بخطه :

الحمد لله وحده

من الفقير اليه تعالى محمد ابو الهدى الصيادي الرفاعي عفي عنه الى
جناب الاديب الكاتب الشيخ رشيد رضا افندي كان الله لنا وله وللمسلمين .
وصلني قبل كتابكم وفي هذه المرة أخذت كتابا من والدكم وكتبت له
الجواب في يومه فكن بعض الخاطر طيب البال نعم اني أرى جريدتك
طافحة بمقالات المأفون جمال الدين الأفغاني وقد نوهت به الى الحسينية
التي كان زعمها زورا وقد ثبت في دوائر الدولة رسميا أنه ما زندراني من
من أجلاف الشيعة بعد المخابرة مع سفارة ايران بدار السعادة والسفارة
العلية في ايران وهو حي وما قدر على الدفاع ، وهو مارق من الدين كما
يمرق السهم من الرمية ، واراك غلا جريدتك كل يوم بانتقاد الصوفية
بأحاديث جلها ما هي من طرقهم وكلنا أولنا وفي بعضها أنت محق بلا شبهة
الا انك تعلم ان العلماء الاكابر كالشافعي وابي حنيفة وعظماء السلف

تمسكاً بالشرع ولاعامة الأمة كالعامة الاول فلو انصفت وخدمت دينك
بغير هذه المواضيع واذا ألزمت طورك وقلمك بالطرق فهنالك تنتقد
أعمال الامم السائرة من غير الاسلام انتقاداً عقلياً يستميل اليك القلوب ويرضى
عنك ربك لكان أولى، وانا طالب قلبا لك انصحك والموعد الله في كل غاية
والسلام م؟ ١٩ رجب سنة ١٩

* * *

ومن هذا الكتاب يعلم أن ما كان يؤلمه من المنار محصور في أمرين
أحدهما التنويه بالسيد جمال الدين الافغاني وذكره بلقب « السيد » ولم
أكن أمنح أبا الهدى هذا اللقب لأني لا أعتقد شرفه – وثانيهما انتقاد
خرافات أهل الطريق التي جعلها أساس مجده، ولكنه كان يوهم السلطان
أن المنار لم ينشأ الا لأجل الطعن فيه كما يعلم مما يأتي. فكتبت اليه كتابا بينت
فيه انني لم اكتب ولا اكتب الا ما اعتقد أنه نافع وذكرت له رأيي في
السيد جمال الدين فلم يلبث اذ أجابني بهذا الكتاب بخطه:

ولدنا الروحاني الأديب الأريب الفاضل الشيخ محمد رشيد افندي
آل رضا المحترم

أدعو لكم ولوالدكم بالخير والعافية ودوام التوفيق وجداً صرت ممنوناً من
تحريراتكم المرسلة والمأمول من عناية الله وفضله أن يديم لكم التوفيقات فيما
يرضيه وقد حصل الآن قيد رؤس أدرنه من مراتب العلمية الشريفة التي
هي ان شاء الله أول الترضيات ولا يخطرن ببالك أن ذلك لأغراض هذه الدنيا
بل اني أعجبني قولك واطمأن قلبي لصدقك ولبراءتك وارجو الله اصلاح
شأنك في الله كما هو منطوي في كل من له للجناب الرفيع نسبة. وأوصي
رفيقك بالثبات والاستقامة على ما يبيض الوجه حالة القدوم على الله

ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم[1] وبحوله تعالى عند مجيئكم الينا وانفكاكم
من هذه العوارض الحاضرة الزائدة التي لا تنطبق على مجد النسبة نوعاً ما
وان كان قصدكم حسناً فهنالك تتبلج فيكم أنوار نسبتكم بالتحقق في
الطريق الأقوم تحت نظر سر الوجود صلى الله عليه وسلم وتكون اذن
خدمتكم للدين والمسلمين على النهج الشرعي الصحيح الأمين ومني لكم
الدعاء وهو المطلوب منكم والسلام؟

كتبه محمد ابو الهدى

١٩ شعبان سنة ١٩

عفي عنه

قرأت هذا فبادرت الى ارسال كتاب اليه جزمت فيه بأني لا أقبل
الرتبة العلمية التي طلبها لي واني من الدين بوضوء عن الرتب والاوسمة
فيجب الرجوع عن طلبها واني لا استبدل بخدمة المنار للملة خدمة أخرى
مهما كان مظهرها وفائدتها واني لا اطلب من الاستانة الا الاذن بدخول
المنار لسوريا وغيرها من ولايات الدولة . واعدته في هذا الكتاب او فيما قبله
بترك التنويه بالسيد جمال الدين مادام المنار مأذوناً له بدخول بلاد الدولة .
وسكت على ذلك وسكتنا

وبعد ثلاثة أشهر وأيام من هذه المكاتبة كتب ناظر خارجية انكلترا
الى لورد كرومر عميد دولته في مصر يقول ان سفيرهم في الاستانة كتب
اليه يخبره ان رئيس كتاب السلطان جاءه وقال له ان في مصر جريدتين
معاديتان لشخص السلطان وهما المنار والقانون الاساسي وان الخديو وختار

(١) يريد رفيقي عبد الحليم حلمي افندي مراد وكان يومئذ مديراً لاشغال المنار
وكان سافر الى الاستانة قبل ذلك وبلغني أنه اجتمع بابي الهدى ولم أدر ماذا كان بينهما
ولم يكن لذلك السفر علاقة بالمنار

باشا الغازي بمساعدتهما وان السلطان يرغب اليه بأن يسعى في حكومته بابطال
هاتين الجريدتين ويتخذ ذلك يدا يكافئه السلطان عليها !! فأخبر اللورد
الامير بذلك فعجب أشد العجب لانه لم يكن هو ولا مختار باشا يساعد
المنار ولا القانون الاساسي بل لم يكن يعرف من مشرب المنار الا ما أخبره
الاستاذ الامام من أنه جريدة دينية أدبية.

سألني الامير عن ذلك سرا في يوم عيد الاضحى (سنة ١٣١٦) عند
ما أردت الخروج مع العلماء من مقابلة التهنئة له بالعيد وأمرني بأن أذهب
الى مقابلة أحمد شفيق بك وكان رئيس القلم التركي (وهو اليوم احمد شفيق
باشا رئيس الديوان الخديوي) فذهبت من حضرة الامير الى غرفته وكان
يقرأ المنار ويعلم انه ليس فيه تحامل على السلطان بل لا يخلو من مدح له،
ورأيته جازما بأن أبا الهدى هو الذي سعى عند السلطان هذه السعاية وضرب
بسهامه فيها الى عدوين من أعدائه: الامير ومختار باشا الغازي. فأخبرته
بأن بيني وبين ابي الهدى سجلا وذكرت له هذين الكتابين فطلبهما مني لأجل ان
يحتج بهما فقلت له ان المراسلة بالامانة واني لا اجيز لنفسي ان أظهرهما
مادمت أعلم أن اظهارهما يؤذيه بتغيير السلطان عليه، واستدلاله بهما على خيانته
له، اذ يجعله ترسا يدافع به عن نفسه. وأما اللورد فقد جرى في المسألة على
ما تعوده من المحافظة على حرية الصحافة ولكن بعد البحث ومعرفة الحقيقة

كرّ اعوان ابي الهدى على أهلي كرة ثانية وكانت الدولة دولتهم
فضربوا أحد اخوتي وهو خارج من طرابلس الى القلمون ليلا وسرقوا فرسا
لنا وحاولوا اخذ مسجدنا منا وأغروا جريدة طرابلس الشام بالطعن في
المنار واقنعوا لها المساعدة من كل من يكتب في طرابلس حتى اصدقائي

فاضطررت الى كتابة مقال عنوانه « مؤاخذة العلماء » (ص ٩٩٣ م ٢)
اسكتهم به عن التمادي في الطعن ، ولكن ألسنتهم لم تسكت عن السب
واللعن ، الا بعد ان أديل منهم ، وخضدت شوكتهم وذهبت ريحهم ، وخرج
مدري باشا من طرابلس منقولا منها مذموما ، وبدلنا به عبد الغني باشا العابد وكان لنا
وليا حميما ، بل غلب نفوذ عزت باشا العابد على نفوذ الشيخ ابي الهدى في جميع
البلاد السورية ، فلو دادا انتشار المنار فيها وان لم يرسل الا في البرد الاجنبية ، وأمن
الاهل والقراء على انفسهم طائفة من الزمان ، حتى كان منذ اربع سنين ما كان ،

ذلك ما كان في السنة الاولى والثانية من سني المنار . وفي أواخر الثانية
وأول الثالثة صار يتردد علينا بعض جواسيس ممدوح باشا ناظر الداخلية في
الاستانة ويعرض علينا الرتب والوظائف اللائقة اذا نحن تركنا المنار ،
وغادرنا هذه القطر ، فلو شئت ان أكون مستقاضيا أو مفتيا في الشام
أو بيروت أو آخذ مرتبا شهريا عظيما من الدولة لفعلت ، وقد قبل عبد الحليم
افندي حلمي أن يترك مصر ويكون معاونا لناظر المعارف في بيروت بمرتب
كمرتب الناظر فنال ذلك على انه لم يكن كاتبا ولا سياسيا ولا ذا شأن في
المنار وقد بلغني وقتئذ أن ذلك الجاسوس اخذ من ممدوح باشا ٨٠٠ ليرة
عثمانية ثمنا لمطبعة المنار ولم يكن للمنار يومئذ مطبعة تساوي ٨٠٠ قرش

وفي أثناء السنة الرابعة غضب عليّ أمير هذه البلاد وأذن لي صديقي
حسن باشا عاصم (وكان رحمه الله رئيس التشريفات) بانه لا يرضى ان
أقابله بعد وكان يقول لي قبل ذلك إن لك ان تجيء اليّ في قصر عابدين
أو قصر القبة متى شئت . وكان غضب أيضا على الاستاذ الامام وكلما
اشتد غضبه على أحدنا يشتد على الآخر ولا احب ان اذكر الآن شيئا

مما سمعته او علمته من آثار هذا الغضب الا ما قيل من عزمه على اخراجي من مصر فقد قال مصطفى كامل باشا للاستاذ الامام مرة ان افندينا يريد ان ينفي صاحب المنار من مصر ويطلب منك ان تسكت على ذلك ولا تحمل لورد كرومر على المعارضة فيه ... وسمعت مثل هذا الخبر بعد وفاة الاستاذ الامام . وقال لي أحد معارفي في ٢٢ من المحرم سنة ١٣٢٦ ان السر غورست على وفاق مع الخديو وهو لا يعارضه في الانتقام ممن يغضب عليه ولا سيا اذا كان عثمانيا لانه ليس كلورد كرومر في المحافظة على الحرية الشخصية وقد علمت أن الخديو غضبان عليك فيجب ان تسعى في استرضائه لئلا ينفيك من هذه الديار وانه ربما يفعل ذلك . فقلت له اني لا أكتب في هذه السنين شيئا عنه ولا أعلم ان في المنار شيئا يسوءه فماذا ينقم مني ؟ قال دوام الثناء على الشيخ محمد عبده . قلت ليس في المنار ثناء ، وانما هي اقوال عنه وآراء ، ولا يمكن أن يخلو المنار من ذكره وان مصر لا مزية لها عندي الا حرية العلم والصحافة والحرية الشخصية فاذا كان الخديو ينفي منها من كره وجوده فيها ، فلماذا أحرص أنا على الاقامة بها ، أو آسى على البعد عنها ؟ ؟ اني اذاً أظعن الى الهند ، واني لأعلم انه يكون لي فيها مقام كريم لا اجد مثله في مصر . هذا وان مثل هذا الخبر ليس برهانا يقينيا على صحة ما قيل عن الامير برأه الله وحماه مما لا يليق به ، وان كان عند بعض الكبراء ونظار الحكومة نبأ منه .

وفي السنة الخامسة نشرت «سجل جمعية أم القرى» في المنار ومقالات «الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» فتضاعف قراء المنار في القطر المصري

واشتدت الحكومة العثمانية في المراقبة عليه والبحث عن قرائه ولا سيما في القطر السوري ،

وفي السنة السادسة شرعت في نشر رسالة في مالية الدولة العثمانية فرغب الي الاستاذ الامام أن لا أتمها فوافيت رغبته ولكني ضقت ذرعا بسوء حالنا السياسية فصرت اكثر في تفسير القرآن الحكيم من السياسة وهو يحبذ ذلك لانه أنما ينهى عن التصريح بسياسة حكوماتنا وحكامنا لئلا يصدونا عن خدمة الدين والعلم

وفي السنة السابعة كثر دبيب عقارب السعاية من جواسيس المابين بمصر وتوارت التقارير في الاستاذ الامام وفي صاحب المنار، وكان الذي يبلغها السلطان هو عزت باشا العابد الذي كان بينه وبين الاستاذ مودة سابقة منذ كانا في سورية ولم يحدث بينهما ما يوجب هذا الانقلاب الاصنعة عزت الجديدة في المابين وعلاقته بمصر وكان حزب الشيطان الذي يدبر هذه السعايات والمفاسد قد زوّر رسائل بتوقيع (محمد عبده) وأرسلها الى الحجاز واليمن وغيرهما من البلاد العربية تشتمل على الدعوة الى الخلافة العربية وهو يعلم انها تقع في الايدي التي توصلها الى المابين فاستخوف السلطان من الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد عبده لا علم له بما يكتب في شأنه ولا ما يكتب عن لسانه مما هو مخالف لرأيه واعتقاده حتى انه هو الذي ارجع بعض المتشرقين عن السعي لانشاء دولة عربية لاعتقاده ان التفريق بين الترك والعرب يضعف الفريقين ويسهل على الدول الطامعة محو الدولة الاسلامية من الارض واني ماوقفت على اكثر ما اشرت اليه هنا الا بعد موته

وما دخلت السنة الثامنة الا وقد صار النفور والخلاف بين الامير والاستاذ على اشدهما كما ان السعاية الى السلطان فيه قد بلغت غايتها ، وقد اشتد المرض على الاستاذ حتى كان يجود بنفسه في الاسكندرية والحكومة العثمانية تبحث عنه في سواحل بيروت لان الجواسيس قد بلغوا المابين انه سافر الى بيروت متنكراً ليؤسس الخلافة العربية في سورية !! ألا قاتل الله اولئك الحوت الاشرار ما كان اشد عبثهم بالسلطان وخيانتهم له وللدولة والامة . وفي هاتين السنتين كان الاستبداد قد شد الخناق على محبي العلم والاضطهاد لمقتني الكتب ومنيت بيروت بخليل باشا واليا ، وطرابلس بحسني بك متصرفا ! وكانا من شر اعوان الاستبداد والمخلصين له فيما يحاول من الظلم والافساد ، فأسرفا في تفتيش البيوت ! واخذ الكتب والاوراق منها ! والمؤاخذة على اقتنائها ! حتى صار الناس يحرقون كتبهم وأوراقهم بالنار ! ومنهم من كان يدفنها بل يئدها كما تئد الجاهلية البنات ؛ حتى احرق في سنة واحدة عشرات الالوف من المجلدات !

كيف لا وقد كانت الكتب والجرائد تعد من الجرائم ، منها الصغائر ومنها الكبائر ، وكان اقتناء المنار اوما طبع بمطبعة المنار ، هو اعظم الذنوب وأثقل الاوزار ، وكان الحكم على مجرمي الكتب بالهوى لا بالشرع ولا القانون ، لا تأخذ الحاكم فيهم رأفة ، ولا تقبل منهم شفاعة ولا عدل ولا هم ينصرون ، على أن أولئك الولاة ومن دونهم من المستبدين ، لم يستعملوا بأس الحكومة الا في منع كتب العلم واضطهاد المتعلمين ، دون سفك الدم وافساد الامن ، واهلاك الحرث والنسل ، فماذا كان حظنا من حكمهم ؟

دمروا الدار ، واجتاحوا الكتب والاسفار ، وحبسوا من وجدوا

من الاخوة ، وحصروا الوالد المريض مع النساء ، ووضعوا على داره الحراس والخفراء ، فكان ذلك الشيخ الجليل ، والسيد الشريف ، يجود بنفسه ، وينتظر أمر ربه ، وبناته مع أمهن امام سريره يطلقن العبرات ، ويصعدن الزفرات ، فقد عز عليهن ، وعظم المصاب في قلوبهن ، أن حيل بينه وبين أولاده الابرار ، في وقت توديعه لهذه الدار ، فثم القريب الذي هو في حكم البعد ، والسجين الذي هو في حكم المستعبد ، . هذا والجنود السلطانية تحيط بهن ، وتطوف حول منزلهن ، شاكية السلاح ، مستعدة للكفاح ، تدل بيأسها وشدتها ، وتمثل قوة « الخلافة الحميدية » وعظمتها ، ليعرف الشيخ المحتضر عجزه عن تأسيس خلافة عربية في قرية القلمون ، وهكذا قضى الوالد نحبه فانا لله وإنا اليه راجعون ،

ثم كان من ظلم الحكومة المستبدة لنا أن ولت على مسجدنا رجلا آخر بغير حق واطمعته في الاستيلاء على عقاراتنا بدعوى انها وقف كما اطمعت غيره من أشقياء طرابلس فنهبوا ما وجدوا في الدار من الثياب والحلي والماعون وغير ذلك ، وقد أسقط الله حكومة الاستبداد ، ولما تكون حكومة الدستور ، فحقوقنا لا تزال مهضومة لفساد الحكام ، واختلال الامن العام ، فهذا مجمل من خبر ظلم الحكومة لنا ، وهو قليل من كثير ظلمها لغيرنا ، ممن أجرموا كاجرامنا ، فشكوا من الظلم والجهل ، ودعوا الى العلم والعدل ،

كان يصل الينا قليل من أخبار الاستبداد ، ووقائع العتو والافساد ، وبعد وفاة الاستاذ الامام صرفنا وقت الفراغ والراحة الذي كنا نجالسه فيه الى مجالسة اخواننا العثمانيين المقيمين في القاهرة فازددنا علما بسوء

المآل ، وخطر المآل ، فأسسنا جمعية الشورى العثمانية لاجل جمع كلمة العثمانيين ، على استبدال حكومة الشورى بحكومة المستبدين ، لعلمنا بأن جمعية الاتحاد والترقي خاصة بالمسلمين ، وان العثمانيين ما داموا متفرقين شيعاً ، ومتقاطعين مللاً وأمماً ، فكلمتهم هي السفلى ، وكلمة الاستبداد هي العليا ، فتألفت الجمعية من المسلمين عربهم وتركهم وألبانهم واكرادهم ، ومن النصارى عربهم وروميهم وأرمنهم ، ودعي اليها بعض اليهود ولكن لم يكن في مجلس ادارتها أحد منهم ، وقد انتخب هذا العاجز (صاحب هذه المجلة) رئيساً لمجلس ادارة اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية وكانت ترسل جريدتها ومنشوراتها السرية ، الى الروملي والاناطول بل والاستانة العلية ،

اهتم السلطان بهذه الجمعية حتى هجر النوم مضجعه ثلاث ليال ، كما علمنا من رواية العارفين الثقات ، فقد كان — وأقر الله بالدستور عينه ، ولا سهد في عهد الحرية جفنه ، — كثيراً ما يشارك أحرار أمته في أرقهم ، ويساهمهم في قلقهم ، وان كانا في هذا الامر ، كضيف عمرو وعمرو ، وصار للجمعية لسان صدق عند جميع أحرار العثمانيين ، فكانت مبدأ ما كان من وحدتهم بعد حين ، وقدم أحمد رضا بك من باريس الى مصر فرغب الينا ان نضم جمعيتنا الى جمعية الاتحاد والترقي فأبى مجلس الادارة ذلك عليه ، وكان مما قلته له ان تعدد الجمعيات مع وحدة الغاية والمقصد لا يعد تفرقاً ولا يحدث ضعفاً ، واننا نرى انه لا نجاح للعثمانيين الا باتفاق عناصرهم على المطالبة بالدستور ، قال ان قانون جمعيتنا لا يمنع قبول غير المسلمين فيها ، قلت نعم واننا لا نشكو من القانون ولكن من عدم تنفيذه فانا قانونكم — وليس في جمعيتكم رومي ولا أرمني ولا سوري نصراني — الا

كقوانين السلطنة « حبر على ورق » ولو تقد السلطان قوانين الدولة على علاتها لما طالبناه بمجلس المبعوثان لاشراك الامة معه في الاحكام

هذا ملخص تاريخنا السياسي في السنين الخالية : سالمنا السياسة فساورت وواثبت ، وأسلسنا لها فجمحت وتقحمت ، وكنا نوم بها في بعض الاحيان ، فيصدف بنا عنها الاستاذ الامام ، ولم نتل منها ما نهواه الا بعد ان اصطفاه الله ، وليس للمنار حظ في السياسة المحلية ، وانما همه أن يكون حرا فيما فرض عليه من الخدمة الملية ، واذا كان (كسائر الصحف) قد أمن على حريته واستقلاله من استبداد الدولة فقد بقي عليه أن يجاهد مع غيره استبداد الامة . فان في الامة أعداء للحرية والاستقلال ، في العلوم والافكار والاعمال ، يحبون ان تكون الصحف كما يرون لا كما يرى أصحابها ، وان ينشر فيها ما يعتقدون لا ما يعتقد كتابها ، وما كتاب الصحف الا معلمون ومرشدون ، وهل يعلم الاستاذ تلاميذه ما يعلمون ويربي المرشد مريديه كما يريدون !!؟ وقد جرى على هذا كثير من أصحاب الصحف المصرية وما كانوا مصلحين ، ويجري عليه الآن بعض أصحاب الصحف العثمانية وما هم بمهتدين ، وسيبقى المنار على صراطه لا يبالي بالمخالفين،

ثم ان المنار يستقبل جهاداً جديداً في البلاد العثمانية، وقد فرغ من مثله فيما عداها من مصر وسائر البلاد الاسلامية ، فأكثر المسلمين العثمانيين، لم يألفوا حرية البحث في السياسة والعلم والدين ، ينظر اغلب الباحثين الى القائلين دون الاقوال ، وينصرون التقليد على الاستقلال ، ولكن يوجد في كل بلد أفراد سلمت فطرتهم ، واستنارت بالحق بصيرتهم ، يشعرون بشدة الحاجة الى اصلاح حالنا الاجتماعية والدينية ، ويعلمون

انه يتوقف على استقلال الفكر والحرية ، وان هؤلاء على قلتهم ، ليغلبون أولئك على كثرتهم ، وسيبرزون لهم بعد استقرار الدستور مجادلين لا مجالدين ، يتلون (٢ : ٢٤٩ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) فهذه الفئة هي التي يشد المنار أزرها ويشد بها أزره ، وينصرها في جهادها وتقاضاها نصره ، ٢٢ : ٤٠ ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ه

سيقول السفهاء من الناس ، وأهل الارجاف والوسواس ، ان هذا المنار يدعو الى الفوضى في الدين ، بترك مذاهب الائمة المجتهدين ، وينصر مذهب الوهابية ، على مذهب السنة أي الحشوية ، ويبطل القول بالكرامات ، بإحالته على الدجل والخرافات ، وحجة انصار المنار على هؤلاء ، ومن يقلدهم من الدهماء ، التي ثبت انه يتحرى الحق والصواب ، ولا يريد الا الاصلاح ما استطاع ، دون التعصب لمذهب على مذهب ، هي قبوله انتقاد المنتقدين ، في مسائل الدنيا والدين ، اذا أيدت الاولى بالعلم والعقل ، والثانية بما صح من النقل ، مع التزام النزاهة والآداب ، واجتناب الحشو والاطناب ، فمن زعم ان في المنار باطلا فليكتب اليه ، دون أن يمعي الله بغيته والطعن عليه ، وللحق السلطان على الباطل (٢١ : ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ١٣ : ١٩ فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال)　　　منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني

﴿ خطاب صاحب المنار ﴾

على طلاب الكلية الامريكانية المسلمين في بيروت

ايها الاخوة الكرام:

انكم انتم محل رجاء البلاد بتربيتكم وما تتلقون من العلوم العالية فلذلك احببت في هذا الوقت القصير ان اذكركم بما ينبغي لطالب العلم ان يكون عليه ليتحقق رجاء أمته فيه

ان العلوم تطلب لغرضين صحيحين : احدهما تكميل النفس وترقية العقل . وثانيهما العمل بالعلم والعمل به مسلكان احدهما جعله حرفة ومستغلا للعامل والآخر جعله وسيلة لترقية الامة واعلاء شأنها ويمكن الجمع بينهما

الغرض الأول لابد منه لكل عاقل وهو العون الاكبر على الغرض الثاني فان من استنار عقله بالعلوم وصار صحيح الحكم فيها تنار همته ويكون جديراً بالاحسان في العمل والاتقان للصنع فيجب اذاً أن يكون هو أول شيء تتوجه اليه همتكم وتنظم فيه رغبتكم

يظن بعض ضعفاء العقول وصغار النفوس ان طلب العلم لأجل ترقية شأن الامة به يتأتى ما أودع في الغرائز من كون منفعة الانسان لنفسه هي العلة الغائية لكل عمل من اعماله وأن من توجه الى ذلك وجعله همه من حياته فوّته مصالحه ومنافعه التي لابد له منها

تلك خديعة الطبع اللئيم ووسوسة شيطان الخسة والصَّغار لصغار الهمم فقد رأينا بأعيننا وسمعنا وروينا عن التاريخ ان الذين يقفون حياتهم على خدمة أممهم لا يعوزهم الطعام واللباس اللائق بهم بل كانوا يفضلون عيشتهم على كل عيشة سواها بما لهم من الكرامة ورفعة الذكر ان لم يكن في بداية أمرهم ففي نهايته

ان من يسلك في طلب العلوم مسلك الاحتراف ويكون قصده منه ان يجعله دكانا يتجر به أو بستانا يستغله ليعيش منه لا يرتفع به الى ما هو أعلى من هذا القصد فان قيمته في الوجود لا تعدو قيمة غيره من اصحاب الحرف والصناعات العملية كالتجارة والحدادة والزراعة . لا أقول ان هؤلاء لا قيمة لهم وكيف أقول ذلك واعمالهم لابد منها للمجتمع الانساني وانما اقول ان هؤلاء هم أهل الطبقات الدنيا من الناس الذين لم يرتقوا في افق الانسانية ويسهل على طلاب العلوم لاجل الكسب والاحتراف

ان يكونوا في افق اعلى من افقهم بان يوجهوا نفوسهم الى اعلاء شأن الامة بكسبهم واعمالهم

ايها الاخوة : ان استعداد البشر للكمال لاحد له يعرف ، ولا طرف له يوقف عنده ، وان الانسان قد فطر على طلب الكمال فلا يصل الى شيء منه الا ويطلب مافوقه ، وان افراده يتفاوتون في ذلك تفاوتا لانظير له في غيره من المخلوقات فمنهم من يكون وجوده بمقدار محيط جسمه لايكاد يهمه شيء وراء توفية مطالبه كبعض الحيوانات الدنيا ، ومنهم من يتسع وجوده حتى يملأ بلدا كبيرا أو مملكة عظيمة ، وربما تعلو ببعض الناس همتهم الى جعل وجودهم المعنوي ساريا في أمم كثيرة مما الارض التي يعيش فيها الانسان . ولا تتحكم في هم الانسان ولستشرافه لماهو وراء ذلك من عالم الغيب

اذا كان فضل الانسان وسعة وجوده الانساني على قدر نفعه بعلمه وعمله فلا شك ان من تتوجه نفسه الى نفع جميع البشر يكون افضل واكمل ممن لايتوجه الا الى نفع أمة واحدة أو شعب واحد ولكن كيف يتأتى للفرد من الناس ان يخدم امما كثيرة؟

الجواب عن هذا السؤال يعرف من القاعدة المعقولة التي جاء بها الحديث النبوي وجرى عليها الشرع الاسلامي وهي « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول : الاقرب فالاقرب » وقد قال فقهاؤنا ان من وجد من القوت زيادة عن كفايته قدمه للاقرب اليه من ولد وزوج الخ فان وجد فضلا انفق منه على غير الاقربين من ذوي الحاجات حتى قالوا انه يجب على المسلم ان ينفق على المضطر من غير المسلمين مالم يكن محاربا لنا وانه يقدم الجار على غيره لقربه !

فعلى هذا يجب علينا ان نبدأ بنشر العلم والقيام بالاعمال النافعة في امتنا ومملكتنا وان يقدم أهل كل بلدة خدمة بلدهم الذي يقيمون فيه على غيره من بلادهم ثم نفيض بعد ذلك من علومنا وأعمالنا النافعة على غيرنا من الامم على الوجه الذي سبقتنا اليه الامم الحية في هذا العصر وامامكم العبرة في المدرسة التي تتعلمون فيها

أليس مؤسسو هذه المدرسة يقصدون بها جعل العلم الذي ينفع الناس وسيلة لنشر لغتهم وبث تعاليم مذهبهم الديني في نفوس من يعلمونهم ؟ بلى وان في ما هو هذه لعبرة لنا يجب علينا ان نعتبر بها وان نرفع انفسنا لنكون أولى بهذه المنقبة منهم

يجب عليكم ان تتعاونوا وتعتصموا بعروة الاجتماع وانكم ربما تلقون كيدا واحراجا لتشذوا وتنكبوا جادة الاعتدال في استمساككم بدينكم وحرصكم على الاجتماع والتعاون

فيجب ان تتسع صدوركم لجميع ماتنكرون من معاملة من معكم وان تقابلوهم بالادب في القول والفعل لان الادب من الفضيلة وهي مطلوبة لذاتها ولئلا يكون لهم عليكم حجة بعد ان ثبتت لكم الحجة عند دولتكم ودولتهم

انكم لم تقصدوا بما كان منكم الا إرضاء ضمائركم والمطابقة بين عقائدكم واعمالكم فحسبكم ان يتم لكم ذلك بالهدوء والسكينة والادب . واني اجلكم عن قصد العناد او شائكم واساءتكم او الجنوح للاستعلاء بالظفر لذاته

وأوصيكم بالمحافظة على الصلوات الخمس ولو منفردين في حجراتكم وبالحرص على صلاة الجماعة كلما تيسر لكم ذلك ولو على ارض حديقة المدرسة فقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم «جعلت لي الارض مسجدا وتربتها طهورا »

انكم قمتم بواجب ديني سلبي وهو الامتناع من دخول الكنيسة لسماع تعاليم دين غير دينكم فعليكم بهذا العمل الايجابي الذي هو عماد الدين «واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » .

﴿ المسلمون في مدارس الجمعيات النصرانية ﴾

المدرسة الكلية الامريكانية

المدرسة الكلية الأمريكانية في بيروت كسائر مدارس الجمعيات النصرانية في الشرق غرض مؤسسيها منها جعل العلم وسيلة الى الدين ، ولبعضها غرض سياسي ايضا فهي طريق من طرق الدعوة الى مذاهب مؤسسيها في دينهم . ولهم وسائل أخرى كالمستشفيات والمكتبات وحجرات القراءة يبثون فيها دعوتهم ، وينشرون بها مذهبهم ، الا أن المدارس الأمريكانية أحسن من غيرها تعليما وأعلى تأديبا وأشد استقلالا وأقل تعصبا على المخالفين في الدين والسياسة ، اذ ليس لأمريكا مطامع سياسية في هذه البلاد ولكن قد تؤيد هذه المدارس سياسة انكلترا .

إن عقلاء المسلمين يقدرون غيرة مؤسسي هذه الجمعيات الدينية حق قدرها ويعرفون مقدار المستخدمين فيها لنشر دينهم والتوسل اليه بالوسائل النافعة للناس في أجسامهم وعقولهم ، ويتمنون لو يوجد في أمتهم الاسلامية اسخياء اجواد يبذلون المال لنشر الاسلام مع العلم النافع الذي هو أساس بنيانه ، والعمل الصالح (كالمستشفيات) الذي هو أقوى أركانه ،

وان عامة المسلمين يشعرون بشدة الحاجة الى هذه المدارس التي أسست على دعوة النصرانية لما فيها من العلم ، ويعلمون بما فيها من الضرر لا ولادهم في الدين ، فالعلم يقتضي الإقبال عليها ، والخوف على عقائد النشء الجديد يمنع من الثقة بها ، والجمهور مختلفون في الترجيح بين المانع والمقتضي

فنهم من يرجح المقتضي من غير تفكر في عواقب المانع لأن الشعور بالحاجة الى العلم قد استحوذت على فكره ، حتى حال بينه وبين سلطان قلبه ، ومن يرجحه لاعتقاده ان المسلم لايكون نصرانيا لأن الدين قد سار على سنة الارتقاء تبعا لاستعداد البشر فكان الاسلام منتهى ارتقائه وهو الدين المعروف تاريخه ، المتواتر كتابه ، المحفوظ سند سنته ، ومن وصل الى الدرجة العليا في شيء لايرضى لنفسه ان يهبط الى مادونها ، ولذلك يبذل دعاة النصرانية الألوف المكررة من الدنانير في دعوة المسلمين الى دينهم بالاساليب العجيبة ويقضون السنين الكثيرة في البلد من بلادهم ولا ينجحون باستمالة رجل واحد وإرجاعه عن الاسلام ، وان كانوا يوهمون جمعياتهم التي تمدهم بالمال فيكتبون اليها في كل عام انه قد تنصر في هذه السنة على أيدينا فلان وفلان ، ويذكرون أسماء سموها بأقلامهم لم يعرف مسمياتها الزمان ، ولكن الاسلام يجذب الى رحابه الفسيح في كل سنة ألوفا من الناس بغير دعوة ولا ترغيب كترغيب دعاة الانكليز والاميركان ، ولا ترهيب كترهيب دعاة الروس في بلادهم ا

ثم ربما يقذف الفقر في كل حقبة من الزمن برجل من المسلمين جنسية لاحقيقة فيلقيه في ، احاً من ملاجئهم أو قناة من أقنيتهم فيسهل له العوز انتحال اسم من أسمائهم ، أو لقب من ألقابهم وربما أغراه المال بأن يكون داعيا من دعاتهم ، كالفضل « أوميا الحزين » الذي استجاب لرقيتهم بمصر ثم فضحهم وهو يبشر لهم في الجزائر ، اذ كتب مقالات في المؤيد بيّن فيها انهم يدّعون في كل بلد إسلامي نجاح دعوتهم في غيره ، ويدعون في تقاريرهم التي يرسلونها الى جمعياتهم انهم ناجحون في كل بلد ، والغالب فيمن يجنح لهم ان يعود الى الاسلام ولو بعد حين

وقال السيد جمال الدين الافغاني في بيان سبب إخفاق دعوة المبشرين بين مسلمي الهند : ان المسلم لايمكن ان يكون نصرانيا لأن الاسلام نصرانية وزيادة

فإنه يقرر الايمان بعيسى وبما جاء به من عند الله تعالى دون مازاده الغلو على ذلك ويزيد على ذلك الايمان بمحمد (عليهما الصلاة والسلام) وبما جاء به مصدقا لما قبله.

وحدثني شاكر بك الذي كان رئيسا للجزاء بطرابلس الشام من بضع عشرة سنة انه كان في بلدة ليس فيها مدرسة للبنات الا المجمية للراهبات فوضع بنتاله فيها فرأتها أمها يوما ترسم شكل الصليب على وجهها أو صدرها فوجمت وامتعضت، وشكت وبكت، وقالت لابد من إخراجها من هذه المدرسة . قال فهونت عليها الأمر وكنت أقول لها : جازم ان ابن المسلم لايكون نصرانيا أبدا ولم أقبل توسلها الي باخراجها وقد تعلمت حتى أتمت تعليمها عند الراهبات وهي الآن تقرأ القرآن الشريف وتصلي وتصوم ولم يضرها حرص الراهبات على تنصيرها

هذا ما يراه بعض الذين يعلمون أبناءهم وبناتهم في هذه المدارس الدينية . ومنهم من يرجح المانع على المقتضي كما هو المعتمد في المسألة عند أهل الاصول كما أشار الى ذلك الشاعر بقوله

قالوا فلان عالم فاضل فأكرموه مثلما يرتضي
فقلت لما لم يكن عاملا تعارض المانع والمقتضي

ومبلغ حجة هؤلاء ان مذاهب الفقهاء المتبعة تحظر على المسلم المتمكن في دينه ان يدخل مع النصارى وغيرهم من المخالفين لنا في أصـــل الدين معابدهم وبيعهم الدينية التي يدخلون فيها وصرحوا بأنه إذا تشبه بهم في ذلك بحيث يظن انه منهم صار مرتدا وان بقي متميزا عنهم بحيث لا يشتبه بهم لا يكون مرتدا الا اذا قال أو فعل أو اعتقد ما يخالف ما هو مجمع عليـه معلوم من الدين بالضرورة . ويقولون ان من الخطر على دين غير المتمكنين في دينهم كالأولاد الذين يوضعون في هـــذه المدارس ان يسمح لهم بهذه الأعمال التي يغلب ان تكون عندنا كفرا وردة وأهونها ان تكون معصية فاذا علق النوع الأول في ذهن التلميذ منا ومات قبل ان يصحح اعتقاده بمعاشرة المسلمين العارفين أو مراجعة العلماء الراسخين مات مرتدا لا نرثه ولا نعامله معاملة موتانا اذا كنا عالمين بحاله واذا مات أبوه أو أمه أو غيرهما من الاقربين في حياته لا يرث هو منهم شـــيئا . ويقولون أيضا ان بعض فقهائنا صرح بأن الرضى بالكفر كفر فاذا رضينا بشيء من ذلك نكون نحن مرتدين أيضا

وهذا الذي يتخوفونه على دينهم ليس ببعيد عن مدارس الكاثوليك والأرثوذكس ولاسيما مدارس الجزويت كما بلغنا من مصادر كثيرة تصل الى درجة التواتر المعنوي من انهم يلزمون أولاد المسلمين بجميع تقاليدهم الدينية حتى تعظيم الصور والتماثيل والاستغاثة بالقديسين وذلك في حكم الاسلام شرك نعتقد أنه طرأ على النصرانية بعد المسيح عليه السلام وحوارييه عليهم الرضوان بعدة قرون · وان كان القرآن لا يدخلهم في لقب المشركين ولا يعني بخطابهم به لأنهم يتبرؤن منه ويتأذون به وإيذاؤهم محرم علينا سواء كانوا ذميين أو معاهدين وقد بينا ذلك في المنار اكثر من مرة · أما ما ذكرناه في هذا المقال فيأتي للاستعداد المتساهلين وغير المتساهلين منا نرجو ان يكون سبباً لحسن التفاهم بيننا وبين العقلاء المعتدلين منهم كعمدة المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت

قد قلنا في أول المقال ان مدارس الاميركان أقل تعصبا على المخالفين وقد جرى بيني وبين أحد أساتذة المدرسة الكلية الاميركانية ببيروت حديث في الخلاف الذي جرى بين تلاميذ المسلمين وعمدة المدرسة على دخول الكنيسة لسماع الوعظ الديني اذ امتنع التلاميذ من الدخول بعد ما صارت الحكومة العثمانية دستورية حرة وأصرت المدرسة على إلزامهم أحد الأمرين إما الاستمرار على دخول الكنيسة كما كان الأمر على عهد الحكومة الاستبدادية وإما الخروج من المدرسة وترك التعلم فيها ، فاجتمعوا وتقاسموا لنبيتن على رأينا : لا ندخل ولا نخرج · حتى رفع الامر الى الاستانة وبعد مراجعة حكومتنا هناك لسفير الولايات المتحدة تقرر بينهما ما بلغته نظارة الداخلية لوالي بيروت وهو انه لا يلزم المسلمون دخول الكنيسة بل يجب ان يبنى لهم مسجد يصلون فيه · وان السفير بلغ معتمد (قنصل) حكومته في بيروت ذلك ليبلغه المدرسة الكلية · وقد كان الحديث بيني وبين ذلك الاستاذ قبل ورود هذا البلاغ من الاستانة وحضره جماعة من فضلاء النصارى

قال الاستاذ ما معناه : ان المدرسة الكلية لا تعلم التلاميذ التقاليد والاعمال الدينية التي يقررها بعض مذاهب النصرانية ولا تطعن في أديانهم ولا مذاهبهم التي تخالف مذاهب مؤسسيها وانما تلقي عليهم مواعظ عامة تتفق مع كل دين وان كانت من الكتاب المقدس لأجل ان تغرس في نفوسهم تقوى الله وحب الفضيلة

وتبعدهم عن الالحاد والتعطيل فان المرسلين لها من أهل الدين والمحافظة عليه أهم مقاصدهم . وان المكان الذي تلقى فيه المواعظ الدينية ليس كنيسة موضوعة لاجل العبادة بل هو مكان تلقى فيه الخطب العلمية والادبية وغيرها ويعزف العازفون فيه بآلات الموسيقى . (قال) فهل يحرم الدين الاسلامي على المسلمين دخول هذا المكان ويوجب عليهم مخالفة نظام المدرسة ؟

قلت ان المسلمين فريقان منهم من يأخذ بالدليل ومنهم من يتبع فقهاء مذهبه والمشهور عن فقهاء المذاهب التي عليها هؤلاء التلاميذ ان الدخول الى معابد المخالفين لنا في الدين ومشاركتهم فيما هو خاص بهم من أمور الدين فيها وكذا في خارجها إما محرّم وإما كفر في تفصيل لهم في ذلك فلعل تلاميذكم يعتقدون ان دخول المكان الذي ذكرته من هذا القبيل وحينئذ يجب احترام اعتقادهم وان كان لا يقوم دليل في الاسلام على تحريم دخول مكان مثل الذي ذكرت ليس معبدا دينيا ولا يلقى فيه شيء مخالف للاسلام

(ثم قلت) ان احترام النظام في المدارس والبيوت وكل مكان ركن عظيم من اركان التربية ومن لم يتربّ على احترام النظام والتزامه لا يكون رجلا عظيما نافعا لأمته ووطنه . ولكن احترام الاعتقاد والضمير أقدس وأعلى من احترام النظام فان من لا يحترم اعتقاد نفسه يكون منافقا لا يوثق به في شيء من الاشياء . وان اكراه التلميذ على ذلك أشد إفساداً لاخلاقه من كل ما يخطر في البال انه يفسد الاخلاق اذ لا يرجى ممن لا يحترم اعتقاده ان يحترم أسرته ولا امته فضلا عن احترامه لمن لا يتصل به في وشيجة رحم ولا مصلحة وطن

(قلت) اني اذا رأيت إنسانا يعتقد بأن هذه البلاطة من الرخام (واشرت الى بلاطة في الارض) تنفع وتضر ورأيته يعبدها ويحترمها فانني لا أجيز لنفسي أن أكرهه على دوسها والوطء عليها ولا أن آمره بذلك الا بعد أن أقنعه ببطلان اعتقاده فيها . وقد وقع لي واقعة في ذلك : وهي ان رجلا أخبرني بأن خصما لي في دعوى شرعية حمله كتابا الى آخر وسألني ماذا يفعل فيه وأنا اعلم انه يطيعني في كل ما آمره به وان في الكتاب حجة لي على خصمي تصلح فصلا للنزاع وتوفر عليّ وقتا طويلا ونفقة كثيرة ولو شئت لأخذت الكتاب فان حامله لا يخالف أمري ومع هذا لم استحل أن آمره بالخيانة

ولما حدثت مشكلة القضاء الشرعي بمصر من زهاء عشر سنين وعزم الانكليز على إلزام الخديو بعزل القاضي المولى من السلطان وتولية قاض مصري مكانه كره الخديو ذلك ولكنه لم يهتد الى المخرج منه فطلب ان يجيء الاستاذ الامام من القاهرة الى الاسكندرية (وكان الخديو في مصطافه فيها) فجاء (رحمه الله) ليلا وقابل الامير في الصباح فقال له اني طلبتك بلسان البرق لاستشيرك في مشكلة القاضي و بعد خروجك من هنا سيدخل لورد كرومر لأجل ان يكلمني في وجوب عزل جمال الدين افندي وتولية احد علماء مصر منصب قضاء مصر الشرعي وسيجتمع بعد ذهابه مجلس النظار هنا للقرار بذلك فماذا أدفع اللورد بحسب رأيك ؟ فقال الاستاذ إن الانكليز من أشد خلق الله احتراما لحرية الضمير والاعتقاد حتى انهم ربما ذكروا ذلك في قوانينهم فانهم لما وضعوا قانون التلقيح الوقاية من الجدري كان من مواده انه يجبر عليه كل أحد الا من يقول إن ضميره لا يجيز ذلك . فاذا كنتم تعتقدون ان تولية القاضي من حقوق السلطان وانه لا يجوز لكم ان تعينوا القاضي من قبلكم فيكفي في إقناع اللورد بالرجوع عن طلبه ان يقول له افندينا إن ضميري لا يسمح لي بذلك لأني اعتقد ان هذا حق السلطان وحده . فمتى سمع هذا الجواب يذعن له ولا يمكن لمثل لورد كرومر في تربيته الانكليزية العالية ان يقول لكم خالفوا ضميركم. وقد كان الامر كما قال الاستاذ وبذلك انحلت المشكلة بعد ان كان عزل قاضي السلطان قد صار في الأمر المقضي الذي لا مراجعة فيه حتى ان جمال الدين افندي باع داره وتهيأ للسفر من مصر الى الاستانة

هذا ما أجبت به احد اساتذة المدرسة الكلية وقد استحسنه من سمعه واعترفوا بأن من افساد الاخلاق ان يؤمر الانسان بفعل ما يعتقد انه قبيح او محرم عليه ، ثم جاءني بعض تلاميذ الكلية من المسلمين وسألوني عن رأيي في مسألتهم وسألتهم عن سببها وعلتها فاستفدت من المراجعة ما يأتي

(١) ان التلاميذ يلزمون الدخول كل يوم الكنيسة (Chapel) والمكث ربع او ثلث ساعة لسماع نبذة من العهد الجديد او العهد العتيق تختم بالدعاء الذي يعبرون عنه بالصلاة ، وكل يوم احد ثلاث مرات يمكثون كل مرة زهاء ساعة ونصف

(٢) انه يوجد في المدرسة جمعية ارمنية لتلاميذ الأرمن وجمعية يونانية

اليونانيين وجمعية المصريين من المسلمين والنصارى وجمعية مسيحية تسمى جمعية الشبان المسيحيين وجمعية لليهود

(٣) طلب التلاميذ المسلمون إنشاء جمعية إسلامية تبحث في ترقي المسلمين مع عدم الخوض في السياسة فرفض طلبهم

(٤) طلبوا ان يجتمعوا ليلة المولد النبوي ليبحث في سبب الاحتفال في مثل ذلك اليوم وما يحسن فيه فمنعوا · فهذا هو السبب لتألب المسلمين · وذكر لي عبارات شاذة في الطعن في الاسلام تصريحا او تلويحا سقطت من بعض رجال المدرسة الأمريكانيين هاجت النفوس وأعدتها للحركة التي ظهرت بعد ذلك عند ما جاء وقتها ولا نذكرها في هذا المقال لانها ليست من نظام المدرسة ولا من اعمالها المطردة

بعد هذا كله نقول ان مؤسسي المدرسة بأموالهم ومديري شؤونها والمعلمين فيها كلهم من أهل الفضل والخير والعلم بطبائع الأمم واخلاق البشر وأحوال الاجتماع فهم يعلمون ان الظلم (ومنه منع المسلمين من الاجتماع كاليهود بَلْهَ النصارى) ينتج في المستقبل ضد مايراد منه في الحال ، وان الأمم لا ترهق في زمن الدستور والحرية بما كانت ترهقه في زمن الاستبداد والعبودية ، فكان عليهم ان يتذكروا هذا فيلينوا ويتساهلوا مع التلاميذ المسلمين عند امتناعهم عن دخول الكنيسة ثم يستميلوهم الى احترام المدرسة بالعدل والمساواة بينهم وبين غيرهم من الملل والشعوب في تأليف الجمعيات بأن يأذنوا لهم بتأليف جمعية إسلامية فان الرئيس الذي لا يعدل لا يطاع بالاحترام ، وكيف يطالب بالنظام من يتعصب ويحابي في النظام ؟! ثم يجعلون تلك المواعظ خالية مما يخالف الاسلام ويعارضه ويقنعون أولئك التلاميذ بأن حضورها بهذه الصفة لا يحظره الاسلام فيكون نفاقا — وما أسهل ذلك عليهم اذا جاؤه من بابه

ان جميع من في المدرسة الكلية من الرؤساء والمعلمين يعلمون أن مايلقى فيها من المواعظ عادة لايرد المسلم عن الاسلام الى النصرانية ولكنه لايخلو من نوع من الألفة والمودة وتقريب الطوائف بعضها من بعض ، وهذا المقصد العالي الذي يسعى اليه الحكماء الذين يخدمون الانسانية خدمة خالصة من شوائب السياسة والهوى · فاذا كان رؤساء المدرسة يرمون الى هذا الغرض فعليهم ان يتذكروا ان الرئ اليه

عن قوس العزة والإدلال ، والإكراه والإذلال ، هو الذي يطيش سهمه ، ويفضي الى ضد ما يراد منه وأن الحب لايكون بالتعصب ، وإنما التحبب داعية الحب ،

بلغني أنهم يقولون ان المدرسة مسيحية انشئت بمال المسيحيين لأجل بث الدين المسيحي فمن لم يرض بدخول الكنيسة وتلقي التعليم المسيحي فيها فلا يدخلن مدرستنا! وهذا القول على مخالفته لفحوى ماسمعته من أحد معلمي المدرسة يمكن ان يقوله بعض رؤساء المدرسة احتجاجا وانتصارا لأنفسهم وما أظن ان جميع أولي الشأن في المدرسة يرضون بأن يكون فصل الخطاب في المسألة حرمان المسلمين من المدرسة أو إخضاعهم لما سبق بيانه من المعاملة التي تنفر القلوب وتورث العداوة والبغضاء والتعصب الذميم

وصفوة الكلام في هذا المقام أنه يتعذر على المدرسة الآن الزام من فيها من المسلمين ما ذكروا بعد مااجتمعوا وتقاسموا واتفقت حكومة الاستانة مع سفارة الولايات المتحدة على عدم جواز ذلك . وان أمامها في السنة الآتية أحد أمرين : إما التساهل والتسامح في قبول التلاميذ المسلمين لتأليف النفوس وجذب القلوب بعضها الى بعض والاكتفاء من الخدمة الدينية بهذا المقدار مع ترقية العقول بالعلم والنفوس بالتربية الادبية الاجتماعية ، وإما عدم قبول المسلمين في مدرستهم وهم أحرار مختارون في ذلك

فان اختاروا الأمر الأول حمدهم المسلمون وحمدتهم الإنسانية وكانوا أقرب الى مقصد الدين الحقيقي الذي لاخلاف فيه بين المسيحية والاسلامية وهي خير البشر وتآلفهم ، وان اختاروا الامر الثاني فانهم يعلمون المسلمين درسا جديدا قد يضرهم ويضر من يعيش معهم من جهة تباعد القلوب وقوة التعصب الذي يشكو منه محبو التأليف والتوفيق ولكنه ينفعهم من جهة أخرى بما ينهض من هممهم ويرفع من نفوسهم ويدفعها الى الاعتماد على ذاتها ومباراتهم في تأليف الجمعيات الدينية لإنشاء أمثال هذه المدارس لأنفسهم

سيقولون ان المسلمين لايستطيعون الآن إنشاء مدارس كالمدرسة الكلية بل

كثيرا ماقالوا ، ولكن هذا القول لاحجة له الا ما يعهدون من بخل اغنياء المسلمين بالمال في سبيل العلم والدين . وهذا عرض لايدوم فها نحن أولاء نرى اخواننا المصريين قد بدأوا يبذلون الالوف من الدنانير لإنشاء المدارس وقد سبقهم الى ذلك مسلمو الهند ومسلمو روسيا . وقد دبت الحياة في المملكة العثمانية فيرجى ان تسبق غيرها في هذا المضمار لمكانتها العالية من سائر بلاد المسلمين

ان مسلمي العثمانيين لا بد ان يشتغلوا في هذا العصر من عقالهم ويعلموا ان التعليم الاجنبي المحض مهما عظم نفعه لا يؤمن ضرره ، فانه ان خلا من الطعن في الاسلام أو تفضيل غيره عليه فانه لا يخلو من اضعاف العاطفة الملية ، وحل الرابطة القومية ، فانه يحوّل مجاري الفكر في العلوم ومهابّ أهواء النفوس في الاخلاق والآداب الى جهة المعلمين والمربين من الاجانب فيجعل عقول نابتتنا وقلوبها ملكاً لهم أو وقفا عليهم أو مجذوبة اليهم أو مفضلة لمقومات أمتهم على غيرها وبذلك ينقص من مقومات أمتنا ومن احترامها في نفوس نابتتنا بمقدار ما يزيد في نفوسها من عظمتهم فلا نطمع في مجاراتهم ومباراتهم ، فضلا عن مسابقتهم ومقاومتهم ، بل نكون دائما عيالا عليهم . ناهيك بما في العلوم من الشبهات على الدين التي يسهل دفعها عن الاسلام لو كان المعلمون عارفين بحقيقته ، واردين عين شريعته

فهذه العلوم التي تؤخذ من هذه المدارس لا تكون حياة حقيقية لأمتنا الا بعد ان يصير زمام التعليم والتربية في أيدينا . فيجب على تلاميذنا في المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت وعلى امثالهم في غيرها ان يعدوا انفسهم ليكونوا عونا لنا على ذلك باتقان اساليب التعليم ونقل العلوم الى لغتنا ، وسيرون من الامة نهضة مباركة في إمدادهم بالمال ، وان لايكرهوا ما يرون من هضم حقوقهم وعدم مساواتهم برفاقهم من ابناء الملل الاخرى فان هذه المعاملة هي التي تحرك غيرتهم وتجمع كلمتهم فليتقبلوها بسعة الصدر ، واطالة الفكر ، وحسن المعاملة ، وكثرة المجاملة ، وطاعة النظام ، ولين الكلام ، والتواصي بالحق والصبر ، حتى تكون حجتهم هي الناهضة وعاقبتهم هي الحسنى « وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

الاصلاح الاهم المقدم

« في المملكة العثمانية »

كثر حديث الناس في الحكومة العثمانية الجديدة وما ينتظر منها من الاصلاح بعد ان قضى أحرار الامة وجيشها على الحكم الشخصي الاستبدادي ، وأدالوا منه حكم الشورى الدستوري ، وكثرت اقوال الجرائد في ذلك ، ولكننا نرى أكثر الحديث في الأمور الكمالية التي لا يكون إصلاحها الا في السنين الطوال كالمالية والمعارف والحربية والبحرية والعدلية (الحقانية) والزراعة ، وقلما نرى أحدا يذكر أهم المهمات الذي يجب تقديمه على كل شيء بلا استثناء ، ألا وهو تنظيم الشرطة (الضابطة والبوليس) لأجل حفظ الأمن العام وتنفيذ الشرع والقوانين بالعدل والمساواة

أعلن الدستور وأعيد القانون الاساسي فصاح الصائحون بالناس في كل بلد أن احتفلوا فاحتفلوا ، وقيل لهم اخطبوا واهتفوا فخطبوا وهتفوا ، وقام الاحرار والمتعشقون الحرية في وجوه أعوان الاستبداد والعبودية ، فانزلوا أناسا عن مراتبهم ، وعزلوا أفرادا من مناصبهم ، وانذروا آخرين بلاء يحل بهم ، وبشروا العامة بالخير القريب ، والعز التليد ، والنعيم المقيم ، فذهبت النفوس في فهم ذلك مذاهب ، ووردت منه مشارب ، حتى فسره بعضهم بإباحة الحقوق وإلغاء الاتاوات والضرائب ، وقد انقسم الناس في فهم الدستور الى اقسام ليس من غرضنا بيانها في هذه المقالة وإنما نقول إنه يوجد في البلاد العثمانية كثير من المستخدمين في الحكومة والذين عزلوا بعد الدستور او استقالوا ومن اصحاب النفوذ والجاه — يمقتون الحكومة الحاضرة ويحنون الى الاستبداد السابق لاعتقادهم انه ينمي مالهم ويوسع دائرة جاههم لانهم يتبعون هوى رؤسائه مهما كان فيه من خراب ذممهم ودينهم وخراب بيوت معظم الأمة والقضاء العاجل على الدولة . فهؤلاء يوسوسون للعامة : ماذا استفدنا من الدستور والحرية ؟ كان يستبد بنا في البلد رجل واحد فصار يستبد بنا جميع الاشقياء ، ومثل

هذا الكلام يروج عند العامة التي تنتظر الراحة والسعادة من الحكومة الجديدة اذا لم تكذبه هذه الحكومة بالعمل في اقرب وقت

ماذا يجب على الحكومة قبل كل شيء ؟ الجواب عن هذا السؤال بديهي وهو أن الواجب قبل كل شيء حفظ الأمن العام والحرية الشخصية ولا يتم هذا على وجهه الا بتنظيم الشرطة (الضابطة) ولذلك نرى الولاة والمتصرفين يتململون من كثرة الاعتداء بالضرب والقتل فاذا طولبوا بتربية المجرمين يقولون اننا ننتظر التعليمات الجديدة في إصلاح الشرطة من الاستانة في أول السنة المالية القادمة

هكذا قالوا لنا عندما تكلمنا معهم ورأيناهم يعلمون كما نعلم ان من في البلاد من الشحنة والشرطة قد افسد اكثرهم حكم الاستبداد الماضي فصاروا اعوانا للاشقياء والمجرمين ، وقد اقترحنا عليهم ان يستبدلوا شرطة لواء بشرطة لواء آخر فاعتذروا عن ذلك بقلة الرواتب وقالوا ان من ينقل من بلد الى بلد يحتاج الى نفقات جديدة لا تفي بها راتبه وستزاد الرواتب في اول العام القابل فيتيسر نقل هؤلاء الى بلاد لا صلة لهم بأشقيائها ويكونون تحت مراقبة شديدة

هذا ما ينتظره والي الشام وجميع ولاة المملكة لاجل حفظ الأمن وحماية الحرية الشخصية ويحسبهم الجمهور غير مبالين بما يقع حينا بعد آخر من الجنايات والمظاهرات التي تنبىء باحتقار العامة للحكومة

لولا أن الاجل المضروب للبدء بالاصلاح المطلوب قريب لخشينا ان يفضي إهمال الحكومة للعامة الى الفوضى وان كان أكثر أهالي بلادنا لا يزالون على حظ عظيم من حب السلامة وحسن الاخلاق على ما أفسد الاستبداد من أخلاقهم ، قد رأينا مثال ذلك في مصر فان الجنايات واهلاك الحرث والنسل في القطر المصري أشد وأكثر مما هو في القطر السوري على كون الحكومة المصرية أرقى من الحكومة العثمانية . والسبب في ذلك ما أعطته الحرية العامة من احتقار الحكومة والأمن من سطوتها الا ان تثبت تهمة على متهم في المحاكم مع جهل أكثر الاهالي وافساد الاستبداد السابق لاخلاقهم ولا تزال الحكومة المصرية في حيرة من أمر

الأمن العام على كثرة بحثها وبحث أصحاب الجرائد وغيرهم من الكتاب وأهل الاختبار في وسائل ذلك منذ سنين

لو أخذ ولاتنا بالحزم في أوائل العهد باعلان الدستور وساعدتهم جمعية الاتحاد والترقي التي أخذت بيدها صولجان السلطة عدة أشهر لدى حكومة الاستانة بأمرها فقبضوا على كل من يرتكب جناية وعجلوا بمجازاته حتى بالقتل ان قتل لأراحوا أنفسهم وأراحوا الأمة في الحال مما تشكو منه والحكومة في المستقبل مما سوف تشكو منه إذا كانت تريد ان تبقى على سياسة الرقة واللطف (النزاكة) التي اتبعتها منذ أعلن الدستور إلى اليوم وتقيد الحكام بظواهر ألفاظ القوانين

رأى زعماء سياسة الرقة واللطف انا قد أخذنا الدستور نظيفا غير ملوث بالدم فيجب ان نتقي سفك الدم في دور الانقلاب ونداري المفسدين والمجرمين الى ان يستقر الدستور في نصابه وهو على نظافته . ولكن هذا الرأي إنما يصح في بلاد يخشى فيها من الفتن والثورات الداخلية إذا فوجئ أهلها بما يكرهون كبلاد الحجاز لا في بر الشام الذي ليس فيه استعداد للثورة ولا خطر في بال أحد من أشقيائه انه يمكنه ان يقف في وجه الحكومة بنفسه أو بعصبته اذا هي حاولت ان تسلط العدل على الأخذ بناصيته ! !

ألا إن أكثر زعماء سياستنا ليجهلون حال الأمة في جميع الولايات ويولون عليها من الولاة والمتصرفين من لا وقوف لهم على حقيقة حالها حتى اني أحسب ان ناظم باشا لا يزال غير محيط علما بحال ولايتي بيروت وسورية على ذكائه واختباره لها في سني الاستبداد وشهور الدستور فما ظن القارئ بأدهم بك والي بيروت الجديد الذي كان عائشا في أوربا فانتقل منها بعد الدستور الى الاستانة فبيروت ! ؟ ثم بمثل متصرف طرابلس جاويد بك ؟ . ولقد يعز على هذا المتصرف وذلك الوالي ان يعرفا حال البلاد وأهلها في زمن قريب لعلتين فيهما : عدم التكلم بالعربية ، والعزلة ، فإنهما يكادان لا يكلمان أحدا في غير أمور الحكومة الرسمية في دار الحكومة ! ومن كان هذا شأنه كيف يقف على حقيقة حال البلاد ؟ ومن لا يقف على حقيقة حالها كيف يسوسها على وجه الحكمة والسداد ؟ ! !

يظن امثال هولاء أنه لا يطلب من الوالي او المتصرف الدستوري الا ان يكون عفيفا مستقيما مراعيا في سيرته القوانين وفاتهما ان معرفة حال الناس الذين وضع القانون لاجل إصلاح شأنهم مقدمة على معرفة القانون والحرص على تنفيذه لان العدل في التنفيذ لا يكون الا بتطبيق المواد على الوقائع وهذا التطبيق يتوقف على معرفة حال المتلبسين بالوقائع التي تطبق عليها تلك المواد ٠ وان وراء ذلك من الاجتهاد في حسن الادارة مالا تغني عنه القوانين وان نفذت بالعدل

يتوهم بعض الولاة والمتصرفين أن للاشقياء الذين اشتدت جرأتهم في عهد الدستور عصائب تشد أزرهم وان الحكومة لا تقدر على تربيتهم الا بعد تنظيم الشرطة وانها اذا حاولت الآن ان تقبض على المشهورين منهم أو تلزم الشراذم الذين يتألبون عليها حدهم وتحفظ هيبتها في نفوسهم يثورون عليها ويقاومونها بقوة السلاح او ان تركهم على ما هم عليه هو الواجب الآن عملا بقاعدة ارتكاب اخف الضررين وهذا وهم باطل بالنسبة الى ولايتي بيروت وسورية فان هذه البلاد وان ساءت حالها وكثر اختلالها في أواخر عهد الاستبداد فهي لم تصل في الشر والهمجية الى هذا الحد الذي قد يتوهمه بعض حكامها

هذا التوهم هو الذي كف أيدي الحكومة الجديدة عن تربية المجرمين فامتدت ايديهم الى مالم تكن تمتد اليه في عهد الاستبداد حتى صار العقلاء يخشون ان يفضي احتقار الاشقياء للحكومة الى الفوضى ، وهم لا يعذرون الولاة على إهمالهم ولا يعرفون سبب هذا الاهمال اذ لو عرفوه لاجتهدوا في إقناعهم بأن البلاد ليس فيها عصائب ذات قوة ولا جمعيات سرية وان الوالي اذا شاء ان يقبض على مجرم وينفذ القانون على أي معتد فعل الا ان يفر الشقي الذي تأمر الحكومة بالقبض عليه قبل ان تصل يدها اليه ، وأنه لا يوجد في مدن سورية كلها شقي تحدثه نفسه بأن يعصي على الحكومة جهرا ، او يغري الاهالي بعصيانها سرا ، على ان إفهام هذا لوالي بيروت لاجل حمله على القيام بعمل لحفظ الأمن قد يعد من العبث فانه لا يتوجه الى عمل ما في ذلك إلا بعد ورود ما ينتظر من تنظيم الشرطة والشحنة في أول السنة المالية القادمة وما هي ببعيد

يجب ان يعدّ الولاة ومن دونهم من رجال الادارة لهذا الاصلاح عدته فانه هو الاصلاح الذي يتوقف عليه كل إصلاح . يجب ان يستخرجوا من المحاكم اسماء المحكوم عليهم بالاعدام وما دونه من العقوبات وينفذوا ذلك كله بمنتهى الجد والحزم ثم يمنعوا الافتئات على الحكومة بالمظاهرات التي لا يبيحها القانون أو يطالب بها ما لا يبيحه القانون ومن أصرّ على غيه يؤخذ منه باليمين

ويجب على الاستانة ان لا تقيد الولاة بقيود كثيرة وان لا تجعلهم عيالا على نظارة الداخلية في كل شيء ولا في أكثر الاشياء بل فيما لا بد منه ولا غنى عنه من الأمور الإجمالية . يجب ان يباح لرؤساء الحكام من الولاة وغيرهم الاجتهاد في فهم القوانين وتنفيذها بالمشاورة كل فيما يختص به مع تشديد التبعة (المسئولية) عليهم وجعلهم تحت مراقبة المجالس العمومية التي يجب توسيع اختصاصها وكذا اختصاص مجالس الادارة . واذا أعيد التفتيش على الولايات يكون للأمة اربعة انواع من الضمان الذي يحول دون استبداد الولاة ومن دونهم من رؤساء الادارة : مجالس الادارة في كل لواء ومركز وناحية، والمجلس العمومي في الولاية، والتفتيش، وشدة التبعة يضاف اليها من قبل الأمة نفسها انتقاد الجرائد وما وراءه من إثارة سخط الرأي العام.

وكذا يقال في المحاكم مع ما يجب من استقلال القضاء وجعل المحاكم الشرعية المؤلفة من عدة أعضاء يحكم فيها بالاتفاق او اكثر الآراء وايجاد محاكم استئنافية شرعية في كل ولاية

هذا ما عنّ لنا ان نكتبه الآن ، ويغلب على ظننا ان حكومتنا تحتاج في تنظيم الشرطة والشحنة الى الاستعانة بالاجانب كما تحتاج الى ذلك في كثير من الأعمال فان الرجال القادرين على الاصلاح عندنا قليلون كما سيظهر بالعمل وندعو الله ان يوفق مجلس الأمة الى خير الاصلاح المنتظر

تنبيهُ الجرائد السوريهْ

الى الاعتبار بتاريخ الجرائد المصرية (*)

اذا كانت تربية الاطفال فنا من ادق الفنون وهو لا يبلغ درجة الكمال على عناية العلماء والفلاسفة به فماذا نقول في تربية الامم ؟

يوجد الوف كثيرة من المربيات والمربين في كل امة من الامم المتمدنة ولكن الذين يربون الامم قليلون في كل امة وكل زمان

ان للامم اطوارا كما ان للافراد اطوارا، ولايحتاج المربي للافراد في طور من اطوارهم الى العلم الواسع والخبرة الدقيقة والعناية العظيمة كطور الانتقال من المراهقة الى البلوغ او من التقليد والالزام الى الرشد والاستقلال، وان المربي للامم يكون عند انتقالها من حكم الاستبداد والعبودية الى حكم الشورى والحرية احوج من مربي الافراد الى العلم والخبرة والبصيرة والحكمة

ان خطباء الامم والقائمين على تربيتها بالارشاد والتعليم وانتقاد الحاكمين والعاملين هم اصحاب الجرائد، وقد كانت الجرائد العثمانية في مأزق لا تستطيع فيه حراكا فخرجت الى مجال فسيح وميدان واسع، ولكن الجولان في هذا المجال والجري في هذا الميدان لاينبغي الا للفرسان المهرة فان الارض على رحبها غير ممهدة والطرق على سعتها غير مبينة فامام من يريد الجولان عواثير يخشى عليه من التردي فيها، وعقبات يصعب اقتحامها، واعلام مشتبهة لا يؤمن الضلال بينها

فنون الكلام في الجرائد كثيرة والانتقاد ادقها مسلكا واصعبها مركبا وأشدها على النفوس وقعا واكثرها ضرا ونفعا، فمن وظائف الجرائد نقد الحكام والاحكام، ونقد العمال والاعمال، ونقد العلماء وكتب العلوم، فلاشيء الا وهو معرض للنقد، فان احسن كتابها النقد كانوا خير العون على الاصلاح، وان اساؤا كانوا من عوامل الفساد

(*) نشرناها اولا في جريدة «الاهالي» البيروتية وقلنا هنا بمناسبة الاعتداد العثماني

والافساد ، لا سيما في مثل الطور الذي دخلت فيه الامة العثمانية الآن

لا يعرف أحد كنه تأثير الجرائد في مثل هذا الطور كما يعرفه أهل البصيرة الذين خبروا بأنفسهم أمة كان الاستبداد يسومها سوء العذاب، فانتقلت الى الحرية فجأة ووجد فيها جرائد كثيرة مرخية العنان مطلقة من القيود ورأوا بأعينهم ما كان لها من التأثير في تلك الامة . وان هذا الوصف ليصدق على بعض العثمانيين الذين اقاموا في القطر المصري زمنا طويلا موجهين عنايتهم الى اكتناه احواله الاجتماعية فاذا اشتغل هؤلاء بالصحافة العثمانية رجونا ان يفيدوا الامة جميعا

لقد نفعت الجرائد في مصر كثيرا واضرت كثيرا ، واذكر على سبيل العبرة للجرائد السورية مثالا من نفعها ومثالا من ضررها :

ان للجرائد المصرية احسن الاثر في النهضة العلمية في القطر المصري حيث صار الموسرون يتبارون في دفع الوف من الجنيهات لانشاء المدارس ، ويقفون عليها وعلى الجمعيات التي تقوم بادارتها الاراضي الواسعة ذات الريع العظيم ، وقد كان اشتراك الجمعية الخيرية الاسلامية لايخرج من كيس الغني الكبير منهم الا نكدا بعد مطالبات كثيرة ، وما ذلك الاشتراك الاجنيهان أو اربعة جنيهات في العام !

لم يكن الحث على انشاء المدارس والدعوة الى التربية والتعليم غرضا خاصا لجريدة من تلك الجرائد، ومذهبا ملتزما تدعو اليه وتجعله مدارا لنهضة الامة وسعادتها الا مجلة المنار التي صرح في فاتحة العدد الاول منها بهذه الكلمة « وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين » ثم كنا نستطرد من كل موضوع يكتب فيها الى الحث على التربية والتعليم . ولا أريد بهذا الاستثناء ان انيط بالمنار ماذكرت من النهضة العلمية فادعي انه هو روحها الذي به حياتها ونماؤها ؛ بل لا أنكر ان الجرائد اليومية أعم تأثيرا منه في ذلك ، ناهيك بنشرها لاسماء المتبرعين بما قل أو كثر مع الحمد والثناء ، ولو انها جعلت الدعوة الى ذلك مذهبا متبعا ومشربا مورودا لكان النفع أعظم ، ولكن شغلتها السياسة عن ذلك وهو أنفع لهم في سياستهم

فهل للجرائد العثمانية ان تعتبر بهذا فتجعل الدعوة الى التربية والتعليم دينها

والحث على التبرع لذلك وتأسيس الجمعيات لاجله مذهبها الذي توجه الى نشره جل عنايتها ؛ فاذا كان للجرائد المصرية بعض العذر في جعل جل همها في السياسة فان جرائد سورية لانصيب لها من هذا العذر لأنه ليس في بلادها سلطتان متعارضتان احداهما اجنبية بيدها الحل والعقد بالفعل ، والاخرى رسمية لها الاسم وما لا يعارض سياسة الاولى من الفعل . على اننا قد نبهنا اصحاب الجرائد السورية الى تقصير الجرائد المصرية في الدعوة الى التربية والتعليم على الوجه الذي هو ارجى لتكوين الامة وجعلها أمة عزيزة مستقلة في نفسها استقلالا يفضي الى استقلالها في احكامها وسياستها

هذا : وأما المثال لضرر الجرائد المصرية فهو طريق انتقادها ولاسيما للحكومة ، فقد سلك اكثرها فيه مسلكا أسقط هيبة الحكومة من النفوس بعد ما كان لها من هياكل العظمة في كل خيال ، وشعور الخشية والبأس في كل قلب ، فوثبت الجرائد بالشعب المصري من طرف الى طرف ، من غير ان تمر به على الوسط أو ما يقرب من الوسط .

ذلك المسلك هو اتهام الحكومة بمشايعة الانكليز على ما يريدون من السوء بالبلاد ، فكان أولئك الكتاب ينحون بقدحهم وطعنهم على الوزارة «مجلس النظار» في الجملة وعلى رئيسها وافرادها وعلى المديرين وغيرهم من رؤساء الاعمال في التفصيل ، فذلك الانتقاد أو الطعن كان الغرض منه تأييد سياستهم في مقاومة الاحتلال والتشفي من الانكليز وبيان ان الامر كله في أيديهم وتبعته عليهم ، وان النظار وسائر الموظفين المصريين آلات صماء تحركها هذه الايدي كما تشاء ، ولكن فيما يضر البلاد ولا ينفعها وفيما يسلب السلطة الشرعية من أميرها ، وهو الذي يريده لها الخير لولا انه عاجز عنه . وكان يقوم في وجه هذه الجرائد الكثيرة جريدة أو جريدتان أو ثلاث تندد بالامير وبطانته ، وتلمز ذلك المقام بما يخفض من قدره — فبذلك كله زالت هيبة الامير وحكومته الرسمية من النفوس ، فتجرأ الاشقياء على السلب والنهب ، واهلاك الحرث والنسل ، وكثرت الجنايات في الارياف حتى ان الحكومة لاتزال في حيرة من حفظ الامن الى هذا اليوم

نعم انه قد استقر في أذهان جميع المصريين ان الامر كله للانكليز ، وأنهم

يستطيعون ان يفعلوا ماأرادوا من حيث لا تستطيع الحكومة المصرية من دونهم شيئا ، ولكنهم علموا مع هذا أن الانكليز لا يحفلون بالمسائل الجزئية التي تتعلق بافراد الاهالي وانما يكلون الامر فيها الى الحكومة المصرية تنظر فيها بحسب القوانين ، فلا يستطيع المأمور ولا المدير ولا رئيس النيابة (المدعي العمومي) ولا القاضي ان يعاقب جانيا الا اذا ثبتت جنايته في المحكمة ، وقلما يقدم الجناة على عملهم الا وهم آمنون من ثبوته عليهم !

فاختلال الامن في القطر المصري نشأ من سقوط هيبة الحكومة من نفوس العامة ، والتطرف في الحرية والانتقال من حكومة استبدادية عرفية ، الى حكومة قانونية حرفية ، اي يجري فيها الحكام على ظواهر الفاظ القانون من غير تطبيق على المصلحة العامة التي وضع لاجلها القانون . وما كان لاكثر الجرائد من عمل في ذلك الا ما ذكرنا ، فما كان من خطأ يقع كانوا يحملونه على سوء النية من الحكومة ، وما كان من صواب يسكتون عنه او يحملونه على غير محله ، حتى كانوا ربما يطعنون في أنفع الاعمال كانشاء الخزان في اسوان — فلهذا ولغيره من الخطأ الذي لا يتسع هذا المقال لشرحه كان الاستاذ الامام يقول « جرائدنا احدى بلايانا »

فيجب ان تعتبر الجرائد السورية بخطأ الجرائد المصرية التي سبقتها في الاستقلال والحرية كما تعتبر بصوابها ، فكما يجب عليها ان تتخذ لها مذاهب في الاصلاح الاجتماعي لا تشغلها عنه السياسة يجب عليها أن تتخذ لها اسلوبا حكيما في انتقاد الحكومة يرجى نفعه ولا يخشى ضرره ، ويجمع بين حفظ هيبتها في نفوس العامة من حيث هي امينة على مصالحها ومنفذة لشريعتها وقوانينها التي اقرها نوابها ووكلاؤها ، وبين تكريم الامة واعلاء شأنها وغرس مبادىء الحكم الذاتي في نفوسها .

كيف تنتقد الحكومة

تنتقد اعمال الحكومة لغرضين شريفين : أحدهما وهو الاصل صيانة الحقوق وحمل الحكام على العدل واداء الامانة بالتزام الشريعة وتطبيق القانون على المصلحة العامة . وثانيهما عرضي تمس اليه حاجة الامة أو ضرورتها في مثل الطور الذي نحن فيه الآن في بلاد الدولة عامة والقطر المصري خاصة ، وهو بث مبادئ الحكم الذاتي في نفوس الامة (أي حكم نفسها بنفسها)

اما الأول فطريقه ان يبحث الكتاب عن الاعمال والاحكام ، ويبينون ما يجب بيانه في انطباقها على الشرع والقوانين وعدمه من غير بذاء ولا استعلاء ولا طعن يسقط المهابة ويذهب باحترام الحكومة من نفوس العامة . وانما نعني بالاعمال اعمال الحكومة دون الاعمال الشخصية التي لا دخل لها ولا تأثير في المصالح العامة .

ومن كان مخلصا في انتقاده يتحرى الحق فيه، فاذا ظهر له انه اخطأ فيما كتبه رجع عنه رجوعا صريحا وبين سبب خطإه الاول ومشرق انبلاج الصواب له وبذلك يكون كلامه موثرا في القلوب ذا سلطان على النفوس فيقدره قدره الحاكمون ، فاذا لم يرجع به المسيء عن غيه آخذه رؤساؤه على سوء فعله

ومن آيات الاخلاص ان يسعى مريد الانتقاد ان تيسر له كأن يراجع الحاكم فيما يرى انه يسيء أو يجور فيه ، فان تم له ذلك والا لجأ الى الانتقاد

وينبغي ان يبدأ بالرمز والتلويح ، ثم يترقى في سلاليم التصريح ، فاذا استقام الجائر ، وعدل الظالم ، وجب ان يقف الناقد عند الدرجة التي ارتقى اليها في نقده ثم يثني على العمل الذي يستحق الثناء

ومما يتحتم مراعاته أن تكون الفقرة التي ينتقد بها القضاة ورؤساء الادارة بحيث يفهمها الخاصة دون العامة ، كأن تورد بضروب من المجاز والاستعارة وتستعمل فيها الالفاظ الغريبة لئلا تزول مهابة الحكومة من نفوس العوام وتقل ثقتهم بالقضاء ويعتقدوا انه لا سبيل الى قضاء مصالحهم الا بالرشوة ، ويطمع المبطلون منهم بهضم الحقوق ويضري الاشقياء ، بالتعدي على الضعفاء ، اعتمادا على ضعف الحكام أو ظلمهم

وانما تجب مراعاة ما ذكر في انتقاد من يسيء مستخفيا ، واما من يجهر بالسوء ويعرف عنه الظلم فأولئك هم الذين لا تحفظ لهم حرمة ، ولا ترقب فيهم ذمة ، فيجهر الكتاب بانتقادهم ، ويحرضون الامة على الشكوى منهم اذا لم يبادر رؤساؤهم والمفتشون عليهم الى النظر في أمرهم ، ولتكن الشكوى الى المجالس العمومية في الولايات ثم الى مجلس المبعوثان في الاستانة بعد مراعاة ما اشترطه القانون الاساسي في ذلك

اما الطعن في الحكومة على الاطلاق فضرره عظيم جدا في مثل بلادنا ولا سيما

في أول العهد بالانقلاب كهذا الزمن . مثال ذلك طعن المتهورين أو الرجعيين (على الخلاف بين كتاب العرب وكتاب الترك في لقبهم) في حكومة الشورى الحاضرة من حيث شكلها والاستدلال على ذلك بالخلل والفساد الذي أظهرته الحرية في الأمة والحكومة جميعا بزعمهم ، وما هو إلا من رزايا الحكومة السابقة التي يتعذر تطهير الارض من نتنها في بضعة شهور أو بضع سنين

ومن أمثلته استبطاء كثير من المحبين للحكومة الحاضرة لاعمال مجلس الامة واظهارهم قلة الثقة به وشكهم في أنفسهم وتشكيكهم الناس في قدرته على القيام بما عهد اليه من اصلاح حال الدولة ، وترقية شؤون الامة ، وما ذلك إلا لجهلهم بحاله وبحال الحكومة التي ينظر في أمر اصلاحها

ان مثل مبعوثينا ونوابنا في مجلسهم كمثل مهندس كلف وضع رسم أو رسوم لبناء بلد كمسيني ، لا مسينا كما تضبطه الجرائد ، قد دمرته الزلازل وان يستحضر البنائين لاعادة بنائه على أحسن مما كان عليه ، ويراقب عملهم الى ان يتم ثم يكون أمينا عليه حافظا له فأراد ان يشرع في العمل فوجد معظم انقاض البلد مفقودة قد تلف بعضها وسرق بعض ولم يجد من البنائين المهرة والصناع والنجارين عددا كافيا للاسراع في العمارة ! ! فهل يلام المهندس ويرمى بالتقصير وحده وينسى ذلك الزلزال الذي دمر البلد وأولئك اللصوص الأدنياء الذين كانوا ينهبون انقاضه وما يهيأ لبنائه ؟!!

ألا ان عذر مبعوثينا أظهر من عذر ذلك المهندس ، فان زلزال الاستبداد قد توالى على المملكة العثمانية منزهاء ثلاثة اجيال ، وقد اشتد في عهدنا هذا من أول هذا القرن الهجري حتى كاد يجعل المملكة أثرا بعد عين . وقد كان أكثر رجال حكومتنا في ذلك الدور كأولئك اللصوص الذين افترصوا زلزال (مسيني) فسارعوا الى نهب كل ما وصلت اليه أيديهم الاثيمة من أموال الهالكين والمشرفين على الهلاك فماذا عسى ان يفعل نوابنا في أيام أو شهور ؟

قال أمامي بعض هؤلاء المتقدين الطيبة قلوبهم الثلقة عقولهم أو القليل اختبارهم : ان بعض المبعوثين يسأل في المجلس أسئلة سخيفة تدل على ان مجلسنا في سن

الطفولية ! قلت هل كان فيها أسخف من سؤال بعض نواب الانكليز في مجلسهم الذي هو أعلى وأرقى مجلس نيابي في الأرض عن الكنف (المراحيض) في القاهرة وكونها قليلة أو غير موجودة في الاحياء الوطنية ! !

ومن أمثلة الانتقاد المطلق في الحكومة الحاضرة ما يلهج به الناس من جميع الطبقات في جميع البلاد من تقصيرها في حفظ الامن وارسالها حبال الاشقياء على غواربهم ، وهذا الانتقاد واقع ماله من دافع لظهور موجبه لكل أحد ، وهو هو علة الانتقاد الذي ذكر قبله ، ولأمر ما كان كلام الجرائد فيه دون كلام الناس في أنديتهم وسمارهم وبيوتهم وسائر مجامعهم وفي الطرق والاسواق ! .

واذا طال العهد على هذا الاهمال فأني اخشى ان يتفاقم امره ، ويستشري شره ، وقد كلمت فيه والي بيروت قبلاً « والي سورية الآن » ووالي بيروت الآن والمدعي العمومي لولاية بيروت ومتصرف طرابلس فرأيتهم ينتظرون أول السنة المالية التي قربت خطواتها الاصلاح حال الشحنة والشرطة والدخول على حفظ الامن من بابه

ان عذر الولاة والمتصرفين في التقصير في حفظ الامن محصور في ظنهم انه لا يمكن بطريقة قانونية لا استبداد فيها ولا ظلم الا بعد تنظيم الشرطة وايجاد قوة عسكرية كافية لتلافي ما ربما يحدث من الثورات الداخلية ! وهو عذر مبني على عدم اختبار حال البلاد في مثل ولاية بيروت فقاسوها على مثل ولاية الموصل وعلى حوران من ولاية سورية ، ويعسر علينا إقناعهم بان هذه البلاد لم تصل الى هذه الدرجة من الشر والفساد ، وانه لا يوجد فيها احد من الاشقياء يفكر في مقاومة الحكومة قط ، وان اي والٍ أو متصرف أخذ بالحزم يسهل عليه ان يحفظ الامن . على ان من يقنع منهم بذلك لا يتجرأ على الاقدام عليه وتحمل تبعته في عهد هذه الحكومة ولا سيما مع بقاء الاستانة مستأثرة بالسلطة العليا ومقيدة لسلطة الولاة بَلْه المتصرفين فمن دونهم !

اذا طال العهد على الحال التي نحن عليها ــ وما هو بالذي يطول ان شاء الله ــ يتقوض بناء مهابة الحكومة من نفوس العامة فلا يبقى منه شيء وتصير البلاد فوضى ، ولو لا ان سلامة القلوب ومحاسن الاخلاق لا تزال ذات السلطان الغالب في بلادنا لكانت بضعة شهور كافية لانتشار الفوضى وطمع الاشقياء في الخروج على

الحكومة ولكن شيئا من ذلك لم يكن ولن يكون ان شاء الله تعالى

ان الحكومة قادرة الآن على التنكيل بالاشقياء فكيف بها بعد التنظيم الذي اظلنا زمانه وادركنا ابانه . وان ماحصل طبيعي في طور الانقلاب فما هو بالامر الغريب الذي يبيح للناس ولا للجرائد الطعن في الحكومة على الاطلاق

اذا رأينا بعد استقرار الحكومة الجديدة واقامة النظام المنتظر عجزا عن حفظ الامن في ناحية لسوء ادارة مديرها او في قضاء لجهل القائمقام او في لواء لضعف المتصرف او في ولاية لعلة في الوالي ـ فاننا نسعى لدى مرجع كل واحد من هؤلاء لاستبداله ، اذا اعوزنا اصلاح حاله ، ولانطعن في الحكومة طعنا مطلقا يذهب بثقة العامة بها ، ولا نتهمها بالخيانة والفساد ، ولا نرميها بالعجز والضعف ، فان ذلك كله تسوء عاقبته على كونه لا يمكن أن يكون صحيحا على اطلاقه

حسبنا هذه الكلمات في بيان الغرض الاول من غرضي الانتقاد الصحيحين فان المخاطب بها هم الكتاب الالباء واللبيب تكفيه الاشارة

واما الغرض الثاني من ذينك الغرضين وهو تقوية روح الحكم الذاتي في الامة فقد يحتاج اليه في البلاد المصرية اكثر مما يحتاج اليه في البلاد السورية ، لمكان الغلة في استئثار الانكليز بالسلطة وجعل المصريين الآن في أيديهم . ومع ذلك نرى الجرائد المصرية قد قصرت فيما يجب عليها من الرمي الى غرض نفوذ الامة فكان معظم نضالها أو جميعه دون نفوذ الامير نفسه ، أي لتقرير الحكومة الشخصية والانتقال من استبداد أجنبي محدود إلى استبداد شخصي وطني لاحد له ا . الا انه قد كثر خوض هذه الجرائد في هذه السنين الاخيرة في طلب المجلس النيابي لمصر وكون ذلك موافقا لرغبة الامير في رأي بعضها - ولكن الصحيفة المصرية التي اتخذت تقوية سلطة الامة نفسها مذهبا لها تراعيه في انتقادها على الحكومة هي (الجريدة) التي أسسها جماعة من الوجهاء وأهل الرأي تنفيذا لما كان دعاهم اليه الاستاذ الامام في آخر حياته . ويعلم الله ان هذا ما كنت اقترحه عليه من بضع سنين حتى انني كنت قد اخترت له المحررين ووضعت له الميزانية بعد المذاكرة الطويلة معه في المذهب السياسي — وهو سلطة الامة وفي المنهاج الاجتماعي الأدبي وجعله في

انتقاد الاخلاق والعادات . فهل للجرائد السورية ان تفكر في هذا وتقدره حق قدره؟

ان الجرائد العثمانية كلها تحتاج الى انتقاد الحكومة فيما يختص بسلطة الامة عند وضع بعض القوانين التي تقوي سيطرة الحاكم وتضع العثرات في سبيل الامة كقانون المطبوعات وقانون الجزاء (العقوبات) وقانون المعارف ولوائحها ونظام مدارسها، بل يجب ان تنتقد مجلس الامة اذا لم يجعل تنقيح القانون الاساسي مقيدا للحكم الشخصي، مطلقا لحكم الشورى من تلك القيود المعروفة، واذا نازعته الحكومة فيما يقوي به سلطة الامة وجب على الجرائد ان تحمل عليها حملة شعواء، وان لا ترضى اقلامها بما دون الطعنة النجلاء

كذلك يجب على الجرائد في كل ولاية ان تنتقد الولاة اذا هم حاولوا الاستبداد في أمر المجالس العمومية ومجالس الادارة أو اظهروا التعصب لجنسهم كتعصب التركي للترك والعربي للعرب فان العصبية الجنسية من الحكام تضعف الجامعة العثمانية وتحدث فيها الاحداث والمفاسد

ولا يجوز بحال من الاحوال ان تتهم الحكومة في جملتها ببهضم حقوق الامة وكراهة حكمها الذي هو حكم الشورى، وان كان الكثيرون من الوجهاء والرؤساء السابقين قد قل انتفاعهم ونقص مالهم وجاههم في عهد الحكومة الحاضرة، فهم يحنون الى الاستبداد ويتمنون الرجوع اليه حتى صارت جرائد الاستانة تسميهم الرجعيين. فمن بقي في الحكومة من هؤلاء ومن يدخل فيها على عهد الدستور للجهل بحالهم أو للحاجة اليهم على عوجهم لا يألون جهدا في الاستبداد إذا وجدوا منفذا من المنافذ، وأمنوا المراقب والمؤاخذ

فمن أقدس وظائف الجرائد وواجباتها ان تتبع عوارهم، وتقلم اظفارهم، وتكبت انصارهم، مع مراعاة ما أشرنا اليه من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي أحسن كما أرشدنا الذكر الحكيم - وليكن الاخلاص رائدنا، وإيثار المصلحة العامة غايتنا، فلا شيء انفع وأرفع من العمل لخير الناس، ولا مرشد إلى ذلك اهدى من الاخلاص.

باب المراسلة والمناظرة

﴿ شيخ الاسلام ابن تيمية وما قيل فيه ﴾

غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار المنير بمصر

سلام الله عليكم ورحمته ولا زلتم في نعيم مقيم

سيدي: من العجب انكم لم تتعرضوا لما قاله ابن حجر الفقيه في فتاويه الحديثية من الطعن على ابن تيمية بالتفصيل الشافي المعهود من حضرتكم ومحاكة ابن حجر فيما قاله حتى يتبين الرشد من الغي !! وهنا نجد اكثر الجامدين من اصحاب العمائم يتمسكون بتنفير البسطاء عن مطالعة المنار لكونه ينقل عن ابن تيمية وان المنار يلقبه بشيخ الاسلام ناسياً ما قاله ابن حجر في فتاويه حيث يقول « عبد خذله الله تعالى واضله واعماه واصمه وأذله »

ونجد محب المنار الغير المطلع على اقوال ابن تيمية التي اوجبت خذلانه وانحرافه عن الطريقة الجادة يلتجيء الى السكوت . نعم ربما انه سبق لحضرتكم كلام في بعض أجزاء المنار السابقة بخصوص هذه المسألة . « لان مثل هذا مما لا يحسن سكوت حضرتكم عنه كل هذه المدة »

ولكن يتجدد قراء كثيرون في المنار في كل عام وكثير منهم لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم للاطلاع وذلك يلجئكم ان توضحوا المسألة ثانياً . وقد بلغني أن كثيراً من العلماء العظام انتقدوا كلام ابن حجر . فهل لسيدي نقل بعض اقوالهم ؟ ولكم من الله جزيل الفضل ومنا الشكر .

ع . س (دلي — سمطرا)

(المنار) لا غرابة ولا عجب في عدم تعرضنا لما ذكرتم قبل ان نُسأل عنه على اننا كنا

عازمين على كتابة ترجمة لابن تيمية بعد إتمام ترجمة الغزالي . ويغلب على ظننا ان الفقيه ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى لم يطلع على كتب ابن تيمية وانما رأى ما انتقده عليه بعض معاصريه كالشيخ تقي الدين السبكي وغيره فانكر ذلك عليه ولا يبعد ان يكون بعض المفسدين قد دس في كلام ابن حجر ذلك السباب والشتم الذي يجل مثله عن مثله وذلك مما حدث كثيرا كما بينه الشعراني في كتاب اليواقيت والجواهر وغيره حتى ذكر ان بعض كتبه نسخ في عصره ودست فيه ضلالات كثيرة ولم يقتنع العلماء بأن تلك الضلالات من دسائس المفسدين الا بعد أن أبرز لهم ما كتبه بخطه . ويظهر انه لم يطلع أيضا على ما قاله حفاظ الحديث والعلماء والمؤرخون في الثناء على ابن تيمية بما لم يثنوا بمثله على أحد حتى شهد له معاصروه ومناظروه بالوصول الى رتبة الاجتهاد المطلق ومن كان كذلك لا بد ان يخالف غيره من المجتهدين في بعض المسائل . ويعز على الفقهاء المقلدين ان يوجد في عصرهم من يخالف أئمتهم بل من دون أئمتهم ممن يجلون من الميتين حتى كأن الموت يجعل العالم معصوما ! . ولذلك ترى ان سبب قيام الشيخ كمال الدين الزملكاني والشيخ نصر بن المنبجي على ابن تيمية هو إنكاره على الشيخ محيي الدين بن عربي، وسبب قيام ابي حيان عليه هو إنكاره على سيبويه وتخطئته له . فهؤلاء الثلاثة والشيخ تقي الدين السبكي هم اعظم العلماء الذين انكروا عليه في عصره ومن اسباب حنقهم عليه تشدده في الانكار عليهم هم فيما انتصروا به لابن عربي وسيبويه ولكن كل واحد منهم قد اثنى عليه ثناء عظيما قبل وقوع النفور بينهم كما سيأتي

وقد ألف بعض العلماء كتبا خاصة في الثناء على ابن تيمية والانتصار له، منها (القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) للعلامة المحدث السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس . ومنها (جلاء العينين في محاكمة الاحمدين) اي احمد بن تيمية واحمد بن حجر وانما ننقل عن كل منهما طائفة من النقول عن العلماء في ترجمة ابن تيمية، قال صاحب القول الجلي في أول كتابه ما نصه :

« ولد رحمه الله تعالى في عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمئة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وبرع في التفسير وأفتى ودرس وله

نحو العشرين، وصنف التصانيف وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراسة وأكثر، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين. وكان يتوقد ذكاء وسمع من الحديث أكثره، وشيوخه أكثر من مئتي شيخ ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى وحفظ الحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه. وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الاربعة فليس له فيه نظير، واما معرفته بالملل والنحل فلا أعلم له فيها نظيرا، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيته قوية جدا ومعرفته بالتفسير والتاريخ فعجب عجيب. انتهى ملخصا من كلام شيخ الاسلام أبي عبد الله الذهبي فيما نقله عنه الحافظ الكبير ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي

قال الحافظ الذهبي الدمشقي الذي قال فيه الحافظ ابن حجر هو من أهل الاستقراء التام في نقده الرجال وتبعه على ذلك الحافظ السيوطي فيما نقله الحافظ ابن ناصر الدين: ابن تيمية أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله هو ما رأى مثل نفسه في العلم

وقال الحافظ شمس الدين السخاوي الشافعي في فتاواه في حديث «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وفي حديث «كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين» حيث أجاب باعتماده كلام ابن تيمية في وضع اللفظين وناهيك به اطلاعا وحفظا أقر له بذلك المخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا

وقد قال فيه الحافظ الذهبي ما رأيت أشد للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة

وقال حافظ الاسلام الحبر النبيل أستاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ المحدثين جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الزكي عبد الرحمن المزي الشافعي فيما نقله عنه الحافظ ابن ناصر الدين: ما رأيت مثله يعني ابن تيمية ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع لهما منه. اهـ

وقد تقدم عن الحافظ الذهبي نحوه وناهيك بهذا الكلام من الحافظين العدلين المتورعين أبي الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي

وقال الشيخ الإمام بقية المجتهدين تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي لما اجتمع به وسمع كلامه : كنت أظن ان الله تعالى مابقي يخلق مثلك . وقال أيضا : رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد . ذكره الحافظ المذكور

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي : وبالجملة كان رحمه الله تعالى من كبار العلماء وممن يخطيء ويصيب ولكن خطأه بالنسبة الى صوابه كنقطة في بحر لجي وخطؤه أيضا مغفور له لما صح في صحيح البخاري « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر »

وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وآله وسلم . وما قاله في غاية الحسن والحافظ المذكور ثقة حجة باتفاق وقد ترجمه الحافظ ابن حجر بترجمة جليلة جدا فلا التفات الى ما نقله عنه الشيخ تقي الدين الحصني . نعم كان يقول بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق فأوذي بسببه ومع انه خالف الائمة الاربعة في ذلك فلم يتفرد به كما هو مبين في موضعه وهو وان كان خطأ فاحشا فلا يوجب التفسيق فافهم

(فان قلت) ما ذكره الامام الحافظ ابن كثير مبني على ان الشيخ قد بلغ رتبة الاجتهاد وأنى له بهذه المرتبة وقد انقطع الاجتهاد من زمان طويل !! (قلت) وقد نص على انه بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء منهم الامام أبو عبد الله الذهبي فيما ذكره ابن ناصر والحافظ ابن حجر كما سيأتي والحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ فيما أحفظ ولم يتفرد بمسئلة منكرة قط وان كان قد خالف الائمة الأربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين ومن اشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر الى زيارة القبور وقد قال به قبله أبو عبد الله ابن بطة الحنبلي في الابانة الصغرى وسنذكره عن قريب إن شاء الله تعالى

وقال الحافظ ابن حجر فيما كتبه على الرد الوافر لشيخ الاسلام الحافظ الهمام ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي مانصه : ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة مرارا بسبب أشياء أنكروها عليه من الاصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة وبدمشق ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا أفتى بسفك

دمه مع شدة المتعصبين عليه رحمه الله من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم بالاسكندرية ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وورعه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الاسلام والدعاء الى الله في السر والعلانية فكيف لا ينكر على من أطلق عليه انه كافر بل من أطلق على من سماه بشيخ الاسلام الكفر وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فانه شيخ الاسلام بلا ريب والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً، وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرئ منه ومع ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب، فالذي أصاب فيه وهو الاكثر يستفاد منه ويترحم عليه بسببه، والذي أخطأ فيه لا يقلد فيه أي كمسئلة الزيارة والطلاق بل هو معذور لان أئمة عصره شهدوا بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتعصبين عليه والقائمين في إيصال الشر اليه وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني يشهد له بذلك، وكذا الشيخ صدر الدين ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره. ومن أعجب العجب ان هذا الرجل كان اعظم الناس قياما على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة وفتاواه فيهم لا تدخل تحت الحصر، فياقرة أعينهم اذا سمعوا تكفيره وياسرورهم اذا رأوا من يكفر من لا يكفره . فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل ان يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر من ذلك على قدر قصد النصح ويثني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء، ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب الا تلميذه الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظمة منزلته فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة. فالذي يطلق عليه مع هذه الاشياء الكفر أو على من سماه شيخ الاسلام لا يلتفت اليه ولا يعول في هذا المقام عليه بل يجب ردعه عن ذلك الى أن يراجع الحق ويذعن للصواب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل حسبنا الله ونعم الوكيل

وقال شيخ الاسلام صالح ابن شيخ الاسلام عمر البلقيني رحمه الله تعالى فيما كتبه على الكتاب المذكور — : ولقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين السبكي في ثناء الائمة عليه بان الحافظ المزي لم يكتب لفظة شيخ الاسلام الالأبيه والشيخ تقي الدين ابن تيمية والشيخ شمس الدين ابي عمر فلولا ان ابن تيمية في غاية العلو في العلم والعمل ماقرن ابن السبكي أباه معه في هذه المنقبة التي نقلها ، ولوكان ابن تيمية مبتدعا أوزنديقا مارضي أن يكون أبوه قرينا له · ثم وقد ينسب الشيخ تقي الدين لاشياء أنكرها عليه معارضوه وانتصب للرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألتي الزيارة والطلاق وافرد كلا منهما بتصنيف وليس في ذلك مايقتضي كفره ولا زندقته أصلا ، وكل أحد يوخذ من قوله أويترك الا صاحب هذا القبر » (١) والسعيد من عدت غلطاته ، وانحصرت سقطاته ، ثم ان الظن بالشيخ تقي الدين انه لم يصدر ذلك تهورا وعدوانا ، حاش لله بل لعله لرأي رآه واقام عليه برهانا ، ولم تقف الى الآن بعد التروي والفحص على شيء يقتضي كفره ولا زندقته ، وانما وقفت على ماورده على أهل البدع والاهواء أوغير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعلو مرتبته في العلم والدين · وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين قال الله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟) وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا — وفي رواية — حق كبيرنا » وكيف يجوز ان يقدم على رمي عالم بفسق أو كفر ولم يكن ذلك فيه انتهى

قلت وسنذكر ان شاء الله تعالى قريبا مايكون صريحا في تنزيهه عمانسب اليه من التشبيه والتجسيم

وقال قاضي القضاة عبدالله التفهني الحنفي عامله الله بلطفه الخفي فيما كتبه على الكتاب المذكور : ان الشيخ تقي الدين كان على مانقل الينا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذه ابن قيم الجوزية الذي صارت تصانيفه في الآفاق عالما متقنيا مقللا من الدنيا معرضا عنها متمكنا من إقامة الادلة على الخصوم وحافظا

---

(١) حكاية لكلمة الامام مالك التي كان يقولها في الحرم المدني ويشير الى القبر الشريف

للسنة عارفا بطرقها عارفا بالاصلين أصول الدين وأصول الفقه قادرا على الاستنباط في تخريج المعاني لايلومه (لعله لاتأخذه) في الله لومة لائم على أهل البدع المجسمة والحلولية والمعتزلة والروافض وغيرهم (قال) فمن كان متصفا بهذه الاوصاف كيف لايلقب بشيخ الاسلام بأي معنى أريدمنه؟!! (قال) وإنما قام عليه بعض العلماء في مسألتي الزيارة والطلاق وقضية من قام عليه شهوده . والمسألتان المذكورتان ليستا من أصول الاديان وإنما هما من فروع الشريعة التي أجمع العلماء على ان المخطيء فيها مجتهد يثاب لايكفر ولا يفسق . الخ ما قال

وقال شيخ الاسلام العيني الحنفي فيما كتب على الكتاب المذكور: وما هم أي المنكرون على ابن تيمية رحمه الله تعالى الا صلقع بلقع سلقع ، والمكفر منهم صلعمة بن قلمعة وهيان بن بيان وهي بن بي، وضل ابن ضل وضلال ابن التلال . ومن الشائع المستفيض ان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية من شم عرانين الافاضل ، ومن جم براهين الاماثل ، (قال) وهو الذاب عن الدين ، طعن الزنادقة والملحدين ، والناقد المرويات عن النبي سيد المرسلين ، وللمأثورات عن الصحابة والتابعين ، فمن قال انه كافر فهو كافر حقيق ، ومن نسبه الى الزندقة فهو زنديق ، وكيف ذلك وقد سارت تصانيفه الى الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق ، ولكن بحثه فيما صدر عنه في مسألتي الزيارة والطلاق ، عن اجتهاد سائغ بالاتفاق ، والمجتهد في الحالين مأجور ومثاب ، وليس فيه شيء مما يذم أو يعاب ، (قال) ولا ريب انه كان شيخا لجماعة من علماء الاسلام ، ولتلامذة من فقهاء الأنام ، فاذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الاسلام ، لأن من كان شيخا للمسلمين يكون شيخا للاسلام .

وقال شيخ الاسلام البساطي المالكي . واما قول من قال انه يعني ابن تيمية كافر وأن من قال في حقه انه شيخ الاسلام كافر فهذه مقالة تقشعر لسماعها الجلود ، وتذوب لسماعها القلوب ، ويضحك ابليس اللعين بها ويشمت ، وتنشرح بها أفئدة المخالفين وتسمت ، ثم يقال كيف لو فرضنا انك اطلعت على ما يقتضي هذا في حقه فما مستندك في الكلام الثاني وكيف تصح لك هذه الكلمة المتناولة لمن سبقك ولمن

هو آت بعدك إلى يوم القيامة ؟ وهل يمكنك ان تدعي ان الكل اطلعوا على ما اطلعت انت عليه ؟ وهل هذا الا استخفاف بالحكام ، وعدم مبالاة بنى الأيام والواجب ان يطلب هذا القائل ويقال له لم قلت وما وجه ذلك ؟ فان أتى بوجه لا يخرج به شرعا عن العهدة بأن كان واهيا برح به تبريحا يردع أمثاله عن الاقدام على اعراض المسلمين . اهـ

(قلت) فتأمل رعاك الله كلام هؤلاء الأعلام ، في مدح هذا الامام ، فكيف ينسب إلى بدعة التجسيم أو يعاب بشيء غير ذلك أو يلام ! »

(المنار) هذا ما أورده الشيخ صفي الدين الحنفي البخاري في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية في أول كتابه (القول الجلي في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) ويليه فصل في عقيدته التي هي عقيدة سلف الأمة أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم . واما السيد نعمان خير الدين الآلوسي فقد جاء في كتابه (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) بترجمة أوسع وأكثر نقلا عن كبار العلماء والحفاظ في الثناء عليه والاعتراف له بمشيخة الاسلام ،

قال بعد ترجمة بليغة ملخصة من كلام طائفة من الحفاظ والمؤرخين مانصه:

« قال الذهبي وما ابعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمئة مجلد . وترجمه في معجم شيوخه بترجمة طويلة منها قوله : شيخنا وشيخ الاسلام وفريد العصر علما ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويرا إلهيا وكرما ونصحا للامة وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر . سمع الحديث واكثر بنفسه من طلبه وكتابته وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصل غيره وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال ، وخاطر وقاد الى مواضع الاشكال ميال ، واستنبط منها اشياء لم يسبق اليها وبرع في الحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث مع شدة استحضاره له وقت الدليل ، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين ، واتقن العربية اصولا وفروعا ، ونظر في العقليات وعرف اقوال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطئهم وحذرهم ، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ، وأوذي في ذات الله من المخالفين ، واخيف في نصر السنة المحفوظة حتى أعلى الله

تعالى مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكبت اعداءه، وهدى به رجالا كثيرة من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالبا وعلى طاعته، واحيا به الشام، بل الاسلام، بعد أن كاد ينثلم خصوصا في كائنة التتار وهو اكبر من ان ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام أني ما رأيت بعيني مثله وانه ما رأى مثل نفسه لما حنثت اه

وقال الحافظ ابن كثير: وفي رجب سنة سبعمئة واربع راح الشيخ تقي الدين بن تيمية الى مسجد التاريخ وأمر أصحابه وتلامذته بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلوط تزار وينذر لها فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما. وبهذا وأمثاله ابرزوا له العداوة وكذلك بكلامه في ابن عربي واتباعه. فحسد وعودي ومع هذا لا تأخذه في الله لومة لائم ولم يبال بمن عاداه ولم يصلوا اليه بمكروه واكثر ما نالوا منه الحبس مع انه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما اخذوه وحبسوه بالجاه. اه

قيل من جملة اسباب حبسه خوفهم انه ربما يدعي ويطلب الامارة فلقي عليه أعداؤه طريقا من ذلك، فحسنوا للامراء حبسه لسد تلك المسالك. وكتب الشيخ كمال الدين الزملكاني: كان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه اشياء ولا يعرف انه ناظر احدا فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علم الشرع او غيره الا فاق فيه أهله واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها

(قلت) ورأيت في نثر الدر الذائب، في الافراد والغرائب من كتاب الاشباه والنظائر النحوية للامام السيوطي عليه الرحمة ما نصه: جواب سؤال سائل عن «لو» لسيدنا وشيخنا الامام العالم الاوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة امام الأئمة علامة العلماء وارث الانبياء آخر المجتهدين اوحد علماء الدين بركة الاسلام حجة الاعلام برهان المتكلمين قامع المبتدعين ذي العلوم الرفيعة والفنون البديعة محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة وقامت به على اعدائه الحجة واستبانت ببركته وهديه المحجة تقي الدين ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن

عبدالله بن ابي القاسم بن محمــد بن تيمية الحراني اعلى الله تعالى مناره وشيد من الدين اركانه

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حجــة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنواره اربت على الفجر

نقلت هذه الترجمة من خط العلامة فريد دهره و وحيد عصره الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني : بسم الله الرحمن الرحيم، نقلت من خط الحافظ علم الدين البرزالي قال سيدنا وشيخنا الامام العالم العلامة القدوة الحافظ الزاهد العابد الورع امام الائمة خير الأمة مفتي الفرق علامة الهدى ترجمان القرآن حسنة الزمان عمدة الحفاظ فارس المعاني والالفاظ ركن الشريعة ذو الفنون البديعة ناصر السنة قامع البدعة تقي الدين ابو العباس احمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ادام الله تعالى بركته ورفع درجته : الحمد لله الذي علم القرآن خلق الانسان علمه البيان، واشهـد ان لا إله الا الله وحـده لا شريك له الباهر البرهان، واشهد ان محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الانس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما يرضى به الرحمن، سألت وفقك الله تعالى عن معنى حرف « لو» وكيف يتخرج قول عمر رضي الله عنه « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » على معناها المعروف وذكرت ان الناس يضطربون في ذلك واقتضيت الجواب اقتضاء أوجب أن اكتب في ذلك ما حضرني الساعة مع بعد عهدي بما بلغني مما قاله الناس في ذلك وانه لا يحضرني الساعة ما اراجعه في ذلك فأقول. اه بحروفه. ثم ساق الامام السيوطي آخر الجواب الى نهايته، واقر المترجم على ترجمته، فمن ارادته فارجع الى الاشباه والنظائر، فان فيه جلاء الابصار والبصائر، (*

وكتب الحافظ ابن سيد الناس : ألفيته ممن ادرك العلوم حظا، وكاد يستوعب

*) وفي هامش الكتاب عند هذه العلامة مانصه : وكذا المدقق ابن هشام في شرح الشذور نقل عنه بعض الاقوال النحوية معبرا عنه بالامام العلامة وكذا غيرها ممن سلمت له الامامة

السنن والآثار حفظا ، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، وان افتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، او بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، او حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته ولا أرفع من درايته ، برز في كل علم على أبناء جنسه ، ولا رأت عيني مثل نفسه ،

وقال ابن الوردي في تاريخه وقد عاصره ورآه : وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث مع حفظه لمتونه الذي انفرد به وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله تعالى . غير انه يغترف فيه من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي . وأما التفسير فسلم اليه . وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير او من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة نحوا من اربعة كراريس . وله التآليف العظيمة في كثير من العلوم وما يبعد أن تصانيفه تبلغ خمس مئة مجلد . وله الباع الطويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قل ان يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الاربعة . وقد خالف الاربعة في مسائل معروفة وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة . وبقي سنين يفتي بما قام (عليه) الدليل عنده . ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية وكان دائم الابتهال كثير الاستعانه قوي التوكل ثابت الجأش ، له اوراد واذكار يديمها لا يداهن ولا يحابي ، محبوبا عند العلماء والصلحاء والامراء والتجار والكبراء . وصار بينه وبين معاصريه وقعات مصرية وشامية لبعض مسائل افتى فيها بما قامت عنده الادلة الشرعية : واجتمع بالسلطان محمود غازان السفاك المقتال وتكلم معه بكلام خشن ولم يهبه ، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ، ودعا دعاء منصف اكثره عليه ، وغازان يؤمن على دعائه اه ملخصا واطال في ترجمته

وقال العلامة الشيخ عماد الدين الواسطي في حقه بعد ثناء طويل جميل ما لفظه : « فوالله ثم والله لم ير تحت اديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علما وعملا وحالا وخلقا واتباعا وكرما وحلما وقياما في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته . أصدق الناس عقدا واصحهم علما وعزما وانفذهم واعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة ، واسخاهم كفا

وأ كلهم اتباعا لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وافعاله الا هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح ان هذا هو الاتباع حقيقة . اه

وقل في الشذرات عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وقد سئل عن الشيخ ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأيته ؟ قال « رأيت رجلا سائر العلوم بين عينيه يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء » فقيل له فلم لا تتناظران ؟ قال « لانه يحب الكلام وأحب السكوت »

وقال ابن مفلح في طبقاته : كتب العلامة تقي الدين السبكي الى الحافظ الذهبي في أمر الشيخ تقي الدين بن تيمية ما نصه : « فالمملوك يتحقق قدره وزخارة بحره وتوسعته في العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وأنه بلغ في ذلك كل المبلغ الذي يتجاوزه الوصف . والمملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي اكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله تعالى له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الاوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل في أزمان » اه

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته المطنبة : ان الفتنة لما ثارت على الشيخ ابن تيمية من جهة بعض كلماته تعصب له القاضي الحنفي ونصره وسكت القاضي الشافعي ولم يكن له ولا عليه . وكان من اعظم القائمين عليه الشيخ نصر بن المنبجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه يتعصب لابن عربي فكتب يعاتبه على ذلك فما أعجبه لكونه بالغ في الحط على ابن عربي وتكفيره فصار هو يحط على ابن تيمية ويغري (به) بيبرس الجاشنكير وكان بيبرس يفرط في محبته ويعظمه . واتفق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين بن الحريري انتصر للشيخ ابن تيمية وكتب في حقه محضرا بالثناء عليه بالعلم والفهم وكتب به في خطه ثلاثة عشر سطرا من جملتها « إنه منذ ثلاث مئة ما رأى الناس مثله » اه

ونقل الامام العسقلاني ايضا عن الحافظ الذهبي انه قال حضر عند شيخنا ابو

حيان المفسر فقال ما رأت عيناي مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات ذكر انه نظمها بديهة وانشده إياها وهي :

لما أتانا تقي الدين لاح لنا	داعٍ الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الألى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حِبرا	بحر تَقاذفُ من امواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا	مقام سيد تيم اذ مضت مضر
وأظهر الحق اذ آثاره اندرست	واخمد الشر إذ طارت له شرر
يامن يحدث عن علم الكتاب أصخ	هذا الامام الذي قد كان ينتظر

يشير بهذا الى انه المجدّد . وقد صرح بذلك ايضا العماد الواسطي . ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فأغلظ الشيخ ابن تيمية القول في سيبويه فناظره ابو حيّان بسببه ثم عاد ذامًّا له وصير ذلك ذنبا لا يغفر (ويقال) إن ابن تيمية قال له : ما كان سيبويه نبي النحو ولا معصوما بل اخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ما تفهمها انت . فكان ذلك سبب مقاطعته إياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذا في مختصره النهر اه

وقد ترجمه علماء المذاهب المعاصرون له وغيرهم بتراجم مفصلة واثنوا عليه بالثناء الحسن وذكروا له كرامات عديدة ومواظبة على الطاعات والعبادات وتجنبا عن البدع وشدة اتباع للسنن وطريق السلف الصالح وانه لم يتزوج حتى مات

وكان ابيض اللون اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره إلى شحمة اذنيه عيناه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت . وقد ذكر نبذة من اختياراته العلامة ابن رجب المتوفى سنة سبع مئة وخمس وتسعين في طبقاته ، وفصل ايضا سيرته واحواله والثناء عليه

وقد توفي سنة سبع مئة وثمان وعشرين سحر ليلة الاثنين عاشر ذي القعدة الحرام في السجن ! فأخرج الى جامع دمشق فصلوا عليه فكان يوما مشهودا لم يعهد بدمشق مثله ، وبكى الناس بكاء شديدا وتبركوا بماء غسله واشتد الزحام على نعشه ودفن بمقابر الصوفية بعد ان صلوا عليه مرارا . وحزر من حضر جنازته بمئتي الف

ومن النساء بخمسة عشر الفا وختمت له ختمات كثيرة ورثي بقصائد بليغة

(المنار) بعد ان اورد المؤلف هنا مرثية الشيخ عمر ابن الوردي احدى تلك المراثي التي يشنع فيها على من آذوه وحبسوه قال :

(قلت) وما زال الناس ولا سيا الكبراء والعلماء يبتلون في الله تعالى ويصبرون وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون وأهل الخير في الامم السابقة يقتلون ويحرقون وينشر احدهم بالمنشار وهو ثابت على دينه ولولا كراهة التطويل لذكرت من ذلك ما يطول : وقد سم ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسم الحسن وقتل الحسين وابن الزبير وصلب حبيب ابن عدي ·وقتل الحجاج عبد الرحمن بن ابي ليلى وسعيد بن جبير وغيرهما · وقتل زيد بن علي · واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد الرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج اربعمئة سوط ثم قتله ، وسعيد بن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مئة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شاتٍ وألبس جبة صوف ، وحبيب بن عبدالله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مئة سوط وذلك انه حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «اذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا » فكان عمر اذا قيل « أبشر » قال « كيف بخبيب على الطريق » وابو عمرو ابن العلاء ضربه بنو أمية خمس مئة سوط ، والامام موسى الكاظم سجنه هارون حتى مات ، والامام ابو حنيفة توفي في السجن بعد أن ضرب وقيل او جر سمّاً، والامام مالك بن أنس ضربه المنصور ايضا سبعين سوطا في يمين المكره وكان مالك يقول لا يلزمه اليمين · والامام احمد امتحن وسجن وضرب في أيام بني العباس ، والشيخ ابن تيمية في هؤلاء الائمة أسوة · ولو اردنا استقصاء ما ذكره معاصروه من الثناء عليه وبيان سيرته ومفصل أحواله لافضى بنا إلى الطول ، والقلم – لا مللت – ملول ، ويكفي من القلادة ما احاط بالجيد ·

(المنار) وعقد بعد هذا فصلا في تبرئة الشيخ مما نسب اليه، وثناء المحققين المتأخرين عليه · فنقل عن صوفي الفقهاء وفقيه الصوفية الشيخ ابراهيم الكوراني المدني الشافعي وعن علامة العراق الشيخ علي السويدي البغدادي الشافعي ، وعن والده

السيد محمد الآلوسي المفتي ، وعن عالم بلد الله الحرام المنلا علي الهروي ، وعن امير العلماء وعالم الامراء ابي الطيب حسن صديق خان الحسيني البخاري . ثم عقد فصولا أخرى ذكر فيها كل ماقاله العلامة ابن حجر الهيتمي و بين الحق فيه فليراجعه من شاء . فمن اشتبه في مسألة معينة من المسائل التي انتقدت على ابن تيمية ولم يتمكن من مراجعتها في كتاب جلاء العينين أو راجعها و بقي في نفسه شبهة منها فله ان يسألنا عنها إن احب . وانا كنا نعتقد ان ابن تيمية وصل الى درجة الاجتهاد المطلق قبل ان نطلع على قول العلماء في ذلك بل نعتقد انه لا نظير له في علماء الاسلام قط الا تلميذه ووارث علومه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى ونفع المسلمين بعلومهما

الحجاز بعد الدستور (*)

بعث الدستور بعد ان قبر ، و بذلك كذب الله اعداء الاسلام الزاعمين ان الشورى غير ملائمة لروح الاسلام ، فهل سبق ان رأوا أمة قد أكل عليها الاستبداد وشرب زمنا طويلا ، فما هي الا عشية أوضحاها حتى استحالت الصهباء فاصبح افرادها بحمد الله اخوانا ، لا فضل لاحمر على اسود إلا بتقوى الله ، قد ألف الله بين قلوبهم ، لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم

كذب الله بقيام الدستور زعم اولئك كما ايد به قول القائلين بسداد نيه مولانا السلطان وفائق حكمته و وافر عقله وقوة ادراكه زاده الله توفيقا اذ لم يكن من احد من قادة الامم ما كان منه فله الشكر والدعاء اذ صان كيان الامه ودماءها وأموالها وشرفها فالمملكة مدينة له بما فعل

وقد شرق الاعداء بما رأوا من اتحاد عناصر المملكة ، ولم يرق في اعينهم فقاموا بما قاموا به ، إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وابدت ظبابها النافقاء ، وماتخفي صدورهم اكبر . قل موتوا بغيظكم .

(*) لأحد فضلاء المسلمين في سنغافوره (س . س . ي)

ولكن قل لي اين هم اصدقاء الاسلام ؟ اين ما قاموا به ؟ اين مواساتهم في هذه الازمة؟ اين من مد لنا يده في طور انتقالنا المخيف؟ هل تحسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا !؟

شاهت الوجوه ، وقبح الكم ومن يرجوه، نعم قد سمعنا من الانكليز جمجمة ولم ترطحنا ، فشكرا لهم على ذلك ان لم يك استدراجا ومكرا ،

ولقد كانت نعمة الدستور عامة على كل الممالك العثمانية ، وكان حظ الحجاز منها غير قليل ، لو لم يكن غير تطهيره من ذلك الطاغية وابالسته فكيف وغير ذلك كثير؟

ولكن الحجاز لكونه اول ولاية عثمانية ، وهو قبلة المسلمين كلهم ومحل نسكهم ، ولطول عهده بالخراب والدمار والاستبداد يحتاج الى اكثر مما صار ، وهو أحق بلاد الله بالاصلاح والمصلحين ، واصلاحه يفيد الدولة فائدة عظمى وهو اوجب عليها من اصلاح غيره بحكم الشرع والعقل . ولست احتاج الى إقامة الدليل الشرعي لبداهته ولكني اشير الى العقلي السياسي : وذلك ان الحجاز هو المكان الذي تحشر فيه وفود المسلمين وجلهم في هذه العصور محكوم بالاجانب ، وقلَّ من يقصد منهم من بلاد المسلمين غير الحجاز ، فاذا لقوا فيه اصناف الشقاء وانواع التعاسة مع ما يعلمون له من المكانة الدينية والسياسية وكونه الانموذج المعروض لو فود كل الامم ، وكون السلطان حفظه الله ينعت كل جمعة على كل منبر في الدنيا افتخارا بخادم الحرمين الشريفين وحاميهما ، فاذا كانت حاله كما هي الآن فكيف يكون الحكم على باقي المملكة وعلى ساستها ؟

لو قلت لا يجد اعداء الدولة معولاً يهدمون به نفوذها في المسلمين ، وصابونا يغسلون به حبها من قلوب الامة ، وحجة يقيمونها للامم على ان الترك اعداء الانسانية والاسلام والعرب خصوصا - اكبر وأوضح من الحال التي كان بها الحجاز ونرجو أن لا يعود الى ما يقاربها - لو قلت هذا لم يفند قولي عاقل عالم منصف

إن الاصلاحات التي يجب إجراءها في الحجاز كثيرة جدا ولندع ما كان منها فنيا او قانونيا لمن هو أقرب عهدا منابها واوسع اطلاعا منا ، ولكنا نلمع إلى شيء قليل مما لا يجوز السكوت عنه :

إن الحرم الشريف وهو المسجد الوحيد المشترك بين اكثر من ثلاث مئة واربعين مليونا من البشر على حال يتأفف منها العقلاء، قد احاطت به بيوت يسمونها المدارس يسكنها الوف من الناس وكلها فيها كنف (مراحيض) ذات بلاليع في الارض تختنق بها الاقذار، فاذا سالت السيول امتلأ الحرم بتلك النجاسات و بقي عفنا عدة اسابيع وقد تكرر وقوع ذلك . واذا نزلت الامطار تشربتها الارض فيتصاعد حينئذ منها بخار منتن من كل ارض المسجد، فلا يقدر احد أن يضع جبهته للسجود الا كأنما قصد كأنه واضع انفه على ثقب كنيف مسدود، ولو كان تحت سجادته شبرا !! هذا امر عرفته بنفسي ويعرفه كل من اقام هناك، مع ان تلك المدارس (البيوت) واجب ازالتها اذ هي قائمة على ارض لايجوز تملكها البتة ولكن اقامها الجور ودعمتها الرشوة !

ثم ان المياه التي تشربها الارض تنحدر الى المنخفضات، ولا ريب بأنه يصيب بئر زمزم حظ من تلك النجاسات السائلة، فلذلك صار ماؤها كثير الديدان والجراثيم الضارة ! فاذا كنا لا نقوم بتطهير ما يقارب تلك البئر المقدسة ولا نبعد عنها السوائل النجسة القذرة السامة ولا نعيد الحرم كما كان في العصور الصالحة كامل النظافة اذ كانت مواضع الاقذار بعيدة عنه وعلى ظهر الارض - فأي حجة لنا على الاجانب اذا حكموا باراقة ما تزوده الحجاج من ذلك الماء المبارك كما تراق المستقذرات، ومنعوا إدخاله الى بلادهم حرصا على حفظ الصحة !!!

إننا لو قمنا بالنظافة المطلوبة التي هي من الايمان، وطهرنا ما جاور البيت من الأنجاس والادران، لكان لنا من ماء زمزم المبارك مورد عظيم، ولوجدنا مئات الشهادات من نطس الاطباء فيما له من الخواص العجيبة الحسية فضلا عن الخواص المعنوية، واذ ذاك يمكننا ان نبيع منه في اقطار العالم ملايين من القوارير

فمتى نرى تلك الاراضي المغتصبة من المسجد الحرام ومن حواشي المسعى قد أعيدت ؟ ولو ارادت الحكومة ان تبذل لاصحابها الظالمين بدل تلك البنايات الغير محترمة فانها تجد من كرام المسلمين تلبية تسرها ببذل الاموال حبا في تطهير الحرم الطاهر من آثار الاستبداد والجور

ثم انه لا بد من انارة الحرم الشريف بالنور الكهربائي لوفور ضوئه وحسنه وبهائه، وبذلك يتوفر أكثر من نصف ما يصرف الآن عبثا للاسراج بتلك القناديل الوسخة التي لا يتجاوز نورها زجاجها ! ويستغنى عن جيوش السراجين . ويمكنهم استخدام تلك الآلات نهارا في جلب الماء من زمزم واجرائه في مواسير الى خارج المسجد فيسلم من بلل قرب السقائين المخرقة ونحو ذلك

ولا غناء عن هدم مقامات الائمة لأنها مبتدعة فيكتفى بامام واحد يرضي فضله وعلمه ودينه ، ولينزه البيت وصحنه من خدمة الاغوات الذين هم تركة العصور المظلمة الظالمة وخدمة الجبابرة من الملوك الذين لجهلهم بالدين أحبوا ان يجعلوا خدمة الكعبة وحجرة النبي (ص) من جنس ما يستخدمون في بيوتهم ! وهيهات هيهات ، ويمكن ان يوظف بدلهم نحو ثلث عددهم من الأخيار الاتقياء الحسني السيرة المعروفين لدى الدول ، ولا شك بأنه يكفي لمن ذكرنا قليل مما يذهب ضياعا مع أولئك الأغوات .

انني كنت في بعض جهات أوربا فزعم بعضهم ان الخصاء مما يأمر به الاسلام! وانه من الحتم عند المسلمين ان لا يخدم السلطان ولا يعمل في الكعبة ولا يتولى سدانة الحجرة المنيفة الا الخصيان ! وقد أفدت محدثي بتحريم الشريعة المحمدية الخصاء وبراءتها من تلك البربرية فلم يقتنع، ولم تكن له حجة الا هذه النقط المحزنة المسيئة سمعة الاسلام، ولعمر الحق ان التغالي في اثمانهم لما يغري النخاسين الطامعين فالواجب حسم الداء من أصله

وأرى ان يمنع من رمي الحبوب للحمام حتى تضطر إلى مفارقة الحرم بحدوده وهناك تقنص ، فلقد جلبت كثرتها أذية المسلمين وتنجيسا وتوسيخا المسجد ، ونشأ عن ذرقها الكثير أمراض ضارة، ولكثرة الحمام يسهل اقتناصه على الهررة فتأكل بعضه وتدع البعض يتعفن فتنبعث منه أمراض كثيرة الى نحو ذلك

ومن الواجب طرد الكلاب من الحرم كله ثم تسميمها بعد ذلك ، فلقد صح أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتلها إلا ما استثني، والموجود بمكة جله من المرضى

الجرحة فيقع عليها الذباب الكثير فينقل عنها مواد التلقيح لجملة امراض الى بني الانسان صغارا وكبارا

ويمكن ان يصرف لطلبة العلم الشريف جميع ما يصرف الآن على الحمام والكلاب فان ذلك خير وأبقى

ونحن نرغب إلى مشايخنا الأجلاء ان لا يجعلونا مضغة في الافواه وهزؤا لدى العقلاء ، وان لا يلصقوا بديننا النقي ما برأه الله منه من النقائص والسفاسف وعلى الله الاعتماد وحده

هذه أمور نلفت اليها انظار رجال الدولة واعضاء مجلسي الأمة والشورى ومولانا الشريف الحسين وصاحب الدولة والي الحجاز كاظم باشا ليعملوا ما يرونه أقرب للتقوى

آثار علمية أدبية

العام الهجري الجديد (*)

﴿ سنة ١٣٢٧ ﴾

اطلَّ على الاكوان والخلق تنظر	هلال رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم في صورة زاد حسنها	على الدهر حسنا انها تتكرَّر
فبشرهم من وجهه وجبينه	وغرته والناظرين مبشر
واذكرهم يوما اغرَّ محجلا	به توج التاريخ والسعد مسفر
وهاجر فيه خير داعٍ الى الهدى	يحف به من قوة الله عسكر
يماشيه جبريل وتسعى وراءه	ملائكة ترعى خطاه وتخفر

*) احتفل المصريون بدخول العام الهجري الجديد، وقررت الحكومة جعل أول يوم منه عيدا رسميا تقفل فيه دواوينها وتعطل اعمالها ، ولقد نظم الشعراء القصائد في ذلك ، فآثرنا ان نثبت منها هذه القصيدة

يسراه برهان من الله ساطع هدى وبيمناه الكتاب المطهر
فكان على ابواب مكة ركبه وفي يثرب انواره تتفجر

***

مضى العام ميمون الشهور مباركا تعدد آثار له وتسطر
مضى غير مذموم فان يذكروا له هنات فطبع الدهر يصفو ويكدر
وإن قيل أودى بالالوف اجابهم مجيب لقد احيا الملايين فانظروا
اذا قيس احسان امرىء باساءة فاربي عليها فالاساءة تغفر
ففيه افاق النائمون وقد أتت عليهم كأهل الكهف في النوم اعصر
وفي عالم الاسلام في كل بقعة له اثر باق وذكر معطر
سلوا الترك عما ادركوا فيه من منى وما بدلوا في المشرقين وغيروا
وان لم يقم الا (نيازي) و(أنور) فقد ملأ الدنيا نيازي وانور
تواصوا بصبر ثم سلوا من الحجى سيوفا وجدوا جدهم وتدبروا
فسادوا وشادوا للهلال منازلا على هامها سعد الكواكب ينثر
تجلى بها عبد الحميد بوجهه على شعبه والشاه خزيان ينظر
سلام على عبد الحميد وجيشه وامته ماقام في الشرق منبر

***

سلوا الفرس عن ذكرى اياديه عندهم فقد كان فيه الفرس عميا فابصروا
جلا لهم وجه الحياة فشاقهم فباتوا على أ زابها وتجمهروا
ينادون : أن مني علينا بنظرة واحيي قلوبا أوشكت تتفطر
كلانا مشوق والسبيل ممهد الى الوصل لولا ذلك المتغشمر
اطلي علينا لاتخافي فاننا بسرك أوفى منه حولا واقدر
سلام عليكم امة الفرس انكم خليقون ان تحيوا كراما وتفخروا
ولا اقرئ الشاه السلام فانه يريق دماء المصلحين ويهدر

***

وفيه هوى عبد العزيز وعرشه واخنى عليه الدهر والامر مدبر

ولا عجب إن ثُلّ عرش مملك | قوائمه عود ودف ومزهر!!

فألقى إلى عبد الحفيظ بتاجه | ومرَّ على درّاجة يتعثر!

وقام بأمر المسلمين موفق | على عهده مرّاكش تتحضر

* * *

وفي دولة الأفغان كانت شهوره | وأيامه بالسعد واليمن تزهر

أقام بها والعود ريان أخضر | وفارقها والعود فينان مثمر

وعوّذها بالله من شر طامع | إذا ما رمى (أدورد) أو واش قيصر

* * *

وفيه نمت في الهند للمسلم نهضة | أرى تحتها سرا خفيا سيظهر!

فتجري الى العلياء والمجد شوطها | ويخصب فيها كل جدب وينضر

وفيه بدت في أفق دجاوة لمعة | أضاءت لأهليها السبيل فبكروا

وباليته أولى الجزائر منة | تفك بها تلك القيود وتكسر

وفي تونس الخضراء باليته بنى | له أثرا في لوحة الدهر يذكر

* * *

وفيه سرت في مصر روح جديدة | مباركة من غيرة تتسعر

خبت زمنا حتى توهمت انها | تجافت عن الاحياء لولا [illegible]

تصدى فأورها وخيبتنا ان يرى | سبيلا الى انقاذها وهي تزفر

مضى زمن التنويم بالنيل وانقضى | ففي مصر أيقاظ على مصر تسهر

وقد كان هو ومن الدماء مخدرا | فأصبح في أعصابنا يتفجر

شعرنا بحاجات الحياة فلن نرى | عزمنا عن نيلها كيف نقدر

شعرنا وأحسسنا بذات نفوسنا | من العيش إلا في ذرى العز نسخر

اذا الله احيا أمة لن يردها | الى الموت قهار ولا متجبر

رجال الغد المأمول انا بحاجة | الى قادة تبني وشعب يعمر

رجال الغد المأمول انا بحاجة | الى مصلح يدعو وداع يذكر

رجال الغد المأمول انا بحاجة | الى حكمة تملي و[illegible] تحرر

رجال الغد المأمول انا بحاجة ... الى عالم يدري وعلم يقرر
رجال الغد المأمول انا بحاجة ... اليكم فسدوا النقص فينا وشمروا
رجال الغد المأمول لا تتركوا غداً ... يمر مرور الأمس والعيش أغبر
رجال الغد المأمول ان بلادكم ... تناشدكم بالله ان تتذكروا
عليكم حقوق للبلاد أجلها ... تعهد روض العلم فالروض مقفر
قصارى منى أوطانكم ان ترى لكم ... يدا تبتني مجدا ورأسا يفكر
فكونوا رجالا عاملين أعزة ... وصونوا حمى أوطانكم وتحرروا
ويا طالبي الدستور لا تسكنوا ولا ... تبيتوا على يأس ولا تضجروا
اعدوا له صدر المكان فانني ... أراه على أبوابكم يتخطر
ولا تنطقوا الا صواباً فانني ... أخاف عليكم ان يقال تهوروا
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله ... وما ناله في العالمين مقصر
لقد ظفر الاتراك عدلا بسؤلهم ... ونحن على الآثار لا شك نظفر
هم لهم العام القديم مقدر ... ونحن لنا العام الجديد مقدر
ثقوا بالامير القائم اليوم انه ... بكم وبما ترجون أدرى وأخبر
فلا زال محروس الاريكة جالساً ... على عرش وادي النيل ينهي ويأمر

محمد حافظ ابراهيم

باب الأخبار والآراء

خطبة السلطان (*

« في ضيافته للمبعوثين »

أيها المبعوثون الافندية

إني اصبحت في الحقيقة ممنونا جدا لتناولي الطعام هذه الليلة مع سائر وكلاء أمتي العثمانية ورعيتي الشاهانية فكأنني مع جميع افراد أمتي العزيزة !! زاد حضرة الحق تعالى عددها وسعادة حالها · ان هذه الليلة لمباركة وسعيدة وأظن أنها اول ليلة من نوعها في تاريخ دولتنا العلية ولذلك فاني ابارك عليها وأسأل الله ان يشرفنا جميعا بدوام وقوع أمثالها · ان هذا الاجتماع المسعود هو مبدأ دليل الآثار الفياضة التي منحها القانون الاساسي لدولتنا وامتنا ووطننا والتي سيمنحها في المستقبل الى ماشاء الله تعالى · فهو اذا جدير بالتبجيل

ايها المبعوثون الافندية

كونوا على علم بأن الله هو حامي حقوق السلطنة والمملكة والدولة أولا ، ثم الامة ومجلس نوابها؛ لذلك كانت وظيفتكم هامة ومقدسة ، وغاية مطلوبي ان تجعلوا سعيكم وغيرتكم وقصدكم ونيتكم بنسبة تلك المكانة الهامة وهذه القدسية · واني اؤكد لكم بأني نصبت نفسي بعناية الكريم للمحافظة على أحكام القانون الاساسي الضامن والكافل

*) ادب السلطان للمبعوثين مأدبة حضرها معظم المبعوثين ، وتخلف فريق منهم عن حضورها ، وكانت أعدت خطبة سلطانية للترحيب بالمبعوثين لازالة ذلك الأثر السيء الذي علق بأذهانهم من خطابه في افتتاح مجلسهم (راجع ص ٨٨٠ م ١١)

لهذه الحقوق المقدسة . واؤكد لكم بأنه اذا وجد من يخالفه فأني سأ كون أول خصم وأول عدو له أيا كان بصفتي خليفتكم وسلطانكم

نضرع إلى الله تعالى أن يكون معينا وظهيرا لنا في سعينا وغيرتنا في سبيل دولتنا وأمتنا وسلامة وطننا المقدس (١)

* * *

جواب رئيس مجلس المبعوثان

« عن خطبة السلطان »

إن التاريخ الذي ينقل الوقائع الماضية للخلف لم يسجل الى الآن في حياتنا السياسية يوما عظيماً بهذا المقدار . ان السلطان والامة اللذين كان يتحسر أحدهما على رؤية الآخر من زمن طويل يأكلان اليوم على مائدة واحدة ويشربان من إناء واحد ! . ولم يعرف مثل هــذا الائتلاف والاتحاد الا في عصر السعادة (٢)

مرت ثلاثة عشر قرناوالشرق محروم من رؤية السلطان مع الأمة وجودا واحدا . ان العرب قد أظهروا للوجود مدنية عظيمة وكذلك العثمانيون سيكونون متمدنين قلبا وقالبا مع سلطانهم، وبذلك يكونون موفقين لاعلاء شأن الوطن والتوفر على حفظه وصيانته ويكسبون موقعا ممتازا في عالم المدنية . ونواب الأمة يرضون لذاتكم السلطانية تعظيمهم واحترامهم لقاء ما نالوه في هذه الليلة من جلالتكم من الاعزاز والالتفات

---

(١) بعد ان اتم جواد بك رئيس كتاب المابين هذه الخطبة التفت السلطان الى احمد بك رضا رئيس المبعوثين قائلا « اني لا اذكر دقيقة واحدة من عمري كنت سعيدا فيها بهذا المقدار ! »

(٢) يريد بذلك عصر النبوة وزمن الخلفاء الراشدين الذي كان الخليفة فيه لا ميزة له على أحد من أفراد الامة ، ذلك العصر الذي كان يجرأ فيه رجل من آحاد اليهود أن يمد يده الى النبي صلى الله عليه وسلم ممسكا بثوبه مخاطبا اياه بقوله: انكم يابني عبد المطلب قوم مُطل ! انه لعصر جدير بأن يسمى عصر السعادة

نهضة الأزهريين

عسير على المفكر أن يحيط علما بكل ما يقع تحت نظره ، وعزيز عليه ان يجهل اسباب أمر واقع ، ولهذا كان المفكر كثير الدأب والتجوال ، لا يقر له قرار حتى يكون له إدراك صحيح لما يرى ويشاهد ، واذ ذاك يرى أنه اذا حكم على شيء كان ذلك الحكم مدعماً بالاستقراء ، ناتجا عن مقدمات لا تنتج غيره .

ان فيما يتفق عليه جمهور المفكرين كثيرا ما يكون موضعا للشبهة ، وللأفكار فيه مسارح ومذاهب ، لغموض مسالكه وخفاء كنهه ، ولذلك لم يتحقق الإجماع على ما لا يعد من البديهيات الا فيما ندر وقل ، وان مما اتفق عليه العلماء استحالة وقوف عمل ما عند حد محدود ، لا يتنزل الى هبوط ولا يتوقل الى صعود ،

لا يبعد ان يذهب قصار النظر الى إمكان ذلك ، واني لا اوجه كلامي الى هؤلاء ، بل اخاطب به أرباب العقل ، وأريد بهم أولئك الذين لا يهملون أمر الفكر ، بل يستعملونه فيما خلق له ، ولكل وجهة ومنحى

تأمل في أي عمل من الاعمال تأمل نافذ البصر ثاقب البصيرة ، ثم ارجع الى نفسك ، وأنا ضمين بأنك تحكم إما بترقيه واما بتدليه ولا وسط بينهما

كل هذا مما اثبته المشاهدات واستفاضت بتفصيله النظريات ، حتى بات من المقررات التي [illegible] اع فيها بين من يعقل ويفكر ، ولذلك كان في حال الأزهر وبقائه في نقطة محدودة لا يتجاوزها قيد شبر لمن ينظر اليه بادي الرأي حيرة للعقول ومضلة للافهام ! !

افرغ ذلك العاقل الحكيم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده جهده في سبيل اصلاح الازهر وقضى دائبا على ذلك سنين لو أمضاها في التأليف والكتابة لملأ الخزائن حكمة وعرفانا

صاح بالازهريين صيحة صمت منها آذان وتفتحت بصائر ، فأصاخ قوم لقوله وتأول آخرون ينبزونه باللقب ، ويمزقون مساعيه العظيمة ، فريق منهم عائده عن غي وجهل ، وآخرون كانوا يحنون ويوعلون ، وكثيرون منهم حملوا على ذلك وهم

كارهون !! ولكن الامام كان في أول الامر مؤيدا من الامير فلم تؤثر في عمله صيحاتهم ، ولم تصدف به عن سعيه سعاياتهم ، فأسس للازهر مجلس ادارة على نمط ديمقراطي لا يدع لكبير نفوذا فيه ، ولا لامير سلطة عليه ، ونفخ روح الاستقلال في رجاله ، بما كان يريهم من جلائل اعماله ، وجلس من الطلاب مجلس مفيض الحكمة على العقول ، ومربي الاخلاق والنفوس

لم تكن العقبات والعوائير الأولى صادّة له عما انتدب له وصمّم عليه ، بل كان لا يأبه لها ــ وذلك شأن أرباب النفوس الكبيرة ــ الى ان ظهرت له بشكل جديد ، يمدّها نفوذ قويّ ، ويؤيدها مقام عليّ ، فتنكر لها كما تنكرت له ، وواثبها حينا كما واثبته ، حتّى كانت تلك الوقفة المشهورة للامير ، وفيها نطق بما كان اكنّه ، واظهر ما اخفاه واجنّه ، قال :

« ولقد كنت اود ان يكون هذا شأن الازهر والازهريين دائما ولكن من الاسف رأيت انه وجد فيه من يخلطون الشغب بالعلم ومسائل الشخصيات بالدين ويكثرون لذلك من اسباب القلاقل حتى انه لما بدا شيء من بعض المغاربة المجاورين فيه عند اسكانهم في المحال التي خصصت لهم في الاروقة التي عمرت حديثا على نفقة ديوان الاوقاف كان من اهل الازهر نفسه من يهددهم بالعساكر ويتوعدهم بالنفي ويستفز نفوسهم بمثل ذلك للقيل والقال والاضطراب والهياج » الى ان قال :

« وأول شيء اطلبه انا وحكومتي ان يكون الهدوء سائدا في الازهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشتغل علماؤه وطلبته الا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيغ العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء »

نطق الامير بخطبته تلك ففهم الامام من بواطنها أكثر مما فهم الناس من ظواهرها ، فاستيقن أن العراقيل التي تقف في سبيله إن لم تقدر على زحزحته عن مكانه ، فانها كفيلة بتعطيل عمله واصلاحه ، فخرج من حضرة الأمير والأسف مشتمل على نفسه ، ورأى ان الخروج من مكان أراد ان يجعله كعبة للاصلاح ، فحيل بينه وبين ما يريد ــ أصبح واجبا محتّماً ، فاستقال من ادارة الأزهر هو وصديقه الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان ، ولقد كان لتركها الأزهر اضطراب وحزن

شاركت مصر فيه سائر انحاء العالم الاسلامي ؛ لان الرجاء بالاصلاح الاسلامي كان معقوداً بهذين الرجلين الزعيمين به . ثم مضى الامام إلى ربه ولسانه يتلجلج بقوله :

ولكنه دين أردت صلاحه　　أحاذر أن تقضي عليه العمائم

استحوذ اليأس على النفوس من إصلاح الأزهر بعد ذلك ، وحكم الناس بأنه سيصير طللا دارسا ، لان طريقين يسير الناس فيهما في هذه الدنيا : فإما فناء وإما ارتقاء ، ولا ثالث لهما ، ولا وسط بينهما كما مرَّ من قبل ؛ واجمع الكثيرون على ان الأزهر سائر في الطريق الأولى ، وصادف عن الأخرى ، وكان أناس في حيرة من أمر الأزهر ، ظانين انه واقف ساكن لا يسير الى تدل ولا إلى رقي !! وهذا هو المحال بعينه . وقد كان الاستاذ الامام يقول : يستحيل ان يبقى الازهر في هذا العصر على ماهو عليه فان لم يعمر ويرتق فلابد أن يخرب ويزول

رأى الأمير بعد ذلك ان يصرف عنايته في سبيل إصلاح الأزهر ، وتغير رأيه في حظ الحكومة منه ، وادخال العلوم الجديدة عليه ، حتى أصبح يراها من الفروض المحتمة ، فألف له مجلسا عاليا هو رئيسه في بعض الاحيان ؛ فقرر المجلس وضع نظام جديد للازهر ، ودأب اعضاؤه يجمعون نظامات المدارس الاميرية وما كان وضعه المرحوم الاستاذ الامام ؛ ولخصوا من كل ذلك نظاما جديدا وضعوه ليسير عليه الازهر ، فكان من عيوبه الكثيرة ان الاساتذة أنفسهم لا يستطيعون السير عليه ؛ فقد وضعوا فيه علوما جديدة أوجبوا على الطلاب ممارستها ، وأكثروا فيه من العلوم والفنون التي يستحيل على طالب لم يتوفر على تحصيلها من قبل ان يلمَّ بها ، وحتموا على من أوشكوا ان ينتهوا من الامتحان تأدية الامتحان فيها ؛ مع علمهم بأن هذا من الارهاق الذي لا يستطاع حمله ؛ فان الطالب الذي بلغ الثلاثين أو ما فوقها يعسر عليه أن يرجع إلى مدارسة كتب السنة الأولى وبينه وبين الامتحان سنة أوسنتان !! على انه لا يوجد من الاساتذة من يحسن تدريسها بل لا يوجد من ألمَّ بها أو زاولها !

سألني أستاذ عهد اليه تدريس تاريخ آداب اللغة ماذا أفضل من التواريخ لإقرائها ؟ أابن خلكان أم ابن الاثير ؟ !! وجاءني أستاذ آخر يسألني ما هي المحاضرات ؟ ! وربما كان السائلون اكثر ؛ على أنهم يسألون عن موضوعات

ليست غريبة عنهم فما بالك بعلوم الطبيعة والرياضة ونحوها ؟

جاء البرنامج الذي وضعوه حاويا أكثر من عشرين فنا ما بين قديم وجديد، وأوجبوا على طلاب السنة الثانية عشرة ان يمتحنوا فيها فكأنهم بهذا فرضوا عليهم أن يعودوا الى السنة الأولى ! ووزعوا العلوم على من لا يحفظ حتى أسماءها ؛ فمن ذلك أنهم فرضوا على ضرير ان يقوم بتعليم الاملاء ! وأرادوا على تدريس الرياضة من لا يحسن القواعد الأربع ! وهكذا كانت توزيع سائر العلوم على المدرسين فكانوا كلما توغلوا في تطبيق النظام ازداد التهويش والاضطراب

رأى الطلاب انهم مسوقون في طريق غير معبدة ونهج غير سوي، فاستيقنوا أن النهاية ستكون شرا من البداية ، وكان كثيرون منهم ممن حضروا دروس الاستاذ الامام عرفوا منها ان للانسان أملا في هذه الدنيا يسعى اليه ، وغاية يقصدها بعلمه وعمله ، ورأوا أنفسهم انهم ليسوا من ذلك في عير ولا نفير، فاضطربت أفئدتهم وحزنت نفوسهم ، اطلوا على مستقبل مظلم مسبوق بالنكد والارهاق ، ورأوا الأهواء تصرفهم، وبؤس العيش يؤذيهم ، فهبوا من رقدتهم ، واستيقظوا من غفوتهم ونهضوا نهضة من نفخت فيه نسمة من الحياة كانت ساكنة ولا محرك لها فحركتها حرارة هذا النظام وبرودة تنفيذه من جهة فصارت ريحا عاصفا

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحي والوتد

من ذا الذي كان يظن ان طلاب الأزهر سيخرجون من الازهر بقضهم وقضيضهم وهم بضعة آلاف ليعلنوا للملأ أن ما هم فيه لا يرضى به من كان إنسانا ، وان ما أوتوه من النظام الجديد انما هو نتيجة افكار تستطيع ان تحشر المؤتلف والمختلف معا ، ولكنها لا تحسن النظام بل لا تعرف طرقه ؟

خرج الطلاب من أزهرهم حذر ما أريدوا عليه ، وابتغاء الوصول الى خير منه ، فطوفوا في الشوارع ، وذهبوا الى الجزيرة فخطبوا ، وكان مظهرهم من أجمل ما تقع عليه العين ، وكان أحسن ما هم فيه نظامهم وأناتهم ، فقد كانت صفوفهم متوازية ، وأبصارهم خاشعة ، تأدبا بأدب الدين ، وتخلقا بأخلاق حملة العلم .

سر الناس بهذا المظهر الجميل أو المظاهرة كما يقول الكتاب ، وارتاحت نفوسهم

إلى الازهريين بعد ان حكموا عليهم بالموت الزؤام ، ولكن القيمين عليهم من المدرسين والمفتشين ريموا وغضبوا ، وصوروا الحال للأمير بعكس ماوقع، فأوهموه ان فريقا أو أفرادا حقيرين « وكلمتهم الحقيقية : هلافيت ! » قاموا يصخبون ويصيحون ، وأن تأديبهم من السهولة بمكان ، فلم يحفل الأمير بندائهم ، ولم يستجب لقولهم ، ولكن ظهر بعد ذلك غشهم لانفسهم وللأمير ، ورأوا من اتحاد الازهريين وصدق عزيمتهم أكثر مما عندهم من القسوة والصلف ، وان الامر واقع ماله من دافع ، فلم يزدهم ذلك الا تشددا وعتا ، ظنا منهم أن الشدة تفرق جمعهم وتحل عرى اتحادهم ، فجاءوهم برجال الشرطة وركبانها ، فأحاطوا بالأزهر من كل جهة ، وسدوا من دون طلابه كل منفذ ، حتى ان فريقا منهم لم يرض بما دون التحرش بقاله وأعماله ، فاين من هذا تهديد المقاربة الذي عده الامير بدعا ؟ ولكنهم ألفوا الطلاب مدرعين بالأناة والصبر ، معتصمين بحبوة التؤدة والسكينة ، فما استطاعوا حملهم على ما يكره من مثلهم ، ولا إرادتهم على غير ما أرادوا أنفسهم عليه ،

لم تقف الحكومة موقف الحكمة امام حركة الازهريين ، بل وقفت شاخصة ببصرها كمن تعرض امامه أنواع من الصور المتحركة ! ولم تحفل بمطالب الازهريين الذين اضربوا عن حضور دروسهم رجاء نيلها ، على انه لم يكن من العسير اجابتهم الى بعضها ، ولو انهم اجيبوا لرضوا وشكروا ، وتنازلوا عن المطالب الاخرى واعتذروا

طلبوا المساواة بين المعاهد الدينية في حقوق الطلاب ورواتب المدرسين حتى لا يكون راتب المدرس في الازهر مئة قرش وراتب ضريبه في الاسكندرية ثمان مئة قرش كما هي الحال الآن مع ان الازهر رأس المعاهد الدينية . فمن ذا الذي لا يقول انهم طلبوا حقا والتمسوا مساواة وعدلا ؟

طلبوا مدرسين من ارباب الكفاءة والاضطلاع ولا سيما الذين يعهد اليهم تدريس العلوم الجديدة التي لا يقدر غير الضليع بها على تدريسها ، وان تلقى اليهم على نحو القائها في المدارس النظامية ، وأن ينفذ النظام الذي وضع لهم بالتدريج اتباعا لسنة الارتقاء الطبيعي ، لا أن يدفعوا به في صدورهم مرة واحدة ، ويحملوا على الجري عليه كاملة كاملة ، افليسوا بهذا المطلب محقين ، وبه جديرين ؟

طلبوا أن يكون لحملة الشهادة الابتدائية والثانوية منهم حظ من الاستخدام في المحاكم الشرعية والاوقاف والخطابة والوعظ وغير ذلك من الوظائف الحقيرة . فهل هم بذلك مخطئون بما طلبوا ؟

طلبوا أن لا يحمل الطالب الذي يؤدي الامتحان في هذا العام على تأدية الامتحان في العلوم الجديدة التي لم يدرسها ولم يعرف من امرها شيئاً ، لأن حمله على اداء الامتحان فيها من الارهاق والظلم البين فهل اساءوا وظلموا !

طلبوا ان يكون لهم احترام امام ذوي السلطة ، وأن يسمح لهم بالسفر بنصف اجرة في السكك الحديدية ولشيوخهم من دون اجرة مساواة لهم برؤساء الاديان الاخرى ، فهل كانوا بذلك بدعا ، ام اتوا امراً إدا ؟

تلك معظم مطالب الازهريين فأي منصف بل اي مجحف يبيح لنفسه الادعاء بأنهم ليسوا احق بها واهلها ! رأوا أنهم هضموا وظلموا ، واعطي اخوانهم في الاسكندرية فوق ماسألوا ، فطلبوا المساواة بهم . ورأوا أن العلوم وزعت على مدرسين لم يحيطوا بها علما ، بل لم يعرفوا لها حدا ولا رسما ، وقد مر على القارىء ان الإملاء عهد في تدريسه الى اعمى ، والرياضة الى من لا يعرف لها مسمى ، فكيف مع هذا لا يكونون محقين في طلب المدرسين الا كفاء ، والعلماء الفضلاء ! . رأوا ان الحامل منهم الشهادة الابتدائية اسوأ حظا من حجاب المحاكم ، وغيرهم من مزاولي ما هو دون مهنتهم فطلبوا ان يكون لمن يحملها نصيب في بعض الوظائف الحقيرة ! فهل هم بذلك ظالمون ؟ رأوا انهم ممتهنون مزدرون وان احدهم اذل من قيسي بحمص ، وان أندادهم واقتالهم من ارباب الديانات الاخرى لهم من الاحترام عند رجال الحكومة ومن الميزة في بعض الشؤون ما حملهم على الطلب بأن يعاملوا مثلهم ، فهل يعد هذا من الافتيات !

وهنالك مطالب أخرى ما كان لهم أن يطلبوها وان كانت حقا وعدلا ، كطلب تعيين شيخ الجامع الازهر بالانتخاب وغير ذلك وربما يكونون طلبوا كل ذلك ليجابوا الى بعضه ، على ان الحكومة تهزأت بهم وسخرت منهم ، فكان ذلك داعية لصدور حكم المجلس العالي للازهر عليهم وهذا هو حكمه بعد ذكر الاسباب :

« قرر المجلس ما يأتي : حرمان طلاب العلم بجامع الازهر من المرتبات

والجرايات والامتيازات الحائزين عليها بحسب تبعيتهم للازهر ويمنعون من دخوله !! الخ »

جوزي الازهريون بهذا الحكم لطلبهم تلك المطالب ، وسيحفظه التاريخ الذي لا ينسى شيئاً ويكون لمن بعدنا حكم عليه واي حكم !!

لم ار فيما رأيت في هذه البلاد امرا عنيت به الامة واضطربت له عنايتها واضطرابها بأمر الازهريين ، وليس لهذا من سبب الا الشعور العام بأنهم مضغوطون مضطهدون ، فكان اندفاع الامة في الرغبة الى الحكومة والالتماس من الامير بمعاملة الازهريين بالرفق والحسنى ، وإجابتهم الى ما طلبوه بحق وعدل – كان ذلك سببا لنهضة النظار ورغبتهم الى الامير ان يصفح عما عده ذنبا للازهريين ، وقد كان ذلك وقرر إرجاع الازهر الى قانون سنة ١٣١٤

سكنت ثائرة الأزهريين وارتاحت نفوسهم الى هذا القرار ، وأفرخ روع الأمة بعد القلق والاضطراب ، ولكن قام فريق من اصحاب الجرائد وكتابها الذين يتكلمون بغير وجدانهم ، ويكتبون بمؤثرات كاذبة يخلقونها لأنفسهم ، – يصيحون ويصخبون متململين من هذه المنبة ، متبرمين من سوء النتيجة ، ناعين على جرائد أخرى كانت تشد أزر الازهريين لأنها كانت تؤيدهم ذلك التأييد ، وذلك ليوهموا الأمة ان الرجوع الى ذلك القانون خسران مبين !!!

لو لم يكن في الرجوع الى ذلك القانون إلا حصر سلطة الازهر في مجلس ادارته لعد هذا وحده غنما واي غنم ، على ان نظام القانون القديم الدراسي كان وضعه على نمط يجعل للطلاب حظا من العلوم الجديدة من دون أن يرهقوا أو يحملوا على ما لا يستطيعون ، فقد كان القانون يخول لمن كان في السنة السادسة الاختيار في الامتحان في العلوم الجديدة ، فله ان يمتحن فيها اذا شاء ويكون اذ ذاك مقدما على غير المتحن فيها ، وذا حظ من الجوائز المالية التي كانت خصصت لمن يبرز فيها . فأين هذا من القانون الجديد الذي يقضي حتى على من كان في آخر سني الدراسة ان يمتحن في تلك العلوم كلها ؟

ليس من يحملك على ما لا يستطاع حمله بالقسر كمن يسوقك الى صنع المستطاع الهين بما في وسعه من أنواع الترغيب والتحبيب ، وهذا ما جعل الطلاب يتلقون القانون القديم بالرغبة والجذل ، وحملهم على النفور من الجديد بالكراهة والسخط ؛ وذلك

أمر منتظر والمثل يقول « ان رمت ان تطاع فسل ما يستطاع »

يقول المتفيهقون اللاغطون إن نفور الأزهريين من النظام الجديد دليل على جمودهم ، وأنا أقول إنه دليل على استقلالهم ونهضتهم ، وحجة أولئك زعمهم ان الأزهريين لم يرتضوه لأنفسهم لأنه يحملهم على ممارسة العلوم الجديدة وهم لا يشاءون ان يضربوا بسهم فيها !! وسلطاني انهم رفضوه لكونه مشوهاً مضطرباً لا يمكن السير عليه ، وقد مر على القارىء الالماع إلى شيء من مساويه ، أما العلوم الجديدة فإنهم عرفوها أيام كان كثيرون من واضعي النظام يحاربونها ، ويرمون مزاوليها بالتضليل والتكفير . فالرياضة والهندسة والهيئة والميقات وتقويم البلدان والتاريخ — كان يدرسها الأزهريون ولكنها كانت تدرس لمن لم يتجاوز والسنة الرابعة الدراسية ، لا كما قضى النظام الجديد بإرغام جميع الطلاب عليها !

الغرض الاول من الأزهر تخريج الاخصائيين في علوم الشرع ، ومن الضروري ان يكون العالم الشرعي ذا إلمام بالعلوم الجديدة لأن الجاهل بها في هذا العصر هو والأعمى شرع ، ولكن من الرعونة والبلاهة ان يراد من العالم الشرعي ان يكون إخصائيا في الرياضة والطبيعة والهندسة وغير ذلك ،

ألا ان الاصلاح الحقيقي لا يكون بزيادة العلوم ووضع القوانين ، وإنما يكون بالرجال الاكفاء الضليعين الذين يزنون الاشياء بميزانها ويضعون كل شيء في موضعه اذا كان لديهم المال الذي يقتضيه ذلك الاصلاح . وإن بين ظهرانينا كثيرين من هؤلاء وهم من متخرجي الازهر وموظفي الحكومة ، فإذا على الحكومة لو عهدت الى هؤلاء اصلاح الازهر وهم القادرون وحدهم على ذلك — اذا كانت تريد الاصلاح !

واحسن ما نختم به هذه المقالة الثناء على الشيخ حسونه النواوي الذي ظهر من استقلال فكره وكمال رجوليته ما ذكرنا بكلمة الاستاذ الامام فيه « انه افضل من يليق لمشيخة الازهر » بل ما حمله على الاستقالة لأنه لم يجب الى مطالب الأزهريين اذ سألها ، فكان ضنينا بكرامته ان تهان ، وبإرادته أن تتلاعب بها الاهواء ، وهذا هو الرجل الفذ اكثر الله فينا من أمثاله

حسين وصفي رضا

ندوة العلماء الهندية

« تأسيسها دار العلوم »

ان لندوة العلماء في الهند مساعي في خدمة الدين الحنيف جليلة، وسعياً في خير النوع الانساني مبروراً، وقد اتجه عزمها الى انشاء مدرسة كبرى للعلوم (جامعة) دعتها (دار العلوم) واحتفلت في أول شهر ذي القعدة الماضي بوضع الحجر الأول من اساسها، وقد قالت في ذلك مجلة البيان التي تصدر في مدينة لكنو (الهند):

« عقدت حفلة ندوة العلماء في ٢٨ و٢٩ و٣٠ نوفمبر الفارط في مدينة لكنو، فأمها المسلمون من كل الأصقاع من الأمراء والعلماء والوجهاء، وكانت الحفلة بهيجة لم ير الناس مثلها في حسن انتظامها وبلاغة ما ألقي فيها من الخطب الداعية الى نشر المعارف وإعادة مجد العربية في بلاد الهند ومحو المراسم والبدع التي تجري عليها العامة باسم الدين ورفع الخصام الملي واصلاح ذات البين وتوطيد الاخاء والوئام بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم، وتمت الحفلات ولم يحدث فيها ما يريب ذوي الالباب أو يشين الجمعية المعروفة بندوة العلماء

وقد اجتمع في هذا الاحتفال جمهور كبير من صنوف الناس فيهم المسلمون والافرنج والهنود وكان بين المسلمين اهل السنة وعلماؤهم والشيعة ومجتهدوهم والمقلدون والمستقلون والصوفية والاحناف والوهابية والمتفرنجة وهو أول اجتماع ديني حفل أهل المدن المختلفة كأنما هو طاقة رياحين مختلفة نفحاتها والوانها

ولما حانت الساعة المعينة اتى الوالي السرجون هويت وقرينته فاستقبلهما اعضاء الندوة واتوا بهما الى الدكة المقامة لجلوسهما فجلسا على كرسيين من الفضة وافتتح الاحتفال بعد ان تلا القارىء آيات من القرآن الحكيم، وقدمت الى الوالي عريضة الحال فأجاب بخطابة مسهبة اثنى فيها على الخطة التي سارت عليها الندوة من رفع الخصام

ونشر المعارف الحديثة ممزوجة بعلوم الدين وعدّ اعضاء الندوة من مخلصي دولته وقام بعد ذلك مع جماعة من وجهاء المسلمين ووضع حجر اساس المدرسة »

وهذا نص العريضة التي قدمت الى الوالي نقلناها عن المجلة الخاصة التي تصدرها الندوة باسمها :

مولاي الاكرم : نحن اعضاء ندوة العلماء نرحب بكم من حيث كونكم نائب الحكومة في هذه الايالة ونشكركم على اجابتكم دعوتنا لوضع حجر أساس دار علوم الندوة فيشكركم على ذلك كافة المسلمين فان الندوة كأنها لسان حال الامة ولا يوجد قدر شبر من الارض الا وفيه انصار الندوة وحماتها وقد استبان بهذا ما للدولة من التسامح الديني الذي هو من مزايا الامة الانكليزية خاصة والذي هو ملاك الحكومة وعمودها فان الندوة ليست إلا جمعية دينية

مولاي الاكرم : نحن نستدعي من حضرتكم ان تسمحوا لنا بابداء مطالب الندوة وطوارئها التي من احد مظاهرها الجلية دار علومنا هذه

مولاي الاكرم : ان المسلمين منذ وجدوا الى يومنا هذا لم تزل فيهم طائفة تلقب بلقب العلماء وهم قادة الحزب الاسلامي في أمور الدين واحكامه والامة كانت تقفو اثرهم وتتبع هداهم في كل ما يمس بالدين ولو في أمور الدنيا وكانوا انموذجا لتمدن الاسلام ومكارم اخلاقه . والامر الذي استوجب وجود هذه الطائفة هو ان ما تقوم به جنسية المسلمين ليست خصوصية الاقليم ولا الشعب ولا الاسرة كما هي للامم الأخرى بل كل من اعتنق دين الاسلام يحصل له كل ما كان للمسلمين قاطبة على اختلاف جنسيته وعشيرته ومبدئه ولما لم يكن للمسلمين حزب يختص بدعوة الدين كانت الامة تحتاج الى مثل هذه الطائفة لكي لا يحيدوا عن قصد المحجة . وهذا الامر دعا الى أن نشأت طائفة كبيرة من العلماء لا يقل عددهم عن امثالهم في الامم الأخرى ومن مزية امة الاسلام ان العلم كان فيها يكتسب لاجل العلم فقط مع صرف النظر عن كل مرمى وغاية ـــ وما في هذه الأمة من احترام العلم والخضوع له والتفاني امر لا نشاز كافيه أمة حتى ان الرؤوس المتوجة بالتيجان كانت تخضع لها كرامة . والحق ان تأخر الامة ما كان الا بعد ما فقدت هذه الطائفة مزاياها فذهب ما كان لها من

المكانة عند القوم وحينئذ حرمت الأمة من قيادتها وتبدد نظامها وعند ذلك اشتغلت هذه الطائفة بحقرات الامور و بلغ الحال الى أن رفعت الشكاوي الى المحاكم السلطانية فقام حينئذ حزب من العلماء لسد الخلل واقامة معالم الاصلاح وكان من اول مظاهره هذه الجمعية المسماة بالندوة ؛ انعقدت حفلتها الاولى في كانفور سنة ١٨٩٣م وفي سنة ١٨٩٨ م صادقت الحكومة عليها رسميا و بلغت حفلاتها اثني عشرة حفلة اجتمعت فيها العلماء وعامة الناس على اختلاف اهوائهم واذواقهم - أما مطالب الندوة فتحصر مهماتها في أربعة أمور :

(١) ترقية المدارس العربية واصلاحها (٢) رفع المخاصمات الدينية (٣) اصلاح امور المعاشرة والاخلاق (٤) نشر الاسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العمومية

في بدء الأمر ظهر الترحيب بالندوة من جميع الامة كافة فتوسعت حينئذ مطالبها وكان من أول مساعيها انها اجتهدت، في رفع الخصام الحادث في احزاب الأمة واصلاح ذات البين وفازت في ذلك الى حد لا يستهان به ؛ وكذلك سعيها بتخفيض نفقات عوائد الفرح والالم لم يذهب ادراج الرياح ؛ ثم ان الندوة أقامت دار الافتاء في لكنوء ومحلا للايتام في كانفور ولكن كان اهم مطالبها امر التعليم واصلاح مافسد منه ليكون سبباً لوجود شرذمة تهدي الناس في الأمور الدينية

ومن البين ان التعليم الصحيح هو الذي يزيل كل داء اعترى الامة وحجزها عن سبيل رقيها ونظرا الى ذلك اسست الندوة في سنة ١٨٩٨ م مدرسة سمتها بدار العلوم كانت في أول الامر مدرسة ابتدائية ثم تحولت الى كلية في سنة ١٩٠١ م وصارت كأنها أساس لجامعة دينية ولما كان أمر التربية اعظم خطرا من التعليم اسست دار اقامة للطلبة ولكن كان من شؤم الحظ ان الأمة لم تقدر مسعى الندوة حق قدره فالفئة القديمة اساءت الظن ان ادخال الفلسفة الجديدة في نصاب التعليم يورث وهناً في الدين ؛ حتى أُلفت كتب ورسائل في تكفير حزب الندوة . وفوق ذلك ان الناشئة الجديدة ايضا كانت تتقاعد عن الاخذ بنا صرنا فانها كانت تحسب ان الندوة تقيد حرية الافكار وكانوا عاجزين عن فهم منافع احياء العلوم العربية اصلا ومع أن الندوة كانت هدفا لسهام كلتا الطائفتين لم تزل لها قدم ولزمت محجتها واختارت

لتمشيها جادة وسطا فرتبت نصابا جديدا رجح فيه جانب الادب والعلوم الدينية ، ومع ان دار العلوم لم يمض عليها ردح من الزمان انشأت تلاميذ يقدرون على ارتجال الخطب من غير روية وهذا شيء لم يسبق له مثيل! وكان يعد امرا نادرا في ايان الحكومة الاسلامية ايضا وقد اضفنا الى نصاب التعليم الفلسفة الجديدة وكانت هذه بدعة تعد وكفرا في المدارس القديمة، وعما زاد الطين بلة أنا أدخلنا في نصابنا تعليم اللسان الانكليزي لزوما ، فكان من ثمرته حرمان الندوة من بعض المساعدات المالية حتى أن بعضا منهم استرجع ارضا كان وقفها على دار العلوم! ولم نأل جهدا في الاستفادة مما لاهل الغرب من الاكتشافات الجديدة في العلوم العربية وخزانتنا تحتوي على اكثر ما كتبه المستشرقون في امثال هذه المسائل وعلى كتب غير هذه تصلح أن تكون زينا لكل متحف علمي، وتلامذتنا لهم مزيد شغف في الاستفادة من تلك الخزانة، ويوجد فيهم من يكتب في مجلة الندوة مقالات علمية يستحق التنويه بها

والآن اردنا أن ننشيء لجنة يكون اعضاؤها تلامذة مدرستنا الذين يقفون حياتهم على الفحص عن المسائل العلمية المهمة . وبناء على ما توارثنا من آبائنا لا تأخذ للتعليم اجرة ، ونريد ان نوسع نطاق التعليم حسبما تعيننا على ذلك المساعدات المالية

ومن أهم مزايا مدرستنا ان الذين بقوا على الحيادة عن المدارس الدولية لاجل التعصب الديني أو لاجل عدم الثروة لا يجنحون الا الى مثل التعليم الذي اختارته الندوة فانها جعلت تعليمها تحت سيطرة التعليم الديني

ونحن نجترىء على ان نعرض على مسامعكم ان دار علومنا مع قلة بضاعتها وقصر باعها اربت على امثالها من كلا النوعين بنوع خاص ، فانهم ابعد ذيلا عن التقشف وبراء من الفخفخة الفاسدة . ومع ان مدرستنا لا تقدر على احداث طائفة يصلحون للتوظف في اعمال الدولة ولكن نحن على ثقة ان مدرستنا تنشيء رجالا يقدرون على اطفاء الثورات الحالية التي تريد امحاء سيطرة الخالق والمخلوق معا ــ رجالا يكون من شيمتهم الاستكانة للاكابر والمواساة للجار والتواضع للعامة وفوق كل ذلك : الانقياد للحكومة والخضوع

فمدرستنا تنفخ في طلبتها روح المسامحة الدينية التي فتحت أبوابها لكل حزب ، فلم يعتن طلبتنا ولا اساتذتهم بالمشاجرات التي حدثت اليوم بين الفئتين العظيمتين من المسلمين وعلماء

ملتنا لا يزالون يدعون الناس الى الخير والصلح فنرجو من دار علومنا والمدارس التي تتبع سبيلها انها تخرج طلبة سيسودون الامة ويملكون ازمتها مرة اخرى ويحسمون الشقاق ويشقون عصا النفاق، ويصبحون لتوسعهم في المعارف الحديثة والقديمة واسطة موصلة بين الفئة الناشئة وحزب التقهقر العتيق، ونحن على يقين من ان المسلمين كما يسلم اذعانهم لحكومتهم يزيدون من هؤلاء العلماء الناشئين طاعة وانقيادا للحكومة . والآن تقدم الى جنابكم ازكى التشكرات حيث تفضلتم علينا بقطعة من الارض لترفع عليها قواعد مدرستنا وبعد ذلك نحن نشكر الذين بلغنا من مساعدتهم ومساعيهم الى هذا الحد، ونخص من بينهم أولا سمو النظام أمير (حيدرآباد) الذي نستغرف من جود امارته من نعومة أظفارنا وان لم نرزق زيارته حتى الآن، وبعد ذلك نؤدي مفترض الولاء الى سمو الملكة اميرة بوفال التي تمنحنا وظيفة اعانة سنوية ونبث ايادي امارة هماو بالفور التي وقدت اميرتها غير ماتسمح به امارتها سنويا بمنحة تساوي خمسين الف روبية، هيأتنا لنتشرف بان تضع سعادتكم حجر اساس كليتنا ونرى من واجباتنا ان نذكر من غير هؤلاء الكرماء الذين اخذوا بايدينا وساعدونا بما توخينا من الخير كرنل خان بهادر عبد المجيد خان وزير خارجية امارة بلياله ونحن نشكر المستر أي ـ ال ـ ساندرس ـ والمستر اس ايج بطلرسي ـ اي ـ اي والمستر ال ام جابلتك الذين نصرونا بتحصيل القطعة التي انعمتم بها علينا . وفي الختام نشكر جنابكم من صميم افئدتنا حيث نصرتمونا ما ثنيتم الينا من اعنة فضلكم ونعيد مرة اخرى تشكرنا الذي تقدمه الى جنابكم حيث قبلتم ان تضعوا بيدكم الكريمة حجر الاساس . والآن نسألكم ان تأخذوا بهذا العمل الخطير الذي يبقى على كر الدهر .

﴿ لقب حاكم المسلمين ﴾

لصاحب الامضاء

رأيت في بعض جرائد الاستانة كلاما عن الخلافة واتهام خديو مصر بالسعي في التلقب بها الى نحو ذلك ولا أدري أي عقل صبياني يقبل تلك المفتريات الباردة ! ان لقب الخلافة لقب شريف وله شروط والخلفاء الحقيقيون الذين هم خلفاء بدون شك قد مضوا رحمهم الله تعالى كما في الحديث المشهور « الخلافة بعدي

ثلاثون ثم يكون ملكا عضوضا » وفي رواية « ملكا وجبرية » انتهى باللفظ أو بالمعنى فمن كان بعد ذلك من علوج أمية أو فساق بني العباس فليسوا خلفاء بل هم ملوك ولم يستثن الا من استقام على الطريقة المثلى ولم تغن عنهم قرشيتهم شيئا ولا ديلمتهم

ثم ماذا جني المسلمون من لقب الخلافة ؟ إنهم لم يجنوا غير الافتراق والقلاقل ومنذ استشرى سلاطين آل عثمان لهذا اللقب فتحوا على انفسهم أبوابا من التعصب بدون مقابل ، قل لي أي فائدة حازوها بهذا الاسم الضخم ؟ أي مملكة افتتحوها بهذا اللقب أي حق استحقوا بهذا المنصب ؟ اني لا اعرف شيئا وما اراهم استفادوا غير نفرة مجانبين الملوك وزيادة التفريق الذي اودى بنا . السلطان مفروضة طاعته في المعروف ، حرام الخروج عليه لغير سبب مسوغ . كل هذا معلوم فماذا يجب غير هذا له لو كان خليفة مستكمل الشروط ؟! انا لو اردنا أن نقتصر لأقل ملوك المسلمين الآن على ما كان لابي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم شكوا في استحقاقهم له واوجموه لم يقبل أحد منهم ذلك مع أن اعلاهم كعبا لا يقوم للمسلمين بعشر معشار ما قاما به . لا اقول ان ذلك الاوان مساوٍ للوقت الحاضر يكفي فيه ما كفى في ذاك لا بل اقول بعد مراعاة الأزمنة والاحوال

إذاً يجب النصح والمساعدة لسلطان المسلمين على كل أحد منهم بما قدر عليه سواء سماه امير المؤمنين أو الخليفة أو السلطان أو سلطان كذا أو امبراطورا أو ملكا أو فلان بن فلان بلا فرق . ومن المحسوس أنه ليس للمسلمين سلطان أحق واولى بالاعتبار من السلطان عبد الحميد خان زاده الله توفيقا فالنصح له بعد النصح لله وكتابه واجب وكذا الدعاء له

لكن لا على نحو ما يفعله الجهلة وخطباء المنابر في الدعاء او بان يقدموا امامه ما يكون سببا لعدم قبوله من المبالغات والنعوت الكاذبة وما يدل على الخيلاء والابهة والكبرياء فكل ذلك بدعة روجها الوسواس الخناس عليهم وعمل بها علماء السوء عباد الدرهم والدينار . والتواضع والخضوع والصدق في الدعاء والاتباع فيه لما جاء عن سيد المرسلين من أعظم أسباب قبوله . هذه آرائي أعرضها للتمحيص واقترح على خطباء المنابر أن لا يزيدوا على قولهم عبدك الفقير اليك فلان وكأني بهم اذا عملوا باخلاص وقد رأوا علامات الاجابة والله الهادي سنغافوره س . س . ي

« التاريخ الهجري الشمسي »

عند ماشرعت بوضع النظام أو القانون للجمعية الخيرية الاسلامية في طرابلس الشام خطر لي أن تكون سنتها هجرية شمسية وان يكون أول سنتها شهر مارث (آذار) كالسنة المالية العثمانية وذكرت ذلك في القانون ثم خطر لي أن اذكر هذا التاريخ في المنار إحياء له مع ذكر السنة القمرية التي عليها المعول في الامور الدينية للاستغناء فيها عن الفلكيين والحاسبين . وقد جاء في حساب ان سنة ١٩٠٩ الميلادية توافق ١٢٨٥ هجرية شمسية لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد سنة ٥٧١ بعد ميلاد المسيح صلى الله عليه وسلم وبعث على رأس الاربعين وأعلن بعثته بعد ثلاث سنين من نزول الوحي عليه أول مرة وهاجر بعد عشر سنين من إعلان الدعوة فتلك ٥٣ سنة تجمع الى سنة الولادة فتكون معها ٦٢٤ تطرح من ١٩٠٩ فيبقى ١٢٨٥ . ولكن رأيت بعد ذلك ان الدولة العلية عزمت على ان تجعل حسابها المالي على السنة الهجرية الشمسية وأن سنة ١٩٠٩ وافقت على حسابها ١٢٨٨ هجرية فكأن الحاسبين الذين قالوا بذلك لم يحسبوا سني الفترة بين أول الوحي وإعلان الدعوة وهي ثلاث على المشهور فيجب ان يقعوا مثل غلط النصارى في تاريخ الميلاد فقد أخطأوا فيه بعدة سنين ثم لم يمكنهم الرجوع الى الصواب بعد أن ملئت الكتب والدفاتر بالخطإ

أهم ما نطالب من مجلس المبعوثان

(١) إصلاح نظارة الاوقاف وجعل أموال الأوقاف التي تراعى شروطها والتي جهلت شروطها والتي وقفت على [illegible] مطلقا [illegible] لإحياء العلم والدين ونشرهما في جميع البلاد وتخصيص [illegible] في [illegible] .

(٢) إصلاح المحاكم الشرعية [illegible] الاسلامية [illegible] الشرعية [illegible] [illegible] وتأليف كتب [illegible] [illegible] واستئنافية [illegible] [illegible]) [illegible] [illegible] [illegible] والكتب [illegible] من [illegible]

(٣) جعل اللغة العربية محتمة في جميع مدارس الحكومة وإنشاء مدارس معلمين ومدارس زراعة

﴿ ذيل لكشف الظنون ﴾

كنت شرعت منذ ست عشرة سنة بتأليف ذيل لكتاب (كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون) تصنيف العلامة منلا كاتب جلبي المعروف بحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ جمعت فيه ما فاته ذكره من أسماء الكتب والمصنفات مع اسماء المؤلفات التي حدثت بعد عصره في اللغات الثلاث الشرقية الى يومنا هذا. رجعت في ذلك الى كتب التراجم وفهارس المكاتب العمومية وبعض المكاتب الخصوصية وضممت الى ذلك الكتب التي وقفت على اسمائها في اثناء مطالعتي لكتب شتى مختلفة المواضيع وأسماء كتب كثيرة دخلت في يدي مع ما وقفت عليه من اسماء المؤلفات التي اعلنت الجرائد والمجلات طبعها وقد احببت ان اطبع هذا الذيل الحافل اجزاء متتابعة كل جزء مائة صحيفة بقطع الاصل بحيث يصدر في كل شهرين جزء منها. وبما انني قد ذكرت في كتابي هذا كثيرا من مؤلفات المعاصرين احببت ان لا يفوتني ذكر كثير منها مما لم اطلع عليه لتعذر الاحاطة فارجو من فضلاء العصر وكتابه وادبائه ان يتحفوني في مدة شهرين وتصف باسماء مؤلفاتهم ومؤلفات اسلافهم كآبائهم واقربائهم مع ذكر شيء من خطبة الكتاب ونبذة من ترجمة مؤلفه وتاريخ ولادته وان كان متوفى فتاريخ وفاته ومحل طبع الكتاب ان كان مطبوعا وسنة طبعه. وبما انني رتبت هذا الذيل على حروف المعجم كالاصل فاذا أخر أحد ارسال اسماء مؤلفاته الى ما بعد الاجل المعين وكان فيها كتاب يدخل في الحرف الذي تم طبعه فاتني ذكر ذلك الكتاب. وأرجو أيضا من أصحاب الجرائد والمجلات ان يتحفوني باسماء جرائدهم ومجلاتهم وتاريخ انشائها وبيان وصفها إجماليا حيث اجعل ذكرها والتنويه بشأنها خاتمة الكتاب واني اسلف كل من تفضل علي بآثاره كل شكر جزيل وثناء جميل.

يخابرني من شاء بهذا العنوان: (محاسب المعارف في بيروت جميل العظم)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر — الاثنين ٢٩ صفر ١٣٢٧ — ٢٢ مارث (آذار) سنة ١٢٨٥ ه ١٩٠٩ م)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أوراق اليانصيب وسندات المصارف ﴾

(س ١) من بورت سودان لصاحب التوقيع

حكيم الاسلام وفيلسوف الأنام مربي الأمة ومرشدها وغرة عصرها وعالمها سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء نفعني الله بعلومه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد جمعني وجماعة من نبهاء بورت سودان وفضلائها مجلس انعقد بمنزل فضيلة قاضيها الشرعي لسماع درس التوحيد وبعده أخذنا نتجاذب اطراف الحديث الذي وصل بنا إلى تحليل أو تحريم أوراق اليانصيب وطال الجدال في هذا الموضوع وانقسمنا إلى قسمين

قسم منا حرمها من أولها لآخرها سواء في ذلك سندات سكة حديد تركيا (الروملي) والبنك العقاري جديدها وقديمها

والقسم الآخر فصَّل في الموضوع حيث حرم كل الأوراق ما عدا سندات البنك العقاري وسكة حديد تركيا فقال بالحل فيها إلا انه لم يجزم بهذا القول واشترط في أوراق البنك العقاري عدم أخذ (الكبون) أي الربح السنوي

وبالنسبة لكوننا لم نوفق للفصل في هذا الموضوع نهائيا قر القرار على الاستعلام من سماحتكم [illegible] في هذا الموضوع للاهتداء بهديكم وكلفوني أن أسألكم [illegible] كرم اخلاقكم جئت اليكم بهذا راجيا إرشادنا في هذا

الموضوع أرشدكم الله والفصل فيه ليحق الحق و يبطل الباطل ان الباطل كان زهوقا

كما اني أرجوكم إن كان سبق لسيادتكم التكلم عنه في مجلدات غابرة ان تجيبوني عليه وأكون ممنونا او تفضلتم بالإجابة في أول عدد لأهميته عندنا والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته

كاتبه
أحمد كريم
أحد قراء المنار

(ج) افتينا في المنار من قبل (ص٤٧ م ١٠) بأن اليانصيب من القمار المحرم لما فيه من الضرر الظاهر فان المقامر يضيع ماله لتوهم الربح وقد فصلنا القول في ضرر الميسر في تفسير قوله تعالى «٢: ٢١٩ يسألونك عن الخمر والميسر» فليراجع في (ص٣٢٩ ج٢) من التفسير . واما مثل سندات البنك العقاري فهي نفسها ليست من « اليانصيب » وان كان يعمل لها « يانصيب » بل هي ضرب من ضروب التجارة لأن لها أثمانا كأثمان سهام الشركات المالية تزيد وتنقص وتشبه من جهة أخرى الدين بربح قليل لأن صاحب المال يأخذ عليه كل سنة ربحا « كوبون Coupon » ولكنها خالية من ضرر القمار لأنه ليس فيها إضاعة مال محقق لربح متوهم ومن ضرر الربا المعبر عنه بقوله تعالى في خاتمة آيات الربا «لا تَظلمون ولا تُظلمون» وهي مع ذلك مشكلة والظاهر من اقوال الفقهاء وقواعدهم انها غير جائزة لذاتها ولكن بعضهم يجيز ذلك في غير دار الاسلام أو مع الحربيين لأن التزام العقود الاسلامية إنما يجب في البلاد التي يحكم فيها الاسلام ولهم في ذلك تفصيلات كثيرة (راجع ص ٦٣٩ م ٧ وص٢٦٨ و ٢٩١ و ٥٩٠ م ٨)

ثم ان الفقهاء قد جعلوا الشرع العملي قسمين عبادات ومعاملات فالمعاملات ليس فيها امور تعبدية بل كلها معقولة المعنى منطبقة على مصالح الناس ومنافعهم ودفع المضار عنهم فلا يحرم منها الا ما هو ضار بفاعله أو بغيره وما يتراضى به الناس من المعاملات من غير غش فلا يحرم عليهم الا انه اذا كان من شأنه ان يضر لا يلزمهم القضي ما كانوا تراضوا به اذا هم اختلفوا بعد ذلك وتحاكموا اليه ولا يفتيهم المفتي بوجوبه شرعا فقد جاء في الآثار الصحيحة عند البخاري وغيره ان المقترض اذا اعطى افضل مما

أخذ أي كيفا او كما فلا بأس بذلك ما لم يشترط ذلك أي يجعل حقا شرعيا . وهذا في الربا الذي هو أغلظ المحرمات المتعلقة بالمعاملات المالية فاذا اعطى صاحب سندات البنك العقاري مالا من البنك قد ربحه بالسحب برضى اصحاب البنك فانه لا يظهر لي ان أخذه محرم عليه ولا سيما اذا كان اصحاب البنك من الاجانب الذين لا يلتزمون أحكام شريعتنا من انفسهم ولا توجد حكومة اسلامية تلزمهم العمل بها ولا يظهر لي ان هذا من القمار الا بالنسبة لمن يشتري أوراق السحب التي تباع في الاسواق والشوارع لأن هؤلاء يضيعون اموالهم على التوهم واما اصحاب السندات فان اموالهم محفوظة لهم لا يضيع منها شيء والله اعلم واحكم

***

﴿ دين المستقبل وهل يكفر من له رأي فيه ﴾

(س ٢) من بغداد لصاحب التوقيع الذي عهد الينا بكتمان إسمه

حضرة سيدي المحترم محمد رشيد رضا افندي أدام الله مجده

أما بعد فقد جئت طالبا من فضلكم نشر سؤالي هذا على صفحات (المنار) الأغر وسرد جوابه بما يتراءى لكم لأن الامر أشكل في بغداد والاقوال تضاربت فجئت طالبا فتواكم ولكم الأجر

إن أحد الكتاب نشر مقالة في جريدة بغداد في عددها الأول وقال فيها : ان حضرة السيد البكري نقيب أشراف مصر قال سألت الشيخ جمال الدين الافغاني عن دين البشر في المستقبل فأجابني بقوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمنَ بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) فقام بعض المدعين للعلم وقال

(١) المنار : سمعنا هذه المسألة من البكري وقال أمامنا إن السيد قال له انقشوا هذه الآية على هرم الجيزة الى أن يجيء المستقبل فيفسرها . وليراجع في المنار ما قاله الاستاذ الامام في تفسيرها

ان هذا الناقل الذي نشر المقالة قد كفر وخرج من دين الاسلام وطلب من الحكومة مجازاته وهو القتل كفراً لا حداً والعياذ بالله ثم وكل الأمر الى أربعة من المدرسين وهذا المكفر منهم خامس فاما أحدهم فقال إن الرجل ناقل وليس عليه شيء من دون ان يحقق البحث في أصل الموضوع فرفضوا قوله واجتمع الاربعة على انه يجب تعزير هذا الناقل تعزيرا شديدا وقدموا قرارهم هذا للعدلية ولا ندري ماسيكون منه فنرجوكم تدقيق هذا البحث باطرافه بحق قائله وناقله والحاكمين فيه ليتضح الحال خدمة للوطن والدين والامة دامت أفضالكم الامضاء

غيور اغتار للدين

(ج) لا وجه للقول بكفر هذا الناقل ، ولا ذلك القائل ، ولا بتعزير من يرى ذلك الرأي سواء كان خطأً ام صوابا والظاهر أن أولئك العلماء لم يفهموا معنى سؤال البكري ولا جواب الافغاني لأنهم لم يفكروا في مثل هذا البحث ولا في سببه لا لبلادة في أذهانهم ولا لجهلهم باللغة التي عبر بها القائل والناقل . نعم ان المشتغلين منا بالفقهيات ، الجامدين على التقاليد والعادات ، كثيرا ما يتجرءون على التكفير ، بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، واظن ان من ذكرتم من علماء بغداد ، لو فهموا معنى السؤال والجواب ، لما خطر في بالهم ان يعدوا القول به ذنبا ، فضلا عن ان يعدوه كفرا ،

يقول كثير من علماء الاجتماع إن البشر في مجموعهم يسيرون الى الكفر والإلحاد عاما بعد عام وان هذا السير ينتهي بترك الامم كلها للتدين بعد قرون كثيرة اوقليلة ومن هؤلاء القائلين بهذا الرأي من هو متدين بالاسلام ومنهم من هو متدين بغيره ومنهم من هو ملحد لا يدين بدين

ويقول آخرون ان البشر لايمكن ان يستغنوا عن الدين ولا عبرة بما نراه في هذا الوقت من كثرة الكافرين فلا بد ان يبقى الناس متدينين وان يبقوا مختلفين في الدين

ويذهب آخرون الى انه لا بد ان يسود في المستقبل دين يكون عليه اكثر البشر وهل يكون ذلك دينا جديدا ام أحد الأديان الحاضرة بعد تنقيحه وتطبيقه على حال الناس في المدنية المستقبلة ؟ انهم مختلفون في هذا وسمعت الاستاذ الامام

يقول اكثر من مرة انني اعتقد منذ عشرين سنة ان دين المستقبل هو الاسلام ولي على ذلك أدلة اجتماعية وادلة نقلية كالوعود الالهية باظهاره على الدين كله وهو عندي في مرتبة اليقين . ولا يخفى ان أصول الدين الالهي الحق التي دعا اليها جميع رسل الله هي الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح . والكتاب والسنة تفصيل هذه الاصول . وعبارة السيد جمال الدين مجملة فلا يدرى أرأيه كرأي تلميذه الاستاذ الامام ويريد بالاصول المجملة في الآية ما هو مفصل في غيرها من الآيات أم يريد ان البشر لا يتفقون على تفصيل الاسلام ولا غيره وإنما يستقر رأيهم على تلك الاصول المتفق عليها ويتركون لكل فرد رأيه واجتهاده في تفصيلها؟ الله اعلم بتفصيل رأيه ولكن الذي يجب الجزم به انه لا يجوز ان نكفره ولا أن نفسقه برأيه لأنه لا علاقة بين مثل هذا الرأي وبين قوة الايمان وصحة الاسلام بل لا يجوز ان نقول بكفر من يرى ان البشر يتركون كل دين ولا بتعزيره او لومه على ذلك . فليتق الله علماؤنا في المسلمين وليعلموا أن عاقبة هذا التشديد والجراءة منفرة عن الاسلام وانها يوشك ان تفضي الى مالا يحبون لانفسهم ولا لدينهم

أما العدلية فلا أدري ما هي علاقتها بآراء الناس وافكارهم فاذا كان رجال العدلية في بغداد كمن ذكرتم من العلماء فهماً لهذه المسألة وكان رأيهم في العقوبات القانونية ، كرأي اولئك الفقهاء في العقوبات الشرعية، فياحسرة على بغداد ، فانها لا تزال ترسف في قيود الجهل والاستبداد ،

***

﴿ تعدد صلاة الجماعة في وقت واحد ﴾

(س ٣) من بغداد لصاحب التوقيع

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار دام فضله

اتفقت أقوال العلماء على أن لا فرق بين أقوال الائمة الاربعة المجتهدين رضوان الله عليهم وانهم تجمعهم السنة والجماعة ولكن مع الأسف نرى في أغلب جوامع بغداد تقام للصلاة جماعتان حنفية وشافعية في آن واحد وكل يصلي بصلاته بحيث

لا يكاد يميز السامع بين تكبير إمام وآخر فما القول في ذلك ؟ واغرب منه ان يقوم مع وجود الامامين إمام ثالث حنفي ويصلي بالناس مع ان صف الجماعة المقتدين به متصل كال الاتصال بصف المصلين خلف الشافعي بحيث لا يمكن معرفة الحد الفاصل بين الجماعتين قط . وبعد تمام صلاتها تقام جماعة حنفية أخرى ! فما القول في الامامين الاولين على ان الشافعي راتب والحنفي فضولي والحنفي الذي يصلي أخيرا راتب ؟ أرجوكم دفع هذا الالتباس ولكم الاجر الامضاء

مسلم لا يحب تفرقة الاسلام

(ج) ان تعدد الجماعة في وقت واحد بدعة مذمومة لا سبب لها فيما نعلم إلا جعلها وسيلة للمرتبات التي يأخذها أئمة المساجد من الاوقاف أجرة على الامامة وفي هذه الاجرة ما فيها . ولا التباس في المسألة فنحتاج إلى إزالته لان هؤلاء المفرقين لا يقولون ان إقامة جماعتين فأ كثر في مسجد واحد في وقت واحد مشروع فترد عليهم . ولا يرجى ان يترك هؤلاء الائمة ذلك باختيارهم الا بأحد أسباب ثلاثة (١) علم أولئك الائمة بالسنة والحرص على اتباعها (٢) رغبة المأمومين عن التعدد كأن يقيض الله لهم من يعلمهم ان أمتنا أمة واحدة وديننا واحد حرم الله علينا التفرق فيه بمثل قوله « أقيموا الدين ولا تتفرقوا » وان سلفنا الصالحين ما كانوا يقيمون جماعتين أو جماعات في وقت واحد مع مخالفة بعضهم لبعض في بعض الفروع الاجتهادية كما عليه الشافعية والحنفية وغيرهم ، وأن هؤلاء الخلف ما تفرقوا عن الجماعة إلا لاجل الدنيا . فاذا علم العامة ذلك لا يلبثون ان يصلوا مع الجماعة الاولى في كل وقت ، ولكن هذا أبعد مما قبله لان علماءنا أهملوا تعليم العامة دينهم وصار أكثرهم يكتفي من خدمة الدين بتكفير من يخالف رأيه أو هواه من المسلمين ، فحسبنا الله ونعم الوكيل . (٣) أن يصير للمسلمين رياسة دينية محترمة عند الحكومة وعند الناس يوكل اليها الفصل في أمثال هذه المسائل كأن يجعل ذلك من شأن المفتي ، فان قيل إن الدين الاسلامي لا رياسة فيه كغيره من الاديان قلنا لا نعني ان يكون له روساء يسيطرون على الناس في دينهم بل روساء يحترمون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من أمر الدين المتفق عليه ،

───

﴿ منع غير المسلمين من سكنى الحجاز ﴾

(س ٤) من الخواجه إلياس لطف الله بو سليمان بتينوغستا (الارجنتين)

حضرة العلامة العامل والأستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا أدامه الله

بخضوع واحترام أقدم كامل الواجبات لشخصكم الشريف وارجو من سيادتكم الافادة إذا كان منع غير المسلمين من الدخول إلى أرض الحجاز المقدسة هو أمر ديني مقرر في الكتب الشريفة المنزلة أو في الحديث الشريف أم هذه عادة وفي الحالين ارجوكم إذا لم يكن من مانع ان تكرموا بالايضاح في احد اعداد ناركم المنير ولكم جزيل الفضل والمعروف . قال سعادة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الاغر في عدد ٥٥٦٧ ما معناه ان المهندسين العثمانيين في سكة حديد الحجاز انفردوا بالعمل كله من العلا إلى المدينة لعدم جواز دخول غير المسلم ارض الحجاز ، اختم بتكرار رجائي والله يديمكم مرجعا في جميع الامور كي تستنير منكم ومن ناركم العموم سيدي

(ج) روى أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث « اخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » ونسيت الثالثة، والذي نسي الثالثة هو سليمان الاحول وهي النهي عن اتخاذ قبره وثنا أو تجهيز جيش أسامة

وروى أحمد ومسلم والترمذي وصححه عن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع فيها إلا مسلما »

وروى أحمد من حديث عائشة قالت : آخر ما عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يترك بجزيرة العرب دينان . وروى أحمد أيضا والبيهقي من حديث أبي

عبيدة ابن الجراح قال آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب »

وذكر الحافظ ابن حجر في كتاب الجهاد من شرحه البخاري ان الجمهور على ان الذي يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة قال وهو مكة والمدينة واليمامة وماوالاها لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب لاتفاق الجميع على ان اليمن لا يمنعون منها مع انها من جملة جزيرة العرب . أقول قال في القاموس : جزيرة العرب ماأحاط بها بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات أو ما بين عدن أبين إلى اطراف الشام طولا ومن جدة الى ريف العراق عرضا . والذي جرى عليه العمل هو إخراج غير المسلمين من الحجاز ففي صحيح البخاري ان عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز . وذكر يهود خيبر فقال أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء . وجعل بعضهم حديث أبي عبيدة مخصصا لتصريحه بلفظ « أهل الحجاز » وقال بعضهم انه لا يصلح مخصصا

وليس من غرضنا هنا تحقيق الخلاف وتحرير الدلالة وإنما نقول ان الحجاز هو الذي نفذ فيه الامر وجرى عليه العمل فهو عند المسلمين كالمسجد ولا يشاركهم في مساجدهم الا من دان بدينهم وشاركهم في عبادتهم . وهذا التخصيص على كونه دينيا يتعلق بسياسة الاسلام فانه لمافيه من التساهل مع المخالفين لا يستغني أهله عن بقعة خاصة بهم لا يزاحمهم فيها غيرهم يأرزون اليها عند إلجاء الحوادث ومطاردة الكوارث . وليس الحجاز مما يصلح لكسب الدنيا والتمتع بزينتها فما منع غير المسلمين الا من مكان لا حظ لغير المسلم فيه الا ان يريد مزاحمته أو الافتيات عليه في خاصة دينه .

وقد بين المحققون ان حكم الاسلام في مكة انها وقف للمسلمين عامة . قال ابن القيم : وأما مكة فان فيها شيئا آخر يمنع قسمتها ولو وجبت قسمة ما عداها من القرى (اي التي تفتح عنوة) وهي انها لا تملك فانها دار النسك ومتعبد الخلق وحرم الرب تعالى الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد فهي وقف الله على العالمين وهم فيه سواء ومنى مناخ من سبق قال تعالى « ٢٢ : ٢٥ ان الذين كفروا ويصدون

عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد » —
الى ان قال — فالحرم ومشاعره كالصفا والمروة والمسعى ومنى وعرفة ومزدلفة لا
يختص بها أحد دون أحد بل هي مشتركة بين الناس اذ هي محل نسكهم ومتعبدهم
فهي مسجد من الله وقفه ووضعه لخلقه » الخ

ثم ان لسائر ارض الحرمين احكاما خاصة فلا يحل صيدها ولا يختلى خلاها
فمن هنا يعلم ان منع غير المسلمين من سكنى بلاد الحجاز ليس هو الحكم الذي تختص
به وحده هذه البلاد . واما دخولها لغير السكنى ففيه أقوال اصحها عندي قول الشافعي
انه لا يمكن غير المسلم من دخول ارض الحرم الا باذن الامام لمصلحة المسلمين .
على ان المشهور في مذهبه أنه يجوز لغير المسلم دخول مساجد المسلمين بإذن اي مسلم
لا يختص بالامام الاعظم ولا يقيد بالمصلحة العامة . وقال بعض العلماء يجوز دخولهم
ما عدا المسجد الحرام والحجاز

***

(الزكاة في القراطيس المالية « الانواط »)

(س ٥) من الشيخ محمد بسيوني في (سمبس برنيو)

حضرة الاستاذ الحكيم الشيخ العظيم سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب
مجلة المنار الغراء متعني بوجوده آمين .

وبعد أهديكم أزكى التحية والاحترام أرجو من فضيلة سيدي الجواب عن
هذا السؤال . لا زلتم مشكورين .

ما قولكم في الانواط هل تجب فيها الزكاة أم لا ؟ وما العلة في وجوبها أو
عدمه افتوني سيدي بالقول الصحيح المعتمد مأجورين .

(ج) بينا في الفتوى ٢٨ من المجلد العاشر (ص ٥٣٩) ان القراطيس المالية التي
تسمى (بنك نوت وانواط) من قبيل النقود الذهبية -وفي الفتوى الاولى من المجلد
الخامس كلام في الخلاف فيها واعتماد كونها من قبيل النقد لا عروض التجارة وكون
الزكاة تجب فيها والربا يحصل بها فليرجع الى ذلك ولو قلنا ان الزكاة لا تجب

في هذه القراطيس لأمكن للغني الذي يملك ألوف الألوف من الذهب أن لا يودي زكاة قط ولأبيح الربا بسهولة في أكثر معاملات المصارف (البنوك)

***

﴿ حديث من آذى ذميا ﴾

(س ٩) من محمد افندي احمد شمس بالاسكندرية

ملخص السؤال انه اطلع على خطبة للشيخ بشير الغزي العالم الحلبي الشهير فرأى حديثا لم يطرق سمعه وهو « من آذى ذميا فانا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » وسأل عن تخريجه ليباهي بتساهل الاسلام فيه

(ج) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه الى معجم الطبراني الاوسط واشار الى انه حديث حسن . وفي معناه أحاديث أخرى في الوصية بالذميين والمعاهدين منها حديث عبدالله بن عمرو عند احمد والبخاري والنسائي وابن ماجه « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما » وحديث علي عند الحاكم « منعني ربي ان أظلم معاهدا ولا غيره » والاسلام يأمر بأكثر من ذلك فقد قالوا انه يجب على المسلمين اطعام الذمي عند الضرورة ويستحب مع غير الضرورة كما تجب حمايتهم والدفاع عنهم ولو بمحاربة المعتدي عليهم

***

﴿ شرب الدخان في مجلس القرآن ﴾

(س ٧) من الشيخ ابراهيم حسين بهوارة عدلان (الفيوم)

حضرة العلامة الكامل والاستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سيدي ومولاي : جرى الخلاف بين طائفة من أهل العلم في حكم التدخين أي شرب الدخان في مجلس تلاوة القرآن الشريف فنهم من حرّمه ومنهم من جوزه مع الكراهة . راعاة للآداب ولم يذعن احد الطرفين

لقول الآخر وحيث ان سيدي ممن يرجع اليه في فصل الخلاف فقد حررت هذا لفضيلتكم راجيا التفضل بالجواب مبسوطا في العدد الآتي في مجلتكم مؤيدا بالحجج الاقناعية بدون احالة على مانشرتموه سابقا في المجلة لاجماله ولصعوبة العثورعليه الآن على مثلنا ولفضيلتكم جزيل الشكر

(ج) قد بسطنا الكلام على هذه المسألة في الفتوى ٧١ من المجلد السابع (ص٥٣٧) وحاصل رأينا فيها أن شرب الدخان في مجلس القرآن يعد محظورا إذا كان العرف العام يعده من إساءة الأدب والاوجب على كل امرئ مراعاة ما يعتقده وتطمئن اليه نفسه مع الاحتياط في التزام الادب ، وان الجرأة على التحريم من أكبر الجنايات على الدين إذا لم يكن الدليل عن الشارع واضحا نصا أو دلالة ولا نص في مسألتنا ولا دليل إلا ما يقال في مسألة الادب وهو شيء يتعلق إما بالعرف وإما باعتقاد الشخص وهو ما اعتمدنا عليه من قبل وما نقوله الآن والله أعلم

***

استعمال ساعة الذهب ولبس خاتمه

(س ٨) من كتاب الشيخ عبد اللطيف أبي عوف بدنقله (السودان)

أرجوكم إفادتي بوجه السرعة على صفحات مجلتكم الغراء عن حكم لبس الساعة التي داخلها شيء من الذهب وكذا الخاتم ومقدار ذلك الذهب أعني عيار ١٢ او اقل ولكم الشكر

(ج) في الفتوى ٥٧ من فتاوى المجلد السابع (ص ٤١٩) تفصيل لمسألة التحلي بالذهب واستعماله ومنه بعد ذكر الأحاديث الواردة في المسألة والبحث فيها « وجملة القول انه ثبت في الصحيح النهي عن الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة مع الوعيد والنهي عن التختم بالذهب وفي حديث مسلم انه شبهه بجمرة من نار ولم أره في المنتقى . واما مذاهب العلماء فيها فقد حمل الاقلون النهي على التنزيه دون التحريم وذهب داود الى تحريم الشرب في أواني النقدين واباحة ما عداه من أنواع الاستعمال وقاس كثير من الفقهاء غير الاكل والشرب عليهما

حتى حرم الشافعية اتخاذ الاواني وان لم تستعمل ، ثم بحثنا في علة ذلك واختلافها باختلاف الزمان . وذكرنا في آخر الفتوى ان الاحتياط أن يجتنب المسلم ما ورد به النهي الصريح ويراعي المصلحة فيما وراء ذلك بحسب اجتهاده مع الاخلاص . وراجع التفصيل ان شئت (في ص ٤٢١ — ٤٢٤ م ٧) والظاهر ان المراد بالذهب في النهي ما يعم التبر الخالص والمزيج من الذهب وغيره ما سمي ذهبا ويحتمل ان يقاس الذهب على الحرير عند من يقولون ان الثوب المحرم منه هو ما كان ابريسما خالصا أو ما كان الابريسم هو الغالب فيه وزناً أو نسيجاً . واني أعتقد ان استعمال الساعة الذهبية انما تحرم إذا كان فيها إسراف أو مخيلة وكذا غيرها مما لا نص في النهي عنه والا فهو مباح او مكروه في الاكثر والله أعلم

***

﴿ رابطة النقشبندية ﴾

(س ٩) من ع . ب . ح في سنغافوره

حضرة الفاضل صاحب المنار بمصر

نحن معاشر اهل الطريقة بهذه الجهات قد عثرنا على فتواكم في رابطة اهل الطريقة فحمدنا الله على صنيعكم وما ايدتم طريقتنا بقولكم (يمكن للمريد العارف بعقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تخيل شيخه – الى أن قلتم – فمثل هذا لا يعد مشركا لشيخه مع ربه) ونحن فلله الحمد عرفنا بعقيدة الاسلام وان احضارنا صورة شيوخنا عند ذكر الله لانه من آكد الآداب والاستمداد منه هو استمداد من النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه يحاذي كقلبنا الى صاحب الطرق نبينا محمد (ص) وقلبه (ص) دائم التوجه الى الحضرة الالهية كما هو مقرر في كتب الطريقة وقد عمل بالرابطة اولياء الله الصالحون ونحن من متبعيهم ومتبعي النبي (ص) وسلسلة طريقتنا متصلة الينا الى حضرة النبي (ص) فكيف يقول محرر الامام بسنغافوره ان الرابطة بدعة لم يعمل بها النبي ولا اصحابه ولا التابعون . ثم قال الرجل ان اختراع الرابطة لم يكن في زمن الامام الغزالي وعبد الوهاب الشعراني وعبد القادر الجيلاني فهل تتصورون

كبار العلماء القائلين بالرابطة اخطأوا فيها وهذا المدعي واضرابه مصيبون فيتركهم الناس ويتبعون المدعي واضرابه كلا ثم كلا وقد تجرأ المدعي على أهل الطريقة فقال ما معناه: ومن قال ان الدين الاسلامي يأمر بالرابطة فهو اكذب من خطيب سمبس لان ذلك الخطيب وغيره قد نشروا ردودا على مجلة الامام بالجرائد ومن قول ذلك الخطيب ما معناه حيث ان الامام قد انكر الرابطة وقال انها بدعة لم يأمر بها الدين بل هي ممنوعة وجبت عليه التوبة ووجب عليه اعلان توبته بمجلته وبالجرائد التي كتب فيها مسألة الرابطة لئلا يغتر الناس بقوله في الدين اه ونرجو من المنار بسط الجواب هل هي بدعة ممنوعة ام لا

(ج) قد علم من جوابنا السابق ان الرابطة لم يرد فيها شيء من كتاب ولا سنة نبوية وانها ليست من أعمال الدين فيطالب كل مسلم بها ويعد مقصرا في دينه اذا تركها وينكر عليه اذا أنكرها كما يعد مبتدعا اذا فعلها . وإنما هي طريقة في تربية النفس كغيرها من الطرق التي استحدثها الناس في التربية والتعليم واستفادوا منها بالتجربة ما كان عونا لهم على مقصدهم فمن قال ان الدين يثبتها أو ينفيها لذاتها فهو مخطيء لأنه ليس فيها نص ديني ومثله كمثل من يقول إن طريقة كذا في التعليم مطلوبة أو ممنوعة دينا . نعم ان مايستحدثه الناس من طرق التربية والتعليم قد يخل عرضا بأمر من أمور الدين فيكون محظورا دينا لذلك العارض كما اذا اعتقد المريد ان شيخه يملك بالرابطة نفعه أو ضره وهدايته ورشده أو غوايته وضلاله .

واعلم يا أخي في الدين والطريقة انك لاتستطيع أن تدافع عن الرابطة الا اذا قلت انا لانتخذها دينا وحينئذ لا يضرك كونها بدعة لأن البدعة إنما تكون ضلالة اذا كانت في الدين وأما البدعة في غير الدين فمنها الحسن ومنها القبيح كما يعلم من حديث مسلم «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» [illegible] ليس لأحد بعد انقطاع الوحي ان يسن في الدين شيئا وانما [illegible] أمور الناس [illegible] وتعليمهم ومعايشهم [illegible]

في دينهم لا يعد حكما دينيا يطالب به الناس على انه دين لان شارع الدين هو الله تعالى على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ولا شرع بعد انقطاع الوحي وختم الرسالة

ثم اعلم ان عمل بعض الصالحين بالرابطة لا يدل على انها من الدين لأنه لم يقل أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم ان عمل الصالحين حجة في الدين وقد وقع كثير من الصالحين في البدع أو المعاصي عن جهل بالحكم الشرعي ويجوز عقلا ان يخطىء بعض أولئك الصالحين في مسألة ويصيب فيها مثل صاحب مجلة الامام من المعاصرين . ولو شئت لأفشيت سر الطريقة وزدت بيانا ولكن لامحل لذلك هنا ولا حاجة اليه

وجملة القول ان صاحب مجلة الامام قد أصاب في قوله ان الرابطة ليست من الدين ولكن يظهر لي انه بالغ في الإنكار حتى جعل الدين محرما لها لذاتها وان لم يترتب عليها محظور أو يجعل شرعا ودينا كما بالغ المنتسبون الى الطريقة فجعلوها دينا كأنه وقع بها التكليف من رب العالمين على جميع المسلمين حتى صار المنكر لها كالمنكر بعض ماورد في الكتاب والسنة من أمور الدين . وهذا ما ننكره على الفريقين . وأوصي أهل الطريقة بترك المراء والجدل والنبز بالالقاب وأن لا يجعلوا ذلك سببا للتفرق والخلاف في الدين فان ذلك يخرج صاحبه من حظيرة الدين (٣:١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم)

تذكير مجلس المبعوثان

﴿ ببعض شؤون الاصلاح [1] ﴾

المحاكم الشرعية

مازال حظ المحاكم الشرعية في البلاد العثمانية دون حظ المحاكم النظامية وسائر دواوين الحكومة ومصالحها فإننا لم نسمع حتى الآن صوتاً قوياً من المبعوثين في مجلس الأمة بطلب ما يجب من إصلاحها فهل تهيب حكومتنا إصلاح هذه المحاكم أو تتقاعس عنها كما فعلت الحكومة المصرية ! ؟

ان المحرك للحكومة المصرية والمرسل لها إلى الاصلاح أو الممسك لها عنه انما هو الاحتلال الانكليزي وكان الرؤساء من الانكليز يقولون اننا لا نمس الامور الدينية لانها لا تقبل الاصلاح أو لأن المسلمين لا يريدون اصلاحها أو يتهموننا فيها تهمة نحن في غنى عن التعرض لها ثم محاولة تبرئة أنفسنا منها . وقد ضج مسلمو مصر بعد ذلك بطلب إصلاح هذه المحاكم فكانوا مع الانكليز كالذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء .

ان المحاكم الشرعية في القطر المصري أمثل منها في سائر الولايات العثمانية من بعض الوجوه على ان اختصاص هذه أوسع من اختصاص تلك وليس لمجلس الامة في الاستانة ان يتعلل بمثل ما يتعلل به الانكليز عند مطالبتهم باصلاح هذه المحاكم فمتى نسمع صيحة أهل العلم المحبين للاصلاح في المجلس ببيان ما يجب من إصلاحها ؟ .

أينسى أولئك المبعوثون أصحاب الغيرة على الشرع ان هذه المحاكم كادت تكون حجة على الاسلام وفتنة للمسلمين ؟ أينسى أولئك الاحرار الواقفون للاستبداد

---

(١) نشرناها في جريدة المفيد ببيروت

بالمرصاد انه لا يوجد معهد من معاهد الحكومة يباح فيه الاستبداد بغير تبعة ولا مسئولية إلا في المحاكم الشرعية حيث يحكم القاضي برأيه بلا مشاورة في الامر ولا مشاركة في الرأي ولا معرفة للمتقاضين بالمسائل التي يجب بها الحكم !! . فهل يرضى مجلس الامة ان تبقى هذه المحاكم على هذه الحال وهي المنسوبة إلى الشرع الذي بني على الشورى وأمر الرسول المعصوم بالمشاورة (صلى الله عليه وسلم) وجرى الخلفاء الراشدون على الحكم بها ؟

ألا يعلم نوابنا الكرام ان فساد هذه المحاكم مفسد لكثير من البيوت (العائلات) التي هي مرجعها في مسائل الطلاق والنفقات وغير ذلك من أمور الزوجية؟ أيستهينون بأمر الاوقاف وما لها من العلاقة بالامور الدينية والاعمال الخيرية التي لها شأن كبير في صلاح الامة وفسادها ؟

أول شيء يجب الالتفات اليه في إصلاح هذه المحاكم هو إدخال الشورى فيها بجعلها مؤلفة من اعضاء يحكمون بأكثر الآراء كما هو الشأن في المحاكم النظامية حتى ما يحكم فيها بالشرع الشريف كمحاكم الحقوق التي يحكم فيها بالمجلة . وقد سبقت مصر إلى هذا الاصلاح في محكمة القاهرة التي يرأسها القاضي الأكبر الذي يرسل اليها من دار السلطنة العثمانية . فإقامة هذا الركن الاسلامي في المحاكم الشرعية يقلل استبداد القضاة في الاحكام ويقلل ارتكابهم لجريمة الرشوة ويجعل الاقضية سريعة الانجاز فيصل الناس إلى حقوقهم في وقت أقرب مما يصلون فيه الآن ان وصلوا !.

يلي هذا الركن وضع كتاب في الاحكام التي تختص بها هذه المحاكم ككتاب مجلة الاحكام المدلية في سهولته وترتيبه وتقسيمه إلى مواد معدودة ومسائل محدودة تلزم الحكم بها و بيان عدد المسألة التي يستند في الحكم اليها . ولا حاجة إلى التذكير بفوائد هذا الكتاب التي (منها) كون المتقاضين يعلمون منه الاحكام التي يحكم بها في دعاويهم فيطبقونها عليها او يطلبون الحكم بها . (ومنها) توحيد الاحكام في الدعاوي التي موضوعها واحد لا كما يقع الآن كثيرا من حكم المحاكم المختلفة بل المحكمة الواحدة في مثل هذه القضايا باحكام مختلفة يؤخذ فيها مرة بقول فلان ومرة بقول غيره ، ناهيك بما في

كتب فقه الحنفية من الخلاف في التصحيح والترجيح وما يكون في هذه الاحكام المتعارضة من الضائع وضعف الثقة بالدين واهله (ومنها) سهولة تناول الحكم وتضييق مسالك الخلاف فيه بين اعضاء المحكمة . و بوجود مثل هذا الكتاب تتحقق قاعدة كون الجهل ليس بعذر . وانه ليعسر الآن على من زاول كتب الفقه عدة سنين أن يعرف الحكم الذي يحكم به القاضي الشرعي في قضية ما فما بالك بمن لم يزاول هذه الكتب واكثر المسلمين لا يستطيعون ذلك

ولا بد من تعزيز هذين الركنين بثالث وهو وضع نظام لسير هذه المحاكم في اعمالها وكتبتها وسجلاتها ويجب ان تغل فيه يد رئيسها عن الاستبداد في الاعمال كعزل الكتاب ومتولي الاوقاف وموظفي المساجد واستبداد غيرهم بهسم أو تقديم بعض القضايا على بعض بل يجب ان يكون كتبة المحكمة كسائر عمال الحكومة لا يعزلون الا بمحاكمة يثبت فيها عليهم ما يوجب عزلهم . واننا لننتظر من حكومتنا الجديدة قانونا عادلا لمجالس أو محاكم التأديب التي يحاكم فيها جميع عمالها

أما الرسوم التي تؤخذ في هذه المحاكم وتقسم بين القاضي والكتبة فيغلب على ظني أن المالية تبطلها ان لم تكن قررت ابطالها بالفعل في الميزانية الجديدة وحددت مرتبات القضاة ورؤساء الكتاب وسائر الكتبة فان في أخذ المحكمة للرسوم مفاسد كثيرة لا تخفى على اولي الامر وما هم لها بمهملين

الركن الرابع من اركان الاصلاح جعل هذه المحاكم ابتدائية واستئنافية في كل ولاية كالمحاكم النظامية وابقاء التمييز في الاستانة ما بقي تمييز الاحكام المدلية فيها وان كان في ذلك مشقة على أهل الولايات البعيدة وتعويق للاحكام النهائية يرجى ان تتلافاها الحكومة أو يتلافاها مجلس الامة

وأقترح على باب المشيخة الاسلامية وعلى مجلس الامة ان يهدا الى اللجنة التي تنظر في اصلاح المحاكم الشرعية بمطالعة تقرير الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) الذي قدمه لنظارة الحقانية في شأن محاكم القطر المصري وما يلزم لاصلاحها ومطالعة لائحة محاكم ذلك القطر القديمة والنظام الجديد الذي وضع اخيرا فان في ذلك عونا كبيرا والله الموفق

خطبة

﴿ على اعضاء المجلس العمومي ببيروت ﴾

دعا كامل بك الاسعد كبير عشائر جبل عامل رفاقه أعضاء المجلس العمومي بولاية بيروت الى داره فيها وأعتدلهم مأدبة حضرها صاحب هذه المجلة وبعض وجهاء بيروت. وبعد الفراغ من الطعام وقف دعاس افندي جريس أحد الاعضاء وأثنى على رب الدار، وأطرى صاحب المنار، وأشار الى رغبة الحاضرين في استماع شيء منه في موضوع المجلس العمومي ورأيت الانظار موجهة الي تنتظر الاجابة فشكرت وقلت بعد مقدمة فكاهية ماملخصه:

ان للمجلس العمومي فائدتين فائدة اجتماعية وفائدة عملية أما الفائدة الاجتماعية فهي تنشئة الامة وتربيتها على الحكم النيابي اعني حكمها لنفسها بنفسها

ان أمر هذه المجالس العمومية من أفضل ما في القانون الاساسي من الاصلاح فلو لم يكن للامة أحد من قبلها ينظر في مصالحها إلا المبعوثون في عاصمة السلطنة لأمكن ان يبقى أهل الولايات ولا سيما البعيدة عن العاصمة جاهلين لمعنى مشاركة الامة للحكومة في ادارة مصالحها ولكن وجود أفراد من كل قضاء بكل ولاية في مجلس قريب منهم يشرف على اعمال حكومتهم وينظر في مصالحهم ومنافعهم هو الذي يعلمهم بالعمل معنى الحكومة الديمقراطية ويجعلهم واثقين بان حكامهم عمال مخلصون لا سادة قاهرون وانهم لا يستطيعون ان يستبدوا فيهم أو يظلموهم الا اذا ظلموا هم انفسهم

ان المبعوثين يشتغلون بأمور الدولة الكلية فمصالح الاهالي لا تتعلق بهم مباشرة وانما تتعلق بحكومتهم المحلية فذلك المجلس ينظر في القوانين العامة ولكنه لا ينظر في كيفية العمل بها في كل قضاء بحسب حاجته ولكن هذه المجالس العمومية هي التي تنظر في ذلك فتقرر اصلاح كذا من الطرق وانشاء كذا من المكاتب والمدارس في الاماكن التي تعينها والاهالي يرون ذلك بأعينهم ويعلمون انهم نالوه برأي نوابهم ونفوذهم في

حكومتهم فبذلك يتربون على الحكم النيابي ويعرفون قيمته فلا يرجعون عنه ولا يرضون بالحكم الشخصي بعده

ان مجلسكم هذا صورة مصغرة لمجلس المبعوثان فاذا قمتم بما عهد اليكم كما يرجى من غيرتكم وخبرتكم فانكم تكونون أولى من غيركم بالترجيح في الانتخابات القابلة لأن الاهالي يكونون قد وثقوا بكم عن تجربة وخبرة كما يكونون أكثر عناية بالانتخاب وأكبر أملا في المنتخبين

ان ماذكرت في معنى تربية الامة على الحكم النيابي أمر عظيم يجب ان يكون نصب أعينكم فان له علاقة عظيمة بمستقبل البلاد وعظمة الدولة . ان الدولة لا تكون دولة دستورية الا اذا استقر الحكم الدستوري في كل ولاية من ولاياتها وعمرت به البلاد وارتقى أهلها

ان كل ولاية من الولايات تعد عضوا من أعضاء جسم الدولة ولا يمكن ان يكون الجسم حيا قويا سويا اذا كان بعض أعضائه صحيحا و بعضها مصابا بالفالج .

ثم انني أذكركم بما لا تنسونه من ان في الامة حزبا يرى وجوب استقلال كل ولاية من ولايات الدولة في ادارتها الداخلية كالولايات الالمانية أو الولايات المتحدة فاذا كانت البلاد العثمانية غير مستعدة لذلك الآن واذا كان هذا الحزب الآن ضعيفا لا يستطيع تنفيذ رأيه فما يدرينا ماذا يكون في المستقبل البعيد أو القريب من أمره وأمر البلاد ؟ ألا يجوز ان يقوى بعد وان تكون الوزارة في يوم ما من أعضائه والرأي الغالب في مجلس الامة هو رأيه ؟ ؟ (يجوز يجوز) اذاً كيف يكون حال ولايتنا هذه وسائر الولايات العربية التي هي دونها ودون سائر ولايات الدولة في الاستعداد للاستقلال الاداري ؟ . انا نعترف باننا عاجزون الآن عن ادارة شؤون ولايتنا بدون استعانة باخواننا من الترك مع ان ولايتنا أرقى الولايات العربية وقد قلت من قبل وكتبت في المنار ان الولايات السورية تعد وسطا في الاستعداد والارتقاء بين ولايات الروملي وبعض ولايات الاناطول وبين سائر الولايات العربية كالعراق والحجاز واليمن . فيجب ان نرقي انفسنا وان نكون مصدرا أو عونا لسائر الولايات العربية على الارتقاء بل أقول ان اخواننا الترك الذين نعترف لهم بانهم أرقى منا لا يستغنون الآن

عن الاستعانة بالاجانب لترقية ولايتهم كما نحتاج نحن اليهم والى الاجانب

وهذا الرأي عندي قديم وقد كاشفت به متصرف طرابلس والوالي ايضا فمن المحتم ان نوجه جلّ عنايتنا للحكم الذاتي والاستغناء بانفسنا عن الاجانب

ايها الاعضاء الكرام: ان هذا الغرض الذي تطالبون به عظيم ولكن قوة الارادة في الانسان تصغر كل عظيم وتسهل كل عسير فاذا وجهتم عزائمكم الى ذلك بالاخلاص فانكم تصلون الى الغاية باذن الله

وقل من جد في امر يحاوله واستعمل الصبر الافاز بالظفر

يرى بعض الفلاسفة ان الانسان لا يجزم ارادته بامر ممكن الا وينفذ وكان الاستاذ الامام على هذا الرأي وقد قال اكثر من مرة انه لم يجزم ارادته بطلب شيء جزما تاما لا تردد فيه الا وحصل وقد كان حكماء الصوفية على هذا الرأي وعبر عنه بعضهم بقوله « ان لله عبادا اذا ارادوا اراد » اي اذا صح توجه ارادتهم الى شيء تعلقت به ارادة الله وما تعلقت به ارادة الله نفذ حتما فعلى الانسان ان يعرف قيمة نعمة الارادة فيوجهها الى خدمة وطنه جازما بانه أهل لأن يرقيه وهو بهذا يكون اهلاً له مهما كانت معارفه فان تفاضل الناس بالإرادة فوق تفاضلهم بالمعرفة فما كل عالم ينفع وكل من اراد ان ينفع فانه ينفع على قدر استعداده

هذا ما أحببت ان اذكر به من أمر الفائدة الاجتماعية في المجالس العمومية وأما الفائدة العملية فهي قسمان مادية وأهمها إصلاح الزراعة وتسهيل المواصلات وتعديل الاموال الاميرية · ومعنوية وهي التربية والتعليم والبحث في هذه المسائل يطول وأنتم أعلم بحاجة البلاد وطرق عمرانها من رجل مثلي ليس له مثل اختباركم ولكني أذكركم بثلاثة أمور تتعلق بالتعليم هي أهم المسائل في رأيي : مراقبة التعليم والتربية في المدارس، وإنشاء مدرسة للمعلمين ، واحياء لغة البلاد

ان مدارس الحكومة ليس فيها تربية ولا تعليم نافع بل ربما كان ضررها أكبر من نفعها وانما كان حظ الحكومة المستبدة السابقة منها هو التمتع بصورة الملك دون التربية التي تكوّن النفوس الفاضلة والتعليم الذي يربي العقول الكبيرة

ان الدول تؤلف في هذا العصر من عدة وزارات منها وزارة المعارف وهذه

الوزارة لا تكون بغير مدارس فكان بقاء المكاتب والمدارس في عهد الاستبداد الماضي لدولتنا لاجل استكمال صورة الملك والتمتع بها فان التمتع بالمظاهر الصورية له لذة كما ترون في تمثيل القصص وإلا فإن الاستبداد كان يحارب العلم حربا عوانا فان أردتم ان يكون التعليم نافعا في مدارس الحكومة فيجب ان تبدأوا بالامر الاول وهو مراقبة التعليم بان تطلبوا تعيين مفتشين ممن يرضى الاهالي معرفتهم وغيرتهم وصدقهم يتعاهدون هذه المدارس ويراقبون سيرة مديريها ومعلميها في التربية والتعليم . ثم ان فساد التعليم في الزمن الماضي قضي بان يكون المعلمون الاكفاء فينا اندر من الكبريت الأحمر فالاصلاح الحقيقي للتعليم يتوقف على إنشاء مدارس لتخريج المعلمين القادرين على التربية والتعليم بالطرق العصرية القريبة . يجب ان يكون الاستاذ المعلم على علمه بالفن الذي يعلمه مهذبا ليكون قدوة للمتعلمين في الفضيلة فان فاقد الشيء لا يعطيه . ويجب ان يكون مع ذلك عارفا بطرق التربية والتعليم فما كل مهذب يعرف كيف تتكون ملكات الفضائل في النفوس ولا كل عالم يعلم كيف ترسم مسائل العلوم في الاذهان فلابد من إنشاء مدرسة للمعلمين في مركز الولاية

واما احياء لغة البلاد واعني بها اللغة العربية فالذي نطالب به الحكومة من وسائله هو جعل تعليمها في مدارسها كلها الزاميا كأختها التركية وجعل دراسة العلوم في الولايات العربية بلغة أهلها وفي سائر الولايات بالتركية كما كان بحسب القانون والذي يقرر هذا هو مجلس الامة في الاستانة وانما على المجالس العمومية المطالبة به

لا يقال ان هذا يفتح علينا باب تعصب الجنسيات في الدولة وانا في أشد الحاجة إلى الاتفاق والتئام الاجناس فان الفرق بين العرب وبين ما عدا الترك من الاجناس واضح جدا

ان الشعب العربي يعد نحوا من ثلثي نفوس الدولة ويقل فيه من يعرف التركية وأما سائر الاجناس : الالبانيين والاكراد والارمن والروم فكلهم يعرفون اللغة التركية فلا يحتاج الحكام والموظفون فيهم الى معرفة لغاتهم ليحسنوا القيام باعمال الحكومة فيهم بل ان أكثرهم ليس لهم لغات علمية ذات فنون ومعاجم تصلح للتعليم، فالارمن قريبو عهد بتدوين لغتهم وجعلها تعليمية والالبان والاكراد

لا تتم لهم ذلك بل قرأنا في بعض جرائد هذا الشهر ان الالمان قد عزموا على اختيار الحروف العربية للتهم التي يشتغلون بتدوينها ومن المقرر ان غرض الحكومة الأول من مدارسها هو تخريج الموظفين الأكفاء فاذا كان المتخرجون فيها جاهلين باللغة العربية التي هي لغة أكثر العثمانيين يتعذر عليهم ان يقوموا بوظائفهم كما يجب في أكثر بلاد الدولة فان من يجهل لغة قوم يتعذر عليه ان يعرف حقيقة حالهم وما ينبغي لهم وما يتظلمون منه . ولا يقول عاقل انهم يستغنون بالمترجمين لما في ذلك من العسر والنفقات وأين يتم المترجمون ? على أن العربية ركن للتركية فتعلمها يزيد المتعلم كمالا فيها اما جعل اللغة العربيـة هي لغة العلوم والاكتفاء من التركية في بلادنا بالقراءة والكتابة فذلك ان الامة التي لا تتلقى العلوم بلغتها لا تكون امة علم وانما يكون مبلغها من العلم أن يوجد فيها بعض المترجمين لبعض ما يقرره العلماء المستقلون ولا يوجد فيها المحققون والمخترعون والمكتشفون

ان لغة الامة صفة مقومة لها واللغات التي يتعلمها بعض افرادها اعراض تعرض لها وتفارقها فاذا تلقت العلم بلغتها يصير صفة لها حية بحياتها نامية بنمائها واذا تلقته بلغة اجنبية فقصاراه أن يكون زينة عارضة لبعض افرادها ولا ارتقاء للامم في هذا العصر الا بالعلم فيجب علينا أن نبذل جل عنايتنا في تحصيل العلوم العصرية ونقلها الى لغتنا ولا حياة لنا بغير ذلك واننا في عملنا هذا لا نبعد عن اخواننا الترك بل نكون اخوة متساوين في المزايا والحقوق كما يجب أن يكون الاخوة . والمساواة الحقيقية لا تكون مع التفاوت في العلم والعرفان (فليس سواء عالم وجهول)

ارجو عفوا فقد اطلت عليكم عقب الاكل ووقت طلب الراحة فان خلطت في الكلام فربما كان سبب ذلك الخلط في الطعام ، وتوجه اكثر الدم الى المعدة واقله الى الدماغ والسلام

الحرية واستقلال الفكر

آخر خطبة لي ببيروت

دعيت الى حضور الاجتماع الشهري لجمعية الجامعة العثمانية ببيروت في أوائل هذا الشهر (آذار) فاقترح علي رئيسها ان أخطب فيهم بما يفتح الله به حاكيا عن رغبة الجمهور فقمت وقلت ما ملخصه بحسب ما أتذكر

أيها الاخوان الكرام

إن المسائل التي تحتاج الى البحث فيها واستجلاء غوامضها كثيرة جدا فمن الناس من اذا اقترح عليه ان يخطب يبادر الى الكلام في الموضوع الذي يتبادر الى ذهنه سواء كان مطابقا لمقتضى الحال يرجى ان يستفيد منه السامعون مايصحح أفكارهم أو يقوم أعمالهم أم لا . ومنهم من يرى هذه الطريقة منتقدة وانه لابد ان يخاطب الناس بما يتعلق بحالهم وما ينبغي ان يكونوا عليه في أفكارهم وأعمالهم فلا يحثهم على ماسبيل اليه ولايقرر لهم مالا يفهمون حقيقته

مثال من ذلك :ان بعض الخطباء يقف فيقول أيها العثمانيون عليكم ، بالاتحاد عليكم بالائتلاف ان الاتحاد هو مفيض العمران ومرقي الأوطان ورافع شأن الإنسان . ويكتفي بمثل هذه الخطابيات المجملة التي لا يعلم السامعون كيف يمكن العمل بها فان اتحاد المختلفين في التربية والتعليم والعقائد والأفكار والاخلاق والتقاليد والعادات من الامور لا يمكن ان تحصل بمجرد الحث عليها ومدحها و إنما يجب بيان ما يشترك فيه من يراد حثهم على الاتحاد واقناعهم بأن منافعهم ومصالحهم مرتبطة به وانها إنما تحفظ وتنمو باتحادهم واتفاقهم وتذهب أو تضعف بتخاذلهم وتفرقهم

أما أنا فأقول ان كل كلام صحيح المعنى لا يخلو من فائدة والفكرة الاجمالية لا تخرج الى حيز التفصيل إلا بابرازها بالقول أو بالكتابة ومن لم يستفد اليوم من الكلام

الصحيح فائدة تامة يرجى أن يستفيد غدا فليقل كل أحد مايرى أنه حق نافع وليقدم الاهم على غيره وهوما كانت حاجة الناس اليه اكثر • واذا قيل لنا ما هو أهم مانحتاج اليه الآن ؟ قلنا أننا محتاجون الى اشياء كثيرة من العلوم والاعمال لاجل ان ننهض لمانكون به أمة عزيزة ولكن نهوضنا يتوقف على أمر عظيم لايحصل بدونه • فما هو هذا الامر الذي هو شرط للارتقاء في كل علم وكل عمل بحيث يلزم من عدمه العدم ؟ ألا إنه هو الحرية الشخصية واستقلال الفكر

قد قلت في بعض الخطب التي تكلمت فيها عن الحرية ان استعداد البشر للارتقاء ليس له حد يعرف ولا غاية تحدد فاذا عاشوا ملايين من السنين يمكن أن يكونوا في ارتقاء مستمر لا ينقطع اذا كانت حريتهم في العلم والعمل مصونة من عبث المستبدين فهكذا ترتقي الامم على قدر صيانتها واحترامها للحرية وتتخلف عن الارتقاء بل ترجع الى الوراء على قدر عبثها بالحرية وتحكمها في الباحثين والعاملين

مضت سنة الله في البشر بأن الفكر يسبق العمل فاذا كانت أفكار العقلاء والاذكياء مضغوطة ممنوعة من الحركة والنمو فإنها لاتكون مستقلة والامة لا تخطو خطوة واحدة الى الأمام الا اذا أطلقنا العنان لجياد الافكار تجول في ميادين الكتابة والخطابة بلاحجر ولا ضغط لا فرق في ذلك بين المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها

يجب علينا أن نحترم رأي من يخالفنا كما نحترم رأي من يوافقنا لأن الفلاح متوقف على ظهور الحقائق وظهورها يتوقف على استقلال الأفكار وحرية البحث والكتابة والخطابة ولا يخاف على دينه من حرية البحث إلا من لاثقة له بدينه ومن كان واثقا بأنه على الحق فانه يعلم أن مخالفته فيه لا تزيده الا قوة وظهورا فقد نطق الكتاب العزيز بما هو ثابت عقلا واختبارا من أن الحق يعلو ولا يعلى وانه ماتصارع الحق والباطل الا وصرع الأول الثاني « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا »

علينا أن نبحث بعد هذا عن أنفسنا لنعلم هل نحن نحترم استقلال الفكر وحرية القول والعمل ؟ هل قمنا بحق هذا الشرط الذي يتوقف عليه كل مقومات الحياة الاجتماعية والسياسية واسبابها ؟ إن حكومتنا تركت الضغط على عقولنا وافكارنا

والحجر على ألسنتنا وأقلامنا لنكون احرارا في أقوالنا واعمالنا فهل صرنا أحرارا بالفعل؟

نعم أن الحكومة تركت الاستبداد والاستعباد وأباحت لنا الحرية طوعا أو كرها ولكننا ما قبلناها فان الافكار لا تزال مضغوطة محجورا عليها أن تبرز من مضيق الدماغ الى فضاء الوجود الخارجي والحرية الشخصية مهددة لا من الحكومة بل منا أنفسنا

في البلد حوادث حيوية كثيرة لا يكتب أحد من أصحاب الجرائد رأيه فيها بالحرية . ولماذا ؟ أيخاف من « المراقب » أن يرجعها له ؟ لا إن الجرائد لا تعرض الآن على المراقبين كما كانت تعرض في زمن استبداد الحكومة ولكن ما سقط مراقب الحكومة الا وتقاسم مثل عمله من لا يحصى من دهماء الأمة يفتاتون على أصحاب الجرائد وكتابها وعلى الحكومة نفسها وربما كان هذا الاستبداد أشد وطأة وأثقل ضغطا من استبداد الحكومة

إن جرائد بيروت كان لها مدير واحد لسياستها هو المراقب وكانت نسبة أصحابها ومحرريها اليه كنسبة محرري الجرائد الكبيرة في البلاد الحرة الى رئيس التحرير أو مدير السياسة . فكانوا اذا أرادوا كتابة شيء يتحرون أن يكون بحيث يرضيه وقد عرفوا ما يرضيه ويجيزه فلم تكن مراعاته متعذرة عليهم ولكن يتعذر عليهم الآن أن يعرفوا ما يرضي هؤلاء المراقبين الذين حلوا محله لأن عقولهم وآراءهم ليس لها قاعدة ترجع اليها ولا ميزان توزن به . فهل يمكن أن ترتقي الصحافة أو الافكار في بلاد يفتات على حملة الاقلام وارباب الافكار فيها كل أحد حتى البحار والحال وبائع الحمص والفول !!

انا قد تغنينا باسم الحرية في أيام إعلان الدستور وألقينا الخطب الكثيرة في وصفها ، وانشدنا القصائد العديدة في مدحها والتغزل بها ، وكان هتاف الجماهير للخطباء والشعراء « يعلو في الجو حتى يبلغ عنان السماء » وكتبنا ذلك الاسم الجميل « الحرية » بالخطوط الجميلة وزينا به البيوت والمعاهد العامة والخاصة والحدائق فظهرنا بمظهر العاشق الولهان لهذه الحرية الجميلة ولكنني اخشى أن نكون في عشقنا لها كعاشق أم عمرو ؟ ولعل بعض الحاضرين لا يعرف خبر هذا العاشق فاذكره إعلاما له وتذكيرا لغيره من بعض الناس بصديق له مرة قرأه على غير ما يعهد : وأنه قلقا مضطربا فسأله

عن حاله فقال إني عاشق ولهان لا يقر لي قرار ، ولا يطيب لي اصطبار ، ولا يهنأ لي طعام ، ولا يزور جفني منام ، قال له صاحبه من عشقت ؟ قال عشقت أم عمرو ، اجمل نساء العصر ، قال من هي أم عمرو ومتى رأيت وجهها المليح ، فبرح بك هذا التبريح ؟ قال لا أدري من هي ولا لمحتها عيني وانما سمعت رجلا ينشد في الطريق:

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردّي عليّ فؤادي اينما كانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه أبرع النساء جمالا وحسناء وأوفرهن من القسامة قسما ، لما قال الشاعر فيها هذا القول فعشقتها

وقد طال على هذا العاشق الاحمق عشق تلك المعشوقة المجهولة حتى مرّ به صاحبه يوما فاذا هو يبكي وينتحب قد ساورته الاحزان ، وواثبته الاشجان ، فسأله مادهاك ؟ فصاح أواه واويلاه ! لقد بليت بأشد المصائب وأعظم النوائب قد ماتت أم عمرو . وغلبه النشيج وأخذ في النحيب ، ولما سكت عنه الروع قال له ومن أخبرك بموتها فهل رأيتها وعرفتها ؟ قال لا ولكني سمعت الشاعر ينشد في الطريق:

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فقلت لولا انها ماتت لرجعت ولما قال الشاعر هذا القول

نعم انني أخشى ان تكون حريتنا المعشوقة ، هي أم عمرو المجهولة ، فان الحرية الحقيقية قد تعرفت الينا فنكرناها ، ورغبت فينا فرغبنا عنها ، وأحبت القرب منا فاخترنا البعد عنها ، والا فما بال الكثيرين منا ، يسلطون العامة على من يبدي رأيا يخالف رأيهم أو هوى أنفسهم ، يهددونه ويهينونه ، واذا لم يوجد له عصبة تمنعه منهم فانهم يضربونه ، ومتى كانت الحكومة المستبدة تضطهد حرية الفكر والعلم أشد من هذا الاضطهاد ، وتحاول استعبادا أقبح من هذا الاستعباد ، أي العبوديتين اذل ، العبودية للحكومة أم العبودية للعامة ؟

كان الخطباء والشعراء يقولون في أيام عيد الحرية في مدح الأمة مقصوراً مما يقولونه في مدح الحرية نفسها لاظهار التناسب بينهما ولا يزال كثيرون منهم يسمعوننا مدح أنفسنا ، ويشيدون بفضلنا وفضل سلفنا ، ويتمثلون بقول شاعرنا : نبني كما كانت أوائلنا الخ أما أخوكم هذا فيقول ان ما كان يقال في أيام عيد الحرية لا ينبغي أن يقال اليوم ولا في كل يوم . ان الأعياد في عرف الناس هي أيام السرور والابتهاج فيحسن ان

يتناسي فيها ما يسوء ويتحرى فيها مايسر ، وهذه أيام الجد والعمل فيجب ان نعرف فيها ما نحتاج اليه في هذا العصر لنجاري الامم العزيزة القوية ، الرائعة في بحبوحة المدنية ، لان أن نمني النفس بالأقوال التي يلذ سماعها ونترك السنن التي نرقى باتباعها ، ياقوم انا مرضى ومن كتم داءه قتله ، انا مرضى ويجب علينا ان نداوي أنفسنا ، ان الادوية لا يقصد بها اللذة ، بل يقصد بها المنفعة ، هل سمعتم ان الأطباء يداوون المريض المدنف باطعامه اللحوم المعالجة بالبقول والافاويه والكنافة والبقلاوة والاشربة المثلوجة ؟ لا لا انهم يداوونه بالمسهلات البشعة الطعم والكينا المرة وربما داووه بالسكين بنال شيئا من بدنه . وكذلك تكون أدوية الامراض النفسية . وانه ليسوءني ان أصرح لكم بما يولمكم ولكنها الحقيقة لا بد منها وان كانت مرة كالدواء ، أخوك من صدقك لا من صدقك ،

ان من فضل الحرية علينا ان صرنا قادرين على البحث عن مرضنا وعلى الاجتهاد في معالجته فيجب ان نعرف قيمة هذه النعمة وان نشكر الله تعالى عليها بالعمل الذي نستفيد به منها

أعود فأقول انا لا يجوز لنا ان ندعي انا عرفنا الحرية وانا نقدرها قدرها الا اذا كنا نحترم استقلال الفكر فلا نعارض أحدا في إبداء رأيه واظهار علمه باللسان أو القلم ولا يمكن ان نخطو خطوة واحدة الى الامام بدون هذا

فعليكم أيها الفضلاء المحبون لخير أمتكم وتقدم بلادكم أن تنصروا الاستقلال الذاتي والحرية الشخصية وأن تبذلوا الجهد المستطاع في بث هذا الفكر في طبقات الأمة وتقنعوا أولئك الذين نسمع أخبار افتياتهم على الكتاب وأصحاب الجرائد بأن عملهم هذا ضار ببلادهم وان الذين يغرونهم بذلك هم اهل الاهواء الذين يتبعون حظوظ أنفسهم ولو فيما يضر بلادهم

انصروا حرية البحث والطباعة لكي تتجلى للأمة الحقائق فتعرف ما يضرها وما ينفعها ولكي تترقى فيها العقول الكبيرة بعد رفع الضغط عنها . ان تعملوا هذا تخدموا بلادكم أجل خدمة . وأراني اطلت عليكم في هذا الكلام الحار مع حرارة الجو بكثرة الاضواء وازدحام الناس فحسبي هذا والسلام

خوارق العادات

﴿ في الاسلام (*) ﴾

اطوار البشر والمعجزات - المعجزات العقلية والحسية - علم الغيب - التنويم المغنطيسي
استحضار الارواح - الكهانة - الاحلام - السنن الكونية والمعجزات
جرائم الامم والافراد والعقوبات الالهية عليها

أتى على الانسان حين من الدهر كان في طور أشبه بطور الطفولية ، فسادت الأوهام والخرافات على العقول البشرية ، وكثر بين الناس الدجالون والمحتالون ، والسحرة والمشعوذون ، وملكوا نواصي الناس بافكهم وكذبهم ، وصاروا يتصرفون في جميع أمورهم ، فما كان أحد يقدم على عمل ما إلا بعد مشاورتهم ، والاسترشاد برأيهم ، فكان الناس في أيديهم كالانعام بل هم أضل سبيلا : عقول فاسدة ، وآراء كاسدة ، وأفهام ساذجة ، وبصائر قاصرة ، وجهل وأوهام ، وخرافات وخزعبلات ، تقيمهم وتقعدهم ، وتفرحهم وتحزنهم ، وتخيفهم وتزعجهم ، فاذا برق بارق من السماء ارتجفوا واضطربوا ، وإذا نزلت صاعقة من السحاب ماجوا وارتعبوا ، وإذا أصابهم مرض ما علقوا لدفعه الاوراق ، أو استنجدوا براق ، وإذا نظر إلى بنيهم ناظر حوطوهم بالتمائم ، وأطلقوا حولهم بخور المباخر ، وإذا كسفت الشمس أو خسف القمر صاحوا ودقوا الدفوف وقرعوا الطبول لإرضاء آلهتهم على مايزعمون — إلى غير ذلك من الاوهام والأباطيل .

هذا كان شأن الجماهير إلا من شذ منهم وندر ، وأضاء الله عقله بشيء من نور العلم ومع ذلك ما كان يسلم عقله من جميع ترهاتهم

سار الله تعالى مع تلك الأمم في هذا الطور سير الأب الحكيم مع أبنائه في طفوليتهم فأكثر فيهم الهادين والمرشدين والأنبياء والمرسلين فأكثروا من وعظهم ونصحهم وانذارهم ووعدهم ووعيدهم . وخذلوا من كانوا متسلطين على عقولهم من

(*) بقلم الدكتور محمد افندي توفيق صدقي الطبيب بسجن طره

السحرة والمشعوذين بما أجراه الله على أيديهم من المعجزات ، وأظهره لهم من الآيات البينات ، التي تركت السحرة مغلوبين في أمورهم ، حيارى في شأنهم ، ولولا تلك الآيات لما قدر الانبياء على تخليص أممهم من حبائل الدجالين والمحتالين ، بل الابالسة والشياطين ، فكانوا إذا ظهرت تلك المعجزات بهرت منهم العقول وحيرت الافكار وأعجزت السحرة وأدهشت الناس فيخضع المستعد منهم لهيبة من ظهرت على أيديهم فيؤمنون له ويتبعونه ويطيعونه فيما يأمرهم به (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) ثم يأخذ الله المعاندين الذين خالفوا ضمائرهم وكابروا عقولهم وأبصارهم ولم يميزوا بين الغالب والمغلوب ، والصادق والمكذوب ، بأنواع من العقوبات تناسب أحوالهم جزاء لهم وعبرة لغيرهم لعلهم يرشدون

مضت الأيام والأعوام ، وتوالت القرون والأجيال ، وانتقل البشر من حال إلى حال ، وارتقوا من طور إلى طور . فأخذت العقول تستنير ، والأفكار تضيء والسحر يضمحل ، والانبياء من بينهم تقل ، حتى ختمت النبوة ببعثه سيد الانبياء والمرسلين . وأكبر الهادين والمصلحين

كان البشر في عهد البعثة المحمدية ، قد خرجوا من طور الطفولية إلى سن الرشد فأصبحوا لا يناسبهم من الدلائل والبراهين ما كان يناسبهم في القرون الأولى وقل فيهم تأثير المحتالين والدجالين والسحرة والمشعوذين . وصاروا يرجون الهداية من طريقها ، فساعدهم الاسلام على ذلك ونهج بهم منهجا لم يسبقه به دين من قبل ، فجعل الحجج العلمية والدلائل العقلية رائده في جميع دعاويه وعليها معتمده في كل مبانيه ، وقلل من شأن المعجزات الحسية بقدر الامكان ، حتى لاتكون عقبة في رقي عقل الانسان في مستقبل الزمان ، (وما كان لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل كتاب * يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فان البشر في عهد النبوة المحمدية ، أخذوا يدركون قيمة المعجزات الحسية ، وأنها لا علاقة بينها وبين دعوى النبوة ، وأنها لا يسهل تمييزها عن غيرها من أعمال السحرة والمشعوذين ، والصناع الماهرين ، وأنها إن أقنعت تلك العقول القديمة وأرهبت تلك النفوس وهي صغيرة وحملتها على الايمان فانها أصبحت لا تغني العقل فتيلا ولا تزيد الأمور إلا تعقيدا . وأن الدليل

إن لم يكن له من العقل أكبر نصيب فهو أضعف ضعيف . ومن كان يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم تلك المعجزات فما كان يريد بها إلا الاعنات والاعجاز ، والسخرية والاستهزاء ، وإلا فان أمامه من البراهين والآيات ما يشفي علة النفوس ويروي غلة العقول (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وأما ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات الحسية فلم يكن يراد به إلا إفحام المعاندين المستهزئين ، والزيادة في تثبيت ضعفاء المهتدين . وقد كان جل اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات دعوته على القرآن وحده . كما يتضح ذلك لمن تدبر آياته . فانه هو المعجزة التي تلتئم مع الدعوة وتعلو بالعقل إلى مستوى العلم والفهم ، وتناسب حال الاجيال من بعده فلا تقف عقبة في سبيل نظرياتهم وتفكيرهم ، ومعلوماتهم واختراعاتهم ، ولا تلتبس عليهم بحيل الدجالين وتدليس المحتالين ، ولا بكذب القصاصين وافك الراوين ، وتخيل الواهمين واختراع الكاذبين ، بل تساعدهم على البحث وتحضهم على التفكير والنقد والتمحيص والاستدلال والاستنتاج

فبعثة محمد صلى الله عليه وسلم ختم عصر العجائب والغرائب وبدأ عصر العلم والعقل فهو الحد بين العصرين فلذا كانت معجزاته تشمل هذا وذاك وكان أجلها وأكبرها والباقي منها وهو القرآن مناسبا لزمنه عليه السلام ولكل ما أتى ويأتي بعده من الازمان فلا يناسبها غيره

وكما ختم عصر المعجزات ، وتمت النبوات ، كذلك أغلق باب الكهانة فكأن الله تعالى في العصر الأول والبشر في طور الطفولية كان يتجلى لأبصارهم وفي العصر الثاني وهم في طور الرجولية صار يتجلى لبصائرهم أكثر مما يتجلى لأبصارهم . فان بصائرهم في العصر الأول كانت ضعيفة لصغرها فلا تتحمل أن تراه فلذا كان يظهر لأبصارهم بأنبيائه ورسله الكثيرين وآياته ومعجزاته وبعض مخلوقاته كالجن الذين كانوا يسترقون السمع من الملأ الاعلى فيخبرون به بعض البشر وذلك لان الأب مع أطفاله يكثر التكلم معهم وتأديبهم وتهذيبهم وترغيبهم وترهيبهم ومكافأتهم بالماديات أو معاقبتهم على حسب ما يبدر منهم فاذا صاروا رجالا كف عن ذلك

وا كتفى بابداء بعض تعاليمه العامة و إرشاداته المكتسبة من طول التجربة والاختبار وتركهم يستعملون عقولهم فيما يرونه صالحا لهم كذلك فعل الله تعالى (وله المثل الاعلى) بعد أن بلغ الانسان رشده أعطاه الشريعة العامة والقواعد الثابتة وأباح له التصرف في الامور بحسب ما يرشده إليه عقله فبعد أن كان يوحي للأمم السابقة كبني اسرائيل مثلا في كل جزئية من جزئيات الامور اكتفى الآن بما في القرآن الشريف من القواعد العامة والاصول الثابتة فانها مع ما يوحيه إلينا العقل كافية لهدايتنا في جميع الامور بعد أن بلغنا رشدنا

لذلك أغلق الله تعالى باب الوحي والمعجزات والكهانة وأخبرنا بذلك كله صريحا في الكتاب العزيز فلم يبق لمحتال علينا حيلة ولا لمشعوذ أدنى وسيلة و بذلك خلص العقل البشري من الأوهام والخرافات والترهات ، وأصبح طريق العلم أمامه واضحا لا يحجبه عنه حاجب ولا يقف أمامه فيه واقف . ولكي لا يبقى هناك ثلمة في نفس أحد من المؤمنين يصل إليه منها شيطان من الشياطين نص الكتاب العزيز نصا صريحا لا يقبل التأويل على أن الغيب علمه عند الله لا يعلمه إلا هو وأن الأمور كلها بيد الله يصرفها كما يشاء لا يراعي فيها مجاملة أحد من عباده فقال مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء ، إن أنا إلا نذير و بشير لقوم يؤمنون) ومثل ذلك في القرآن كثير يصعب ان يستقصى في مثل هذه المقالة

يقول واهم إذا كان الغيب لا يعلمه أحد إلا الله فما بال التنويم المغنطيسي واستحضار الارواح والأحلام الصادقة تكشف كثيراً من الغيب وكانت الكهانة تكشف كثيرا منه من قبل ؟

فاعلم أن الشخص في حالة التنويم المغنطيسي لا يمكنه أن يعلم شيئا مما لم يوجد فلا يمكنه أن يطلع على الغيب أي لا يمكنه أن يعرف شيئاً مما لم يكن له وجود وهو في تلك الحالة المخصوصة وغاية الأمر أنه لا يحجبه عن رؤية بعض الموجودات حاجب لصفاء روحه عن كدورة المادة إذ ذاك ومن هنا تتسع دائرة معلوماته عن بعض

الموجودات فيمكنه أن يخبر بالقياس أو الاستنتاج مما علم عن بعض أشياء قبل وقوعها كالامراض التي ستصيبه مثلا بعد وقوفه على حالته الجسمية كما يخبر الطبيب عن بعض الاشياء المرضية قبل حصولها لمعرفته الأمراض واسبابها ومسبباتها وأعراضها وكما يخبر الفلكي عن الكسوف والخسوف قبل وقوعهما أي إن الشيء إذا لم يكن موجودا فلا يمكن العلم بوقوعه إلا قياسا أو استنتاجا اواستنباطا من موجود و إلا فالغيب (وهوماغاب عن الانسان لعدم وجوده مطلقا أولعدم وجود ما يستدل به عليه) علمه عند الله لا يعلمه إلا هو ولا يعلمه أحد من عباده إلا إذا أطلع هو (جل شأنه) أحدا على شيء منه فيخبر به ويفشو بين الناس كما أطلع الله رسله (الملائكة والانبياء) على بعض الغيب فعلموه وعلمه الناس منهم وكما كان يعلم بعض ذلك بعض الجن قبل إبطال الكهانة واستراق السمع من الملأ الاعلى فيخبرون به بعض البشر فيخيل للناس أنهم يعلمون الغيب والحقيقة أنهم أخبروا بما أخبروا به لصلة بينهم و بين عالم الأرواح و إن كانوا يكذبون في كثير مما أخبروا به . ولنا الآن في مسألة استحضار الأرواح دليل قاطع حسي على إمكان اتصال البشر (ومنهم السكينة) بالعوالم الاخرى الروحية (ومنهم الملائكة والشياطين) وبذلك يمكن البشر الأطلاع على بعض المغيبات من هذا الطريق كما يمكنهم أن يطلعوا على بعضه في طريق الاحلام الصادقة، فانها من بقايا الوحي إلى بعض النفوس الصافية، وفيها يُري الله تعالى بعض عباده شيئا مما سيكون بارادته كما كان يوحي إلى الانبياء من قبل وليس للبشر في معرفة شيء من ذلك اختيار بل هو شيء يفعله الله متى شاء وكيف شاء

أما علم أحد من تلقاء ذاته (أي بدون وحي أو سماع من غيره) بغيب حقيقي (أي لا يستدل عليه من موجود) فهو محال إلا على الله الفاعل المختار الذي يفعل ما يشاء متى شاء وكما شاء ودعوى معرفة أحد غيره الغيب دعوى باطلة كاذبة ولا يمكن لأحد الجزم بوقوع شيء من الغيب باليقين وما يقع منه مطابقا للخبر فلا يكون إلا اتفاقا مالم يكن موحى به

فالغيب المنفي علمه في القرآن الشريف هو هذا الذي ذكرناه أي الغيب الحقيقي لا مطلق الغيب . فان الغيب أمر اعتباري فما غاب عنك لا يغيب عن

غيرك وما لم تعرفه لجهلك بشيء مما يعرفه غيرك من علم هذا الشيء

أما مسألة إنكار المعجزات بسبب مخالفتها لما اعتاده الناس فهي من السخافة بمكان . نعم إن سنن الله تعالى في هذا العالم لا تتبدل ولا تتغير كما نطق به القرآن الشريف في عدة مواضع منه ولكن خرق العادة ليس خرقا للسنة فان من سنة الله إيجاد الشواذ في كثير من الأشياء المعتادة إذا اقتضت حكمته ذلك . ولذلك نشاهد في عالمي الحيوان والنبات من الشواذ التي يسمونها (الفلتات الطبيعية) ما يصعب حصره وما قال أحد بأن هذه الشواذ خارقة لسنن الكون ونواميس الوجود وإن كانت خارقة للمعتاد . ولو سألتهم عن حكمة وجودها أو عن كيفية خلقتها لعجزوا عن الجواب . أما نحن فنقول إن الحكمة في وجود مثل هذه الاشياء الشاذة هي أن الله تعالى يريد أن يرينا شيئا من مبلغ قدرته وعظمته وأن قدرته تعالى لا تقف عند الحد الذي عهدناه بل هي أوسع من أن تحيط بها مداركنا وأما كيفية خلق هذه الشواذ والعلل المباشرة لتوليدها فانا نجهلها الآن كال الجهل وربما علمنا عنها شيئا في المستقبل . كذلك نحن نعلم حكمة إيجاد الله تعالى للمعجزات وهي أنها تخيف الناس وتلجئهم إلى الاحتماء بالانبياء فيتعلقون بهم ويؤمنون لهم ويتبعونهم فتصلح حالهم . وتنفرهم من أعمال السحرة والمشعوذين وتبعدهم عنهم . ولكنا إلى الآن لا يمكننا أن نفهم كيفية إيجادها ولا الأسباب التي تنشئها وغاية ما نقول إنه هكذا أوجدتها القدرة الإلهية كما يقول الطبيعي عن الشواذ هكذا وجدت وإن كان عقله لا يدرك كيفية وجودها .

قد يقول قائل إن هنالك فرقا عظيما بين المعجزات وبين هذه الشواذ الطبيعية التي اتخذتها مثالا لها فالمعجزات لا يشاهدها أحد الآن بخلاف الشواذ فانها تشاهد كل يوم فان كانت المعجزات حقيقية وجارية على سنن الكون فلم انقطعت الآن ؟ ؟ ونقول أما انقطاع المعجزات فهو لانقضاء زمن الأنبياء ولو وجد داع لها الآن لوجدت كما أن كثيرا من الشواذ في العالم الطبيعي قد انقرضت الآن لانقراض الحيوانات والنباتات التي كانت تظهر فيها . فكان سنة الله تعالى في هذا العالم هي أنه إذا وجدت الحكمة لظهور المعجزات تظهر ،

ولو وجدت بعض الأنواع من الحيوانات والنباتات البائدة لوجد فيها من الشواذ المخصوصة في خلقتها وكيفية معيشتها ما يدهشنا الآن ويعد من العجائب والغرائب. وقد كانت الاحياء في مبدأ أمرها تتولد من الجمادات مباشرة وهو ما يسمونه (التولد الذاتي) وقامت البراهين القطعية على ذلك والآن لا يوجد شيء منه مطلقا فلمَ لا ينكره المنكرون لاقتضاء عهده الآن كما انقضى زمن المعجزات؟؟ إن هذا الامر عجاب !!

بقيت كلمة واحدة تتمة لهذا الموضوع وهي أننا قلنا فيما سبق ما معناه إن الله تعالى كان يؤدب الأمم السابقة ببعض أنواع من العقوبات المادية كالخسف والمسخ والقحط فهل ما يقع الآن بالأمم من ذلك هو جزاء لهم على أعمالهم أم لا ؟

الجواب — إن ما يفهم من القرآن الشريف هو أن ما يقع بالأمم من المصائب المهلكة هو عقوبة لهم على أعمالهم (وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وكذلك ما يصيب الأشخاص من المصائب هو في الغالب جزاء لهم على ذنب ارتكبوه (إن ربك لبالمرصاد) (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ولكن لا يفهم من ذلك أن جميع المصائب هي بسبب ما كسبه الانسان بل إن ذلك بحسب الغالب . فان الآية لا تدل على التعميم وإذا فهم منها العموم فانه يخصص بمثل قوله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات) الآية . أي إن بعض المصائب قد يراد بها الاختبار أو غيره لا العقوبة كما أن قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) لا يراد به ظاهره مع أنه أصرح في إفادة الكلية من قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة) الآية . فالله تعالى لم يترك البشر في هذا الطور (طور العلم والعقل) بدون مراقبة ومجازاة لهم على أعمالهم كلا !! بل هو أرحم من الأب الحكيم لا يترك أبناءه إذا كبروا بدون تأديب لهم إذا كثر إجرامهم بل قد يتداخل في أمورهم ويعاقبهم على ما يجرمون . فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون .

(المنار) اتبع الدكتور فيما ذكر من ترقي الدين رسالة التوحيد وهذا هو الاصل في نسخ الشرائع الذي يحتج به عليه الشيخ صالح اليافعي في الرسالة التي بعد هذه وهو لا ينكره . ويرد عليه ان الخوارق لم تنقطع ولكنها لم تعد حجة للدين في هذا العصر كالعصور الأولى

باب المراسلة والمناظرة

رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين (*)

١

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهدأن لا آله الاالله واشهدأن محمدا عبده ورسوله (ص) وانه بلغ الرسالة وادى الأمانة صلى الله عليه وعلى آله واصحابه واتباعه الى يوم الدين

أما بعد فاني قد وقفت على الكلمات التي كتبها في الرد عليّ حضرة العلامة والمفضال الفهامة الدكتور محمد توفيق صدقي وفقنا الله وإياه الهداية والتوفيق آمين وحيث إني رأيته لم يأت بدليل جديد وانما كرر كتابة ما قد بينت للقارئين فساده في رسالتي السابقة أردت اختيار السكوت وان أفوض الى قراء المنار وغيرهم من علماء الاسلام تولي ترجيح أحد القولين والحكم بتخطئة أحد الخصمين بعد الفحص عن أدلة الطرفين. ولكن ألح علي في كتابة جواب الجواب من يعز علي من أهل البيت الاطهار نخبة الاخيار سيدي احمد بن حسين العطاس باعلوي سلمه الله وحفظه وكذلك كثير من حزب الله المفلحين المصلحين الصادقين محبي المنار الأغر فاخترت الله واستعنته على كتابة هذه الجملة المختصرة لأنه اخانا الفاضل على أن ما كتبه في

(*) جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح اليافعي يرد بها على الدكتور محمد توفيق صدقي ثانية فأثبتناها على طولها ليأخذ الموضوع حقه من البحث فانه من أهم المسائل الدينية في هذا العصر

هذا الرد هو نفس ما كتبه سابقا مما قد بينا ولله الحمد خطأه وايضا هو لم يبطل شيئا مما كتبناه في رده لا بنص نقلي ولا بدليل عقلي

واما ما ذكر من شبهات غير المسلمين فهي مما لا قيمة لها اذا عرضها الفاحصون على معيار التحقيق وغاية محصلها أن تكون من اضعف الشبهات التي ربما تعرض وتعلق بخيالات غير الواقفين على حقيقة دين الاسلام — وها أنا ذا أقدم للواقفين بيان قيمة كل شبهة اوردها العلامة الممدوح عنهم ووجه دلالتها ثم اتبع ذلك بردها وألتمس من حضرة سيدنا شيخ الاسلام ومرشد الانام مولانا السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار أن يصلح ما فيها من القصور والخطل وان ينبه أحدنا على زلته ، ويدله على محل عثرته، ولولا أن بذل النصيحة في الدين واجب لم اكتب ولا حرفا واحدا ولكن امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم «تناصحوا في العلم فان خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله وان الله مسائلكم» ولنشرع في المقصود بعون الجواد المعبود فاقول:

قال العلامة الفاضل سلمه الله ووفقنا وإياه للصواب « الكلمة الاولى في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة النسخ في القرآن » الى آخر ما نقل عنهم وحاصله أنهم اعترضوا على صحة دين الاسلام ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوجود النسخ الذي يسلمه المسلمون في القرآن لانه أي النسخ لا يكون الا اذا كان المنسوخ ناقصا ومعيبا إما في مغزاه أي غاياته أو معناه أي مدلول لفظه أو بلاغته المخل باعجازه أو ان الحكم لا يرضاه الناس أو أنه لا ينفعهم أو انه قد يضر بمصلحتهم

فمحصل ماذكروه ان النسخ لا يكون الا لذلك وكأنهم يريدون ان صدور ذلك من الرب واجب الوجود محال واستنتجوا من ذلك استحالة أن يكون دين الاسلام منزلا من الرب أي لوقوع ذلك فيه واعتذروا عن قبول العقلاء لذلك بأن سببه كمال محمد (ص) في الدهاء والتحيل بحيث صار يلعب بعقول اصحابه وذكر عنهم ماملخصه وحاصله ان محمدا (ص) لم يتم له ما أراد من التشريع الا بعد اصلاح ما وقع في دينه من العيب والنقص وابدال ما انتقده عليه المنتقدون أو عارضه المعارضون أو عرف انه يكون كذلك ولو بعد حين ولذلك تعلق بدهائه الى اخفاء عيبه وعيب دينه بتجويز وترويج مسئلة النسخ في قرآنه ونقل عنهم انهم قالوا وقد ضاع بسبب ذلك مما أتى به

من القرآن آيات كثيرة مجاذ كرها في أحاديث المسلمين وكأنهم يريدون بذلك انه كما انه يستحيل بزعمهم ان يكون القرآن منزلا من الله فهو أيضا غير محفوظ ولم ينقل الينا كله ،ودعوى المسلمين ان ذلك مما نسخ الله لفظه تحكم غير مقبول ،اذ لم يقدر المسلمون على تعليل ذلك بعلة معقولة — ونقل عنهم أيضا انهم يزعمون ان ماقي من القرآن في أحكامه شططا وان عباراته متناقضة مختلفة — وذكر عنهم اعتراضا على بعض أجوبة المسلمين التي ذكرناها في رسالتنا السابقة لتسويغ نسخ لفظ القرآن حيث قلنا ماأدى وظيفته لايلزم بقاؤه فنقل عنهم في معارضة ذلك ان القرآن مشتمل على مسائل خاصة بمحمد (ص) وأهل بيته ولافائدة منها لأحد سواه قال فاذا صح عند المسلمين نسخ الفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضى زمنها فلماذا لم تنسخ ألفاظ مثل هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضى زمنها وما حكمة آية الرجم مثلا مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين ؟ انتهى

أقول والكلام على ماأورده عنهم من وجوه

(احدها) ان قول ان بعض هذه الشبهات كقولهم وما بقي من القرآن بعد هذا التصحيح والتنقيح نجد شططا في كثير من أحكامه فضلا عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات الى آخره لاترد علينا ولاعلى من يقول ان القرآن الموجود فيه ناسخ ومنسوخ وانما ترد على خصوص مذهب الدكتور وهو لاينفصل عن هذه الإيرادات ولا يستقيم مذهبه الا اذا سلك مسلك التأويل المناقض لظاهر الدلالات في هذه المواضع ، والتأويل اذا صار لايصح الا بحيث يكون المعنى المؤول اليه انما يدل عليه بألفاظ غير ماعبر الله به عنه فهو يكون لامحالة من باب التبديل والتحريف الذين ذم الله أهلها ونهى عنهما وكما ان مثل هذا التأويل مردود عند أهل الحق من المسلمين فغير المسلمين أيضا لا يقتنعون به وهو أعظم منفر لهم عن الاسلام ، لجواز ان يعتقدوا ان ذلك إصلاح خلل وتكميل نقص في القرآن والدين — فاعتراضاتهم السابقة على النسخ هي واردة على مثل هذا التأويل وقبولهم تكذيب ما نقله المسلمون فيما تقدم ضرب من المحال ،

اما نحن القائلون بجواز النسخ في الأديان ووقوعه في القرآن فلا ترد علينا منه

الشبهات لا في الدين ولا في خصوص القرآن ، وانما يلزمنا الاستدلال على جواز النسخ عقلا ويحسن منا إذا بينا حسنه وحكمته في المورد المعين ومن قصر عن إدراك ذلك فلا يضره ذلك ولا يضر الدين أيضا — لان جهلنا بالشيء لا يستلزم عدمه في الواقع — وانما يضر لو كان بعض ما علمنا انه من الدين مخالفا للحقيقة في نفس الأمر وليس في الاسلام شيء من ذلك — وفضلا عن الايرادات والشبهات الواردة على دين أو مذهب مؤلف من هذه التأويلات المنفرات لمن يريد انتحاله التي لو أردنا إيرادها لطال بها الكلام فان مدلول النسخ الذي يمكن ان ينكر وقوعه المنازعون أو يورد الشبهات عليه الزائغون والتأويل الذي يؤقل القرآن اليه حضرة الفاضل الدكتور متحد لا فرق بينهما الا أن هذا الاخير يكون من الرب الذي يفعل ويأمر بالحكمة والعدل فليتأمل الناظرون ولينصفنا اخونا الدكتور الفاضل — ثم ليدلنا على مورد شبهات غير المسلمين الصحيح — أهو على من يقول بوقوع النسخ في القرآن للمصلحة الراجحة والحكمة العادلة أم على من يعترف بصحة شبهاتهم ثم يعدل الى التأويل المذموم الذي لم يأذن الله به ولادل عليه نبيه صلى الله عليه وسلم

وليعلم القراء الكرام ان ما اعترض به علينا في نسخ الاحكام غير المسلمين هو وان كان فاسدا كما سيأتي إلا انه وارد عليه أيضا لانه قائل بوقوع ذلك في السنة بل السنة القولية منسوخة عنده كما صرح بذلك مرات وناسخ ذلك احتمال تقدير سبب من جملة احتمالات لحديث أبي سعيد (رض) المختلف في رفعه ووقفه المعارض بما هو أصح وأصرح منه ومتأخر عنه كل ذلك مع ترك العلة والسبب المنصوص في ذلك كما سيأتي بيان ذلك في الكلام على وجوب العمل بالسنن القولية النبوية فانتظره —

فاذا عرفت ذلك لم يبق مما ذكر من شبهات غير المسلمين ما يخصنا الجواب عنه دونه إلا ما يورد على نسخ اللفظ فقط

(الوجه الثاني) ان مثل هذه الشبهات فاسدة في نفسها لا يصح ان يوردها الا من كان لا يجوز النسخ في الشرائع مطلقا أي ولا يجوز نسخ شريعة نبي متأخر

لشريعة نبي متقدم عنه مطلقا حتى ولا من بعض الوجوه في حكم من الاحكام لان من جوز ذلك في شيء مخصوص لزمه تجويزه فيما سواه اذا وجدت العلة أو نظيرها وبالاولى فيما هي به أولى . فاذا جاز نسخ شريعة نبي لشريعة نبي قبله فمن باب أولى جواز نسخ بعض شريعة لبعضها الآخر . لأن نسخ دين النبي المتقدم وشريعته الثابتة المقررة عند أمته وأتباعه أشق وأبعد من كل بعيد عن معتقداتهم الموروثة لاسيما اذا كان قد تدين بها أنبياء كثيرون لان ماجاء به العدد الكثير قد تستبعد بعض العقول نسخه بما جاء به الواحد — فما يسلمه الدكتور الفاضل من النسخ هو أولى بايراد الشبهات مما ينكره — ولما كان نسخ بعض الشريعة لبعضها الآخر يكون منوطا بمناسبة الاحكام لافراد معتنقيها المعينين — كان كلما كثروا تتجدد الاحكام وتعدل على الحد الوسط المشترك بين أكثر مجموع الامة ليكون الدين شريعة عامة فلهذا ونحوه كان النسخ في الشريعة الواحدة لطفا حسنا وعليه فالنسخ في شريعة أي نبي من الانبياء حين حياته أبعد عن اعتراض المعترضين عليه منه فيها بعد ثبوتها فثبت ان حكم نسخ شريعة لشريعة أو بعضها لبعضها سيان مطلقا ان لم نقل جواز ذلك في الاخير أظهر والله أعلم

ثم نقول لمن لا يجوز النسخ مطلقا انا لا نسلم ان النسخ لا يكون الا لنقص أو عيب في المنسوخ بحيث يستلزم نقص الشارع ومعاذ الله من ذلك لانا نقول إن النسخ في الأديان لازم ومساوق لترقي نوع الانسان فلنا ترق ديني وترق طبيعي ولا يكون الاول الا لحكمة ومصلحة راجحة ؛ فالحكم الثاني الناسخ يوجد عند ما تكون الامة مستعدة له وتخطو إلى التقدم من المقام الاول الذي يحسن ان تنتهي مدة الحكم المنسوخ بجوازها له — لان ما يناسب البشر في أول نشأتهم قد لا يناسبهم بل قد يجب ان لا يكلفوه في أوائل حالهم وما كانت الأمم السالفة محجورة عنه لمصلحة سد الذريعة قد يجب في هذه الازمان رفع حجرهم عنه إذ لو كلف الجهال ونحوهم ما يتسع له العلماء لازم وضع الشيء في غير موضعه المناسب له وهذا من لازمه قلب الحقائق ولو حجر على العقلاء البحث في الحقائق المستعدين لادراكها

وتقديرها قدرها لكان في ذلك الظلم المنزه ربنا عنه ولو كلف الضعيف عقلا أو جسما لا يطيقه هو أو ما لا يطيقه إلا من هو أكمل منه لكان كذلك واذا استحال كل ذلك فلا شك ان حالات الامم السالفة واستعداداتهم تخالف حالات الأمم واستعداداتهم اليوم فتكليف بني الانسان اليوم بشرائع أولئك أو العكس اقل حالاته ان يكون تكليفا بما لا يناسب النشوء الفطري والترقي التعليمي وحينئذ لو كان ذلك تكون احكام الدين من باب تكليف ما لا يطاق أو من باب الحجر على المستعد عما هو مستعد له فيكون الدين سدا دون العلوم والمعارف. ولو أطلق للاولين الحرية واذن لهم بولوج ابواب هي مجهولة لديهم او لم يستعدوا لمرقتها لكان ذ كر تغريرا لهم وتكليفا لما لا يطيقونه وما كان كذلك فالله لا يرضى بقاءه بل لا بد من تغيير وتبديل فيه مساوقين لترقي معارف البشر وهذا هو حقيقة النسخ وما ذكرناه هو سببه وحكمته في الشرائع فالنسخ لا يكون لعيب ونقص في المنسوخ ولا لجهل الشارع تعالى عما يقول الظالمون بل يكون لاستعداد المكلفين لما هو خير لهم في الحال أو الاستقبال ونحو ذلك مما لا يخلو عن زيادة الخيرية التي ذكر الله انه لا بد منها في النسخ فالنسخ يكون قبل فحش التفاوت في مناسبة المنسوخ لحالة المكلفين كما ذكرنا ذلك في رسالتنا السابقة

فثبت بما ذكرناه ومالم نذكره من الحجج البينة أن النسخ في الشرائع لازم ومستحسن عقلا وكذلك هو واقع فعلا وثبت ذلك نقلا فان كثيرا من شرائع الانبياء قد نسخت واندثرت وأنسيت بشرائع انبياء بعدهم وذلك ظاهر لا نطيل بذكره وان أبي المعترضون لزمهم فوق ما قدمناه من المحالات ان تكون شرائع الله المحكمة المحتم على البشر قبولها وامتثالها والايمان بها متضاربة متناقضة ، وذلك بأن يجب على الشخص الواحد المؤمن بجميعها فعل الشيء الواحد وتركه في آن واحد وهو محال من الله وعلى العباد

والاديان والشرائع قبل الاسلام وقع فيها كثير من الخلط والقلب — أما التكاليف والصعوبات الشاقة والكلمات الموهمة خلاف الواقع والحكايات المستبعدة في كتبهم الدينية فما أوجب على العقلاء منهم ومن غيرهم الجزم بان تلك الكتب

قد وقع فيها من التحريف والتبديل ما أوجب أن يحكم بعدم الوثوق بها وما كان كذلك فمن اللازم ان لا يبقى دينا للبشر الى آخر الدهر — ولذا ونحوه قال نبينا صلى عليه وسلم « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم » الحديث افليس من اللازم ان يبدل الله بهذه الشرائع شريعة عادلة محكمة محفوظة عن تغيير المبدلين وعبث العابثين ؟ ان تلك الكتب وشرائعها لا تصح وهي بالحالة التي عرفت حجة لله على عباده فأرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وأيده بالمعجزات الباهرات والآيات البينات فما من دليل يستدل به على رسالة رسول من الانبياء والرسل السابقين الا وقد ايد نبينا (ص) بمثله وبأظهر واوضح منه وصح لدينا نقلا لا يعتريه شك باسانيد صحيحة متواترة متصلة . ولولا شهادة الله في كتابه القرآن وشهادة رسوله محمد (ص) في خطابه بصحة معجزات الرسل السابقين لم تبلغ تلك النقول والقصص فيها الى مرتبة الظن فضلا عن اليقين لأنها لو وزنت بميزان التحقيق في شرائط النقل لم يتحصل منها ما يصح اعتباره مسندا متصلا عن النقلة المعروفين بشروط الرواية

وبناء على ما ذكرناه نقول اذا كان وجود النسخ في تلك الشرائع غير قادح فيها لكونها قد ايدت بالمعجزات ــ فكذا وجود النسخ في الاسلام أو في القرآن لا يصح أن يكون قادحا في صحته عن الله تعالى لما عرفت . وايضا فمن يقدح بذلك في دين الاسلام ورسالة محمد (ص) يكون في الحقيقة قادحا في صحة دين من تقدمه من الانبياء عليهم السلام من حيث يعلم اولا يعلم رضي ام أبي

ونقول في الجواب أيضا (الوجه الرابع) ما يدري هؤلاء المشككين ان النسخ الواقع في شريعة الاسلام أو في القرآن قد كان سببه تلك التهم التي أوردوها ؟ فهل عندهم نقل يؤيدها ويصححها أو دلالة عقل تعينت على ما ذكروه أم هو احتمال فرضوه وأوهام توهموها أو مماراة أو معاندة انتجتها الاحقاد الموروثة ؟ وهل هذا الاحتمال متعين فما الدليل عليه وهل يصح ان يقوم مقامه احتمال غيره ينقض مزعومكم أم لا ؟ وحينئذ لا يصح ان يدفع الثابت ويرد باحتمال من احتمالات هذا حالها . واذا كان النسخ في التشريع والاديان لازما عقلا وواقعا حتما يكون مستحسنا

كذلك نقلا وكانت رسالة نبينا (ص) ثابتة بالحجج اليقينية بأصح ما يمكن ان تثبت بها رسالة أي رسول — فتبين ذلك الاحتمال والوهم وحاله ما عرفت مع وجود ما يدفعه ويكذبه باطل لا يجوز لعاقل ان يلتفت اليه أو يعتني بإيراده

أما قولهم ان محمدا (ص) قد بلغ من الدهاء أن صار يلعب بعقول اصحابه فجعلهم يقبلون منه ما لا يقبل من غيره فالجواب عنه ان محمدا (ص) بأبي هو وأمي لم يكن من أهل الحيل والدهاء وانما كان من الانبياء الاتقياء وقد عرف بالصدق والوفاء حتى صار ذلك وصفه الثابت حتى عند اعدائه أما أصحابه فقد عرفوا صدقه وصحة دينه بالدلائل الصحيحة الثابتة وهم لم يصدقوه فيما جاء من النسخ وغيره لضعف في عقولهم وهو ما جاء بما في دينه من النسخ بدعا مما جاء به المرسلون قبله واذا كان كذلك فمن البهت ان يقال ان اصحابه صاروا يصدقون ويقبلون منه ما لا يقبل من غيره لان نقول هو (ص) لم يأت الا بما يأتي به المرسلون ولم يقبل عنه أصحابه الا ما يقبل عن المرسلين والا لانقلب الامر وكان النسخ في الشرائع محالا وقدمت فساده عقلا وشرعا

فبما ذكرناه يعرف الناظر فساد تلك الشبهة وانها في غير محلها وانهما لا يتعين ورودها على شريعة دون غيرها من الشرائع — بل لو صح ايرادها على بعض الشرائع السابقة لركاكة ما عرف من تلك الشرائع وعدم صلاحيته لتدين جميع البشر الى آخر الابد وللوهن في نقلها وضبطها — فان صحة توجيهها على الاسلام ضرب من المحال ونقص عن الكمال لما في القرآن من الدلائل والبراهين على صحة كل احكامه وشرائعه وما كان فيه من منسوخ وناسخ موجود فقد ذكر سببه وحكمته بالصراحة تارة وبالتضمن والالتزام أخرى يعرف ذلك بطرق يعرفها من تلقى فهمه عمن أنزل عليه (ص) فمنها ان يذكر الحكم الاول مقرونا بسببه أو بفائدته وغايته أو غير ذلك مما يصح ان تدرك به علة هذا الحكم فاذا نسخه بأن انزل بعده حكما يناقضه بوجه من الوجوه فهو يذكر سببه أو غايته أو غير ذلك كذلك مما تعرف به الحكمة في النسخ وهذا بخلاف الشرائع السالفة فانها وان كان فيها أشياء من الاستدلال الصحيح الا انه لا يوجد في كل شيء ومع ذلك هو لم يبلغ بالاستدلال فيها الى المراتب الكاملة في التحقيق كما هي في القرآن ودين الاسلام ومع ذلك كله نحن لا نحمل ذلك على

تقص فيها كما يقول هؤلاء المعترضون وانما نقول إن تلك قد سبقت فيها الشرائع على طريقة تناسب عقول البشر واستعدادهم اذ ذاك وهي غير مؤيدة فناسب ان تكون كذلك حتى يترقى الانسان الى أعلا مقاماته مما تطوح به اليه خلقته وفطرته المخصوصة وحينئذ يناسب ان يشرع له دين بالغ في التحقيق اقصى غاياته فكان الامر كذلك بدين محمد (ص) وشرعه   (لها بقية)

آثار علمية ادبية

التربية والامهات

أنشدنا الشيخ معروف الرصافي شاعر العراق الاجتماعي لنفسه ببيروت في المحرم سنة ١٣٢٧

هي الاخلاق تنبت كالنبات   إذا سقيت بماء المكرمات

تقوم إذا تعهدها المربي   على ساق الفضيلة مثمرات

وتسمو للمكارم باتساق   كما اتسقت أنابيب القناة

وتنعش من صميم المجد روحا   بازهار لها متضوعات

ولم أر للخلائق من محل   يهذبها كحضن الامهات

فحضن الأم مدرسة تسامت   بتربية البنين أو البنات

وأخلاق الوليد تقاس حسنا   بأخلاق النساء الوالدات

وليس ربيب عالية المزايا   كمثل ربيب سافلة الصفات

وليس النبت ينبت في جنان   كمثل النبت ينبت في الفلاة

* * *

فيا صدر الفتاة رحبت صدرا   فأنت مقر أسنى العاطفات

نراك إذا ضممت الطفل لوحا   يفوق جميع الواح الحياة

إذا استند الوليد عليك لاحت   تصاوير الحنان مصورات

لأخلاق الصبي بك انعكاس كما انعكس الخيال على المراة
وما ضربات قلبك غير درس لتلقين الخصال الفاضلات
فأول درس تهذيب السجايا يكون عليك يا صدر الفتاة
فكيف نظن بالابناء خيرا إذا نشأوا بحضن الجاهلات
وهل يرجى لاطفال كمال إذا ارتضعوا ثديّ الناقصات
فما للأمهات جهلن حتى أتين بكل طياش الحصاة
حنونٌ على الرضيع بغير علم فضاع حنوّ تلك المرضعات

* * *

أأمَّ المومنين اليك نشكو مصيبتنا بجهل المومنات
فتلك مصيبة يا أمُّ منها «نكاد نغص بالماء الفرات»
تخذنا بعدك العادات دينا فأشقى المسلمون المسلمات
فقد سلكوا بهن سبيل خسر وصدوهن عن سبل الحياة
بحيث لزمن قعر البيت حتى نزلن به بمنزلة الاداة
وعدوهن أضعف من ذباب بلا جنح واهون من شذاة
وقالوا شرعة الاسلام تقضي بتفضيل الذين على اللواتي
وقالوا ان معنى العلم شيء تضيق به صدور الغانيات
وقالوا الجاهلات أعف نفسا عن الفحشا من المتعلمات
لقد كذبوا على الاسلام كذبا تزول الشم منه مزلزلات
أليس العلم في الاسلام فرضا على ابنائه وعلى البنات
وكانت امنا في العلم بحرا تحل لسائليها المشكلات
وعلمها النبي اجل علم فكانت من اجل العالمات
لذا قال ارجعوا ابدا اليها بثلثي دينكم ذي البينات
وكان العلم تلقينا فأمسى يحصل بالكتاب المدرسات
وبالتحرير من كتب ضخام وبالقلم المُمَدّ من الدواة
ألم تر في الحسان الغيد قبلا اوانس كاتبات شاعرات

وقد كانت نساء القوم قدما   يرحن الى الحروب مع الغزاة

يكن لهم على الاعداء عونا   ويضمدن الجروح الداميات

وكم منهن من اسرت وذاقت   عذاب الهون في اسر العداة

***

فماذا اليوم ضر لو التفتنا   الى اسلافنا بعض التفات

فهم ساروا بنهج هدى وسرنا   بمنهاج التفرق والشتات

نرى جهل الفتاة لها عفافا   كأن الجهل حصن للفتاة

ونحتقر الحلائل لا لجرم   فنؤذيهن أنواع الاذاة

ونلزمهن قعر البيت قهرا   ونحسبهن فيه من الهنات

لئن وأدوا البنات فقد قبرنا   جميع نسائنا قبل الممات

حجبناهن عن طلب المعالي   فعشن بجهلهن مهتكات

ولو عدمت طباع القوم لؤما   لما غدت النساء محجبات

وتهذيب الرجال أجل شرط   لجعل نسائهم متهذبات

وما ضر العفيفة كشف وجه   بدا بين الاعفاء الاباة

فدًى لخلائق الاعراب نفسي   وان وصفوا لدينا بالجفاة

فكم برزت بحيهم الغواني   حواسر غير ما متريبات

وكم خشف بمربعهم وظبي   يمر مع الجداية والمهاة

ولولا الجهل ثم قلت مرحى   لمن ألفوا البداوة في الفلاة

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ﴾

اهدانا المعلم عبد الحميد الفراهي (من العلماء في الهند) بضع رسائل في تفسير سور متفرقة من القرآن العزيز سماها بما ذكر في العنوان - وهي سورة التحريم والقيامة والشمس والعصر والكافرون والمسد أو « تبت » وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من

النظر فاذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية ، دون المباحث الفنية العربية ، ولكنه لا يفسر كل آيات السورة وكلماتها ولا يتكلم على ما يفسره بالترتيب وإنما يتكلم عن المسائل الكلية والمقاصد التي تهدي اليها الآيات كلاما عاما مبسوطا مفصلا معدودا بالأرقام . فمن فصول تفسير سورة التحريم : (١) نظام السورة وموقع آياتها (٢) سنة الله في الاحتساب (٣) عمود السورة هو الاحتساب والتشمير له (٤) دين الفطرة هو الاعتدال بين الفسق والرهبانية (٥) تفرق الفسق والرهبانية (٦) نزول القرآن حسب احسن المواقع (٧) شأن نزول هذه السورة حسب الكليات (٨) شأن نزول آيتين ١ — ٢ حسب جزئيات الواقعة والفوائد الكلية منها وهي ست . الخ وان للمؤلف فهما ثاقبا في القرآن وان له فيه مذاهب في البيان وطرائق في الاستطراد منها القريب والبعيد وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان من شواهدها فقد كتب في تفسير كلمة « صغت » من قوله تعالى « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » اكثر من صفحة على انه قد صنف كتابا في مفردات القرآن كما فعل الراغب الاصفهاني . ولا أدري أفسر القرآن كله على هذا النمط ام هو يشتغل بذلك الآن ويريد طبع تفسير كل سورة عند إتمامها . وقد رأيت فيما قرأت ذكر كتب أخرى له في القرآن والدين كالمفردات وتاريخ القرآن والأمثال الإلهية وأصول الشرائع فعسى أن يتفضل باخبارنا عنها أهي تامة أم لا ، أطبع منها شيء أم لا ؟

هذا وقد أرسل الينا عدة نسخ من تفسير بعض السور لاجل بيعها عندنا وهي مطبوعة طبعا حجريا عن خط فارسي حسن فمن أحب ان يطلع عليها فليطلبها من ادارة المنار وثمن تفسير سورة التحريم قرشان وما عداه فثمنه قرش أو قرش ونصف

* * *

﴿ رحلة الحبشة ﴾

هذه الرحلة من أحسن الرحلات أسلوبا وفائدة وفكاهة ألفها بالتركية صادق باشا المؤيد العظم الفريق الأول بالجيش العثماني للسلطان عبد الحميد بأمره وهو الذي أرسله الى نجاشي الحبش بكتاب منه فكتب مارآه وشاهده في طريقه وفي البلاد

والمواقع التي نزل بها لاسيما الصومال وما رآه واستنبطه من المسائل العسكرية والاجتماعية وما علمه من التقاليد والعادات مع شيء من التاريخ القديم والحديث عن الحبشة فجاءت رحلة جامعة لكثير من الفوائد المتنوعة من كل فن وذكر في آخرها الوقائع الحربية بين ايطاليا والحبشة مفصلة وختمها بذكر من نال شرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم من الحبش رجالا ونساء . وقد ترجمها بالعربية رفيق بك العظم وحقي بك العظم وطبعتها شركة طبع الكتب العربية على النسق الذي طبعت به في التركية مزينة بالصور والرسوم ومنها صورة النجاشي بلباسه الرسمي ومتصلا بها خريتان احداهما رسم فيها الطريق الذي مر به والثانية رسمت فيها بلاد الحبش . وقد زادت صفحات هذه الرحلة على ٣٢٠ وثمنها اثنى عشر قرشا صحيحا

وانا ننقل شيئا من كلامه عن مسلمي الصومال وتعلقهم بالدولة العلية . قال في سياق كلامه عن جيبوتي حاضرة مستعمرة الصومال الفرنسية ما نصه

«ومنذ خرجنا الى البر أخذ الاهالي وكلهم من المسلمين يفدون علينا أفواجا مرحبين بنا بعبارات الاحترام والتعظيم ولم يكتفوا بذلك بل انتظرونا بينما كنا عند الوالي «م. آنو يوسف» خارج المحل وعند ماخرجنا رافقونا مهللين مكبرين واستمروا كذلك كلما نخرج يرافقوننا من محل الى آخر وينتهزون كل فرصة لاظهار سرورهم العظيم من ورودنا ثغرهم فاذا طلبنا مركبة يجري العشرات منهم لاحضارها واذا سألناهم الطريق يقدم مئات انفسهم للقيام بخدمتنا وما كنا نحتاج لهم لأن الوالي كان عقب وصولنا عين سكرتيره ليكون (مهماندارا) لنا مدة اقامتنا في جيبوتي ولكن اعتذرت عن ذلك شاكرا انسانيته واكتفيت بجنود الشرطه الذين خصصهم لخدمتنا

« وبعد قليل من وصولنا الفندق تكأكأ المسلمون بعضهم على بعض في الردحة الكائنة امام الفندق وأخذ يزداد عددهم كثيرا فكانوا لايقنعون برؤية الوفد المرسل من قبل خليفة الاسلام مرة واحدة بل كانوا يريدون أن يروه كثيرا على قدر استطاعتهم واستمر الزحام على هذا المنوال امام المنزل الى مابعد العشاء»

ثم ذكر انه قبل السفر من جيبوتي آذنه خادم الفندق بقدوم رؤساء بعض القبائل لزيارة الوفد السلطاني . قال

« هذا وقد غاب الخادم قليلا ثم جاء ومعه الزائرون وكان عددهم ثمانية وهم رؤساء قبيلي عيسا ودانجالى وهم سمر الوجوه لون البعض منهم يميل للجوزي وكلهم طوال القامة متناسبو الاعضاء تجللهم سمات الوقار والمهابة ويلبس البعض قميصا طويلا وعلى رأسه طاقية والبعض ليس عليه سوى (فوطه) وهو مكشوف الرأس . وشعرهم الكث فوق رؤوسهم يشبه العمامة المدورة الكبيرة يضعون في خلاله سهما طويلا مصنوعا من أغصان الاشجار مثل (الدبوس) الذي يربط به السيدات الغربيات قبعاتهن على شعورهن . ويستعملون هذا السهم لحك جلد رؤوسهم عند اللزوم لانه لا يمكن وصول أصابعهم لجلد رؤوسهم بسبب كثافة الشعر . وكان بعضهم وهم الذين كانوا يترددون على الحجاز يتكلم اللغة العربية جيداً والباقون لا يعرفون منها إلا قليلا

وبعد المصافحة والسلام اخذوا يدعون وهم وقوف على الاقدام للحضرة العلية السلطانية وابلغني انه سيصل مساء وفود من طرف القبائل القريبة من جيبوتي للتسليم على الوفد السلطاني ثم جلسوا فصاروا يسألون عن احوال الاستانة مستفسرين عن عدد سكانها وعن مساجدها الجامعة والمحلات المباركة فيها وعن الوجهه التي أقصدها وسبب سفري اليها

« وكسوة هؤلاء الرؤساء بسيطة جدا والبعض منهم حافي القدمين والبعض يلبس في رجله نعلا مثل النعال الحجازية . ومع كل ذلك ترى الانسان يشعر بهيبتهم ووقارهم حال رؤيته لهم . وسمات الشجاعة والبسالة الظاهرة على وجوههم تجعل كلا منهم شبه تمثال الحرب والكفاح صنع من (البرونز)

« بينما كنا نتجاذب اطراف الحديث اذ جاء الموسيو بونهور والي الصومال الفرنسية لرد الزيارة ومعه حاشيته والكل مرتدون ارديتهم الرسمية وكان يمشي أمام مركبة الوالي فارسان من جنود الشرطه فلما رأى الوالي المومأ اليه رؤساء القبائل الصومالية هش في وجوههم وصافحهم جميعا يدا بيد وسأل عن أحوالهم وصحتهم ولم يمض قليل من وصول الوالي حتى جاء أيضا (آتو يوسف) قنصل الحبشه في جيبوتي وبعد ان

مكث الوالي برهة استأذن بالذهاب مذكرا إياي بالاجتماع عنده في دار الحكومة مساء لحضور المأدبة التي أعدها اكراما للوفد السلطاني وقد كان الوالي دعاني ومن كان معي لهذه المأدبة يوم وصولنا الى جيبوتي »

ثم قال بعد كلام في حال البلد وشؤونها

« وفي الساعة العاشرة على الحساب الشرقي سمعت انغاما وأصواتا آتية من بعيد وبينا أنا أفكر في ما عسى أن يكون ذلك إذ أخبرت بورود وفد قبائل عيسا فخرجت إلى شرفة الفندق فرأيت جمهورا من الناس نحوا من خمسمائة ذوي ألوان نحاسية كبيري الاجسام متناسبي الاعضاء مسلحين بالحراب والمراوات ويكبرون مرة وينشدون الاناشيد الحربية مرة أخرى وجماهير الناس تمشي معهم محتاطين بهم للتفرج عليهم وبعد أن وصلوا أمام الفندق أخذوا يسلمون علينا بلسانهم ولما انتهوا من السلام تحلقوا وصاروا يغنون ويرقصون والبعض منهم كانوا يتبارزون داخل تلك الحلقة ويمثلون حروبهم بأصوات خشنة مدهشة وبأوضاع خفيفة ومسرعة عجيبة مما يدل على انهم اقوام حربيون أولو بأس شديد وميل للحرب والطعان . وبعد ذهاب هذا الوفد أتى وفد الدانقاليين وبعدهم وصلت وفود العرب الوطنيين بطبولهم وزمورهم ثم انصرف الجميع شاكرين لما لقوه منا من الاكرام وكانت قد دنت الساعة الثامنة على الحساب الافرنجي فارتديت الكسوة الرسمية البيضاء وذهبت أنا ورفيقي لحضور المأدبة التي دعينا اليها » اه المراد

وفيه من العبرة ان للدولة العلية وسلطانها نفوذا معنويا في نفوس جميع المسلمين لم تحسن الانتفاع منه ولا النفع به في الماضي فعسى أن تنتفع به في هذا العهد الجديد الذي دخلنا فيه وهو آخر الرجاء في حياة هذه الدولة فعسى ان لا يقطعه أصحاب النفوذ بالمنازعات الجنسية والأهواء الشخصية . وفيه أيضا ان الوالي الفرنسي يعامل أولئك الناس الذين يعدهم متوحشين بالاحترام ليؤنسهم بحكمه ويأمن جانبهم ويكسب مودتهم ودولتنا تحتقر أمثالهم في اليمن والحجاز والعراق فيتبدل حبهم لها بغضا وميلهم اليها نفورا وإعراضا فعسى ان لا تعود إلى ذلك في هذا الزمان

وقد انتقدنا على الرحلة ذكر الشهر الذي سافر فيه المؤلف (وهو نيسان) دون

ذكر السنة في أولها وجريانه على ذلك في اثنائها حتى انتهت في ١٢ تموز (يوليو)
ولكن يعرف القارىء أن الرحلة كانت سنة ١٨٩٦ م من ترجمة براءة الوسام الذي اهداه
النجاشي الى صادق باشا وترجمة المكتوبات التي ارسلها اليه نظار النجاشي وآل بيته

***

﴿ عقود الجوهر . في تراجم من لهم ٥٠ تصنيفا فثة فا كثر ﴾

نشرنا في آخر الجزء الماضي اعلانا لجميل بك العظم محاسب المعارف ببيروت
عنوانه «ذيل لكشف الظنون» علم منه انه يعنى منذ ١٦ سنة بجمع مافات صاحب
كشف الظنون من أسماء الكتب وما حدث بعده منها . وقد استحسن في اثناء بحثه
ان يضع كتابا في تراجم المكثرين من التصنيف الذين لهم خمسونا مصنفا فثة فا كثر
وقد أتم الجزء الأول من هذا الكتاب وسماه «عقود الجوهر» وطبعه وهو يذكر للعالم
ترجمة مختصرة ثم يذكر مصنفاته مرتبة على حروف المعجم فجزاه الله خيرا . وقد
اقترحت عليه في بيروت أن يجعل الذيل وأمثاله يؤلف كتابا مستقلا في اسماء الكتب
والفنون فعسى أن يلقى من المساعدة مايرجح ذلك عنده

***

﴿ الاشتقاق والتعريب ﴾

قد علم قراء المنار في العام الماضي ما كان من أعضاء نادي دار العلوم من المناظرات
في مسألة التعريب . وقد عني الشيخ عبد القادر افندي المغربي أحد محرري جريدة المؤيد
في أثنا ذلك بوضع كتاب مستقل في المسألة وطبعه في هذا العام فبلغ زهاء ١٥٠
صفحة بقطع كتاب الاسلام والنصرانية . وقد ترجم المؤلف كتابه بقوله فيه « بحث
في مايعرض للغة العربية من تكاثر كلماتها بواسطتي الاشتقاق والتعريب ، وأن هذا
الاخير طبيعي في لغتنا وفي غيرها من اللغات » وان استعمال المعرب لايحط من قدر
فصاحة الكلام والاستشهاد على ذلك » فهو اذا مؤيد الرأي القائلين بجواز التعريب
والتصرف في اللغة بحسب الحاجة بل توسع في ذلك بما لا يوافقونه كلهم عليه فيما نظن

ودعم كلامه بضروب من الأمثلة والشواهد والدلائل لم يسبقه اليها الباحثون وقال في أواخر الكتاب ما نصه:

نتائج وملاحظات

قد تحصل معنا أن الكلمات التي تستعمل اليوم في اللغة وينطق بها المتكلمون بتلك اللغة — قسمان قسم عربي محض وقسم دخيل . والدخيل أنواع : منه ما أدخله أهل اللغة أنفسهم إلى لغتهم قبل الاسلام كسندس وابريق . ويسمى في الاصطلاح معربا . ومنه ما أدخله المولدون في صدر الاسلام ويسمى مولدا . ومنه ما أدخله المحدثون بعد هذين الدورين ويسمى محدثا أو عاميا . والطريقة في احداث النوعين الأخيرين المولد والعامي — قد تكون الاشتقاق: كالعربية والبارود والفسقية. وقد تكون التعريب : كالبوس والبازهر والماهية وقد تكون التصرف في الاستعمال: بأن نستعمل الكلمة على خلاف المعنى المستعملة فيه عند العرب: كالقطر والقطائف.

والدخيل بأنواعه الثلاثة لا يحط من قدر الكلام العربي إذا وقع فيه وان كان في أصله غير عربي لما قدمناه من الأدلة على ذلك عند الكلام على التعريب ، والأدلة المذكورة تصلح أن تكون مقدمات منطقية نتيجتها « ان الكلمات العربية المعربة عربية أو بقوة العربية » حتى لا يكون ثم فرق في صحة الاستعمال بينها وبين تلك التي تكون عربية الأصل : بحيث يصح لك أن تستعمل كلمة «رصاص» الأعجمية المعربة في كل موضع تستعمل فيه كلمة «صرفان» العربية . ومايدرينا أن صرفان وأمثالها من الالفاظ القديمة التي نحسبها عربية والتي لا رائحة فيها للاشتقاق من اللغة عربية — غير عربية في أصلها وإنما هي دخيلة .

وقد ذكرنا في جملة تلك الادلة دليلا لا نزاع في صدق دلالته : وهو ان علماء البلاغة أنفسهم حصروا شروط فصاحة المفرد في ثلاثة أمور : خلوصه من تنافر حروفه ومن الغرابة ومن مخالفة القياس ولم يشترطوا في فصاحته قط أن يكون عربيا خالصا لا شائبة فيه للعجمة .

[illegible] في الكلمة الدخيلة التي توجها كلامك خلوصها مما ذكره علماء

البلاغة كان كلامك فصيح المفردات . وعليك بعد ذلك ان تراعي سائر ما اشترطه أولئك العلماء في فصاحة الكلام و بلاغته . حتى إذا فعلت كان كلامك فصيحا بليغا.

لا يكون كلامك فصيحا إذا أودعته من الكلمات العربية ما كان غريبا عن افهام المخاطبين أو ما تنبو عنه اذواقهم وتجافى طباعهم مثل أن تقول « وكانت الطهاة يعرفون ألوان الطعام بالفشليل » والفشليل كلمة معربة عن فلنز الاعجمية . ومعناها المفرقة — كما لا يكون فصيحا إذا أودعته من الكلمات العربية المحضة ما كان من بابة تلك الكلمات : كأن تقول « أتانا مختالا في مشيته . منفشلا لحيته » تعني منفشا لها . أو تقول « لحاه الله من رجل عفنجش » أي فظ جافي الطباع . ومن هذا القبيل الكلمات الانكليزية أو الالمانية مثلا التي تكون مخارج حروفها صعبة متنافرة يتعذر أو يتعسر علينا النطق بها . ولم نعهد مثلها في مخارج لغتنا . حتى اذا اضطررنا إلي ادخال كلمة من هذا الصنف في لغتنا كان علينا حينئذ ان نشذبها ونهذبها ونوفق بينها و بين أوزان لغتنا ما استطعنا الى ذلك سبيلا . كي تواتينا و يسهل علينا النطق بها . والا كان علينا أن نهجرها ونعد الكلام الذي يتضمنها غير فصيح . كما اذا تضمن كلمة متنافرة مثلها من الكلمات العربية الاصل كالهعخع وهو اسم نبات . قيل لأعرابي أين تركت ناقتك؟ قال تركتها ترعى الهعخع . وكأن تقول لآخر : اياك أن تتزوج الهمقعة بضم الهاء وتشديد الميم المفتوحة . تعني الحمقاء الورهاء . (١)

واعلم أن الكلمات الدخيلة في لغتنا مهما كان اصلها ترجع إلي قسمين : قسم مدلوله الجواهر والاعيان مثل نرجس ولجام . وقسم مدلوله المعاني والاحداث مثل البوس : فكلمات القسم الاول إذا شاعت بيننا . وحلت في اسماعنا وتداولتها الخاصة كما تداولتها العامة . وتنزهت عن أن تكون من « الفاظ السفلة » كما سيجيء

(١) المنار : ان بعض ما مثل به من الغريب ليس مما يثقل على اللسان كنفشل ولكنه غير مألوف لعدم صقله بالاستعمال فهو لا ينافي الفصاحة . وما كان ثقيلا كالهعخع الذي يذكرونه في كتب البلاغة انما ينافي مثله الفصاحة ويكره استعماله اذا كان له مرادف يقوم مقامه والاحسن استعماله عند الحاجة اليه ورأيت اكثر ادباء عصرنا غافلين عن هذا وذلك

في قول ابن المقفع — ينبغي أن يجوز لنا استعمالها وادماجها في كلامنا: لأن الكلمة التي من هذا القبيل إما ان لا يكون لها مرادف في لغتنا أو لها مرادف مهجور وحينئذ يكون الوجه في استعمالها ظاهرا . وعذرنا فيه مقبولا . وإما أن يكون لتلك الكلمة مرادف معروف ومشهور فيكون لنا الحق في أن نستعملها ايضا اقتداء بأهل اللغة انفسهم الذين كانوا يتركون كلماتهم العربية الى مرادفاتها من الكلمات المعربة الدخيلة مثال ذلك كلمة « كوسج » الاعجمية فانهم لا يكادون يطلقون على الكوسج سواها . وقلما تراهم يستعملون كلمة الأثط العربية . بل اذا وردت هذه في كلامهم فسروها بالكوسج . لكونها أشهر منها واعلق بأذهان الناس كما يفسر شراح الحديث كلمتي « الدجر » و « اللياء » العربيتين بكلمة اللوبياء الاعجمية المعربة

وقد كثر استعمال الدخيل والاعراض عن الاصيل في كلامهم كثرة تشعر بأن هذا الصنيع طبيعي في اللغة وضرورة لا يمكن دفعها . بل يشبه أن يكون قياسيا لأهل اللغة من ورائه غاية محمودة : هي توسيع نطاق لغتهم وتسهيل أمرها على ممارسها

هذا في كلمات القسم الأول الذي مدلوله الجواهر والاعيان . اما القسم الثاني الذي تدل كلماته على المعاني والاحداث كالبوس فهذا ربما ضر الإستكثار منه فيما أظن : اذ يكون مدرجة لضياع اللغة ومسخها وتحويلها عن اصلها . وقلما تجد العرب نقلوا إلى لغتهم فعلا أو مصدرا أو اسلوبا خاصا من أساليب كلام الاعاجم . وشاهد ذلك معاجم اللغة ودواوين آدابها وان كان شيء من ذلك فهو قليل جدا ككلمتي « الهرج . والنفاق » الحبشيتين . (١)

واكثر ما كان حدوث هذا النوع من الكلمات في زمن ترجمة الاصطلاحات العلمية في العصر العباسي . أما في زمن الجاهلية فلعله لم يتخط القبائل التي عاشت مع الاعاجم وكثر امتزاجها بهم كغسان ولخم وجذام . ومثل هذا لا يصلح حجة للقياس والجواز العام . نعم أن اللغة بمجموعها جواهر واحداثا محولة عن لغة اعجمية كما اثبتناه

---

(١) المنار : الكلمتان عربيتان ومعنى الأولى الفتنة التي يحدث فيها تداخل واضطراب وقتل وقول ابي موسى ان الهرج في لسان الحبشة القتل لايدل على ان العرب اخذتها عن الحبشة وربما كان العكس . والثانية مشتقة من النافقاء (راجع ص ٨٨٥ م ١١)

في صدر هذا الكتاب . ولكن هذا في تحول اللغة وتولدها المتوغل في القدم . لا في التحول التدريجي الذي يفهم من إطلاق كلمة التعريب . والذي كان يحصل على ألسنة العرب بعد أن قامت لغتهم بنفسها واستقلت بأصولها وقواعدها فانهم اذ ذاك ما كانوا يرجعون في وضع كلمات الاحداث والمعاني الى الاستعانة بلغات غيرهم . وانما يرجعون الى فضل ذكائهم وذلاقة لسانهم . وحسن طريقة الاشتقاق في لغتهم . فهم يضعون أو يشتقون للمعاني التي تجول في نفوسهم من الكلمات مايغنيهم عن التطفل في ذلك على سواهم . أما الجواهر والاعيان . فقد يتعذر أو يتعسر عليهم أن يضعوا لها كلمات . بعد ان ضرب المستبضعون والتجار في طول جزيرتهم وعرضها . وهم ينادون باسم الخيار واللوبيا والباذنجان والكوب والابريق والمسك والبنفسج والسندس والإستبرق والفيروز والبلور واللجام والدانق والدرهم والدينار والعربون الى غير ذلك اسماء الادوات والفرش والماعون . وقد ضاق ذرع العرب بهذه الاسماء . وأعجزتهم كثرتها فاضطروا الى أن يرحبوا بها ويلقوا حبلها على غاربها اه المراد منه

وثمن الكتاب خمسة قروش وهو يباع في المكاتب المشهورة

باب الاخبار والآراء

نصيحة

﴿ لمسلمي بيروت عامة ، وفتيانهم الشجعان خاصة ﴾

اني في كلامي عن البلاد السورية قد فضلتكم على غيركم ، ووجوت منكم لخير البلاد مالم أرجه من سواكم ، وانما كتبت ما اعتقدت ، بحسب ما رأيت واختبرت ، تنشيطاً للعاملين ، وتنبيهاً للخاملين ، ذلك بأني رأيت من احترام الحرية عندكم مالم أر مثله في طرابلس ولا دمشق ولا غيرهما من البلاد ورأيت

فيكم حركة الى العلم والتربية لم أر نظيرها على ضعفها في غير بلدكم فحمدت الله تعالى على ذلك وحمدتكم .

ثم اني أقمت في بلدكم سبعة أسابيع متصلة بعد تينكم الزيارتين المتعاقبتين فرأيت فيه أمرا استنكرته وحزنت لأجله حزنا شديدا ، فأحببت أن أنصح لكم فيه كتابة كما نصحت فيه لكثير منكم مشافهة وخطابة ، عسى أن تكون الكتابة أعم وأنفع ، ولا أقول ان هذا الامر المنتقد خاص بكم وإنما أرجو أن ترجعوا عنه بمجرد النصيحة وربما بقي عند غيركم الى ان تتكون الحكومة الجديدة وتستقر فترجعهم عنه بالقوة القاهرة ان لم يرجعوا خوفا منها .

ذلك الأمر المنكر هو ما ذكرته في آخر خطاب ألقيته في نادي الجامعة العثمانية عندكم (ونشرت محصله في هذا الجزء) وأعني به ازعاج الحرية الشخصية في بعض الاوقات لا سيما حرية أصحاب الصحف . وقد حمد كم العقلاء لاستنكاركم حادثة الشام وحملكم على المفسدين الذين أثاروا الفتنة فيها كراهة لحرية العلم والاستقلال في فهمه ونشره ولكن جرائد الشام الآن أوسع حرية من جرائدكم كما يعلم ذلك جميع القراء منكم فهل ترضون بهذا الانقلاب ؟

كاد يقع الخصام بل الالتحام في الصدام بين طائفتين منكم لان شيطانا من شياطين الانس وسوس الى بعضهم: إن جريدة كذا نشرت آية من القرآن الكريم ونشر القرآن في الصحف إهانة له فيجب أن يهان صاحبها حتى لا يعود إلى ذلك . ذكر ذلك في مجتمع فيه كثير من العامة والخاصة فاشتد في الانكار بعض الشبان فانبرى للدفاع عن صاحب الجريدة آخرون من ابناء حيه فتساهل الاولون وانتهى الكلام بانتداب رجلين لسؤال صاحب الجريدة عن حقيقة الامر ولما جاءا للسؤال كنت عنده وكان هو قد خرج لحاجة فراجعنا جريدته أولا فلم نجد فيها شيئا من القرآن وأقنعتهما بأن الاهانة لا تكون إلا بالقصد وان من يقصد إهانة القرآن بعمل عمله يصير به مرتدا لا عاصيا فقط ولا يقع هذا من مسلم وانما يكتب الآيات من يكتبها لاجل ان يكون في كلامه روح ربانية مؤثرة ينفع بها القارئين . وقلت لهما ان جميع جرائد المسلمين

في مصر وفي بيروت وغيرها من البلاد تزين بعض كلامها بالآيات الكريمة وتناولت من جرائد كانت بجانبي نسخة من المؤيد فأطلعتهما على عدة آيات فيها بعضها في خطبة لأحد الاساتذة بنظارة المعارف المصرية، وما زلت بهما حتى خرجا مقتنعين بأن من من حرك هذه الفتنة لم يكن مخلصا في قوله وقبلا يدي بعد ان كانا حديثهما معي حديث الخصم مع الخصم فدل ذلك على حسن نيتهما

ثم ان صاحب جريدة أخرى كتب في جريدته ان المسلمين مقصرون فيما يجب عليهم من العناية بالتربية والتعليم وما تقتضيه حال العصر من سعة الثروة وان جيرانهم وخلطاءهم من النصارى قد سبقوهم في هذا المضمار . فوسوس شيطان التفريق الى بعض الفتيان المتحمسين قال ان صاحب جريدة كذا قد أهان المسلمين وفضل النصارى عليهم !! فاضطربوا وغضبوا وأخذ بعضهم نسخا من بائع تلك الجريدة فمزقها وحاول طائفة منهم إهانة الكاتب بل اهانه بعضهم بالفعل ، وطاف آخرون على بعض المشتركين بالجريدة فرغبوا اليهم أن يقطعوا اشتراكهم فيها

وقد رأيت شابا يتأثر صاحب هذه الجريدة في بعض الشوارع فلما رآني استوقفته وتحدثت معه ثم تركته تبعني وسألني عما كتبه عن المسلمين فقلت له كتب كيت وكيت ليحث المسلمين على إنشاء المدارس والعناية بتربية أولادهم حتى يكونوا أرقى الأمم واعلمها وعلى تحصيل الثروة ليكونوا من أغنى الناس واعزهم . وأفهمته بأنه لا يعقل أن يكون قصد إهانة أهل دينه الذين يهان بهوانهم و يعتز بعزتهم و يشرف بشرفهم من غير ان يكون له فائدة في ذلك ولا مجال للقول بأن له فائدة أو ربحا من الإهانة ثم ذكرت له شيئا من مفاسد هذا الشقاق الذي يلقيه بعض أهل الأهواء بين المسلمين وهو أضر عليهم لا سيما في هذا الوقت من كل ما يتصور أن يضرهم . فانثنى مقتنعا شاكرا

هذا ما تركت عليه بيروت يوم سافرت منها وقد دخلت القاهرة ليلة الخميس وفي اليوم الثاني من وصولي اليها صليت الجمعة في أحد المساجد فاذا بالخطيب فيه يصدع الناس بوعظ يقول فيه ما معناه : انكم قد تركتم الاسلام وأين الدليل على إسلامكم وأنتم تصلون كذا وكذا حتى قال وتشبهت نساؤكم بالعاهرات . فقلت في نفسي لو كان

هذا الخطيب في بيروت لأنزلوه عن المنبر بالقوة ومنعوه من إتمام خطبته

مع هذا كله أقول الآن كما قلت من قبل ان مسلمي بيروت أقرب الى الخير والاستعداد للترقي من غيرهم وأبعد عن الفتن التي تحول دون الأعمال النافعة وأكثر ماينتقد عليهم مما ذكر يقع منهم بحسن النية غالبا لا أعرف فيهم غير رجل واحد يحب إثارة الفتن بسوء نية ولعله يندر ان يوجد له أمثال ونظراء في ذلك

فالذي ننصح به لهم ولغيرهم هو ان يعلموا انه لا شيء أضر على الأمم من التفرق والشقاق لأجل الخلاف في الفهم والرأي سواء كان في أمر الدين أو أمر الدنيا فضرر أكبر الكبائر — كالقتل والزنا وشهادة الزور — هو دون ضرر التفرق والشقاق في الأمة لأن هذا الجرم هو المانع من وحدة الأمة وعزتها وقوتها وهي متى قويت تقدر على منع سائر الجرائم ومتى كانت ضعيفة بالتخاذل لا تقدر على منع شيء من المفاسد ولا على إقامة شيء من المصالح . ولذلك توعد الله تعالى على التفرق والخلاف بما لم يتوعد على غيره بل جعل المتفرقين في الدين برآء من النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه فقال (٦ : ١٥٩ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وأنزل يوم تلاحى نفر من الأوس والخزرج وذكروا ما كان من مشاقة بعضهم لبعض يوم بعاث (٣ : ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ؟ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

فالمتدبر للقرآن يرى انه تعالى ينهانا ويحظر علينا التفرق والخلاف ويحتم علينا أن نكون أخوة متحابين ويفرض علينا مع ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أهان أخاه واحتقره أو آذاه لأنه قال أو كتب ما يخالف رأيه لا يكون آمرا بالمعروف وهل يوجد أحد من الناس يقول ان الاهانة والايذاء من المعروف ؟ ؟ وإذا كان الله تعالى قد أمر نبيه بأن يجادل المشركين بالتي هي أحسن فهل يرضى

منا ان نجادل إخواننا المؤمنين بالتي هي أسوأ وأقبح؟ أما ماقال الله عز وجل (١٦ : ١٢٥
أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن . إن ربك
هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) اما قال مع ذلك (٣٣ : ٢١ لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) ؟

ان الله تعالى ما ذكر فرضية الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
مع النهي عن التفرق والاختلاف الا لأن هذه الفريضة هي سياج وحدة الأمة
وحفاظها فإقامتها تمنع التفرق كما قال الاستاذ الامام فاذا جعلنا الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر سببا للتفرق والخلاف والعداوة بين المسلمين نكون قد قلبنا مقصد الدين
ونقضنا ميثاقه وقطعنا ماأمر الله به ان يوصل وافسدنا في الأرض (١٣ : ٢٥ والذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض
اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط وآداب فصلناها في التفسير المنشور
في الجزءين الثامن والتاسع من مجلد المنار العاشر ولا يصلح لها على الاطلاق الا أهل
العلم والعرفان . فأي إفساد في الدين والدنيا شر من إغراء العامة بالافتيات على أهل
العلم وحملة الاقلام والتصدي لأمرهم ونهيهم . بل وجد من شياطين الافساد والتفريق
من اغرى العامة بمنع بعض خطباء المساجد من خطبة الجمعة !! حدثني بذلك بعض
شبان بيروت فقلت له ان الخطبة فريضة دينية كالصلاة فهل يجوز لنا ان نمنع مسلما
من اداء الصلاة لأننا غضبنا منه بحق أو بباطل ؟ إذا جاز لنا هذا جاز لنا ان نمنع كل
من اذنب ذنبا من اداء الصلاة والصيام والزكاة والحج وأن نشترط العصمة في كل طاعة
من الطاعات . ولا يبيح لنا ديننا ان نقول بعصمة أحد بعد الانبياء وقد ختمهم الله
تعالى ببعثة نبينا صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم ولم يقل احد من المسلمين الذين يعتد
أحد من بعده الاماقاله الامامية من الشيعة في الائمة الاثنى عشر من آل بيت النبي
باسلامهم بعصمة عليه وعليهم السلام

فعلم مما بيناه أن التصدي لإهانة الناس الذين يظن أو يعلم انهم اخطأوا هو
من المفاسد المحرمة شرعا والقبيحة عقلا وكل من يغري بها فهو شيطان رجيم يجب

عصيانه والبعد عنه والاستعاذة بالله من شره. والاجتماع لأجل هذه الجريمة والتعاون عليها يزيد في قبحها وإثمها قال الله تعالى (٥ : ٢ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)

بعد هذا كله أقول لفتيان بيروت الذين يعرفون بلقب «الأبضايات» انكم أيها الشجعان البواسل قد عطرتم الأرجاء بمحمدة عظيمة ظهرت منكم في أيام إعلان الدستور ولا تزالون تحافظون عليها حتى اثنى عليكم العقلاء في غير بلادكم بما لم يثنوا به على سواكم ألا وهي محاسنة خلطائكم وعشرائكم في وطنكم من المشاركين لكم فيما عدا الدين من شؤون الحياة . فهل يليق بكم بعد فضيلة مسالمة هؤلاء ان تتلوثوا برذيلة معاداة من يشارككم في كل شيء حتى في الدين فتكونوا كمن نزل فيهم قوله تعالى (٥٩ : ١٤ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ؟ حاشاكم ان ترضوا بذلك عالمين به وانما يغشكم الغاشون فلا تكونوا آلة لهم في اهوائهم

لا أقول انه ينبغي ان تخدموا بلدكم باتقان كل واحد منهم لعمله فقط فانكم تستطيعون أكثر من ذلك . انكم تستطيعون ان تتعاونوا دائما على منع العدوان حتى يصير نادرا وتتعاونوا على إصلاح ذات البين عند ما يقع شقاق أو خصام بين اثنين أو جماعتين ولكنكم لا تقدرون على الهيمنة على العلماء والسياسيين والمراقبة على الخطباء والمحررين ونفع الامة بإيقاف هؤلاء عند حدود لا يتعدونها . وانكم اذا تصديتم لذلك تضرون الامة ضررا عظيما . ولا تستقلوا ما قلت انكم تستطيعونه فانه أمر عظيم مقدم على كل أمر لأنه يتعلق بالامن والراحة العمومية وهو أول شيء تطالب به الحكومة فاذا قمتم في بيروت بعمل لا تزال الحكومة مقصرة فيه في كثير من البلاد فانكم تستحقون من الناس الثناء الجميل ومن الله الثواب الجزيل

رحلة صاحب المجلة

« في سورية »

٤

حمص، وحالها الاجتماعية

سافرت في اليوم الثاني من شوال من بعلبك الى حمص والمسافة بينهما في القطار الحديدي ثلاث ساعات وقد وصل القطار الى محطة حمص الساعة ٨ و٤٥ دقيقة مساء فاذا بالصديق الكريم والولي الحميم السيد عبدالحميد افندي الزهراوي ينتظرني فيها مع طائفة من أهل العلم وكرام البلد في مقدمتهم الشيخ احمد نبهان الذي حببه الينا على البعد ما نمي الينا من عقله واخلاقه وحبه للاصلاح مع علمه وحسن سيرته

أقمت في حمص أربع ليال وثلاثة أيام في دار الزهراوي ولقيت فيها اكثر أهل العلم والمكانة من المسلمين والنصارى اذ كانت الدار غاصة بهم ليلا ونهارا وقد رأيت في هذه البلد من الوفاق بين الفريقين وحسن الألفة ما لم أره نظيرا في سائر البلاد السورية ولا بيروت فان جل مامدحناه من أهل بيروت هو ترك التقاتل والتسافك ولا يزال كل فريق فيها بعيدا عن الآخر في المعاشرة والمعاملة الا ما لايخلو منه مكان بحكم طبيعة الاجتماع وحاجة بعض الناس الى بعض حتى انني قلت لكثيرين منهم انني أرى الوفاق الذي حمدناه لكم على البعد سلبيا لا إيجابيا وصرحت بذلك في نادي الجامعة العثمانية ودعوت الناس في خطبة خطبتها في ذلك الى التزاور والتعامل وغير ذلك من اعمال الوفاق الايجابي

وقد كنا توهمنا ونحن بمصر ان الشقاق بين مسلمي حمص ونصاراها شديد لحادثة جرت في الاحتفال بعيد الحرية كبرتها الجرائد فوجدنا الأمر على ضد ما كتب في ذلك فانني ما رأيت في بيت من بيوت طرابلس ولا بيروت مثلما رأيت في بيت الزهراوي من اجتماع الفريقين كل ليلة من ليالي الشتاء للسمر ومبادلة الآراء .

ثم اني لم أر في حمص ما رأيت في غيرها من الاضطراب والاعتصاب والافتيات على الحكام والتبرم من جمعية الاتحاد والترقي . ومن أسباب ذلك ان اعضاء لجنة الجمعية المركزية كانت مؤلفة من أناس مؤتلفين متعارفين لا ينقم الناس منهم شيئاً ولا يشكون منهم إهانة ولا شذوذاً وقلما اتفق هذا للجنة أخرى كما يعلم مما نكتبه بعد عن الجمعية

ثم انه ينتقد على أهل حمص ما ينتقد على أهل طرابلس من الخمول والسكون فهم لم يشرعوا في عمل مفيد للبلاد . وقد حثثت طائفة من الوجهاء على تأليف جمعية خيرية إسلامية لأجل إنشاء المدارس الاهلية ومساعدة الفقراء على تربية أولادهم وتعليمهم فألفيت منهم ارتياحاً واستحساناً وقد مرت الشهور ولم يشرعوا في العمل ولكننا لم نيأس من هممهم وغيرتهم فعسى ان يسمع منهم عن قريب ماتقر به العين

هذا وان عمران حمص ينمو نمواً عظيما والزراعة والصناعة تتقدم فيها تقدما مبينا ولكنها متخلفة عن طرابلس في ترف الحضارة وان كانت سابقة لها في مضمار العمران بل هي وسط في التأنق في الاطعمة بين مثل طرابلس وبيروت ودمشق وبين القرى الكبيرة التي يوجد فيها أغنياء يعيشون في بلهنية فالظاهر ان التأنق في حمص خاص ببعض أهل السعة والبيوت المطروقة وان الفقير في طرابلس ليتنوق في طعامه ما لا يتنوق الاغنياء في كثير من المدن ، واني لأعلم ان المصري المقيم في القاهرة نفسها الذي يزيد دخله في الشهر على دخل الطرابلسي في السنة لا يأكل من الحلوى في السنة كلها بقدر ما يأكل الطرابلسي منها في شهر واحد . فقلة التنوق في الأطعمة بحمص محمدة لها عندي إذا كانت تحفظ ثروتها من التلف في غير ذلك من ضروب السرف وتجعل حظاً منها عظيما للتعليم والتربية

طرابلس أيضا

سافرنا من حمص قبيل الفجر من يوم السبت سادس شوال (٣١ اكتوبر) في مركبة من مركبات «شركة الشوسة» فوصلنا إلى طرابلس بعد العصر وطفقت أتهيأ للسفر إلى مصر ، وكنت عازما على السفر في يوم السبت التالي لهذا السبت (١٣ شوال و ٧ نوفمبر) ولكن عرض ماحال دون ذلك

جمعية خيرية اسلامية بطرابلس

في يوم الاربعاء (١٠ شوال) رغبت إلى مفتي طرابلس أن يقوم بتأليف جمعية خيرية إسلامية كالجمعية التي بمصر وذكرت له موضوعها وأعمالها ووجوه الحاجة إلى مثلها في طرابلس وأهمها إنشاء المدارس لتعليم أولاد الفقراء على نفقة الجمعية وأولاد الاغنياء بالاجرة . فأجاب بأنه مستعد لذلك بماله وحاله واستحسن أن أدعو الوجهاء والاغنياء إلى ذلك فقلت له انت كبير البلد وزعيمها وانا قد صرت غريبا او كالغريب لانني مسافر بعد ثلاث فاذا لم تقم انت بهذا العمل لا ينجح. ثم رضي بأن يكون هو الداعي لهم إلى الاجتماع على انهم متى اجتمعوا أخطب فيهم فان أجابوا الدعوة فاني أوضحها لهم وأبين وجه الحاجة اليها كان هو أول العاملين والمساعدين في التنفيذ

وأقول هنا ان رشيد افندي كرامي مفتي طرابلس على كونه سيد بلده وأوسع أهلها ثروة وجاها هو أقرب وجهائها وأغنيائها إلى الخير وأبعدهم عن كل شر وأطيبهم نفسا وأبسطهم مع القصد والروية يدا كما يظهر ذلك لمن يباشره خلافا لما عليه أكثر الاغنياء في بلادنا فهو لا يدع لطالب الاصلاح في العلم أو العمل حجة عليه بل يجيب كل داع إلى خير كعبد الرحمن باشا اليوسف في دمشق ولكن لا يقدم واحد منهما على ابتكار العمل والنهوض به بل يقولان مثلا كان يقول هنا حسن باشا عاصم (رحمه الله تعالى) أوجدوا العمل وطالبوني بالمساعدة أجبكم اليها . وإنما كان هــذا يساعد بالعمل وذانك يساعدان بالمال فهما خير أغنياء بلادهما

كان عذر حسن باشا عاصم في عدم الاقدام على الابتكار وإيجاد المشروعات هو عدم الثقة باجابة الناس وثباتهم على العمل ولابن اليوسف في دمشق وابن كرامي في طرابلس مع مثل هذا العذر أعذار أخرى ككثرة أعمالها وما لا حاجة إلى بيانه الآن من حال البلاد وغير ذلك

ذهبت في ذلك اليوم (الاربعاء) إلى القلمون فهيأت ثيابي وحاجي وأرسلتها إلى الميناء في يوم الجمعة وعدت إلى طرابلس مع كثرة الأمطار مساء لان المفتي كان وعدني بجمع الوجهاء ليلة السبت لاجــل تأسيس الجمعية الخيرية فألفيته قد ارجأ

دعوتهم الاشتغال بانتخاب المبعوث عن طرابلس لأن الولاية أمرت بإتمام الانتخاب يوم السبت ولكثرة الامطار التي كان يظن انها تحول دون عودتي من القلمون على قرب المسافة وقال ان أقرب وقت يمكن ان يجتمعوا فيه إذا نحن دعوناهم بعد انتخاب المبعوث غداً هو ليلة الثلاثاء فرأيت ان أرجئ السفر أسبوعاً لأجل إتمام هذا العمل الشريف

ملخص خطبته

وفي ليلة الثلاثاء اجتمع في دار عمر باشا المحمد نحو من عشرين رجلا إجابة لدعوة المفتي وهم من وجهاء لواء طرابلس لا المدينة نفسها فقط فخطبت فيهم خطبة بينت فيها فوائد الجمعيات وأنواعها وتأثيرها في ترقية البشر في العلوم والأعمال الدينية والدنيوية وكون الخيرية منها من الضروريات التي لا يخلو منها بلد من البلاد المرتقية حتى ان الرجل الأفرنجي إذا مر في سياحته على بلد وأراد أن يبذل شيئا من ماله لمساعدة فقراء أهله فانه إنما يرسله إلى الجمعية الخيرية في ذلك البلد وربما وضع أحدهم حوالة مالية في كتاب وكتب عليه « الجمعية الخيرية » ووضعه في صندوق البريد من غير أن يسأل هل يوجد في هذا البلد جمعية خيرية أم لا كأن الجمعيات الخيرية من الامور الضرورية التي لا يمكن ان يخلو بلد منها . وذكرت ذلك المشعوذ الذي جاء القاهرة وأراد بعد ان ربح بألعابه فيها ربحا عظيما أن يخصص ليلة يجعل دخلها للجمعية الخيرية الاسلامية فيها فكان ذلك سبب تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية

ثم قلت: أيها السادة ، ان حكومتكم قد دخلت في طور جديد فصارت ديمقراطية أمرها بيد الشعب بعد أن كانت استبدادية شبه الارستقراطية بما للأغنياء والشرفاء من النفوذ فيها ، واعلموا ان كثيرا من الاحرار الذين اقلبت السلطة الاستبدادية بسعيهم متطرفون في الديمقراطية وان معظم الاحكام ستكون في أيديهم عاجلا أو آجلا وأن الشعب سيشعر بهذا فتدب اليه كراهة الكبراء والاغنياء فيكرههم وتنفخ فيه روح الاشتراكية فيهيج عليهم بالعمل فاذا جاء طرابلس متصرف متطرف من الديمقراطيين الذين أشربت قلوبهم ذلك والي الولاية منهم أيضا فلعلهما ان ما تعودتموه من

الجاه والكرامة في وطنكم لا يبقى لكم الا اذا كان الشعب يحبكم بتحببكم اليه قبل ذلك والا دهوركم واسقطكم كما فعلت قبله الشعوب الافرنجية بأولئك النبلاء الذين كانوا يملكون أوربا ويتصرفون فيها تصرفا لم تصلوا الى مثله من كونت ودوق ومركيز ثم يقوم من طبقات الشعب الدنيا من يتولى الزعامة في البلاد بحق أو بغير حق . وما أظن ان صدوركم تنشرح لتلك الحال ولا ان اعينكم تبتهج برؤيته . واني أحب ان تكونوا أنتم زعماء بلدكم في زمن الحرية وتحت ظل الدستور بأن تحببوا الى الشعب منذ اليوم بنشر التربية والتعليم فيه ومواساة الفقراء والمساكين من أهله

اني لا أحب الارستقراطية وان كنت من بيت شريف ، واني ما زلت من دعاة الديمقراطية بلسان السياسة ولسان الدين ، وانما أميل الى بقاء زعامة وطني في وجهائه واياكم أعني لاعتقادي انه لا يوجد في دهمائه من يصلح للزعامة كما وجد في فرنسا عند ما صارت ديمقراطية

الفرق بيننا وبين فرنسا بعيد ، ان فرنسا كانت قبل ثورتها المشهورة قد استعدت ما لم نستعد بمثله نحن اليوم حتى نبغ فيها من دهماء الشعب من يصلحون للزعامة بعلومهم وأعمالهم وآرائهم وأخلاقهم

اني لعلمي بهذا الفرق ولما رأيت في بلاد مصر التي تمتعت بالحرية قبل بلادنا من العبر وهبوط قوم وصعود آخرين أقول ما أقول عن خبرة وبصيرة وأحب ان نعتبر نحن العثمانيين بحال الامة الانكليزية التي هي أعرق الامم في الحرية وأكثرهن استفادة منها فهي الامة التي حافظت على كرامة النبلاء وحرمة البيوتات فيها بعد الديمقراطية الراسخة واستفادت من ذلك كثيرا . وأرى ان إسقاط الشعب لكرامة أصحاب البيوتات منا وتسلق أفراد الطبقات الدنيا للزعامة فينا مع ما هم عليه من الجهل يقف في طريق نهضتنا وأن عناية وجهائنا بحفظ كرامتهم وحرصهم على ان يكونوا هم زعماء الشعب يكون أسرع في تقدمه إذا هم أتوا البيوت من أبوابها فانهم في الغالب على شيء من الاخلاق والعلم أو الاختبار

ثم قلت ان خدمة الامة والتحبب اليها انما يكونان بالتعاون على تربية أولادها وتعليمهم ما به قوام حياتهم ومواساة المنكوبين والمعوزين من فقرائها وذلك لا يتيسر

الا بتأليف جمعية خيرية تجعل معظم ريعها لانشاء المدارس وباقيه لإعانة المنكوبين والمعوزين وهذا ما أدعوكم الى الاكتتاب له بلسان فضيلة المفتي الحريص على هذا العمل المبرور الراغب في هذا السعي المشكور وسيجمعكم في ليلة أخرى لاجل المذاكرة في القانون الذي يوضع لذلك وانتخاب الاعضاء العاملين . ثم شرعنا في الاكتتاب وافتتحه المفتي في ورقة كتبت في اعلاها ما نصه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« وتعاونوا على البر والتقوى »

هذا بيان ما تبرع به الذوات المذكورة اسماؤهم بقطع النظر عن إرادة تأسيس جمعية خيرية إسلامية في طرابلس الشام لنشر التعليم الديني والدنيوي على الطريقة العصرية ولإعانة العاجزين والمنكوبين المعوزين بمقتضى قانون يجري العمل بموجبه بعد إقرار المكتتبين له في اجتماع خاص وقد جرى هذا في ليلة ١٦ شوال سنة ١٣٢٦ للهجرة الشريفة .

﴿ اسماء المكتتبين لتأسيس جمعية خيرية اسلامية بطرابلس الشام ﴾

ونذكر أسماء المكتتبين مع الالقاب وهم كتبوها مجردة كما هي العادة ورتبناها على حسب قيمة الاكتتاب

ليرة عثمانية

١٠٠ مفتي اللواء رشيد افندي كرامي
١٠٠ عمر باشا المحمد من اعيان اللواء
٠٣٠ عثمان باشا المحمد «
٠٢٠ علي باشا المحمد «
٠٢٠ مصطفى افندي عز الدين من كبار التجار
٠١٠ عبد القادر باشا اللاو رئيس شركة الترام والشوسه
٠٠٥ ابراهيم بك الاحدب من الاعيان

ليرة عثمانية

٥٠٠ احمد افندي سلطان وكيل الدعاوى (المحامي)

٥٠٠ خير الدين بك عدره من كبار التجار

٥٠٠ عبد الحي افندي الملك من الوجهاء

٥٠٠ عبد القادر افندي القباني اليه وفي الشهير (وكان في طرابلس)

٥٠٠ عبد القادر افندي النوق من كبار التجار

٥٠٠ محمد فؤاد افندي النوق «

٥٠٠ محمد سعيد بك (عمرزقم مكتوبجي الولاية) الذي كان وكيل المتصرف يومئذ

٥٠٠ محمد كامل بك البحيري صاحب جريدة طرابلس

٣٠٠ عبد اللطيف افندي الغلاييني وكيل الدعاوى

٣٠٠ محمود افندي الحداد من التجار

٢٠٠ الشيخ اسماعيل افندي الحافظ رئيس كتاب المحكمة الشرعية

٢٠٠ صبحي بك شريف

١٠٠ عبد الرحمن افندي أديب من التجار

٣٣٦ المجموع

وقد وعدني بعض هؤلاء بأن يدفعوا أكثر مما كتبوا منهم مصطفى افندي عز الدين والشيخ اسماعيل افندي الحافظ كما وعد بعض من حضر وكتب اسمه ولم يعين مبلغا كعبد الله افندي اليمن من كبار الوجهاء أصحاب النفوذ الادبي في اللواء وعضو مجلس الادارة الآن

هذا وان الذين أجابوا الدعوة وحضروا الاجتماع هم زهاء خمس من دعاهم الثي ، وقد أبى حضورها بعض المتشرعين بالجمد الشديد الذين يرون أنهم يستغنون به عن الجد الطريف ومنهم من صار يسعى بعد ذلك في إبطال العمل ويثبط عنه ولكن لسعيهم هذا تأثير أوقف التنفيذ الى أجل ولولا ذلك لما ذكرت من أمر هذه الجمعية إلا ان جماعة من أهل الفضل في طرابلس أسسوا جمعية خيرية إسلامية فلهم الشكر والثناء

يوجد في كل بلد أفراد مجردون من حب الخير ويرون أنهم أهل لأن يوصفوا بكل خير ويؤلمهم منظر الخير في غيرهم لأنه بعمله تجلى ما أعوزهم وأعجزهم فهم يقعدون بكل طريق من طرق الخير يصدون عنها ويبغونها عوجا . لأجل هؤلاء أحب مفتي طرابلس أن لا تؤسس الجمعية الخيرية إلا بعد دعوة جميع الوجهاء حتى لا يعتذر بعد ذلك أعداء الخير بأنهم لا يساعدون هذا العمل لانهم لم يدعوا اليه عند التأسيس ونعم ما أحب وما رأى

على أن بعض من دعي ولم يجب ممن ذكرنا وصفهم انتدبوا لإحباط العمل والتثبيط عنه حتى ان منهم من لم يستح من مخاطبة المفتي نفسه بذلك ولما لم يجد وجها وجيها للتثبيط قال له انه لا ينبغي لسماحتكم ان تقوموا بهذه الجمعية عن دعوة فلان فأجابه المفتي جواب العاقل الفاضل فقال أولاً ان هذا العمل خير لا ريب في نفعه وفائدته فسواء كان من دعاني اليه دوني أو مثلي أو فوقي لا فرق في ذلك وثانيا ان الداعي الى ذلك هو واحد منا ومن أهل العلم والشرف فينا وليس له منفعة شخصية ولا غرض ذاتي حمله عليه ولا هو يريد الاقامة في هذه البلاد فنقول انه ينفرد بشرف العمل فيه حبا بالشهرة الخ

إني لما علمت بمثل هذا القول الذي قيل للمفتي ولغيره كففت عن السعي فيما كنت آخذا فيه من تأليف لجنة موقتة لادارة العمل والدعوة إليه الى ان يشترك في الجمعية عدد كثير تتألف منه الجمعية العمومية التي تنظر في القانون وتنتخب من افرادها اعضاء الادارة . وكنت اسعى الى من اظن فيهم الخير في بيوتهم ومحال عملهم . وإنما كففت لأرى ماذا يصنع المعذرون او المثبطون هل يتفقون مع المفتي وينهضون بالعمل ام يلجئون الى السكوت عنه لأنه هو المقصود لهم بالذات؟ فتبين بعد ذلك انهم لا يريدون الا احباط العمل لانهم لا يعملون الخير ولا يحبون ان يعمله غيرهم

وقد كتبت في مذكرتي في أوائل شهر ذي القعدة ما نصه : ذكر لي غير واحد من الوجهاء أن نجاح الجمعية الخيرية الاسلامية بطرابلس لا يرجى وان الذين اكتتبوا إنما اكتتبوا حياء ومنهم من لا يعتقدون انهم يدفعون شيئا بل قالوا ان المفتي نفسه يسايرني مسايرة ويعدني بأنه سيبذل جهده وهو يعتقد ان التقصير سيظهر من غيره . وألح علي (فلان) ..

بأن اترك التشبث بالجمعية ، وظهر لي انه يرى ان ذلك ينفر القوم مني من حيث لا أستفيد مما أريد شيئاً » الخ ما كتبته في شأن افراد معينين من قائل ومقول فيه

أ كتب هذا ليعلم أصحاب النية الصالحة في طرابلس كالمفتي وغيره السبب في اكتفائي بعد ذلك باتفاق نفر من يرجى نجدتهم لإدارة الجمعية وقتا وايذان المفتي بذلك في يوم الاربعاء ٢٣ ذي القعدة (١٦ دسمبر . ك ١) بعد دعوة كل واحد منهم على حدته ووعده لي ببذل الجهد في ذلك الا واحدا منهم (وهو محمود افندي الملا) قال انه لا يدخل في العمل إلا بعد ان يشرعوا فيه بالفعل ، وان لي رجاء قويا في همة المفتي وغيرته وهمة أولئك الأمجاد بأن ينهضوا بهذه الجمعية نهضة صالحة بعد هدوء الاضطراب الذي احدثه ضعف الحكومة الجديدة والاستواء على حال ثابتة ، واني أساعدهم بالقلم من هنا وا كون عونالهم على اليائسين الذين لم ا كتب ما كتبت الآن الا ليعلموا ان كيدهم في تضليل «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

حقوقنا المهضومة ونائب طرابلس الشرعي

لقد علم القاصي والداني من عثماني وغير عثماني أن حكومة الاستبداد الماضية قد أسرفت في الجور على بيتنا وظلم أهلينا انتقاما مني (راجع فاتحة السنة الثانية عشرة في الجزء الماضي) وكان من ذلك الظلم انه لما توفي والدنا تغمده الله برحمته صرت أنا المستحق بعده للتولية على جامع القلمون الذي جدده فيها جدنا الثالث بحسب نظام التوجيهات الناطق وفاقا للشرع بأن يوجه ما ينحل عن الوالد من الوظائف المتعلقة بالاوقاف الى أ كبر أولاده ولكن حكومة الرشوة والاستبداد وجهت تولية مسجدنا على رجل آخر اسمه عثمان النصري واشتهر انه اعطى القاضي (نوري افندي) على ذلك اربعين ليرة ثم اعطاه رجل آخر اسمه الشيخ محمود حسن على ما شاع وذاع — سبعين أو ثمانين ليرة فعزل عثمان النصري بدعوى ملفقة ووجه التولية على محمود حسن

فلما أردت السفر من طرابلس الى مصر قدمت دعوى الى المحكمة الشرعية ملخصها ان تولية محمود حسن على جامع القلمون غير صحيحة واني أنا صاحب الحق في هذه التولية فأطلب توجيها علي عملا بالنظام واذا فرضنا أن توليته صحيحة فانني اثبت خيانته بترك معاهد الوقف عرضة للخراب وترك عمارة ما خرب منها في زمن

توليته والزيادة في النفقات والنقص من الريع، وكانت هي بكيلين شرعيين، ثم تهيأت للسفر فحدث ماذكرناه من التشبث بتأسيس جمعية خيرية، ثم جاءنا برقية بأن نيابة طرابلس (أي قضاءها الشرعي) وجهت إلى عبد المجيد أفندي المغربي وأنه سيسافر من الآستانة قاصدا طرابلس ثم لم يلبث أن حضر

عرضت الدعوى على هذا النائب فقال لي إني أقول لك وإن كان لا ينبغي للقاضي أن يصرح برأيه قبل الحكم إن حقك ظاهر وإني سأحكم لك بعد استيفاء المعاملة الشرعية ــ ولما كنت على ثقة من ظهور هذا الحق اعتقدت أن الدعوى تتم في أسبوع أو أسبوعين فأجلت السفر وتابعت سير الدعوى بنفسي وأنا أظن في كل أسبوع أني أفرغ فيه من الدعوى وأسافر في الذي بعده وكنت عازما على الإقامة في سورية خمسة أسابيع فقط لكثرة شغلي في مصر فأقمت ستة أشهر والدعوى على حالها يزيدها النائب كل يوم تعقيدا

إني لم أكد أجالس هذا القاضي مرتين أو ثلاثا إلا وقد جزمت بأنه سيهان في طرابلس إهانة لم يسبق لها نظير فكنت حريصا على إنجاز قضيتي قبل ظهور حقيقة حاله التي عرفتها بالفراسة وكاشفت بها غير واحد ولكن هذا القاضي لا يعجز عن أن يتعمد مطلي في نيل حقي على أنه محق وقادر على إثبات حقه

إنما هذا القاضي جعل جلسات الدعوى وقفا على وكيل الخصمين على كتابة ماشاءا في جريدتها ويطيل في قراءة ما كتبا وقد ثبت لديه أن تولية المدعى عليه غير صحيحة وأنه خائن تارك للعمارة الواجبة شرعا كما تبين بالكشف من قبل المحكمة وشهادة الشهود ومع هذا لم يحكم بشيء حتى آن الأوان وضج الأوقاف من الناس بالشكوى منه واجتمعوا عند المحكمة وهم ألوف يأمرون فليسقط القاضي الخائن المرتكب وشكوا أمره المشيخة الإسلامية فأمرت بالتحقيق وهم يشكون منه أمورا كثيرة ذكرت في جريدتي لسان الحال وغيرها منها التطويل في المرافعات وعدم الحكم فيها بعد انتهائها كما حدث معنا حتى امتنع الوكلاء (المحامون) من المجيء إلى المحكمة ومنها أنه قد يحكم ثم يرجع بحكمه بعد كتابته ومنها كراهته الحكومة الدستورية واعتزازه بكونه من جمعية «دقنا كاران ملت» وقد علمنا بعد ذلك أنه كان نائبا في صيدا فأحدث فيها فتنة تحزب بسببها البلد وأن ذلك شأنه في كل بلد كان فيها حاكما

(لها بقية)

﴿ قانون المطبوعات وتقييد الصحافة بمصر ﴾

لم تكد تستقر قدمنا بمصر بعد عودتنا من سورية (في الأسبوع الأخير من هذا الشهر) حتى صخ سمعنا نبأ عزم الحكومة على العمل بقانون المطبوعات الذي وضع عقب الثورة العرابية لأجل تقييد الجرائد ذلك التقييد سيرته الأولى، ثم سمعنا أن هذا كان عن اتفاق بين الإمارة المصرية والحكومة الإنكليزية وأن نظار الحكومة المصرية لم يكن لهم به من علم إلا أن يكون رئيسهم الجديد بطرس باشا غالي وأنهم عندما فوجئوا بطلب تقرير ذلك القانون أبوا ورفضوا الاستقالة على ذلك ووردت بعض الجرائد الإفرنجية أن سعد باشا زغلول ناظر المعارف ومحمد سعيد باشا ناظر الداخلية هما اللذان عارضا وكادا يستقيلان ثم اقتنعا فلم يستقيلا وأن الوزارة لم ترض أخيرا بتنفيذ ذلك القانون إلا بعد تعديل ما واتفاق على عدم التضييق به على المطبوعات ولا المراقبة على الكتب التي تطبع ولا المطابع التي تطبعها وأن تقتصر المراقبة بالجرائد تقييدا من الإسراف في الطعن والهجاء الذي لم يسلم منه الأمير ولا رجال الحكومة فضلا عن غيرهم ومن تهييج الناس على الأعمال التي قد تحدث الاضطراب وتثير السخط العام على الحكومة. ولقد كان وقع نبأ هذا القانون أليما شديدا على رجال الصحافة وغيرهم ويخشون أن يكون مبدأ شر أعظم منه الأمر هم على رأي السلطة التي أعادته

كان للإدارة الإنكليزية في مصر مزيتان عظيمتان لا نزاع فيهما ويقول الكثيرون أنه لم يكن لها من حسنة سواهما الإصلاح المالي وحرية الطباعة وقد ذهبت السيرة الثانية بتلك المزية الأولى وكانت انكلترا قادرة على تعويضها كما فرحت عصبة أمريكا التي هي أعظم منها بكثير من الأضعاف فأزالت المزية الثانية بقانون المطبوعات لتقييد الجرائد بطريقة تبقي لهم في مصر عنون باطل البلاد ويفاخرون بالأمر، وكان الأمر من حدث بعد مظاهرة نورد كرومر لمصر وهو الذي كان صاحب الرأي في أن الحزب الوطني وجرائده وأكثر الجرائد الأخرى ومنها المؤيد كانوا يقصرون شكرانهم من الاحتلال في شخصه فصاروا بعده اليوم يتمثلون بقول الشاعر:

رب يوم بكيت منه فلما ... صرت في غيره بكيت عليه



﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر الاربعاء ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٧ — ٢١ أبريل (نيسان) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م ﴾

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ مسألة خلق القرآن وقدمه ﴾

(س ١٠) من جدة (الحجاز) لصاحب التوقيع

حكيم الاسلام بحر العلوم العقلية والنقلية تاج رأس السنية سيدي محمد رشيد رضا افندي منشئ مجلة المنار الغراء لا زال في مقام كريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - من العجب أني لم أعثر في مجلدات المنار على مبحث في القرآن المجيد المكتوب في المصاحف الخ تكونون كتبتموه أو سئلتم

عنه فتكفني هو أن نسألكم ونروم من غيرتكم على الدين الاسلامي ان تبينوا لنا ما هو الحق الذي يجب اعتقاده في مسألة القرآن الواقع فيها الخلاف بين الحنابلة وأتباع الحنفية والمالكية والشافعية الآن بالبيان الشافي الكافي بأدلة الفريقين وترجيح أي الاعتقادين على الآخر لأن لكم القدح المعلى في هذا الفن ولكم الأجر والشكر في الدنيا والآخرة

محمد حسين

(ج) اعلم يا أخي قبل كل شيء أنه ما أضر الاسلام والمسلمين شيء كالخلاف والتفرق فيه الى شيع ومذاهب يوجه كل باحث منهم قواه الى تأييد أقوال مذهبه الذي ينتسب اليه وتفنيد كل ما يخالفه ولذلك وردت الآيات والأحاديث الشريفة في حظر الخلاف والتشنيع على المختلفين حتى قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم (٦ : ١٥٩ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وقال للمسلمين (٣ : ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) ولعل الجهل بمسألة من المسائل مع الوفاق والاجتماع يكون أحيانا خيراً من العلم بها مع الخلاف فيها والتفرق ولذلك كان النبي (ص) يريد أن يبين شيئا فيترك بيانه لاجل خلاف المسلمين في الحاجة اليه كما فعل يوم أراد ان يكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده أبدا كما في صحيح البخاري. وقريب من ذلك ما كان حين أراد أن يبين لهم ليلة القدر كما في الصحيح أيضا وغرضنا من هذا تذكير السائل الكريم بأنه لا ينبغي له ولا لغيره ان يسأل عن شيء لاجل تأييد ما يراه هو فيه وبيان خطأ المخالف له من المسلمين

واعلم يا أخي ثانيا ان المحاكمة بين المذاهب لأجل ترجيح بعضها على بعض هي من أقوى أسباب الحمل على تعصب أهل كل مذهب لمذهبهم وملاحاة المخالفين لهم ومعاداتهم وقلما يوجد منتسب الى مذهب ينظر في قول المخالف ودلائله نظر المستجلي للحقيقة بل ينظر اليه بعين النقد والبحث عن مواضع الضعف ولو في التعبير ليهجم عليه من موضع ضعفه فيقوض بنيانه ويبين بطلانه

اذا علمت هذا وذاك وأنت تعلم ان المنار أنشئ للجمع والتوفيق لا للخلاف والتفريق تبين لك وجه العذر في عدم الاجابة الى ذكر أدلة المذاهب في المسألة

والترجيح بيننا مكتفيا ببيان الحق فيها وهو ما كان عليه السلف الصالح من غير جدال ولا نضال ، ولا ما كره لنا الله من القيل والقال

ان هذا القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ في الصدور المقروء بالألسنة هو كلام الله المنزل على قلب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والرسول المبلغ له عن الله تعالى ليس فيه صنع ولا عمل · والقول بأنه مخلوق على الاطلاق أو باعتبار قراءته أو كتابته من البدع المذمومة التي لم يأذن بها الله ولا قال بها رسوله ولا أصحاب رسوله ولا التابعون لهم في هدايتهم ولا هي مما تحتاج اليه الامة في حفظ دينها ولا مصلحة دنياها ·

ومن البدع ايضا ان يقال ان حروفه مخلوقة وان قراءتي له مخلوقة ورب ما كان ذريعة الى ما هو شر منه مع عدم الحاجة اليه وضرر إضاعة الوقت في مثله

انا لم نخض في مسألة الخلاف في خلق القرآن اتباعا للسلف ولكننا بينا في تفسير أول آية من الجزء الثالث من القرآن معنى كلام الله وتكليمه وكون كلامه عز وجل شأنا من شؤونه قديما بقدمه · واتباع مذهب السلف يقتضي من الخوض في الخلاف فنحن نبين الحق الذي نعتقده وندين الله به وندعو اليه ولا نزيد على ذلك · وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كتب في رسالة التوحيد جملة في مسألة هذا الخلاف ثم اعترف بأنه أخطأ مذهب السلف في ذلك وأمر بحذف تلك الجملة من الرسالة في الطبعة الثانية ولما وفقنا لطبع الرسالة ثانية مصححة بتصحيحه حذفنا تلك الجملة منها

ومن المعلوم أن فتنة القول بخلق القرآن حدثت في أول القرن الثالث ثم انه كان جعلها نسيا منسيا ونكون في ذلك كأهل القرن الأول والثاني · فإن قيل كان يكون هذا حسنا لو رضي الناس بهجره ولكن المسألة لا تزال تقرأ في الكتب فتلقي شبهة البدعة ببعض الأذهان فوجب إبطال تلك الشبهة التي يزعم أصحابها انهم بها أهل الحق الفلسفة اذ جعلوا القرآن قسمين منه كلام نفسي وكلام لفظي وقالوا هذا حادث وذاك قديم · قلنا ان المجادلات النظرية هي تلك النظريات الفلسفية وانما عنينا بالنهي عنها هنا وبيان الحق الذي كان عليه السلف لا نرى غير ذلك وبالله التوفيق

* * *

﴿ جعل الدية على العاقلة وحكمة ذلك ﴾

(س ١١) من بيروت لصاحب الامضاء

حضرة العالم الفاضل والغيور الصادق معتمد الامة الاسلامية السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاغر

هل قضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالدية على عاقلة الجاني (كما ثبت في الصحيحين) جناية على الانسانية ، واجحاف بحقوق المدنية ، كما يظهر ذلك من مقالة سطرت في جريدة — لبنان — الصادرة في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٦ عدد ٧٧٧ تحت عنوان (مجلس الادارة وجريدة لبنان) أم هو نهاية في العدالة ومحض خير للامة ، وغاية في حفظ دماء البشر ، وتعليم للناس ليعين بعضهم بعضا إذا اخطأ ، وتربية لهم حتى لا يمكن أحدهم ان حيه باللعب بمسدس مثلا ، أفيدونا الجواب ، ولكم من الله الثواب ،

سبب المقالة فيما يظهر ان بعض اللبنانيين يود انتخاب أناس من مجلس الادارة وبعضهم يروم انتخابهم من مشايخ الصلح ومنهم صاحب الجريدة . حجة الفريق الاول ان بعض مشايخ الصلح أخطأ في أمر مّا فلزم لهذا الاعراض عنهم وتيمم رجال مجلس الادارة لذلك قال كاتب المقالة ما نصه (بلا زيادة حرف)

« على انه إذا صح لنا تبديل النظام ونزع ذلك الحق من أيدي مشايخ الصلح لخطأ ارتكبه واحد منهم صح استبدال نظام كل حكومة عند ما يرتكب أحد رجالها جريمة من الجرائم ومجازاة كل مأموريها . وكان مثلهم مثل العاقلة في الشرع الشريف . فانه إذا قتل أحد الصاغة مثلا في قرية وما أمكن معرفة قاتله وجبت الدية على جميع ابناء حرفته وهكذا مشايخ صلح وجب بحسب تلك القاعدة إلقاؤهم جميعا تحت تبعة ما يرتكبه أحدهم » اه ثم رد على من يبتغي الانتخاب من مجلس الادارة اللبنانية وحض على الانتخاب من مشايخ الصلح اه كامل الغلاييني

(ج) جعل الدية على العاقلة وهي عصبة العشيرة (العائلة) خاص بقتل الخطإ وحكمته تكافل العشيرة وتعاونها في المصيبة فهو من قبيل ايجاب النفقة للمعسرين من الاقربين على الموسرين منهم على ما في هذا وذاك من التفصيل والخلاف . وهذا يرد زعم بعض الجاهلين بالشريعة أن الاسلام لم يقرر في امر العائلات شيئاً كأن العائلة لا وجود لها في الاسلام على انه لا يوجد في شريعة الهية ولا وضعية من اقدم الشرائع الى أحدثها مثل ما يوجد في الشريعة الاسلامية الغراء من إحكام روابط القرابة ووشيجة الرحم من الاحكام والآداب ومن أهمها مسائل النفقات ومسألة جعل دية قتل الخطإ على عاقلة القاتل (وربما كان لفظ العائلة محرفاً عن العاقلة) لأنه لما كان معذوراً بخطإه وكانت الدية ربما تذهب بثروته لا سيما اذا تكرر الخطأ منه جعلتها الشريعة في عاقلته يتعاونون عليها وقد تقدم في التفسير من هذا الجزء وفي غيره كلام في تكافل الامة فما بالك بتكافل العشيرة

وحكم العاقلة ورد في الحديث لا في القرآن وقال العلماء في شرح بعض الاحاديث الواردة في ذلك انه مخالف لظاهر قوله تعالى (٣٥:١٨ ولا تزر وازرة وزر أخرى) وأجابوا عن ذلك بجعل الاحاديث الواردة في ذلك مخصصة لعموم الآية بناء على قول جمهور أهل الاصول بتخصيص القرآن بأحاديث الآحاد ونقلوا عن بعض العلماء والمذاهب خلافاً فيها

قال في نيل الاوطار : وعاقلة الرجل عشيرته فيبدأ بفخذه الادنى فان عجزوا ضم اليهم الأقرب فالأقرب المكلف الذكر الحر من عصبة النسب ثم السبب ثم في بيت المال . وقال الناصر انها تجب على العصبة ثم على أهل الديوان يعني جند السلطان . وقال ابو حنيفة انها تجب على أهل الديوان دون أهل الميراث ولم ينكر هكذا في البحر . ولا يخفى ما في ذلك من المخالفة للاحاديث الصحيحة . وقد حكي في البحر عن الاصم وابن علية واكثر الخوارج ان دية الخطإ في مال القاتل ولا يلزم العاقلة وحكي عن عقمة وابن ابي ليلى وابن شبرمة والبتي وابي ثور ان الذي يلزم العاقلة هو الخطأ المحض وعمد الخطإ في مال القاتل اه

أقول وورد في بعض الاحاديث المتأخرة ماظاهره نسخ العاقلة كحديث عمرو بن

الاحوص انه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فقال رسول الله (ص) « لا يجني جان الا على نفسه لا يجني والد على ولده ولا مولود على والده » رواه احمد وابو داود والترمذي وصححه وابن ماجه . وحديث ابي رمثة قال خرجت مع ابي حتى اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت برأسه ردع حناء وقال لأبي « هذا ابنك ؟ قال نعم قال : أما انه لا يجني عليك ولا تجني عليه » وقرأ رسول الله (ص) « ولا تزر وازرة وزر اخرى » رواه احمد ابو داود والنسائي والترمذي وحسنه وصححه وابن خزيمة وابن الجارود والحاكم وفيه روايات اخرى وحديث الرجل من بني يربوع قال اتينا رسول الله (ص) وهو يكلم الناس فقالوا يا رسول الله هؤلاء بنو فلان قتلوا فلانا فقال رسول الله (ص) « لا تجني نفس على نفس » رواه احمد بسند رجاله رجال الصحيح والنسائي . وقد ادخل الفقهاء الاحاديث في باب التخصيص فاخرجوا الوالد والولد من العاقلة والنسخ فيها اظهر ولكن العمل جرى على الاحكام . وكما أن العاقلة مخالفة لظاهر الآية التي استدل بها الرسول في الحديث السابق هي مخالفة للقياس ايضا وقد أجاب الفقهاء عن الاول بما علمت من التخصيص وفصل الجواب عن الآخر الامام ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين قال :

(فصل) ومن هذا الباب قول القائل حمل العاقلة الدية عن الجاني على خلاف القياس ولهذا لا تحمل العمد ولا العبد ولا في الصلح ولا الاعتراف ولا ما دون الثلث ولا تحمل جناية الاموال ولو كانت على وفق القياس لحملت ذلك كله

والجواب أن يقال لا ريب أن من اتلف مضمونا كان ضمانه عليه « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ولا تؤخذ نفس بجريرة غيرها وبهذا جاء شرع الله سبحانه وجزاؤه وحمل العاقلة الدية غير مناقض لشيء من هذا كما سنبينه والناس متنازعون في العقل هل تحمله العاقلة ابتداء أو تحملا على قولين كما تنازعوا في صدقة الفطر التي تجب اداؤها عن الغير كالزوجة والولد هل تجب ابتداء أو تحملا على قولين؟ وعلى ذلك ينبني ما لو أخرجها من تحملت عنه بغير اذن المتحمل فمن قال هي واجبة عليه ابتداء قال لا تجزي بل هي كأداء الزكاة عن الغير وكذلك القاتل اذا لم تكن له عاقلة

هل تجب الدية في ذمة القاتل أولاً بناء على هذا الأصل ؟ والقتل فارق غيره من المتلفات في أسباب اقتضت اختصاصه بالحكم، وذلك أن دية المقتول مال كثير، والعاقلة إنما تحمل الخطأ، ولا تحمل العمد بالاتفاق، ولا شبهه على الصحيح، والخطأ يعذر فيه الإنسان، فإيجاب الدية في ماله فيه ضرر عظيم عليه من غير ذنب تعمده، وإهدار دم المقتول من غير ضمان بالكلية فيه إضرار بأولاده وورثته، فلا بد من إيجاب بدله، فكان من محاسن الشريعة وقيامها بمصالح العباد أن أوجب بدله على من عليهم موالاة القاتل ونصرته، فأوجب عليهم إعانته على ذلك، وهذا كإيجاب النفقات على الأقارب وكسوتهم وكذا مسكنهم وإعفافهم إذا طلبوا النكاح، وكإيجاب فكاك الأسير من بلد العدو، فإن هذا أسير بالدية التي لم يتعمدها ولا وجبت باختيار مستحقها كالقرض والبيع، وليست قليلة، فالقاتل في الغالب لا يقدر على حملها، وهذا بخلاف العمد، فإن الجاني ظالم مستحق للعقوبة ليس أهلاً أن يحمل عنه بدل القتل، وبخلاف شبه العمد لأنه قاصد للجناية متعمد لها فهو آثم معتد، وبخلاف بدل المتلف من الأموال فإنه قليل في الغالب لا يكاد الجاني يعجز عن حمله، وشأن النفوس غير شأن الأموال، ولهذا لم تحمل العاقلة ما دون الثلث عند الإمام أحمد ومالك لقلته واحتمال الجاني حمله، وعند أبي حنيفة لا تحمل ما دون أقل المقادير كأرش الموضحة وتحمل ما فوقه، وعند الشافعي تحمل القليل والكثير طرداً للقياس، والعرب بها كونها لا تحمل العبد فإنه سلعة من السلع ومال من الأموال، فلو حملت بدله لحملت بدل الحيوان والمتاع.

وأما الصلح والاعتراف فعارض هذه الحكمة فيهما معنى آخر، وهو أن المدعي والمدعى عليه قد يتواطآن على الإقرار بالجناية ويشتركان فيما تحمله العاقلة ويتصالحان على تغريم العاقلة، فلا يسري إقراره ولا صلحه، فلا يجوز إقراره في حق العاقلة، ولا يقبل قوله فيما يجب عليها من الغرامة، وهذا هو القياس الصحيح، فإن الصلح والاعتراف يتضمن إقراره ودعواه على العاقلة بوجوب المال عليها، فلا يقبل ذلك في حقهم، ويقبل بالنسبة إلى المعترف كنظائره.

فتبين أن إيجاب الدية على العاقلة من جنس ما أوجبه الشارع من الإحسان إلى المحتاجين كأبناء السبيل والفقراء والمساكين، وهذا من تمام الحكمة التي بها قيام مصلحة

العالم فإن الله سبحانه وتعالى قسم خلقه الى غني وفقير ولا تتم مصالحهم إلا بسد خلة الفقير فأوجب سبحانه في فضول أموال الاغنياء ما يسد خلة الفقراء وحرم الربا الذي يضر بالمحتاج فكان أمره بالصدقة ونهيه عن الربا أخوين شقيقين ولذا جمع الله بينهما في قوله (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وقوله (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون) وذكر سبحانه أحكام الناس في الأموال في آخر سورة البقرة وهي ثلاثة عدل وظلم وفضل فالعدل البيع والظلم الربا والفضل الصدقة فمدح المتصدقين وذكر ثوابهم وذم المرابين وذكر عقابهم وأباح البيع والتداين إلى أجل مسمى والمقصود أن حمل الدية من جنس ما أوجبه من الحقوق لبعض العباد على بعض كحق المملوك والزوجة والاقارب والضيف ليست من باب عقوبة الانسان بجناية غيره فهذا لون وذاك لون والله الموفق» اهـ

فتبين مما تقدم كله أن جعل الدية على العاقلة بشروطه هو من باب إعانة من يقع في مصيبة وتلزمه غرامة لم يتعمد سببها وانه من أسباب تكافل الاسر والعشائر (العائلات)وتضامنها و إحكام روابط المودة وتقوية وشائج الرحم بينها وان من كتب ما كتب في جريدة لبنان لم يفهم معنى كون الدية على العاقلة جملة ولا تفصيلا فكيف يفهم حكمته

وهكذا نرى شأن الذين ينتقدون احكام الاسلام تصريحا أو تلويحا يقولون ما لا يعلمون ، ويهرفون بما لا يعرفون ، فيجنون على العلم من جهة ويورثون الاضغان الدينية من جهة أخرى وما كان أغناهم من الحالين اذا لم يكونوا متعمدين للافساد كما هو شأن الكثيرين منهم

***

﴿ القضاء والقدر ﴾

(س ١٢) من مشترك بالسودان

جناب مدير المنار الاغر

بعد التحية ، ذكرتم في صحيفة ٧٢٣ (ج ١٠ م ١) كلمة بخصوص مسألة القضاء والقدر . ولما كان المنار هو المجلة الوحيدة في العالم الاسلامي التي يهمها البحث في فلسفة

الدين وشؤون الاجتماع والعمران . وكانت مسألة القضاء والقدر هي الأمر الذي اعترف به الصديق والعدو انه السبب الوحيد في تأخر المسلمين . رأيت ان ما ذكره المنارفي هذا الجزء والاجزاء السابقة لم يشف غليل العقول ولا هو زحزح شيئاً من أساس المبدأ الثابت في أدمغة العام والخاص القائل عنه (تقي الدين بن تيمية) من شيئين مضت

فمن كان من أهل السعادة اثرت أوامره فيه بتيسير صنعة

ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل بأمر ولا نهي بتقدير شقوة

واذا كانت العباد مقسومة هذا للشقاء وذاك للسعادة وإن هذا الاعتقاد مستول على العقول فهمة المسلمين التي تتوجه للاصلاح والتقدم ليست الا ضرباً من التقليد والتشبه للامم الحية التي لاتعرف شيئاً من هذه العقيدة المقيدة للهمم والعقول فتزول منهم اذا زالت عنهم الاسباب الاضطرارية الداعية لهذا التشبه . لان الدين أرسخ في الاذهان من مبدإ وقتي أثره تقليدي . اللهم الا اذا ضرب صفحاً عن هذه العقيدة من الدين وتشبعت النفوس تدريجاً بالمبادىء الطبيعية التي تسير مع تقدم الامم أو تكون هذه المسألة على خلاف ذلك إذاً إن ما ذكرتموه في المثال (عن ولي عهد المانيا وأخيه بمصر) لا يبرهن للاوربي الذي يتبرأ من هذه العقيدة انه كان من الازل مقرر اصابة أحد الاخوين بالحمى ليتأخر عن الميعاد الذي حدده لسفره وانه لابد ان يصاب به حتماً بل هو يقول لك كما يقول العقل والعلم : انه لو لم يتعرض للاسباب التي أوجبت هذا المرض لسبب عدم علمه بها لسافر في ميعاده المحدد وانه كان في امكانه ان يتجنبها لو علم بها . فاذا مسألة اصابته بالمرض ليست محتمة له من الازل . ولا كان الله تعالى مخصصها اليه بالذات ولكنها تخصصت له منه تعالى بسبب جهله تلك الاسباب ليس الا . . . وقول (منه تعالى) تخصصت لعله انه خالق كل الاسباب التي يتعرض لها الانسان بإرادته سواء علم بنتائجها أو جهلها — فاذا قلتم حسب مبدإكم ومبدإ (ابن تيمية) السالف ان ولي العهد مقدر له من الازل ان يحضر مصر وكان لا بد ان يمرض مرضه هذا قلت لكم ان اللص الذي قطعت يده بسبب ما سرق كان لا بد ان يسوقه الله تعالى السرقة ثم تقطع يده الحتمي وتكون هنا إرادة الانسان ومسئوليته في الدنيا والآخرة مما يقال ضرب (؟) من

ضروب السخرية وتتميم رواية ليس لها نتيجة . . ونكون كما قال (ابن تيمية)

وحكمته العليا اقتضت ما اقتضت من الـ ... فروق بعلم ثم أيد ورحمة

يسوق أولي التعذيب بالسبب الذي ... يقدره نحو العقاب بعزة

ويهدي أولي التنعيم نحو نعيمهم ... بأعمال صدق في خشوع وخشية

وما دامت الأسباب التي هي حجة للنتائج مقدرة حتمية . . فالنتائج بالطبع تابعة لهذا الإلزام . وعليه فالتقاضي والحساب في الآخرة ليس إلا لتتميم رواية كلامية واذا كان هذا مبدأ المنار فلا يلومن الامم الاسلامية الماضية وما كانت فيه من الاضمحلال . . ولا داعي لاستخراج نتائج فلسفية أو عمرانية للزوم الاخذ بأسباب الترقي والهرب من القديم . . . . ولا عيب على حكومات الاستبداد . . . ولا مانع من البقاء في الجهل . الخ . إذ ان الداعين للزوم تغيير المناهج لتتغير معها النتائج ليسوا الا معترفين بلزوم التسلط وتحرير القدر الالهي القابض على الاسباب بيد حديدية

وعلى هذا . . هل أقول مع (المنار) للذين يعتقدون من غير المسلمين ان عقيدة القضاء والقدر بهذا الشكل هي السبب في تأخر المسلمين : (ان ما ينتقد على المسلمين من ذلك لا يرجع منه شيء الى الاسلام الخالص فما قدره فهو الحق الواقع في نفسه الذي لا يمكن لمؤمن ولا ملحد انكاره) ؟ . أم ماذا نقول اذا كان ما سبق هو ما يريد المنار وتقريره ؟ وأشكركم سلفا

(ج) لكل مقام مقال فتحرير النزاع ولرد الشبه مقال غير مقال التذكير بأمر مقرر ، واعتقاد محرر ، وقد كان ما ذكر في ص ٧٢٣ ج ١٠ م ١١ من المنار من القسم الاخير ونحن اتباعا لهداية القرآن نكرر المسائل المهمة لا سيما في التفسير فنذكرها تارة بالايجاز وتارة بالاطناب وما اشرتم اليه هو قول الاستاذ الامام والغرض منه التذكير بأن الانسان ليس مستقلا في عمله تمام الاستقلال لجهله وعجزه والنظريات التي ذكرتموها لا تنقض شيئا من قوله بل تؤيده وحكم القضايا الممكنة ، غير حكم القضايا المطلقة ، كما هو مقرر في المنطق فقولك إنه كان في إمكان ولي عهد ألمانيا ان يتجنب أسباب المرض لو علم بها وإذا لأنفذ الترتيب الذي وضعه لسفره فمسألة

إصابته بذلك المرض لم تكن محتومة له من الأزل الخ قول ظاهر البطلان، لأن قضية مرضه جهتها الإطلاق لوقوعها بالفعل والامكان لا يناقض الاطلاق. وبعبارة عامية: انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك بجهله بأسباب المرض . على ان هناك أمراضا لا تعرف أسبابها كالسرطان وأمراضا تعرف أسبابها وقد يتعذر اجتنابها كالسل

نكتفي بهذه الاشارة ولا نضيع الوقت في المناقشة الطويلة ببيان بطلان كل نظرية من النظريات الباطلة التي أوردتموها نقلا أو رأيا وهي مشهورة لان الاطالة في ذلك لا تزيد المسألة الا تعقيدا كما صرحنا بذلك منذ سنين فقد قلنا في الدرس الرابع عشر من الأمالي الدينية التي كنا نلقيها بمصر الذي نشرناه في جزء المنار الذي صدر في غرة جمادي الثانية سنة ١٣١٨

«هذه المسألة من توابع البحث في العلم والارادة وهي الفتنة التي ابتليت بها الأمم فوقعوا في بحار الحيرة تتدافعهم أمواج الشكوك ويتلقاهم آذي الشبهات (اي موجها) حتى غرق فيها أكثر الخائضين ونجا الاقلون ومن عجيب أمرها ان العامة أعلم بها من الخاصة، وان الاميين أقرب الى اليقين بها من الكاتبين، وان شئت فقل ان الجهل بحقيقتها، تابع لسعة العلم بمباحثها، فكلما زاد الانسان نظرا فيها، زاد عماية عنها، لأن الخفاء كما يكون من شدة البعد، يكون من شدة القرب، الخ ما قلناه تمهيدا للقول « بأن المسألة في نفسها بديهية عوملت معاملة النظريات والبديهي كلما زاد البحث فيه بعد عن الادراك » الخ

لقد فتن علماء اللاهوت من النصارى في هذه المسألة كما فتن المسلمون، وقد صنف المسلمون فيها مصنفات خاصة فما أغنت عنهم من شيء . وكانت تعد من المشكلات العقلية فألبسها أهل هذا الزمان ثوب المشكلات الاجتماعية وزعموا انها سبب ضعف المسلمين وللاستاذ الامام مقالة طويلة في ابطال هذا الزعم وبيان ان هذه العقيدة من أسباب التقدم والارتقاء تطلب من المنار (ص٢٦٥ م٣) ومن الجزء الثاني من تاريخه (ص ٢٦٣)

إن الناس يأخذون من دينهم في كل عصر من الاعصار ما يناسب حالتهم الاجتماعية حتى ان العقيدة الواحدة تكون في الامة الواحدة مصدراً لآثار متناقضة في زمنين

مختلفين كعقيدة القدر كانت في زمن من الازمان مصدر الشجاعة والاقدام والفتح والعمران والكسب للمسلمين وفي زمن آخر مصدر الجبن والكسل والتواني والتواكل والإهمال . وأكثر الذين يتكلمون في ضعف المسلمين واسبابه غافلون عن هذه القاعدة ويجاهلون حقيقة الدين فهم يجعلون المسلمين حجة على دينهم والدين حجة عليهم بدليل أثره في سلفهم ايام كانوا بدينهم سادات العالم في كل علم وكل عمل ومن البديهي ان الناس يتمسكون بالدين في أول ظهوره أشد مما يتمسكون به بعد ان يطول عليهم الامد، وتكون معرفتهم بحقيقته في أول العهد به أصح وأقوى منها بعد ذلك

ان السائل أو المنتقد لم يطلع فيما يظهر لنا على ما كتبناه في هذه المسألة بقصد إيضاحها في السنين الأولى للمنار وإننا وإن اطلنا القول فيها من قبل نذكر فيها الآن جملا وجيزة يتجلى بها الحق لمن يطلب الحق بذاته لذاته بعد الاعراض عن النظريات الفلسفية المشهورة في المسألة وهاك ما نريد بيانه الآن

(١ — القضاء) كان السلف يسمي هذه المسألة (مسألة القدر) ثم صار الناس يقولون مسألة القضاء والقدر . وقد ورد لفظ القضاء ولفظ القدر في الكتاب العزيز بمعان مختلفة لأنهما من الالفاظ المشتركة في اللغة العربية

ورد القضاء بمعنى الفصل والحكم في الشيء قولا أو فعلا وبمعنى الاعلام به وبمعنى إتمام الشيء وإنهائه قال تعالى (١٧ : ٢٣ وقضى ربك ان لاتعبدوا إلا إياه) أي حكم بذلك قولا في الكتاب المنزل على رسوله . وقال (١٠ : ٩٣ ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة) أي يحكم ويفصل بالفعل وقال (١٧ : ٤ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين) الخ وقال (وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) وكلاهما بمعنى الإعلام بذلك والاخبار بوقوعه وقال (٤١ : ١٢ فقضاهن سبع سموات في يومين) أي أتم خلقهن . وقال (٢٨ : ٢٩ فلما قضى موسى الاجل) أي أتمه . وأكثر ما ورد من هذا اللفظ قد جاء بهذا المعنى

ولم يرد في القرآن لفظ في القضاء يظهر فيه معنى المشيئة ويكون اصلا فيما نحن فيه الا قوله (٢ : ١١٧ بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن

فيكون ٣-٤٧:٣ قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)
ومثله في ١٩:٣٦ و٤٠:٦٨ فالآية الاولى في مقام خلق السموات والارض والثانية
والثالثة في مقام خلق عيسى عليه السلام والرابعة في مقام ذكر الإحياء والإماتة ·
وقد ورد هذا المعنى نفسه بلفظ الارادة قال تعالى (٣٦:٨١ أوليس الذي خلق السموات
والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم؟ بلى وهو الخلاق العليم ٨٢ انما أمره اذا أراد شيئا
ان يقول له كن فيكون) والمعنى في التعبيرين واحد وهو مما لم تختلف فيه الاديان فاليهود
الذين سأل سائلهم المسلمين مستشكلا معنى القضاء بتلك الابيات التي أولها

أيا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه بأوضح حجة
اذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

يقولون بذلك · وقد أجبنا عن سؤاله في (ص ٥١٢ م ٣) وأجاب قبلنا غير واحد منهم ابن
تيمية الذي أورد السائل بعض ابياته · وكذا النصارى الذين منهم الاوربيون لاينكرون كون
الله تعالى اذا قضى أمرا وأراده ينفذه بقدرته حالا كما هو مفهوم العبارة (وبراجع تفسيرها في
المنار وفي ص ٣١٩ من ج ٣ تفسير) لأنه لو عجز عن إيجاد ما يريد لم يكن إلها والإشكال
في مسألة القضاء الإلهي فرع الايمان بوجود الله اذ لامعنى للبحث في الفرع مع إنكار
الاصل · فحاصل معنى القضاء في هذا المقام ان الله تعالى اذا أراد شيئا أو أنفذه وأتمه
فانما يكون ذلك على نحو ان تقول للشيء كن فيكون بلا إمهال ولا تمكث · ولا إشكال
في هذا عند من يؤمن بالله مهما كان دينه

(٢ — القدر) القدر (بفتح الدال وسكونها) والمقدار والتقدير
ألفاظ وردت في القرآن بمعنى جعل الشيء بقياس مخصوص أو وزن محدود
أو وجه معين يجري على سنة معلومة فهي داخلة في معنى النظام والترتيب قال
تعالى (٢٣ : ١٨ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض) أي بمقدار
معين له نظام يتعلق بتشبع الجو بالبخار ودرجة برودة الهواء كما قال (١٣ : ١٧
أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) أي بمقدار مايسعه كل وادمن الماء · وقال
بعد ان ذكر بروج السماء وكواكبها والارض ورواسيها وإنباته فيها « من كل شيء
موزون » وما فيها من أسباب المعايش (١٥:٢٠ وإن من شيء الا عندنا خزائنه وماننزله

الا بقدر معلوم) وقال (٥٤ : ٤٩ إنا كل شيء خلقناه بقدر) فهذا القدر العام بمعنى ذلك القدر الخاص ايضا وقال في العموم بعد ذكر امور خاصة (١٣ : ٨ الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) اي ان لكل شيء من مخلوقاته سننا ونواميس ومقادير منتظمة كسننه في حمل الاناث وعقمها وزيادة علوق الارحام ونقصها. ومن ألفاظ التقدير في مقام التخصيص قوله عز وجل (٣٦ : ٣٩ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال في ذلك (١٠ : ٥ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وقال في خلق الانسان (٨٠ : ١٨ من أي شيء خلقه ١٩ من نطفة خلقه فقدّره) وبين هذا التقدير بالانتقال من طور إلى طور في أول سورة المؤمنين . وقال في الزمن (٧٣ : ٢٠ والله يقدر الليل والنهار) وقال في سرد الدروع وصنعها خطابا لداود عليه السلام (٣٤ : أن اعمل سابغات وقدّر في السرد) والتقدير في نسج الدرع وسردها هو جعل حلقها متساوية ونظامها واحدا. وقال في الطرق وترتيب السير بين قراها في قصة سبأ (٣٤ : ١٨ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) وقال في التعميم (٢٥ : ٢ وخلق كل شيء فقدره تقديرا)

فعلم من هذه الشواهد كلها أن عقيدة القدر والمقدار والتقدير في كتاب الله الذي هو أصل الاسلام وأساسه هي التي تعلم المؤمنين بهذا الكتاب ان لهذا الكون نظاما محكما وسننا مطردة ارتبطت فيها الاسباب بالمسببات وانه ليس في خلق الرحمن خلل ولا تفاوت ، ولا فيه قذفات مصادفات ، ولا خلل استبداد ، وأنه لا استئناف في الايجاد والإمداد ، ومن فائدة هذا الاعتقاد أن أهله يكونون أجدر الناس بالبحث في نظام الكائنات ، وتعرف سنن الله في المخلوقات ، وطلب الاشياء من أسبابها ، والجري اليها في سننها ، ولا نعلم ان هذا البيان كان مفصلا في الديانات السابقة ولكني أقول انه لا يقول عاقل شم رائحة العلم أو ذاق طعمه ان هذا الاعتقاد هو سبب تأخر المسلمين ، كيف وانه هو الجدير بترقيتهم وان أكثرهم أمسوا جاهلين لهذه الحقائق لانهم لا يأخذون دينهم من القرآن وإنما يأخذونه من كتب بعض الاموات

(٣ — القدرية) كان السلف الصالحون يفهمون القدر بهذا المعنى ولذلك ضللوا القدرية الذين أنكروا الاسباب وقالوا « الأمر أُنُف » أي ان الله تعالى يستأنف ويبتدىء ما يريد إيجاده كل شيء في وقته من غير تقدير ولا نظام سابق تجري عليه سنته فيه ولاأسباب يرتبط بعضها ببعض بل قال قدماؤهم من غير علم سبق وإنما يعلم الشيء عند وقوعه وقد كفر هذه الفرقة السلف الصالحون وهي قد حدثت في عصر الصحابة . تلقى بدعتهم هذه معبد الجهني عن سيسويه المجوسي . ففي صحيح مسلم وكتب السنن الثلاثة ان عبد الله بن عمر (رض) سئل عنهم فقيل له انه قد ظهر فينا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم وذكر (السائل وهو يحيى بن يعمر) من شأنهم وانهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . فقال ابن عمر إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني بريء منهم وانهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم ساق حديث جبريل وفيه « وتؤمن بالقدر خيره وشره » أي ان كلا من الخير والشر يجري في الكون بمقادير وموازين وسنن وأسباب اقتضتها الحكمة البالغة . ومن مذهبهم ان الانسان إذا فعل شيئا فإنما يفعله أنفا أيضا من غير أن يكون لله تعالى علم سابق بذلك أو سنة يجري عمل الانسان عليها فالانسان مستقل بذلك تمام الاستقلال . ثم ان المتأخرين منهم اعترفوا بأن لله تعالى علما أزليا بالاشياء ولكنهم أنكروا أن يكون له ارادة تتعلق بأفعال العباد مع أن معنى الارادة هو وقوع الفعل من العالم على حسب علمه

(٤ — الجبرية) غلا أولئك فوقفوا في طرف وعبدوا الله على حرف فجاء بعدهم آخرون وقفوا على الطرف المقابل لطرفهم وهم الجبرية فقالوا ان الانسان ليس له عمل ولا قدرة وإنما هو كالريشة المعلقة في الهواء تحركها رياح الاقدار ، من غير ان يكون لها ارادة ولا اختيار ، وانا نرى أكثر الناس لا سيما المتفرنجين منهم يظنون ان عقيدة الجبر هي عقيدة القضاء والقدر لان ألفاظ الجبر راجت في المسلمين بواسطة جهلة المتصوفة كما بينا ذلك مرارا كثيرة . آخرها ما في بحث التوكل والاسباب من (ج ١١ م ١١) وقد أوردنا فيه الآيات والاحاديث وأقوال السلف في إثبات

الاسباب وإسناد عمل الانسان اليه. فاذا قال القائل ان الجبر من اسباب ضعف المسلمين فطالما ايدنا هذا القول ولكن الجبر ما جاء المسلمين عن دينهم وإنما جاءهم من فلسفتهم التي لونوها بصبغة الدين لما وقعوا في جميع علومهم وأعمالهم الدنيوية وهذه الفلسفة شرع بينهم وبين جميع الامم حتى الافرنج كما نبينه في المسألة السابقة وكأن السائل صاحب الاشكال نسي هذا ومافيه من تفنيد النزغات الجبرية حتى ردنا على الامام الغزالي في بعض ما أورده فيها وتعلق بعبارة الاستاذ الامام المختصرة فألصق بها تلك الشبهات المشهورة في المسألة

(٥ ــ متأخرو المسلمين) المسلمون في هذه الازمنة الاخيرة قد اختلط عليهم الامر لعموم الجهل وفساد طرق التعليم حيث يوجد ولذلك ترى في كلامهم ما يدل تارة على شيء من عقيدة القدرية وتارة على عقيدة الجبرية وتارة على عقيدة المعتزلة وقد بينا في العدد الثاني من سنة المنار الأولى ان الواحد منهم يجمع بين العقائد المختلفة (لاضطراب اعتقاده وعدم تلقيه عن العارفين فان المسلمين في فوضى دينية وعلمية لانه ليس لهم رياسة دينية ولا مدارس منتظمة) وانهم في الغالب يميلون الى الجبرية في المسائل المتعلقة باقامة الدين أو خدمة الامة والقيام بالمصالح العامة والى عقيدة المعتزلة أو القدرية في المسائل الدنيوية فلا حجة في حالهم على الاسلام بل الاسلام حجة عليهم

(٦ ــ المتكلمون) ان علماء الكلام سلكوا الطريقة النظرية العقلية في الرد على المخالفين من الملاحدة والمبتدعة ورد الاشاعرة على المعتزلة والقدرية والجبرية. والمسائل النظرية مثار الشبهات والاشكالات وبذلك دخلت مسألة القضاء والقدر في قالب فلسفي نظري وكثر فيها القيل والقال والقرآن فوق ذلك كله لا تمسه الاوهام ولا تنال منه الشبهات كما علمت . وانما هي مباحث فلسفية تتعلق بقدرة الله وارادته وبخلق الإنسان وغرائزه وارتباط أعماله بعلمه وإدراكه وهي مشتركة بين جميع الامم ولا يوجد مذهب من المذاهب التي قال بها فلاسفة المسلمين من أهل الكلام والتصوف الا وقد قال بمثلها غيرهم ويقول بها بعض علماء أوربا اليوم

(٧ ــ فلسفة المسلمين والافرنج في الجبر) كان من فلسفة المسلمين في الجبر الذي ألبس ثوب القضاء والقدر أن عمل الانسان أثر طبيعي لاعتقاده بالمنافع

والمضار وشعوره باللذات والآلام فهو يتبع علمه بذلك وعلمه صفة من صفاته أو حال من احواله لا يمكن دفعها ولا الانسلاخ منها والعلم بقسميه يحرك الارادة والارادة تزعج القدرة الى تحريك الاعضاء العمل وهي سلسلة ضرورية لا يملك الانسان باختياره إبطالها ولا الفصل بين حلقاتها أو منع تحرك احداها بحركة الأخرى . وللغزالي شرح طويل لهذا المعنى أورد له مثالا بليغا وجرى على هذا فلاسفة الافرنج وأيدوا المسألة بمباحثهم الفسيولوجية والبسيكلوجية فقالوا ان أعمال الانسان آثار طبيعية منعكسة عما في مخه من الآثار التي وصلت اليه من طريق الحواس أو ثبتت فيه بتأثير الوراثة والعادات، فالاعصاب الحساسة تلقي ما تحمله من ادراك الحواس الى المخ ثم يعود منه إلى الاعضاء العاملة بواسطة الاعصاب المحركة التي تحرك العضلات بالفعل . فما في المخ ينعكس الى العضلات بواسطة الاعصاب فيحركها بسرعة أو ببطء فما كان بسرعة لا نشعر بأن لنا فيه اختيارا وما كان ببطء نشعر به فنسمي ذلك اختيارا وهو حتم لا يمكن التفصي منه . وقد سبق البحث في ذلك في المجلد العاشر وغرضنا مما أوردناه الآن ان نبين للسائل ان الافرنج أعرق من المسلمين في هذه العقيدة الجبرية فلا يخافن من تسجيلهم الضعف على المسلمين بمثل ذلك

واذا قال ان هذا القول لا يخلو من شبهة على الدين قلنا انه ليس على الاسلام وحده بل هو شبهة على النصرانية أيضا وموضوع سؤال السائل ان عقيدة القدر عند المسلمين من العقائد المشكلة والضارة بمعتقديها وقد بينا ان الامر فيها ليس كذلك، بل ربما كانت الشبهة على الاسلام هنا ضد الشبهة التي هي موضوع السؤال أو نقيضها بأن يقال ان الاسلام يثبت للانسان عملا ومشيئة واختيارا و بذلك جعله مكلفا مطالبا بالاعمال الحسنة وإن فلسفتنا تقول لنا انه لا مشيئة له في الحقيقة بل هو مجبور مضطر في جميع ما يصدر عنه بمقتضى ذلك النظام المطرد المنعكس في التأثر والتأثير بين مخه وأعصابه وعضلاته فاذا كان لهذا الوجود وما فيه من النظام مصدر واجب قديم فيجب إسناد الافعال التي هي أثر الانعكاس بين مخه وعضلاته الى ذلك المصدر الواضع هو لنظامه وهو الله سبحانه وإلا فالى الضرورة العمياء التي أبدعت هذه العوالم كلها من الهباء (أرأيت كيف ان باب المباحث العلمية والنظرية

في المسألة واسع جداً حتى انه يمكن كتابة أسفار كثيرة فيه ؟)

(٨ - حكم الاسلام في عمل الانسان) إن دين الفطرة لا يكلف الناس عناء هذه الفلسفة ولا بعنيهم النظر فيها وإنما يرشدهم الى الاعتقاد الحق الذي لا يضر معه بحث بل يمكن معه الاستفادة من كل بحث وهو ان الله تعالى خلق كل شيء بحكمة ونظام وقدر سابق على الفعل تجري عليه السنن العامة (النواميس) وأن معرفة المخلوقات انما تكون بالنظر فيها مع التأمل والبصيرة وان منها نوع الانسان الذي يعمل عن علم بما يعمل يرجح به ما يراه صوابا على ما يراه خطأ فيكثر صوابه بمقدار سعة علمه بالواقع وأسبابه ويكثر خطأه على قدر جهله بالحقائق وسفهها لأنه يسير في ذلك على سنن الله في خلقه وقدره الذي قام به نظام ملكه « وكل شيء عنده بمقدار » وأن عليه ان يتحرى العلم الصحيح بالمصالح والعمل الصالح بحسب ما يشعر به من قدرته وتمكنه من ذلك مهما كانت علة ذلك وفلسفته . ونعني بالعلم هنا ما يستفاد ولو بالعادة والتربية أي ما يعم العلم النظري والعلم الحسي والوجداني والعلم العملي أي الذي يطبعه العمل في النفس

(٩ - علم الله بعمل الانسان واختياره) ان سبق علم الله بما سيعمله الانسان وتقديره له ووضع سنن اجتماعية يسير عليها في عمله لا ينافي شيء من ذلك كونه خلقه ذا علم وارادة وعمل فان كونه كذلك هو أمر ثابت في نفسه معلوم بالحس والوجدان ؛ وهما أقوى أركان البرهان ، ولا يقال إذا كان قد سبق في علمه تعالى ان فلانا سيفعل كذا فلا بد أن يفعل فيكون مجبورا على فعله لأن متعلق العلم الإلهي لا بد ان يكون والا لزم الجهل فانا نقول انما يصح هذا اذا كان قد سبق في علم الله انه يفعله مجبورا ولكن إذا سبق في العلم الأزلي انه يفعله مختارا فلماذا لا نقول انه يجب ان يكون مختاراً في فعله لما ذكرتم من الدليل ؟ ويرد مثل هذا في أفعاله تعالى فانها تقع وتحدث بحسب العلم الازلي ولا يقال انه تعالى مجبور عليها . كيف وان معنى الاختيار للفعل هو ان يكون تابعا لعلم الفاعل الذي يرجحه به على غيره سواء كان العلم بذلك ضروريا أم كسبياً بديهيا أم نظريا . هذا هو المعنى الذي نسميه اختيارا فان سماه غيرنا اضطرارا أو اسما آخر فانما يكون الخلاف بيننا في التسمية ولا مشاحة في الاصطلاح . وهذه المسألة التي تعد من مشكلات عقيدة

القدر ان صح استلزامها الجبر ليست في الحقيقة من عقيدة القدر في شيء ولكنها مما يرد في مباحث العلم والارادة . وقد حللناها كيفما كانت

(١٠ — حكمة الجزاء على الاعمال) بقي من المشكلات في هذا الباب مسألة أخرى عدوها من لوازم عقيدة القدر وهي كيف يجازي الله الناس على أعمال لا مندوحة لهم عنها لأنهم غير مختارين فيها ؟ ونجيب عنها جوابا غير إثبات الاختيار ومنع الجبر فنقول ان الجزاء على الاعمال هو أثر طبيعي لها في الدنيا والآخرة وذلك انه ما فرضت علينا طاعة إلا وهي نافعة لنا في تهذيب نفوسنا وسلامة أبداننا وحفظ حقوقنا وغير ذلك وما حرم علينا شيء إلا لأنه ضار بنا في أشخاصنا أو في نظامنا الاجتماعي ولذلك قالوا ان التكليف يقوم بحفظ الكليات الخمس: الدين والعقل والعرض والشخص والمال. ثم ان كل عمل يعمله الانسان يكون له أثر في نفسه إما في تزكيتها فتفلح وتسمو وإما في تدسيتها وإفسادها فتخيب وتشقى (٩١ : ٩ قد أفلح من زكاها ١٠ وقد خاب من دساها) ويظهر أثر ذلك تاما كاملا في الآخرة ولذلك قال (٣ : ١٨٥ وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) (تقدم تفسيرها في هذا الجزء) وقد بينا كون الجزاء أثرا لازما للعمل بحسب سنة الله تعالى في مواضع كثيرة من التفسير وغير التفسير فلا نطيل فيه هنا فالبحث فيه ينبغي أن يكون من البحث في نظام العالم وسنن الكون والاجتماع

(١١ — الخلاصة) خلاصة ما تقدم وهو القول الفصل ان الاسلام أمر الناس بالعلم والعمل لما يجدون في انفسهم من القدرة والاختيار وعلمهم ان الله خلق كل شيء بقدر ونظام وانه لا يعجزه شيء فاذا قضى امرا واراده يقع بلا تخلف ولا بطء وان له سننا ونواميس ينبغي لهم ان يعرفوها وان لأعمالهم جزاء هو أثر طبيعي لها يكون بعضه في الدنيا وتمامه في الآخرة . وقد انتفع المسلمون بهذا ما فقهوه ولم تضرهم الا فلسفتهم المخالفة له

هذا ما وسعه المقام لبيان الحق في هذه العقيدة وما يتعلق بها ويضاف اليها وقد سلكنا سبيل الايجاز في كل مسألة من المسائل العشر لما سبق لنا من البحث فيها من قبل ولان باب الفتاوى لا يسع أكثر من ذلك فان اشتبه السائل أو غيره في شيء منها فليسأل عنه وليختصر في السؤال بقدر الإمكان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ ردّ الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين ــ لليافي ﴾

٣

(الوجه الخامس) أن نقول ان عدم معرفة حكمة النسخ لا تضر من جهلها بعد أن يعرف صحة رسالة الرسول (ص) وعدم علمنا بالشيء لا ينفيه وذلك امر ضروري لكل أحد — ولنكتف في الجواب الاجمالي عن شبه غير المسلمين بما ذكرناه خوف الاطالة الذي لا تحمله المجلات في نشراتها والا فالمقام بما له وعليه يحمل فيه الإسهاب والتنقيب عن النكات والاسباب على ان ما ذكرناه هو اللباب وبه فصل الخطاب لمن يريد الصواب

اما اذا كان المعترضون من غير المسلمين متعصبون لا يريدون الحق ولا يقصدونه فسواء عليك أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون — ومثل هؤلاء الناس كثيرون في هذا الزمان فرحوا وبطروا بما عندهم من العلوم المادية والسياسية والاجتماعية وهؤلاء هم الذين كفروا بالنعم وقابلوا الاحسان بالاساءة اذلم يدركوا ما ادركوه الا من الانبياء عليهم السلام فما وافقوا فيه ما جاء به الانبياء عليهم السلام يراه العقلاء صحيحا وما خالفوا فيه الانبياء فهو النقص والخطأ حتى انهم انفسهم صاروا يعرفون ما في هذا الاخير من الويلات والبليات شيئا فشيئا. هؤلاء المغرورون تارات يستعجلون فيتبعهم قاصرو الهمم وضعفاء العقول او اسراء الشهوات فيظنون ان اوضاعهم تغني عن الشرائع الإلهية مع استبعادهم لصحة النبوّة والرسالة فهم لا يفرقون بين الانسان والحيوان الا بالصورة الذي هي في زعمهم انتخاب الطبيعة في ترقيها غير المقصود بعلم عليم وقدرة قادر وارادة مريد ويقولون ما في الانسان وغيره من الاسرار الغرائب والغايات والعجائب انما وجدت فترتب عليها بعد وجودها ما يليق بها بالاستعداد

الطبيعي وبالقصد الثاني من المنفعل بداعي الضرورة ودام ذلك بناموس الارث الى غير ذلك من خرافاتهم التي تخجل ناقلها وحاكيها فضلا عن ان يعتقد صحتها من يوسم بعقل وهم لم يحملهم على ذلك الا زهوهم ببعض العلوم التي ذكرناها مع جهلهم بحقائق تلك المعلومات كما اعترف بذلك كبارهم حيث قالوا انما عرفنا بعض آثار المادة وبعضها لم يزل محجوبا مستورا عنا وعليه فهم لا يمتازون عن العوام الا بمزيد معرفة في الآثار فقط اما الكنه والحقيقة فلم يدركوها البتة

نحن لا ننكر النشوء الطبيعي مطلقا وانما ننكر نشوءاً مخصوصا وننكر استقلال الطبيعة والمادة بهذا النشوء الذي ليس هو ذاته لها وفاقد الشيء لا يعطيه على ان هذا النشوء الداروني يقابله الانحطاط ويجاراتهم على مذهبهم ليس اعتناء الطبيعة باحدهما باولى من الآخر الا بمرجح وابطل كل باطل وافسد كل فاسد انكار ان يكون ما في الموجودات كالانسان وغيره من الاسرار والغايات غير مقصودة بالقصد الاول لغاياتها لان قولهم ناطقة بأن القابل الطبيعي لا يجوز ان يتخلف عن وجود ما هو قابل له لان القابل لا يكون قابلا طبعا الا اذا اندفعت الطبيعة في مجراها التكويني اليه لتؤدي وظيفتها الطبيعية التي لا تمكن طبعا الا منه وبه كالبارود المسدود عليه مثلا في صخرة ونحوها اذا ذعر بالنار مثلا يفجر الصخرة بشق او خرق . ذلك الخرق والشق هو مجرى البارود المتفرقع ونتيجة تفرقه الطبيعي ولا يجوز عقلا ان يتقدم او يتأخر ذلك الخرق أو الشق عن سببه الطبيعي

فهل آلة الذكورة والأنوثة ونحوها مما اودع في الانسان كانت نتيجة مجرى طبيعي حين تكون في الرحم وهل كان هذا المجرى مقارنا للتكون غير متقدم ولا متأخر عنه بان تكون الطبيعة قد أخذت اعمالا طبيعية من تلك الاعضاء في الرحم على نحو ما تتأدى بها الاعمال بعد وجود الانسان؟ ان كان عندهم علم بهذا فليخرجوه لنا والا فقولهم بين البطلان بنفسه على ما تقتضيه قواعدهم المقررة عندهم — فلا يبقى الا ان يقولوا مثلا ان هذه الاعضاء تكونت بقدرة عالم الغايات مقصودة بالقصد الاول حين التكون وحينئذ لا يلزم محذور . على ان ما يستدلون به على المذهب الداروني انما هي احتمالات ملفقة وخرص بعيد لا يتبين بها دلالة على خصوص

ما ذهبوا اليه كما أقر بذلك كبيرهم وهي مع ذلك لو أخذت بالأخذ الصحيح لا تنافي ما جاء به المرسلون عليهم السلام في بيان بدء الخلق بل تكون مؤيدة له

وليس هذا محل الرد عليهم وانما المقصود تعريف الناظرين والقراء ان مثل هؤلاء قد يوردون الشبهات على الأديان ولا يريدون الرجوع عنها إذا وقفوا على الجواب الصواب وانما قصدهم التشكيك بما يناسب طريق أهل الأديان فان لم يفلحوا في هذا الافتراء زوروا غيره لما عرفت انه ليس في معتقداتهم إلا استحالة الرسالة والنبوات (١) ونحن نجيب ان شاء الله عن كل ما يذكرون لئلا يظفروا بأحد من المسلمين فتروج عليه شبهاتهم فيخسر الدنيا والآخرة

ولنعد إلى المقصود فنقول ما قدمناه هو الجواب الاجمالي مع غاية الاختصار وهو كاف واف في رد هذه الشبهات إذ لم ترد على محل معين في واقعة معينة وما كان منها كذلك فإليك جوابه والله المستعان وعليه التكلان

اما قولهم إن محمدا (ص) قد بلغ من الدهاء الى آخره . فجوابهم الذي نقوله ان هذا اختلاق بحت وحبيبنا رسول الله (ص) سيرته مزبورة ونعوته وأخلاقه وشمائله معروفة مشهورة فهل رأى الراءون أو سمع السامعون ان أحدا ممن عرفه حتى ولو كان من أعدائه قد وسمه بهذه السمة أو وصفه بمدلول هذه الكلمة ؟ لا وانما المعروف عن أعدائه قبحهم الله وخذلهم اطلاقهم عليه ضد ذلك فقالوا انه أذن ــ ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال شاعر واذا رأوا آية من آيات صدقه وهي المعجزة قالوا ساحر نتربص به ريب المنون ــ وهكذا الاعداء اذا عجزوا عن المعارضة وأرادوا الاصرار والتعصب لمذاهبهم بعد قيام الحجة عليهم . والمؤمنون الذين صاحبوه وعاشروه وعرفوهم قد عرفوا صدقه وكماله وانه رحمة للعالمين وعلى خلق عظيم قد بلغ الرسالة حين كان وحيدا عن الانصار والاعوان ولم تأخذه في الله لومة

---

(١) ان القائلين برأي دارون لا يقولون باستحالة الرسالة كما قال ولا كلهم يدعي أن النبي (ص) محتال ، بل يقول المحققون العارفون بسيرته منهم انه كان صادقا معتقدا لما يقول وليس هذا المقال بالذي يتسع لبيان آرائهم في ذلك

لأنه ولو خالف ما جاء به القرآن فقول هؤلاء الذين هم من الناس كسقط المتاع انه اذا أتاهم بحكم واتضح له بعد التجربة انه لم يرض الناس عدل عنه والتجأ الى حيلته المشهورة وهي دعوى النسخ في الاحكام الى آخره — نقول في جوابه سبحانك هذا بهتان عظيم والواقع يكذبهم فانه (ص) لم يراع ولم يحاب فيما أمره الله بتبليغه أحدا من الناس كائنا من كان ولم يبال بمن لم يرض بذلك وقد آذوه في ذلك أشد الايذاء فهل احتال في التخلص من إيذائهم له بمحاباة ولو مرة واحدة ؟ لا والذي أرسله بالحق بل كان يفعل كلما أمره الله به ولا يبالي بمانع فلما نزلت عليه (فاصدع بما تؤمر) جاهرهم بالعداوة حتى حقر آلهتهم في المجامع والمحافل علانية وكان بأبي هو وامي اذ ذاك وحيدا عن الاعوان فصبر على مقاساة المصائب ورموه بالحجارة حتى خضبت بالدماء نعلاه (ص) فهل يصح ان يقال انه كان يعدل عن احكام دينه اذا رأى ان ذلك لا يرضي الناس وهو بالحالة التي عرفت وهو هو (ص) كما انه لا يحابي الكفار ولا يصانعهم في دين الله كذلك هو في ذلك مع أصحابه لا يحابيهم ولا يصانعهم في دين الله وقد دل على ذلك وقائع كثيرة صحيحة فمنها صلح الحديبية فانه امضاه بعزم لا يعتريه تردد وقد استاء لذلك أصحابه وكرهوا ذلك غاية الكراهة ولم ينقل انهم استاؤا بشيء كاستيائهم بذلك حتى ان بعضهم رض قال له « ألست رسول الله ألسنا على الحق » فلم يبال باستيائهم في مخالفة ما أمره الله به — هذا ونحوه أعظم برهان وأكبر دافع ومكذب لمثل هذه الشبهة التي هي مخالفة لما هو الواقع في نفس الأمر — فلعمر الحق ان ايراد مثل هذه الشبهات لأدل دليل على تعصب هؤلاء المعترضين وانهم لم يعدلوا الى ايراد مثل هذه الشبهات الواهية الضعيفة الا حيث لم يجدوا غيرها والمسلمون لا يعتبرونها الا دليلا على سخف عقول قائليها وانهم معاندون للحق والحقيقة و بدلا عن تكون مثل هذه الايرادات شبهات انما تكون بمنزلة الحجج الدالة على صحة رسالة سيدنا ونبينا محمد (ص) فانه ليس بعد ظهور ضلال الخصم الا ثبوت الحق لدينا

ونقول لهؤلاء انكم لا تستطيعون ان تدلونا على حكم واحد جاء به الاسلام لا منفعة فيه أو انه مضرة لا منسوخا ولا محكما . بالله العجب أيصح ان يقال ذلك

في دين لم يعرف الحق من عرفه الا من تعليماته ، ولم تبزغ أنوار المعارف الا من مشكاته ، ولم تقم موازين العدل الا بتلاوة آياته ، فدين الاسلام لم ينسخ منه شيء لاجل مضرة أو عدم مصلحة وانما يكون ذلك فيه لأجل زيادة في الخير تارة وتسهيل على الأمة أخرى ويكون تارة تنشيطا لها وتارة لتوحيد جامعتها وتارة لتقويتها في اظهار الحق على الباطل ودمغه ودمغ انصاره مع مراعاة ما يليق ويناسب الجمهور الا كبر كلما كثر عدد الافراد ومع ملاحظة أحوال الزمان وقوة الأعداء وكثرتهم وما يلزم ان يكونوا عليه بإزاء ذلك معه وبعده فالعدد القليل الخائفون من المسلمين قد تناسب حالهم احكام هي أعظم كل خير بالنسبة اليهم أو لا يمكنهم الا الإتيان بها فقط فالعدل ان تكون التكاليف والتعاليم كذلك بالنسبة اليهم والى ما احتف بهم من الاحوال

ان التشريع والحالة هذه يكون بالسنة كما يكون بالقرآن لا ينكر ذلك الا مكابر ولذلك كان النسخ فيهما سيئين فاذا كثر المسلمون وكانت قوة الايمان والتصديق فيهم متناسبة متقاربة وضعف بعض ما يحذرون فلا يشك عاقل في حسن ان يشرع لهم احكام تناسب ذلك مع مراعاة المصلحة الراجحة وسواء في ذلك القرآن والسنة — فاذا صلحوا لمقاومة المهاجم أيا ما كان وهم بتلك الصفات التي تكاد ان تكون متساوية فلا يبعد ان يكلفوا ما يرونه سهلا في اعتقادهم والواقع ومثال الاول كون الصلاة أول ما فرضت ركعتين بالغداة وركعتين بالعشية فانه يمكن اخفاؤها إذ ذاك مع ضعفهم وقوة العدو . والمثال الثاني إيجاب الخمس حين وقع بعض الخلاف بين الكفار حيث وجد فيهم من يؤمن المسلمين وكف بعضهم عن إيذاء المسلمين ومن بقي من الكفار حريصا على الايقاع بهم . فانما كان يكون منه السب والضرب بالكف والعصي ونحو ذلك والمسلمون قد زاد عددهم بعض الزيادة فكانوا قادرين على المدافعة في بعض الاحيان ولم يؤمروا بالهجرة ولا القتال فلما أمروا بالهجرة الى طيبة (المدينة المنورة) حين اشتد عليهم أذى الكفار مرة أخرى وظهر لهم الأرى ونصرهم الاكفاء وكان المسلمون تتشابه صفاتهم في صلابة الدين بالاخوة والقوة البدنية والدينية — فلا غرو أن يوجب الله عليهم قتال [illegible]

الظالمين وهذا القتال هو الذي سماه الاسلام والمسلمون بالجهاد وهو قتال أهل الاصلاح لاهل الفساد الذي لاينكره عقل عاقل لان غايته ان تكون كلمة الله هي العليا والنصارى أنكروا على المسلمين هذا القتال سوليتهم عملوا بما قالوا حتى لا يكونوا من الذين يقولون مالا يفعلون

فرض الجهاد على المسلمين وكان الواجب عليهم اذ ذاك وهم كما عرفت ان لايفروا من عشرة اضعافهم من المبطلين لان الاستشهاد ونحوه لا تخور به عزائمهم وهم بالحالة التي عرفت فهي هذه الصورة وهي المثال الثالث لاضرر ولا نقص في هذا الحكم بل لو بقي ابد الآبدين فليس فيه نقص ولاحيف بالنسبة الى كثير من المسلمين . وانما اذا تبدلت الحالة وصار أنصار الحق كثيرين أو كان فيهم من يضعف اعتقاده أو يحرص على حياته أو نحو ذلك فلاتشك ان زيادة الخير تكون في رفع صفة الحكم كالوجوب واللزوم و يعوض عنه حكم يناسب صاحب الحق و يميزه عن صاحب الضلال وهو لزوم ان لا يهرب المستعد لنصرة الحق عن الاثنين من انصار الباطل لانه ان ضعف مؤيد الحق المستعد عن ذلك لزم مساواة أثر الحق لأثر الباطل وهذا لا يصح ولا يحسن فالحكم المنسوخ في هذا المثال انما هو الوجوب اللازم لا الاباحة أو الندب لمن يطيق ذلك

فبهذه الأمثلة يظهر للمنصف حسن النسخ سواء كان في القرآن أم في السنة لان القرآن من حين البعثة لم يزل ينزل بالاحكام ولم يكن زمن مخصوص بالتشريع بالسنة وزمن مخصوص بالتشريع بالقرآن بل القرآن لم يزل ينزل على سيدنا محمد رسول الله (ص) بما يناسب حال المهتدين من معتنقيه ولم يزالوا يزيدون والاحكام كذلك ما بين احكام منشأة عند وجود عللها وأسبابها وناسخة من خير الى ماهو اكثر خيرا منه كان ذلك يكون الى ان مكن الله لدينه ودخل الناس فيه أفواجا وصارت الأمة بحيث يصح ان تكون مثلا لكافة الناس فلما آن أوان انقطاع الوحي بتحول رسوله (ص) الى الدار الباقية اكمل الله شرعه بما يصح ان يكون دينا لاهل الأرض اجمعين الى يوم الدين

فمثل هذه الحكم كان النسخ والمسلمون يعرفونها فكيف يقال انهم لم يستطيعوا

ان يعللوا ذلك بعلل مقبولة منهم أيضا يعلمون ان كل ذلك كان يكون للاعتراض معترض ولا لانتقاد منتقد علموا ذلك بالعلم الضروري من سيرة الشارع (ص) ومن نشوء الاسلام ومن زعم غير ذلك فليعين من هو المعترض والمنتقد وعلى أي محل اعترض وانتقد وما هو الاعتراض وأين السند المقبول والا فالمسلمون لاينظرون الى هذه الايرادات والشبهات الا بعين الاستحقار وبالله العجب هل وجد في كفار العرب من قريش أو غيرهم من عارض شيئا من القرآن معارضة صحيحة ؟ وهل ظفروا بشيء مما قال هو "لا" ان في انشائه شيئا لم يرق له بعد اذاعته؛ ولم لم يعارضوا ما هذا حاله؟ أليس لو وقع شيء من ذلك لتوفرت دواعي الكفار والمسلمين الى نقله اما المسلمون فلابد ان يوجد عندهم ولو لرده وتوهينه كما نقلوا عن مسيلمة الكذاب وغيره وأما الكفار فهو غاية بغيتهم ومدار حجتهم فلو وجد فلا يعقل أن يهملوه فعدم النقل لما هذا حاله أدل دليل على العدم

فلا يبقى للخصوم الا ان يقولوا ان هذه الشبهات احتمالات مفروضة وقد قدمنا ان فرض مايخالف الواقع في مثل هذه الاشياء لايصح عند من له مسكة من عقل

وايضا تجويز مثل هذا الاحتمال الظاهر البطلان يلزمه عدم جواز النسخ الذي عرفت حسنه عقلا وفطرة فلو جاز اتهام من ثبتت نبوته ورسالته بالمعجزات والحجج البينات بمثل هذه التهمة لوجب ان لايكون للبشر الا شريعة اول نبي ارسله الله فقط ولما جاز ان يرسل الله رسولا بعد رسول بشريعة تنسخ مالا يناسب احوال الامم المتأخرة وقد عرفت أن هذا يؤدي الى النظر المحال على الله وما استلزم المحال فهو مثله محال فينتج ان اتهام نبينا (ص) بعد ثبوت نبوته بتهمة انه ما اجاز النسخ في دينه الا حيلة يتوصل بها الى اصلاح النقص والعيب الذي يمكن أن يرى في دينه هو تهمة كاذبة كما قدمنا ذلك وان فرضها محال

فوجب ان يكون نسخ اللفظ وإنساؤه في القرآن كنسخ الحكم لمصالح وحكم ونحن وان قصرنا عن ادراكها كلها لاسباب كثيرة لكن نعلم أن الكتب الالاهية وبالخصوص القرآن هي لنا اصل تعاليم الدين والنظام الاجتماعي واستعداد الناس متفاوت في التعليم والتعلم ومن لازم ذلك ان تكون مواد التعليم أي كتبه الدرسية

كذلك فلهذه الحكمة وحكم أخرى كثيرة كان القرآن الكريم سورا طوالا وقصارا ومتوسطة وقد اشرنا الى ذلك في رسالتنا السابقة فالنسخ والإنساء اللفظي هو معلل بحكم وغايات هي من جنس ما يعلل به تعدد السور ومن جنس ما يعلل به البلغاء ما اختصروه من الكتب البليغة لطوله وقد تكون هناك علل واسباب أخرى وقد صح ان بعض آيات القرآن تتفاوت في الفضل وثواب التلاوة ولا بدع في ذلك فان فضيلة الكلام تابعة لفضل معناه وكثرة فوائد مرماه — فاذا انزل الله آية هي نص في واقعة مخصوصة وهي انسب بافهام المخاطبين المعينين لاي سبب ثم بعد رسوخهم في الفهم وقبولهم لزيادة الترقي ونحوه بحيث يكونوا قد تزحزحوا من طور الى طور لا يقبح بل يحسن ان يأتي الله بآية بدلا عنها جامعة لما دلت عليه الاولى وزيادة عليه — اذ لو بقيت الأولى الدالة على المعنى المخصوص فقط لجاز أن تكون آيات القرآن إنما تدل على معاني جزئية ومن لازم ذلك الطول المفرط الذي يمكن ان يقال انه لا يلائم التعاليم ولازم ايضا جواز تعرية القرآن من جوامع الكلم حين استعداد الناس للفهم والقبول

وبما ذكرناه يظهر جليا انه لا فرق يعتد به بين النسخ في الاحكام والنسخ والانساء في الالفاظ لأن ناموس الترقي جار في الامرين بلا عيب ولا نقص ولكل حال ما يناسبه من الافعال والاقوال (*

فيا حضرة اخونا الدكتور لايهولنك ما يهذي به المبطلون المتعصبون فانهم على

(*) المنار نعجل فنقول ان صديقنا الاستاذ اليافعي لم يأت بحكمة ظاهرة لنسخ او إنساء عبارة القرآن ولفظه تنطبق على ما نقل من ذلك لاسيما ما كان معناه محكما ولا يظهر معنى الترقي والاختصار في كلام الخالق الذي هو منتهى الكمال ولو اختصر منه شيء لحذف قصة موسى من بعض السور . وما يأتي قريبا في بيان حكمة نسخ ما روي من آية الرجم غير ظاهر لاسيما مع بقاء آية الجلد على اطلاقها . وأذكره بذلك من الآن لعله يقدح زناد فكره ويراجع ذكرته فيما قرأه لعله يجد لذلك حكمة ظاهرة فان معظم الاشكال عند الدكتور ومثله كثير من المسلمين وغيرهم محصور في هذا وهو يقول بأصل النسخ وحكمته بل كتب في ذلك أيضا

غير صحيحة وليس بأيديهم حجة — ونحن قد اضربنا عن كثير من الحجج والمسوغات هنا واكتفينا بما كتبناه خوف الاطالة ولكن فتحنا الباب لذوي الالباب وفيه الكفاية وفصل الخطاب لمن يريد الصواب

اما قول المشككين ان في القرآن من المسائل الخاصة بمحمد (ص) واهل بيته ولا فائدة فيها لأحد سواه (وقد كذبوا بل فيهامن الفوائد ما لا يقدر قدرها إلا من عرفها وقد علم ذلك العالمون من المسلمين واستفادوا منها وما علينا إذا لم تفهم البقر *) — ماهو أولى بالنسخ قالوا كالآيات الكثيرة من سورة الاحزاب والتحريم وكبعض آيات سورة الحجرات والمجادلة فاذا صح عن المسلمين نسخ ألفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضى زمنها فلماذا لم تنسخ ألفاظ أمثال هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضى زمنها — والجواب ان نقول ان هذه الآيات هي محكمة وفيها فوائد تتعلق بالأمة أيضا ونحن لم نقل ولا قال أحد غيرنا ان الخصوص والمخصوص سبب للنسخ بل الأمر عكس ذلك ونقيضه والمسائل والآيات الخاصة بمحمد (ص) وأهل بيته هي أجدر بان لايكون ولايقع فيها النسخ لأن آحاد من تتعلق به الاحكام وكذلك تعين أهل البيت الواحد لذلك بعيد عن وقوع التفاوت واختلاف الحالات الذي هي المسوغ الا عظم للنسخ وهذا بخلاف ما يتعلق بالأمة الكثيرة الافراد المختلفة الطبائع باختلاف الزمان والبلاد — فظهر ان النسخ فيما ذكروا انه أولى به باطل وان القياس الصحيح لا يجوز النسخ في ذلك وكذلك وقع

أما قولهم انها قد أدت وظيفتها وانقضى زمنها فجوابه انها حين إمكان النسخ والتبديل لم تؤد وظيفتها ولم ينقض زمنها وأما بعد وفاة النبي (ص) فقد فات وقت النسخ والمسلمون لايجوزون الزيادة ولا التنقيص ولا يحرفون ولا يبدلون في كتب الله وشرعه بعد ثبوتها سواءكان يفعل ذلك من أبعده الله وغضب عليه ولعنه على ألسنة أنبيائه وهذا الاعتراض والايراد دليل على ان هؤلاء يقولون مالا يفهمون اتباعا لأهواء انفسهم ومن اضل ممن يتبع الهوى ليصد عن الحق

اما قولهم وما الحكمة في نسخ ألفاظ آية الرجم مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين فجوابه ان نقول ان مسئلة الرجم للزاني المحصن قد أنزلها الله في كتابه القرآن وهي ثابتة في توراة موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فكانت نزولها لحكمة توافق الكتابين وليعرف المسلمون هذا الحكم العظيم ويشتركوا في تلقيه كغيره من القرآن وفرق بين تلقيهم السنة والحديث وتلقيهم للقرآن فان القرآن يتلى تعبدا في الصلاة وغيرها اجتماعا وانفرادا والله جلّ شأنه شرع هذا الحكم بالعدل وفق الحكمة فان هذه الفاحشة مفسدة للأنام وأقوى ذرائع الخصام مهلكة للأموال وللبلدان، ومنهكة للأبدان ومبيدة لنسل الانسان في أكثر الاحيان، واذا كان حدها الاعدام، وأقسى الاحكام، ولما كانت المضرة بما ذكر قد تفاوت رفع لفظ آيتها حين لا يخاف خفاء الحكم إذا دعت الحاجة والضرورة اليه — وما رفعه الا تسهيل ويسر ورحمة وستر — ولئلا يظن المسلمون ان الثواب في التنقيب والتطلع على الناس فيتسابقوا الى الشهادة بهذه الجريمة قياسا على فضل تلاوة آيتها فرفع الله لفظ هذه الآية لهذه الحكمة وانما خصها دون ما سواها من آيات الحدود لانها أشد الحدود وأغلظها ولان قباحة الزناء من المحصن فوق كل قباحة ففي رفع هذه الآية اشارة للمسلمين على ترك التجسس للشهادة كما قال تعالى « ولا تجسسوا » واشارة إلى ترك الاقرار بذلك والعدول إلى التوبة — ولذلك اشترط في الشهادة بالزناء ما لم يشترط في غيره حتى عاقب الشاهد الواحد والاثنين والثلاثة بعقوبة حد القذف واشترط في ذلك المعاينة التي لا شبهة فيها والله يحب الستر على عباده — فقال « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة » وقال (ص) « تعافوا الحدود بينكم فما بلغني من حد فقد وجب » فاذا لم ترد شهود في الحدود فلا يبقى الا اقرار فاعلها بها ورضاه باقامة الحد على نفسه بان لم يتب ويرجع عن طلب اقامة الحد على نفسه فلو أقر بذلك وطلب اقامته ثم رجع وتاب جاز للعفا كم اعفاءه من اقامة الحد أو اتمامه بعد الشروع فيه وهذا هو ما اختاره شيخنا ابن تيمية رحمه الله وهو الحق عندنا الذي دلت عليه السنة الصحيحة عن رسول الله (ص) وذلك فيما روى بريدة (رض) قال جاء ماعز

بن مالك إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله طهرني فقال «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب اليه» قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال النبي (ص) مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله (ص) «فيم أطهرك» قال من الزنا فقال رسول الله أبك جنون؟ فأخبر أنه ليس به جنون فقال «أشرب خمرا؟» فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر فقال (ص) أزنيت قال نعم . الحديث وفيه جاءت امرأة من غامد من الأزد فقالت طهرني فقال «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي اليه» الحديث رواه مسلم وفيه انها ابت الا إقامة الحد على نفسها وكانت حبلى فأبى (ص) ان يقيم عليها الحد حتى تضع ما في بطنها وتكمل رضاعته و بعد ذلك جاءت وأقام عليها حد الرجم وعن أبي هريرة عند الترمذي وابن ماجه ان ماعزا (رض) فرَّ حين وجد مس الحجارة ومس الموت فقال رسول الله (ص) هلاّ تركتموه»؟ «الحديث وفي رواية «هلاّ تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه» وهذا نص في ان المقر بالزناء إذا استعفى عن الحد جاز للامام ان يسقطه ولذا وذلك ولأن الحدود تدرأ بالشبهات ولا تقام في أرض العدو رفع لفظ آية الرجم وهي حكمة بالغة وقد دل عليها الكتاب والسنة و بقيت آية الرجم ثابتة الحكم بما ذكرناه و بالسنة الصريحة مقيدا بقيوده كما عرفت وهي مع ذلك كله موجودة في القرآن ظاهرة للعلماء خفية عن العوام قال ابن عباس (رض) الرجم في الكتاب لا يغوص عليه الا غوّاص وهو قوله تعالى «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب» الآية وقيل انها موجودة في غير ذلك أيضا — فظهر بذلك الحكمة في رفع آية الرجم مع ان بدلها في القرآن موجود وما ذكرنا من التعليل لا ينافي ما علل به بعضهم — قلت وقد رأيت السيوطي (رح) قد أشار بالاختصار إلى ما ذكرته — وصرح بان القرآن الموجود بين أيدينا الآن في المصحف فيه البدل عن كل ما رفع من هذا النوع وغيره قلت والأمر كذلك

وفوق ذلك كله نقول لهؤلاء المعترضين زعمتم ان نبينا (ص) الصادق الامين لم يتم له ما تم الا بعد اصلاح العيب والنقص الذي يراه او يتوقعه في شرعه وكتابه الذي انزله الله عليه وقد كذبتم وكذبكم الواقع المعروف من سيرته كما قدمنا

ذلك وحالة التشريع وكيفية نزول الوحي عليه (ص) يعلم بها فساد قولكم - أليس انه (ص) كان ينزل الله عليه ما شاء ان ينزل من الاحكام والقرآن حين وقوع الحاجة الى نزوله ويحضر من اصحابه غالبا وقد تنزل عليه (ص) عدة آيات دفعة واحدة والقصة الواحدة كذلك والسورة الكاملة ايضا في بعض الاحيان وبعض ذلك يكون حين وقوع السؤال ووجود السبب الموجب ارتجالا — ومع ذلك كله لم يكن (ص) يعرف الكتابة بل كان يحفظ ذلك ويحفظه اصحابه (ص) ويتلوه عليهم ثم يأمر أحد الكتاب أن يكتب ذلك في سورته من غير أن يراجع المكتوب الاول منها ويتأمل المناسبة والمناسقة وكان يشتهر بين الناس آيات كتاب الله ويعلمه الخاص والعام والعدو والصديق فهلاّ امكن اعداءه ان يأخذوا عليه شيئا مما ضعف انشاؤه في كتابه وردوه واتوا بمثله ولو بعد حين ؟

ان من يراجع مكتوباته ويتأمل في تأسيس احكامه ليصلح ما فيها من العيب والنقص لا بد وان يكون كاتبا وقارئا مطلعا على كتب غيره ليراجع مافيها من الآراء فيرجح ويضعف حينئذ او يترقى بفكره الى احسن مما فيها لكن لا يمكنه ذلك الترقي الطبيعي في الأفكار الا بعد اطلاعه على آراء من تقدمه والا لبطلت سلسلة الترقي الذي يسلمها أكثر الناس واذا كان لا يمكن الرد والقدح والاصلاح والتكميل والتنقيح الا بهذه الاسباب ونحوها غالبا فان حصول علوم جميع اهل الارض لاسيما علوم الامم المضمحلة والبائدة والمتباعدة ولاسيما الخفية منها والمهجورة وبالخصوص في ذلك الزمن الذي بعث فيه نبينا محمد (ص) — ان حصول ذلك كله لرجل واحد لا سيما اذا كان من العرب الذين قد عرفوا باعتزالهم علوم سائر الأمم لمن المحال الذي لا تسلم به عقول العقلاء فما بالك باليتيم الأمي (ص) الذي قد عرف منشأه ولم يزل اعداؤه يتربصون به الدائر حتى وضعوا عليه العيون والرقباء هل يمكن من هذا حاله المراجعة والاصلاح لما هو بمثابة تهذيب علوم أهل الارض وتكميل أخلاقهم اجمعين ؟ فبالعقول المتعصبين أين يذهب بها الهوى

قلنا ذلك لأنا رأينا ما لم نكن نحسب عاقلا يقوله : رأينا من على شاكلة هؤلاء المتعصبين حين يطعنون في الاسلام يجمعون ماقدروا عليه من اقوال ومذاهب الأمم

الغابرة ثم يقابلون بينها وبين شرائع الاسلام وما فيه من القصص وغيرها ثم يقولون ان هذا أخذه محمد (ص) عن أولئك ثم يقولون قد رددنا الفرع على أصله وما لم يقدروا أن يجدوا له نظيرا يقولون سيكشف المستقبل حاله ويقولون ان محمداً (ص) قد قد اطلع على ذلك وحفظه وهذبه وأصلح فيه حتى ساقه في قوالب كلامه الفصيح البليغ الذي اعجز العرب!! قلت أي واعجزهم ايضا ان يعرفوا جميع مصادره وما خذه. هؤلاء يريدون أن يطعنوا في صحة الاسلام وما دروا المساكين ان ذلك ينقلب عليهم ويصير من أعظم الحجج المؤيدات لصحة دين الاسلام — لانه اذا بطل قولهم وصح ان محمداً (ص) لم يكن قبل نزول الوحي يعرف شيئا مما ذكروه او ان ذلك لا يمكن حصوله لبشر بدون وسائله وان تلك الوسائل لا يمكن تيسرها في ذلك الزمان والمكان لا سيما لمن كان مثل محمد (ص) — ثبت باليقين كذبهم وصحة دين الاسلام وانه وحي الله وامره والله اعلم

انه مامن علم يوجد عند البشر سابقين ومتأخرين الا وقد نبه على بعض مسائله في معرض الاعتبار والاتعاظ ونحوه او الاستدلال وما شابهه يسوق ذلك سوقا يعرف من تأمله وحققه انه كلام مختبر عالم بدقائقه وغوامضه ولذلك تراه يختار من كل شيء صحيحه ونقيه لا يلتفت الى سواه وان اجمع أهل ذلك العصر على سواه

ولم يكتف بذلك حتى اخبرنا بكثير من اخبار الايام الآتية التي قد وقع ووجد مصداق كثير منها عيانا وقد ذكر من ذلك كثيرا مما لأمته به تعلق وهو يذكر ذلك في معرض التنبيه كما انه يذكر من اخبار الايام الماضية ما يذكر كذلك فياهؤلاء هل يمكن المحصل بدون الوحي ان يطلع على ذلك كله مع اشتغاله بتلك المشاغب وقيامه بتلك الوظائف لا سيما اذا كان يتيما اميا في بلاد قاصية عن الامم المتدنة وبين امة امية ؟ فان جوزتم ذلك فهل يمكنكم ان تأتوا بنظيره في كل ما حكيناه عنه (ص) والحالة ما ذكرنا لان ما يجري على النواميس الطبيعية لا بد وان يتكرر بل لا بد وان يترقى كما هي قاعدة النشوء الطبيعي واذا لم تفعلوا فانتم مفترون مكابرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

قلت وبما ذكرناه يبطل قولهم ولوقوع وصحة مادلت عليه الاحاديث تبطل

دعوى أخينا الفاضل الدكتور ان أحاديث الآحاد كلها لا تفيد غير الظن مطلقا

٭ ٭ ٭

ولنعد الى ابطال الشبهات المذكورة على النسخ زيادة على ما ذكرناه سابقا فنقول ان كان اعتراضكم هذا صحيحا وانه لم يتم له (ص) ماتم الا بما ذكرتم فلم لم يقم في وجهه أعداؤه الى يومنا هذا فيصلحوا أو يكملوا أو ينقضوا ويبرموا ويتعاضدوا ويتعاون فصحاؤهم وخطباؤهم وشعراؤهم ليأتوا بمثل قرآنه بزعمكم أو يأتوا بسورة من مثله؟ لم لم يفعلوا وهو يناديهم هل من مبارز هل من معارض؟ ويتلو عليهم في كتابه «قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» ويتلو فيه «فأتوا بسورة من مثله — أو — قل فأتوا بعشر سور مثله» لو كان الاتيان بالقرآن أو بمثله مما يمكن البشر الواحد ولو بالاصلاح والتمهل كما تقولون فهلا قدر واستطاع ان يجيء بمثل سورة قصيرة منه جميع العرب العرباء والمستعربين والمتعربين جمعا وانفرادا ولو بعد الاصلاح والتكميل المزعوم؟ وحيث استحال ذلك بمضي تلك المدة الطويلة وعجز فطاحل العرب وفصحاؤهم وفاتوا ولم يخلفهم مثلهم لكن من خلفهم هو أعجز منهم علم فساد قولكم وكذبه وسقوطه

ان نفس التحدي بسورة من القرآن معجزة لانه لا يمكن أحداً من البشر العقلاء ان يدعيها لنفسه من قبل نفسه ولما يأتي به من عند نفسه ومن يأمن ان يأتي الزمان بمثله أو بأحسن منه واذا لم يكن عنده يقين بذلك فكيف يشترط صحة دعواه عليه ويعلقها بهذا التحدي فما بالك بمن قد صرح بصحة جسده وكمال عقله وتدبيره العدو المخالف والصديق الموافق. أما لو كان هذا التحدي بغير أمر الله لكان من أبعد كل بعيد وأمحل كل محال صدوره من سيدنا محمد (ص)

هذا بعض ما نقوله في الجواب عن هذه الشبهات الواهية اضربنا فيه عن الاطالة وما تركناه اكثر وما عند الكاملين اكثر واعظم وما عند الله خير وأبقى «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»

فقول الدكتور الفاضل ومنه ترى ان اعتمادهم فيها (اي في إيراد الشبهات) انما هو على روايات الآحاد التي يتمسك بها المسلمون الى ان قال ما محصله — فهلا ردوا هذه

بدلا عن ان يقوموا في وجهنا ويردوا مذهبنا في هذه المسائل بما هو في الحقيقة طعن في أصول الدين وبمثابة تسليم سكاكين للخصم ليقطع بها منهم الوتين » انتهى

وأقول قد عرفت جوابنا عن هذه الشبهات وانت اذا تأملت عرفت ان فسادها بديهي فلا سكاكين وانما هي شوك مخضود وبذا من القول مردود فلا وخز مخافه ولا قطع ونحن لم نرد عليه مكفرين له مع تأويله ولكنا بينا فساد بعض أقوله وضعفناه وقلنا انه لا حاجة تلجئنا اليه وهو حفظه الله انما خاف من غير مخوف وظن السراب ماء

وليس ما نبحث فيه مع الفاضل الممدوح مما يليق بالعقلاء ان يقولوا فيه تعصبا وتحيزا ولا فخرا ومماراة بل هو الدين وارادة الحق وطلبه للفوز برضاء الرب ولذلك قلنا في رسالتنا السابقة ان طالب الحق لا يليق به ان يستدل باقوال الناس وانما يستأنس بها بعد البحث والتمحيص واما ما ناقض منها حكم الله في كتابه أو في سنة رسوله (ص) فانا نضجر منه ونمله ونرفضه لانه من الفلطات التي غايتها ان يغتفر قائلها اذا لم يقصر ومن تتبع الشواذ وقع في الغلطات وانه لولا التأويل بحسن قصد لزم كل غالط لوازم قطعية مكفرات ولو التزم كل غالط لوازم قوله لفحش الخلاف وبعد الائتلاف ولحكم بكفر اكثر الغالطين ولذلك كان القول الحق ان لازم المذهب ليس بمذهب

اما ما ذكره الفاضل في كلمته الثانية من التفصيل فهو وان كنا نعتقد الحق زيادة عليه الا انه قول قد قاله كثير من الائمة ومع ذلك فله حظ من النظر الا قوله في آخرها « اما الروايات التي تفيد نسخ لفظ القرآن » الى آخره فانا لا نسلمه له لا سيما وقد عرفت مما قدمناه عدم مخالفة نسخ وإنساء لفظ القرآن للحكمة والعقل فاذا صحت الرواية عن الثقات الضابطين بالحفظ والمراجعة أو بالكتابة المصونة بأن آية كذا كانت قرآنا وأنها نسخت او أنسيت او رفعت او نحو ذلك قبلنا ذلك وحيث كان لم يقصد من هذه الروايات اثبات زيادة على القرآن الموجود فهي غير معارضة ولا مناقضة لما ثبت من القرآن بالتواتر حتى على قول من يشترط التواتر في اثبات قرآنية القرآن — وترجيح المتواتر على الآحاد انما هو اذا اتحدت الدلالة من جميع الوجوه حذو النعل بالنعل مع عدم معرفة المتأخر اما اذا لم تتحد كالعامّ والخاص والمطلق مع المقيد او ما تأخر تاريخه فلا معارضة ولا مناقضة لا شرعاً ولا

عقلا ولأن الآخذ بالدليلين هو المتعين والا لزم اهمال احدهما — واصل منشأ اشتراط التواتر انما هو في الوصف بالقرآنية الذي من احكامها المفرعة عليها التلاوة في الصلاة ونحوها واثباتها في المصحف الى غير ذلك على خلاف مشهور في ذلك لاهل العلم والنظر ولذلك نرى الحق عدم جواز نسخ السنة للفظ القرآن المثبت في المصحف واما حكمه مع بقاء اللفظ فهو محل الخلاف والحق عندنا جواز نسخ الحكم بالسنة الصحيحة لأن ثبوت الاحكام لا يشترط فيه التواتر كما سيأتي ولان اقتضاء الحكم للتكرار امر زائد على مفهوم مجرد الامر وكذلك الاستمرار كلاهما ظني وخبر الآحاد اقل حالاته اذا كان صحيحا ان يكون ارجح لكن هل ذلك واقع فعلا ام لا ؟ ولا شك ان من بعد غوره في فقه الدين يعرف ان ذلك لم يقع وان السنة مبينة ومفسرة لما دل القرآن عليه ولو بدلالات خفية اوتأتي باحكام يكون القرآن ساكتا عنها اوزيادة على ما فيه وهذا اجمال يدرك المنصف ما وراءه من الفوائد اكتفينا به عن التفصيل والاطالة

تكلم حضرة الدكتور الفاضل في الكلمة الثالثة من رسالته على قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها » الآية — وحاول ان يثبت ان يكون المراد بالآية المعجزة وقال انها على حد قوله تعالى « ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي بآية الا بإذن الله ، لكل اجل كتاب » يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب »

اقول واعلم انه لم يقل أحد ممن يفسر القرآن بالمأثور ان مدلول الآية هي المعجزة في الموضعين معا او ان معناها واحد كذلك والمعروف عنهم ان هذه الآية في المعجزة وتلك في آيات الاحكام وسيأتي ان بعضهم حمل الاخيرة على نسخ آيات الاحكام أيضا عكس ما يقوله الدكتور الفاضل وقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها قد عرفناك تفسير السلف لها في رسالتنا السابقة واما قوله تعالى « وما كان لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله » فلا شك ان المراد بالآية فيها المعجزة خارقة العادة فليس الى أي رسول الإتيان بها بل ذلك إلى الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد — فقوله « لكل أجل كتاب » أي لكل مدة مضروبة كتاب

أي مكتوب « وكل شيء عنده بمقدار » ألم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والأرض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير » فالمراد بالكتاب ما يعم معلومات الله الكونية والشرعية الدينية بان جعل لكل مدة مضروبة عنده كتابا — وبعض السلف قدرها بالسنة وقد اختلفوا في المحو والإثبات هل يكون في كل شيء أم في شيء دون شيء فقال بعضهم يمحو الله ما يشاء الا الشقاء والسعادة والحياة والموت وقيل غير ذلك أيضا والذي دلت عليه الأحاديث الصحاح أن ذلك كائن في كل شيء . واختلفوا هل هنالك كتب وكتاب غير هذا أم لا وليس الاطالة في ذلك من غرضنا هنا فان شئت ذلك فارجع اليه في مكانه — فهذان قولان في الكتاب ومدته والقول الثالث ان المراد بالكتاب كل كتاب أنزله الله من السماء على رسله وهو قول الضحاك بن مزاحم وكان يقول في قوله « لكل أجل كتاب » أي لكل كتاب أجل « يمحو الله ما يشاء » منها « ويثبت » يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه . فقول الدكتور الفاضل يمحو الله ما يشاء من الآيات السابقة فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة الى آخره قول منكر لم يدل عليه أثر ولا قاله أحد من السلف ولا ندري كيف أجاز لنفسه القول في كتاب الله برأيه

ونقول معجزات الانبياء التي قد اظهرها الله لا يقال إنه محاها او نسخها بل يقال كتبها وقدرها وفي الواقع اظهرها وأمضاها وقد فرغ عنها — والمحو انما يكون لما كتبه وقدره قبل وقوعه اذا لم يوقعه وما وقع فانما يقال كتبه وأوقعه طبق ما كتب فالدكتور غلط هنا في مواضع — وحاصله ان الكتاب في هذه الآية ان كان كتاب المقادير والمعلومات فالامحاء فيه لا يكون في المعجزات التي قد اظهرها الله لتأييد انبيائه وان كان المراد به كتبه التي انزلها على انبيائه لكل اجل ما يناسبه من من كتب الاحكام وآياتها فالآية نص في رد ما زعمه حضرته

اما قوله : واعلم ان نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها يعني قوله تعالى « ماننسخ من آية أو ننسها » الآية لايقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك

ختمت بقوله تعالى «ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير» الى آخر ماقاله في هذا المعنى

وأقول نحن قد ذكرنا تفسير السلف لهذه الآية في رسالتنا السابقة وهم الذين تلقوا عن رسول الله (ص) بيان القرآن وهم الذين شاهدوا الاسباب والوقائع وهم الذين نزل القرآن بلسانهم فتفسيرهم للقرآن لا يجوز لنا الخروج عنه بالكلية وما ذكره الدكتور الفاضل واختاره هو لم يختره من أقوال السلف ولم يقل به أحد منهم وهم قد صرحوا بأن هذه الآية انما نزلت في آيات الاحكام فحمل ذلك على المعجزات انما هو من باب الخرص والقول بالرأي في كتاب الله وهو لا يجوز (ه فتفسير الآية في هذا المقام بالمعجزة فقط متعذر من حيث النقل وسياقها لا يقتضي ذلك وكذلك معناها ومدلولها لا يصح ان يكون هو المعجزة عقلا

وما ذكر عن الاستاذ الامام شيخ الاسلام المفتي الشيخ محمد عبده رحمه الله فان صح عنه ذلك فلعله قاله من باب الاستنباط والاشارة والايماء — زيادة على ما يدل عليه الظاهر — ذلك هو الواجب على الصادق في موالاته . الاستاذ الامام وما أدراك ما مرتبته وفضله ومقدار محبة أهل الحديث له في جميع الارض كيف لا وهو امامهم وحامل لوائهم الذي هزم الله به المبتدعين ، وكسر به صولة المقلدين الجامدين ، نصر الله به السنة واتباعها وحفظها به عن ضياعها ، سمعت بعض الناس يقول ان الاستاذ الامام لا يقبل أحاديث الآحاد الصحاح — فقلت له كيف علمت ذلك ؟ قال لانه قال في بعض كلامه انا لا نقبل الحديث الا اذا حققناه كما حققنا وجود مكة والمدينة . فقلت له ويحك ما ذا تقول ان الاستاذ الامام رحمه الله يصح أن يتحقق الاحاديث الصحيحة ونحوها كذلك واذا اتسع علم الانسان ظهر له ماخفي على غيره وكل أئمة الحديث كذلك رحمهم الله (لها بقية)

ه) المنار : تفسير القرآن بالرأي عبارة عن تفسير المرء له لاجل تأييد رأي ينتحله أو مذهب يقلده فهو يعني تفسيره بالهوى . وليس معناه تفسيره بما يخالف المأثور عن الاولين ولا يمكن ان يكون هذا هو المراد بحديث انكار التفسير بالرأي على ان الحديث لا يصح والسلف قد فسروا القرآن بفهمهم وخالف فيه بعضهم بعضا وأكثر ماورد عنهم من ذلك لا يصح له سند وكلمة الامام احمد فيه مشهورة

الدولة العثمانية بعد الدستور

« وجمعية الاتحاد والترقي »

تصريحات كامل باشا في سبب سقوط وزارته

نشر كامل باشا مقالا طويلا في سبب اسقاط الجمعية اياه من الصدارة بعد إخراجه هو ناظر الحربية واستعفاء ناظر البحرية من الوزارة وهما من أعضائها .
واننا ننشر ترجمته برمته للبيان في الحال والتاريخ في الاستقبال ، قال

كان يوم السبت الموافق ٣١ كانون ثاني « يناير » في مجلس المبعوثان يوما عبوسا قمطريرا لهبوب اعصار الافكار حتى ان بعض الاعضاء ويبلغ عددهم زهاء السبعين تركوا المجلس وانصرفوا حذرا من نتائج هذه الزوبعة التى كانت منحصرة بين جدران دائرة المجلس المذكور وبينما كان الذين يبلغهم خبرها في الخارج لا يصدقون بصحة وقوعها كان الذين داخل المجلس في غاية القلق والتأثر من السطوة التي يرونها من بعض اناس كانوا يتخللون صفوفهم وبما كان يلقى على مسامعهم من ان تسكين هذا الهياج الذي دام نحو ساعتين لا يتأتى الا باسقاط الوزارة التي كانت قد ضعفت باستعفاء ثلاثة من اعضائها وهذا لا يكون إلا باقرار المجلس على عدم الثقة بها . فلما رأى الاعضاء الحاضرون ذلك بادروا لحسم الازمة على الوجه الذي أريد منهم وأقروا على عدم الثقة بالوزارة ظنا منهم انهم خدموا بذلك سلامة الوطن والمملكة ولم يكن مبعث هذا الهياج الا المساعي العظيمة التي بذلت في سبيل احداثه إذ بعثت البعثات الخصوصية قبل ذلك الى أدرنه وسلانيك فاذاعوا هناك ان الحكومة تقصد إعادة الحكم الاستبدادي وبذلك حركوا بعض ضباط الفيلق الثاني والثالث وأهاجوا سخطهم

ثم أرسلوا باسم هؤلاء الضباط رسائل برقية إلى بعض انحاء السلطنة تشير بانهم (أي الضباط) مستعدون للوقوف امام كل حركة تبدو من الحكومة بقصد

بها ارجاع الحكم الاستبدادي كما انهم أوعزوا إلى بعض ضباط الاسطول بارسال رسالة برقية إلى مجلس المبعوثان يطلبون فيها عزل ناظر البحرية الذي تعين بالوكالة ويبلغون المجلس انهم لا يعرفون رئيسالهم سوى مجلس الامة العثماني وقد تلي هذا التلغراف في المجلس وتم لهم بذلك ما يقصدونه وهو اظهار المملكة في حالة فوضى امام الناس

لذلك كنت أردت وقتئذ ان أبين ما بالمملكة من الاضرار من جراء هذه الازمة المفتعلة والمقصودة قصدا وان أذيع المسائل المهمة والاسرار السياسية التي لا ضرر من افشائها وانما رأيت ان أؤجل إيضاح ذلك الى وقت آخر أكثر مناسبة منتظرا زوال هياج الافكار المار ذكره وها قد أتيت الآن بالايضاح الموعود مقرونا بالأدلة الواضحة بقدر ما تسمح لي به الظروف في الحال وما يفرضه علي حب تجنب المحاذير السياسية :

لا يخفى أني كنت قد ذهبت بالذات إلى المجلس النيابي في أوائل انعقاده وأوضحت امام الاعضاء برنامج الوزارة السياسي الذي حاز وقتئذ قبول الهيئة المحترمة ورضاها ووعدت الوزارة بأنها تسير على مبدأ هذا البرنامج مع ان القانون الاساسي لم يصرح بشيء عن دعوة الصدر الاعظم وشيخ الاسلام للاستيضاح منهما عن بعض الامور وانما فعلت ذلك بقصد خالص من كل الشوائب تطبيقا لمصالح البلاد على الحكم الشوروي الحقيقي ومراعاة للادارة الدستورية ولوضع مثال للمستقبل

ولا يؤخذ من ذلك انه يتحتم على الصدر الاعظم ان يحضر الى المجلس في الساعة واليوم اللذين يطلب فيهما كما انه لا يفهم من طلب تأخير الصدر ميعاد الايضاح بضعة أيام انه يريد بذلك الغاء هذا الاختصاص الذي أعطاه القانون الاساسي للنظار بناء على حكمة كبيرة والوارد في جميع قوانين الدول الدستورية الاساسية . ان الاصرار في هذا الباب يعد خرقا صريحا لاحكام القانون الاساسي . وقد كنت عزمت عند ما وصلتني رسالة الدعوة من رئاسة مجلس المبعوثان في مساء يوم الخميس الموافق ٢٩ كانون الثاني (يناير) ان أذهب في اليوم المطلوب الى المجلس للاجابة على الاستيضاح حذرا من اختلال الاحوال الموضوعة ولكنه جاء في اليوم التالي (الجمعة) رسول من قبل سفير روسيا يخبرني بأن السفير سيحضر يوم السبت الى

الباب العالي لمقابلتي والمذاكرة معي في المسألة البلغارية حسب تلغراف ورد عليه من بطرسبرج وفي الحقيقة حضر السفير المشار اليه في اليوم المذكور . فلاجل ذلك ولاشتغالي ببعض مسائل سياسية مهمة كتبت إلى رئيس المجلس بإرجاء موعد الايضاح إلى يوم الثلاثاء المقبل

وبعد عصر يوم السبت المذكور وردت علي رسالة من رئيس مجلس المبعوثان يقول فيها انه بناء على بعض إشاعات وصلت إلى مسامع المجلس هاجت أفكار الاعضاء وهو يرى من الضروري ذهابي في الحال إلى البرلمان لاعطاء الايضاح اللازم فكتبت الى الرئيس جوابا قلت فيه ان الاشاعات التي بلغت المجلس عارية عن الاهمية وان لا أصل بالمرة لما قيل من حدوث هياج في المدينة واني سأحضر الى المجلس يوم الاربعاء وكان قصدي من هذا الإرجاء (أولا) ان نتوصل بما عندنا من الزمن الى ربط المسائل السياسية المهمة الماسة بمرافق الدولة الحيوية بالاصول التي كنا تصورناها الى هذا اليوم (ثانيا) ان أتمكن من إستخراج الوثائق الرسمية من محافظها (دوسياتها) استعدادا للايضاح أمام المجلس ولتقديمها لهيأة المبعوثان بصورة غير علنية حتى يقتنع الاعضاء بصفة قطعية بما سأقوله :

ورد بعد قليل رسالة ثانية من رئاسة المجلس فأعدت جوابي الاول بايضاح أكثر فلم يأت بفائدة ، بل أرسل أحمد رضا بك بضرورة حضوري الى المجلس لبيان الايضاح المطلوب نظرا لهياج الامــة والمجلس الناشيء من تبديل بعض النظار وما عقبه من اشاعة الخلع الـكاذبة (أي خلع السلطان) واستعفاء بعض النظار مما جعل سياسة الدولة في الخارج والداخل في حالة غموض وابهام

فلما رأيت هياج الافكار الذي كان منحصرا فقـط في اعضاء المجلس دون الاهالي أي لا أثر له في الخارج باشرت التحقيق في الحال لا أقف على الطرق والمساعي التي بذلت في سبيل احداث هذا الشغب وعلمت أنه ازداد عدد الحزب المعارض لي في المجلس وما تقرر لديهم من أمر معاملتي في حالة ذهابي مما يسبب حدوث أمور غير مرضية تحط بقدر مجلس المبعوثان . فتجنبا لذلك كله كتبت الى الرئيس أعلمه بأني مستعد لتقديم الاســتقالة من منصبي الى الحضرة السلطانية اذا لم يراع

نص المادة ٣٨ من القانون الاساسي ملقيا تبعة ما ينشأ من الاضطراب داخلا وخارجا على عاتق الذين كانوا السبب في حدوثها . فلم يأت الجواب وحصل ما حصل في المجلس من الامور الغريبة . وقد جذبت الاحوال المذكورة انظار الاجانب الذين كانوا موجودين وقتئذ في دائرة المجلس واستوقفت أبصارهم الطرق والوسائل غير القانونية التي اتخذت للوصول الى اجبار الاعضاء على التصويت ضدي واعطاء قرار بعدم الثقة بي كما ان شيوع هذه الامور التي هي بمكان من الغرابة قد شغل افكار الجمهور

وزد على هذه الحالة المخلة بالقانون بصفة خصوصية ذهاب رئيس مجلس المبعوثان مساء اليوم المذكور وبرفقته بعض اعضاء المجلس الى القصر السلطاني وطلبه من الحضرة السلطانية فصلي من منصبي قبل ان أستقيل منه وتعيين خلفي الذي رشحته الجمعية (جمعية الاتحاد والترقي) من قبل

ومن الامور التي تستدعي دقة النظر المنشور السلطاني الذي استصدروه بتوجيه منصب الصدارة العظمى على حسين حلمي باشا والذي تلي في الباب العالي إذ ورد فيه هذه الجملة بحروفها :

« بناء على انفصال كامل باشا حسب الايجاب من منصب الصدارة » وهو مثل ما كان يحصل في الزمن الاستبدادي عند فصل الصدور من مناصبهم بناء على دسائس أصحاب الاغراض مع انه كان يجب ان يبنى انفصالي على استعفائي

وسبب هذا الهياج الذي لم يكن ليوجد لو لم يحدثه البعض عن قصد هو تعيين ضيا باشا في منصب نظارة المعارف التي كانت شاغرة من قبل وتعيين حسن باشا من أمراء الجند البحري في منصب نظارة البحرية بالوكالة بدلاً عن عارف باشا الذي استقال وترك الخدمة بصفة رسمية وتعيين علي رضا باشا ناظر الحربية مندوبا ساميا للدولة في القطر المصري نظرا لبعض الايجابات السياسية الواردة فيما بعد وتعيين ناظم باشا قائد الفيلق الثاني في منصب نظارة الحربية بدلا عنه

ولما كان تأليف الوزارة من حقوق الصدر الاعظم الذي يرفع الى الحضرة السلطانية أسماء من يعتقد قدرتهم وكفاءتهم لتولي مناصب النظار كنت أرى وجوب

للاعتراض على التبديل الذي حصل في الوزارة وقتئذ كما وقع قبله تبديل نظار الداخلية والمعارف والاوقاف والعدلية ورئيس شورى الدولة حسبما ظهر انه المصلحة ولم ينبس احد ببنت شفة اعتراضا على ذلك

وقد ظهر فيما بعد ان سهم الاعتراض في التبدلات الوزارية الاخيرة كان مصوبا بوجه خاص الى تعيين ناظم باشا في منصب نظارة الحربية حتى انه في مساء اليوم الذي كان تعين فيه المشار اليه ناظرا لوزارة الحرب حضر اليّ رجل يدعى ناظم بك من جمعية الاتحاد والترقي وكانت امارات القلق واضطراب البال بادية على وجهه وقال ان الجمعية تستغرب تبديل بعض الوكلاء (النظار) وتستوضح منكم جلية هذا الامر الذي حدث من غير ان يكون عندها علم به فاجبته بأن ليس في الأمر ما يوجب كل هذا الاستغراب . وفي اليوم التالي اجتمع مجلس الوكلاء واشتغلنا برؤية الامور حسب العادة وزدنا عليها المذاكرة في الاحوال المهمة السياسية وافترق أعضاء الوزارة في الساعة ٢ ونصف (بالحساب العربي) وكلهم على اتفاق تام ولم ينتصف الليل الا ووردت استقالة حسين حلمي باشا من نظارة الداخلية وفي اليوم التالي استقال رفيق بك ناظر العدلية وعقبه ورود استقالة حسين فهمي باشا و يظهر ان استعفاء هؤلاء الوزراء من مناصبهم لم يكن نتيجة اتفاق بينهم اذ لا يعقل ان يكونوا اجتمعوا في تلك الليلة ليتفقوا على الاستقالة لبعد الشقة بين مساكنهم التي يحول بينها البحر ولكن كان حسب مشورة ونفوذ رجال الغيب (أي جمعية الاتحاد والترقي) ولقد بذلت المساعي في حمل توفيق باشا ناظر الخارجية على الاستقالة اسوة بزملائه المستقيلين ولكن الرجل رفض الاستقالة غير متأثر بنفوذ أصحاب هذه المساعي . و يروى ان سبب استعفاء الوزراء المشار اليهم هو تبديل وزيري الحرب والبحر على ان وزير البحرية استقال من تلقاء نفسه وكتاب الاستعفاء الذي رفعه الى الصدارة محفوظ في قلم الاوراق والذي سمي بدلا عنه لم يعين الا بالوكالة فقط . اذن لا وجه ألبتة للقيل والقال في هذه المسئلة . وأما مسألة تعيين علي رضا باشا منسوبا في القطر المصري واقامة ناظم باشا ناظرا الحربية بدلا عنه فسأوضحها فيما بعد مقرونة بالاسباب التي أوجبت هذا التبديل

وفي الحقيقة انه لم يكن هنالك موجب لاستعفاء النظار الثلاثة كل على حدته وهم

خارج المجلس بل لو كان زملائي النظار رأوا أثناء المذكرات وهم في المجلس ان تبديل ناظر الحربية مخالف لقواعد الشورى والدستور ومضر بمرافق الدولة لكنت اقدم استقالتي في الحال هربا من الوقوع تحت تبعة التهلكة والخطر اللذين كنت أراهما يتخللان تيارات الاحوال الحاضرة . ولكن الحقيقة لم تكن كذلك بل كان القصد من إجبار هؤلاء النظار على الاستقالة (من قبل رجال الغيب) انما هو اظهار الحالة الحاضرة بمظهر الاضطراب وان يعدوا بذلك وسيلة لاحداث الهياج المطلوب في مجلس المبعوثان

ولا يضاح الامور التي أوجبت تبديل ناظر الحربية يجب قبل كل شيء ان اذكر الحقيقة الآتية :

كان بعض الفتيان أوذوي الافكار الفتية من المستخدمين الملكيين أو الضباط العسكريين وأصحاب الكلمة النافذة من الذين انتسبوا بعد اعلان القانون الاساسي الى جمعية الاتحاد التي لها الخدمات المشكورة في إعادة الحكم الدستوري جعلوا ديدنهم وضع ادارة الحكومة تحت السيطرة والمراقبة الى أن تتأيد الحكومة الدستورية وذلك خوفا من عودة الاستبداد على زعمهم . على ان جميع العناصر العثمانية قبلت أصول الشورى بكمال الحمد والشكران والسرور واثبتوا انه لم يكن ليوجد بينهم من يريد الرجوع الى الحكم الاستبدادي كما ان الجنود العثمانية كلها أقسمت وتعاهدت على الذود عن أحكام القانون الاساسي فلا موجب والحالة هذه لوضع ادارة الحكومة تحت السيطرة والمراقبة المار ذكرهما . ومع هذه البداهة كانت المداخلات باسم الجمعية في شؤون الحكومة تتوالى وهو الامر الذي أخل بانتظام ادارة الحكومة وعرقل مساعيها جدا ووضع العقبات في سبيل معاملاتها وأوجب طروء الضعف على القوة الاجرائية من مداخلات الجمعية التي تألفت في الولايات العثمانية واختل من جراء ذلك امر الضبط والربط والنظام كما ان انقسام الضباط الذين هم القوة المحركة في الفيلقين الثاني والثالث الى قسمين ووقوع الخلاف بين الذين ينتسبون الى الجمعية والذين لا ينتسبون اليها أدى الى الإخلال بالنظام العسكري

ولا يخفى انه بمقدار ما تراعي فيالقنا النظام العسكري ويكون جنودها يداً واحدة في اتحادهم بما يشبه الجسم الواحد بمقدار ذلك يكون التأثير في الاعداء وتنكسر

شرتهم وبعكس ذلك يتجرأ العدو على تجاوز حده ويتمرد ويطغى ومن جهة ثانية لا يعود في قدرة الجيش قمع الفتن الداخلية فلذلك كله كان الواجب على الضباط ان يتجنبوا الاشتغال بالسياسة وان يبتعدوا عنها وان يراعوا سلسلة المراتب حسب ما نص عليه القانون ولكن بدلا عن ذلك صار الضباط يلقون الخطب السياسية في الملاهي « قونسر » والاجتماعات والمظاهرات وانشأوا يقيمون المناورات الحربية والاستعراضات العسكرية في المراسح فكنت ترى فرق الجند العثماني تمر باسلحتها وضباطها من امام المتفرجين في مراسح التشخيص وهو مما يحط بالشرف العسكري وكل ذلك كان منشؤه ضعف ارادة علي رضا باشا ناظر الحربية المطلوب منه حسب وظيفته منع كل هاته الامور المخلة بنظام الجيش والذي لم يكن ليقدر على تنفيذ أوامره وتنبيهاته بإزاء نفوذ كلمة الضباط المنتسبين للجمعية . على اني اشهد أن علي رضا باشا رجل على غاية من الاستقامة والحلم ولكنه غير قادر على الوقوف امام حركة الضباط التي اخلت بنظام الجيش كما مر ذكره آنفا فحفظا لشرف الجيش واعادة النظام والانتظام الى صفوفه تقرر تعيين ناظم باشا قائد الفيلق الثاني الذي اثبت اقتداره باصلاح الفيلق المذكور واعادة النظام اليه في مدة لا تزيد عن الشهرين ناظرا للحربية وبودر في الحال لانفاذ هذا القرار وهو الوسيلة الوحيدة لسلامة الامة والوطن ولكن جمعية الاتحاد والترقي التي لا تريد الا استبقاء نفوذها اجبرت زملائي الوكلاء « النظار » على الاستعفاء واخذت مجلس المبعوثان تحت امرها وبذلك اعدت الوسائل اللازمة لإسقاط وزارتي . وهنا يجب ان اسرد بعض امور حدثت قبل سقوطي وكانت مقدمة لإثارة الافكار ضدي فكانت السبب في انفعال الجمعية مني واليك الاسباب

كنت من زمن حدوث الانقلاب اروج بقدر الامكان والزمان اقتراحات من كان يجيئني بصفته عضوا في الجمعية واستمر الحال كذلك الى ان حضر ليلة الى منزلي « وذلك قبل افتتاح مجلس المبعوثان باسبوعين » البكباشي اسمعيل حقي بك ومعه رحمي بك الذي يدعي انه قائم مقام الوكيل السياسي عن الجمعية وقالا ان

الجمعية لا تدخر وسعا في اكرام اعضاء اللجنة البلقانية الانكليزية المؤسسة في لندره الذين حضروا اخيرا الى الاستانة وانه صار دعوتهم لوليمة عشاء يحضرونها نهار غد في منزلي !! فقلت لهم اني اجهل وصول هؤلاء الاعضاء الى الاستانة ولا اعلم مركزهم ومنزلتهم في بلادهم لعدم ورود شيء يعرفني عن ذلك لا من سفير الدولة في لندره ولا من سفير انكلترا هنا فأستغرب دعوتكم لاشخاص لا معرفة لي بهم ، ولم يسبق المقابلة معهم ، الى تناول العشاء في منزلي من غير ان يكون عندي علم بذلك كأنكم تدعونهم الى فندق وهو أمر لا استصوبه لعدم موافقته للاصول بل يجب أن اتعرف بهم قبل كل شيء واقابلهم و بعد ذلك أعد لهم الوليمة في يوم معين

احمد اسماعيل حقي بك ورفيقاه من كلامي هذا وخرجا من المنزل وذهبا في الساعة الرابعة من الليلة المذكورة نفسها الى القصر السلطاني وقابلا احد قرناء الحضرة السلطانية وقالا له : « اعرض الآن لحضرة السلطان ان يسترجع الختم السلطاني من الصدر الاعظم « أي ان يعزله » والا نذهب غداً بالقوة العسكرية الى الباب العالي ونخرجه منها قسرا على أنه قد تقرر أن يعزل في أول اجتماع من مجلس المبعوثان »

فهال هذا الكلام القرين فأجابهم قائلا : « وما السبب في ذلك ؟ اني لا استطيع عرض هذه المسألة على جلالته في مثل هذا الوقت فالاحسن أن تحضرا غدا لنفهم ما في الامر ونعرضه على الحضرة السلطانية . »

وعلى ذلك ذهبا وعادا في اليوم التالي و برفقتهما ضابط آخر واجتمعت بهم بدعوة خصوصية حسب الارادة السنية الصادرة لي وكان معنا أحد القرناء فسألتهم من قبل من أرسلوا ؟ فقالوا انهم حضروا من قبل الجمعية . فقلت لهم هل الجمعية راضية عن مراجعتكم للحضرة السلطانية في مثل هذا الطلب ؟! اجابوا نعم ان الجمعية توافق على كل ماتعمله . عند ذلك اعدت ما قلته لهم في الليل من عدم موافقة اقتراحهم في مسألة الدعوة وزدت عليه ان عزل الصدر الاعظم بلا سبب ودون ان يستقيل هو مخل بما نصه القانون الاساسي وان خدمتي الآن في هذا الزمن المحفوف بالمخاطر ليس الا تفاديا مني في حب الوطن وليس لأجل التفاخر ولا لجر منفعة . قلت هذا الكلام بشدة واشمئزاز فقاموا وانصرفوا من غير ان يفوهوا ولا بكلمة

وبعد ذلك صدرت ادارة سنية تبلغتها بالواسطة بوجوب دعوة اعضاء اللجنة البلقانية المذكورة الى الشاي بعد حصول التعارف بهم وصادف أن حضر الاعضاء المومأ اليهم الى الباب العالي حيث زاروني وكان عددهم اثنى عشر بين ذكور وأناث فدعوتهم لتناول العشاء في اليوم التالي عندي حيث حضروا هذه المأدبة كما حضرها ايضا بعض اعضاء جمعية الاتحاد والترقي فكان عدد الجميع ٢٤ مدعوا ما عدا رحمي بك الذي لم يشأ أن يحضرها

واللجنة البلقانية هذه كانت تألفت من بعض وجوه ومعتبري الانكليز بقصد انساني ألا وهو تذكير الحكومة الانكليزية بحماية السكان البلغاريين من أهالي مقدونية من مظالم العثمانيين وقد طاف بعض اعضائها القطر المقدوني بعد الانقلاب ليتحققوا بأنفسهم عما اذا كان البلغاريون لا يزالون في حاجة الى الحماية الاجنبية ثم حضروا الى الاستانة وقد قصدت جمعيتنا باكرام هؤلاء الاعضاء أن تفهمهم على الاخوة التي حصلت بين المسلمين والبلغار وان تكسب بذلك رضا اللجنة المذكورة وتحوز بواسطتها انعطاف الامة الانكليزية على ان الامة العثمانية كانت قد اكتسبت حسن نظر وانعطاف الشعب الانكليزي العظيم بما أظهرته عقب انقلابنا السعيد من الاستعداد لادارة دستورية سالمة

وهنا يجب عليّ أن اترك الحكم الى أرباب الفكر والاذعان في مسئلة الذهاب الى القصر السلطاني وطلب اسقاط الوزارة من أجل اني رفضت طلب دعوة أشخاص الى منزل صدر اعظم بدون اذنه ولم يسبق التعارف بهم مما هو مخالف لاصول وآداب المعاشرة ولاني قابلت هذا الطلب الغريب بصورة معقولة وهذا أمر جدير بتوجيه الانظار اليه

لذلك صرفت الجمعية كثيرا من المساعي لاسقاط الوزارة عقب انعقاد مجلس المبعوثان ولكنها اخفقت امام ميل الرأي العام الطبيعي ولما رأت الجمعية ذلك وعلمت أن لا قبل لها بالوقوف امام الرأي العام أوفدت من قبلها طلعت بك بك وانور بك فحضرا اليّ ليلة وأبلغاني بأنه تقرر أن يكون السير حسب رأيي فشكرتهم

على قرارهم هذا وقلت لهم انا كلنا جسم واحد فيجب أن نسعى معا في سبيل خدمة الامة والدولة .

مضى ١٥ يوما على ذلك فصادف ان احتفلت فرقة الاحرار في عيد مضي ١٠، ٦ سنوات على استقلال الدولة العثمانية فدعيت الوزارة أيضا الى المأدبة التي أقيمت لأول مرة في (برابالاس) فرأيت ان أحضر هذا الاحتفال احتراما لذلك اليوم المقدس فلم يرق ذلك في نظر الجمعية فأوفدت إلي احمد رضا بك في اليوم التالي فاشار في كلامه معي الى عدم استحسان ذهابي الى الحفلة المذكورة فقلت له اني بصفتي رئيس الوكلاء (النظار) يجب علي أن احضر الاحتفالات التي تقام من قبل أي حزب كان تذكارا لمثل هذه الاعياد الوطنية المقدسة ، وان هذا أمرا طبيعي . فزاد كلامي هذا في موجدة الجمعية علي وجدد حزازاتها وصارت تنتظر الفرصة لاسقاطي حتى تقرر تعيين رجل نشيط نادر المثال مثل ناظم باشا في منصب نظارة الحربية وعلمت الجمعية ان النظام العسكري سيعود قريبا الى ربوع الجيش بواسطة الناظر الجديد فلم يرق في نظرها ذلك فأحدثت الهياج المار ذكره .

على ان التخلص من هذه الازمات الخطرة والرجوع الى الحالة الطبيعية مع توقي الضرر والهلكة هو من وظائف الحكومة المسؤولة امام العموم والحيلولة بين الحكومة وبين اداء هذه الوظيفة هو بمعنى الرضا بالهلكة وقبولها . واذا كانت الحكومة العثمانية لا تستند الى مجلس نيابي يحوز اعضاؤه على حرية الفكر فانه لايمكن الوقوف امام المخاطرات والمهالك الآتية . واذا أصرت الجمعية على التمسك بتيار نفوذها هذا واستمرت في السير معه فالنتيجة تكون مجهولة بسبب مضادة الرأي العام للسير على المنوال المذكور وذهاب الضباط واهواء الجند مذاهب شتى

على ان الحكومة العثمانية تقترب شيئا فشيئا من مسئلتين سياسيتين مهمتين إذا لم تحسما بالطرق الحكيمة الضرورية في زمن غير بعيد يخشى من أن تجد الدولة نفسها أمام غائلة كبيرة . الاولى مسئلة كريد وقد كانت الحكومة وقتئذ اتخذت الوسائل اللازمة التي توصل الى حلها حلا يوافق مصالح الدولة العثمانية واهالي الجزيرة وهو جدير بموافقة

الدول الاربع الحامية لكريد . ولا أدري بالنظر الى الحالة الحاضرة في أي طور ستدخل هذه المسألة المهمة الآن

واما الثانية وهي المسألة البلقانية فهي أهم من مسألة كريد وقد زاد مركزنا اشكالا فيها تضارب المصالح السياسية بين الروسية والنمسا في هذه الآونة فاذا لم يحكم مركزنا هذا في الوقت اللازم باستعمال الوسائل الرشيدة كانت العاقبة وخيمة جدا علينا

ولا يخفى أن القوة أساس كل شيء فاذا كان ناظر خارجية أحدى الدول لم يشأ قبول اقتراح سفير دولة أخرى كان من الواجب أن يظهر لمان ٣٠٠ الف حربة وراء ذلك الناظر مستعدة لنصرته كما قاله البرنس ميترنيخ ناظر خارجية النمسا السابق « لرفعت باشا مندوب الدولة العثمانية السامي . ولو كان عندنا في شهر اوغسطس الماضي قوة مهيأة مجهزة للدفاع عن مراقفنا في الروم ايلي لما كانت بلغاريا تجرأت على اعلان استقلالها ولما اقدمت النمسا على ضم البوسنه والهرسك لبلادها وهذا الحال يمكن تطبيقه في المستقبل فاذا اهملت قوانا الحربية كما كانت اهملت من قبل لا تتمكن الدولة من الوقوف في وجه الاعداء وتخرج بلاد الدولة العثمانية قطرا بعد قطر من يدها وهذا ثابت بدليل حدوث أمثاله مرارا لذا رأيت تعيين ناظم باشا المشهور بقدرته على اصلاح جيشنا في بضعة شهور ناظرا للحربية امرا ضروريا ليمكن الاصلاح في مدة قليلة قبل فوات الوقت . أفلا يعد الوقوف في سبيل الحكومة لمنعها من اصلاح كهذا ضارا ومروجا لمقاصد الذين يرجحون اغراضهم الشخصية على مصالح الدولة

إن اعلان الدستور الذي كان نتيجة مساع عظيمة صرفت في هذه السبيل أكسب الدولة انعطاف اوربا عليها واطمئنانها اليها والثقة بها فاخذ أصحاب رءوس الاموال يوفدون وكلاءهم الى الاستانة والبعض منهم حضر بنفسه للقيام بالمشروعات المفيدة الاقتصادية النافعة للبلاد مثل انشاء الخطوط الحديدية وارواء الاراضي من الانهار واستثمار المناجم والمعادن وتجفيف المستنقعات والبرك مما يستلزم بذل الملايين في البلاد العثمانية وبذلك يجد المعوزون والفقراء من سكان البلاد الذين كثيرا ما يلجأون بسبب ضيق ذات اليد الى ارتكاب المحرمات شغلا بأجر وفير يوفر لهم أسباب المعيشة ويكفي الحكومة مؤنة الاهتمام بهم وبجرائمهم المضرة بالسكان والبلاد

الناشئة عن الفقر والاحتياج . ولكن اختلال النظام في المملكة المتأتي من تغير شكل الحكومة ودخول ادارة السلطنة تحت نفوذ جمعية غير مسئولة مما لم يحصل مثله في الممالك المتمدنة استوجب بكل اسف انسلاب ثقة اوربا وعدول ارباب رءوس الاموال من الغربيين عن ارسال ملايينهم الى البلاد العثمانية انتظارا لرجوع المياه الى مجاريها الطبيعية واستتباب الامن في البلاد تحت إدارة حكومة شرعية يرتاح اليها أرباب الاموال وقد كنا آملين ان تساعد زيادة الايرادات المنتظر حصولها من المشروعات الاقتصادية المار ذكرها ومن احتكار بعض البضائع التجارية الواردة في البروتوكول العثماني النمساوي وتزييد رسم الجمارك على سد العجز الذي في الميزانية العمومية

وأما الآن فان المرء يتساءل كيف يمكن الدولة ان تقوم بادارة حركتها مع نقص الملايين في ميزانيتها ومع عدم وجود الامل في زيادة الايرادات بالنظر لامتناع أرباب الاموال عن انفاذ المشروعات الاقتصادية في المملكة والحال ان الدول لا ترضى بسبب حالتنا هذه بزيادة رسم الجمارك وترويج اقتراح الدولة في مسألة الاحتكار خصوصا وان الحكومة مضطرة لإعاشة اكثر من ٢٥٠ الف جندي في هذا الزمن السلمي ولا تستطيع تخفيض هذا العدد بسبب القلاقل الضاربة أطنابها في المملكة وفقدان الامن في انحائها وعدم مساعدة أحوال الدولة المالية لانفاق كل هذه المبالغ بصورة دائمة وليس في الامكان مع الحال الحاضرة ايجاد منابع ايراد لها كل هذا يجعل المرء في حيرة من حالة الدولة وكيفية ادارتها مع ماهي عليه من التضعضع المالي .ولو زال هذا الارتباك وحل محله النظام وعادت المياه الى مجاريها الطبيعية لاستتب الامن والراحة في المملكة . ويمكن حينئذ صرف عدد كبير من الجند وادارة ما بقي منه ضمن دائرة الميزانية كما ان الجنود التي لالزوم لها تنصرف الى الاشتغال بالزراعة والفلاحة في بلادها فيزيد بذلك المحصول في المملكة ولكن هذه الملاحظات بعيدة جدا على ما أرى عن النظر والامعان

كان قد ذكر على الألسن في الايام التي دعيت فيها الى الذهاب لمجلس المبعوثان اشاعة الخلع (أي خلع السلطان) فقد اتصل بنا خبر من هذا القبيل عند ما كان

ناظر الداخلية ملازما لفراشه من مرض أصابه وقد صار حينئذ اتخاذ كل الطرق اللازمة لمعرفة ما اذا كانت هذه الاشاعة حقيقية أم هي فرية من المفتريات التي نشرت في الجرائد الاوربية وفي ذلك الوقت نفسه أشيعت أرجوفة أخرى بأني أنا وناظم باشا نريد إعادة الحكم الاستبدادي وأرسل بعض ضباط الفيلق الثاني والثالث رسائل برقية إلى بعض البلاد في المعنى المذكور واستدلوا على ذلك بطلب إعادة توابير الصيادة الى الفيلق الثالث على ان لا أصل البتة لكل ماقيل من هذا القبيل والحقيقة هي ان السكان المسلمين الذين هالهم خبر تسليح الحكومة اليونانية للأروام القاطنين قرب الحدود في ولاية يانيا قد طلبوا من الحكومة ارسال أربعة توابير في أسرع ما يمكن كما انه قد وردت برقيات من أهالي تلك الجهات الى نوابهم في مجلس المبعوثان في هذا المعنى نفسه وزادوا على ذلك أن أهالي (قاقاندلن) تسلحوا واجتمعوا وانهم مستعدون القيام بما يجب عمله اذا لم تحضر الجنود في الحال

فبناء عليه صدر الامر الى نظارة الحربية بوجوب ارسال اربعة توابير من الفيلق الثالث الى يانيا وانه اذا لوحظ ان أخذ أربعة توابير من الفيلق المذكور يؤدي الى إضعاف قواه العمومية — خصوصا وإن كثيرا من جنده كان قد أرسل طاشليجه لتقوية الحدود الصربية تلقاء هياج الصربيين وقتئذ — فلا بأس من اعادة التوابير التابعة للفيلق الثالث والمرابطين الآن في الاستانة . هذا هو الامر الصادر الى نظارة الحربية وقد أجاب ناظم باشا عليه قائلا ان الفيلق الثالث أجاب بأنه لا يمكن أخذ جند فوق ما أخذ قبلا من قوى فوق الفيلق وان المسألة انحسمت بتدابير أخرى بلا حاجة إلى إرسال الجند الى يانيا

بقي علي ان اشرح بعض نقط في مسألة رغبتنا في اعادة الحكم الاستبدادي فاقول : إنني عند ما كنت صدرا أعظم للمرة الثانية قبل ١٤ سنة وجدت تغيرا عظيما في أصول الادارة ورأيت أن نتيجة شكل الادارة على هذا النمط سيكون وبالا على الدولة . فرفعت في الحال تقريرا مفصلا الى الحضرة السلطانية وطلبت من جلالتها أن تسلم الادارة لهيئة عمومية تكون مسئولة أمام العموم وأن تستريح من عناء الاعمال فقبلت الحضرة السلطانية كل ما عرضته وصدرت الارادة السنية بتأليف الوزارة

حسبما ورد في التقرير الآنف الذكر . ولكن لم يمض يومان الا وصار فصلي بصورة غريبة من الصدارة بناءعلى افساد بعض المقربين الذين يرجحون منافعهم الشخصية على صوالح الوطن والامة وعينت واليا على حلب بقرار من مجلس الوكلاء (النظار) ثم نفيت الى ازمير فبقيت هناك ١٢ سنة وأنا اذوق الامرين من الفسدة الذين سلطوا علي عن قصد . وفي النهاية صدر الامر بنفيي الى رودس حسب تسويلات اصحاب المآرب

كل هذا يعرفه الجمهور كما يعرف كيفية خلاصي من النفي المؤبد الاخير الى رودس وحضوري الى الاستانة . ولو فدى اخلافي قليلا من مصالحهم في سبيل صالح الوطن وساروا على الطريق الوطني الذي سرت عليه أنا لما دامت الادارة السابقة ودام معها تخريب البلاد

وأما اتهام ناظم باشا مني بانه يريد اعادة الحكم الاستبدادي فيكفي لدحض ما قيل فيه أن أقول إن الرجل نفي الى ارزنجان لسبب طفيف بعد أن جرد من رتبه وألقابه وألقي في غيابة السجن وقضى على هذا الحال سبع سنوات هناك وهو لا يملك بارة واحدة وعائلته واولاده يئنون تحت أثقال الجوع والفقر ولم يعد الى الاستانة الا بعد اعلان الدستور مما يثبت أن ما أشيع في حقنا نحن الاثنين كذب وافتراء شنيع

اني لم أقبل منصب الصدارة الذي اسندته الحضرة السلطانية إلي وأنا في هذا السن عقب اعلان الدستور وفي زمن سخط الرأي العام على الادارة السابقة وتهيجه الا لتهدئة الافكار التي بلغت منتهى التهيج والقيام بما يجب علي حسب الحمية الوطنية من المساعدة على تأسيس الحكم الدستوري مستعينا على ذلك بتوفيقات الله الصمدانية ولم يكن لي ارب في حيازة المناصب قط . واني أتمنى لأخلافي أن يؤدوا الخدمات النافعة للوطن المقدس والامة والدولة وهم بعيدون عن كل تأثير ونفوذ واختم كلامي بتحويل قرار عدم الثقة بي الصادر من مجلس المبعوثان وتقديره على الرأي العام العادل

الصدر الاعظم السابق

كامل

الدستور وجمعية الاتحاد والترقي

﴿ وسائر الجمعيات ﴾

أعلن الدستور العثماني منذ بضعة أشهر فهتفنا له مع الهاتفين ، ورحبنا به مع المرحبين ، وهمنا به سرورا وشغفا ، وملأنا ديار مصر وسورية مقالات فيه وخطبا ، ولكن سرورنا به لم يكن سالما من كل شائبة ، ورجاءنا فيه لم يكن خلوا من كل مخافة ، فقد أودعنا المقالة الأولى التي أنشأناها في الاسبوع الأول من اعلان الدستور ترحيبا به هذه الجمل (راجع ص ٤١٧ م ١١)

١ — « فالواجب على هذه الجمعيات المدبرة ، والقوى المنفذة ، ان تكفل الدستور الذي نالته الامة حتى تأمن عليه من دسائس اعوان الاستبداد ، الذين قاموا بتنظيم حكومة الجواسيس أعظم قيام ، وأول عمل يجب عليها هو السعي لإبعاد اعوان الاستبداد من دار السلطنة — لا عن دار السلطان فقط — ومحاكمة من يمكن ان يسترد منهم العدل ، ما وهبهم الجور والظلم ، وتشكيل وزارة حرة تقوم بأعباء السلطنة ، وتنتقي الولاة والمتصرفين والقضاة ورؤساء العدلية من اخيار الأحرار ، الذين يرجى ان تصلح بهم الادارة ويستقيم القضاء ، ويحفظ الامن ، ويستقر العدل ، لتندفع الامة الى الاعمال النافعة في ظل الدستور الظليل ، ثم العناية بأمر انتخاب النواب الخ . . .

٢ — « إذا نحن كفينا شر المستبدين الاولين ، ونلنا وزارة من الاحرار المستقلين ، فالواجب علينا ان نقف عند هذا الحد من المطالب في العاصمة وأن تعود السيوف إلى أغمادها ، وتنصرف الضباط الى سابق شأنهم ، مع احكام الروابط الخفية بينها و بين الجمعيات السياسية ، ويتوجه الاحرار الى إصلاح حال المملكة ، بجميع الوسائل الممكنة ، والحذر والحذر ، من عواقب نشوة الظفر ، الحذر الحذر

من إهانة شخص السلطان ، والتسلق إلى عرشه بالبغي والعدوان ، فما دام السلطان مستويا على عرشه فهو رئيس الامة ومرجع سلطتها ، ومنفذ قوانينها وشريعتها ، والوزارة هي الواسطة بينها و بينه ، فاعتداء المرءوس على الرئيس بإدلال القوة ، دون القانون والشريعة ، مجلبة للفوضى ومدعاة للخلل ، ويخشى في مثل الحال التي نحن فيها ان يفضي إلى الخطر » الخ

٣ — « ان افضل ما نفاخر به الآن هو اننا نلنا الدستور من غير اراقة للدماء ولا إيقاع البلاد في فوضى الثورة ، ولا غير ذلك مما يذم ويكره ، فيجب أن نحافظ على هذه الفضيلة ، وان لا نرتكب في طلب الفرع ، ما عصمنا الله في طلب الاصل ، عسى ان يكون تاريخنا في هذا الطور انظف من تاريخ جيراننا فيه »

٤ — « إن امامنا عقبات كثيرة منها ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين للحرية التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، ويهيمون بها شغفاء ومنها ما هو اقرب الى الوقوع كالنزاع بين الاحرار المستقلين ، وبين المتعصبين والمقلدين ، ومنها مسألة تكوّن الجنسية العثمانية ، وما يقع في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، »

٥ — « الحق أقول : إنه لا يخشى علينا من سلب الحرية ، وإنما يخشى علينا من سوء استعمال الحرية ، ومن الجهل بطرق المحافظة على الحرية ، : يخشى أن تدفع الحمية بعض الأحرار الظافرين ، الى مثل عمل المستبدين ، وان تهبط العبودية الموروثة بكثير من الجاهلين ، الى ان يكونوا عونا على انفسهم للحكام الظالمين . »

هذا بعض ما كتبناه في حال السرور باعلان الدستور في الاسبوع الأول من إعلانه وقد وقع جميع ما توقعناه وخفناه

اخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها كفالة الدستور وحفظه فألفت لها لجانا واحدثت لها شعبا في جميع بلاد السلطنة ، وأبعدت أعوان السلطان عنه وسعت في محاكمة بعض المعروفين بالظلم منهم، وتداخلت في انتقاء الحكام والعمال وانتخاب المبعوثين انتدبت للقيام بكل ما قلنا انه لازم واجب ـ لا لأننا قلنا بل لأنها تعلم ما علمنا ـ ولكنها لم تحسن العمل في كل ما تشبثت فيتم سرورنا بعملها

سافرنا الى الديار السوريه وزرنا اهم مدن الولايتين ورأينا تصرف جمعية الاتحاد والترقي فيها وما كان من عمل «اللجنة المرخصة» التي ارسلتها من سلانيك . فرأينا خللا وخطلا وسوء تصرف كنا نعتذر عنه للناقمين عليها ، حتى انه لم يوجد لها من دافع عنها كما دافعنا ، وليس تفصيل تصرفها في سورية من موضوع هذا المقال الذي وضع لبيان الحال العامة .

ثم عدنا الى هذه البلاد التي يعرف من فيها ما لا يتيسر عرفانه لمن في سورية فسمعنا ممن كانوا في الاستانة من العثمانيين الاحرار ومن غيرهم أمورا منتقدة فوق ما كنا نعلم بل رأينا أكثر العثمانيين لاسيا الترك متغيرين عليها . وانا نذكر مجموع ما ينتقده عليها الناس في مصر وسورية في موضوع مطالبنا التي اشرنا اليها آنفا وهو

(١) ان سلوك الجمعية مع أعوان الاستبداد لم يكن سلوك من يريد القضاء على الاستبداد بإزالة نفوذ أهله و إخضاعهم للدستور بل سلوك من اغتنم الفرصة للاستفادة منهم فقد كانت تأخذ المبالغ الكبيرة منهم وتدعم وشأنهم اوتضمهم اليها وقد حدثني الثقات من أهل الشام ان اللجنة المرخصة التي ذهبت لاجل التحقيق في الحادثة التي جرت لي في آخر شهر رمضان قد أخذت مبلغا عظيما من النقود باسم الاعانة للجمعية من رؤساء الفتنة وزعماء الاستبداد الذين بلغ من جنونهم في محاربة الدستور أنهم تحدثوا بنصب خليفة في الشام يبايعونه و يقاومون به الحكومة الدستورية

(٢) انها لم تحسن في انتقاء العمال والحكام فقد ساعدت كثيرين من أعوان الاستبداد حتى على الترقي في الوظائف وأهملت شأن كثير من الأحرار والمجربين . وقد كان اكبر رجاء لي في حكومتنا الجديدة الانصاف في اختيار الموظفين من الاكفاء لاسيا المجربين في مثل مصر . ويتهمون الجمعية بأنها كانت تبيع الوظائف العالية بالمال ، والله أعلم بحقيقة الحال ،

(٣) إنها جعلت هم لجانها في جميع البلاد النفوذ في الحكومة لا مجرد المراقبة عليها لئلا تخرج عن القوانين ولا مساعدتها على حفظ الأمن الذي اختل بعد إعلان الدستور في جميع الولايات كل ولاية بحسب درجتها في الاخلاق وحال الاجتماع

(٤) — إنها لم تحسن الانتقاء والاختيار في تأليف شعبها ولجانها فأدخلت فيها كثيرا

من المتقهرين أو الرجعيين وعادت آخرين . وظهر في بعض لجانها التعصب للجنس التركي حتى كان يكون الاعضاء من الترك هم أصحاب الشأن ومن معهم من غيرهم كالآلات . وقد سمعت كثيرا من الشكوى في ذلك فكنت أدافع بالتي هي أحسن

(٥) حمل الضباط في جميع البلاد على الاشتغال بالسياسة وجعل نفوذهم هو الأعلى في لجان الجمعية وهذا خطر على الدولة كان يجب التشديد في منعه والاكتفاء بأن يكون بين الجمعية وبين الضباط صلة خفية كما قلنا وانصراف كل الى عمله : الضباط الى العمل العسكري المحض الذي لا شائبة فيه للسياسة والجمعية لمراقبة سير الدستور من غير مشاركة الضباط في ذلك . فان ظهرت قوة تسعى لإلغاء الدستور وإبطال مجلس الامة أوالاستبداد والظلم جاز حينئذ استنجاد الجمعية بالضباط لمقاومة ذلك . وانه لا يختلف عاقلان من علماء الاجتماع في وجوب منع الضباط من الاشتغال بالسياسة والادارة حتى اذا أبوا أخرجوا من الجيش وفي كون الجند الذي يدخل في الثورة يكون خطرا على الامة فاذا لم يتيسر استصلاحه حالا وجب إخراجه من الجندية أو قتله

(٦) تصرفها مع السلطان . انتقد عليها شيء منه لا نحب الخوض فيه ولكننا نقول إن الذين يرون ان السلطان هو روح الحركة التي وجهت في هذه الايام الى اسقاط الجمعية يقولون لولا أنها أحرجته لما كان شيء من ذلك

(٧) سيرتها في حمل الناس على انتخاب المبعوثين : رأيت بعيني بعض ذلك في طرابلس الشام وقد كنت أدافع عن الجمعية بقدر الامكان لئلا تشتد الفتنة ويستشري الفساد .

(٨) طريقة تأييد نفوذ الجمعية في « مجلس المبعوثان » بما كاد يكون مهددا لسائر الاعضاء سالبا لاستقلالهم

(٩) اتهمت الجمعية أيضا بالتعصب للجنسية التركية وينقلون عنها أمورا كثيرة في ذلك وهو أخوف ما نخافه على مستقبل الدولة وربما شرحنا ذلك في مقال خاص

(١٠) العبث باستقلال الوزارة بحيث كانت الجمعية مانعة من وجود وزارة مستقلة مسئولة امام مجلس الامة وحده عن عملها

(١١) الجهل بمداراة الشعور الديني في الامة قد أظهر بعض أعضائها

المشهورين أمورا منكرة في نظر الدين جعلت لاعدائها مجالا واسعا للتنفير منها، وقد اعترفت هي اليوم بهذا التقصير

(١٢) ظهورها بمظهر السلطة المستبدة غير المسئولة حتى صرت تسمع من العثماني الحر والمتهتر ومن الاجنبي المتطرف والمعتدل هذه الكلمة التي اشاعتها الجرائد: ان جمعية الاتحاد والترقي قد أزالت استبداد المابين وأدالت منه استبدادها هي . وتفرع عن هذه الكلمة كلام كثير منه قول الكثيرين ان استبداد السلطان ابن السلطان ابن السلطان أهون علينا من استبداد أوشاب من الناس لا يُعرفون فان السلطان أشرف منهم والذل له أقل عارا من الذل لهم وإرضاءه أسهل من إرضائهم لانه شخص واحد يمكن ان يعرف ما يرضيه ولا يعرف ما يرضي هؤلاء الكثيرين

هذا مجمل ما خطر في بالنا الآن من أقوال الناس في جمعية الاتحاد والترقي بعد ذلك الاجماع على الثناء عليها في أول العهد باعلان الدستور فهل يعقل ان يكون كله كذبا واختراعا من الجماهير المتفرقين في ولايات وممالك كثيرة ؟ وإلا فما سبب شيوعه واللهج به في البلاد والممالك ؟

لم يحصل بعد الدستور شيء من السلطة يحمد الا هدوء الاستانة وحسن السير في حل مشكلتي البوسنه والبلغار وكان الفضل الاكبر في ذلك لكامل باشا ولكن الجمعية لم تلبث ان اسقطت كاملا من كرسي الصدارة وغيرت وزارته لانه كان معارضا لنفوذها الفعلي في الحكومة فانتقد سائر الناس هذا العمل وعدوه استبدادا من الجمعية في الحكومة وقال بمثل قولهم كثيرون في الدولة لانهم لم يصدقوا انه كان معاديا للدستور كما ادعت

ثم قتل حسن بك فهمي رئيس تحرير جريدة سربستي علة فهم السواد الاعظم في الاستانة وغيرها ان الجمعية هي التي قتلته لانه كان ينتقد أعمالها فاشتد السخط عليها وانفجر بركانه وكان بعض أعضاء الجمعية اقترح في مجلس الامة تقييد حرية المطبوعات ونشر في أثناء ذلك مقال لكامل باشا الذي يرى فيه سبب سقوط الجمعية ووزارته وما كان من شأنه وشأنها قبل ذلك ولم تحسن الجمعية التصرف في شأن حادثة قتل حسن فهمي الذي عد قتيلا للحرية الشخصية واستقلال الفكر فثارت الامة ناقمة على الجمعية وكان ابتداء الثورة يوم دفن حسن بك فهمي فسقطت وزارة حسين [illegible]

وزارة الجمعية بعد ان أهين لمروره بمركبته من حيث تشيع الجنازة وعدم حضورها تبعا لزعماء الجمعية الذين لم يحضروها . وفر أعضاء الجمعية هاربين من الاستانة وقتل كثيرون من البرآء وجرح آخرون ودمرت اندية الجمعية وادارات بعض جرائدها واستحوذ الرعب على أهل العاصمة وخافوا من سوء العاقبة

سواء صح ما قيل في الجمعية كله أم صح بعضه فان حسنتها التي لا ينازعها فيها أحد هي انها هي التي أخـذت الدستور باليمين فلا تهبه بالشمال فهي أحرص على حفظه وبقائه من جميع العثمانيين . وهو الآن كالطفل يحتاج الى تربية وكفالة، وله أعداء فيحتاج الى دفاع وحماية ، فاذا قيل إن الحكومة المسئولة ومجلس الامة يقومان بتربيته ، فهل يستطيع أحـد ان ينكر اختصاص الجمعية بالقدرة على كفالته ؟ وهل جاءتها هذه القدرة إلا من الجيش ؟

إذاً لا بد من بقاء الجمعية ولا بدّ من بقاء صلتها بالجيش ولكن لا يجوز بحال أن تتداخل في أعمال الحكومة ولا ان تعبث بحرية المجلس ولا ان تدع ضباط الجيش يشتغلون بالسياسة ولا ان تقاوم من يخالفها في الرأي بالقوة ولا حاجة بها الى ذلك في حماية الدستور ولكن قد يشتهيه رجال من الجمعية لأنه من نعم القادر المنصور

لا يوجد في البلاد قوة يمكن ان تقف في طريق الجمعية إلا قوة السلطان في العاصمة وقوة عصابات الاشقياء في بعض الولايات فاما العصابات فيمكن تذليلها بالقوة ولو بعد حين وأما السلطان فانه بنفوذه المعنوي المصبوغ بلون الدين وبأعوانه الكثيرين وماله الكثير وبدهائه العظيم يمكنه في كل وقت ان يعمل عملا كبيرا فهو أخوف ما يخاف على الدستور اذا لم يخلص له وللناس فيه رأيان أحدهما إن إزالته من امام الدستور ضرورية فان خطره دائم بدوامه ، وثانيهما أنه يمكن أن يؤمن خطره بأمور ترضيه كلها ترجع الى ان يرى ما صار اليه خيرا مما كان فيه [illegible] بتأمينه على نفسه ومنصبه وتحامي جرح وجدانه ولو مع إبعاد رجاله المقربين [illegible] عنه ولكن الجمعية جرحته جروحا نغارة وأخرجت من قصره [illegible] ويظن ان حياته متوقفة عليه فهل نطلب لها بعد ذلك [illegible] أم لابد له من الكيد لها ، والسعي للانتقام منها ؟

الجمعية المحمدية

وافتنا انباء الاستانة وأنا في سورية بأنه قد ظهر فيها جمعية جديدة سميت بالجمعية المحمدية غرضها المطالبة بالحكم بالشريعة وتطبيق القوانين عليها فما وجدتني مرتاحا لهذا النبإ على اني قد وقفت نفسي على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والتوفيق بين أحكامه ومصالح البشر في كل طور من أطوارهم مهما ارتقت. وما ذاك الا لأني خفت أن يكون الغرض الباطن منها محاربة الدستور باسم الدين، كما ان نفسي لم تكن مرتاحة لجمعية الاخاء العربي — وأنا من صميم العرب — لأني خشيت ان تكون مفرقة بين العرب والترك ومحركة للعصبية الجنسية التي أخاف على الدولة شرها وكنت أصرح برأيي بذلك في كل محفل ومقام

سألني الأمير شكيب أرسلان عن رأيي في الجمعية المحمدية ونحن في ملأ بنادي الاتحاد العثماني ببيروت فقلت إن خوفي منها غالب على رجائي فيها فان كانت تطالب مجلس الأمة بأن يأخذوا قوانين الدولة كلها من كتب الحنفية بالشروط المعتمدة عندهم في الفتوى فهذا حرج عظيم وما أظن ان مؤسسيها في درجة من الارتقاء يطلبون فيها المحافظة على أصول الاسلام الثابتة من الكتاب والسنة والاكتفاء بعدم الخروج بالقوانين عنها بل لا أرى انهم يرضون بذلك واني أقول انه ليس في ديننا شيء ينافي المدنية الحاضرة المتفق على نفعها عند الامم المرتقية الا بعض مسائل الربا واني مستعد للتوفيق بين الاسلام الحقيقي وكل مايحتاج اليه العثمانيون لترقية دولتهم مما جرى به الافرنج قبلهم وغير ذلك ولكن بشرط ان لا ألتزم مذهبا من المذاهب بل القرآن والسنة الصحيحة. وأرجو أن يكون ذلك مقبولا عند جميع العناصر العثمانية الا المقلدين المتعصبين لمذاهبهم من المسلمين. فأورد علي بعض الحاضرين مسألة الشهادة فأجبته بما أقنعه واقنع غيره من الحاضرين

وقع ما كنا نخاف وأكثر وظهر ان هذه الجمعية هي التي قامت بالفتنة الحاضرة في الاستانة حتى انها استمالت اليها العسكر الذي جاءت به جمعية الاتحاد والترقي من سلانيك لتحافظ به على الدستور، وعسكر الاسطول أيضا، ولا غرو فباسم الدين تقدر ان تستميل جميع عسكر الدولة ان هي أدلت بخراطيمها اليه - وتفيد أخبار الاستانة أن

قائدها في هذه الفتنة هو مراد بك الداغستاني الشهير الذي كان من زعماء جمعية الاتحاد والترقي من بضع عشرة سنة فخانها مع الخائنين وسلم أوراقها للسلطان ورضي بأن يتقاضى منه مالا على ذلك بعد ان كان من أشد المبالغين في الطعن فيه والتحريض عليه · وبعد الانقلاب طلب ان يدخل في الجمعية لما رأى من نفوذها (وهو كالدنيا مع القائم) فأبت عليه فحاول الانتقام منها وإحباط عملها فهكذا يكون الرجال المصلحون ! !

جمعية الاحرار

كان جميع طلاب الاصلاح من العثمانيين يلقبون بالاحرار ثم تألف حزب في الاستانة سمي بحزب الاحرار وصار له جمعية خاصة به والمشهور ان هذا الحزب على رأي صباح الدين افندي سبط آل عثمان الشهير فيما يعبر عنه بعدم المركزية كما نوهنا بذلك من قبل فهو حزب سياسي لاخطر منه إن كان ظاهره وباطنه سواء وان كانت ولايات الدولة غير مستعدة الآن لأن تكون على رأيه برمته وكم في أوربا من حزب يدعو الى رأيه سنين طويلة ولا يضر الامة مخالفته لرأي السواد الاعظم ولسائر الاحزاب فيها ولكن جمعية الاتحاد والترقي تشتد في مقاومة هذا الحزب حتى إنها اتهمت بقتل محرر جريدة سربستي كما علمت وذلك غلو كان من أسباب الفتنة الحاضرة · وهو قد اتهم أيضا بالسعي في إسقاطها ومن الناس من يتهم بعض رجاله بمقاومة الدستور ومالنا وللتهم فقد اتهم احمد رضا بك بمشايعة السلطان على هدم الدستور أيضا

الثورة العسكرية والفتن الداخلية

بعد كتابة ما تقدم علمنا إن شيطان الاستبداد تمكن من احداث ثورة عسكرية في الاستانة غرضها الظاهر إبادة جمعية الاتحاد والترقي ويخشى ان يكون الباطن محو الدستور وإعادة الاستبداد الماضي على ان اسقاطها بيده بالطبع · وقد فر رجال الجمعية من الاستانة ولجأوا الى مركز قوتهم في سلانيك ثم زحفوا بجيشهم على الاستانة ليحكموا السيف والمدفع في الأمر ، فنسأل الله لهم التوفيق والنصر ، وان يحفظ الدولة من الخطر وقد ولدت الثورة بالعاصمة فتنة في ولاية اطنه فهب الترك لذبح الأرمن وهو عمل يتبرأ الاسلام منه ومن فاعليه ، ولكنه لا يسلم معه من طعن الامم فيه ، فبهمجية هؤلاء الاقوام صار المسلمون حجة على الاسلام

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

(مصر-الاربعاء ٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ — ١٩ مايو (ايار) سنة ١٢٨٥ه ١٩٠٩م)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اسئلة من جاوه ﴾

(س ١٣ — ١٦) من صاحب الامضاء في مالاغ (جاوه)

نؤمل من فضلكم متع الله الوجود بوجودكم وأفاض من بحر علومكم وجودكم أن تفيدونا عن حكم الله ورسوله في نكاح الرجل المسلم المرأة غير المسلمة هل يجوز أم لا اذا وعدته باسلامها بعد عقد النكاح كما هو جار عندنا لاسيما من الصينيات فهل يجوز له الهجوم على نكاحها وهي على دين قومها أملا في إسلامها بعد وهل تستثنى من غير المسلمات الكتابيات ومن هن الكتابيات فهل الافرنج اليوم على اختلاف مذاهبهم في النصرانية وعقائدهم وتبديلهم يعدون كتابيين ؟ تفضلوا ياسيدي افيدونا بحكم الله تعالى في هذه المسألة فهي وان كانت واضحة لديكم فهي لدينا من المعضلات فلا تهملوها واخوتها لوضوحها لديكم ولعله قد سبق كلام فيها فالمأمول الاعادة لتعم الافادة فنحن في قلق حتى يصل الينا جوابكم الشريف لأن السؤال من الوقائع الحالية عندنا اه

ونسألكم أيضا أطال الله بقاكم عن اجماع علماء الهيئة في هذا العصر على كروية الارض ودورانها حول نفسها وغيرها إني ياسيدي لم أكد أفهم التوفيق بين هذا الاجماع

و بين قول الله سبحانه في قصة ذي القرنين «حتى اذا بلغ مغرب الشمس - وحتى اذا بلغ مطلع الشمس» وأين يكون المطلع والمغرب اذا كان هناك للأرض كروية ودوران؟ واذا قلنا ان المطلع والمغرب هنا بحسب مرأى العين لنا فما يثلج الصدر بهذا لأن المطلع اذا كان بنسبة مرأى العين لنا فهو بالنسبة لقوم آخرين هناك يسمى مغربا وكذلك المغرب كيف هذا والاخبار للعموم من غير نسبة لقوم دون آخرين وكروية الارض أظنها تمنع ان يكون للشمس مطلع أو مغرب في محل مخصوص تفضلوا بينوا الابكم الخروج من هذا الاشكال لأني ياسيدي لسوء فهمي وسقم قريحتي حاولت التوفيق بينهما بنفسي ولم أظفر به وكثيرا ماحصل الخوض بين جماعة عندنا في هذه المسئلة وما استطاعوا الخروج من ربقة الاشكال وكلهم أشاروا على الحقير برفع هذا السؤال لحضرتكم والمأمول ان تجبروا خاطرنا بالافادة متع الله بكم أمين اه

ونسألكم لازلتم سراجا للمهتدين عن الحضور في معرض ادارة الصور المتحركة للتفرج عليها هل هناك في الشرع الشريف مايحظر علينا ذلك تفضلوا بينوا لنا حكم الله سبحانه فان عثرتم على مايعذرنا بين يدي الباري جل وعز في حضورها بينوه لنا وما الاصل فيها التحريم أم الحل بينوا الجميع لنا على صفحات ناركم اه

ونسألكم لا برحتم ملجأ لحل المعضلات في الخبر المبلغ بواسطة البرق هل يعتبر به عندنا في الشرع كالصلاة على الغائب المبلغ خبره بواسطة البرق ومايترتب على ذلك في الأمور الشرعية كالهلال في الصوم أو الافطار هل يجوز الاخذ بذلك تفضلوا وضحوا لنا الجميع ولكم من الله جزيل الاجر ودمتم　　محمد بن هاشم بن طاهر

﴿ أجوبة المنار ﴾

زواج المسلم بغير المسلمة وهل الاوربيون نصارى

ذهب بعض السلف الى انه لايجوز للمسلم ان يتزوج بغير المسلمة مطلقا ولكن الجمهور من السلف والخلف على حل الزواج بالكتابية وحرمة الزواج بالمشركة ويريدون من الكتابية اليهودية والنصرانية واحل بعضهم المجوسية أيضا و بالمشركة

الوثنية مطلقا بل عدوا جميع الناس وثنيين ماعدا اليهود والنصارى ومن الناس من قال أنهم من المشركين ولكن التحقيق انهم لا يطلق عليهم لقب المشركين لأن القرآن عند ما يذكر أهل الاديان يعد المشركين أو الذين أشركوا صنفا وأهل الكتاب صنفا آخر بعطف احدهما على الآخر والعطف يقتضي المغايرة كما هو مقرره وكذا المجوس في قول وسيأتي بيان ذلك

والذي كان يتبادر الى الذهن من مفهوم لفظ المشركين في عصر التنزيل مشركو العرب اذ لم يكن لهم كتاب ولا شبهة كتاب بل كانوا أميين

والأصل في الخلاف في المسألة آيتان في القرآن إحداهما في سورة البقرة وهي قوله تعالى (٢: ٢٢١ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) الآية . والثانية في المائدة وهي قوله عز وجل (٥: ٥ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وقد زعم من حرم التزوج بالكتابيات ان هذه الآية منسوخة بتلك ورده بأن سورة المائدة نزلت بعد سورة البقرة وليس فيها منسوخ فان فرضنا ان أهل الكتاب يدخلون في عداد المشركين يجب ان تكون آية المائدة مخصصة لآية البقرة مستثنية أهل الكتاب من عمومها والا فهي نص مستقل في جواز التزوج بنسائهم

وقد سكت القرآن عن النص الصريح في حكم التزوج بغير المشركات والكتابيات من أهل الملل الذين لهم كتاب أو شبهة كتاب كالمجوس والصابئين ومثلهم البوذيون والبراهمة واتباع كونفوشيوس في الصين وقد علمت ان علماءنا الذين حرص بعضهم على إدخال أهل الكتاب في عداد المشركين لا يترددون في إدخال هؤلاء كلهم في عموم المشركين وان ورد في الكتاب والسنة ماهو صريح في التفرقة والمغايرة . فكما غاير القرآن بين المشركين وأهل الكتاب خاصة في مثل قوله (٩٨ : ١ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) وقوله (٣: ١٨٦ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) وذكر أهل الكتاب بقسميهم في معرض المغايرة في قوله (٥ : ٨٢ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) الآية كذلك ذكر الصابئين والمجوس وعدهم صنفين غير أهل الكتاب والمشركين والمسلمين فقال في سورة الحج (٢٢ : ١٧ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) فهذا العطف في مقام تعداد أهل الملل يقتضي ان يكون كل من الصابئين والمجوس طائفتين مستقلتين ليسوا من الصنف الذي يعبر عنه الكتاب بالمشركين و بالذين أشركوا . وذلك ان كلا من الصابئين والمجوس عندهم كتب يعتقدون انها إلهية ولكن بعد العهد وطول الزمان جعل أصلها مجهولا لنا ولا يبعد أن يكون من جاؤا بها من المرسلين لأن الله تعالى يقول (٣٥ : ٢٤ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير) وقال (١٣ : ٧ إنما انت منذر ولكل قوم هاد) وإنما قويت فيهم الوثنية لبعد العهد بأنبيائهم على القاعدة المفهومة من قوله تعالى (٥٧ : ١٧ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومعلوم أن فسق الكثير من أهل الكتاب عن هداية كتبهم ودخول نزغات الوثنية والشرك عليهم لم يسلبهم امتيازهم في كتاب الله على المشركين وعدهم صنفا آخر كما ان فسق الكثيرين من المسلمين عن هداية القرآن ودخول نزغات الوثنية في عقائدهم لا يخرجهم من الصنف الذين يطلق عليه لفظ المسلمين ولفظ المؤمنين وإن كانوا هم الذين يعنيهم الخطباء على المنابر بقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه » ويطبق العلماء عليهم حديث الصحيحين « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » قالوا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال « فمن » وبهذا يرد قول من حاولوا ادخال أهل الكتاب في المشركين وتحريم التزوج بنسائهم مستدلين بقوله تعالى بعد ذكر اتخاذهم احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (٩ : ٣١ سبحانه وتعالى عما يشركون) فان إطلاق اللقب على صنف من أصناف الناس لا يقتضي مشاركة صنف آخر له فيه إن أسند اليه مثل فعله كما بيناه في تفسير آية (٢ : ٢٢١ ولا تنكحوا المشركات) لا سيما اذا كان الفعل الذي أسند الى الصنف الآخر ليس

هو اخص صفاته وليس عاماشاملا لافراده كاتخاذ أهل الكتاب احبارهم ورهبانهم أربابا يتبعونهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم فانت وصفهم الاخص اتباع الكتاب وان كثيرين منهم يخالفون روساءهم في التحليل والتحريم ومنهم الموحدون كأصحاب آريوس عند النصارى وقد كثر في هذا الزمان فيهم الموحدون القائلون ببنوة المسيح بسبب الحرية في أوربا وأمريكا وكانوا قلوا باضطهاد الكنيسة لهم

والظاهر ان القرآن ذكر من أهل الملل القديمة الصابئين والمجوس ولم يذكر البراهمة والبوذيين وأتباع كنفوشيوس لأن الصابئين والمجوس كانوا معروفين عند العرب الذين خوطبوا بالقرآن أولا لمجاورتهم لهم في العراق والبحرين ولم يكونوا يرحلون إلى الهند واليابان والصين فيعرفوا الآخرين والمقصود من الآية حاصل بذكر من ذكر من الملل المعروفة فلاحاجة الى الإغراب بذكر من لا يعرفه المخاطبون في عصر التنزيل من أهل الملل الأخرى ولا يخفى على المخاطبين بعد ذلك ان الله يفصل بين البراهمة والبوذيين وغيرهم أيضا

ومن المعلوم ان القرآن صرح بقبول الجزية من أهل الكتاب ولم يذكر أنها تؤخذ من غيرهم فكان النبي (ص) والخلفاء (رض) لا يقبلونها من مشركي العرب وقبلوها من المجوس في البحرين وهجر وبلاد فارس كما في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث . وقد روى أخذ النبي الجزية من مجوس هجر أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن عوف انه شهد لعمر بذلك عند ما استشار الصحابة فيه . وروى مالك والشافعي عنه أنه قال : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وفي سنده انقطاع واستدل به صاحب المنتقى وغيره على أنهم لا يعدون أهل كتاب وليس بقوي فان إطلاق كلمة « أهل الكتاب » على طائفتين من الناس لتحقق أصل كتبها وزيادة خصائصها لا تقتضي انه ليس في العالم أهل كتاب غيرهم مع العلم بأن الله بعث في كل أمة رسلاً مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط كما ان اطلاق لقب « العلماء » على طائفة معينة من الناس لها مزايا مخصوصة لا يقتضي انحصار العلم فيهم وسلبه عن غيرهم

وقد ورد في روايات أخرى التصريح بأنهم كانوا أهل كتاب قال في نيل الأوطار عند قول صاحب المنتقى: واستدل بقوله سنة أهل الكتاب على أنهم ليسوا أهل كتاب، مانصه: لكن روى الشافعي وعبد الرزاق وغيرهما بإسناد حسن عن علي « كان المجوس أهل كتاب يدرسونه وعلم يقرءونه فشرب أميرهم الخمر فوقع على أخته فلما أصبح دعا أهل الطمع فأعطاهم وقال ان آدم كان ينكح أولاده بناته فأطاعوه وقتل من خالفه فأسري على كتابهم وعلى مافي قلوبهم منه فلم يبق عندهم منه شيء » وروى عبد بن حميد في تفسير سورة البروج باسناد صحيح عن ابن أبزى « لما هزم المسلمون أهل فارس قال عمر اجتمعوا (أي قال للصحابة اجتمعوا للمشاورة كما هي السنة المتبعة والفريضة اللازمة) فقال ان المجوس ليسوا أهل كتاب فنضع عليهم الجزية ولا من عبدة الأوثان فنجري عليهم أحكامهم، فقال علي بل هم أهل كتاب » فذكر نحوه لكن قال فوقع على ابنته وقال في آخره فوضع الأخدود لمن خالفه. فهذه حجة من قال كان لهم كتاب. وأما قول ابن بطال لو كان لهم كتاب ورفع لرفع حكمه ولما استثنى حل ذبائحهم ونكاح نسائهم فالجواب ان الاستثناء وقع تبعا للأثر الوارد لأن في ذلك شبهة تقتضي حقن الدم بخلاف النكاح فانه يحتاط له. وقال ابن المنذر ليس تحريم نكاحهم وذبائحهم متفقا عليه ولكن الأكثر من أهل العلم عليه اه

اذا علمت هذا تبين لك ان العلماء لم يجمعوا على أن لفظ المشركين والذين أشركوا يتناول جميع الذين كفروا بنبينا ولم يدخلوا في ديننا ولا جميع من عدا اليهود والنصارى منهم فهذا نقل صحيح في المجوس ومنه تعلم ان للاجتهاد مجالا لجعل لفظ المشركات والمشركين والقرآن خاصا بوثنيي العرب وأن يقاس عليهم من ليس لهم كتاب ولا شبهة كتاب يقربهم من الاسلام، كما ان أهل الكتاب فيه خاص باليهود والنصارى ويقاس عليهم من عندهم كتب لايعرف أصلها ولكنها تقربهم من الاسلام بما فيها من الآداب والشرائع كالمجوس وغيرهم ممن على شاكلتهم وقد صرح قتادة من مفسري السلف بأن المراد بالمشركين والمشركات في الآية العرب كما سيأتي

وعلى هذا لايكون قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » نصا قاطعا

في تحريم نكاح الصينيات الذي أكثر منه المسلمون في الصين وانتقل الاقتداء بهم فيه الى جاوه او كاد. وقد كان ذلك من اسباب انتشار الاسلام في الصين . ولا أدرى مبلغ أثره في ذلك عندكم و بنفي كونه نصا قاطعا في ذلك لا يكون استحلاله كفرا وخروجا من الاسلام والا لساغ لنا ان نحكم بكفر من لا يحصى من مسلمي الصين .

هذا وان المشهور عند العلماء ان الأصل في النكاح الحرمة وان كان الاصل في سائر الاشياء الاباحة وعلى هذا لابد من النص في الحل ويمكن ان يقال اذا لم نقل بأن هذا يدخل في القاعدة العامة بأن الأصل الاباحة في كل شيء حتى يرد النص بحظره فاننا نرد الأمر الى الكتاب العزيز فنسمعه يقول بعد النهي عن نكاح أزواج الآباء (٤: ٢٣ حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم و بنات الأخ و بنات الاخت وأمهاتكم اللاتي ارضعنكم او اخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم و ربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ماقد سلف ، ان الله كان غفورا رحيما (٢٤) والمحصنات من النساء الا ماملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ماوراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) الآية

فنقول على أصولهم ان قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » لا يخلو ان يكون قد نزل بعد ما جاء في البقرة من النهي عن نكاح المشركات وفي سورة النور من تحريم نكاح المشركة والزانية أو قبله ، فان كان نزل بعده صح أن يكون ناسخا له وان كان نزل قبله يكون تحريم نكاح المشركة والزانية مستثنى من عموم « وأحل لكم ماوراء ذلكم » بطريق التخصيص سواء سمي نسخا ام لا كما يستثنى منه ما ورد في الحديث من منع الجمع بين البنت وعمتها قياسا على تحريم الجمع بين الاختين او إلحاقا به وجعل ما يحرم من الرضاع كالذي يحرم من النسب على القول المشهور في الاصول بجواز تخصيص القرآن بالسنة على ان الجمهور أحلوا التزوج بالزانية. وعلى كل حال يكون نكاح الكتابيات ومن في حكمهن (كالمجوسيات عند من قال

بذلك كما نقل الحافظ ابن المنذر) داخلا في عموم نص « وأحل لكم ماوراء ذلكم »
وأكد حل نكاح الكتابيات في سورة المائدة التي نزلت بعد ما تقدم كله

وخلاصة ما تقدم ان نكاح الكتابيات جائز لا وجه لمنعه ونكاح المشركات محرم وكون لفظ المشركات عاما لجميع الوثنيات او خاصا بمشركات العرب محل اجتهاد وخلاف بين علماء السلف . قال ابن جرير في تفسير (ولا تنكحوا المشركات) : « وقال آخرون بل انزلت هذه الآية مرادا بحكمها مشركات العرب لم ينسخ منها شيء » وروى ذلك عن قتادة من عدة طرق وعن سعيد ابن جبير ولكن هذا قال « مشركات أهل الاوثان » ولم يمنع ذلك ابن جرير من عده قائلا بأنها خاصة بمشركات العرب . ثم قال بعد ذكر سائر روايات الخلاف « وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أنه تعالى ذكره عنى بقوله « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » من لم يكن من اهل الكتاب من المشركات وأن الآية عام ظاهرها خاص باطنها لم ينسخ منها شيء وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها » الخ ما اطال به في بيان حل نكاح الكتابيات

هذا مايظهر بالبحث في الدليل ولكننا لم نطلع على قول صريح لأحد من العلماء في حل التزوج بما عدا الكتابيات والمجوسيات من غير المسلمين قد صرح بحل المجوسية الإمام أبو ثور صاحب الامام الشافعي الذي تفقه به حتى صار مجتهدا وصرحوا بأن تفرده لايعد وجها في مذهب الشافعي . فالشافعية لايبيحون نكاح المجوسية فضلا عن الوثنية الصينية

ولا يأتي في هذا المقام قول بعض اهل الاصول ان النهي لا يقتضي البطلان في العقود والمعاملات وهو مذهب الحنفية فانهم استثنوا منه النكاح وعللوا ذلك بأنه عقد موضوع للحل فاذا انفصل عنه ما وضع له بالنهي المقتضي للحرمة كان باطلا بخلاف البيع لأن وضعه للملك لا للحل بدليل مشروعيته في موضع الحرمة كالأمة المجوسية فلذلك كان النهي عن [illegible] غير مقتض إبطال العقد . فلا يقال عندهم ان نكاح الصينية يقع صحيحا [illegible] كان [illegible]

وأما [illegible] في [illegible] حكمة [illegible] في آية النهي

عن التناسخ بين المؤمنين والمشركين في آية البقرة بقوله (أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) وقد وضحنا ذلك في تفسير الآية و بينا الفرق بين المشركة والكتابية فيه فيراجع في الجزء الثاني من التفسير (من ص ٣٥٧-٣٦١) ومنه ان أهل الكتاب لكونهم اقرب الى المؤمنين شرعت موادتهم لأنهم بمعاشرتنا ومعرفة حقيقة الاسلام منا بالتخلق والعمل يظهر لهم ان ديننا هو عين دينهم مع مزيد بيان واصلاح يقتضيه ترقي البشر وإزالة بدع وأوهام دخلت عليهم من باب الدين وما هي من الدين في شيء. واما المشركون فلا صلة بين ديننا ودينهم قط. ولذلك دخل أهل الكتاب في الاسلام مختارين بعد ما انتشر بينهم وعرفوا حقيقته ولو قبلت الجزية من مشركي العرب كما قبلت من أهل الكتاب لما دخلوا في الاسلام كافة ولما قامت لهذا الدين قائمة. ومن الفرق بينهما في القرب من الاسلام أو الدعوة الى النار ان أهل الكتاب لم يكونوا يعذبون من يقدرون عليه من المسلمين ليرجع عن دينه كما كان يفعل مشركو العرب

ثم ان للاسلام سياسة خاصة في العرب و بلادهم وهي ان تكون جزيرة العرب حرم الاسلام المحمي وقلبه الذي تتدفق منه مادة الحياة الى جميع الاطراف وموئله الذي يرجع اليه عند تألب الاعداء عليه ولذلك لم يقبل من مشركي جزيرة العرب الجزية حتى لا يبقى فيها مشرك بل أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يبقى فيها دينان كما بينا ذلك في الفتوى الرابعة المنشورة في الجزء الثاني (ص٩٧) من هذا المجلد وتدل عليه الاحاديث الواردة في كون الاسلام يأرز في المستقبل الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها. وهذا يؤيد تفسير قتادة المشركين والمشركات في الآية

واذ كان الازدواج بين المسلمين والمشركين ينافي هذه السياسة التي هي الاصل الاصيل في انتشار الاسلام وكان تزوج المسلمين بالسينيات مدعاة لدخولهن في الاسلام كما هو حاصل في بلاد الصين فلا يكون تعليل الآية المحرمة صادقا عليهن وكيف يعطى الضد حكم الضد

وقد حذرنا في التفسير من التزوج بالكتابية اذ خشي أن تجذب المرأة الرجل الى دينها لعلمها وجهله وضعف أخلاقه كما يحصل كثيرا في هذا الزمان في

في تزوج بعض ضعفاء المسلمين ببعض الأوربيات او غيرهن من الكتابيات فيفتنون بهن وسد الذريعة واجب في الاسلام

كروية الارض ومطلع الشمس

مطلع الشمس المكان الذي تطلع منه ومغربها المكان الذي تغرب فيه وهو يختلف باختلاف المواقع لكروية الارض اذ لو كانت سطحا مستويا لما حصل هذا الاختلاف في المطالع والمغارب . ويعبر كل قوم عن مشرقهم ومغربهم بحسب ما يرون وان خالفوا فيه غيرهم فيقول بعضهم إن الشمس تطلع من جبل كذا وتغرب في البحر وبعضهم غير ذلك . واذا رحل أحدهم الى أقصى ذلك المكان من جهة المشرق يقول قد وصلت الى مطلع الشمس . وقد تعارف امم كثيرة تختلف مواقع بلادهم ومشارقها ومغاربها على تسمية قطعة من الأرض بالمشرق وقطعة بالمغرب مع ان ما يسمونه مشرقا يكون مغربا لقوم آخرين وما يسمونه مغربا يكون مشرقا لقوم آخرين كما سميت بلاد مراكش بالمغرب الأقصى حتى ان أهل امريكا يعبرون عنهم بذلك وان كانت في جهة المشرق منهم . ومثل ذلك التعبير عن بلاد الدولة العلية مثلا بالشرق الأدنى وعن بلاد الصين بالشرق الاقصى . ويطلق الافرنج لفظ الشرق على قارتي آسية وافريقية مع ان بعض بلاد افريقية هي في جهة المغرب من بعض بلادهم

فاذا أريد بمطلع الشمس ومغربها في قصة ذي القرنين ما كان يسمى في بلاده مطلعا ومغربا صح ذلك واذا فرضنا انه كان لهم عرف في المطلع والمغرب كبعض العرف المشهور الآن صح ذلك . والا ظهر أن المراد بالمطلع والمغرب في قصته أقصى المشرق وأقصى المغرب الذي تيسر الوصول اليه بأسباب السياحة والسفر التي كانت في عصره وبالنسبة إلى بلاده فكان في سياحتيه كالذين يحاولون الآن اكتشاف القطبين الشمالي والجنوبي

هذا وان الاشكال الذي هو محل الوقفة عندكم يرد على استعمال لفظ مطلع أو مشرق ومغرب مطلقا كما أشرتم الى ذلك فاذا كنتم لا تجيزون استعمال هذه

الألفاظ الا في حقيقة لا تختلف باختلاف البلاد فقد خطأتم جميع البشر في عرفهم واصطلاحهم والخطب سهل والمراد ظاهر ولا مشاحة في الاصطلاح

الصور المتحركة

لا نرى وجها للسؤال عن حل رؤية هذه الصور أو حرمتها فالأصل الحل ، إنالم نسمع ان أحدا من علماء المسلمين قال ان النظر الى الصور محرم ولا وجه لجعل الحركة سببا للحرمة ، ويظهر لنا من هذا السؤال انكم لستم جاهلين لإباحة رؤية هذه الصور ولكن عندكم أناسا متنطعين يحبون التحكم والاشراف على المسلمين بالأمر والنهي من سماء الدين فيحلون ويحرمون بغير علم وما جرأ أمثال هؤلاء في المسلمين على تحكمهم حتى ضيقوا عليهم دائرة دينهم الواسعة الا التقليد الأعمى و يزعم هؤلاء المعممون المقلدون ان الاجتهاد هو الذي يضيع على العامة دينهم ويكثر الذين يتحكمون في شرعهم والأمر بالعكس فان الذي لا يقبل منه القول الا بالدليل لا يستطيع أن يتحكم ولا أن يعبث كالذي يقبل قوله بلا دليل بدعوى ان طلب الدليل نزوع الى الاجتهاد الممنوع

الاخبار البرقية

هذه الاخبار التي تبلغ بالآلات الكهربائية التي يعبرعنها بما ذكر و بالتلغرافات هي قطعية الاداء فكل من تثق بخبره اذا كلمك بلسانه تثق بخبره الذي يبلغه بالبرق لا يتردد في هذا أحد في العالم المستعمل فيه التلغراف ومتى صدق الناس الخبر تبعه العمل بما يترتب عليه من الاحكام الشرعية لاسيما اذا كان من جهة رسمية يطرد صدق برقياتها وكيف تطيب نفس المسلم ان يفطر في نهار بأنه في ليله خبر برقي برؤية هلال رمضان فصدقه تصديقا تاما لا شبهة فيه ولا احتمال (وراجع المبحث في ص ٦٩٧ م ٧)

* * *

﴿ اسئلة من الجبل الاسود ﴾

(س من ١٧ - ٣٠) من ح . ح . في نقشيك

ما قولكم دام فضلكم ونفع المسلمين بعلومكم

فيمن يخطب بالعربية في أرض الترك ثم يترجم بعض ألفاظ الخطبة باللسان

التركي ليفهمها الحاضرون لانهم لا يفهمون إلا باللسان التركي ولا سيما بعض الاحكام اللازمة كصدقة الفطر مثلا فهل يمنع من هذه الترجمة المذكورة وادخال الالفاظ التركية خلال الخطبة .

وفيمن يفتي الناس بجواز الجهر بالتكبير في الاسواق عند تشييع الحجاج في سفرهم الى الحج من بلادهم مع ما يترتب على الجهر المذكور من المفاسد التي منها امتهان الاسم الشريف في محل القاذورات وذلك مناف للتعظيم ومنها انه يكون سبباً لاجتماع النساء والرجال ومنها ضحك الكفار واستهزاؤهم بذلك الذكر الشريف فيكون سببا لهذا الاستهزاء وربما وقعت الفتنة بين القبيلين بسبب ذلك

وهل العمامة المسنونة يلزم فيها تغطية جميع الرأس حتى لا يبقى من القلنسوة شيء أم السنة هو الوجه المعتاد عند أهل الحرمين وغيرهم من استدارتها على الرأس وترك أعلا القلنسوة من غير تغطية

وهل الاعلان بموت الميت على المنابر بالصلاة والسلام عليك يارسول الله جائز أم مكروه؟ افتونا مأجورين

﴿ أجوبة المنار ﴾

ترجمة الخطبة بالاعجمية

لا يمنع الخطيب في مثل الحالة المسؤول عنها من ترجمة أحكام الخطبة لأن الضرورة تلجيء الى ذلك مادام المسلمون مقصرين في تعلم لغة دينهم والا كانت الخطبة عند أولئك الترك وامثالهم من الاعاجم رسما صوريا لا يحصل به الفائدة المقصودة من الخطبة وبعض الاعاجم يحتاط فيترجم الخطبة ويشرحها بعد صلاة الجمعة وبلغني انهم يفعلون ذلك في الصين

التكبير عند تشييع الحجاج

التكبير عند تشييع الحجاج ليس مطلوبا شرعا ولا يمنع اذا لم يتخذ شعارا دينيا ولم يترتب عليه مفسدة فان اتخذه قوم شعاراً دينيا يرون انه لابد منه شرعا أو ترتبت عليه مفسدة منع منه . ولو كان مطلوبا شرعا كما يطلب في الايام المعلومات لما صح ان

يكون من موانعه اجتماع النساء والرجال ولاضحك الكفار (٨٣: ٢٩ ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ٣٠ واذا مروا بهم يتغامزون) والامتهان لايتحقق الا في نحو الحانات أو الكنف ومايعد في العرف العام إهانة

واما الفتنة وبعني بها السائل فيما يظهر التخاصم الذي ربما يؤدي الى الضرب أو القتل فهي محل النظر لافي موضوع السؤال بل في شعائر الدين الثابتة كالإذان والصلاة والتكبير في العيد فاذا كان الكفار يؤذون المسلمين لقيامهم بشعائر الاسلام وفروضه وجب على المسلمين مقاومتهم ولو بالقتال إن قدروا فان لم يقدروا لقلتهم وضعفهم وجبت عليهم الهجرة من دار الكفر والتعصب الى حيث يكونون في أمان وحرية في دينهم . وقد زدنا هذه الفائدة في الفتوى عملا بالسنة من جواب السائل با كثر مما سأل عنه عند الحاجة الى ذلك

العمامة المسنونة

العمامة (بكسر العين) هي كما قال بعضهم كل ما يعقد على الرأس سواء كان تحت المغفر اوفوقه او لما يشد على القلنسوة او غيرها

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلبس العمامة فوق القلنسوة تارة ويلبسها بغير قلنسوة تارة أخرى كما لبس القلنسوة بغير عمامة وفي حديث عمرو بن حريث في صحيح مسلم قال « رأيت رسول الله (ص) على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفيها بين كتفيه » وفي حديث جابر عند مسلم ايضا انه دخل مكة وعليه عمامة سوداء ، ولم يذكر انه كانت لها ذؤابة بين كتفيه قال ابن القيم فدل على ان الذؤابة لم يكن يرخيها دائما . وكان يتحي بالعمامة تحت الحنك أحيانا ومن فوائده انه يمنع السقوط . ويحصل الغرض من لبسها بأية كيفية كانت وورد في العمامة عدة روايات ضعيفة واهية . وهي من العادات لامن أمور الدين ولكنها زي المسلمين الاولين ومفيدة في حفظ الرأس من الحر

اعلان الموت على المنارة

هذا العمل بدعة لم يأذن بها الله تعالى ولا مضت بها سنة رسول الله عليه وآله وسلم . وانما نقول انه بدعة اذا أتي به على انه مطلوب دينا بهذه الصفة اي جعله

في مكان اداء شعيرة الأذان وقرنه بأذكار مخصوصة . أما الإعلام بالموت لأجل ان يسعى من يعلمون به الى تجهيز الميت وتشييعه ودفنه والصلاة عليه فذلك مشروع وان ورد في بعض الاحاديث النهي عن النعي وهو في اللغة الاعلام بالموت وإذاعته فالمراد به نعي الجاهلية . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري إنما نهي عما كان أهل الجاهلية يصنعونه وكانوا يرسلون من يعلن بخبر موت الميت على الدور والاسواق . ومن ذلك انهم كانوا يرسلون راكبا فيقول « نعاء فلان » ويطلق النعي على اخذ الثأر فقد كانوا اذا نعوا القتيل يحرضون على الثأر له . وقال ابن الأثير ان النعي الاعلام بالموت والندب . وقال ابو بكر العربي يؤخذ من مجموع الاحاديث ثلاث حالات (الاولى) إعلام الاهل والاصحاب واهل الصلاح فهذا سنة (الثانية) الدعوة للمفاخرة بالكثرة فهذا مكروه (الثالثة) الاعلام بنوع آخر كالنياحة ونحو ذلك فهذا يحرم اه نقل ذلك عنه الشوكاني وقال بعده و بعد نقول أخرى فالحاصل ان الاعلام للغسل والتكفين والصلاة والحمل والدفن مخصوص من عموم النهي لأن إعلام من لا تتم هذه الامور الا به مما وقع الاجماع على فعله في زمن النبوة وما بعده وما جاوز هذا المقدار فهو داخل تحت عموم النهي اه فعلى هذا يكون الاعلام المسؤل عنه منهيا عنه فأقل حالاته ان يكون مكروها . وعندي انه يباح للناس ان يعلموا من لا يتولون ماذكر من الاعمال ولو للتباهي بكثرة المشيعين والمعزين بشرط ان لا يجعلوا ذلك من الدين

* * *

﴿ الرقص والتغني والانشاد في مجلس الذكر ﴾

ارسل الينا السؤال الآتي من بعض البلاد العربية لنعرضه على علماء الازهر فأفتى فيه من اطلع عليه بما ترى في الجواب وهذا نص السؤال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ما قول العلماء الاعلام السادة الكرام في قوم عوام يجتمعون وينشدون الاشعار بالالحان المحدثة والنغمات المطربة ويصفقون بالسبح ويتمايلون بتكسر وتثن هل

فعلهم جائز أيضا وإذا قلنا بكراهة ذلك في أحد المذاهب الاربعة هل يجوز الانسان التقليد ليرقص مثلهم . وما الحكم في مذهب الامام مالك بالرقص إذا كان بتكسر وتثن كرقص المخنثين هل هو حرام أو مكروه فقط أفيدونا بالجواب الشافي لاخلت منكم الديار في جميع الاقطار

الجواب

الحمد لله أما بعد فقد سئل الطرسوسي رحمه الله في مثل ذلك فقال مذهب الصوفية ان هذا بطالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ان الرقص والتواجد أحدثهما أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فأتوا يرقصون حوله ويتواجدون ، والرقص دين الكفار وعباد العجل ، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على طلبهم . وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم . قال العلامة ابن حجر الشافعي هذا هو الحق وغيره هو الباطل وان الرقص بتكسر أو تثن حرام على الرجال والنساء وقال العز بن عبد السلام اما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث لا يفعلها الا أرعن أو متصنع جاهل ان الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة ولا فعل ذلك أحد من الانبياء ، وانما يفعله الجهلة السفلاء ، الذين التبست عليهم الحقائق بالاهواء . وأما نشيد الاشعار بتلك الالحان المحدثة والنغمات المطربة فهو حرام لا يفعله إلا أهل الفسق والضلال . ان هذا من الغناء المنهي عنه . قال القرطبي في نحوه افتى الامام مالك بالحرمة وهو مذهب أهل المدينة والنخعي والشعبي وسفيان الثوري وأبي حنيفة وأهل الكوفة . ولكل من الشافعي وأحمد قول بمثل ذلك ونص على الحرمة الامام الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة . وقال الامام الاذرعي اني أرجح تحريم النغمات الملحنة وسماعها . قال عليه الصلاة والسلام ان الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وقال أبو العباس القرطبي الغناء لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم . ولا فعل بحضرته ولا اعتني بمن يفعله

فليس ذلك من سيرته ولا سيرة خلفائه من بعده ولا من سيرة أصحابه ولا عترته ولا هو من شريعته . بل هو من المحدثات التي هي بدعة وضلالة وقد يتعامى عن ذلك من غلب عليه الهوى . قال عليه الصلاة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ — وان رجلا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الغناء من غير فاحشة فقال لا آذن لك ثم توعده ان عاد اليه بالضرب الوجيع وحلق رأسه تمثيلا به تعزيرا وبالنفي عن أهله وبإحلال سلبه لفتيان المدينة . ثم قال عنه وعن أمثاله هؤلاء العصاة . ثم توعدهم بأن من مات منهم بغير توبة حشره الله يوم القيامة كما كان في الدنيا مخنثا عريانا كلما قام صرع . ومن أدلة التحريم قوله تعالى «واستفزز من استطعت منهم بصوتك» . فسره مجاهد بالغناء والمزامير . ومنها قوله تعالى «أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون» أي مغنون على لغة حمير كما قال عكرمة وابن عباس . وقال مجاهد هو الغناء بلغة أهل اليمن . من هذا كله تعلم ان المذاهب كلها على تحريم ما يصنع أمثال هؤلاء وان فعلهم هذا ممقوت عند الله وعند العلماء والعقلاء . وان مجلسهم مجلس الشيطان لا مجلس الرحمن . ولا يجوز افشاء السلام عليهم لأن بينهم وبين الشريعة حربا عوانا والمحارب لا سلام ولا أمان له . فيترك السلام خوف ان يظنوا انهم محقون مكرمون مرضي عنهم . واذا كان الأمر كذلك فكيف يقلدهم في هذه الأباطيل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر

كاتبه   كاتبه

عبد الغني محمود المالكي بالازهر   حسين والي الشافعي المدرس بالازهر

العمل المذكور بالسؤال غير مشروع عند الحنفية

كاتبه

عبد الباقي المغربي الحنفي المدرس بالأزهر

(المنار) هذا التشديد في الغناء خاص بمن يفعله على انه عبادة ودين كبعض المتصوفة وكذا شدد فيه بعضهم مطلقا وقد فصلنا القول فيه تفصيلا في الجزءين الأولين من المجلد التاسع . وخبر الذي استأذن الرسول بالغناء لا يصح وانما ذكروه تقوية للتنفير

احدى الكبر * وكبرى العبر

خلع عبد الحميد خان • نفيه من دار السعادة • وضعه تحت المراقبة العسكرية • ضبط امواله وذخائره وعقاره • اباحة يلدز للامة • تولية مولانا السلطان محمد الخامس

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

(سورة آل عمران ٣ : ٢٦)

جلت قدرة الله ونفذت مشيئته ، وغلب قدره وعلت كلمته ، جعل الايام دولا ، وجعل للدول نواميس وسنناً ، فلا مبدل لسنته ، ولا محوّل لنواميس خلقه، فلا يغرنك إملاؤه للظالمين ، واستدراجه المفسدين ، «١٤ : ٤٢ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ٤٣ مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتدُّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواءٌ ، وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب

لا ينفع من قدره حذر ، ولا ينفذ من محيط سننه سلطان البشر ، فلا يهولنك ما ترى من رسوخ الاستبداد ، ولا يؤيسنك ما تشاهد من غلبة الاستعباد ، ولا يفزعنك ما ترى من الحصون والاجناد ، فقد مضت سنة الله بأن الشيء إذا جاوز حده ، جاور ضده ، وان شدة الضغط توجب شدة الانفجار ، وان الاعمال بالخواتيم ،

و٣:١٢٨ والعاقبة للمتقين » ، « ١٣ : ٢٥ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار

ألا وإن مشيئة الله في إيتاء الملك ونزعه ، وخفض الملك ورفعه ، واعتزاز السلطان وإذلاله ، ليست مشيئة استبدادية ، مغيرة لسننه الاجتماعية ، وإنما جعل لكل شيء سبباً ، ولكل أمر مقادير وسنناً ، فما من أمة تفرقت كلمتها ، وغلب عليها الجهل بحقوقها ، واعتقاد وجوب التقديس لأمرائها وملوكها ، وكثر فيها المنافقون، وقل فيها الصادقون ، الا وابتليت بالمستبدين ، ومنيت بالظالمين ، يسومونها سوء العذاب ، ويقطعون بها الأسباب ، فيأكلون الاموال ، ويستذلون الرجال ، ويجعلون الحرائر إماء ، ليتمتعوا بالمئات من النساء ، ويعبثون بالشريعة والقانون ، ويجنون على الأخلاق والآداب ، فيذلون أممهم ، ويضعفون دولتهم ، فاذا استيقظت الامة من سباتها ، واجتمعت بعد شتاتها ، وعرفت حقوقها ، وغيرت ما بأنفسها من تقديس السلاطين ، وأرادت ان تجعل الحكم فيها للشريعة والقوانين ، فان الله يغير ما بها من الذل والعبودية ، فتستبدل بها العز والحرية ، من حيث يذل ظالمها ، ويهلك مذلها ، « ١٣ : ١١ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

لقد صدقنا الله وعده ووعيده ، وأرانا بأعيننا مصداق كتابه ، فهذا عبد الحميد خان وأعوانه ، وقرناؤه وخصيانه ، وجواريه وغلمانه ، قد بغوا في الارض ، وتركوا السنة والفرض ، وعطلوا الشريعة والقوانين ، واستعبدوا بجميع العثمانيين ، وجمعوا القناطير المقنطرة من الأموال ، وحشدوا لحمايتهم الالوف المؤلفة من الرجال ، وأقاموا حولهم المعاقل والحصون ، ليمنعوا أنفسهم ان يصول عليها المظلومون ، « ٥٩ : ٢ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار

ثم ان في ذلك لكبرى العبر ، لمن يعقل ويتدبر ، « ٧٤ : ٣٢ كلا والقمر ٣٣ والليل إذ أدبر ٣٤ والصبح إذا أسفر ٣٥ إنها لإحدى الكبر ٣٦ نذيراً للبشر ٣٧ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر » فقد أدبر ليل الظلم والاستبداد ،

وأسفر صبح الدستور فميز بين الإصلاح والإفساد ، وذهب الغي وجاء الرشاد ،
وكانت هذه الحركة العثمانية إحدى الكبر ، نذيراً للمستبدين من البشر ، تعلمهم
انه لا ينفع حذر من قدر ، كما تعلم من شاء أن يتقدم أو يتأخر من الامم ،
كيف يكون السير في الطريق الأمم ، وانما مدار التقدم والتأخر على العدل
والاستبداد ، ورسوخ جذور احدى الكلمتين في البلاد ، « ١٤ : ٢٤ ضرب
الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كل
حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ٢٥ ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ٢٦ يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء »

لقد ذهبت هذه العبرة بأعذار اليائسين من رَوْح الله ، وتعلات القانطين من
رحمة الله ، الذين يتركون العمل ، ويتفيئون ظلال الكسل ، إذا غلقت في وجوههم
الابواب ، وتقطعت بهم الأسباب ، جهلا بعناية الله بالإنسان ، وسننه في نظام
الأكوان ، فها نحن أولاء قد رأينا عبد الحميد خان قد غلق جميع الأبواب التي يتصور
التوصل منها الى خلعه ، وقطع جميع الاسباب التي يتخيل انها تفضي الى أخذه ،
حتى أنه منع الاجتماع والجمعيات ، وحجر حتى على كثير من الألفاظ والاصطلاحات ،
فأبطل من المحاكم الشرعية لفظ الحجر والجنون ، وان يحكم بالحجر على مجنون ، ومنع
لفظ المخالعة والخلع(١) منها ومما يطبع من كتب الشرع ، لأنه يذكر بلفظ الخلع (بالفتح)
كما أبطل من جميع المطبوعات ، امثال هذه الكلمات ، عبد الحميد . سلطان (الا عند
ذكره) مراد . رشاد . ثورة . حرية . جمعية ، مبعوثان الخ وكان لمراقبي الجرائد في ذلك من
الأمر والنهي ، والاثبات والمحو ، ما يضحك الثكلى ، ويبكي اليائس الذي جاءته
البشرى ، وأمر بحذف دعاء القنوت من كتب التعليم ، وكلمة خلع النعلين مما يطبع من

(١) الخلع بالضم الطلاق بعوض . وقد رفع الى محكمة التمييز إعلام بحكم شرعي
في مخالعة فردته الى المحكمة الابتدائية لاجل تصحيحه بحذف كلمة خلع منه . وقد
نبهت على ذلك بالارقام كقولها (مثلا) يجب تغيير الكلمة الرابعة من السطر الثاني
والعاشرة من السطر الثالث وهلم جرا

كتب الفقه والحديث ، لئلا يخطر خلعه في البال ، عند ذكر خلع النعال ، او يسبق الى فهم المتعلمين او المصلين ، ان كلمة « ونخلع من يفجرك » في القنوت توجب خلع الفجار من السلاطين ، هكذا رأيناه قد اتقى كل شيء الا الله ، « ٢٨ : ٨١ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله » ٣ : ١٩٢و٢٧٠ وما للظالمين من أنصار .

عز عليه ان يسلب بالدستور والحرية ، ما كان ينتحله من صفات الربوبية ، ككونه يحكم مايشاء ويفعل ما يريد ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، ولا حدود لأمره ونهيه ، يحمد على السراء والضراء ، « ٢١ : ٢٣ لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون » يعطي ويمنع ، ويضر وينفع ، ويصل ويقطع ، ويفرق ويجمع ، ويخفض ويرفع ، يسلب من يشاء ماشاء ، ويقتل من أراد متى أراد ، ويبعد من يكره ، ويقرب من يحب ، فرأى بعد الدستور ان أمر الشريعة والدستور فوق أمره ، وان نفوذ جمعية الاتحاد والترقي فوق نفوذه ، وان الالسنة والاقلام التي كانت مكرهة على ترتيل آيات إطرائه ترتيلا ، والتسبيح بحمده بكرة وأصيلا ، صارت تسمي أعماله ووقائع عصره باسمائها ، بعد ان كانت تطلق عليها أسماء اضدادها ، اذ كانت تسمي الظلم عدلاً ، والنقص فضلاً ، والجهل علماً ، والسفاهة حلماً ، والباطل حقا ، والكذب صدقا ، والإفساد إصلاحاً ، والخسر فلاحا ، والتخريب عمرانا ، والاساءة إحسانا ، الى غير ذلك .

راعه ان يكون بشرا يوصف بصفات البشر ، وان تكون رعيته من جنسه لا من الغنم والبقر ، فضاق بهذا الدستور صدرا ، وعجز عن مبارزته جهرا ، فلجأ الى الكيد والاحتيال ، وفتح ما ادخره لمثل هذا اليوم من كنوز الاموال ، فألف بها الجمعية المحمدية ، وبث دعاتها في العاصمة وجميع الولايات العثمانية ، فطفقوا يوسوسون لعامة المسلمين ، إن الدستور مناف للدين ، وان جمعية الاتحاد تريد بث التعطيل والإلحاد ، وتحويل الحكومة الاسلامية ، الى حكومة أوربية ، بل بثوا فتنتهم في الجيش فشقوه نصفين ، ودبروا مكيدة لإيقاع المذابح بين العنصرين ، (المسلمين والنصارى) « ١٤ : ٤٦ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال »

أما لو وقعت الواقعة ، وقرعت الدولة هذه القارعة ، لرُجَّت الأرض رجا ،

وبسّت البلاد بسا ، (١) فكانت هباء منبثا ، (٢) ولكن لطف الله بهذه الأمة ، وأراد انقاذ هذه الدولة ، فانهتك الستر ، وانكشف السر ، وظهرت بوارد الثورة على الدستور في القسطنطينية ، قبل أن تصل دعاتها الى جميع الولايات العثمانية ، فقتل الثائرون بعض أعضاء مجلس النواب ، ودمروا على نادي جمعية الاتحاد ، فتبروا ما علوا تتبيرا ، وكادوا يدمرون المعاهد تدميرا ، فأرز (٣) أهل التدبير الى سلانيك وهي مصدر الدستور ، ومطلع هذا النور ، واستصرخوا ذلك الجيش المنصور ، فلبّاهم سليل الفاروق ، مبادرا الى فتح فروق ، والقضاء الاخير على الاستبداد ، واصطلام آخر جرثومة له في البلاد ، والتنكيل بما له من الاحزاب والأنصار ، (١٣: ١٠ سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) (٤)

عبأ (محمود) الأمة ، و (شوكة) الملة ، تلك الكتائب الشهباء ، وهي كالقضاء المنزل من السماء ، فكان هو منها كما قال شوقي من قبل في مدح جيش عبد الحميد تبعا لمدحه

يقود سراياها ويحمي لواءها سديد المرامي في الحروب مجرب
يجيء بها حينا ويرجع مرة كما تدفع اللجّ البحار وتجذب
ويرمي بها كالبحر من كل جانب فكل خميس لجة تتضرب
وينفذها من كل شعب فتلتقي كما يتلاقى العارض المتشعب
ويجعل ميقاتا لها تنبري له كما دار يلقى عقرب السير عقرب
فظلت عيون الحرب حيرى لما ترى نواظر ما تأتي الليوث وتغرب
تبالغ بالرامي وتزهو بما رمى وتعجب بالقواد والجند أعجب

(١) أي خربت فكانت أجزاء متفتتة ، اوسيق أهلها كما تساق الغنم (٢) الهباء الغبار والمنبث المنتشر المتفرق (٣) اي اجتمعوا وانضم بعضهم الى بعض كذا فسر الاصمعي الكلمة في الحديث . وفي اللسان أرز (كجلس) تقبض وتجمع وثبت ، ويقال ارز الى المكان اذا كان مأمنه ومنعته (٤) اي ويقال لهم سواء منكم أيها الخارجون على الدستور من اسرّ القول للجنود وغيرهم بالحث على الفتنة ومن جهر به الخ ، والسارب الظاهر البارز كاولئك الجنود العصاة

أو كما قال اليوم يخاطب هذا الجيش مفتخراً بعمله في أخذ عبد الحميد وخلعه

يا أيها الجيش الذي لا بالدعيّ ولا الفخور
يحمي فاز ريع الحمى لفت البرية بالظهور
كالليث يسرف في القتا ل وليس يسرف في الزئير
الخاطب العلياء با أرواح غالية المهور
عند المهيمن ماجرى في الحق من دمك الطهور
يتلو الزمان صحيفة غراء مذهبة السطور
في مدح « أنورك » الجري « وفي « نيازيك » الجسور
« ياشوكت » الاسلام بل يا فاتح البلد العسير
وابن الأكارم من بني « عمر»الكريم على «البشير»
القابضين على الصلا ل كجدهم وعلى الضرير
هل كان جدك في ردا ئك يوم زحفك والكرور
فقنصت صياد الاسو د وصدت قناص النسور
وأخذت « يلدز » عنوة وملكت عنقاء الثغور

ثم كرّ الفاروقي بجيشه وعيون الأمم الاجنبية شاخصة اليه ، وقلوب الشعوب العثمانية محوّمة عليه ، وزحف على الآستانة ، مصوبا مدفعه منتضيا حسامه ، فلقيته جنود عبد الحميد ، وكانت الحرب كالسيل يقذف جلمودا بجلمود ، فطل الاخ دم أخيه ، وخرق القريب صدر قريبه ، فكانت جنودنا كما قال البحتري

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

ولكن شتان ما بين الباعثين ، وما أبعد ما بين الداعيين ، ففريق ينصر الملة بنصر الشورى والدستور ، ويحمي الأمة بحماية مجلس المبعوثين ، وفريق ينصر الاستبداد بنصر ذلك الشبح البال ، والمسرف المال ، والخؤن القال ، (٣ : ١٣ والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار »

أيد الله الحق على الباطل ، ومكن جند الدستور من تلك الحصون والمعاقل ،

حتى كأن قائده يحمل سيف جده عمر ، الذي كتب الله له النصر والظفر ، فكان هو الفاروق الفاصل ، بين العدل والظلم والحق والباطل ، وقد أعجب أهل الحرب في أوربا بسرعة حركته ، وحسن تبثه ، كما اعجب أهل السياسة بإحكامه للنظام ، وحفظه للأمن ، وفرح العثمانيون بنصر الله الدستور على الاستبداد ، وحكم الشورى على حكم الأفراد « ٤٠ : ٥١ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ٥٢ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار »

سقطت « يلدز » ذات الحصون المشيدة ، والملاجئ المتعددة ، بعد ان حاصرها جيش الدستور ، وقطع عنها الزاد والماء والنور ، وفيها اربعة آلاف من النساء والغلمان ، والخصيان والأعوان ، والحرس الداخلي والحجاب ، والخدم والكتاب ، والسواس والحوذية ، والأريسين والبستانية ، كانوا يأكلون كل يوم ما تشتهيه الانفس من أصناف الألوان ، ويتمتعون بما احبوا من بنات الحان ومصفقات الدنان ، وقد استعد عبد الحميد فيها لكل شيء الا الحصار فانه لم يكن في الحسبان ، وسبحان من لا يشغله شان عن شان ، أراد ان يجعلها كجنة الخلد ، فاذا هي في يوم الحصار دون جنة آدم في الأرض ، فقد قال الله لآدم (٢٠ : ١١٨ ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى ١١٩ وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) وقد جاع وظمئ في جنة عبد الحميد حتى القادات ، وصار من فيها كالسوائم يقتاتون بورق النبات ، ثم ذاقت يلدز طعم الجوع ، بعد ان كانت مئات الموائد توزع من فضلاتها على الجموع ، وتجيع الألوف من الجنود وغير الجنود ، وذاقت لباس الخوف والرعب ، بعد ان كانت تخيف جميع الشعب ، فصارت عبرة للمعتبرين ، ومثلا للآخرين . « ١٦ : ١١٢ ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

ولما ضيق عليها الحصار ارتفع الصراخ والعويل ، ممن قال فيهن شاعر النيل

أين الاوانس في ذراها من ملائكة وحور
المترعات من النعيم الراويات من السرور
العاثرات من الدلال الناهضات من الغرور

الآمرات على الولاة الناهيات على « الصدور »
الناعمات الطيبات العرف أمثال الزهور
الذاهلات عن الزمان بنشوة العيش النضير
المشرفات وما انتقلن على الممالك والبحور
من كل « بلقيس » على كرسي عزتها الوثير
أمضى نفوذاً من « زبيدة » في الامارة والامير
بين الزفارف والمشا رف والزخارف والحرير
في مسكن فوق السماك وفوق غارات المغير
بين المعاقل والقنا والخيل والجم الغفير
سموه « يلدز » والافو ل نهاية « النجم » المنير
دارت عليهن الدوائر في المخادع والخدور
أمسين في رق القيو د وبتن في أسر الشعور
ما ينتهين من الصلا ة ضراعة ومن النذور
يطلبن نصرة ربهن وربهن بلا نصير

ولماذا صار ربهن عبدالحميد بلا نصير، ولا ولي ولا ظهير، الجواب من سورة الشورى التي كان يقتها (٤٢ : ٨ والظالمون مالهم من وليّ ولا نصير) ومنها (٣٠) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (٣١) وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)

بعد أن ضيق جيش الدستور على يلدز الحصار، خيرها بين التسليم وبين السيف والنار، فعلم ذلك الماهل، انه جاء الحق وزهق الباطل، فأمر بالتسليم مدعيا إيثار السلام، على الحرب والصدام، وأن العسكر المهاجم كالحرس من أولاده، لافرق بين الداعم والهادم لاستبداده، فسلم من كان فيها من الجيش سلاحه وذخائره مأسوراً، ثم خرج منها مذموماً مدحوراً، وخرج وراءه رؤساء الموظفين والكتاب والقرناء، فالخصيان والخدم فالنساء، فكان عسكر الدستور يخرج كل فريق فيعرف غير النساء منهم فرداً فرداً، ويحصيهم بالمقابلة على الجداول التي يدعمها، ثم يسلمهم محفوظين

إلى المواضع التي أعدها لهم ، إلى ان يصدر الحكم العمري الفاروقي فيهم، بل ذلك حكم الله وسنته في نظام الاجتماع ، « ٤٠ : ١٨ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » ، وصدق عليهم بعد اباحة يلدز للأمة ، ما نزل في فرعون وقومه، «٤٤ : ٢٥ كم تركوا من جنات وعيون ٢٦ وزروع ومقام كريم ٢٧ ونعمة كانوا فيها فاكهين ٢٨ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين »

وقد وضع الفاروق فروق تحت الاحكام العرفية، وشكل فيها المحاكم العسكرية، لمحاكمة منفذي الفتنة الحميدية، لابطال حكومة الشورى الشرعية ، و إعادة الاحكام الشخصية الوثنية ، وهذا أمر لابد منه ، ولا تقوم المصلحة العامة الا به ، والقتل بهذه الاحكام العسكرية ، هو من قبيل مايطلق عليه الفقهاء اسم الاحكام السياسية . وقد صرحوا بأنه يجوز قتل الثلث لإصلاح الثلثين ، فان قيل انها أحكام ربما تصيب بعض البرآء ، قلنا وقد يقع مثل ذلك في أحكام القضاء ، « ٨ : ٢٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب »

وقد كان من امر الولايات العثمانية ، عند ما علمت بكيد عبد الحميد خان للحكومة الدستورية ، ان كتبت الى مجلس الأمة بوجوب خلعه ، ونفض اليد من بيعته ، وإعلامه بأن الجنود مستعدة لمحاربته ، والاهالي يتطوعون مع الجيش لمساعدته ، فلما أمن المجلس بأس ذلك السلطان ، اجتمع المبعوثون والاعيان ، واستفتوا شيخ الاسلام ، في خلع عبد الحميد وتولية رشاد ، وهذه ترجمة الاستفتاء والفتوى بالعربية :

« اذا حذف زيد امير المؤمنين بعض المسائل الشرعية المهمة من كتب الشرع المقدسة ، ومنع ومزق وأحرق الكتب المذكورة ، وبذر واسرف في بيت المال بدون مسوغ شرعي ، وقتل وسجن ونفى رعاياه بدون سبب شرعي ، وتعود ارتكاب غير ذلك من المظالم الاخرى ، ثم بعد ان أقسم بأن يرجع الى الصلاح حنث بيمينه وأصر على إحداث فتن عظيمة تخل تمام الإخلال بانتظام أمور المسلمين واحوالهم ، وحرض على المذابح ، واذا كانت الأخبار تتوالى من جميع أنحاء البلاد الاسلامية طالبة خلعه تخلصا من ذلك الجور ، وكان في بقائه ضرر محقق ، وفي زواله صلاح ملحوظ ، فهل يجب تنفيذ ما يرجحه أرباب الحل والعقد وأولو

الأمر من إلزامه التنازل عن السلطنة والخلافة أو خلعه ؟

(الجواب) نعم .   كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين

عفي عنه

بعد تناول هذه الفتوى من شيخ الإسلام ، التي هي أصح فتوى صدرت في هذه الأزمان ، لرد الشأن فيها إلى أولي الأمر كما أمر القرآن ، اختار أولو الأمر من المبعوثين والأعيان ، أن يخلعوا السلطان عبد الحميد الثاني ، لأنه ثبت لديهم أنه يصدق عليه ما ذكر في الاستفتاء من المظالم والمخازي ، وأن يبايعوا بالخلافة والسلطنة ، محمد رشاد افندي ولي عهد المملكة ، وهذه ترجمة قرار المجالس بالعربية

« في الساعة السادسة ونصف من يوم الثلاثاء وهو السابع من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ (مالية) تقرر في جلسة المجلس الوطني العثماني المؤلف من مجلسي الأعيان والمبعوثين خلع السلطان عبد الحميد الثاني وإسناد السلطنة والخلافة الى ولي العهد محمد رشاد افندي باسم (محمد الخامس) وذلك بناء على اختيار الخلع على التنازل الاختياري بالاقتراع وهما الحالان المبينان في الفتوى المذيلة بتوقيع شيخ الإسلام محمد ضياء الدين افندي المتلوة في الجلسة »

ثم ان المجلس ارسل وفدين ، لتبليغ قراره للسلطانين ، ليعلما ان الأمر لأولي الأمر ، لا لرجل واحد يسمى ولي الأمر ، لأن الله تعالى اسنده في كتابه الى الجمع ، ولم يسنده قط الى الفرد ، وليكون الأول عبرة للمستبدين الظالمين ، والآخر سلفا ومثلا للدستوريين الآخرين ، فبلغ الوفدان القرارين ولسان الحال ، يرتل قول الملك المتعال ، « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

دخلوا على عبد الحميد الجبار ، الحقود المنتقم القهار ، وهو في مأمنه الذي ملأه بالمسدسات ، وجعل فيه الملاجيء والمغارات والمدخلات ، ووضع في كل حجرة منه تمثال ، يمثله في حال من الأحوال ، فمنها النائم على السرر المرفوعة ، ومنها المتكئ على الأرائك الموضوعة ، ومنها المكب على كتابته ، ومنها الممثل لقراءته ، محتاط بذلك لخيانة الجنود والأحراس ، وغفلة الرقباء والأرصاد ، حتى اذا ما دمر عليه محتال ، يحاول

الفتك والاغتيال ، واتفق ان اهتدى الى بعض حجراته التي يأرز اليها في خلواته ،
نفره التمثال فهجم عليه ، فينفذ رصاص المسدسات الحيدية من بين كتفيه ، وان
عبد الحميد لا يخطئ المرمى ، فقد تمرن على الرمي حتى صار كبني ثعل أو أرمى ، –
دخلوا عليه فما وارته مخبآته ، ولا حمته مسدساته ، ولا دافعت عنه رجاله ، ولا أغنت
عنه أمواله ، بل غلب على هذا المخلوع الجبن الظالم ، فاذا هو خاضع خانع ، قد
خرس لسان مقاله ، وقرأ لسان حاله « ٦٩ : ٢٧ ياليتها كانت القاضية ، ٢٨ ما أغنى
عني ماليه ٢٩ هلك عني سلطانيه » يتمنى لو كانت مكيدته قضت على الدستور ،
وجعلت زعماءه وأنصاره من سكان القبور ، ثم طلب أن يبقوا عليه كما أبقى على أخيه
مراد ، ويحسنوا إليه لأنه بريء مما وقع من الفساد !! وطفق يلوك اباطيل الاعذار ،
ولو كان صادقا لما انتهى الى هذا « القرار » ، « ٣٨ : ٢٨ ام نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ام نجعل المتقين كالفجار ؟

لماذا خضع وذل عبد الحميد ، وهو الجبار العنيد ، لذلك الوفد ، الذي لم يكن
معه غير ثلاثة من ضباط الجند ، أتواضعا كتواضع الخلفاء ، ام هي شنشنة الجبناء ، ان
قدروا بغوا وعتوا ، وان عجزوا ذلوا وعنوا ؟ أهذا هو السلطان المستبد ، القاسي
المتكبر ، الحريص على حياته ، المحافظ بقوة الدولة وما لها على شخصه ، هو بعينه
عبد الحميد ، الذي دخل عليه وفد مجلس الأمة من غير معارضة ولا تفتيش ، فوقف أمامهم
خاضعا ضارعا ، متوسلا خاشعا ، يسألهم الإبقاء عليه ، وترك روحه العزيزة بين جنبيه ؟؟
سبحانك اللهم ما أجل حكمتك ، وما أعدل سنتك ، وما أصدق وعدك ووعيدك ، فقد
بينت لنا أن العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وقلت « ٤٠ : ٢٠ أولم
يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة
وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق »

أين تلك القوة القاهرة ، أين تلك الارادة النافذة ، أين تلك العظمة والكبرياء ،
أين ذلك الشمم والإباء ، أين ذلك المسرف المدل ، أين ذلك المعجب المختال ،
أين السلطان عبد الحميد ، الذي ظن انه يبقى فعالا لما يريد ، فلم يكن يقبل ان يوجد
في المملكة من يقول هذا نافع في السياسة وهذا ضار ، وهذا حلال في تصرف

الادارة وهذا حرام ، أين السلطان عبد الحميد الذي جعل نفسه هو الملك وهو الأمة ، هو القانون وهو الشريعة ، الذي كان يرى ان الملك ملكه ، والزمان غلامه ، والناس عبيده أو عباده ، وان له الحق ان يحرق كتب دينهم ، وان يفسد أسفار تاريخهم وتاريخ غيرهم ، وان عليهم ان يقابلوا إساءته بالشكر ، وظلمه بالرضاء والحمد ، أين السلطان عبد الحميد الذي كان لا ينزل إلى موكب صلاة الجمعة في الأسبوع ، إلا بين صفوف من الجيوش كالبنيان المرصوص ، فيحرم الصلاة على الألوف من المسلمين لأجل صلاته ، التي يجعلها عنواناً على خلافته ، فيتزلف اليه فيها بآيات معينة من القرآن ، لا يتجرأ أن يتلو غيرها قارئ ولا خطيب ولا إمام ، ولو قرأ قارئ على مسمعه آية من الآيات التي تنذر الظالمين الهلاك والدمار ، وتؤذنهم بالزوال والبوار ، لأخذ منه باليمين ، ولقطع منه الوتين ، أو زجه في ظلمات السجون ، أو نفاه من الأرض ، أين عبد الحميد الذي كان يزور الخرقة النبوية الشريفة ، تذكيرا للمسلمين بأنه هو الخليفة ، فتحرس له الجنود طريقه اليها طول السنة ، فاذا قرب الموعد أخليت من جانبيها الفنادق والدكاكين والأمكنة ، وغلقت الأبواب والنوافذ والكوى ، وحشرت الجنود تملأ ما بين الرجا إلى الرجا ، لئلا يطمع أحد بالدنو اليه أو يكون في مكان أعلى منه ، « ١١١ : ٢ ما أغنى عنه ماله وما كسب » ، ولا وقاه ما أكدى وما وهب ، ولا نفعه رأي ثقاته ، ولا سلاح حماته ، بل سلمت فئته الباغية المغرورة ، لفئة الدستور المنصورة ، وذم هو عمل مغذي فتنته وتبرأ منهم ، وزعم انه كره عملهم ولكن عجز عنهم ، « ٨ : ٤٨ واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني ارى مالا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب »

بعد اسبوعين من خلع عبد الحميد ، أنفذ الفاروقي حكم أولي الأمر بنفيه الى سلانيك ، واخرج معه من دار السعادة اثنان من صغار اولاده ، واحدى عشرة امرأة من جواريه ونسائه ، وجيء به الى محطة سكة الحديد تخفر مركبه مركبات الجنود . وارسل كذلك مخفورا في قطار مخصوص ، ولما وصل الى محطة سلانيك اختار ركوب احدى مركبات الاجرة ، الى ان وصل الى الدار التي أعدت له ، وهي دار

ألآتي باشاقائد الشرطه ، وقد احضر له ولمن معه طعام ذلك المساء من إحد مطاعم السوق ، وطلب قميصا فاشتريت له أيضا من السوق ، وكان في عامة أوقاته كاسف البال ، كثير الهواجس والأفكار ، وقد تضرع الى القائد الذي استقبله ، بأن يضمن له حياته ، فهدأ القائد اضطرابه ، وسكن روعه ، ولو كان عبد الحميد صاحب عزة وإباء ، لما حرص في مثل هذه الحال على البقاء ، ولا اقول لفعل ما فعلت الزباء ، على ان البخع والانتحار اذا كان محرما في الاسلام ، فشدة الحرص على الحياة ليست من شأن أهل الإيمان ، فقد قال تعالى في في الذين لا يؤمنون (٢: ٩٦ ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يُعَمَّرُ ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون)

اما مولانا السلطان محمد الخامس فقد بويع في ذلك اليوم بنظارة الحربية ، باختيار اولي الأمر ونواب جميع الأمة العثمانية ، فان كان قد قل في حفلة المبايعة انه أول ملك في عهد الدستور والحرية ، فاننا نقول ان مبايعته أول مبايعة جرت على الصورة الشرعية ، فقد كان سلفه يأخذون الملك بمجرد الإرث ، وهو قد ناله هو باختيار أهل الحل والعقد ، وقد بويع بالمصافحة كما بويع الخلفاء الراشدون ، لا بلثم الراحة وتقبيل الاذيال كما جرى عليه اسلافه المستبدون . وأول من بايعه الشريف حيدر بك من أعضاء مجلس الاعيـان ، ثم الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ، ثم نقيب الاشراف فرئيسا مجلسي الاعيان والنواب ، فأعضاء المجلسين فالامراء والضباط ، ثم من حضر من خيار الناس ، وقد صرح مولانا عقب مبايعته ، بأن كل رغبته ورجائه في سعادة امته ، وبعد عدة أيام حلف في نظارة الحربية ، بين التزام الشريعة والدستور والمحافظة على حقوق جميع الأمة العثمانية ، ثم حلف أيضا في مجلس نواب الأمة ، كما استحلفهم على الاخلاص لما وله ، فأقسموا طائعين ، وأطاعوا مختارين ، ودعوا له مخلصين ، والأمة من ورائهم تقول آمين ، والعاقبة للمتقين ، « ١٣ : ٢٩ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » »

ونسأله تعالى ان يجعل لسان حال سلطاننا الأواب ، هذه الآية الكريمة من الكتاب « ٤٠ : ٣٨ وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد » »

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين — لليافعي ﴾

٣

تتمة بحث النسخ

ولنعد الى ما كنا بصدده فنقول قد بينا في رسالتنا السابقة بعض حجج ما ذهبنا اليه ونزيد ذلك ايضاحا فنقول — ان الكلام اذا سيق فانما يساق بمناسبة المتأخر لما تقدمه وابتنى عليه ودونك ما قبل هذه الآية لتعرف دلالة السياق وان الكلام مسوق في أي شيء أهو في ذكر المعجزات كما قال الدكتور الفاضل ام في ذكر الدين وشرائعه واحكامه ومن هنا تعرف ان ما ذكرناه عن السلف في تفسير هذه الآية هو المناسب لسياقها قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم — ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ففي اول هذه الآية حذر المؤمنين من موافقة الكافرين في إطلاق الالفاظ الموهمة كقولهم راعنا ثم اخبرهم في آخرها بشدة عداوة الكفار لهم وانهم يكرهون نزول الخير اليهم وذلك الخير الذي تفضل الله به على عباده المؤمنين هو الشرع التام الكامل(*) الذي شرعه لنبيه محمد (ص) واختصه وامته به والله

(*) المنار: الكلام صريح في بيان سبب إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أن أهل الكتاب يحسدون العرب فلا يودون ان ينزل الوحي على رجل منهم فهم لذلك ينكرون نبوة محمد (ص) والمشركون ينكرون النبوة من حيث هي فالكلام في النبوة لا في الأحكام الجزئية التي في الوحي وهي أقل ما فيه . والشرع المحمدي عقائد ومعارف إلهية وآداب وعبر واخلاق كريمة واحكام عملية والعقائد هي الاساس والكلام في ركن النبوة منها لأن غيره يبنى عليه فالمناسب ان تكون الآية ما يؤيده

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم — وعلى مناسبة ذلك قال « ماننسخ » من هذا الخير وهو الشرع المحمدي « من آية او ننسها » فليس من باب تفويت او احرامكم بعض هذا الخير الذي تفضلنا به عليكم بل نفعل ذلك لنأتيكم بخير منه اذا نسخناه او بمثله اذا قصرتم في حفظه ونسيتموه — أما قوله « الم تعلم ان الله على كل شيء قدير » الى آخره فانما ذكره في عقب هذه الآية كالدليل بالشيء على نظيره وذلك مثل استدلاله جل شأنه على البعث وامكانه بالخلق الاول وبإحيائه الارض بعد موتها وقد ذكرنا في رسالتنا السابقة مناسبات أخرى فارجع اليها وليتأمل الفاضل في هذا المقام وليعطه حقه من النظر

ونقول ايضا نحن قد قدمنا وقلنا غير مرة انه قد علم من ديننا بالضرورة ان القول بالرأي في الدين وبالاخص تفسير القرآن لا يجوز مطلقا فما بالك برأي مخالف لما قاله السلف ولما نقلوه (١)

ثم نقول لحضرة الدكتور الفاضل هب ان السلف لم يتكلموا ولم ينقل عنهم في تفسير هذه الآية شيء أفليس الواجب ان نرد كل لفظ الى اصله ونحمله على معناه الحقيقي ولا نقدم على القول بالمجاز ولا نعدل اليه الا اذا تعين بقرينة فاذا عرفت ذلك نقول قال في القاموس نسخه كمنعه ازاله وغيره وابطله وأقام شيئا مقامه والشيء مسخه والكتاب كتبه عن معارضة كانتسخه واستنسخه المنقول منه نسخة بالضم وما في الخلية حوله الى غيرها انتهى والمعنيان الاخيران لا يصح حمل الآية المتنازع في تفسيرها عليهما اتفاقا فلا يبقى الا الازالة والتغيير والابطال — فاذا كان المراد بالآية في قوله تعالى ما ننسخ من آية المعجزة كما يقول حضرة الفاضل فامعنى ازالتها أو ازالة مثلها فانه لا يزال ولا ينقل الا ما كان ثابتا في الخارج واما ما يعدم ويفوت بذواته وانقضاء زمنه فلا يقال ازاله ولا يزيله نعم يقال في مجاز اللغة ازلت حجته بمعنى بينت كذبها وعلم صحتها فاذا اريد بالآية المعجزة فلا يجوز حملها على

(١) ان من يفسر آية بغير المروي عن واحد او ٢ و٣ من السلف لا يسمى مخالفا للسلف لا سيما اذا اختلفوا والا لكان جميع العلماء مخالفين للسلف حتى الائمة المشهورين وإنما مخالفة السلف المذمومة هي مخالفة سنتهم التي جروا عليها في امر الدين والابتداع فيه

معنى الازالة لا حقيقة ولا مجازا بقي التغيير والابطال والقول فيهما كالقول في الازالة وهل يصح ان يقال ان الله غير وابطل معجزات الانبياء السابقين فاذا فسد التفسير بحمل الآية على المعجزة تعين حملها على آيات الاحكام ونحوها من آيات القرآن لصحة قولنا ازلت حكم كذا واقمت مقامه حكما آخر او ازلت الكلمة واقمت مقامها كلمة أخرى فما ذكرناه في تفسير الآية هو الحقيقة التي لا يصلح ارادة غيرها وبذلك قال السلف كما عرفت ذلك عنهم فيما سلف — ولو جوزنا العدول عن الحقيقة الى المجاز بلا قرينة ولا مرجح للعدول وسلمنا ماقال بأن النسخ قد يكون بمعنى الترك — فكذلك لا يصح ارادة ماقاله الفاضل ولايجوز أيضا — لأن ترك الشيء لايكون الا إذا أمكن فعل ذلك الشيء نفسه والمعجزة الفعلية الذي وقعت وانقضى زمنها كانقلاب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية مثلا لايمكن ان تعاد نفسها لاسيما مع عدم وجود العصا فان قيل المراد مثلها قلنا وهذا مجاز بتوسط تأويل — ولو سلمناه أيضا فانه لايصح حمل الآية عليه لانه لايصح الا بعد ان يثبت ان الله قدر وكتب في الكتاب الذي كتبه لكل مدة مضروبة بأن سيؤيد محمدا (ص) بمثل تلك المعجزات الماضية مماثلة من كل الوجوه فاذ قدر انه عدل عن ذلك الى ما يماثلها من بعض الوجوه جاز ان يقال ترك هذا المثل لهذا المثل ولايخفى ان الهجوم على ذلك بلا توقيف جراءة واستبداد على الله

فان قيل لانقول إنه ترك ما كتب وقدر انه يؤيد به محمدا (ص) كما ذكرتم قلنا ان تنظير الدكتور للنسخ في هذه الآية بقوله (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) صريح فيما ذكرنا فساده. ونقول أيضا ان ماهو نحو المعجزات من الافعال التي مضت وانقضت هي الآن معدومة فان قيل المراد مثالها الموجود في بعض الاذهان فيجوز تركه قلنا ذلك ممنوع لأن الموجود في الاذهان المذكورة انما هو التصديق بتلك المعجزات ونسخه انما يكون بنقضه وتكذيبه وهو محال وايضا مافي اذهانهم لو أوجده الله في الخارج فهو لايكون الا نفس المعجزات الماضية التي قد عدمت والافعال التي قد وقعت لايمكن ان تعاد نفسها وما كان كذلك فلا يقال انه تركه وعليه فالنسخ بمعنى الترك لايمكن ان يفرض الافيا يماثل من بعض الوجوه

ماحفظه بعض الناس من معجزات الانبياء وحينئذ لا يكون المنسوخ في الآية ماقد وجد ولا مثاله الموجود في اذهانهم بل هوما يماثل مثاله من بعض الوجوه وهذا إنما هومعدوم لانه غير موجود في الاعيان ولا في الاذهان ومعلوم ان الله لم يرد انه نسخ أوترك المعدوم المطلق أو انه أيد نبينا (ص) بخير منه أو مثله لان الخيرية والمثلية لا يوصف بها المعدوم فظهر بذلك ان المعنى الذي حمل الآية عليه حضرة الفاضل لا يصح الا فرضه في المعدوم المطلق وسياق الكلام ومعناه يأبى ذلك والالزم وصح ان يقال ان كل ماأوجده الله فهو بدل ومثل ومسبب عن ترك معدوم مطلق لم يقدر في كتاب وهذا لم يقله أحد

هذا بعض ما نقوله في المنسوخ الذي ذكره الله في قوله « مانسخ من آية أوننسها» وقد عرفت انه لا يصح ان يفرض شيئا مما قدمنا بيانه أمامعجزات نبينا (ص) فلاشك انها قدوقت وقامت بتأييد رسالته (ص) كماقدوفت معجزات الانبياء السابقين بتأييد رسالاتهم وزيادة لكن اطلاق ان هذا ناسخ لهذا لا يصح في تفسير قوله تعالى (مانسخ من آية أو ننسها) وقوله فكل آية من آيات الانبياء السابقين الى قوله قد أتى الله بمثلها في الاقناع والهداية أو بخير منها قلت نعم والامر كذلك الا انا قد قدمنا فساد فرض المنسوخ بمعنى المعجزة وعليه فما أتى الله ومن به على نبينا من المعجزات فليس بدلا عن معجزات الانبياء السابقين على معنى ان تكون ناسخة تلك ولو كان كل معجزة لنبي متأخر ناسخة لمعجزات من تقدمه لكانت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لمعجزات عيسى عليه الصلاة والسلام ومعجزات عيسى عليه السلام ناسخة لمعجزات من تقدمه وهم جرا وعليه فما اتى به محمد من المعجزات لا تكون بدلا لكل معجزات الانبياء السابقين والا لزم نسخ المنسوخ حين هو منسوخ (١)

(١) المنار: كل هذه اللوازم التي اوردها ممنوعة ويمكن ايراد معنى المماثلة من كل الوجوه او بعضها على التفسير المشهور للآية . وان من يفسر الآية هنا بما يؤيد الله به الانبياء كأبي مسلم لا يقول اذا ازال الله ما يؤيد به بعض رسله من آية في زمن رسول آخر وابدله بغيرها فانه يكون ناسخا السابقة باللاحقة بل يقولون ان المعنى إذا لم يؤيد الرسول

ونقول ايضاً يلزم الفاضل المذكور في الادلة المتعددة المختلفة الحقائق على صحة المدلولات المتماثلات والمدلول الواحد تصحيح اطلاق ان كل واحد منها ناسخ للآخر فليتأمل الناظر وليحكم بما شاء بشرط الانصاف

اما قول الفاضل الممدوح واذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل اتى تعالى بدل الآيات المنسوخة بآيات خير منها ؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثيرا من احكام القرآن بالسنة على قول بعضهم ؟ واقول قد عرفت انه لا يمكن حمل ذلك على غير آيات الاحكام ونقول ثم انه قد عوضنا بدل كل آية نسخها ورفعها بما هو مثلها وافضل منها وذلك موجود في هـذا القرآن الذي بين ايدينا — أما قوله فكيف نسخ كثير من القرآن بالسنة على قول بعضهم فجوابه انه لم يفضل احد احكام القرآن على احكام السنة لان الكل من الله والحكم الناسخ سواء كان في القرآن او في السنة هو اكثر خيرا من المنسوخ ولا تفاوت في نفس الحكم الا أن هذا يكون اصح من هذا كما سيأتي بيانه . ثم ألفاظ القرآن هي افضل من ألفاظ الأحاديث ولم يقل أحد أن لفظ الحديث ناسخ للفظ القرآن فما اراد ايراده غير وارد فتأمل

ونحن قدمنا الكلام في اختلاف العلماء في النسخ فارجع اليه فمن يجوز نسخ القرآن بالسنة بعضهم يقول ان ذلك جائز لكنه لم يقع واما من يقول منهم بوقوعه فلهم أن يفرقوا بين نسخ الآية ونسخ حكمها بأن يقولوا إنه من المعلوم بالضرورة ان الدين كله سواء كان قرآنا اووحيا غير قرآن — وهو السنة — انما عرفناه بتوسط محمد (ص) الذي عرفنا صدقه وصحة نبوته ورسالته فلا يجوز لنا ان نقبل بعض ما

— المتأخر بآية المتقدم بأن ازال تلك الآية وما أراد إعادتها فإنه يؤيده بمثلها او بخير منها في اثبات الرسالة . ويمكن ان يفسر لفظ النسخ على هذا الرأي بما ورد في المأثور من انه بمعنى الاثبات في الكتاب ويكون معنى الآية عليه ما نثبت من آية في الكتاب الذي هو القرآن خطا ومعنى فيعرفها الناس اوننسها الناس بترك الاعلام بها فانا نأتي بخير منها أو مثلها في تأييد رسلنا . وبذلك يبطل قول بعض الكافرين ٢١ : ٥ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) وما في معناه مما حكاه الله تعالى عن المعاندين

جاء به ونترك البعض الآخر اذ لو فعلنا ذلك لكنا مكذبين له (ص) في ذلك البعض وذلك كفر في دين الله وبه كما قال تعالى «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» بناء عليه يجوز ان يكون بعض احكام السنة خيراً من الحكم المنسوخ الذي كان في القرآن — واذا كان المراد بالخيرية ان يأتي بخير منها أي ببدل ذي مصلحة راجحة فلا قباحة في أن يقوم الحديث النبوي بدلا عن لفظ آية وحكمها معا

أما الوصية للوالدين والأقربين الوارثين فالجمهور يقولون ان الناسخ لها إنما هي آية المواريث والسنة مبينة وشارحة لذلك الناسخ . هذا بعض أجوبتهم وهو مانع ودافع لكل ايراد ، قلت الايراد الصحيح في هذه الآية انما يتوجه على مذهب حضرة الدكتور الفاضل لأنه إذا منع النسخ في القرآن مطلقا به أو بالسنة لزمه ان الواجب للوالدين الوصية والنصيب الذي فرضه الله لكل واحد منهما في آية المواريث — وحينئذ يعترض عليه ويقال إنه اما أن يكون ما فرضه لهما وافيا بحقهما أو ليس بواف بحقهما وعلى كل تقدير اما ان يلزم النقص أو الظلم (* لا يقال ان الوصية انما ندب اليها ولم يوجبها لأنا نقول ان الاعتراض وارد على الاستحباب أيضا على ان في قوله تعالى «كتب عليكم» في أول الآية وقوله «حقا على المتقين» في آخرها دلالة ظاهرة لا يعتريها شك ونص في الوجوب فالاعتراضات الواردة الصحيحة انما ترد على مذهب الفاضل الدكتور

قال الفاضل وأين البدل للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله عشر رضعات معلومات يحرمن — الذي نسخ على زعمهم بقوله — خمس رضعات معلومات ثم نسخ لفظ هذا الاخير ولم يأت بدله ؟ قلت والجواب من وجوه وهو يختلف باختلاف مشارب الناس في هذا الموضع

(الأول) من لم يشترط التواتر في نقل القرآن وهؤلاء يقولون ان آية(١) الخمس

*) ورد عن علي وابن عباس وهما أعلم السلف بالتفسير ان الآية خاصة بمن لم يرث ويمكن للدكتور ان يقول به وهو ليس ممن ينكر التخصص وان سمي نسخا. على انه يمكن منع استلزام الظلم والنقص بجعل الوصية خاصة من وجه آخر كأن يكون بعض الورثة فقيرا عاجزا عن الكسب وبعضهم غنيا فيوصي للعاجز الفقير

الرضعات المعلومات هي آية(؟) من القرآن الكريم وهي محفوظة بهذه الرواية ونحوها ولها عندهم حكم القرآن المتلو ومن يقول بذلك فلا يرد عليه اعتراض حضرة الدكتور الفاضل هنا من أصله فان كان يرد عليهم اعتراضات أخرى فانهم قد أجابوا عنها .

(الثاني) قول من يقول ان القرآن لا يثبت إلا بالتواتر وناسخه لا يكون إلا قرآنا أو سنة كذلك

(الثالث) انا نختار ان نقول لا شك ان العشر الرضعات قد ثبت انهن كن فيما نزل من القرآن وثبت انهن نسخن ونقل المنسوخ لا يشترط فيه التواتر لان اشتراط التواتر في القرآن انما التزمه من التزمه لان من خالف الاجماع يكون شاذا مخالفا لما نقله جميع الصحابة من حصرهم القرآن المحكم في هذا المصحف الموجود بين أيدينا واذا صرح وقيد الناقل ان ذلك قد نسخ لفظه أو وحكمه فلا شك ان ذلك يخرجه عن الشذوذ فلا يكون مخالفا المتفق عليه من القرآن لجواز ان يكون الصحابة (رض) تركوا نقله لكونه منسوخا لفظا

بقي البحث في الناسخ وهو الخمس المعلومات ثم هذه الخمس المعلومات هل هن قرآن محكم باق لفظه وحكمه أم ليس هن بقرآن وقد قدمنا قول من لم يشترط التواتر وبعض من يشترط التواتر يقبل الحكم ولا يقبل القرآنية فمن يقول ان القرآنية المنقولة بنقل الواحد ونحوه إذا خالفت المصحف كانت شاذة فمخالفة الجمهور اسقطت القرآنية لاحتمال ان يكون الراوي الواحد ونحوه نقل ما كان منسوخا لفظه ولم يعلم بنسخ لفظه أو انه ظن ان ذلك قرآن اما الحكم المتضمنة له تلك الرواية فهو غير معارض بنقل الجمهور للقرآن وباب الحكم غير باب اللفظ والقرآنية فمن هنا قالوا بقبول الحكم ورد القرآنية فتفكر

وآية عدد الرضعات المرفوعة المنسوخة هي ليست في الحقيقة مما يصح ان يورد عليها ما أورده الفاضل يعرف ذلك بجمع اطراف الرواية ودونك ذلك - روي عن عائشة (رض) انها قالت كان فيما نزل من القرآن «عشر رضعات معلومات يحرمن» ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن رواه مسلم وأبو داود والنسائي -وفي لفظ قالت وهي تذكر الذي يحرم من الرضاعة نزل

في القرآن عشر رضعات معلومات ثم نزل أيضا خمس معلومات رواه مسلم وفي لفظ قالت نزل في القرآن عشر رضعات معلومات فنسخ من ذلك خمس رضعات الى خمس رضعات معلومات فتوفي رسول الله (ص) والامر على ذلك رواه الترمذي - وفي لفظ كان فيما أنزل الله عزوجل من القرآن ثم سقط لايحرم الا عشر رضعات أو خمس معلومات رواه ابن ماجه . والناظر يرى ان الصديقة (رض) لم تذكر لاالناسخ ولا المنسوخ بلفظه ولا سياقه ولم تبين محله ثم روايتها ظاهرة في ان عدد الرضعات كان قرآنا في الجملة و بعضها ظاهرة في ان العشر نسخن بالخمس ورواية الترمذي هي صحيحة ولا تبين دلالتها على ان الخمس التي هي بدل عن العشر انها كانت قرآنا ولا تدل على ان النسخ وقع بالخمس أيضا و بناء على ماتقدم قولها (رض) فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن أي ان بعض من لم يبلغه النسخ كان يقرأ ذلك وهو مع شذوذه عما نقل الجمهور لم يثبت قراءته في المصحف ولعله رجع عن ذلك ثم يحتمل كلامها ان من بقي يقرأ كان يقرأ العشر والخمس معا أو انه كان يقرأ الخمس فقط ظانا ان ذلك لم ينسخ وهذا الاحتمال الاخير بعيد . فهذه احتمالات . وأما حديث ابن ماجه عنها فظاهر ان العشر أو الخمس انما هو آية واحدة ودلت هذه الرواية على ان الكل رفع — وبناء على ذلك ان من لازم نسخ العشر ان تنسخ الخمس معها وترفع برفعها لكونها جزءا من آية ولأن الخمس انما هن معطوفات على العامل في العشر فهي منسوخة بالتبع لعدم جواز بقاء لفظها بعد نسخ اول الآية والا لبقيت غير معلومة المعنى ومثل ذلك لا يجوز بقاؤه او وجوده في القرآن فاندفع ما اورده الدكتور الفاضل — فقوله في حديث مسلم (ثم نسخن بخمس معلومات أي بقاء حكم جزء الآية المرفوع لفظه بالتبع وهي الخمس المعلومات ناسخ للعشر المقصود رفعها ونسخ حكمها بالاصالة والذات — وبقي بعض من لم يبلغه رفعها ونسخها يقرأها هكذا : لا يحرم الا عشر رضعات او خمس معلومات

قلت وقوله تعالى (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم) يصح ان تقول انه بدل عن هذا المرفوع ورواية ام المؤمنين (رض) قد اثبتت ان حكم العدد محكم فتحريم الامهات المرضعات في هذه الآية وارد في رضاعة معلومة وهي الخمس الرضعات وعائشة (رض)

يتبين ان تكون سمعت من رسول الله (ص) ان حكم الخمس باق وقد روت في ذلك أيضا أمره (ص) سهلة امرأة أبي حذيفة ان ترضع سالما خمس رضعات ومن يشترط الخمس الرضعات فهو يقول ان هذا كله منسوخ حكمه ولفظه وناسخ ذلك الاطلاق في قوله تعالى «وامهاتكم اللاتي ارضعنكم» فما وصل الجوف هو الرضاع المحرم ومنهم من قال ان الله اطلق تحريم المرضعة والمرجع في ذلك الى السنة وقد ورد ان المصة والمصتين والرضعة والرضعتين والإملاجة والإملاجتين لا تحرم وحديث عائشة (رض) فيه إناطة التحريم بخمس معلومات فوجب المرجع اليه فيما نعتقد وقد مناتوجيهه بذلك اندفع اعتراض الدكتور الفاضل ايضا وثبت ان الناسخ لذلك هو القرآن مفسرا المراد منه بالسنة أو بما له حكم السنة وظهر بما قدمناه ايضا النكتة في نسخ لفظ الخمس والله اعلم

وأما آية الرجم فقد قدمنا الجواب عن رفع لفظها وحكمه فلا نعيده واذ قد فرغنا عن جواب كل ايرادات الفاضل في مسألة النسخ فلنشرع في الجواب عما اورده من الشبهات على وجوب العمل باحاديث الآحاد الصحاح فنقول (لها بقية)

الانقلاب العثماني الميمون

﴿ بخلع عبد الحميد ﴾

(ورأي جرائد مسلمي الهند فيه)

أرسل الينا صديقنا مولوي محمد إنشاء الله صاحب جريدة «وطن» الغراء التي تصدر باللغة الاوردية في «لاهور» مقالتين في الانقلاب احدهما من قلمه نشرها في فاتحة أول عدد صدر من جريدته بعد العلم بالانقلاب الاخير وخلع عبد الحميد ثم ترجمها بالعربية والثانية نشرت في جريدة «ابزرور» باللغة الانكليزية وسألنا رأينا فيهما فنحن ننشرهما ثم نبدي رأينا فيهما وهذه هي الاولى ننشرها مع إصلاح قليل لبعض الألفاظ يحدد المعنى ولا يضيع منه شيئا (وعنوانها الانقلاب المشؤم في الدولة العلية)

لقد طير البرق الينا اليوم النبأ المشؤم الذي فتت الاكباد وألبس القلوب ثوب

الحداد ، وقد ساد الاسف بمجرد سماعه على العالم الاسلامي في الهند وسائر اقطار المعمورة ومن التألم الناشيء منه تنفثت الصدور ، وذلك النبأ العظيم الذي آلم العالم الاسلامي بأسره هو نبأ عزل جلالة السلطان عبد الحميد الثاني عن عرش الخلافة والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الامة اجماعا على عزله ولا ادري هل انعزل جلالته من عند نفسه او اعتزلته جمعية الاتحاد والترقي التي كانت عند اول ظهوره في بدء احياء الدستور العثماني اخيراً مظهرة عزمها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون اعضائها من الناقمين من جلالته او الخائفين من ذاته على الدستور — ولكن علمنا بعد صدور الارادة الشاهانية باعلان الدستور وانقلاب الوزارة وتفويض مسند الصدارة الى سماحتلو(؟) كامل باشا الصدر الاسبق ان المعتدلين والعقلاء من حزب "تركيا الفتاة" لا يرون لزوم عزل جلالة عبد الحميد بعد ان صار محبا للدستور وحلف على حفظه وصرح بعزمه على تقوية الحزب المذكور لا سيما الجمعية الاتحاد والترقي التي لعبت دورا مهما في ملعب احياء الدستور وترقية البلاد حتى صار جلالته لا يبرم امراً ولا يصدر ارادة من غير استشارة الجمعية و يطيع لها في كل الامور وقبل صدارة شرف الجمعية وفاه بما علنا . وقد مال بكليته الى الجمعية حتى عاداه حزب الاحرار من "تركيا الفتاة" وغيره بالتخلف عن فرائض الملك الدستوري بوضعه نفسه تحت يد جماعة غير مسئولة عن صلاح البلاد والعباد و بعد ما ترك استبداده بالحكومة قد وقع نفسه تحت نير الاستبداد الاشأم والاشر من الاستبداد الاول ولكن كل هذه الملاينة والانقياد لم يجد لجلالته نفعا وصارت الجمعية تلهو وتلعب به كما تلعب الهرة بالفأرة التي تريد افتراسها — وقد أخذت الجمعية تمهد السبيل لعزله فأبعدت عساكر الاستانة واوسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية العساكر الموالية للدستور التي جاءت بها من سلانيك وغيرها ، وطلبت من جلالة السلطان عبد الحميد ان يرضى بوضع فيلق الحرس الهمايوني ايضا تحت أمرة نظارة الحربية وقد رد جلالته هذا الطلب غير مرة ولكن لما رأى الجمعية مصرة على ذلك اجاب طلبها (وان كانت الاجابة خطأً — كما ظهر الآن) لان جلالته اراد ان يبرهن للعالم (أصالة) وللجمعية تبعا حسن نيته وميله الى جهة الدستور

ان جمعية الاتحاد والترقي كانت لا تزال تعتمد على الجيش في حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بإبعاد العساكر الموالية للدستور الى الولايات وان كانت نار الفتن الداخلية متأججة في جميع الجهات والضرورة داعية لارسال العساكر الى الخارج كي يمكن اخمادها واعادة النظام الى البلاد - ولما اراد الصدر الاسبق والرجل المحنك كامل باشا استعادة النظام العسكري والطاعة في الجيش امتنعت الجمعية عن ذلك واخذت تعرقل مساعي الصدر الممدوح وحكومته في اصلاح المملكة الداخلي ظنا منها ان خروج الجيش من يد الجمعية يضعف قوتها ويحرج مركزها ويكون خطراً على الدستور - لا قدر الله - وصارت الجمعية تأخذ على مجاري أمور الحكومة بالقوة القاهرة كأنها حكومة في حكومة بل وفوقها متسندة على الجيش وقد شوهت الدستور بسيطرتها على الحكومة ومجلس الامة حتى انقسم حزب تركيا الفتاة الى حزبين حزب الجمعية وحزب الاحرار وتغلب حزب الجمعية بفضل الجيش وكثرة اعضائها في مجلس الامة وانهزم حزب الاحرار شر هزيمة في عدة مواضع اندفع في انتقاد اعمال الجمعية بصدق اللهجة وكشف النطاء عن نيتها المشوهة للدستور وانتشر بغض الجمعية بين الانام بعد ان كانوا محبين لها لهجين بشكرها في اعادة الدستور وهاج اهالي الاستانة وعساكر دار الخلافة مشهرين سيف عدائهم في وجه الجمعية وقلبوا لها ظهر المجن - وفر جميع انصار الجمعية من اعضاء مجلس الامة تاركين مراكزهم في الاستانة الى مقر مركز الجمعية في سلانيك - واخذت الجمعية تجند الجنود لكبح جماح الخارجين عليها والباغين بدعوى المحافظة على الدستور واخيراً قد فازت الجمعية على مخالفيها وأجرت الاحكام العسكرية في دار الخلافة واخذت تبحث عن الذين سعوا في محو الدستور واعادة الحكم المطلق (بزعمها)

وكلما ننظر في خلال هذه الحادثة المؤلمة من أولها إلى آخرها نجد جلالة السلطان عبد الحميد محافظا على الدستور وموالياً للملة - والوطن - لم يتعرض لمجلس الامة قط بل صرح في مثل هذه الحالة الحرجة أيضا عند تعيينه لملي كمال بك (كذا) صدرا لمجلس الامة ان مستقبل البلاد لا يقوم الا بالمحافظة على الدستور، وهذا دليل بين وبرهان عظيم على كون جلالته محباً للدستور - ومحافظا عليه بارًّا

بمينه مجتنبا اراقة دماء الابرياء وزرى المبعوثين أوحزب تركيا الفتاة تائهين في تيه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والمملكة باسراعهم في عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم في غوائل الأمور وخاصة عاقبة مثل ذلك الفعل القبيح — لانهم لو تأملوا بحوادث انقلاب السلطنة الأخيرة لوجدوا انه لم يكن لجلالة عبد الحميد يد فيها لأنه كان قادرا على ان لايسمح بابعاد حرسه الخاص قبل أسبوعين من تلك الكارثة أو جمع عدد عظيم من العساكر لحفظ مركزه — وعلى الأقل — حض العساكر الموجودة في الاستانة الذين بغوا وطغوا على الجمعية (واغرائهم) بالثبات والاستقلال في الحرب وجنود قصره على عدم قبول طاعة المهاجمين من غير مدافعة — بل واسلامهم للاعداء — كما صرح ضباطهم عند التسليم «انا نسلم أسلحتنا بأمر من جلالة السلطان لأنه أبى إراقة الدماء وقال لنا ان المهاجمين أيضا من أولاده وهو لا يرضى ان يصيبهم مكروه» وغير هذا كان من الممكن لجلالته ان يأخذ لنفسه حماية أقوى دولة من الدول الأجنبية — ولكنه لم يفعل كلّ ذلك بل سلم نفسه للملة وأثبت للملأ انه محب مخلص للامة والوطن ولا يريد محو الدستور أبداً واراقة قطرة من دم في سبيل حفظ مركزه على طريق الواجب أيضا

فكان من واجبات الجمعية وحزب تركيا الفتاة ان يحترم عواطف ذلك السلطان الشفيق والسياسي المحنك الذي عند قبضه على صولجان الملك كانت السلطنة في أسوء الحال من الافلاس — وعدم قوة الحربية — وخلل نظام الداخلي — وهجمات الأعداء الخارجيّ — وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم الحديثة منقسمة على نفسها أي انقسام أدّى ذلك الانقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها — فشمر على ساق الجد وقوى مركزها بين الدول وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتبارا ماليا في أسواق أوربا موازيا لاعتبار أقوى الدول في العالم — ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة وأكمل تسليحه بأحدث الآلات — حتى صار الجيش نفسه اليوم عليه بعد ان كان له ، وكلّ فضل الجيش في التربية والعدة والعدد من بركات عبد الحميد لا غير فانظر يا أيها القارئ كيف انقلب الحال ! ! سعى في انتشار التعليم والعلوم الحديثة في البلاد وأقلع صدأ الجهل عن

مرآة قلوب العباد ، الى ان صاروا يفهمون معنى الوطنية والاتفاق والاتحاد ، فالذين علمهم الوطنية والاتحاد صاروا اليوم يرمونه بعدم محبة الوطن ومخالفة الدستور ان هذا لشيء يراد

قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجد و يجتهد وراء سعادة الامة والملة وعمل اعمالا أثمرت رفاه البلاد والسلطنة : عمر الطرق و بنى السكك الحديدية واجرى الترع والقنوات واخصب المفاوز والقفار ، وأوصل الاقطار بالاقطار ، وحفظ السلطنة من الضياع امام اعداء اشداء حتى أقر العدو والصديق انه من أمهر السياسيين في السياسة وداهية العصر في الدهاء وفاز في كل المواقع السياسية المشهورة بهمته الشماء غير مضيع نفسه ومضعف مركزه وكان في كل زمان عاملا نشيطا وسلطانا حازما لا يعرف الملل ولا يعتريه الكلل — كان من عادته ان يعمل ثماني عشرة ساعة في كل يوم ويشتغل في مهام السلطنة كأدنى خادم للملك والملة ، لم يكن له شغف بالراحة ولا كان يعرف الاستراحة فبعد ما عانى من المشاق ما عانى وعمل لصلاح البلاد ما عمل لما رأى ان غراسه أينعت وأثمرت ، والملة لحكم الدستوري اشتاقت ، اعطاها هذه النعمة مرتاح البال وصار يغتبط بلبان الافضال يقوم باقامتهم ويقعد باقعادهم كأنه ترك حمل القوم على غاربهم ليظهروا استعدادهم ومعارفهم عادت الامة عليه ورمته بالسعي في اعادة الحكم المطلق من غير بينة ولا برهان حتى اذا لم تجد مسوغا لتجريمه استعانت بفتوى الشرع من شيخ الاسلام وصوبت اليه سهام الملام ، وأزالته من عرش آبائه الكرام ، وهو في هذا الحال أيضا راض من الامة غير منكسر البال بما فعلت به لانه يعرف ان القوم مخطئون وهم لا محالة يوما على صنعهم سيندمون .

فارحم الله بلطفك هذه الامة الخاطئة التي كفرت بنعمتك الجزيلة ولم تعرف قدر ذلك السلطان الجليل الذي كان خير سلطان لها في مثل هذه الحالة الحرجة والموقع الصعب وأمدها اللهم بجاه نبيك ان تكافي سيئتها بحسنة إعادة السلطان عبد الحميد على سرير الملك وان لم تفعل ذلك فتحفظ حياته وتحترمه احتراما يليق به وتنتفع من آرائه وتجاربه وحنكته من حيث هو مشير مخلص خبير في نظم المملكة وترقية السلطنة ان لم تنتفع به من حيث سلطان قابض على زمام الملك وكن يا مولانا له

وخلقه وأمته خير نصير انك على كل شيء قدير و بالاجابة جدير

حضرة الرصيف الفاضل :

بعد السلام والاحترام نرسل اليكم اليوم مقالتنا الافتتاحية التي سطرناها في جريدتنا في أمر عزل السلطان عبد الحميد ، ومعها مقالة أخرى المنشورة في جريدة أوبزروو – وغرضنا ان تنشروهما في جريدتكم الغراء لتعلم الامة العثمانية بأفكار المسلمين الهنديين في ذلك الباب وان كان ما كتبناه عن عدم العلم بالاحوال الموجودة أو خلافا للوقائع فلكم ان تفندوا أقوالنا لنكون على بصيرة في المستقبل فيما نكتب بأمور الدولة العلية ولكم الفضل هذا واقبلوا فائق احتراماتي افندم سودتم

٦ مايو سنة ١٩٠٩ كاتبه المخلص محمد إنشاء الله

محرر ومدير جريدة « وطن »

(لاهور – بنجاب) الهند

(المنار) وهذه ترجمة جريدة ابزروور وهي مفتتحة ببيتين لشكسبير شاعر الانكليز في مصرع يوليوس قيصر الروماني . قال

خلع السلطان عبد الحميد

لقد خلع السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني سلطان تركيا وخليفة الاسلام وأمير المؤمنين ونودي بمن يخلفه . ان هذا الحادث المحفوف بأعظم الاخطار الممكنة سيؤثر تأثيرا مزعجا في العواطف الاسلامية في العالم بأسره ومن شأنه أن يؤدي الى قلق عظيم في جميع الممالك الاسلامية من البحر في أقصى الغرب الى الصين في أقصى الشرق

ان الزمن القصير الذي مضى على هذا الحادث لا يبيح لنا الحكم بمقدار تأثير خلع عبد الحميد في السياسة العثمانية ومستقبل الاسلام فقد يكون فيه خيرا لتركيا وقد يكون بداية القضاء عليها ولكننا نعلم علم اليقين ان خلعه قد ذهب من مرسح العالم السياسي بشخص مفرد كان له نفوذ عظيم في تكييف التاريخ الأوربي مدة ثلاثين

سنة وقبض في راحتيه على مفاتيح الاسرار الدوليـة في الغرب وكان احسانه نقل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسـة المسيحيين وحسدهم وبأسهم وكان حسن تبصره في مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على انقاذ تركيا من الوقوع في أيدي جاراتها القوية الطامعة . اذ لا يخفى ان الدولة العثمانية انما فقدت بلغاريا والبوسنه والهرسك على عهد الحكومة الدستورية(؟) وسيفتح التاريخ فصلا كبيراً خطيرا لوصف حكم عبد الحميـد العظيم الثاني ويعترف بأن الفضل في سـلامة المملكة من الفوضى وتحول الأتحاد الأوربي عليها عائد الى حنكته وحكمته فانه لم يسبق لملك آخر سواه من المتقـدمين أو المتأخرين ان لاقى ما لاقاه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للفتن المرتبة والبلاغات الأخيرة الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلي عنه غبار تلك الحوادث ظافرا فائزا بفضل حكمته وحنكته وهو الآن قد ترك العرش في ظروف محزنة مفجعة بعد أن قضى حياته في التعب والعناء تارة في صفاء وطورا في شقاء وهو في الحالتين قد امتاز بحسن تقـديره للواجب الشريف والدأب على العمل لسعادة مملكته

ان التاريخ لم يرو لنا أنكى من هذه الحادثة وأكثر مفاجأة من هذه الفاجعة التي رأينا فيها سلطان الامة الجليـل والخليفة الشيخ الذي طالما تولى الأمور بيد قادرة وكانت ارادته نافذة في أمته وكان عاملا نشيطا لرقي وتقدم شعب متأخر — تلك الحالة التي رأيناه فيها يهبط من علياء مجده ومكانته على أثر ثورة قام بها « أبناؤه » وهو يتوسل اليهم أن يبقوا على حياته وحياة أولاده

ويندر أن يأتينا التاريخ برجل حامت حوله الآراء المختلفة كما حامت حول سلطان تركيا المخلوع فقـد نادوا به منقذا لبلاده كما قالوا انه أفسد قومه . وأطروه فقالوا انه موجد الدستور العثماني ومانحه وأهانوه فقالوا انه أشد خصوم الدستور . وفرحوا به فقالوا انه الذي رفع الامة المتأخرة وأحياها من العـدم ثم أساؤا اليه فقالوا انه منبع الأنحطاط ومصـدر تعاسة الامة العثمانية . جعلوه عنوان المفاخرة برجل تمكن بدهائه وحكمته من رد مساعي أعـداء وطنه . وزعموا أنه ظالم مستبد

ضعيف العقل لا هم له إلا ترويج مصلحته الخاصة . على أن خصومه وأعوانه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وفوزه في افساد مساعي الاعداء الذين أحاطوا به من كل جانب وحبه الذي لا ينكر للاسلام وجميع ماله علاقة به وانما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات في شخصيته وأعماله يثني عليه أو يقضي بعدل على الذين دسوا الدسائس لخلعه

على ان الدور الأخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فانه منع سفك الدماء ووعد ان لا يهجر يلدبز ورضي بالخلع المقدر له من أمته ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له ان يقضي بقية حياته مع أولاده في القصر الذي ولد فيه على انهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجينا في بلاده محروما من جميع مظاهر الابهة معرضا لمعاملة مكدرة لرجل حساس نظيره وهو مع كل ذلك قد تصرف بأنفته المعهودة وصبره المعروف الذي يليق أن يفاخر به الهيكل العثماني والملك الكبير والرجل الذي صح اسلامه

لقد قال بورك « يالها من ثورة » ونحن نقول أي قلب لا يتأثر اذ يتأمل في ارتفاع عبد الحميد الى مستوى تزيغ فيه الابصار ثم سقوطه الفجائي . من كان يظن وهو ذاهب يوم الجمعة الفائت الى حفلة السلاملك محاطا بالهتاف والدعاء ان مثل هذه النكبة تحل به بعد يومين من أمة حوت كثيرا من الشجعان والاشراف والابطال

لقد كنا نظن ان عشرة آلاف حسام بل عشرة ملايين حسام تجرد من اغمادها لتنتقم له من نظرة احتقار أو أقل اهانة

ولكن قضت الأقدار غير ذلك ونقل عبد الحميد ليقضي بقية أيام حياته في قصر الاتيني الذي كان مسكنا لاحد قواده اه

﴿جواب المنار﴾

كنا نعلم ان الجرائد الهندية تطري السلطان عبد الحميد وتنوه به ولكن لم يكن يخطر لنا ببال انها تجهل احوال الدولة العثمانية في عهده جهلا مطلقا بحيث لا تدري حقيقة شيء منها ألبتة كما ظهر لنا من هاتين المقالتين

كنا نظن ان اصحاب هذه الجرائد يعلمون بعض الحقائق عن الدولة وسلطانها من الجرائد الاوربية التي لم يتمكن عبد الحميد من استئجارها للمدح، وأنهم يكتمون هذه السيئات ويذيعون بعض أماديح الجرائد العثمانية التي كانت مكرهة على المدح بالباطل وبعض الجرائد الأوربية والمصرية المستأجرة أو المخطئة في اجتهادها أو المتزلفة الطامعة بنوال ذلك السلطان الذي يعطي العطاء الجم لمن يواتيه ويسعى الى هلاك من يناويه

وكنا نلتمس العذر لمن نحسن الظن فيهم ونعتقد حسن نيتهم كصديقنا صاحب جريدة «وطن» بأنهم لا يحبون ان يبينوا الحقيقة كما هي لئلا يضعف تعلق مسلمي الهند بالدولة العلية التي يودون كأهلها وجميع المسلمين الذين سلط عليهم الاجانب لو تكون أقوى الدول وأعزها وان تبقى صلتهم بها قوية شديدة كما هي سياسة جرائد مسلمي مصر سواء منهم من كان يستفيد من عبد الحميد ويطمع في المزيد ومن ليس كذلك

كنا نعتقد مع التماس هذا العذر ان مدح الجرائد الاسلامية في مصر والهند لعبد الحميد والدفاع عنه ضارّ بالدولة سواء منه ما كان بحسن نية وما كان عن طمع في ماله أو رتبه وأوسمته لأن ذلك يجعل قلوب الملايين من المسلمين متعلقة بشخصه وهذا شيء يضر (لو كان سلطانا مصلحا فما بالك وهو سلطان مفسد مخرّب) لأنه يجب أن يكون التعلق بالدولة لا بالشخص ولأن في كل قوة لعبد الحميد إضعافا للأمة العثمانية وللدولة العلية اذ اتخذ الأمة عدوة له وجعل الدولة صوراً متحركة في يده اذا حاول أحد الوزراء او المشيرين أو الولاة أو القضاة فمن دونهم ان يعمل عملا ما مستقلا فيها بحسب الشرع والقانون بتره من جسم الحكومة بترا، وكان عاقبة أمره خسرا، فأي سلب للاستقلال واضعاف للحكومة يكون شراً من هذا

ومن الشواهد على ذلك ما حدثني به احمد مختار باشا الغازي غير مرة من أنه حاول جهده ان يقنع عبد الحميد بجعل القضاء مستقلا دون السياسة والإدارة ليأمن الناس على حقوقهم وانفسهم واستعان على ذلك ببعض كبراء الدولة فكان السلطان يغضب لهذا الاقتراح ويرفضه أشد الرفض، وهل تقوم للدول قائمة أو ترقى الامم بغير قضاء مستقل ؟

وكنا نعتقد ان ذلك المدح الذي غر المسلمين بالسلطان ضار بأولئك المسلمين انفسهم ايضا لانصرافهم به عن استعدادهم واتكالهم على من لا ينفعهم وقد كتبت في مقالة نشرت في جزء المنار الذي صدر في ١٧ المحرم سنة ١٣١٧ ما نصه :

« ان أمام المصريين وسائر المسلمين سداً منيعا من الوهم يحول بينهم وبين السير في طريق الترقي فاذا استطاعوا ان يظهروه او ينقبوه — ولا أقول ان يدكوه — يتسنى لهم الايجاف والايضاع في ذلك المنهاج الواضح ، والمهيع الواسع ، وان ذلك السد هو الاعتماد على دولهم وحكوماتهم التي امست أغلالا في اعناقهم وسلاسل في أيديهم وقيوداً في أرجلهم وغشاوة على ابصارهم ووقرا في أسماعهم ورينا على قلوبهم ، وكل ما نزل بالمسلمين من بلاء فانما نزل من سماء عظمتهم واستبدادهم ، وان تعجب فعجب قول من ليس للدولة العثمانية في بلادهم أمر ولا نهي ولا نفوذ ولا سلطان (١) « ان حياتنا بين يدي المابين وان السعادة ستهبط علينا من أفق الباب العالي » وهم يعلمون ان البلاد التي تحت جناح المابين ونفوذ الباب العالي تنقص من اطرافها ويمزق أهلها كل ممزق ولا ينال تلك البلاد وأهلها من المابين والباب العالي الا الاعتراض على من مزق الاشلاء وشرب الدماء

« ماذا جني ويجني أهل جاوه والهند ومصر من الظهور القولي في حب الدولة العثمانية ؟ لعمرك انهم لا يجنون الا الحنظل والزقوم فان هولاندا وانكلترا كلما آنستا منهم اليها ميلاً ، أوسمعتا منهم فيها قولاً ، تزيدان عليهم الضغط والاضطهاد ، والقهر والاستبداد ، أولا يرون ان الدولة لا ترجع اليهم قولاً ، ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً ؟

« ولا أقول هؤلاء المسلمين أبغضوا الدولة ولكني أقول اذا احببتموها فاكتموا حبها ولا ترجوا منها ما لا ينال واعتمدوا في رقيكم على المعونة الالهية ثم على جدكم وكدكم وعلمكم وعملكم فان رأيتم من الدولة نهضة عملية فانهضوا معها ان كنتم صادقين ، كل عاشق يحذر العذال والرقباء فكيف لا تحذرون ، ألم تعلموا ان الدولة لا ينالها من كثرة لغطكم بذكرها إلا مثلما ينالكم من الضغط الأوربي والاضطهاد

(١) كلمة قالتها في تلك الأيام جريدة يومية من جرائد المسلمين بمصر

« ثم ان السلطان يفرح ويسر من خضوعكم له ومدحكم بمدائحه ولكن تشترون فرح شخص وسروره بمصالحكم ومصالح الدولة ؟ ؟ أقول هذا وأنا أعتقد انه لباب النصح الذي يوجبه علينا ديننا وإخلاصنا لأمتنا ودولتنا ومن بين لنا بالبرهان اننا مخطئون فاننا نرجع الى رأيه ، وإذا كان القول صواباً فعلى إخواننا المسلمين أن يتدبروه وعلى جرائدهم ان ترجع صداه » والمنتظر من الجرائد الهندية التي تتفضل دائماً بترجمة مقالات المنار أن تنقله الى لغتها ليحيط به قراؤها علماً » اه ما كتبناه منذ عشر سنين ولم تكن سيئات عبد الحميد قد ظهرت لنا جلية بل كنا نحسن الظن فيه ونذافع عنه

ظهر في هذه الأيام من صدق رأينا أن التغني بمدح عبد الحميد كان مضراً بالدولة فاننا نرى أصحاب بعض جرائد المسلمين ومن تلقح برأيها منهم يسيئون الظن اليوم بالأمة العثمانية وبحكومة الدولة كلها ويزعمون ان العثمانيين أحرارهم وجماهيرهم وعسكرهم ونوابهم كلهم مخطئون كافرون للنعمة جانون على الدولة وان عبد الحميد وحده هو المصيب وان استواءه على عرش السلطنة هو الذي يحفظ الدولة والاسلام وان سقوطه عنه خطر على الدولة والاسلام ! ! فيالله وللعقول كيف كان هذا السلطان مصلحا مرقيا للأمة والدولة وهي بعد ثلث قرن من إصلاحه لا تصلح ان تسوس البلاد وتحفظ كيان الدولة ولا تعرف قيمة من يقدر على ذلك ؟ وكيف تبقى دولة يتوقف بقاؤها على وجود شيخ هرم بلغ من الكبر عتياً ، لم يزدد فيه الا كبراً وعتواً

كان من سوء تأثير إطراء الجرائد المصرية لعبد الحميد قريب مما كان في الهند ولما أعلن الدستور اجتمع جمهور عظيم من المصريين للاحتفال بهذا الطور الجديد للدولة العلية ومما كان في الاحتفال من العجائب أنه كان يصيح جمهور عظيم ليحي السلطان عبد الحميد ولتسقط تركيا الفتاة ! ! وما تركيا الفتاة إلا الأمة العثمانية الناهضة بالاصلاح والقائمة بأمر حكم الشورى الذي يعبر عنه بحكم الامة نفسها بنفسها . ما أضعف البشر الذين يوجد فيهم من يتخيل عبد الحميد في هذا العصر كما كان يتخيل قدماء المصريين فرعون الذين قال لهم « انا ربكم الاعلى » ثم قال لهم « ما علمت لكم من إله غيري » فأطاعوه وعبدوه كما عبد كثيرون غيره من الملوك

بعد هذا التمهيد العام أبين للرصيفين الفاضلين غلطهما فيما كتبا بالتفصيل الا

ما كان من المدائح الشعرية لعبد الحميد وادعاء ان العالم الاسلامي بأسره يبكيه ويحزن لخلعه وحسبنا ان عالمنا الاسلامي العثماني بذلك سروراً لم يسر بمثله في حياته . وأبدأ بدعاوى صديقي صاحب جريدة وطن ثم اذكر ما انفرد به الآخر فأقول

يقول صديقنا الغيور ان عبد الحميد أثبت للعالم حبه للدستور واخلاصه له واستدل على ذلك بأمور (١) إعلانه الدستور عند طلبه من غير سفك دم (٢) تصريحه بذلك عدة مرات (٣) عدم تعرضه لمجلس الأمة بسوء (٤) وضع حرسه تحت أمر نظارة الحربية واخراج حرسه وعساكر الاستانة منها ووضعها تحت حماية عسكر الدستور الذي جيء به من سلانيك وغيرها (٥) أمره أخيراً لحرسه بالتسليم لعسكر الدستور الذي دخل الاستانة عند ما أراد الاستيلاء على « يلدز » قال وكان قادراً على ان لا يسمح بإبعاد حرسه وعلى جمع جيش عظيم لحفظ مركزه وعلى حض العسكر الذي طغى وبغى على الحمية على الحرب (٦) تركه طلب حماية أقوى دول أوربا وإنما ترك ذلك حباً في الدستور واخلاصاً للمملكة والوطن !!!

ونقول انه لا يصح من هذه الادلة شيء (١) فاعلانه الدستور لم يكن عن رضى واختيار بل فاجأه هذا الطلب المقرون بإنذاره الزحف على الاستانة بالجيوش والكتائب اذا لم يجب اليه فجمع مستشاريه وأعوانه الذين أفقروا الدولة لإغنائهم وأذلوها لإعزازهم ومن يرجع اليه عند المشكلات من غيرهم وهو سعيد باشا وطفقوا يأتمرون الليل بطوله فأجمعوا أمرهم في الصباح على ان المقاومة بالقوة غير مستطاعة فان عساكر حصون الاستانة متفقة مع عسكر سلانيك فهي تساعد ولا تقاوم بل قيل له ان دسائسهم متصلة بحرسه فصدق ذلك وناهيك باحتياطه وحذره وجبنه واستفتى شيخ الاسلام في عصيان عسكر سلانيك ليحاربهم باسم الدين ويوقع الفشل فيهم فقال له شيخ الاسلام لا يمكن الافتاء بعصيانهم وخروجهم على الخليفة لأنهم يطلبون منه أمراً مشروعاً وهو جعل الحكم بالشورى كما أمر الله عز وجل . فلما لم يجد في قوس المقاومة منزعاً أمر بالإجابة على كره وعزم على استعمال سلاح المكر والحيلة والكيد الذي فتك به بالدستور ورجاله أول مرة كما ظهر في الفتنة الاخيرة واضحاً جلياً كالشمس ليس دونها سحاب ولعل هذا قد علم الآن عند اخواننا الوصفاء في الهند فانهم قد كتبوا ما كتبوا عند ما علموا بنبإ الانقلاب قبل العلم بالاسباب

٢ — وأما أقواله وتصريحاته بحب الدستور فهي دعوى لا دليل عليها . ومثله إظهاره الرضا عن جمعية الاتحاد والترقي وكونه منها أو رئيسا وقد كان يستعمل هذه المصانعة والمراوغة والدهان في أيام جبروته وعنفوان استبداده وإننا نعرف عنه من ذلك ما لا نود ذكره الآن

٣ — وأما عدم تعرضه لمجلس الأمة فلم نفهم ماذا يعني به الكاتب، أيعني إنه لم يرسل حرسه لقتل نواب الأمة أم ماذا يعني ؟ هل كان يمكن التعرض لهؤلاء النواب مباشرة وأقوى جند الدولة يحرسهم والاسطول معه ظهير ؟ كلا ان هذا لم يكن ليأتيه من له مسكة من عقل أو إدراك لانه على فحش قبحه في أعين الامم والدول غير مفيد للاستبداد ما لم تسقط القوة الذي أوجدته فلذلك وجه عبد الحميد كيده وفكره لإسقاط جمعية الاتحاد والترقي بتنفير الأمة منها باسم الدين والى التفريق والشقاق بين الجيش ليضرب بما يستميله اليه منه ما يبقى في جانبها وجانب الدستور وإن هلكت بهذه المكيدة الامة وسقطت الدولة

٤ — وأما مسألة تغيير حرسه واستبدال بعض عسكر الدستور بعسكر الاستانة فقد راوغ فيه مرارا ثم انفذ بالقوة ولم يكن من سبيل الى المقاومة فيه بعد ان شرعت الحربية في اعدام الذين يخالفون الاوامر العسكرية بحسب القانون مع علم الحرس وعبد الحميد ان الاسطول تابع للحكومة ولعسكر الدستور لا للمابين وانه يمكنه أن يدمر يلدز عليه وعلى حرسه تدميرا

٥ — وأما أمره لحرس يلدز بالتسليم عند ما وصل اليهم جيش الدستور بعد استيلائه على حصون الاستانة ومواقعها العسكرية بالقوة القاهرة فسببه يقينه بأن المقاومة في هذا الوقت تفضي الى تدمير يلدز بالمدافع بعد ما كان من حصرها وقطع الماء والزاد والنور عنها، وفي ذلك ذهاب حياته العزيزة الذي جعل الدولة والامة حفاظا لها مدة ثلث قرن

٦ — واما دعواه انه كان يمكن ان ينال عبد الحميد حماية أقوى الدول الاجنبية ولكنه لم يفعل حبا في الدستور فنقول فيها ان هذا لم يكن في استطاعته لا سيما بعد ان يئس من الفوز والظفر بمكيدته الاخيرة

و ياليت شعري كيف يتصور زعماؤنا في الهند ان يحارب الألوف من عسكر الاستانة

إخوانهم الذين جاؤا من سلانيك لتأييد الدستور اذا لم يكن السلطان هو المحرك لهم؟ خرجوا عن طاعة قائدهم وصاحوا في مواقع كثيرة : ليسقط الدستور وليعش السلطان وحاولوا قتل جميع اعضاء لجنة الاتحاد والترقي ، فعلى اي دعامة كانوا يستندون ؟ وأية قوة كانوا يعززون ؟ أما أنه لو لم تظهر الدلائل الحسية القاطعة بمذلك على أن عبد الحميد كان هو المدبر لهذه الفتنة والمنفق عليها لكان العقل وحده حاكما بذلك

واذا كانت عبد الحميد قدر على إفساد الجيش الذي جاءت به الجمعية عليها ودفعه للتنكيل بهما و بالدستور فكيف كان يكون اندفاعه في مكيدته لو كان الحرس الذي رباه في حجر الرفاهة والدلال بقي عنده ؛ أفلا يدل هذا على ان الصواب هو ما فعلته الجمعية من إخراج ذلك الحرس الفاسد (الذي لم يطع نظارة الحربية إلا بالقوة) من قصر هذا السلطان الذي مرد على الاستبداد حتى امتزج بلحمه ودمه وعصبه ؛ أليس هذا الدليل أصحّ من دليل صديقنا على كون الرضا باخراج ذلك الحرس كان خطأ

هذا هو القسم الأول من الكلام وهو ما يتعلق بالدفاع عن سيرة عبد الحميد في عصر الدستور وأما القسم الآخر منه وهو في سيرته قبل الدستور فيشتمل على عدة دعاوي لم يقترن شيء منها بدليل

١ — قال « انه أصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتباراً مالياً في أسواق أورباموازيا لاعتبار أقوى الدول في العالم » ونقول ان هذه الدعوى أغرب ما كتبه الرصيف الصديق واني لا أذكر ان أحداً من الذين كانوا يطرون عبد الحميد بالإكراه أو بالأجرة قال ذلك أو ما يقرب منه بل كانوا يطرونه بأمور أخرى لا تظهر مخالفتها للحس كهذه فقد أفسد عبد الحميد مالية الدولة حتى لم يبق لأحد من أوربا ولا من غيرها ذرة من الثقة بها ولم يعد أحد يقرض الدولة قرضا ما الا بضمان يستولي به على مورد من مواردها بالفعل حتى صارت موارد الدولة الأساسية في يد إدارة الديون العمومية وغيرها وبهذا صار لبعض الأمور المالية شيء من النظام وحسبك انه لم يكن للدولة في هذه السنين ميزانية تجري عليها الحكومة بل كان عبد الحميد يقتال الملايين من الدخل ويسلط عمال الحكومة على الاستعاضة عن مرتباتهم التي لا يصل

اليهم منها إلا القليل بسلب الأمة ونهبها بشرط أن يجعل له كبارهم كالولاة والمتصرفين نصيبا مما ينهبون . وحسبك ان الحكومة قد عجزت الى الآن عن تقديم الميزانية إلى مجلس الأمـة وغرموسيو لوران المالي العظيم الذي جاءت به الحكومة من فرنسا لينظم ماليتها متعجبا من الخلل الذي وجده معترفا بان إصلاحه من أشق الأمور حتى انه يكاد يكون متعذراً . ثم انه عمر بخراب مالية الدولة ماليته الشخصية فكنز الملايين في صناديق بلـندز وفي مصارف أوربا وأمريكا وانفق الملايين على الشهوات والجواسيس وهو يعـلم ان عسكر الدولة كان يموت جوعاً وعرياً حتى انهم كانوا يقتاتون في نجد ببذر الحنظل فقطع أمعاءهم والعياذ بالله

٢ ـــ قال انه درّب الجيش على قواعد الحرب الحديثة . ونقول ان الدولة العثمانية هي دولة حربية بالطبع وكان السلطان محمود رحمه الله تعالى هو الذي بدأ بجعل نظام عسكريتها على الطراز الأوربي وقد سارت الجندية فيها على ناموس الارتقاء ولكن اعترضها من سوء سياسة عبد الحميد ما جعل سيرها بطيئا وعرضة لضروب من الخلل والفساد منه ماحل بدور الصناعة البحرية والعسكرية (الترسانة والطوبخانة والباروتخانه) حتى رجعت القهقرى ولو سارت على سنة الترقي لاستغنينا بها عن شراء السلاح من أوربا بأثمان غالية كانت من وسائل سلب الملايين للأموال المخصصة العسكرية وكم ظهر في ذلك من الخيانات وهذا الضرب من الفساد يجعلنا عالة على أوربا في قوتنا الحربية (ومنها) مقاومته للتعليم العسكري في الاستانة حتى انه حاول غير مرة إبطال المدرسة الحربيـة التي زعبها بالجواسيس (ومنها) ترقية الضباط بالارادة السنية من غير استحقاق (ومنها) نفيه وإذلاله للضباط المتعلمين البارعين الخ مالا محل لتفصيله هنا . ولو كان المقربون منه مجاروه على كل وساوسه في العسكرية لجعلها أثراً بعد عين ولكن نحمد الله تعالى ان مكننا من القضاء عليه قبل ان يقضي هو عليها

٣ ـــ قال انه سعى في انتشار التعليم وبث العلوم الحديثة ونقول ايضا ان التعليم من ضروريات كل دولة وكل امة في هذا العصر وكان من مقتضى سنة الارتقاء ان نكون فيه مثل اليابان، إن لم نكن مثل الفرنسيس او الألمان ، ولكن عبد الحميد حارب العلم في أمته ودولته اشد المحاربة حتى جعل اكثر مدارسها ملاعب أطفال (راجع ص ١١٠

و ٩١ من منار هذه السنة) وأبطل امتحان طلاب العلوم الدينية فتركوا الطلب والاشتغال واعترفوا في جميع البلاد بعد إعلان الدستور وصدور الأمر بامتحانهم انهم عاجزون عن الامتحان فاعفاهم مجلس الأمة منه في هذا العام ليستعدوا له · وقد علم العامة كالخاصة في جميع بلاد الدولة أن العلم الديني والدنيوي هو أكبر الجرائم في نظر السلطان عبد الحميد فصاروا يتحامونه وحدثت في السنين الأخيرة من حكمه المشئوم بدعة تفتيش الحكومة لبيوت الناس وأخذ الكتب منها ومعاقبة اصحابها فصار الناس يحرقون كتبهم بأيديهم ومنهم من دفنها في الأرض حتى أحرق في سورية عشرات الألوف من الاسفار القديمة والحديثة في سنة واحدة· فانظروا أشد حرص عبدالحميد على العلم وعنايته بنشره وما أكثر المجتهدين والمخترعين المكتشفين في أيامه !!!

وقد ألقيت خطبة في رحبة القشلة العسكرية ببيروت في أواخر رمضان الماضي بينت فيها كيف كان ظلام الجهل ممدودا على البلاد العثمانية وكيف كان الهدم واقعا في ذلك الظلام ببناء الدولة : معارفها وقضائها وادارتها وماليتها وعسكريتها ، وبناء الأمة : ثروتها وآدابها وأخلاقها · ولعلنا نراجع المذاكرة فنكتب ما تمليه علينا منه

٤ — قال انه « قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجد ويجتهد وراء سعادة المملكة والملة » والصواب انه اشقى المملكة شقاء لا نظير له واخواننا مسلمو الهند الذين يقولون هذا القول لم يروا ولم يختبروا ونحن نسمع باذاننا ونرى بأعيننا بل الشقاء وقع على رءوسنا واحاط بنا من كل جانب بسوء سياسته

٥ — قال انه عمر الطرق وبني السكك الحديدية وحفر الترع والجداول والصواب أنه لم يفعل من ذلك شيئاً للأمة الاسكة حديد الحجاز التي حمله على الرضاء بها وسواسه الذي يخيفه من اقامة خلافة عربية بالحجاز · وما سمح به من امتيازات السكك الحديدية للاجانب فسببه انه كان من موارد ثروته لأنه كان لا يسمح بامتياز الا اذا اخذ لنفسه مبلغا عظيما من المال وكثيراً من سهام الشركة فقد كان يبيع مصالح المملكة بذلك بماله ولذلك كان يعطي هذه الشركات من الضمانة الكيلومترية مالا يعهد له نظير في مملكة أخرى · ونسأل صديقنا الكاتب ان يدلنا على مكان الترع والجداول التي احيابها الزراعة اين هي وماهي الثروة التي تجددت للفلاحين منها ؟؟

٦ ــ قال انه حفظ المملكة من الضياع . ونقول إنه اضاع بسوء سياسته ثلثها ولو بقي على عرش استبداده سنة أخرى لأضاع الولايات المكدونية الثلاثة فان جمعية الاتحاد والترقي ما عجلت بهذا الانقلاب قبل ان تتم عدته الا لعلمها علم اليقين أن الدول اتفقت على ذلك وانه لا عاصم منه الا الدستور . وكان كثير من السياسيين يقدرون ان الدولة لاتكاد تعيش مع ذلك الحكم اكثر من خمس سنين وأن سبب تأخر سقوطها هو تنازع الدول فيما بينهم . وقد سمعت كلمة من احمد مختار باشا الغازي اكبر مشيري الدولة وقواد جندها واعلمهم بحالها سمعتها منه مرات كثيرة في السنين الاخيرة من حكم عبد الحميد وهي اكبر شهادة نطق بها لسان وأيدتها وقائع الأحوال وقد صار نقلها عنه الآن جائزاً فلعل اخواننا مسلمي الهند يعتبرون بها قال « لو اجتمعت أوربا واتفقت على أن تضر بالدولة والاسلام كما أضر بهما عبد الحميد لعجزت »

هذا ما نبين به خطأ الجريدتين بالايجاز ونزيد كلمة في الرد على ما انفرد به صاحب جريدة الابزرور اذ قال إن الدولة فقدت البلقار والبوسنه والهرسك على عهد الحكومة الدستورية . ونقول ان هذا غلط عظيم فان هذه الولايات قد ضاعت منا بحربنا الاخيرة لروسية وإنما كانت تلك الحرب برأي عبد الحميد ودسائسه ليشغل الامة عن الدستور ويتمكن من إبطاله وقد بذل مدحت باشا (رحمه الله تعالى) جهده في سبيل تلافيها فعجز ولا يقال انها كانت برأي مجلس الأمة الأول لما هو معلوم

وقال إن أعداءه شهدوا له بالدهاء والسياسة ونقول اننا لا ننكر أن له دهاء ومراوغة في السياسة الخارجية كان يستعين عليها برشوة نساء السفراء أو اهدائهن الجواهر الثمينة ولكن نطالب من الكاتب أن يأتينا بشهادة لها قيمة من الاعداء او غير الاعداء بأن عبد الحميد رقى ثروة أمته ومالية دولته أو اجرى فيها العدل أو نشر العلم أو جرى على طريقة ميكادو اليابان

وقال لاينكر حبه للاسلام . ونقول اما دين الاسلام نفسه فلم ير من ملوكه من عبث مثله بكتب الحديث والعقائد والفقه من منع بعضها وتحريف البعض الآخر ولو كان في غير عصر المطبوعات وكان جميع المسلمين تحت سلطته لما بعد عليه ان يطمع في تحريف القرآن وتغيير آيات الشورى ونحوها فيه . واما أهله فقد كان الاضطهاد

عليهم في دينهم شديداً من حيث لا يضطهد غيرهم كما كان الظلم أشد وطأة عليهم من غيرهم . نعم انه كان ولوعا بإحياء لقب الخلافة والحرص على تعظيم المسلمين الذين تحت سلطة الاجانب له لأجل ان تحترمه دولهم فلا تنقص عليه التمتع باستبداده

وأما ماذكروا من كثرة عمله فهو على المبالغة فيه عمل ضارّ في الغالب لأنه نظر في رسائل الجواسيس الذين يشون ويحلون برجال الأمة وقد قيل ان هذه الرسائل محفوظة كلها في « يلدز » وربما عجز واحد عن قراءتها في مثل المدة التي جلسها عبد الحميد على كرسي السلطنة . وأما زعمهم انه كان لا يحفل باللذات فهو باطل فانه كان يشرب أجود الخمور ويجمع مئات من الغواني الحسان للتمتع والغناء والعزف والرقص والتمثيل وغير ذلك

وليعلم اخواننا مسلمو الهند اننا لم نقل ما قلنا الا عن علم وخبرة وتأييداً للمصلحة العامة بالحق والصدق اذ لسنا من الذين يتوسلون بالشر الى الخير وبالباطل الى الحق وانا لسنا من المتشيعين لجمعية الاتحاد والترقي التي كان لها الاثر العظيم في هذا الانقلاب الميمون فقد رأوا اننا جمعنا في الجزء الماضي من انتقاد المتقدين عليها مالم يجمعه كاتب

ونختم الرد بكلمة في الخطر على الدولة فان الكاتبين يخافون ان ينزل بالدولة الهلاك بعد عبد الحميد . ونحن نقول لاشك ان عبد الحميد كان يسير بالدولة الى الدمار والهلاك كما مرت الاشارة الى ذلك فان سقطت (لاقدر الله لها الا العلاء والارتقاء) فانما يكون هو الذي أسقطها وان نجت فانما تنجو بالدستور الذي هو آخر سهم في الكنانة

﴿ استغاثة أهل البيت الحرام ، جميع بلاد الاسلام ﴾

جاءتنا الرسالة الآتية من صديقنا الغيور الاستاذ السيد عبدالله بن صالح الزواوي رئيس اللجنة العليا بمكة لجمع الاعانات لتعمير عين زبيده ونشر المعارف في الحرمين

الحمد لله وحده

جناب ذي القدر العلي والمفخر السني كريم الشيم علي الهمم حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم محرر المنار الأغر زاده الله مجداً وعلوا وقربا من ملك الملوك ودنوا

بعد ابلاغ جزيل السلام وأداء مراسم التعظيم والاحترام نعرض انه لا يخفى على انظاركم السليمة ماهو معلوم لدى جميع أهل هذا الدين القويم أعني ما لهذه البلدة السعيدة من خطارة

القدر وسمو المرتبة بكونها موضع بيت الله الملك الرحيم ومسقط رأس النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم منها ظهر الدين وفشا حتى برز التمدن منه بأبدع الاشكال وانتشرت التعاليم وكثر العلماء حتى علوا الى أعلى ذروة الفضل والكمال كيف لا وهي تحت ملك الملوك وهو بيته السعيد الذي يخضع تجاهه الملك والمملوك وقد اغتصبت في الأزمان الغابرة حقوقها ولم يلتفت أحد من القائمين بادارة مصالحها من المتولين عليها الى ملاحظة دوام علوها ورقيها بنشر العلم والتعليم ومساعدة العالمين والمتعلمين فلذلك قل فيها العلم وأهله وقلت الصنائع وعارفوها والآن بحمد الله تعالى تغير الحال وأملنا ان تعود الى أحسن مآل حيث ان القائمين بادارة مصالحها الآن أهل همة علية ونجدة وأريحية عرفوا الحق لاهله فقاموا باسترداد ذلك المجد وحرضوا العلماء ووعدوهم بالمساعدة وأذنوا لهم بالكتابة الى إخوانهم المسلمين في استعمال كل وسيلة لترقية العلم والصنائع بانشاء المدارس والسعي في طلب المساعدة من أولي الغيرة والحمية في جميع انحاء العالم ممن اتصف بصفة الاسلام لان هذه البلدة واجب لها الحق على جميع المسلمين الخاص منهم والعام وهذه العلوم والمعارف هي غذاء الأرواح والسبب في جلب الطاعة والخيرات والانقياد والفوز بجميع المكارم والارباح كما ان الماء للسكان والحجاج وكل ذي روح هو قوام الاشباح وقد قل وجوده في هذه السنين بسبب الخراب الواقع في العين المنسوبة إلى السيدة زبيدة حتى صار الناس لا يشكون سوى قلته وضاعت مصالح أكثر الفقراء بسببه بحيث لا يعملون الا همه ونسيت بقية اتعاب المعيشة في جنب هذا التعب العظيم خصوصا والخراب في قنوات العين جسيم والحاصل ان جلب الماء وتصليح قنواته وارجاع مجد هذه البلدة وترقية سكانها بالعلوم ومعرفة الصنائع والمعارف كل ذلك يحتاج الى المال الخطير وأيدي أهل هذه البلاد خالية من القليل منه والكثير ولكنه بحمد الله تعالى بيد أهل الخير من المسلمين في بقية الاقطار كثير وقطعا لا يبخلون بشيء منه على هذه البلاد واصلاحها بتكثير المياه فيها وبناء مدارس لعلم العلوم والحرف والصنائع لساكنيها حتى يحوزوا عظيم الاجر حيث ان ذلك من أهم المهمات وأعظم القربات وزيادة الخيرات والمبرات وفضل ذلك عظيم وأجره

جسيم والدرهم الواحد الذي يصرف في هذه البلدة يقوم بمئة الف درهم في غيرها وأفضل من يجب اعانتهم جيران بيت الله العظيم القاطنون بواد غير ذي زرع عند بيت الله الكريم وحجاج بيته القادمون اليه من كل فج عميق لأداء الفرض المعظم فساعدوا ساعدوا على اجراء الخيرات وتقربوا الى الله زلفى بفعل المبرات لمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقد تشكل مجلس مخصوص لهذا المهم الجليل من أهل العلم والامانة والديانة والغيرة والحمية أهالي ومجاورين في رقعة بطي هذا الكتاب مع تعليمات مجلسهم ليعلم منه تيقن حصول الامن التام ان شاء الله تعالى في صرف مايتحصل لهم في موضعه لاتتطرق اليه يد غاصبة أصلا فسأل الله سبحانه لنا ولكم حسن التوفيق الى احراز الفضيلة والمنزلة عنده من أقرب طريق انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد سيد الانام وبدر التمام وبدمتم

(المنار) هذا هو المنشور الذي طبع وأرسل الى اصحاب الجرائد في الاقطار الاسلامية وقد زاد صديقنا رئيس اللجنة في النسخة التي أرسلها الينا بخطه الذي نعرفه ما يأتي :

« ثم المرجو من عالي همتكم وعنايتكم بالأمور العامة القيام ببذل الجهد لدى العموم بالتشويقات في هذا العمل الخيري وجمع الاعانة وارسالها الينا أو الى يد وكيل هذا المجلس في أقرب محل لكم حيث ان المجلس وكلاء في عدة من البلدان منها جده الوكيل بها حضرة الحاج زنيل عبد الله علي رضا وعدن الوكيل بها محمد افندي بن حسن علي وسنبين اسماء الوكلاء أيضا وننشرها في الجرائد حتى مصر والشام وقد كتبنا الى مصر عدة كتب وخصوص الخديوي المعظم وصار إرسال كتاب الخديوي من طرف الولاية الجليلة وتصدق عليه من مقامها وكذلك كتبنا عدة كتب الى الجهات خصوصا الهند وجاوا وبخارى وقازان وبلدان المرب وأرسلت المقالة الطويلة المعنونة بعنوان (أهل الحجاز يستصرخون) وساعدنا في التحارير جملة من المعربين وغيرهم المقيمين هنا وحيث ان مجالكم القراء لها الشيوع في جهات كثيرة فعسى أن تتفضلوا دواما بتحريض المسلمين على المساعدة في هذه الاعمال وتذكروا أمر الحجاز واحتياجه للماء والتعلم وتحسنوا لمن فيه الهمة والقدرة على المساعدة ماديا ومعنويا ببذل ذلك وتفيدونا بالارشاد الى ماينفع فاننا مقرون بالعجز

وعندنا القابلية للعلم وبذلك تنالون عظيم الاجر والثواب ودمتم

١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ رئيس القومسيون

(الختم)

(المنار) قد شاع وذاع على الالسنة وفي الجرائد ان الماء قد قل في حرم الله عز وجل حتى بلغ ثمن القربة الصغيرة من الماء عدة قروش وكاد الفقراء يموتون عطشا ومن المسائل المعروفة في الشريعة انه يجب عند الضرورة بذل الماء وكذا الطعام لكل إنسان محترم ولكل حيوان محترم (غير مهدور الدم) وجوبا شرعيا سواء كان الانسان مؤمنا او كافراً وسواء كان الحيوان طاهرا أم نجسا . فماذا نقول في جيران بيت الله وعمار حرمه وحجاجه المقيمين لشعائره وحقوقهم آكد وبرهم أفضل ومساعدتهم أكبر أجرا وإعانتهم احسن ذخرا

ان المنار يذكر اللجنة ودولة الشريف أمير مكة بالمال الكثير المتجمع من أوقاف الحرمين بمصر ولا أدري هل كتب الى الخديو بطلب المساعدة أم بطلب هذا المال . ثم ندعو كل من علم بما ذكر لبذل ما تجود به نفسه مما انعم الله عليه لإغاثة حرم الله ومن يعمره ويحجه وان ادارة المنار تقبل ما يرسل اليها من المساعدات وتعطي به وصلا مطبوعا وتنشر اسم المرسل الا ان ينهاها عن التصريح به فتكني عنه وتكفل ارسال ذلك الى اللجنة في مكة المكرمة زادها الله تكريما ورخاء — وهي لجنة مؤلفة من خيار وعلماء مسلمي الاقطار المجاورين لبيت الله فهي موثوق بها وبهذا نكتفي عن ذكر اسمائهم . وقد علمتم أيها المسلمون ان سلفكم قد وقفوا على الحرمين عقارا كثيرا فلا تكونوا أقل منهم غيرة وعملا للخير (٦٤ : ١٦ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ١٧ إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم

الاخبار والآراء

(خلع السلطان عبد الحميد وتولية مولانا السلطان محمد الخامس)

قد انتهى جميع العثمانيين بخلع عبد الحميد وتولية هذا السلطان الدستوري

المهذب الاخلاق ما عدا اعوان الأول على نهب البلاد . ولما بشرنا البرق بذلك اجتمع جمهور من العثمانيين في بعض السمار ودعوا صاحب هذه المجلة للخطابة فخطب فيهم مصدرا خطبته بقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك » الآية . وبين ان مشيئة الله في نزع الملك وإيتائه منفذة لسننه الاجتماعية في ذلك ومنها ان إرادة الأمة إذا اجتمعت لا يعارضها شيء لأن يد الله على الجماعة كما ورد في الحديث . وبينا ان جمهور الأمة كان يظن أو يعتقد ان عبد الحميد أعطى الدستور مختاراً وانه كان يدعي مخلص له محافظا عليه فلما ظهرت الفتنة الأخيرة وعلم انه المدبر لها لإسقاط الدستور اجتمع رأي السواد الأعظم من الامة على خلعه ولاراد لرأي السواد الأعظم إذا اجتمع

ثم احتفل العثمانيون في حديقة الأزبكية بذلك فخطبنا أيضاً في الموضوع فذكرنا الحاضرين بخطابنا هنالك يوم إعلان الدستور وكيف كان جمهور من المصريين يصيحون في وجهنا بالدعاء لعبد الحميد الخ (راجع ٤٦٦ م ١١) وكيف حصحص الحق وظهر صدق قولنا . واطلنا في بيان سلطة الأمة وسيئات الحكم الحميدي وانطباق الدستور على الشرع . فرأينا من استحسان الناس لهذا الخطاب واطرائنا به مالم نره نظيرا

هذا وان كل ما بلغنا من أقوال مولانا محمد الخامس وتصرفه وتواضعه واقتصاده يبشرنا بأنه سيكون خير سلطان ، جلس على سرير آل عثمان ، حقق الله ذلك

* * *

﴿ الدولة العلية الدستورية والدين ، ورأي غير العثمانيين من المسلمين ﴾

يرى القارئ في باب المناظرة من هذا الجزء رأي جريدة يهتدين من جرائد مسلمي الهند في الحكومة الدستورية وحكم عبد الحميد الاستبدادي مع الرد عليهما . وقد اجتمعنا في هذا الشهر بالأمير الافغاني (نواب بهادر صاحب خان عبد القيوم) من كبار رجال الحكومة الخارجية في (بشاور) على حدود الهند من جهة الافغان وقد سألنا عن حال الدولة الحاضرة فبينا له الحقائق فاخبرنا ان أهل الهند والافغان مجاورتها وان الشائع في تلك البلاد بين المسلمين أن حزب تركيا الفتاة يريد ابطال الحكومة الاسلامية من الدولة وان يجعلها حكومة افرنجية ليس لها صبغة دينية وانهم يحترمون الظن بعبد الحميد ويعدونه من جمعية الاتحاد والترقي وقال بعد أن بينا له

الحقائق انه يحسن او يجب ان يذهب وفد من الاستانة الى الهند يطوف فيها و يظهر الحقيقة لأهلها وقد سافر و الى الاستانة ليختبر الحال بنفسه . فلمتين الجمية وتفكر كثيرا

ولا شك ان جهل جرائد مسلمي الهند للحقائق وتشيع اصحابها لعبد الحميد هو الذي احدث هذا الضرر الفادح أوقواه اذا صح مايرتأيه بعضهم من كون الانكليز هم الذين يشيعون هذه الإشاعات ليوهموا المسلمين انه لم يبق في الارض حكومة إسلامية . إن أصحاب الجرائد المصرية الذين يشنعون على الحكومة الدستورية الجديدة يعدون المسلمين في هذا الغي و يخدمون الاجانب الحاكمين على الملايين من المسلمين خدمة عظيمة وهكذا يجد الاجانب من المسلمين الجاهلين أو المستأجرين من يخدم سياستهم و يخذل المسلمين

* * *

﴿ الاحكام العرفية في الاستانة ﴾

اعلن القائد محمود شوكت باشا الأحكام العرفية في الاستانة لتطهيرها من أعوان عبد الحميد على إعادة الاستبداد فأوجس الناس خيفة من ذلك . وعندي ان فائدة هذه الاحكام لاتقل عن فائدة خلع عبد الحميد وأمره ونهيه فان الطفور من أسفل درك الاستبداد الى أية درجة من درجات الدستور من المحالات الاجتماعية وان كان من الممكنات النظرية والقولية ولذلك عجزت الحكومة في العاصمة وفي الولايات عن ان تخطو خطوة واحدة في طريق الحكم الدستوري حتى صار الناس يلهجون في كل مكان بقولهم ان سير الحكومة لم يتغير وانا لم نستفد من الدستور شيئاً . وان لكاتب هذه السطور في ذلك كلمات صارت تؤثر عنه في الديار السورية منها « ان الحكومة الاستبدادية سقطت والحكومة الدستورية ما تكوّنت » ومنها « انا أحوج الآن إلى حكومة عرفية منا إلى حكومة دستورية » وقد قلت لناظم باشا إذ لقيته في بيروت أول مقدمي اليها في آخر شعبان من السنة الماضية : ان الحكومة والأمة في حاجة شديدة إلى رؤساء محنكين قادرين ينفذون فيها الدستور بشيء من الاستبداد الباطن ، المطبق على القانون في الظاهر ، يكونون كمن يربي الطفل لكن على الاستقلال ، لا على التقليد والاتكال ، (قلت) وأرجو ان تكون انت منهم لمالك من التجربة والاختبار

كان من سبب عجز الحكومة عن تنفيذ الدستور الخوف من سخط الأهالي عليها إذا عاملتهم بما لم يتعودوه وكان خوفها من الموظفين أشد فقد كان من سياسة عبد الحميد أن يحشر في كل دائرة من دوائر الحكومة أضعاف من يحتاج اليهم للعمل فيها ورأت الحكومة الدستورية أنها مستغنية عن كثير من هؤلاء ولكنها لم تتجرأ على إخراجهم لئلا يكثر سواد الناقمين منها والساخطين عليها حتى قيل ان موسيو لوران الفرنسي الذي جيء به لإصلاح خلل نظارة المالية قال ان أهم مبادي الاصلاح إخراج الجم الغفير من هؤلاء الموظفين الذي لا عمل لهم . فلم يجبه كامل باشا إلى ذلك ، وفي هذه الفرصة فرصة الاحكام العرفية يمكن تنفيذ ذلك وغيره وتكوين حكومة دستورية محترمة فتكون حلقة الاتصال بين الماضي والحاضر

* * *

(الشريف امير مكة المكرمة والاصلاح)

جاءنا من أنباء الحجاز ان أميره الشريف يبذل قصارى جهده في الاصلاح وعمران الولاية وحفظ الأمن العام فيها وقد وفق الى تأمين البلاد بدرجة لم يعهدها نظير في السنين المظلمة الماضية وقد وجه همته الى نشر العلم وتأليف أعراب البادية وتأمين سكة الحديد الحجازية . وآخر ما جاءنا من أخباره في ذلك انه اخذ العهد والميثاق على مشايخ حرب ان يقوموا بحراسة الخط الحديدي بدلا من تخريبه وهو قد كفل لهم ان تعوض الدولة عليهم ما فاتهم من الانتفاع بنقل الحجاج وتوفيهم أجورهم وكتب الى الاستانة بذلك فعسى أن تمضي الاستانة له عهده فان هذه الطريقة التي سلكها هي الطريقة المثلى لحفظ الخط وامتداد ظل الأمن ، وأما تولي مقاومة الأعراب بالقوة واستقلال الجند بحفظ الخط فهو من وسوسة الغرور ونزغات الشياطين التي تجعل حرم الله تعالى في خوف دائم وخلل ملازم ، فنسأل الله ان يوفق هذا الأمير الدستوري الى سائر ما تحتاج اليه البلاد المقدسة من الاصلاح ويوفق الدولة الى تأييده في ذلك

* * *

(الامير محمد أرسلان نجل الامير مصطفى الشهير)

ثلت الثلة الباغية على الدستور هذا الامير وكان مبعوث اللاذقية فاهتزت لرزئه سورية ولبنان ، ورثاه فيهما كل ذي قلم ولسان ، ونحن نشاركهم في ذلك ونعزي الوطن بتعزية والده عنه

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

(مصر الجمعة ٣٠ جمادى الاولى ١٣٢٧ — ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٢٨٥ه ١٩٠٩م)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ استعمال الورق النشاف في الاستنجاء ، والمقوى في الحذاء ﴾

(س ٢١ و ٢٢) من ص . م . في كرمس (السودان)

سيدي الفاضل

ترددت كثيرا في كتابه هذا لحضرتكم ولكني أقدمت لعلمي انكم تسرون لنشر التعاليم الدينية لهداية المسلمين ووقوفهم على خلاصة الدين الحنيف

جمعني مجلس مع لفيف من اخواني الضباط وقد لاحظ احدهم اني اضع في حذائي قرشة من الورق المقوى لان به اتساعا فانتقد علي بقوله ان استعمال الورق مثل هذا الاستعمال مخالف للدين الذي تدين به . وقد تناول كل منا البحث في هذا الموضوع حتى استدرجنا البحث والكلام في (١) هل الورق المخصوص الذي يوضع في البواخر مطهر و(٢) هل يجوز للمسلم استعماله — و(٣) ان كان جاز للضرورة هل تعاد الصلوات التي يكون صلاها المسلم المسافر في مثل هذه البواخر لأنه يمنع من حمل الماء لمحلات الخلاء و (٤) هل الورق (الذي يسمى ورق النشاف) مطهر لأنه يلتقط ويمتص السوائل

ووقف بنا البحث لهذا الحد ولم نجد جوابا شافيا وانتقلنا لمواضيع أخر كما هي عادتنا عند وجود عقبات لا نجتهد في ازالتها

انفض المجلس وانا مشغول في ايجاد نص صريح يحل لي هذه الألغاز ولما لم

اجد أمامي غير من أوقف نفسه لهداية العالم الاسلامي طرقت بابكم بعد التردد الكثير – عشي ان استفيد من حضرتكم لافيد اخواني ولكم الفضل علينا ومن الله الاجر

(ج) استعمال الورق الذي يوضع في مراحيض البواخر والورق النشاف في الاستنجاء جائز ولو مع وجود الماء وإمكان استعماله فلا يتوقف جوازه على الضرورة ولا تجب إعادة صلاة من استنجى به لأنه احسن تنقية من الحجارة التي ورد النص بالاستنجاء بها ومن كل ما في معناها مما ذكر في كتب الفقه وليس هذا محل خلاف يذكر فلا يكن في صدر أحد منكم حرج منه . ثم ان ما قاله لكم صاحبكم في تحريم وضع المقوى في الحذاء خطأ وفيه جرأة على الدين بتحريم ما لم يحرمه الله والاصل في الاشياء الاباحة فلا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق

* * *

﴿ لعب الشطرنج ﴾

(س ٣٣) من كورتي (السودان) لصاحب الامضاء بنصه

سيدي الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية المسلم لأخيه ، وبعد فراجيك التكرم بالرد على السؤال الآتي على صفحات جريدتكم الغراء :

هل لعبة الشطرنج المعروفة محرمة أو مكروهة في عموم المذاهب الأربعة أو بعضها يقول بالحرمة أو بالكراهة أو الاباحة مع العلم بأن الشيخ الدرديري ذكر في في الشرح الصغير على أقرب المسالك في باب جمل في الجزء الثاني قال في المتن (واللهو حرام) وذلك كاللعب بالنرد المسمى في مصر بالطاولة فيحرم كأنه بعوض أو بدونه لأنه يوقع العداوة ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة وكالشطرنج والشجة والطاب والمنقلة واستظهر بعض كراهة المنقلة والطاب ومحله بدون عوض وأشغال عن محرم والا فيحرم اتفاقاً اه

ثم قال الشيخ العدوي في حاشيته على الرسالة عند قول المتن في باب جمل تتعلق على الافعال المحرمة (ومنه القمار) قوله ومنه القمار الخ قال في المصباح قامرته

قاراً منه باب قاتل وقمرته قمراً من باب قتل انتهى أي إذ في لعب الشطرنج ونحوه مغالبة قوله ونحوه كالنرد والطاب ونحو ذلك فكل ذلك حرام والا بدونه شيء انتهى

فيؤخذ منه ذلك كله انه هذه اللعبة محرمة في مذهب الامام مالك فاذا قلتم بالحرمة أو بالكراهة فما هو السبب في ذلك واذا كان السبب كونها تورث العداوة كما ذكر اعلاه فالمسابقة بالخيل تورث العداوة أيضا مع أنها جائزة في مذهب الامام مالك أفيدونا على ذلك مأجورين ولكم الشكر

وفي الختام تفضل بقبول تحياتي واحتراماتي   يوز باشي مأمور كورني
عثمان عارف الرفاعي

(ج) صرح الامام مالك في بعض أجوبته بكراهة الشطرنج وأطلق فحمل أكثر أصحابه ذلك على كراهة التحريم، وقال الإمام الشافعي فيه : انه لهو يشبه الباطل أكرهه ولا يتبين لي تحريمه . فحمل أصحابه ذلك على كراهة التنزيه، واشتهر بين الناس ان الشافعي أباح الشطرنج والصواب ما قلنا، ولا نعرف نصاً عن الشارع في تحريم الشطرنج ولا غيره مما ذكر من اللعب الا النرد (الطاولة) ولنا في ذلك فتوى مفصلة في المجلد السادس (راجع ص ٣٧٣ — ٣٧٨ منه)

***

﴿ معاوية بن أبي سفيان ﴾

(س ٢٤) من سنغافوره

سأل سائل من سنغافوره عن معاوية هل ثبت موته على الايمان وهل يجوز لعنه . وقال ان بعض السادة الحضارمة ألف كتابا يثبت فيه جواز لعنه وكيت وكيت الخ فطعن الناس فيه . ونقول قد سألنا بعض هؤلاء الحضارمة عن مسألة اللعن من قبل فأجبنا بما نراه . واما مسألة موته فهي مما يفوض الى الله تعالى من جهة الباطن ونحن لنا الظاهر وهو انه مات مسلما ودفن بين المسلمين . وقد علمنا ان القوم مختلفون ومتعادون في ذلك فنوصيهم بترك الكلام فيه لأنه يخشى شره ولا ترجى منه فائدة بخلاف تحقيق بغيه على علي كرم الله وجهه فتلك من أهم مسائل تاريخنا

الانقلاب الميمون

﴿ وأثر السلطان عبد الحميد في الدولة ومقاومته للدستور ﴾

(استدراك على المنار)

صديقي الأستاذ الحكيم

نشرتم في العدد الماضي رسالة الفاضل مولوي إنشاء الله ورسالة جريدة ابزرور الهندية في الانقلاب العثماني وفيهما ما يدل على ان نبأ خلع السلطان عبد الحميد أثر تأثيرا سيئا في الاقطار النائية الاسلامية وانهم يرون انه قد افتيت عليه بالخلع لما له من المآثر الكثيرة في الدولة وقد عدد الكاتب تلك المآثر الموهومة وعقبتم عليها برأيكم في الخلع وتفنيدكم لأقوال الكاتب وبسطتم الكلام بسطا وافيا إلا انه يمكن ان يستدرك عليكم في الأدلة على بيان خطأ الكاتب في الدعاوي التي استخلصتموها من مقاله ورددتم عليها فرأيت ان أكون متمما لمقالكم مع زيادة في الايضاح اقناعا لإخواننا مسلمي الهند ومن حذا حذوهم في الاعتقاد الحسن بالسلطان عبد الحميد فأقول

ان النقط الست الأولى التي تتعلق بسيرة عبد الحميد بعد الدستور لا أريد أن أكتب على كل نقطة منها بمفردها زيادة عما كتبه المنار الأغر بل أقول فيها كلها كلمة إجمالية وأكتب على النقط الاخرى التي تتعلق بحياته بعد الدستور كل نقطة بمفردها

أما كلمتي الإجمالية فهي ان السلطان عبد الحميد لم يكن يوما قط مخلصا للدستور والدليل على ذلك انه أعطاه مكرها كما ذكر ذلك المنار الأغر ومن طالع كتاب خواطر نيازي يتضح له ذلك وانه لم يأل وحواشيه جهدا في غضون الحركة الأولى في استنباط الوسائل التي تفت في عضد الأحرار في سلانيك لما طالبوه بإعادة القانون الأساسي وهددوه بسوق الجيش الى الاستانة فأصر على رفض طلبهم ومقاتلتهم بقوة جنود الاناضول وفعلا استدعى عدة توابير من رديف أزمير وأمر بسفرهم إلى سلانيك وقبل ان تتحرك هذه الجنود من إزمير اطلعت على كتاب ورد لبعضهم من صديق له ثمة يقول له فيه : إني أسافر متطوعا مع جنود إزمير إلى

سلانيك لا لقتال الجيش المطالب بالحرية بل للانضمام اليه مع جنود ازمير والتوجه الى الاستانة لإكراه ذلك الجبار على رد حرية الأمة التي سلبها إياها والضباط هنا في منتهى التحمس للوصول الى هذه الغاية فليطمئن بال الاحرار في مصر فاستودعكم الله ولا أدري هل أراكم بعد اليوم أم لا :

ولما وطئت أقدام الجنود أرض سلانيك اعلن الضباط في الحال انضمامهم بجنودهم إلى جيش الحرية وانعكس هذا الخبر بالسلك البرقي إلى الاستانة فسقط في يد السلطان واعوانه وكانوا طلبوا جنودا أخرى من جهات الأناضول فأوقف سفرها ناظر الحربية واقنع السلطان بلزوم العدول عن هذا الرأي لما فيه من الخطر فلم يسعه بعد ذلك الا التسليم بمطالب جيش الحرية ليتسع له الوقت في التفكير والتدبير خصوصا في تفريق وحدة الجيش المتواطئ على نصرة الدستور

أخذ بعد ذلك في تدبير المكايد فبث جواسيسه واتباعه بين الجنود المعسكرة في الاستانة يغرونهم بالمال وألف بواسطة درويش وحدتي جمعية الاتحاد المحمدي وأعطاها هو واعوانه هذا الاسم الشريف ليكون آلة التمويه على البسطاء والتغرير بهم باسم الدين إذ ليس في الأمة فرد واحد ينقم على الحكومة الدستورية مادامت قائمة باسم العدالة والمساواة فلا يستطيع السلطان واعوانه تحريض الجنود على الاحرار الدستوريين لمطلق انهم اعوان الدستور لذلك جاؤهم من جهة الوتر الحساس فيهم فجسوه باسم الدين وحرضوهم على المطالبة بأحكام الشرع والشرع في عرف العامة هو السلطان والسلطان هو الشرع لأنه الآمر المطلق المطاع فالنتيجة بالضرورة هي محو الدستور ومحو كل من يقول به في تركيا وإعادة السلطة الاستبدادية إلى السلطان

ثبت ذلك بالبينات القاطعة والادلة المحسوسة وهي النقود الكثيرة التي وجدت مع الجنود الثائرة ثم التقارير السرية التي وجدت في يلدز من جواسيس السلطان وأعوانه وفيها بيان عن نجاح الخطة الموضوعة لاثارة خواطر الجنود كتقارير علي كمال بك وجاويد بك وغيرها التي نشرتها جرائد الاستانة بالحرف ونشرت مجلة (ثروت فنون) بعضها مصورة بالفوتوغراف اثباتا للحقيقة وقطعا للشبه ثم ثبت ذلك باقرار كثير من اعوان السلطان وحواشيه المقبوض عليهم كجوهر اغا وحقي بك ويوسف

سكه زان باشا الذي قبض عليه وهو يحمل نقودا تبلغ الاربعين الف جنيه فاقرأنه كان يريد ان يغري بها جنود الفيلق الثالث وغير هؤلاء كثيرون ممن اقروا بتدبير هذه المكيدة او ثبت عليهم الاشتراك فيها بالاوراق التي وجدت معهم واهم من ذلك اقرار درويش وحدتي صاحب جريدة (وولقان) ومؤسس جمعية الاتحاد المحمدي فانه اقر لمحرر جريدة (اعتدال) الازميرية لما قبض عليه هناك من عهد قريب اذ قال له ان السلطان هو الذي دبر هذه المكايد وان لديه اسراراً كثيرة سيذكرها في المجلس العسكري

وزد على هذا ما ظهر من اتساع نطاق هذه المؤامرة بواسطة أشياع السلطان واتباع صاحب جريدة (وولقان) بحيث كان المراد بها تحريض المسلمين في كل الولايات على قتل بعضهم بعضاً ليستوجب ذلك تداخل اوروبا واقتناعها بعدم استعداد الأمة العثمانية للحكم الدستوري . بدأت هذه الحركة المشؤمة في ولاية ادنه واطراف ولاية حلب ثم ظهرت في ارضروم بين الجنود وظهرت في ديار بكر فأطفئت في الحال ولم يقف دون شبوب هذه النار في كل الولايات العثمانية الا سرعة حركة جيش الحرية ودخوله الاستانة ثم مبادرته الى خلع السلطان عبد الحميد . ولو نجحت هذه المؤامرة الخبيثة لما بقي في تركيا حجر قائم على حجر ولدمرها السلطان كما دمرت مدينة ادنه التي اصبحت اطلالا بالية ولو اردنا ان نأتي على تفصيل هذه الحوادث لاحتجنا الى مجلد من المنار فهل يقال بعد هذا ان السلطان عبد الحميد كان مخلصا للدستور وانه اعطاه برضاه؟ وهل وجد في تاريخ العالم ملك تنزع من صدره الرحمة وينزل بالنفس الامارة بالسوء الى هذا الحد من حب الانتقام لنفسه ولو بتخريب المملكة التي تأسست على دماء مئات الألوف من المسلمين ثم يلصق مثل هذه الجناية بالاسلام وشرائعه الطاهرة اذ يثير مثل هذه الفتنة باسم الدين الاسلامي وتحت ستار الشريعة؟

انا نعتقد ان اخواننا المسلمين في الهند وغيرها ارفع عقولا وابعد من التصديق بكل ما كان يقال في جرائد المنافقين عن مزايا هذا السلطان التي تكاد تماثل مزايا آلهة اليونان الواردة في اساطير القوم وانه كان من انصار الدستور مع انه هو الذي قتل واضع الدستور مدحت باشا واخوانه وعطل القانون الاساسي مدة ثلاث وثلاثين

سنة قتل في غضونها ألوفا من شبان الامة المائلين الى الحرية فمنهم من ماتوا في السجون ومنهم من ماتوا في المنفى لكثرة ما عانوه من شظف العيش ومنهم من ماتوا إغراقا في البحار وآخر من كادوا يموتون تعذيبا في السجن من أولئك الاحرار صديقنا الحر الغيور حسين بك طوسون وطائفة من أهل ارضروم وفيهم عفتيها الذي مات في السجن شهيد الحرية والانسانية، وجرمهم ان حسين بك طوسون الذي قضى اكثر ايام حياته بعيدا عن وطنه مجاهدا في سبيل الحرية ذهب بصفة خفية الى أرضروم و بث في طائفة من افاضل أهلها فكرة المطالبة " بالقانون الاساسي والتخلص من الاستبداد فاجابوا نداء الضمير والحقيقة " وقاموا بالحركة " الدستورية " التي كانت في ارضروم منذ سنتين فقضي عليهم جميعا وجيء بهم الى الاستانة فزج بهم في سجونها ولولا قيام جيش الحرية في سلانيك واعلان الدستور لماتوا في التعذيب عن آخرهم كما مات من قبلهم

وكذلك كان مع الشاب المهذب المرحوم محمود فائز افندي (١) الذي كان يحرر في جريدتنا (الشورى العثمانية) وسافر الى إزمير قبل اعلان الدستور بستة شهور مضحيا حياته في سبيل الحرية فقبض عليه وعلى عدد غير قليل من أفاضل أهل ازمير وزج بهم في السجون ولاقوا من أنواع العذاب مالا يوصف و بعد هؤلاء الخمسة والعشرون الضباط الذين جيء بهم من سلانيك وسجنوا في الاستانة قبل اعلان القانون الاساسي ببضعة عشر يوما

كل هؤلاء كانوا عرضة الموت في السجون كما مات من قبلهم لولا ان تدا ركهم الله بقيام الجمعية في سلانيك وظهور قوتها المتحدة بقوة الجيش وارغامها السلطان عبد الحميد على اعلان القانون الاساسي وخروج هؤلاء المظلومين من غيابة السجن واسر التعذيب

---

(١) توفي هذا الشاب شهيد الواجب في الفتنة التي أثارها أعوان السلطان عبد الحميد منذ شهر في ادنه حيث كان يقيم موقتا فأراد ان يصلح بين المتقاتلين من الأرمن والمسلمين وينصح لهم بترك القتال فأطلق عليه أحدهم رصاصة ألقته صريعا يتخبط بدمائه رحمه الله

هذا ما أردت اضافته على ما كتبه المنار الأغر رداً على القسم الأول من كلام الكاتبين

(١) وأما القسم الثاني والدعاوى الست التي لخصها المنار الأغر وردعليها فالاولى منها المالية ويكفي ان نضرب له مثلاً أو مثلين على مبلغ خللها وضعفها في عهد السلطان الماضي اذ وجوه الضعف والخلل مما لا يمكن إحصاؤه في هذه العجالة فالمثل الأول ان الحكومة الدستورية وجدت فيما وجدت من الخلل في المالية عدة ملايين من الجنيهات ديناً على الدولة لجهات متعددة لم يجدوا لها قيوداً رسمية فسموها الديون السائرة واضطروا ان يعلنوا في الجرائد عنها وكلفوا كل من في يده مستند من اصحابها ان يراجع الحكومة في غضون مدة محدودة وعلى هذا فقس كل أحوال المالية. وما سبب هذا الخلل فيها الا استئثار السلطان بواردات الدولة مما لا تستطيع حصره نظارة المالية لتناوله لتلك الواردات مباشرة بغير واسطتها ولأجل هذه الغاية كان ألف منذ بضع سنين لجنة في يلدز من حواشيه سماها اللجنة المالية لمراقبة مالية الدولة في الظاهر وسلبها في الباطن فكان أول قاعدة وضعتها تلك اللجنة ان لا ينفق قرش واحد من خزائن الولايات الا بعد استئذانها حتى مرتبات المأمورين ونفقات الجنود التي هي طبيعية في كل ولاية داخلة في ميزانيتها الخصوصية وكان من ذلك ان صارت هذه اللجنة كلما اجتمع مبلغ من المال في ولاية تطلب ارساله اليها في الحال وهذه تضمه تحت أمر السلطان ينفق ماشاء منه على جواسيسه ومقربيه ومصالح الدولة ويستأثر لنفسه بما شاء حتى تعطلت أمور الولايات الادارية وفشت الرشوة في المأمورين لكي يعتاشوا بما يحصل لهم منها من النقود وحتى صارت الفيالق العسكرية الى حالة من الفقر والضعف وفقد الحاجيات العسكرية لا يمكن ان يصورها كاتب بقلم ولا يصدقها الا من شاهدها بعينه من العثمانيين واليك مثالا منها

لما حدثت مسئلة العقبة وتصدى الانكليز في مصر الى التداخل فيها ورأت الحكومة العثمانية وجوب ارسال الجنود الى العقبة واوعزت الى الفيلق الخامس الذي مركزه دمشق بارسال تابورين من المشاة وبطارية مدافع الى العقبة لم يوجد في الفيلق كله عشرون حصانا لاجل المدافع لان خيل السواري والطوبجية الخاصة بالفيلق الخامس انقرضت عن آخرها ولم يشتر غيرها فاحتيج للاتيان بها من الاستانة وترتب

على ذلك تأخير الحملة العسكرية وعزل والي سورية ناظم باشا يومئذ لأن قائد الفيلق ألقى عليه تبعة الابطاء لعدم تعجيله بدفع نقود تكفي لتجهيز خيول هذه الحملة ولوازمها الأخرى مع ان خزينة الولاية كانت خالية من النقود

هذا مثال من الامثلة المحسوسة التي يحتاج استقصاؤها الى كتاب ضخم يبين ماذا اصاب الدولة من الضنك المالي والاضطراب الاداري في عصر السلطان الماضي مع تنوع الضرائب والجبايات وتوالي طلب الاعانات المستحدثة ومنها اعانة التجهيزات العسكرية التي استمرت تجبى من الامة عشر سنين او ازيد وتحشر نقودها الى المابين ولما اعلن الدستور لم يجدوا لها حسابا مضبوطا ولم يعرفوا وجوه الانفاق التي ذهبت فيها تلك الملايين من النقود التي جبيت باسم الجندية والجندية كانت في احط دركات العوز والنقص في المعدات الحربية كما اثبت ذلك العيان الذي ليس بعده بيان

(٢) كونه دربه الجند على قواعد الحرب الحديثة - فانا أضيف على ما كتبه المنار رداً على هذا الزعم ان كل ما صرفه السلطان عبد الحميد من العناية بأمر الجندية كان طلاء ظاهره حسن و باطنه قبيح فقد كان يرسل الى ألمانيا بعض الضباط لاجل إتمام تعلم الفنون العسكرية وقلما ضم الى الألايات ضابطا من هؤلاء عند عودته ليستفيد الجنود من معارفه الجديدة بل اكثرهم كان يضم الى المابين والدوائر العسكرية الأخرى ليكونوا مغلولي الأيدي عن العمل . وكذلك أتى بضباط ألمانيين كوبه باشا وغولس باشا وغيرهما لاجل تنظيم الجيش وتدريبه ولكنه غل ايديهم كما غل أيدي الضباط العثمانيين المتعلمين في ألمانيا فمنعهم من كل عمل يترتب عليه حياة الجيش ونظامه الحربي كما منع عنهم كل مادة من مواد الترقي ومن ذلك انه حظر على الجيش اجراء المناورات الحربية منذ عشرين سنة والمناورات الحربية أس النظام العملي في جيوش الأمم بل زاد في النكاية فمنع حتى ما يسمونه (ألاي تعليمي) حتى لا يجتمع اربعة توابير في مكان واحد تحت السلاح ولو كانوا في اقصى المملكة وحتى اصبح التعليم العملي مفقوداً ألبتة في الفيالق وكما منع الجيش من التمرن على الفنون العملية منع عنه كل المستحدثات الحربية الحديثة كالتلفون والأتوميل الحربي والبالون

كل هذا توهما منه ان جيشه عدو له حتى كان الجيش أشبه بآلة معطلة(*) وحتى انسل منه الضباط الالمانيون راجعين الى بلادهم لما لم يروا ما يمكنهم من ترقية هذا الجيش المحروم من كل وسائل الترقي الادبية والمادية

وأكبر دليل على ذلك ما بلغه رجال الدولة من الخوف والاضطراب عقب إعلان الدستور وقيام النمسا والبلغار على الدولة: الأولى لأجل البوسنه والهرسك والثانية لاجل الاستقلال ، حتى اضطرهم ذلك الى التعجيل بحل هاتين المشكلتين تفاديا من الوقوع في الحرب التي كانت خطرا موكدا على الدولة لضعف الجيش حتى لقد رأيت كتابا من أحد المشيرين الكبار بعث به لصديق له في مصر لاول عهد الدستور يقول له فيه : نسأل الله ان يمنع عنا غائلة الحرب مع البلغاريين في هذين الشهرين ريثما نلم شعثنا والا فنحن في خطر كبير اذا وقعت الحرب الآن

وأخبرني ضابط كبير رتبة لواء وكان في الفليق الثاني (فليق ادرنه) مع ناظم باشا لما تعين قائدا للفليق المذكور عقب اعلان الدستور وفي أثناء المفاوضات مع البلغار فقال : ان القائد الموما اليه مع ما بذل من الجهد في تنظيم الجيش وتدريبه ولم شعثه وتجهيزه بالمعدات اللازمة كان يقول بعد مرور شهر عليه في قيادة هذا الفليق : الآن يمكننا ان نقف اسبوعا واحدا في وجه البلغاريين و بعد شهر آخر يمكننا ان نقف شهرا واحداً و بعد أربعة شهور يمكننا ان نزحف على عاصمة البلغار

فانظر الى ما كان عليه الجيش من الضعف يومئذ وكيف كان أكبر مشيري الدولة وقوادها يتشاءمون من وقوع الحرب مع البلغار حتى بات كل قواد الجيش وضباطه في هم ناصب ودأب على العمل ليل نهار في الستة الشهور الأولى لأجل استرداد ما سلبه السلطان عبد الحميد من قوة الجيش المعنوية والمادية في العشرين السنة الأخيرة لحكمه المشؤوم

(٣) اما التعليم فيكفي ان نقول فيه ان المتعلمين في تركيا أقل نسبة من

---

*) المنار : كان يعتقد ان الجيش اذا اجتمع مسلحا طلب الدستور ولذلك منع المناورات والاجتماع حتى اجتهد في منع حرب اليونان فلم يجد الى ذلك سبيلا

المسلمين في بلغاريا (ه) التي انفصلت عن الدولة في عهد السلطان عبد الحميد فسبقتها اشواطا كبيرة في مضمار المعارف والعلوم ولو اطلق السلطان عبد الحميد حرية التعليم في الثلاث والثلاثين سنة التي حكمها لما وجد الى اليوم أمي في تركيا مع ان الأميين فيها الآن ربما زاد عددهم عن خمسة وثمانين في المئة والمدارس الموجودة في تركيا قد صارت الى حالة من الخلل خصوصا في الخمسة عشرة سنة الاخيرة من ملك عبد الحميد لا يستطيع وصفها قلم وحسبك ان دار الفنون في الاستانة لما أريد تنظيمها بعد الدستور لم يجدوا في فرع الطبيعيات منها ولا آلة واحدة من آلات العلوم الطبيعية التي يطبق فيها العلم على العمل كما انه لا يوجد كتاب رسمي يدرس في مدارس الاستانة في أي فن من الفنون بل ان المعلمين يملون دروسهم املاء وناهيك بمعلم يدرس وهو يحاسب نفسه على الكلمات ويخشى من هفوات اللسان بالفاظ عليه حرمتها نظارة المعارف بأمر السلطان

اما مصادرة العلماء وتشتيت الفضلاء وقتل النابغين أو ابعادهم واحراق كتب العلم فهذا مما لا يحتاج الى دليل وقد عثروا على تقارير رسمية من دائرة التفتيش في نظارة المعارف مرسلة الى المابين في كيفية احراق الكتب المصادرة ينبئ بأن ألوفا من الكتب أحرقت مرة واحدة في موقد حمام شنبرلي طاش على ايام متوالية تفاديا من احراقها في نفس النظارة بعد أن ظن الناس ان حريقا وقع فيها لاول يوم بدئ فيه باحراق الكتب فيها وقد نشرت جرائد الاستانة في الاسبوع الماضي هذه التقارير لتبرهن على ما نال العلم وأهله في عصر السلطان عبد الحميد

وهذا قليل من كثير مما اصاب العلم وأهله من المصادرة والاضطهاد في عصره وفيه كفاية المقتنعين

(٤) اما انه اسعد المملكة بكده مدة حكمه فهذا امر تفنيده يطول خصوصا لمن ليس هو من هذه المملكة وبعيد عنها ويكفي ان يقال انه ليس في تركيا شركة وطنية من الشركات العامة الصناعية أو التجارية لان السلطان كان يمنع تأليف هذه الشركات الا اذا كانت اجنبية واعطيت اسم العثمانية . وكانت الرشوة متفشية في

ه) ان ٥٠ في المئة أو نصف الاهالي في البلغار متعلمون

دوائر الحكومة الى حد سلبت معه الامنية على الاموال والارواح واصبحت السيطرة لاهل البغي والفساد وارباب النفوذ . وكان المأمورون مضطرين لمماشاة هؤلاء ومحاباتهم لقلة رواتبهم وعدم اخذهم لها واحتياجهم الى المال من غير طرقه المشروعة فليس ثمة عدالة ولا قانون الا هوى الانفس وارادة الحكام فكيف تكون حالة مملكة هذا شأنها واية سعادة ترجى لامة تلك حكومتها ؟ نترك الجواب على هذا للكاتبين الفاضلين فانهما على ما نعتقد من المنصفين

(٥) اما كونه عمر الطرق وأنشأ السكك الحديدية والترع فهذا لا شيء منه في تركيا فان فيها ضريبة تسمى ضريبة العملة المكلفة وهي تلزم كل مقتدر على العمل ان يعمل في اصلاح الطرق بنفسه أو يدفع أجرة عامل للحكومة وهي ريال فأكثر في السنة . وقد قال لي مرة بعض الناقدين ان هذه الضريبة لو أنفقت في سبيلها منذ وضعها الى اليوم لامكن للدولة ان تمد بها خطوطا بدل الخطوط الحديدية من الفضة على انه لم يعمل بها طريق مرصوص بالحجر صالح لمرور الجنود والمركبات الى اليوم

أما السكك الحديدية فالحقيقة انها كثرت في زمانه الا انها كلها كما قال المنار الاغر في يد شركات اجنبية وفي مصلحتها دون مصلحة الرعية والدولة ولا يوجد في العالم شركة سكة حديد تتمتع بامتيازات تضر بالرعية والدولة كما يوجد في بلادنا ولنضرب لهم مثلا سكة حديد بغداد التي اخذتها شركة ألمانية فقد اعطيت هذه الشركة الحق بالبحث عن المعادن وتملكها على مسافة عشرين كيلو مترا من جانبي الخط أي من ساحل البحر الابيض في الاستانة الى مصب دجلة والفرات من البحر المحيط الهندي وفوق هذا قد تحملت الدولة الضمانة الكيلو مترية لهذه الشركة ثلاثة عشر الف فرنك عن كل كيلو متر وذلك في نظير مبالغ زهيدة أعطيت للمقربين ورجال الدور الماضي وبعض اسهم استأثر بها السلطان ونفر من اعوانه . فهل توجد أمة في العالم تباع مرافقها وتوهب اراضيها على هذه الصورة ويكون اشد العاملين على جر هذه المضار عليها سلطانها وحكومتها ؟

أن الامثلة على مثل هذا كثيرة وان صفحات المنار لتضيق عن جزء منها فأنا أكتفي من البيان بما تقدم كما أكتفي بما قاله المنار عن النقطة السادسة لان النفس

ضاقت من الاسترسال في هذا الموضوع والفؤاد انضطرب من امعان الفكر في تلك الظلمة التي كشفها الله عنا بفضل منه فلم يبق في استطاعة القلم تجاوز هذا الحد من البيان لما ساورني من الآلام النفسية التي كانت ملازمة لي ولكل الاحرار العثمانيين مدة ذلك الدور المشؤم وقد خففها الله عنا بانقضاء ذلك الدور الماضي وظهور شعلة من نور الرجاء في المستقبل كنا نأمل ان تنسينا ما فات لو لم يسئنا تلقي اخواننا المسلمين لهذا الانقلاب المجيد بغير ما تلقاه به العثمانيون لخلو أذهانهم عن امثال ما ذكرناه من سيرة عبد الحميد فيدعونا ذلك الى الرجوع لتلك الذكرى المنغصة بما اوردنا به رد الشبهة وجلاء الحقيقة لاخواننا المسلمين في البلاد النائية. على انا لا نقسو لهم هذا التأثر بأحوال المملكة العثمانية واخبار دولة الخلافة وان كان تأثرا بضد الواقع فانه محمول منهم على حسن النية وعدم الوقوف على دخائل الامور في الدولة العلية ولا ريب عندنا في ان اهتمامهم بهذا الانقلاب وخلع السلطان عبد الحميد يدل على اهتمامهم بشؤون اخوانهم المسلمين العثمانيين ورغبتهم الخالصة في سعادة الدولة العلية ومجدها وقوتها وانا لنرجو أن تتحقق هذه الرغبة لهم ولنا في دور مولانا السلطان محمد الخامس بعد أن ثبت عدم تحققها في عصر السلطان المخلوع اذ كل ما روئي من خليفتنا الجديد الى اليوم يدل على محبة خالصة للامة وميل عظيم للاصلاح وتمسك بمبادئ الشورى والعدل جعله الله مبدأ حياة جديدة للدولة وعز مؤكد للمسلمين

وحسب اخواننا في الاقطار النائية دليلا موجبا لسرورهم مؤكداً لآمالهم في مستقبل دولة الخلافة هذا الانقلاب العظيم الذي قام به اخوانهم المسلمون في البلاد العثمانية ودعمه الجيش بقوته العظيمة. وأي دليل على ان هنالك حياة عالية ونفوسا نزاعة الى الرقي ستنهض بالدولة الى منزلة تسر لها ان شاء الله قلوب الأمة الاسلامية اعظم من هذا الدليل لا سيما وان القائمين بهذا الانقلاب انما جددوا حكومة الشورى الاسلامية التي طوى صحيفتها الامراء الجبارون منذ آخر عهد الخلفاء الراشدين ولم تستطع امة من المسلمين استرداد هذا الحق المسلوب منها الى اليوم فاستطاع ذلك العثمانيون والله مع المصلحين   رفيق العظم

﴿ الذكر ورابطة النقشبندية ﴾

لما اطلع السيد محمود شكري افندي الالوسي عالم العراق المصلح الشهير على ما كتبناه في رابطة النقشبندية استحسنه وفضله على جميع ما كتبه العلماء في ذلك وارسل الينا القصيدة الآتية وقال إنها للشيخ عثمان بن سند النجدي نزيل البصرة رحمه الله وكان من رجال اواسط القرن الثالث عشر في ابطال الرابطة التي يقول بها المتصوفة

أخل الفؤاد اذا ما كنت ذاكره ... تكن فتى بسلاف الذكر قد سكرا

الشيخ يدعو لإخلاء الفؤاد من الـ ... أغيار طراً ليصفو الذكر مقتفرا

فكيف يدعو الى تصوير صورته ... في خاطر فيه نور الله قد سفرا

فاصقل فؤادك بالذكر اللذيذ وكن ... ممن عن الغير في اذكاره نفرا

لم يحصل قط شهود الله في خلد ... إلا إذا لم يكن فيه سواه يرى

وان يكن من أناس من يشاهدهم ... مولاه يذكر ما أنوارهم نظرا

إذ صورة المصطفى صحت بها كتب ... وما بتصويرها أصحابه أمرا

لو كان من ديننا تصوير مشيخة ... لكان أجدر لكن منتفي الأثرا

فحسبنا باتباع المصطفى شرفاً ... ان مال نحو اتباع غيرنا وجرى

فيا مريد الهدى استمسك بعروته ... وقل إذا السالك استهداك معتبرا

دع التوجه إلا للذي فطرا ... واسلك على الشرع واترك ماسواه ورا

فسالك لسبيل المصطفى ثبتت ... اقدامه ومريد غيره عثرا

ان الطريقة ان عرفتها عمل ... بالشرع فاعمل به وانظر لما نظرا

وبعد تخلية فاعمل بتحلية ... وإن تحلية أخذ بما أمرا

من سار لله نقّى السر من كدر ... لا ينظر الله سراً أشرب الكدرا

واخرج عن النفس والاغيار تحظ به ... لم يحظ بالله مملوء الحشا غيرا

ولا تظن اشتغالا بالعلوم شقى ... ان الشقاء لمن غير العلوم يرى

فاسلم بجملته من كل ما تخاف ... عدوله فهم من غيرهم أمرا

يبغون تحريف ذي الابطال عنه فكم ... مدقق فهم دين الهدى نصرا

لا تحقر سالكا علما فسالكه ... سام وتاركه بالجهل قد حقرا

وارج الحوائج من مولاك لا بشر ... وان سما من مقام الصالحين ذرى

لو كان مستلبا منه الذباب ولم يقدّر الله انقاذاً لما قدرا

فافزع الى الخالق المعبود معتصما في كل ما حدث ان جل او صغرا

واعبد كأنك مولى العالمين ترى فان تكن لا ترى مولاك فهو يرى

واحذر دسائس نفس ربما قتلت في الدسائس منها دقق النظرا

والذكر ركن عظيم من طريقتهم وخيره ما عن المختار قد اثرا

تجد في السير للرحمن مقتفيا آثار من فات كل الخلق حين سرى

وكل مؤمنة أو مؤمن فله حق عليك فأحبب منهما الأثرا

واخش احتقارك للعاصي لمعصية فرب عاص تعدى ذنبهُ غفرا

فكر بك لا تأمن وكن وجلا مستمسكا أبدا من شرعه بعرى

لا ناظرا عملا لكن لرحمة من كل الأنام اليه دائما فُقرا

معلقا منك آمالا بذيل ندى من فضله الجمّ ذرات الورى غمرا

فاذكره في خلوة أو جلوة لترى مما له عند أملاك سموا ذكرا

وبالنواجذ فاعضض شرع مرسله ودع أقاويل اقوام جرت هذرا

ما خالف الشرع مردود وقائله بذا روينا عن الهادي لنا خبرا

والدين اكمله المولى فليس به نقص فيكمله من نقصه ظهرا

ان الاطبا أساة الدين هم علما قد دققوا في معاني السنة النظرا

حامون حوزتها عن كل موتفك مزين في طريق الله كل فرا

لا توقعن نظرة يوما على عمل ان رمت اخلاص اقوام بدوا غررا

اخلاصهم عرف الرفاق زاد على ان لا يكون لإخلاص له نظرا

لا مثل من حقروا اعمال غيرهم واستعظموا كل فضل منهم صدرا

﴿ النساء والحجاب والتعليم ﴾

وردت الينا هذه القصيدة من بغداد في معارضة الشيخ محمد بن الشيخ طاهر الحلي لقصيدة الشيخ معروف الرصافي التي نشرناها في الجزء الثاني

لهم موجب الخفرات بيت يقمن به الى يوم الممات

يقترن به كواكب في بروج ... ولا يعدونه متبرجات

فما لك يا غيور نظمت شعرا ... نثرت به عقود البينات

تعرّض في نساء القوم قدما ... وتعرض عن أوامر صادعات

فقد قال الإله وقرن أمرا ... يؤدب فيه خير الامهات

فان تفهم سوى المعنى فبين ... وان تزعم له نسخا فهات

نشدتك هل قصدت بذا بيانا ... على حسن اقتدار والتفات

أو استنبطت ذا من فعل خير النـ ... ـساء العالمات العاملات

فان تك أمنا في العلم بحرا ... تحل لسائليها المشكلات

فقد كان المعلم خير زوج ... بحجرة بيته لا المدرسات

وقد كان الأولى سألوا علوما ... بنيها لا البعيد من العداة

فمن تغدو على القسيس كيما ... تعلم ضرب عود أو كرات

ويأتيها الرجال تنال منها ... فتوتى في منازلها وتاتي

كمن أخذت عن المختار علما ... وعلمت البنين أو البنات

قياس لا يتسم في هواء ... ولا ينساغ في ماء فرات

فهل هذا لعمر أبيك الا ... كتسوية الذين مع اللواتي

وماذكر كأنثى نص فيها الكتـ ... ـاب لقول احدى العالمات

ونقصان النساء حجى ودينا ... صحيح في مسانيد الرواة

أأم المؤمنين اليك نشكو ... مصيبتنا بهتك المؤمنات

يريد الله ان يغضضن طرفا ... ويدنين الجلابب ساترات

ولا يبدين زينتهن الا ... لطفل ليس يعلم بالهنات

ويسألن المتاع وراء حجاب ... ويلقين الرجال محجبات

فكيف يليق ان نلقي حجابا ... وتبرز للعيون الشاخصات

ونرضى ان تلوح بكشف وجه ... ولو بين الاعفاء الاباة

فتلك مصيبة يأثم منها ... تكاد تغص بالماء الفرات

خطبة خطيبة مصرية على النساء

نشرت الجريدة سلسلة مقالات مفيدة في شؤون النساء والبيوت لكاتبة مصرية مسلمة لقبت نفسها بهذا اللقب (باحثة بالبادية) ثم انها دعت بلسان الجريدة النساء الى سماع خطبة لها في شؤونهن مع الرجال فأجاب دعوتها مئات منهن فاجتمعن يوم جمعة في نادي حزب الامة وسمعن منها هذه الخطبة

أيتها السيدات :

أحييكن تحية أخت شاعرة بما تشعرن، يؤلمها ما يؤلم مجموعكن، وتحتفل بما تحتفلن به، وأحيي فيكن كرم النفس لتفضلكن بتلبية الدعوة لسماع خطبتي . إن أطلب بها الا الاصلاح ما استطعت فان أصبت كان ما أرجو وان أخطأت فما أنا إلا واحدة منكن والانسان يخطئ ويصيب فمن رأت في خطبتي رأياً مخالفاً لما تعتقد أو أحبت المناقشة في نقطة ما فلتتفضل بابداء ما يعن لها بعد انتهاء كلامي

أيتها السيدات : ليس اجتماعنا اليوم لمجرد التعارف أو لعرض مختلف الأزياء ومستحسن الزينات وانما هو اجتماع جدي أقصد به تقرير رأي نتبعه ولأبحث فيه عن عيوبنا فنصلحها . فقد عمت الشكوى منا وكثرت كذلك شكوانا من الرجال . فأي الفريقين محق في دعواه ؟ وهل نكتفي من الاصلاح بمجرد التذمر والشكوى؟ لا أظن مريضاً طاوع أنينه فشفاه، يقول المثل العربي « لادخان بلا نار » ويقول الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر « ان الآراء التي تظهر لنا خطأ لا يمكن أن تكون خطأ محضاً بل لا بد ان يكون فيها نصيب من الصحة والصواب » اذن فنحن والرجال متساوون في صحة الدعاوي وبطلانها، كلنا متظلمون وكلنا على حق مما نقول، بيننا وبين الرجال الآن شبه خصومة وما سببها إلا قلة الوفاق بيننا وبينهم . فهم يعزون هذه الحالة لنقص في تربيتنا وعوج في طريقة تعليمنا ونحن نعزوها لغطرستهم وكبريائهم، وهذا الاختلاف في إلقاء المسئولية زادنا اختلافاً في العيش وأوسع هوة الجفاء بين الرجال والنساء في مصر وهو أمر لا ننظر اليه بعين

الارتياح وانما تأسف له وتتوجس منه ، لم يخلق الله الرجل والمرأة ليتباغضا ويتنافرا وانما خلقهما الله ليسكن أحدهما الى الآخر فيعمر الكون إذ في ائتلافهما بقاؤه ، ولو انفرد الرجال في بقعة من الأرض ، انعزلت النساء إلى أخرى لانقرض الحزبان وحقت عليهما كلمة الفناء

تدركن معنى قولي هذا من صعوبة الرد على هذا السؤال : أي الجنسين أصلح للبقاء في الدنيا النساء أم الرجال ؟ فاذا أجابت احداكن : الرجال لانهم يقومون بشاق الاعمال من بناء واختراع وزرع وغيره. لعارضتها بقولي: ولأجل من تتجشم تلك المصاعب ولا نساء يتسلسل منهن النسل لعمار هذا الكون؟ واذا قلنا النساء لانهن مدبرات البيوت وأمهات النشء ؟ قلت ومن أين يأتي النشء ولا أب له ؟ هذا قياس على نظام الطبيعة الحالي ولا نتوسع بالافتراضات والمتوهمات فقد كان الله قادرا على خلق نظام آخر للتوالد وهو قادر على خلق مثله ولكنا للآن لم نسمع إلا بمثال واحد لهذا الشذوذ هو مثال سيدنا عيسى عليه السلام فالمرأة والرجل للكون كالخبز والماء للجسم أو الشمس والماء للزرع ولو استعاضت احدانا باللبن عن الماء فان اللبن بالتحليل يحتوي الماء فالكتب السماوية كلها مجمعة على ان أصل البشر من آدم وحواء والقائلون برأي دارون لم ينكروا ضرورة لزوم الذكر والأنثى للتوالد من الحيوانات الأولى التي زعموا انها ارتقت بالتدريج إلى مصاف الانسان ، كذلك الحال في كل جسم حي نام فان النباتات كلها فيها الذكورة والأنوثة والزهرة على لطافتها وصغر حجمها تحتوي شكلين مختلفين من العروق أحدهما لقاح للآخر ، كذلك جعلها الله لينتج منها الحب الذي فيه بقاء النوع وسلط عليه الريح تسفيه إلى الأرض فاذا ما جاده الغيث أو سقي ريا نبت ونما وصار شجراً مما وقع منه ، فنظام التوالد هذا مطرد في كل الأجسام الحية من حيوانات ونبات لا شك فيه البتة واذا راجعنا احصائيات العالم كله وجدنا ان عدد الذكور والأناث فيه يكاد يكون واحدا أو بفرق قليل جدا وهذا دليل على ان الله خلق رجلا لكل امرأة ، هذا بقطع النظر عن الحروب وغيرها مما قد يخل بهذا التوازن الطبيعي الدقيق ، إذن فمحاولة الاعتزال بين الرجال والنساء مستحيلة وعليه فلا فائدة من

هذه الغارات القلمية الشعواء بيننا وبينهم والا وفق ان نسعى للوفاق جهدنا ونزيل سوء التفاهم والتحزب لنحل بدلها الثقة والانصاف ولنبحث أولا في نقط الخلاف

يقولون اننا بتعلمنا نزاحمهم في أشغالهم ونترك أعمالنا التي خلقنا الله لها . فليت شعري ألم يكونوا هم البادئين بمزاحمتنا ، كانت المرأة في العهد السابق تغزل الخيط وتنسج ثيابا لها ولأولادها فاخترعوا آلة الغزل والنسج فأبطلوا عملها من هذا القبيل ، كانت المرأة المتقدمة تغربل القمح وتدرسه وتطحنه على الرحى بيديها ثم تنخله وتعجنه وتهيئ منه خبزا فاستنبطوا ما يسمونه (الطابونة) واستخدموا فيها الرجال فأراحونا من ذلك العمل الكثير ولكنهم عطلوا لنا عملا ثانيا ، كانت كل امرأة من السالفات تخيط لنفسها ولأفراد بيتها فقننوا لنا آلة للخياطة يشتغل في استخراج حديدها وصناعتها الرجال ثم جعلوا منهم خياطين يخيطون لرجالنا ولأولادنا فأدوا لنا بذلك عملا ثالثا ، كنا نكنس حجرنا أو تكنسها الخادمات بمكانس من القش فاستنبطوا آلة الكنس التي يكفي ان يلاحظها خادم صغير فتنظف الرياش والأثاث ، كانت الفقيرات والخادمات يجلبن الماء لبيوتهن أو لبيوت سادتهن فاخترع الرجال القصب (المواسير) والحنفيات تجلب الماء بلا تعب ، فهل ترى عاقلة الماء يجري عند جارتها في أعلى طبقات منزلها وأسفله وتذهب لتملأ من النهر وقد يكون بعيدا ؟ أوهل يعقل ان مدنية ترى خبز (الطابونة) نظيفا طريا لا تتكلف له سوى ثمنه تتركه لتغربل وتعجن وقد تكون ضعيفة البنيـة لا تتحمل تعب تجهيز القمح وعجنه أو فقيرة لا تستطيع تأجير خدم له أو وحيدة لا مساعدة لها عليه ، أظن الرجال لو كانوا محلنا لما فعلوا سوى ما فعلناه وما من امرأة تقوم بهـذه الاعمال كلها الا القرويات اللاتي لم يدخل قراهن التمدين ، بلى انهن يستعضن عن الرحى بوابور الطحين ويعضين عن الملء من البحر (بطلومبات) يضعنها داخل دورهن

ولست أريد من قولي هذا أن أذم الاختراعات المفيدة التي اخترعها الرجال لتسد كثيرا من أعمالنا أو لأقول إنها زائدة عن حاجتنا وانما كانت هذا الشرح ضروريا لبيان ان الرجال هم البادئون بالمزاحمـة فاذا ما زاحمناهم اليوم في بعض اشغالهم فان الجزاء الحق من جنس العمل

على ان مسألة المزاحمة هـذه ترجع للحرية الشخصية فزيد راق له ان يكون طبيبا وعمرو ارتأى ان يكون تاجرا فهل يصح ان نذهب للطبيب ونقول له لاتحترف هذه الصناعة بل كن تاجرا وهل يمكننا ان نجبر التاجر على ان يصير طبيبا ؟ كلا . فكل له حرية يفعل ما يشاء ولا ضرر ولا ضرار ؟ أو هل يجوز ان يمنع مهندس قديم من يحترف هـذه المهنة من غيره لانه كان يكتسب ربح بلد بأكمله فجاء له هؤلاء المهندسون الجدد يقتسمون ارباحه ؟ ولو جاز ذلك قوة لمـا صح ان يجوز شرعا وحرية ولما قامت من أجله الشحناء بين الرئيس روزفلت وشركات الاحتكار ، فاذا كان المخترعون والصناع أبطلوا جزءاً كبيرا من أعمالنا فهل نقتل الوقت بالكسل أو نبحث عن عمل يشغلنا ؟ لا غرو اننا نفعل الثاني ، ولما كانت أشغال منزلنا قليلة لا تشغل أكثر من نصف النهار فقد تحتم ان نشغل النصف الآخر بما تميل اليـه نفوسنا من طلب العلم وهو ما يريد ان يمنعنا عنه الرجال بحجة اننا نشاركهم في اعمالهم

لا أريد بقولي هذا ان أحث السيدات على ترك الاشتغال بتدبير المنازل وتربية الأولاد إلى الانصراف لتعلم المحاماة والقضاء وادارة القاطرات ، كلاّ ولكن اذا وجد منا من تريد الاشتغال بإحدى هـذه المهن فان الحرية الشخصية تقضي بان لا يعارضها المعارضون ، يقولون إن الحمل والولادة مما يجبرنا على ترك الشغل ويتذرعون بذلك الى جعلها حجـة علينا ولكن من النساء من لم تتزوج قط ومنهن العقيمات اللاتي لا ينتابهن حمل ولا ولادة ومنهن من مات زوجها أو طلقها ولم تجد عائلا يقوم أودها ومنهن من يحتاج زوجها لمعونتها ، وقد لا يليق بهؤلاء ان يحترفن الحرف الدنيئة بل ربما يملن الى ان يكن معلمات أو طبيبات حائزات لما يحوزه الرجال من الشهادات ، فهل من العدل ان يمنع مثل هؤلاء عن القيام بما يرينه صالحا لأنفسهن قائما بمعاشهن ؟ على ان الحمل والولادة إذا كانا معطلين لنا عن العمل الخارجي فهما معطلان لنا عن الأعمال البيتية أيضا ، وأي رجل قوي لم يمرض ولم ينقطع عن عمله أحياناً ؟

يقول لنا الرجال ويجزمون انكن خلقتن للبيت ونحن خلقنا لجلب المعاش . فليت شعري أي فرمان صدر بذلك من عند الله ؟ من أين لهم معرفة ذلك والجزم

به ولم يصدر به كتاب ؟ ثم ان الاقتصاد السياسي ليأمر بتوزيع الاعمال ولكن اشتغال أفراد قلائل منا بالعلوم لا يخل ذلك التوزيع وما أظن أصل تقسيم العمل بين الرجال والنساء الا اختياريا بمعنى أن آدم لو كان اختار الطبخ والغسل وحواء السعي وراء القوت لكان ذلك نظاما متبعا الآن ولما أمكن ان يحاجنا الرجال بأنا خلقنا لاعمال البيت فقط وهاهن أولاء لانزال نرى بعض الاقوام كالبرابرة مثلا يخيط رجالهم الثياب لانفسهم ولافراد بيتهم ويتجشم نساؤهم مشقة الزرع والقلع حتى انهن ليتسلقن النخل لجنى ثمارها ۰ وهاهن نساء الفلاحين والصعايدة يساعدن رجالهن في حرث الارض وزرعها و بعضهم يقمن بأكثر أشغال الفلاحين كالتسبيخ والدراس وحمل المحصولات ودق السنابل والبرام (الكيزان) وسوق المواشي ورفع المياه بما يسمونه بالقطوة وغير ذلك من الاعمال التي ربما شاهدها منكن من ذهبت الى الضياع (العزب) ورأت انهن يقدرن عليه تمام القدرة كأشد الرجال ونرى مع ذلك أولادهن أشداء وأصحاء ۰

فسألة اختصاص كل فريق بشغل مسألة اصطلاحية لا اجبار فيها ۰ وماضعفنا الآن عن مزاولة الاعمال الشاقة الا نتيجة قلة الممارسة لتلك الاعمال والا فان المرأة الاولى كانت تصارع الرجل شدة و بأساً ۰ أليست المرأة القروية كأختها المدنية؟ فلماذا تفوق الاولى الثانية في الصحة والقوة ؟ هل ترتبن في ان امرأة من المنوفية تصرع أعظم رجل من رجال القورية لو صارعته ؟ فاذا قال لنا الرجال انا خلقنا ضعيفات قلنا لا وانما أنتم أضعفتمونا بالمنهج الذي اخترتم ان نسير فيه ۰ حدثتني سيدة عالمة انها في سياحتها بأميركا رأت بعينها هنودها الحمر تتحرك آذانهم من تلقاء نفسها اتجاه الصوت الذي يترقبونه كآذان الخيل والحمير ۰ ذلك نتيجة استعمالهم لها وقد توارثوه أيضا وهم في حاجة اليه لتستمع زئير السباع وعواء الوحوش التي ربما تهاجمهم في فلواتهم كذلك نجد حواس الوحشيين أقوى من حواسنا بكثير فهم يشمون رائحة الوحوش من بعيد أما نحن فلا ولم يكذب من قال ان الوظيفة تكون العضو ۰ هؤلاء العميان يعتمدون كثيرا على حاسة السمع بعد فقد حاسة البصر فتقوى فيهم بالتدريج تلك الحاسة الى ان تبلغ غاية قد تعد من الخوارق عندنا فهل بعد ان استعبدنا الرجال قرونا طوالا حتى خيم على عقولنا الصدأ وعلى أجسامنا الضعف يصح

ان يتهمونا بأنا خلقنا اضعف منهم اجساما وعقولاً ؟ انهم لو انصفوا ولم يتحزبوا لما عيرونا باننا قليلات النبوغ وانه لم يسمع باحدانا غيرت قاعدة في الحساب والهندسة مثلا . وليتفضل أحدهم باخبارنا عما استنبطه من تلك القواعد ؟ اوليست قواعد الحساب هي بعينها من زمن اليونان الاول الى الآن ونظريات الهندسة لم تزل تلك التي كان يعرفها قدماء المصريين والرومان. نحن نعترف لرجال الاختراع والاكتشاف بعظيم اعمالهم ولكني لو كنت ركبت المركب مع خريستوف كولومب لما تعذر عليّ انا ايضاً ان اكتشف اميركا . وحقيقة ان النساء لم يخترعن اختراعات عظيمة ولكن كان منهن النابغات في العلوم والسياسة والفنون الجميلة اي فيما سمح لهن بممارسته و بعضهن فقن الرجال في الفروسية والشجاعة كخولة بنت الازور الكندي فقد عجب منها عمر بن الخطاب واعجب باستقتالها في فتوح الشام حينما أرادت تخليص اخيها من اسر الروم ، وجان دارك التي قادت جيش الفرنسيس بعد انكساره امام الانكليز فشجعتهم على استمرار القتال واصلت محاربي وطنها حرباً عواناً . ولن أضرب مثلاً بالنساء اللاتي تولين الملك فأحسن سياسته ككاترينا ملكة الروسيا وايزابلا ملكة اسبانيا واليزابت ملكة انكلترا وكليوباتره وشجرة الدر امرأة الملك الصالح وأم طوران شاه التي حكمت مصر فقد يقول معارضونا انه دبره لهن الوزراء وهم رجال على انه لو صح هذا القول في عهد الدستوريين كالملكة فكتوريا مثلا أو وهلمينا ملكة هولانده الحالية فلا يصح تطبيقه على أيام الحكم المطلق .

اننا الآن في ابتداء القيام بتعليم البنات فقول بعضهم بالاقتصار على هذا وذلك مثبط للهمة ورجوع الى الوراء في حين انه لا خوف من مزاحمتنا لهم الآن لاننا لا نزال في الدور الاول من التعليم ولا تزال عاداتنا الشرقية تثنينا عن الاستمرار على الدرس الكثير فليهنؤا بوظائفهم وما داموا يرون مقاعد مدرسة الحقوق والمهندسخانة والطب والجامعة خالية منا فليقروا عيونا ولينعموا بالا فان ما يتخوفون منه بعيد . واذا فرض واشتاقت احدانا لتكملة معلوماتها في احدى تلك المدارس فانا واثقة انها لن تقلد وظيفة أو تشتغل خارجاً وانما تفعله لاطفاء شوق النفس للعلم أو الشهرة ولما نفعله . فاذا كنا لم نشتغل بالمحاماة ولا بتقلد الوظائف الحكومية أفلا تشغلنا عن تربية النشء

الا قراءة كتاب أو خط جواب ؟ أظن ذلك مستحيلا . على أن الأم مهما تعلمت وبأي حرفة اشتغلت فلن ينسيها ذلك اطفالها أو يفقدها عاطفة الشفقة والأمومة بل بالعكس انها كلما تنورت أدركت مسؤوليتها . ألم ترين الفلاحات والجاهلات يظل يبكي طفل الواحدة منهن ساعات وهي تسمعه ولا تتحرك اليه . فهل ياترى كان شغل هؤلاء أيضاً تحضير القضايا او الاشتغال بالتحرير والقراءة

ولا يغيظني أكثر من أن يزعم الرجال أنهم يشفقون علينا . اننا لسنا محلا لإشفاقهم وانما نحن اهل لاحترامهم فليستبدلوا هذا بذاك والاشفاق لا يأتي الا من سليم لعليل او من جليل لحقير فاي الصنفين يعتبروننا؟ تالله انا لنأنف ان نكون احد هذين

قال قائلهم لاتعلموا البنات من الحساب الا القواعد الاربع لانهن لن يحتجن لاكثر منها . فمن أين له اننا لن نودع نقودنا في مصرف أو نبيع وثيقة (كمبيالة) أو يتاطلنا وكيل في قياس قطعة أرض ؟ انه اذا ادعى بذلك تفضيل الرجال على النساء في علم التكهن والرجم بالغيب أيضا قلنا لم تصح هذه الفراسة فقد أظهر الواقع غير ذلك . أما مايذهب اليه من تفضيل لغة عن لغة في التعلم فذلك مالا أفهمه لاني أعتبر اللغات كلها نافعة ولو وجدت من يعلمني البربرية أوالصينية لتعلمتها . اذا كان لآداب اللغة فان الفارسية والالمانية والانكليزية وغيرها ملأى بذلك . أما تعليم تدبير المنزل وتربية الاطفال فيجب ان نشكر للدكتور نظمي اهتمامه بهما وحثه عليهما

أيتها السيدات: العلم منير للعقل على أي حال سواء عمل به أولم يعمل فـاذا يضرنا اننا لانشتغل بمسح الكرة الارضية ولا بالمساحة ولكن نعلم مواقع البلاد وأبعادها . ان الطبيب يتعلم الجبر في تلمذته ولكنه لايشتغل به في صناعته . كلنا نسمع بأخبار السياسة والرجال يشتغلون بها ولكنهم لايحدثون أنفسهم بأن يولوا مكان ذلك الملك المقتول أو السلطان المعزول فهل نقول لهم اذا كنتم لن تملكوا في تلك الامم فلا يجوز لكم ان تعرفوا سياستها وأخبارها . نسمع في هذه الايام ان جيش الدستور في تركيا زحف من سلانيك الى الاستانة وان حصن اسكودار تأخر في التسليم ، الايحسن بنا ان نعرف من (الجغرافيا) مايهيؤنا لفهم تلك الاخبار بعد مالاكتها أفواه الكبار والصغار ؟ . لولم يكن للعلم لذة في ذاته لما اشتغل بتحصيله الملوك وهم واثقون انهم لن

يكونوا مهندسين ولا بحارة ولا سائقي قاطرات . وهل تفضل السيدة التي تعرف ان تطبخ البطاطس وتنسق الازهار فقط أم التي تعرفها ايضاً ولكنها تعلم متى يؤكل البطاطس وهل يوافق زوجها المريض بالسكر او جسمها السمين الذي تريد تضميره وهل وجود اصص (قصارى) الزرع في حجرتها ليلا صالح لرئتيها الضعيفتين ام مضر بهما؟ فهذه تعرف تدبير المنزل وتلك تعلمه ولكن زيادة واحدة بعلم النبات تحفظ لها صحتها وصحة عيالها من التلف فضلا عما تشعر به من السرور الناشئ عن العلم. نحن نعلم ان نقص تربيتنا الاولى وتربية اخواننا الشبان لا شك نتيجة جهل امهاتنا فهل نعرف الداء ولا نداويه وقد قال الحديث الشريف « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

ان المدارس مهما اجتهدت في تثقيف عقول النشء وتهذيبها فان المنزل له تأثير خاص على الاطفال واذا شعر تلميذ أن امه عالمة اولها نصيب من علم فانه يسعى جهده ليريها انه اهل لحبها وتقديرها اياه فيجتهد ليحفظ سلسلة العلم لتكون الصلة شديدة بينه و بينها فتعلمنا الحالي ناقص يجب ان يزاد عليه لا ان ينقص منه

أما ما اشكل على الرجال من علة فسادنا فهو ما ينسبونه خطأ للتعلم وحقهم ان ينسبوه للتربية . يرى كثيرون ان العلم يهذب ولكني لا أعتقد ذلك بل اصرح ان العلم والتربية منفصلان تمام الانفصال الا في علوم الدين فقط . ودليلي على ذلك ان كثيرين من المبرزين والمبرزات في العلوم لا اخلاق لهم . وان الكتاب الواحد قد يدرسه معلمان مختلفان في فرقتين كل على حدة فتتعلم الفرقتان الكتاب ولكن نجد أثر الهمة وعلو النفس في واحدة ولا نراه في الثانية فهذا ناشيء من تأثير روح المعلم في تلاميذه لا من العلم والا فلو كان من العلم لتساوت الفرقتان لان الكتاب واحد والعلم لا يختلف .

يظن بعض الناس ان احسن التربية تقبيل ايدي الزائرات وتكتيف اليدين خضوعا ولكن ما ابعد هذا عن الحقيقة . التربية الحسنة هي التي تؤهل الشخص لان يدرك نفسه من سواه وما احزم من قال « ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه » .

التربية الحسنة هي التي تعود الانسان من صغره احترام الغير اذا استحق الاحترام حتى ولو كان عدواً . فالتعلم لم يفسد اخلاق الفتيات وانما هي التربية الناقصة . تلك التربية

في الحقيقة يجب ان تكون من اعمال البيت لا المدرسة ولما كانت بيوتنا لم تبلغ الدرجة التي تؤهلها لاحسان تربية الاطفال فقد وجب علينا ان نضاعف مجهوداتنا لاصلاح شأن انفسنا أولا ثم إصلاح النشء ، ولا يتم ذلك في لحظة كما قد يتوهم ، ومن الظلم ان نلقي مسئولية الفساد كلها على المدارس فان المدارس لها تأثير في التربية ولكن ليس عليها كل الذنب ، بل العيب في الأسر

من عيوبنا نحن النساء اننا لا نكترث كثيراً بالنصح فاذا قامت سيدة تريد تقرير مبدأ أو إظهار حقيقة قال أكثرنا ما لها ولهذا أو ان كانت تقار فلتعمل مثلنا وغير ذلك من الألفاظ

ومن عيوبنا السخرية والتهكم فكثير منا تنتقد من تصادفه وتعيب عليه لا لعيب حقيقي يستدعي الانتقاد ولكن لولوع بالانتقاد في ذاته فربما انتقدت في ساعة واحدة اثنين على خصلتين متضادتين ولا يمكن ان يكون الشيء ونقيضه منتقدا فاذا رأت امرأة سمينة قالت انها (كالبرميل) وكيف تستطيع الحركة ، وان بصرت بأخرى رفيعة قالت انها كعود الحديد تكسر يدها على ساقيها ، واذا وجدت سيدة قليلة الكلام قالت انها متكبرة وان سمعت أخرى تتكلم كثيرا عابت عليها وقالت انها تصطنع الخفة

ومن عيوبنا الصلف والاغترار ، كنت وأنا طفلة أحفظ قصيدة سمعتها ولكني كنت أخلط فيها وألحن كثيرا غير عالمة بالطبع ما كنت واقعة فيه من الخطأ وكانت زميلاتي الصغيرات لا يعرفن القصائد ولم يسمعن بها فكنت إذا قلتها أمامهن عددنها غريبة عليهن ووسمنني بالذكاء فما لبثت ان اغتررت بقصيدتي وصرت أفتخر بها حتى اذا ألقيتها ذات يوم أمام والدي أراني خطئي وبين لي انها كانت مجموعة نتف من هنا ومن هناك لا ارتباط لاجزائها ولا قافية لها وأعطاني كتابا فيه شعر فأدهشني أكثر لأني كنت أحسب أن لا شعر في الدنيا إلا تلك النتف التي كنت استظهرتها فاذا كان تركني ولم يبين لي خطإي فربما كنت استرسلت في الغرور ، والانسان مهما بلغ من العلم فانه لا يزال يقبل الزيادة فيه ومهما كبر فيما يعرف فإنه

لا يزال طفلا ازاء ما يجهل كالبحر تستعظم منه ما رأيت وما لم تره أعظم ، وكيف أصلح خطئي إذا كنت لا أشعر به ولا أقبل نصيحة من يراه

يشكو الرجال من تبرجنا في الطرقات وحق لهم لاننا خرجنا فيه عن المألوف والجائز ، نحن نزعم اننا نحتجب ولكننا ما بلغنا حجابا ولا بلغنا سفورا ، لا أريد ان نرجع لحجاب جداتنا ذلك الذي يصح أن يسمى وأدا لا حجابا فقد كانت السيدة تقضي عمرها بين حوائط منزلها لا تسير في الطريق إلا وهي محمولة على الاعناق ولا أريد سفور الأوربيات واختلاطهن بالرجال فانه مضر بنا ، ان نصف ازارنا السفلي اليوم مِرْط (جونيله) لا يتفق مع كلمة حجاب ولا مع معناها ولا مع الحكمة منه إما نصفه العلوي فهو كالعمر كلما تقدم قصر ، كان الحجاب الأول قطعة واحدة تلتف بها المرأة فلا يظهر من هيئتها شيء ثم طرأ عليه تكمش بسيط ولكنه كان واسعا يكفي لستر الجسم ثم تفننا فيه فصرنا نضيق وسطه ونقصر رأسه وأخيرا فصل له كان وصار يلتصق بالظهور ولا يلبس الا مع المشد ويربط من أطرافه الى الوراء حتى تظهر منه الآذان ونصف الرأس أو أكثره فتبين الورود والرياحين والاشرطة المزين بها الرأس ، أما البرقع فأشف من قلب الطفل ، ما الغرض من الإزار ؟ الغرض منه ستر الجسم والملابس والزينة اجتناب الزينة التي نهى الله عنها فهل يتفق هذا مع المئزر الحالي وقد أصبح (فستانا) يظهر النهدين والخصر والاعجاز فضلا عن ان بعض السيدات ابتدأن يلبسنه أزرق و بنيا وأحمر ، الأولى أن لا نسميه مئزرا بل (فستانا بطرطور) فانه في الحقيقة كذلك ، وعندي أن الخروج بدونه أحشم لانه على الأقل لا يسترعي النظر ، على ان مسألة الحجاب قد اختلف فيها الأئمة فاذا كان تفنن بعضنا هذا يراد به التحيل على الخروج بلا ازار فليس عليهن فيه من حرج اذا كشفن وجوههن بشرط ستر الشعر والجسم وأرى ان أوفق لباس للخارج هو تغطية الرأس بخمار وسدل رداء أشبه (بالبالطو) المسمى (Cache poussive) عند الفرنجة على الجسم إلى الكعب ويكون طويل الكمين إلى المعصمين وهذا اللباس مستعمل في الاستانة كما روت لي إحدى السيدات للخروج الى المحلات القريبة ، ولكن من يضمن لنا اننا لا نقصره ونضيقه حتى نمسخه (فستانا)

آخر ؟ وحينئذ تضيق بنا حبل الإصلاح ، لو اننا متربيات من صغرنا على السفور ولو ان رجالنا مستعدون له لا قررت بالسفور لمن تهواه ولكن مجموع الأمة غير مستعد له للآن وان كان بعض نسائنا العاقلات لا يخشى من اختلاطهن بالرجال الا اننا يجب ان نحتفظ على غير العاقلات أيضا لاننا سرعان ما نقلد وقل ان نبحث عن حقيقتنا فيه ، ألا ترين ان تيجان الماس أصلها الملكات والأميرات ، فأصبحت الآن يلبسها المغنيات والراقصات ، ولعل الشعراء يعدلون عن كنايتهم الملكات بربة التاج فقد أصبحت تلك الكناية شاملة لسواهن ،

على ان تقننا هذا في الأزر الحالي هو في ذاته تقليد للأوروبيات ولكننا فقناهن في التبرج فان المرأة منهن تلبس أبسط ما عندها عند ما تكون في الطريق وتلبس ما شاءت في البيت أو في السهرات ولكننا بخلاف ذلك نظل امام أزواجنا بجلباب بسيط جدا ثم اذا خرجت احدانا عمدت لأحسن ثيابها فلبسته وأثقلت نفسها بالمصوغات وأفرغت عليها زجاجات العطر الطيب ، ويا ليتها تقتصر على ذلك بل تجعل من وجهها حائطا تنقشه بالدهان، وتصبغه بمختلف الألوان، وتتكسر في مشيتها كأنها الخيزران ، فتفتن المارة أو على الاقل يتظاهرون لها بانها فتنتهم ، اني واثقة ان أغلب هؤلاء المتبرجات يفعلن ما يفعلن وهن خاليات الذهن من سوء القصد ولكن من أين للرائي ان يتبين حسن نيتهن ومظهرهن لا يدل عليه ؟

حجابنا يجب أن لا يحرمنا من استنشاق الهواء النقي ولا من شراء ما يلزمنا إذا لم يقدر آخر على شرائه لنا ويجب أن لا يمنعنا عن تلقي العلم ولا ان يكون مساعدا على فساد صحتنا أو سببا في تلفها ، فاذا لم أجد في بيتي حديقة واسعة أو رحبة طلقة الهواء وكنت فرغت من العمل وأحسست من نفسي بملل أو كسل فلم لا آخذ نصيبي من هواء الضواحي المنعش الذي خلقه الله للكل ولم يحبسه في صناديق مكتوب عليها « خصوصي للرجال » ، وانما يجب ان نختار الاعتدال ، وان لا نخرج للنزهة وحدنا اجتنابا للقيل والقال ، وان لا نمشي الهوينا وان لا نلتفت يمنة ويسرة واذا لم يكن أبي أو زوجي يحسن اختيار ما أشتهيه من الملابس غير الموجود لها عينة يمكن جلبها للمنزل فلم لا يأخذني معه لاختيار ما يلزمني أو يدعني أشتري ما أريد ؟

واذا لم أجد من يحسن تعليمي الا رجلا فهل أختار الجهل أم السفور امام ذلك الرجل مع اخواتي من المتعلمات ، على انه ليس هناك ما يجبرني على السفور بل انه يكتفي التقنع والاستفادة منه وهل نحن في اسلامنا أعرق أصلا من السيدة نفيسة والسيدة سكينة رضي الله عنهما وقد كانتا تجتمعان بالعلماء والشعراء ؟ واذا اضطرني المرض لاستشارة طبيب لا يمكن إحدى النساء القيام بعمله فهل أتركه يقتلني والمرض وقد يكون خفيفا فيعضل بالاهمال أم أستشفيه فيشفيني ؟

ان حبس المصرية السالفة تفريط ، وحرية الغربيين الآن أفراط ، ولا أجد أصلح لان تقتبس منه إلا حالة المرأة التركية الحاضرة فانها وسط بين الطرفين ولم تخرج عما يجيزه الإسلام وهي مع ذلك مثال الجد والاحتشام ،

بلغني ان بعض كبرائنا (أريد كبراء الوظائف) يعلمون بناتهم الرقص الافرنجي والتمثيل وهما أمران أحلاهما مر وأبعدها تطرفاً ممقوتا واساءة في تقليد الغربيين ، لان العادة يجب ان لا تغير إلا إذا كانت مضرة والانماط الغربية لا يقبلها قوم بينهم إلا اذا رأوا ضرورتها وصلاحيتها فأي صلاح لنا من مخاصرة الرجال والنساء ورقصهم معا ؟ أو ظهور بناتنا أمام الرائين (المتفرجين) بصدور عارية يمثلن أدوار الحب والخلاعة على (المرسح) ؟ ان ذلك مناف للدين الإسلامي هادم للفضيلة مدخل لضار العادات بيننا فعلينا أن نحاربه ما استطعنا ونظهر احتقارنا لمن تفعله من المسلمات القليلات اللائي إذا شجعناهن بسكوتنا فإنهن لا يلبثن ان يعدين الغير منه ،

وعلى ذكر الحجاب والعادات أذكركن بمسألة تمس منها السعادة وتكاد تندثر في بيوتنا تلك هي مسألة الخطبة والزواج . يرى أكثر عقلاء الأمة ان لا بد للخطيبين من الاجتماع والتكلم قبل الزواج وهو رأي سديد لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يفعلون غيره وهو متبع عند جميع الامم بأسرها والامة المصرية أيضا الا في طبقة واحدة هي طبقة أهل المدن اذا ائتلف العروسان عندنا فهو من محاسن الاتفاق (الصدف) . وكيف يمكن الجمع بين شخصين لم ير أحدهما الآخر ولم يختبره على ان يقضيا العمر معاً ؟ ان احدانا اذا اتفق ورأت عرضا في احدى زياراتها سيدة استثقلت روحها فانها لا تصبر على مجالستها فضلا عن النظر اليها وتسرع

بالخلاص منها فكيف تصبر على مضض الحياة اذا استثقلت ايضا بعلها وهي لم يمكنها التصبر على تحمل الغربية لحظة واحدة في غير بيتها ؟ يشير قوم باتباع خطة الغربيين من وجوب معاشرة الخطيبين زمنا ليتمكن كلاهما من استطلاع طلع صاحبه ولكني أصرح باستهجان هذه العادة واعتقد أنها مبنية على وهم لا على أساس متين. اذ من نتائج معاشرة المتشابهين الالفة ومن الالفة الحب . واذا أحب الانسان شخصاً لم ير عيوبه ولم يمكنه فحص أخلاقه فيتزوج العروسان حينئذ على حب باطل وعلى غير هدى فلا يلبثان ان يتنازعا وتفشل ريحهما . اما الطريقة التي أود عرضها على مسامعكن هي ان يتراءى العروسان ويتكلما بعد خطبة النساء المتبعة وقبل العقد ويجب ان لا تظهر العروس الا مع أحد محارمها وتكون في أبسط لباسها . قد يعترض على هذا الاقتراح بأن اجتماعا واحدا أو اثنين أو اكثر قليلا لا تكفي بان يقف الواحد على أخلاق الآخر ولكنها على أي حال كافية لان يشعر الواحد باجتذاب دم الآخر له أولا على ان من صدقت فراسته يمكنه تبين الاخلاق من العينين ومن الحركات والسكنات فيبين ان كان صاحبه متصنعاً أو طائشا أوسكينا وغير ذلك . أما معرفة ماضي العروسين وبقية أحوالها فيجب ان يسأل عنها من المعارف والجيران والخدم وغيرهم . وخوفاً من ان يتخذ الشبان فاسدو الاخلاق تلك الطريقة ذريعة لرؤية بنات الناس من غير قصد الزواج يجب على الولي ان يتحرى سلوك الخاطب ويتبين الجد من كلامه قبل السماح له برؤية ابنته أو موكلته . لربما تستصعبن قبول هذه الفكرة والعمل بها ولكن كل شيء يخال لنا صعباً عند الابتداء فيه واذا مارسناه سهل وذل على اننا اذا كنا نعتقد بفساد طريقتنا القديمة ونتألم منها ونحجم عن الاقدام على ما نراه مفيدا لنا مقللا لحوادث الشقاء في زواجنا فما أشبه يومنا بالامس وما أشد اثمنا وما ابعدنا عن قول الشاعر

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد حياة لنفسي مثل ان أتقدما

وما الفائدة من تعلمنا اذا كنا لا نستطيع تغيير عادة مضرة لا هي من الدين ولا من الحكمة وقد رأينا رأي العين سعادتنا العائلية مزعزعة تكاد تقتلها صرصر تلك العادة الباغية ؟ وما مثلنا في ذلك الا كمثل رجل غرق واشرف على التلف فلما بصر

قطعة خشب يمكنه النجاة بالتعلق بها أبى لئلا يكون بها مسمار فيجرح أصبعه فابتلعته اللجة وقد كان يمكنه النجاة لولم يقدر الخوف من المسمار وما أدراه ان ظنه وتخوفه في محلها ولماذا تأبى ان يرانا خاطب بحجة اننا ربما لا نعجبه أو ليست مضرة رغبتنا عنه أو رغبته عنا أخف بكثير من تعاقدنا على الزواج قبل الرؤية والانسان لايفعله في شراء دابة فكيف يفعله في اختيار قرين .

ان امتناعنا من ان يرانا الخاطبون صرف كثيراً منهم الى الاوربيات فيتحمل احدهم ان يتزوج من خادمة أو عاملة يعتقد انه سيهنأ معها على ان يقترن ببنت الباشا أو البك المخبأة في (علبة البخت) وليعذرني صديقاتي الغربيات على هذا القول فاني لا أريد به اهانة لهن وانما هن يعرفن قبلنا أن امرأة ذات حسب مرغوبة في شبان قومها لا تتركهم الى قوم من غير دينها وجنسها فضلا عن ان كل بلاد لها مدنيتها الخاصة بها وتقرير أحوال مدنيتنا لا يقتضي اننا نحب مدنية الآخرين . قسما بالله لو جاء البارون روتشيلد أو المستركار ينجي الى ابنة كاتب عندنا مرتبه أربعة جنيهات شهريا (لا يخطبها) لما ردوه خائبة فاذا لم نعمل على تدارك هذا الخلل في مجتمعنا لم نلبث ان يعتالنا نساء الغرب ايضا فنقع في احتلالين احتلال الرجال واحتلال النساء وثانيهما شر من أولهما لان الاول اذا كان حصل على غير رضانا فان الثاني جلبناه بايدينا والنساء شديدات التعلق بالاقارب فلا يبعد ان تأتي كل زوجة منهن اخاها واباها وابن خالتها وصاحبها حولها فيسدون ما بقي لرجالنا من موارد الرزق فنخرج واياهم من بلادنا بخفي حنين وان يشأ يذهبكم ويأت بخلق كثير (*

بعض رجالنا يفضلون علينا الاوربيات لتدبيرهن حقيقة ان الفقيرة منهن ترتدي بلباس نظيف مرتب وتزين بيتها على قلة اثاثه نظيفا مرتبا ، وطعامها لذيذاً متنوعاً ، وأولادها مؤدبين اصحاء ومع ذلك فنفقاتها قليلة . نرى كل يوم نساء ضباط الانكليز ماشيات في الطرق بملابس التيل الابيض البسيط وأولادهن لابسين القبعات الجميلة والاحذية البيضاء ومنظرهم يأخذ بالالباب لا يقاربهم في شكلهم عندنا الا أولاد (الذوات) الذين تخدمهم المربيات (والدادات) أما سائر أطفالنا فهم في حالة يرثى

(*) لعلها أرادت ان تتمثل بالآية « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد »

لها من الاهمال . ولكن هل من تتزوج منهن مصريا تدبر له كما كانت تفعل لو كان زوجها أوربيا ؟ كلا . والحس يؤيد ما أقول . فان اغلب رجالنا الذين تزوجوا منهن يئنون ويصرخون من تبذيرهن واتباعهن اهواءهن . فالمرأة الغربية تعتقد انها من جنس أرقى من المصري فاذا تزوجته ظلت رئيسة له يعمل باشارتها وحسبت انه ملزم بالصرف على ما تشتهي وجابه لها حق ولو كان في الصين فهي مدبرة مع الغربي مسرفة مع المصري واذن ضاعت افضليتها من هـذا القبيل . وبعضهم يدعي انه يفضلها لانه يمكنها الخروج معه في نزهه وروحاته وغدواته ولا أظن الرجل يحب أن تراقبه زوجته وتلزمه لزوم الظل فإنه داعية الملل على أنه لو كان هذا الرأي صحيحا لما تأخر ا كثرنا عن تنفيذه وأنا أول من تفعله . ولا اجد للمرأة الغربية التي تقبـل الزواج من مصري ما يفوقها علينا الا أمراً واحدا لا أرانا نحسنه لاننا لم نمارسه ولا أريد ان نمارسه ذلك انها ماهرة في اجتذاب القلوب وفي نصب الشباك للرجال فاذا صادت بحركاتها وغنة صوتها مصرياً فليعلم انها دربت على ذلك في عشرين غربيا قبله. فهل يقبل وفيه غيرة الشرقيين وانفتهم أن تطعمه طبيخا حقيقة لذيذا ولكنها انضجته على نار غيره وكرع فيه قبله خلق كثير ؟

وبفرض ان الزوجة الشرقية الراقية نقصت قليلا عن أختها الغربية فلماذا لا يرشدها بعلها الى مواضع خطئها بالرفق ويريها ما يحب وما لا يحب وان أحب شيء عند الزوجين المتحدين أن يبذل أحدهما وسعه ليرضي الآخر . فانصراف شباننا لتلقي العلوم الحديثة بأوروبا يجب أن يكون لخير البلاد لا لشرها فكما يتعلمون لنفع انفسهم يجب ان يقرنوا ذلك النفع بنفع مواطنيهم أيضاً والا فلو اتبع كل واحد يرى عيبا في صاحبه طريقة هؤلاء الشبان لما كان لاحد خل « ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها » فواجبهم الوطني يقضي عليهم بأن يدخلوا كل ما يرونه صالحا في بلادهم مع الاستغناء عن الأجنبي على قدر الامكان فصانع الحرير الوطني اذا رأى معامل أوربا وسرعتها وجب أن يشتري الآلات اللازمة لسرعة انجاز العمل لا أن يدخل تلك الصناعة بعينها ويقضي على صناعتـه الجميلة فيكون قد اقتبس شكلا وأبطل آخر فنحن اذا اتبعنا كل شيء غربي قضينا على مدنيتنا والامة التي لا مدنية لها ضعيفة هالكة لا محالة . فشباننا يدعون انهـم

يأتون بنساء اوربا لانهم وأوهن أرق من نساء مصر اذن يجب ان يحضروا لنا تلاميذ اوربا لانهم أرق من تلاميذ مصر وعمال اوربا لانهم أرقى من عمال مصر لان النظرية واحدة فاذا تكون الحال لو تم ذلك ؟ وهل اذا سافرت زوجة مصرية لأوربا ورأت الاطفال هناك أجمل بشرة واحلى منظرا من مثلهم في مصر أيصح ان تترك اولادها وتأتي بغيرهم من الغربيين أم تجتهد لتجميلهم وتقريبهم من الشكل الذي أعجبت به ؟ واذا كانت أحط فتاة غربية تتزوج مصريا يتبرأ منها أهلها أفترضي نحن عنها وقد شغلت محل فتاة منا وصار زوجها مثالا لغيره من الشبان ؟ أنا أول من يعجب بنشاط المرأة الغربية وإقدامها وأول من يحترم من تستحق الاحترام منهن ولكن يجب أن لا ينسينا احترام الغير منفعة الوطن والمصلحة العامة فوق الاعجاب . وانا في كثير من أمورنا نسير وفق مايراه الرجال فليرونا مايحبون وكلنا مستعدات للسير بمقتضاه بشرط أن لا يكون ظلما لنا ولا اجحافا بحقوقنا .

يؤلمني ان درجة احترام الرجال لنا ليست بالدرجة التي نحب واذا بحثنا وجدنا اننا نحن اللاتي وضعنا أنفسنا في هذا الموضع غير الحسن لان الانسان ينزله الناس في المنزلة التي يختارها هو لنفسه ويسير عليها كما قال زهير «ومن لم يكرم نفسه لا يكرم» لا يكرم المرء نفسه بأن يقول سعادتي وحضرتي أو البك والباشا على نفسه كبعض الجهلاء الذين تصلهم رتب جديدة وانما لا يستهين بذاته فيهينها ويشعر عن نفسه بالضعة فيهينه الغير أيضا فهل نحن نضع أنفسنا في الموضع اللائق بها ؟ كلا . يحكي ان أحد الخلفاء بينما كان يروض نفسه في الطريق اذ سمع صوتا في خربة فاتجه نحوه فوجد فيها زبالا يقول

وأكرم نفسي انني ان أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدي

قال له وأي اكرام لنفسك وأنت تحمل التراب والاقذار؟ قال نعم افعل ذلك لاكفي نفسي مهانة السؤال من مثلك . ان معتقداتنا وأفعالنا كانت سببا عظيما في قلة احترام الرجل اياها . أيعتبر رجل عاقل أمرأة تعتقد في السحر والشعوذة وكرامة الاموات وتجعل من الدلالات والبلانات بل ومن الشياطين عليها سلطانا ؟ أيحترم المرأة ولا حديث لها الا (فساتين) جارتها ومصوغات صاحبتها وجهاز فلانة وأخبار

علاقة ؟ هذا فضلا عما انطبع في ذهنه من أن المرأة أضعف منه وأقل ذكاء . ان تهاوننا في هذه النقطة اعتراف بأن حالتنا مرضية فهل هي كذلك ؟ واذا لم تكن فماذا يرقينا في أعين الرجال ؟ يرقينا حسن التربية والعلم الصحيح . فاذا حسنت تربيتنا وتعلمنا علما حقا لاقشور بعض اللغات الاجنبية و (دوري ص فاسول) والعلم يشمل أيضا تدبير المنزل والصحة وتربية الاطفال . واذا تركنا الخلاعة في الطريق جانبا واذا برهنا لازواجنا بحسن سلوكنا وقيامنا بواجباتنا حق القيام انا آدميون نشعر وان لنا نفوسا لاتقل عن نفوسهم فلا نسمح لهم بحال من الاحوال بايلام شعورنا أو بالاستهانة بنا . اذا فعلنا كل ذلك فمن أين يجد الرجل العادل طريقا الاحتقارنا ؟ أما غير العادل فكان حريا بنا ان لانقبل الزواج منه .

يرقينا أن نطرح الكسل أرضاً فان عمل اكثرنا في المنزل هو القعود على (الشلته) كل النهار أو الخروج للزيارات كأن رد فعل القعود أدار لولب أرجلنا فنفخ في شراع جبرنا فلم نقو على ضبط جماحنا . والتي تعرف القراءة منا فهم تقضي أوقات فراغها ؟ في قراءة الروايات فقط فهلا قرأت قانون الصحة أو بعض الكتب المفيدة فتنتفع وتنفع ؟

ان انغماسنا في الكسل أو الترف أدى الى ضعف اجسامنا وشحوبها فيجب ان نبحث لنا عن عمل نزاوله في منازلنا . والمتأمل يرى لاول نظرة ان الطبقات العاملة هي الاقوى صحة والاكثر نشاطاً والانجب نسلا . ألا ترين الى اولاد الطبقة الوسطى والسفلى فانهم كلهم تقريباً أصحاء الجسم أقوياء البنية أما أولاد (الذوات) فأكثرهم مرضى أو ضعفاء يتأثرون لاقل العوارض مع مايبذل له آباؤهم من الاعتناء بهم بعكس أولاد الطبقة الدنيا مثلا فانهم في اهمال شديد من والديهم . العمل يخرج الفضلات الزائدة في الدم ويقوي العضل ويبعث على النشاط والطبقة أو الامة العاملة يزداد نسلها فتعتز بأبنائها وأن الامة الالمانية لتشاهد حسي على ماأقول فان التعداد يظهر ان النسل هناك يزداد بسرعة هائلة حتى ضاق رحب الدنيا بأهلها فأخذوا يبحثون عن أراض يستعمرونها ليصرفوا فيها الزائد من السكان والذين زاروا أوربا أخبروا ان أهل تلك البلاد مجدون نشطون رجالا ونساء بعكس المرأة الفرنسية فان ترفها الزائد كان سببا في قلة نسلها فضلا عن

انصراف كثير من تلك الامة عن الزواج وقد ع صوت الاقتصاديين والاجتماعيين في النداء على مواطنيهم بالاعتدال واتباع الطريق القويم

لاحظت وأنا في البادية ان بين نساء البدو ورجالهم كثيرا من العجائز من بلغوا الثمانين والمائة وقد رأى معظمهم أربعة أعقاب من ذريته مع اني لم أرى في القاهرة ولا في المدن الاخرى ما يشبه ذلك. ولا شك ان هذا نتيجة عيشتهم الطبيعية واعتدالهم فانهم كلهم مبكرون في كل شيء : في الاستيقاظ وفي النوم وفي تناول الاغذية وكلهم عاملون ولم أر بينهم امرأة واحدة حتى من نساء أغنيائهم تقضي النهار بالكسل كما تقضيه نحن فاذا كان الفلاسفة والاطباء يبحثون عن اكسير الحياة فها أنا قد اكتشفته : هو العمل والاعتدال في المعيشة أو العيش الطبيعي ، ولعل في هذا القدر عن المرأة كفاية اليوم

بقي علينا ان نبين الطريق العملي الذي يجب أن نسير عليه ولو كان لي حق التشريع لاصدرت اللائحة الآتية :

(المادة الاولى) تعليم البنات الدين الصحيح أي تعاليم القرآن والسنة الصحيحة

(المادة الثانية) تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الاولي اجبارياً في كل الطبقات

(المادة الثالثة) تعليمهن التدبير المنزلي علما وعملا وقانون الصحة وتربية الاطفال والاسعافات الوقتية في الطب

(المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأكمله وفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر

(المادة الخامسة) اطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد

(المادة السادسة) تعويد البنات من صغرهن الصدق والجد في العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل

(المادة السابعة) اتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج اثنان قبل ان يجتمعا بحضور محرم

(المادة الثامنة) اتباع عادة نساء الاتراك في الاستانة في الحجاب والخروج

(المادة التاسعة المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الاشياء والناس بقدر الامكان

(المادة العاشرة) على اخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا

(المنار) نرجئ رأينا في هذه الخطبة الى الجزء السادس ولكن لا نرجئ الثناء على الخطيبة التي كانت في هذا العصر أول مذكرة لنا بخطيبات سلفنا من الصحابيات فمن دونهن

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين — لليافعي ﴾

٤

بحث احاديث الآحاد وهل هي من اصول الدين

قال الفاضل حفظه الله : الكلمة الرابعة يان أسباب ان أحاديث الآحاد لاتفيد اليقين . ونحن نقول هذه دعوى قد سبقه بها كثير ممن لم يمد غوره في طلب هذه المسألة وكان الأجدر بهؤلاء الباحثين ان يبحثوا عن جرى الانسان النظري الطبيعي اهو مفطور على الصدق والتصديق ام على الكذب والتكذيب ؟

ان من امعن النظر وحققه وجرب الواقع ومحصه يرى ان الانسان مجبول على قول الصدق ومفطور على تصديق كل ماسمع . هذه هي حالته الطبيعية لما نرى ان الصغار الذين هم في حالة السذاجة وعلى الجرى الفطري الطبيعي الذين لم تعلهم الحوادث والطوارئ والاحوال المكتسبة لايكادون يكذبون خبرا ولا يكذبون في خبر . نعم قد نرى من بعضهم في بعض الاحيان ما يشوش هذا الخلق الطاهر كالذهول والنسيان ، لكنا إذا اعتنينا بهذه النكتة السوداء المكدرة لصفاء هذا الجراء الطاهر المستقيم نرى ان ذلك مرض من الأمراض العارضة المختلفة باختلاف أسبابها و باختلاف المتأثر والقابل ، فالنسيان باقسامه قد يظن بعض الناس انه

لازم طبيعي للبشر وليس الأمر كذلك — وانما هو مرض أو شبيه بالمرض — ويصح ان يقال ان كل ما انتقش في الحافظة لا يزول ويمحى بالكلية وانما إذا صرفت همة الانسان وقصده الشواغل فهو يذهل عن بعض ما انتقش في حفظه فاذا استعجل وترك التفتيش عما في هذه الخزانة المحكمة المصونة ولم يميز ما يأخذ منها فربما ركبت له هذه الحركة الفكرية الخفيفة الغير المنتظمة صورة بدل صورة أو صورة مركبة مما في هذه الخزانة لما قدمنا — أو لانه ضعف أخذه لها حين حفظها لضعف قصده ونحوه وحينئذ إذا أراد ان يخبر عن ذلك وقع في خبره الخلل . ودواء ذلك صدق القصد ابتداء واستمرارا وانتهاء أي وحينما يريد ان يحدث بذلك . وذلك يكون بالمراجعة والمذاكرة مع من يشاركه في ذلك وعلى الأقل بالرجوع الى نحو كتاب دفعا للطوارئ التي تتناوبه وتشوش استمرار شعوره بما حفظ . يوضح ذلك ان الانسان كثيراً ما يتذكر ما نسيه والوجدان شاهد ذلك . وكما ان الذهول يكون فيما حفظه الانسان كذلك يكون فيما يتلقاه ويشاهده في الخارج والواقع . وانتقاش الاشياء في الحفظ يختلف قوة وضعفا باختلاف الاستعداد والتوجه وقوة الاكتساب حين الأخذ . فظهر بذلك ان النسيان ليس بوصف ذاتي لكل انسان لا ينفك عنه إذ لو كان كذلك لم نحفظ شيئاً لامتناع قيام الشيء الذاتي ونقيضه بمحل واحد فالقوة التي نحفظ بها ليست هي قوة النسيان ولا سببه وانما النسيان ذهولنا عن تمييز ما حفظناه لسبب مّا — مما قدمناه — واذا كان الصدق والتصديق هو أصل الفطرة فما يعارضه من نسيان وكذب فانما يكون لأسباب طوارئ وعوارض لمن انحرف ومال عن مقتضى الفطرة الطبيعية وقد عرفت دواء النسيان ودواء الكذب الذي لا يضاهيه دواء هو استشعار خوف الله المطلع على كل خفية . وعليه فلا يبعد ان نقول يمكن ان يكون مضى على البشر زمان لا يعرفون فيه غير الصدق والتصديق لعدم أسبابه أو ضعفها . وعليه فما نراه من تصديق بعضهم بعضا في جميع شؤونهم هو وارث بقاء ولذا نراهم يستهجنون الكذب والكذابين حتى رسخت قباحته وصارت من الضروريات واستحسنوا الصدق حتى صار من المستحسنات وبما قررناه يثبت ان الاصل في أخبار الآحاد هو

إفادة العلم واليقين . الا ان فساد الأخلاق قد غير من ذلك كثيراً ممن خرج عن الفطرة وعن الدين . لكن لا يجب ان لا يبقى من ذلك شيء يفيد الصدق اذا كان المخبر والمخبر ممن تهذبت فطرتهم وقوي تمسكهم بالدين مع استعمالهم لجميع الأدوية المانعة لطرو مرض النسيان فليتأمل الناظر

قول الفاضل « ان أخبار الآحاد لا تفيد اليقين » ان أراد ان بعضها لا تفيد ذلك لضعف حاملها اما لانه عرف بالخلط والخبط في أخباره أو لانه كان مظنة لذلك فهو صحيح في بعض الحالات لا في بعضها الآخر حيث يعلم انه يشارك المخبر في مضرة الكذب وانه لا غرض له فيه أو انه يخاف عقاب المخبر ان كذب عليه ففي هذه الصورة قد يفيد خبر الواحد الفاسق الظن الراجح أو العلم لبعض الناس ولذلك لم يأمر الله برد خبره ولا قبوله الا بعد التبين — وان أراد حضرته ان كل فرد فرد من أخبار الآحاد وأحاديثهم لا تفيد كل فرد فرد من المخبرين (بفتح الباء) العلم فالواقع والعقل يكذب هذه الدعوى . ولا عبرة بقول من تقدمه بهذا الاطلاق كائنا من كان . نقول ذلك ايثارا للحق والحقيقة غير طاعنين في ذواتهم وفضلهم

انه مهما قال من خالف ما ذهبنا اليه ومهما جهد في التشكيك والتشويش مما يظن انه تحقيق وتدقيق فانه لا يستطيع ان يغير الفطرة التي لا يكاد ان يخرج عنها فرد من البشر مختارا أو ملجأ وان من خالفنا فانه لا وجود لخلافه لا في الواقع ونفس الأمر ولا في الاعتقاد وخلافه لا يتحقق بأكثر من الوجود في القول والعبارة . لأن الانسان ملجأ بالضرورة في أكثر شئونه ان لم نقل في كلها الى من يعتمد عليه في التعاون ولا واسطة لذلك تقوم مقام الإفهام والتفاهم في الأمر والاخبار

ولما كان الإنسان مدنيا بالطبع كان التصديق في الافهام والتفاهم طبيعيا له . ولما كان الارتفاق والاجتماع البشري يشتمل على كثير من العلوم أكثرها ضروري له فمن اشترط لهذه العلوم غير طرقها كان محصل قوله ونتيجته انكار هذه العلوم واهمالها الذي من لازمه تفكك هذا الاجتماع البشري ومحو علوم هذا الارتفاق وهو غالط . ومنشأ هذا الغلط أخذ المتأخر قول من تقدمه أصلا ثابتا بدون نقد

وتثبت فيه كما يقال ان العلم واحـــد لا يكون بعضه أقوى من بعض أو انه لا يقبل الزيادة والنقصان أو انه لا يتفاوت في جزئياته أي لا يتفاوت في من قام به من الاشخاص أو ان الطرق المؤدية اليه شرائطها واحدة وان مقدماتها لا تقبل احتمال النقيض حتى بفرض المانع الذي لم يتحقق وجوده ونحن لا نقبل هذه الأقوال ونحوها على اطلاقها لكن بعـــد التفصيل والتقييد · فمن اشترط في علم المعلوم تحقق علته وسببه في نفس الأمر وصفاته ولوازمه كذلك وعدم الموانع كذلك فقد كلف نفسه مالا تطيقه وطمع فيما يكاد ان لا يكون للبشر فيه مطمع — والعبرة عندنا في ذلك اطمئنان النفس فان كان ذلك كسبيا فلا بد من بذل الجهد في الدليل بحسب الاستطاعة· والحاصل ان العلوم كثيرة والطرق المؤدية اليها كذلك وهي مختلفة وطرقها كذلك ولـكل شرائط لا يمكن التزامها في الأخرى فعـلوم الاجماع والارتفاق كاللغات ومتعلقاتها وعلوم الشرائع والأديان وملحقاتها وكذلك علوم الآثار والتاريخ والطب ونحو ذلك لا يمكن كل أحد ان يكتسبها بالعقل أو بالحواس مباشرة وذاتا فلا بد من الواسطة فتشترط فيها ان تكون مما تطمئن النفس اليها لا مطلقا بل بعد بذل الجهد المستطاع — وبنا على ذلك فمن بلغه حديث ولم يقصر عادة ثم اطمأنت اليه نفسه فقد حصل له العلم واليقين ولا عبرة بالخيالات لم تشوش جزمه واطمئنان نفسه ·المسلمون تطمئن أنفسهم إلى هذه الأحاديث المكتوبة عن الثقات الضابطين والأئمة العارفين فهي تفيد أكثرهم العلم

وتقول لحضرة الفاضل ومن قال بقوله ماد ليلكم على ان احاديث الآحاد لا تفيد اليقين ؟ فاذا قال ان كل فرد من البشر يجوز منه وعليه الكذب والذهول والنسيان، وكل من جاز عليه ذلك جاز ان ينسى الخبر و يكذب فيه ،واستنتج ان كل فرد فرد من البشر يجوز ان ينسى خبره او يكذب فيه · فاذا ترتب على ذلك كبرى وهي وكل من كان كذلك خبره يحتمل ان يكون منسيا او محفوظا وكذبا او صدقا فالنتيجة أن كل فرد فرد من البشر يحتمل ان يكون خبره منسيا أو محفوظاً وكذباً او صدقاً · هذا غاية ما يمكن ان يقولوه في الاستدلال وهو كما تراه يفيد ان خبر كل فرد فرد يحتمل الصدق والكذب · ونحن لا نسلم صحة الكبرى التي

اسس عليها واهل المنطق لم يقولوا بذلك بل قالوا القضيه قول يصح ان يقال لقائله انه صادق فيه أو كاذب . ولم يتعرضوا لنسبة ذلك الى المخبر فتفكر

وما ذكره الفاضل حفظه الله اما ان يكون مراده انها لا تفيد اليقين في حد ذاتها أم من الواقع والذهن وإما ان يريد انها لا تفيد ذلك في أحدهما. وعلى كل تقدير فهو ترجيح لأحد الاحتمالين بلا مرجح . لأن لا دليله يفيد ولا ينتج الا انه يمكن ان تفيد اليقين ويمكن ان لا تفيده كما ان صريحه أنه يحتمل ان تكون الاخبار صادقة ويحتمل ان تكون كذبة — فالاقتصار على احد الاحتمالين مغالطة وهذا ان سلم فانما يكون قبل الاختبار والفحص في المبينات الخارجية — أما اذا نظر في ذلك وفرضناها في الخارج فهي لا تكون الا صادقة او كاذبة. فان قال مرادنا ان ما كان محتملا للصدق والكذب لا يفيدنا احدهما اليقين بذاته فصح قولنا خبر الآحاد لا يفيدنا اليقين كما انه لا يفيدنا نقيضه . قلنا هذا لا يصح الا بعد ثبوت وتسليم اشياء كثيرة منها ثبوت ان كل فرد فرد من المخبرين (بفتح الباء) يجب ان يستشعر احتمال النسيان والذهول والكذب وجوازه في كل اخبار المخبرين (بكسر الباء) . ودون القول بوجوب ذلك وجوده في الواقع كذلك خرط القتاد — لجواز ان يكون فيهم من لا يستشعر ذلك اصلا او يستشعرها لكنها تكون عنده ضعيفة بحيث لا تمنعه عن التصديق بخبر الآحاد لأن الواقع والمشاهد ان اكثر الناس يجزم بخبر الآحاد ويصدقون بها . وما ذلك الا لما ذكرناه وانه دليل على صحة ما قدمناه من ان من فطرة الانسان وطبيعته الصدق والتصديق وان ما يعرض لذلك من احتمال النسيان والكذب طوارئ عارضة نادرة والنادر قل ان يلتفت اليه في اكثر أمور العامة وأكثر الناس عامة .

وأيضا هذه الطوارئ العارضة قد عرف الناس انها لا تكون الا لأسباب إما اعراض الكاذب او تقصير في الضبط والحفظ وما لم يقو احتمال وجودها لا تقوى أن تكون مانعة للجزم والتصديق بالخبر الى غير ذلك . فان ابى الا المناقشة وقال لا عبرة بالعوام اذا كان التحقيق عند المحققين ان هذه الاحتمالات عارضة ومانعة عن التصديق باخبار الآحاد . قلنا يلزمك اولا ان كل ما يجزم به العوام من كل ما

ادركوه كذلك ان لايكون علماؤهم حجتهم ؛ وثانيا انا لا نسلم اتفاق المحققين على ما ذكرت بل اكثرهم يعطون كل خبر مما يوجد في الخارج ما يستحقه وهم يعلمون ان بعض المخبرين صادقون وبعضهم كاذبون وكذلك اخبارهم . فان سلمنا ان بعضهم يقول ان خبر الآحاد يفيد الظن الراجح او انه لايفيد العلم فانما يقول ان ذلك شأنه في حد ذاته لا بالنظر الى حال المخبرين والواقع في نفس الأمر . وان اراد بعضهم غير ذلك فقوله عندنا ركيك ولا بد ان يكون فعله وعمله يكذب قوله ولا خير في قول يكذبه فعل قائله

ونقول ايضا انا لا نسلم الصغرى التي اسست عليها دليلك لا كلية ولا دائمة . بيانه ان الكاذب لا يجب ان يكذب دائما ونحن يمكن ان نميز كذبه في بعض الأحيان واذا كان يجوز ان نعرف ما يحتمل ان يكون كذبا ومالا يحتمل لم تصح ان تصدق الصغرى كلية دائمة واذا كان يوجد كثير من الناس اهل كمال وفضائل لا يكذبون ونحن نعرفهم بسيماهم وبالتجربة الصحيحة بطل صدق الكذب في أخبار الآحاد كلية فالأخبار التي لا تؤخذ الا من مثل هؤلاء لا يصح ان نفرض فيها احتمال كذب الراوي فهي صادقة وسالمة عن ان يشوشها احتمال الكذب

أما احتمال الذهول والنسيان فقد قررنا انه إما ان يكون سببه مرض طارئ وحادث ومن كان مصابا بمرض في حافظته لا بد وأن يكثر ذهوله ونسيانه ومن كان كذلك حاله فهو يعرف لكل من عاشره وخالطه ، وإما ان يكون سببه تقصير في الحفظ والضبط وهذا يعرفه من قارنه وصاحبه في الطلب والتلقي حين المذاكرة والمراجعة . وكل من عرف بما ذكرناه فحديثه مردود عند أهل الحديث الا ان الثاني قد يتقوى بالشواهد والقرائن في بعض الحالات فظهر انه مع ندور طرو هذه العوارض يمكن ان نميز من تكون هذه الاحتمالات في أخباره ومن لا .

ونقول اذا صح ان يوجد في البشر من يجب ان يكون صادقا لتقاه وورعه وعدالته ولا نظن ان حضرة الدكتور ينكر وجود هؤلاء بالكلية فاذا سلم قلنا له انه يمكن الاحتراز عن الذهول والنسيان بأشياء وطرق كثيرة ـ كالمراجعة والمذاكرة والكتابة والدرس والتدريس وكثرة الحاجة الى العمل . وهذه موانع للنسيان ومعينة

على الحفظ مع سلامة العقل وصدق القصد وهذه من المجربات الذي اتفق على تجربتها كل الناس وشهدوا بصحتها فمن نازعنا في ذلك ألزمناه ان يطعن في جميع المجربات بل في المحسوسات بلازمات لامحيص له عنها ان شاء الله . فظهر ظهورا لاغبار عليه ان قول المعارض الفاضل حفظه الله ان كل فرد فرد من البشر الآحاد يجوز عليه الذهول والنسيان في خبره لايصح لادائما ولا كلية لافي المخبرين (بالكسر) ولافي المخبرين (بالفتح) ولافي الخبر كذلك كما تقدم واذا بطل دليلهم ثبت ان بعض أخبار الآحاد تفيد بعض الناس العلم وهو المراد

ونقول ان من ذهب الى ان أخبار الآحاد لاتفيد اليقين أي العلم فقد خالف البرهان وخالف ما اتفق عليه الناس في جميع شئونهم . ألا ترى اعتماد كل فرد منهم واطمئنانه الى خبر أبيه وأمه وزوجه واخوانه وخلانه ، وأقرابه وأقرانه ، وأصدقائه وجيرانه ، وغيرهم . وتراهم يرسلون أموالهم مع هؤلاء ومع الخدم والأعوان والاولاد الصغار المميزين اعتمادا ووثوقا بأخبارهم لافرق بين المرسل والمرسل اليه يكون ذلك مع الاطمئنان الكامل والطمأنينة لاتوجد مع احتمال النقيض . ان التاجر ونحوه والمرابي البخيل المقتر يعتمد على مثل ذلك في معاملاته ومراسلاته وفي مصدره ومورده من أموره وثروته التي هي عند بعضهم أعز عليه من نفسه فلولا حصول العلم الذي تطمئن اليه نفسه لم يقدم على فعل مافعل وترك ماترك اعتمادا على أخبار لايثق بها بل هي تحتمل الصدق والكذب ، ومثل من ذكرناهم جميع البشر في جميع شئونهم فاذا رأينا من يشكك بالقول دون الفعل يبدي احتمالات قد تصدق على بعض الاخبار بعد تعينها فهل يصح ان نقول يجب ان تكون جميع الاخبار كذلك في الواقع تحتمل ذلك أو ان نقول انه لايوجد من يصدق بأخبار الآحاد وتفيده اليقين ؟ وهل يجوز لنا اعتماد قول هذا القائل لاسيما اذا كان قوله يخالفه فعله؟ وهل يوجد فرد من البشر سليم العقل لايحصل له العلم ولا يعتمد على خبر الآحاد في جميع حالاته

نحن لاننكر انه يكون في بعض أخبار الآحاد مايفيد الظن بل بعضها لاتفيد أكثر من الشك وبعضها تقطع بكذبه الا انا لاننكر الواقع ونقول ان كل فرد

فرد دائما لا يفيد العلم واليقين مطلقا لما عرفت انا ان قلنا بهذا القول فقد أسأنا الظن بأفراد الانسان كلهم حتى الأمراء والعلماء وان جزمنا بذلك فمع مخالفتنا للعقل فانا لا يمكننا ان نعيش بينهم بعيشة طيبة ٠

ومن الادلة على ماذكرناه فوق ماتقدم ان الله أرسل أكثر رسله فردا فردا ولم يرسلهم دفعة الى الناس كجمع التواتر الذي يزعمه التواترية وما ذلك الا لأن خبر الآحاد الذي ذكرناه قد يفيد العلم

فان قيل ان الرسول مؤيد بالمعجزة قلنا ان التأييد بالمعجزة انما يكون في بعض الاحيان ٠ وأيضا ليست هي شرطا في الارسال لانها انما تكون اذا وجد الجاحد المكذب أو من حصل له الشك أو نحوه ٠ أما على قول التواترية فذلك لا يصح ومن لازمه ان لا يحكموا بايمان من آمن برسول من رسل الله عليهم السلام الا بعد ان يرى المعجزة أو غيره بها عدد التواتر ويتحقق انها معجزة لأن ماسوى ذلك لا يفيد العلم واليقين ٠ لكنه خلاف المعلوم بالضرورة من سيد الانبياء عليهم السلام وخلاف ماعلمناه بالضرورة من تلقي البشر عنهم وتصديقهم والايمان بهم و بشرائعهم ٠

أفليس من المعلوم ان الرجل الواحد من البدو والاعراب وغيرهم كان يأتي الى رسول الله (ص) فيؤمن به ورسول الله (ص) يحكم بايمانه وا كثر أولئك وغالبهم لم يروا معجزة ولم يسألوا عنها، غايته ان بعضهم له فراسة تدله على ان هذا الرجل (ص) صادق لأنه يدعو الى البر والعدل فبذلك حصل لا كثرهم الايمان — وبعضهم حلف النبي (ص) وا كتفى بذلك حيث اطمأنت اليه نفسه واولئك أعلى المؤمنين بعد الانبياء ايمانا حتى انهم بذلوا أنفسهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ولتكون كلمة الله هي العليا

ان من يشترط التواتر في افادة الاخبار العلم واليقين يلزمه ان يقول ان مثل هؤلاء السادات لا يصح ايمانهم وانهم لم يحصل لهم ايمان ٠ نحن لا نقول ان حضرة الدكتور يقول ذلك ويلتزمه لا هو ولا من وافقه من العلماء الذين يقولون ان اخبار الآحاد تفيد الظن ولكنا نقول ان اختياره ذلك تبعا لهم هفوة من لازمها ما ذكرناه وما استلزم الباطل فهو مثله ويجب الرجوع عنه

ونقول ايضاً لو صح ما قلتم لم يصح ان يوصف احد من افراد البشر غير المعصومين بانه صادق لان المتكلم بغير الواقع في الاخبار لا يكون صادقا والقول بذلك يناقض ما دل عليه القرآن الكريم مثل قوله تعالى (وكونوا مع الصادقين) واخبر بأنه ينجي الصادقين بصدقهم ووصفهم بالصدق وانه يجيبهم بصدقهم الموجود ومدح الذي جاء بالصدق والذي صدق به وان الصدق ينفع يوم القيامة ومدح الصادقين والصادقات وذم وتوعد الذي يكذب بالصدق اذا جاءه والذي يعرض عن الصدق . وبعض هذه الآيات هي وان كان سبب نزولها خاصا لكن في العدول الى الألفاظ العامة ما يؤيد ما تقرر عند أهل الاصول — ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ فظهر بذلك ان الصادق والصدق الذي هو العلم موجود وأنا مأمورون بقبول ذلك واتباعه وما ذكره الله مما قدمناه انما هو الصادق والصدق من الآحاد ولو كان العلم واليقين والصدق لا يحصل الا من اخبار الجموع المتواترة لم يصح ان يوصف الواحد والاثنين بل ولا العدد المعين بصفة الصدق وهذا بين البطلان عرفا وعادة ونقلا وعقلا

لا ندري ما العذر المقبول لمن سمع قوله تعالى « كونوا مع الصادقين » اذا رد خبر الصادق الذي قد عرف صدقه وانه من الصادقين العدول ؟ فان قيل كيف نعرف انه صادق — وصدق الشخص في بعض الامور مما يصح ان يخفى علينا ؟ قلت قدمنا الكلام في انه هل يمكن ان نعرف الكذب والكاذب ام لا وسيأتي مزيد كلام عليه اما كون الشخص ممن عرف بالصدق فذلك بين وهو لا يسمى صادقا الا بعد ان يعرف بالتجربة ويتصف بالتقوى — لان التصديق والايمان قد اعتبر معرفتها بالدلائل الظاهرة وذلك من باب الاستدلال بالاثر على المؤثر وبلازم الشيء على الشيء — كما قال تعالى « فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار » الآية ونحن لا نعلم ما في القلوب لكن لما كان الايمان بالانبياء وشرائعهم من لوازمه اشياء ظاهرة يتعين ان لا يوجد بعضها الا بسبب الايمان ساغ ان يستدل بها على وجود الايمان فكان العلم بها علما بالايمان

ونقول أيضا ان الله جل وعلا كما أمرنا بأن نصدق الصادقين لم يأمرنا برد خبر

الفاسق بمجرد سماعه بل أمرنا بالتبين كما قال تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية وفي ذلك من الحقائق الدقيقة والجليلة مالا يقدر قدره الا من رزقه الله الفهم في كتابه كما قال بعضهم كأنه تعالى يعلمنا و يرشدنا الى قواعد هي من أصول العدل واتقاء خلال الاجتماع والارتقاء وأعظم أسباب الظفر والسلامة فقوله تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) هو أمر بالتأني والتبصر في خبر الفاسق صراحة والى ماشاركه وماثله من بعض الوجوه اشارة وما ذلك الا لان الفاسق قد يصدق فلا يليق ان يهمل خبره بالكلية بل لا بد من التنبه والحزامة والاستعداد فلا نبقى في غفلة وسبات وبما ضرت بنا ولا نصدقه فيما يضر بمن أخبر عنهم لئلا نندم على مافرطنا ولئلا نخسر مودة اعوان وانصار ونحوهم والتبين والتأني في نحو ماذكرناه هو كالاقتصاد في الاخذ والعطاء ونحوه من أمور الثروة والاقتصاد

قلت ولما كان الخبر لايخلو اما ان يكون معتبرا في الرواية وهو الثقة الضابط أولا يكون كذلك وهو الفاسق في الاخبار والرواية وإما ان يكون بين بين وهو غير المعروف حاله فالثاني صرح بحكمه في هذه الآية ولما كان مفهوم حكم الفاسق يتناول الشيئين اللذين ذكرناهما لم يوجب التبين والتأني بل ترك ذلك الى عرفنا وما تطمئن اليه أنفسنا وهذه حكمة بالغة في تأسيس القواعد تفهم من حكم واقعة شخصية معينة في القرآن - ومن جهة أخرى نحن اذا عرفنا حكم الفاسق فكأنه نبه به على حكم مقابله وهو الضابط الثقة العدل لانه قد انفرس في الفطر والعقول ان الشيء يعطي نقيض حكم مقابله وذلك مقتضى التقابل - ومفهوم الأمر بالتبين اما النهي عنه كما عرفت وهو حكم المقابل وإما الندب الى عدمه وإما الاباحة واما الارشاد الى ان حكم ذلك راجع إلى العرف وما تطمئن اليه النفس كما قدمنا ذلك وعلى كل تقدير فمفهوم هذه الآية مخالف لما ذهب اليه حضرة الفاضل من أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين أو انما تفيد الظن المذموم وذلك ظاهر لا نطيل بتفصيل وجوهه

نحن اضطررنا الى الاحتجاج بعمل رسول الله (ص) وسائر الانبياء عليهم السلام في إرسالهم الآحاد للتبليغ عنهم وتلك حجة لا مناص لمن يشترط التواتر في ذلك عنها وحضرة الدكتور الفاضل لم يجب عن ذلك ولا عن غيره بجواب شاف فاما

قولك ان أولئك كانوا نوابا وولاة امور ولاة أمر الرسول (ص) فليس الامر كذلك بل فيهم من ليس كذلك . ولو سلم فليس طاعة ولاة الامور في الدينيات بأكثر من طاعة العلماء . بل المعروف من دين الاسلام ان من لم يعلم شيئاً فالواجب عليه ان يسأل أهل العلم لا فرق في ذلك بين امير ومأمور على انه قد دل القرآن الكريم على وجوب الدعوة الى دين الله وقد تواتر عن النبي (ص) الأمر بذلك وقد اجاز وامر بالتبليغ عنه اجازة عامة لكل أحد بشرط ان لا يكذب عليه وكل عالم هو في الحقيقة نائب في التبليغ عن النبي (ص) وطاعته فيما يبلغ عن الله ورسوله (ص) واجبة

أما قول الفاضل فوجوب طاعتهم انما هي لأنهم ولاة امور . فجوابه انا لم يكن بحثنا في وجوب الطاعة وانما البحث في التصديق بالخبر في امر ديني محض ومن المعروف شرعاً انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق على انه قد اختلف المفسرون في المراد من أولي الأمر في قوله تعالى « أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم » فمنهم من قال هم الامراء ومنهم من قال هم العلماء

أما قوله ان الرسول يمكن أن يعلمه الله بالوحي فيتدارك الخلل في أقرب وقت الى آخره فنقول هذا لا يمنع استدلالنا على وجوب العمل باخبار الآحاد ؛ لأنه اذا وجب التصديق على المرسل اليهم او من بلغهم الحكم فاستدراك ذلك بالتكذيب والعزل ونحوه لا يضرنا في الاستدلال لأنه على كل تقدير قد وقع للمخبرين (بالفتح) العلم بخبر هؤلاء وعلى الأقل وجب عليهم العمل بذلك وهو المطلوب . ونقول ايضا انه لو لم يتبين بالوحي كذب هؤلاء كأن مات النبي (ص) وهو على ولايته اياترى ماذا يفعل الناس ؟ أليس من لازم ذلك انك ألصقت بالدين تهمة شنيعة وهي وجوب طاعة الأمراء في كل شيء حتى الدينيات المحضة وهذا مما لم يوجبه لانفسهم الامراء المستبدون وانما يتداخلون في هذه الأمور بتوسط فتاوي العلماء فيا خيبة الاحرار ويا للبشرى للمستبدين من رواج هذا المذهب ولنكتف بالتنبيه على مثل ذلك لظهور فساده فان دعت حاجة عدنا بالتفصيل التام لهذا المقام ان شاء الله

ونقول أيضا انه قد تواتر النقل الذي لم يشذ عنه فرد من الأمة الاسلامية ان الاصحاب الكرام (رض) قد احتجوا على من بعدهم و بعضهم على بعض بما رووه

عن النبي (ص) فلو كان العمل لايجب بخبر الآحاد ولا يلزم التصديق به لم يسغ لاحد منهم الاستدلال والانكار واللوم الا اذا كان معه عدد كثير يؤيدون خبره بأن يكونوا مثله قد سمعوا ذلك عن رسول الله (ص) وحيث لم يكن ذلك لامن المخبر ولا المخبر (بالفتح) علم أن من اشترط التواتر في وجوب العمل بالاخبار قد خالف طريقهم التي درجوا ومضوا عليها وأمرهم الله ورسوله (ص) بسلوكها في التبليغ. ولو كان مازعمه حضرة الدكتور الفاضل صحيحا لانسد باب التبليغ عن الرسول (ص)

قال حضرة الفاضل في الكلمة الرابعة أولا قد يكون الراوي كذوبا لكنه منافق ومتظاهر بالصلاح الى آخره. وأقول ان أراد ان ذلك يكون بكثرة أوان الرواة المشهورين يمكن ان يكونوا كذلك فقوله غير صحيح ولا يلتفت اليه من أخذ من فن الرواة والحديث نصيبا. وان أراد ان ذلك قد يكون شاذاً ونادرا وان أهل الحديث يعرفون ذلك فذلك مسلم وقد وجد من هذا حاله ليشكك المسلمين في الرواية وغيرها وقد أخبر بذلك النبي (ص) لكن أهل الحديث قد عرفوا هؤلاء وكشفوا عن حالهم ومن كان بهذه الصفة هو مهما بالغ في التستر فلا يمكنه ان يروج حيلته عليهم لانه لم يعرف بعد التفحص ان أحدا من أئمة الحديث اعتمد ووثق من بان ان حاله كذلك فمثل من هذا حاله انما يعمد الى العوام حيث يكون بعيدا عن العارفين من أهل الحديث فحديثه لو وجد فانما يوجد فيما يتتبعونه من الشواذ المناكير ونحوها التي اذا كتبوها يفردون لها كتبا مخصوصة لئلا يغتر بها أحد من العامة في العمل بها أما في الرواية المعتبرة عندهم فمثل ذلك معروف تركه ومن عرف طريقة المحدثين في الاخذ والتحمل والاداء وشرائطهم في الرواية والرواة الذين يطلقون على مارووه الصحة والتحسين يعرف انه لايمكن الدخيل ان يدس فيه كذبا أو يروج فيه زورا ومن ذا الذي يمكنه ان يمضي كل عمره في التستر وكتمان جميع أسراره حتى من أصدقائه وخلانه الذين يمكن ان تفلت على أحدهم ساقطة من أمره. انه لايمكنه ارضاء الناس كلهم ليستروا عليه لاسيما أهل الورع. على انه ان كان لأحد الناس القدرة على ذلك فان لاهل الحديث طرقا يعرف بها حال أمثال هؤلاء لأن من شرط الراوي الثقة ان يكون معروف الاسم والنسب والذي لايعرف كذلك هو مجهول عندهم. وأما مايرى من

ان بعض الرواة غير منسوب في بعض كتب المحدثين فذلك نادر وهم لا يكتفون بذلك الا فيمن عرف عندهم حاله ومن تتبع ذلك عرفه

ولهم طريق أخرى في معرفة المستتر المشار اليه وذلك بمعرفة بلده ومنشئه — وأخرى ان يكون ممن عرف بالطلب والأخذ عن أهل هـذا الفن المشهورين قال بعضهم ادركت بالمدينة مائة كلهم مأمون لا يؤخذ عنهم الحديث يقال انهم ليس من أهله — وأخرى وهي ان لا يكون ما يرويه مخالفا لما رواه المعروفون عن ذلك الشيخ — وأخرى وهي انه لا بد ان يكون الراوي ممن عرف بالفهم والمعرفة وكثرة السماع والمذاكرة — وأخرى وهي ما اذا كان لذلك الشيخ رواة فشرط ان لا يتفرد برواية شيء دونهـم — وأخرى ان لا تكون في مروياته نكارة . أقول والمنافق الذي يريد ان يشكك المسلمين ويشوش عليهم دينهم لا يسلم مرن وجود النكارة في حديثه لان ذلك غرضه الذي تظاهر بالصلاح والتقوى لأجله وان لم يفعل ذلك فتستره لم يعد عليه بفائدة فظهر ان ما يسمه أهل الحديث بالصحة وما يعتمدون عليه في الاحتجاج لا يصح ان يوجد فيه ما يروى عن المنافقين ولا ماهو مكذوب لا أصل له — وفوق كل ذلك لطف الله وعفوه عن الخطإ والنسيان « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا » وقد صح ان الله قال قد فعلت

اما تجويز كون بعض الرواة قد يخطيء المراد اذا حـدث بالمعنى فجوابه انهم رحمهم الله لم يهملوا ذلك بل اشترطوا للتحديث بالمعنى شروطا لا يمكن لأحد منهم ان يروي الحـديث بالمعنى بدونها — فمنها ان يكون ممن عرف بمعرفة معاني الحديث ذا اقتدار على اختيار الألفاظ العربية الصالحة لذلك فان قيل كيف نعرف انه فعل الواجب المشروط . قلت لأنه ثقة ضابط من أهل الصـدق والايمان فهو يتحرى الصواب تدينا وخوفا من الله تعالى فلا بد والحالة هذه ان يروي ما هذا حاله اما بالشك — أو انه اذا أوجس من نفسه قصورا في التعبير يصرح بان هذا نقل بالمعنى كأن يقول أظن معناه كذا وحينئذ ينظر حال الراوي المذكور فان كان ممن عرف بالمعرفة مستكملا الشروط قبل حديثه والارد . وفوق كل ذلك نعرف خطأه ان اخطأ في التعبير بالمعنى بان ننظر في الأحاديث التي رواها عن شيخه غير هذا

الراوي فان وافق معناها معناه والا عد حديثه من الشواذ أو المنا كير فهذه طريقة فوق ما تقدم تشترط عندهم في من يحدث بالمعنى وبهما يعرف خطأه اذا ضعفت معرفته المشروطة بعض الضعف و بذلك يكون مطعونا فان كثر ذلك منه تركوا . فلا خوف على الحديث من الكذب ونحوه وقد تلقاه الأئمة الكبار والحفاظ الابرار وكتبوه بعد التحري وكمال الفحص مطابقا لشرائطهم ولبعضهم شرائط أكثر من غيره وما ذكرناه هو المجمع عليه عندهم وهذه الكتب الذي كتبوها قد نقلها عنهم الأمة نقلا عاما وأجمع أهل العلم بعد الفحص على أكثر الصحيح ووسموا كل حديث بسمته و بينوا حاله وقربوا البعيد لمن يريده بغاية السهولة و بما ذكرناه يندفع كل طعن يمكن ان يقال

قال وقد ينسى شيئا مما سمعه وتم في النقله بسبب ذلك بدون ان يشعر به . وقد قدمنا الكلام على مسألة النسيان . ونقول اولاً ان الائمة الحفاظ الثقات والعدول الاثبات لا يكاد مسلم يسيء الظن بحيث يتهمهم باهمال ما سمعوه من حديث رسول الله (ص) بان يعرضوه للذهول والنسيان لانا نعلم ان من اعتني وتعهد ماسمعه بالمذاكرة والمراجعة ونحوها كالكتابة فاذا حدث مع كمال الاحتياط والأناة والتأني والتبين لا يقبل العقل عدم شعوره بالنسيان البعيد التوقع ان وقع — علمنا ذلك بالتجربة الصحيحة المطردة التي اجمع عليها البشر كلهم كما قدمنا الكلام على ذلك ان من يقع له السهو في أمر ما فانا جازمون بانه لم يقع له ذلك الا بتقصير وقع منه فليتهم نفسه . ولذا قلنا غير مرة أن الراوي الثقة ان وقع لسهو نادر فهو يذكر المروي بالشك مالم يتبين

ان من لم يكن بالحالة التي عرفت ليس هو عند اهل الحديث من الاثبات فهم لا يأخذون بحديثه ولا يصححونه ولا يقبلون مروياته — فما فرضه الفاضل انما يكون في غير رواة الحديث الصحيح المحتج به فلا يراد ليس في محله . وليس رجال الحديث الصحيح الا مثل من قد جربته من خلانك الذين طالت صحبتك معهم حتى عرفتهم وعرفت صدقهم ونصحهم . فاذا ارسلت أحد هؤلاء برسالة تلقاها منك حتى حفظها ثم لم يزل يرددها على لسانه وقلبه فان كان له شريك فهو يتذاكر في ذلك

معه او يتصفحها في مكتوب عنده افلا يكون مطمئنا بخبره منك من عرف حاله مثل معرفتك ؟ فاذا كان خبر مثل هذا مما تطمئن النفس اليه ، ولا تقبل التشكيك فيه ، فما بالك برجال ثقات ضباط علماء اتقياء حفظوا حديث رسول الله (ص) وجعلوه شغلهم لا يرحلون ولا يقيمون الا في خدمته وحفظه وتنقيته مما يشوبه قد انقطعوا لذلك ووقفوا انفسهم عليه بالكتابة والمراجعة والمذاكرة والفرس والتدريس والدعوة اليه والعمل به يأمرون بامره ، وينتهون وينهون لنهيه ، صدقوا بخبره ووعظوا واتعظوا بعبره ، امتلأت قلوبهم رهبة وخوفا من مخالفته ، والكذب عليه (ص) معتقدين انه هو الدين ، الذي هو حق اليقين .

فان قيل هذا معروف ولكن الكتابة كانت نادرة في زمن الصحابة - قلت ان كثيرا من الصحابة كان يكتب او يستكتب والبعض الآخر مع كمالهم في الحفظ والاحتياط زيادة عن غيرهم فالذي يروى عنهم قليل بالنسبة الى المكثرين الذين يكتبون منهم والذين تبعوهم باحسان (رض) فذلك القليل لا يمكن ان يحدثوا به مع الذهول بدون ان يشعروا بما فيه من الخلل والنسيان وليس ما نراه من الاحاديث هو مرويا عن واحد منهم وانما هو مروي عن مجموعهم . اما ما قاله الفاضل حفظه عن عمران بن حصين (رض) فهو لا يدل على مدعى الفاضل وغايته ان صح ان يكون جرحا في من عناه على انه يحتمل التأويل لانه لم يبين المجروح ولا وجه جرح مبين وعمران المذكور (رض) قد حدث عن رسول الله (ص) باحاديث كثيرة

قال ان حفظ الاحاديث اذا كانت طويلة ـ الى قوله ـ عسير جدا وخصوصا اذا ألقيت مرة واحدة . وأقول لم يوجد حديث واحد من الاحاديث الصحاح طويل جدا مفرط حتى انه يندر ان يوجد فيها ما يقارب المفصل من سور القرآن في الطول والنبي (ص) لم يلق عليهم هذه الاحاديث دفعة واحدة ولا الرواة يأخذونها عن المشايخ كذلك بل كان النبي (ص) يتخولهم الموعظة وتارة قد يعيد لهم معنى ما حدثهم به في الايام الماضية فمن سمع ما كان قد سمعه تذكره وأتقنه ومن سمع جديدا حفظه هو أو غيره وكان (ص) يكرر الكلمة حتى يقولوا ليته سكت وعادته المطردة انه كان يكرر الكلمة

ثلاثا لتحفظ عنه وهم رضوان الله عليهم كانوا يتدارسون ويتذاكرون ماتعلموه منه (ص) وكانوا يجلسون لذلك في المسجد حلقا وكان يتناوبون الحضور لاخذ العلم عنه (ص) واذا غزا كان يأخذ من كل فرقة منهم طائفة ليخبروا اخوانهم اذا رجعوا اليهم . مع ذلك كله هم أزكى العرب وأصفاهم اذهانا وغير خاف ما امتاز به العرب من قوة الحفظ وصفاء الاذهان والذكاء المفرط حتى انهم كانوا يحفظون القصائد الطوال التي تنشر في المواسم مرة واحدة لاول وهلة فهل يستبعد احد أن يحفظ الواحد من الصحابة (رض) الجملة القليلة من الاحاديث التي كان يلقيها عليهم الرسول (ص) متفرقة في أيام وسنين وأعوام كثيرة وهم بالصفة التي عرفت وهم مع ذلك لايزالون يتذكرونها تارة من نفس قائلها (ص) وتارة من اقرانهم واخوانهم وأصحابهم للعمل والارشاد وغير ذلك كما تقدم . والاحاديث انما رويت عن مجموعهم (رض) على ان المكثرين منهم قد صح انهم كانوا كتبوا واستكتبوا ماسمعوه وحفظوه عن رسول الله (ص) وبعضهم عن بعض وكتابتهم لم تكن ككتاب يصنف في هذا الزمان وإنما كانوا يكتبون ذلك وقلما كلما سمعوا شيئا كتبوه وبعضها أشبه بدفاتر التجار اليوم — فاعتراضات حضرة الفاضل الثاني والخامس والسادس هي في الحقيقة ليست بواردة على ماعندنا من أحاديث النبي (ص) وانما هي واردة على أحاديث فرضية قدرها الفاضل في ذهنه وليس الحقيقة والواقع في الرواية عندنا إلا ماعرفناك فانتبه ولا تغفل

هذه الاعتراضات هي أشبه شيء بما اذا رأى بعض الناس بناء عظيماً كمنارة وقال كيف نصبت هذه ومن الذي حملها فنصبها دفعة واحدة؟ فاذا أخذ هذا العجب فانما ذلك لعدم علمه ولو درى انها انما بنيت بالتدريج لم يكن كذلك كما قال إذا عرف السبب زال العجب

هذا وإنه ليسوءنا من حضرة الفاضل حفظه الله ايراد مثل هذه المغالطات مع علمه بما ذكرناه ونحن لم نكن نظن انه بهذه المثابة وكذلك عجلته على ما ذكر من انه يريد ان يطبع رسالة فيما نحن بصدده قبل ان تتم المناظرة ويتبين له الصواب من الخطإ فنرجو من حضرته ان لا يطبع ذلك إلا بعد انتهاء المناظرة وبعد ان يتكلم مع شيخ الاسلام السيد محمد رشيد رضا لاجل ان يصلح ماشاء ان يصلحه — على ان الدين الحق لا يعدم انصارا والله المستعان (لها بقية)

آثار علمية أدبية

التقريظ والانتقاد

« كتاب دلائل التوحيد »

قد منّ الله تعالى على دمشق الشام بالشيخ محمد جمال الدين القاسمي ليكون فيها واسطة من وسائط الانتقال ، وحلقة من حلقات الاتصال ، بين الماضي الذي قد تدهور فيه المسلمون من عدة قرون ، وبين المستقبل الذي ينشده المتبصرون ، ويسعى اليه المصلحون ، فهو بصير في العلوم الاسلامية المتداولة في العصر ، متطلع الى ما يتجدد من المطبوعات العربية في كل مصر ، مجيد في الانتقاء من رديئها والانتقاء من جيدها ، حريص على الاستفادة منها والإفادة بها ، وهو يدرس ويطالع ، وينسخ ويصحح ، ويصنف وينشر

وآخر ما وصل الينا من مؤلفاته المطبوعة كتاب (دلائل التوحيد) في الكلام ألفه في سنة ١٣٢٥ وطبع في سنة ١٣٢٦ وهو في أسلوبه ومباحثه ، مصدق لما قلناه آنفا في وصف مؤلفه ، لم يقلد فيه المتكلمين كالسنوسي وواضعي الشروح والحواشي لعقائده ومن حاكاهم من المتأخرين الذين صارت كتبهم كالمتعبد بتلاوتها ، على علاتها وعدم كفايتها ، ولم يستقل بجميع مسائله بنفسه ، ويجعله خلوا من كلام غيره ، بل أورد فيه زبدة ما طالعه في كتب أساطين المتقدمين من الفلاسفة والمتكلمين كابن مسكويه والنصير الطوسي والفارابي وابن رشد والراغب والغزالي والعز بن عبد السلام وابن حزم وابن تيمية وابن القيم والقاضي عياض والماوردي وجمال الدين الخوارزمي والمرتضى اليماني صاحب إيثار الحق ، والمتأخرين كالاستاذ الامام ولكنه لا يذكره باسمه ولا بهذا اللقب الذي اشتهر به وانما يشير اليه بكلمة « حكيم » أو حكيم من المتأخرين . وقد نقل أيضا عن المنار ولم يسمه ولا ذكر اسم صاحبه بل يشير اليه ببعض الألقاب

كما فعل في الهامش بعد سوق الدليل العشرين . وما ذلك الا لأن اسم الشيخ محمد عبده أو محمد رشيد رضا أو المنار كانت في زمن السلطان عبد الحميد تخرب الديار ، وتسوق الى البوار ، أما مقاصد الكتاب بالاجمال فهي كما كتب المؤلف في طرته

« الطلبة في فصل إقامة البراهين لتأييد أصول الدين ثم تمهيدات في سر معرفة التوحيد وما يتقاضاه الايمان من الايقان وفي تمثيل انمحاء الباطل لظهور آية الحق ، وفي ان النظر قانون الاستدلال وفي غير ذلك ، ثم مطالب الكتاب وهي أربعة : المطلب الأول في الأدلة الواضحة على « وجود الله تعالى » وهي خمسة وعشرون دليلاً وفي طيها فوائد جمة ، المطلب الثاني في تحقيق مسائل من العلم الإلهي كاستحالة اكتناه ذات الخالق تعالى و بطلان الحلول والاتحاد وغيرهما ، المطلب الثالث في المادة وشبه الماديين وإبطالها جميعا بالطبيع القاطعة وفيه مقالات من الطبيعيين تقرب من الثلاثين ، المطلب الرابع في مسائل من علم النبوات كآيات النبوة واثبات الخوارق علماً و بيان المنة على العالمين ببعثة خاتم النبيين وكون القرآن أعظم الخوارق و بيان خصائصه عليه السلام وفضائله وشرف أخلاقه وشمائله المؤيدة لنبوته والمبرهنة على عموم رسالته ثم الخاتمة في فائدتين » اه .

وصفحات الكتاب مئتان بل تزيد ، ولم يتيسر لنا الا مطالعة القليل منه ، فعسى ان يكون مزلزلاً لتقليد المقلدين ، ومرقاة لاستقلال المستعدين ، وثمن النسخة منه ثمانية قروش

***

﴿ العقائد الدينية . للناشئة الاسلامية ﴾

كتيب وجيز للشيخ محمد عبد اللطيف خضير من علماء دمياط طبعه في هذا العام واهدانا نسخة منه ورغب الينا بيان رأينا فيه عند ما تسمح لنا الفرصة بمطالعة شيء منه فنقول إننا رأينا فيه شيئاً من المعنى الذي أشرنا اليه في تقريظ الكتاب الذي قبله من حيث عدم التزام أسلوب وترتيب العقائد المتداولة كسرد الصفات العشرين (التي جعل السنوسي مدار عقيدته عليها) ونحو ذلك ولكنه على عدم التزام ذلك لم يخرج عنه بالمرة . ولعل السهولة فيما استقل فيه فبدت دون تقارب وجاء ببعض مسائل ودلائل

نظرية تعلو على افهام الناشئين الذين وضعه لهم ولولا رجوعه في ذلك الى بعض الكتب المتداولة لكان يسهل عليه ان يأتي بما هو اسهل منها واقرب أوليت اقتباسه من كتب المتقدمين كان كله كاقتباسه من رسالة التوحيد . وجملة القول انه من احسن ما كتب لتعليم المبتدئين وثمن النسخة منه قرش واحد وهو يطلب من المكتبة العمومية بدمياط فعسى ان ينال ما يستحقه من الرواج والانتشار

***

﴿ تحفة الانام . في مختصر تاريخ الاسلام ﴾

ألف هذا التاريخ في أواخر حياته الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت رحمه الله تعالى وهو يشتمل على مقدمة وجيزة في أصل العرب وجزيرتها وظهور النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أربعة أبواب في الخلفاء الراشدين وفي الامويين والعباسيين والعثمانيين . وفي الكلام على سلطنة محمود الثاني يذكر حادثة ابراهيم باشا المصري وغيرها من الحوادث الكبيرة ومسألة الوهابية كما يذكر في أخبار سلطنة عبد المجيد حرب القرم وحادثة جده وحادثة لبنان . وهو مختصر ليس في الايدي مثله ولا ما يغني عنه فعسى ان يتم نشره . ويباع في مصر بمكتبة المنار مجلداً تجليداً بيروتيا بثمانية قروش مصرية . ومن أراد عددا كثيراً منه فليطلبه من المكتبة الاهلية ببيروت

وانا ننقل هنا كلامه في الوهابية قال رحمه الله تعالى ما نصه :

« ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهابية في بلاد نجد. واستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق

وهم قوم كثيرون من عرب نجد اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب(؟) وهو رجل ولد في الدرعية بأرض العرب من بلاد الحجاز طلب اولا العلم على مذهب ابي حنيفة في بلاده ثم سافر الى اصفهان واخذ من علمائها حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم ثم عاد الى بلاده سنة (١١٧٠) ثم ادته ألمعيته الى الاجتهاد فأنشأ مذهبا مستقلا وقرره لتلامذته وشاع أمره في « نجد » و « الاحساء » و « القطيف » و « عمان » و « بني عتبه » من ارض « اليمن » ولم يزل امرهم شائعا ومذهبهم متزايدا

وجاعتهم تكثر الى أن صدرت الارادة السنية الى محمد علي باشا عزيز مصر بقتال
وودع هذه الطائفة خوفا من انتشار شرهم في البلاد الاسلامية فاطفأ سراجهم وبدد
شملهم واخفى ذكرهم وقد توفي زعيمهم سعود سنة (١٢٢٩) فساد الأمن في طريق
الحج وبهذه السنة حج محمد علي باشا بعد ان لم يكن احد يتمكن من اداء هذه الفريضة
وهاك رسالة من كلامهم تدل على مذهبهم واعتقادهم :

اعلموا رحمكم الله أن الحنيفية ملة ابراهيم أن نعبد الله مخلصا له الدين وبذلك
امر الله جميع الناس وخلقهم له كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)
فإذا عرفت أن الله تعالى خلق العباد للعبادة فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع
التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة كما قال تعالى : (ما كان
للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم
وفي النار هم خالدون) . فمن دعا غير الله طالبا منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب
خير أو دفع ضر فقد اشرك في العبادة كما قال تعالى: (ومن اضل ممن يدعو من دون
من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون • واذا حشر الناس كانوا
لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى(والذين تدعون من دونه مايملكون من
قطمير • ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون
بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فاخبر تبارك وتعالى أن دعاء غير الله شرك ، فمن قال
يارسول الله أو يا ابن عباس أو ياعبد القادر زاعما أنه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده
ووسيلته اليه فهو المشرك الذي يهدر دمه وماله الى أن يتوب من ذلك وكذلك الذين
يحلفون بغير الله . أو الذي يتوكل على غير الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع
الشر من غير الله أو يلتجي الى غير الله أو يستعين بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا
الله فهو ايضا مشرك وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قاتل رسول الله المشركين
عليه وامرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى ويصح ذلك أي التشنيع عليهم بمعرفة
اربع قواعد ذكرها الله في كتابه

(أولها) ان يعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون ان الله هو الخالق الرزاق
المحيي المميت المدبر لجميع الأمور والدليل على ذلك قوله تعالى « قل من يرزقكم من

السماء والأرض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله قل افلا تتقون » وقوله تعالى « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون الله افلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون الله قل فأنى تسحرون » . اذا عرفت هذه القاعدة واشكل عليك الأمر فاعلم انهم بهذا اقروا ثم توجهوا الى غير الله يدعونه من دون الله فأشركوا

(القاعدة الثانية) إنهم يقولون ما نرجوهم إلا لطلب الشفاعة عند الله نريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم . وهو شرك والدليل على ذلك قول الله تعالى : (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال الله تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الثالثة) وهي ان منهم من طلب الشفاعة من الأصنام ومنهم من تبرأ من الأصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوراً » ورسول الله لم يفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل وقاتلهم حتى يكون الدين كله لله . واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الرابعة) وهي انهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون والدليل عليه قوله تعالى : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر إذاهم يشركون) وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله ، فاذا عرفت هذا فاعرف أن المشركين في زمان النبي أخف شركا من هؤلاء مشركي

زماننا لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد وهؤلاء يدعون مشايخهم في الشدائد والرخاء والله أعلم بالصواب » اه

وهذه الرسالة والقواعد التي أسسها ذلك الشيخ لا شبهة فيها لأن هـذا هو الدين الذي جاء به النبي والأنبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسألة ، واتبعه قومه من بعده فأفرطوا وفرطوا وقصروا حتى تولد منهم بسبب هـذه القواعد تنقيص وتحقير ما عظمه الله وأمرنا بتعظيمه ومحبته وتوقيره وقاسوا المسلمين المخلصين في التوحيد بالمشركين حتى قاتلوا المسلمين في أفضل البقاع واستحلوا دماءهم وأموالهم كما وان أكثر العوام من جهلة المسلمين قد تغالوا وافرطوا وابتدعوا بدعاً تخالف المشروع في الدين القويم فصاروا يعتمدون على الأولياء الاحياء منهم والأموات معتقدين ان لهم التصرف وبأيديهم النفع والضر ويخاطبونهم بخطاب الربوبية وهذا غلو في الدين القويم وخروج عن الصراط المستقيم وقد ورد في الحديث المرفوع: (دين الله تعالى بين الغالي والمقصر)

وهنا شيء لا بد لك من معرفته وهو أن الحب لله وفي الله والحب مع الله بينهما فرق من أهم الفروق وعنه نعلم جهل وخطأ الوهابية وشيخهم فان المحبة في الله هو من كمال الإيمان في الله والحب مع الله هو الشرك المنهي عنه وقاتلهم عليه النبي صلوات الله وسلامه عليه ، والفرق بينهما ان الحب في الله ولله تابع لما يحبه الله كحب الرسل والملائكة والأولياء والعلماء والكعبة والمدينة وبيت المقدس لأن الله يحبهم ويحب من يحبهم ويعظمهم ، والحب مع الله على نوعين نوع يقدح في أصل التوحيد وهو شرك كعبادة الأوثان والأصنام والانداد من المشركين لانهم عظموا وأحبوا مع الله ما يبغضه الله ، والنوع الثاني يقدح في كمال الاخلاص والتوحيد ومحبة الله ولا يخرجه عن الاسلام كمحبة ما زينه الله للنفوس في النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فان محبتها طبيعية ومحبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء فان أحبها لله ليتوصل بها اليه واستعانه على مرضاته وطاعته كانت من قسم الحب لله وفي الحديث « حبب الي من دنياكم النساء والطيب » وان احبها لموافقة طبعه وشهوته وهواه كانت من المباحات لكن يقصر من

كال محبته لله والمحبة فيه وان كان حبه لها مراده ومقصوده وقدمها على ما يحبه الله ورضاه منه كان ظالما لنفسه متبعا لهواه فالأولى محبة السابقين والثانية محبة المقتصدين والثالثة محبة الظالمين فتأمل ذلك وما فيه . فانه معترك النفس الامارة والمطمئنة والله تعالى يوفقنا واياك والسلام . اه ولم يذكر مثالا للحب مع الله وكأنه اكتفى بما عزاه منه الى أكثر عوام المسلمين من الغلو في الصالحين وحبهم لهم كحب الله وهو عين ماينكره الوهابية وما اظن انهم كانوا يتهمون بذلك جميع أفراد المسلمين ، والا كانوا مجانين

٭ ٭ ٭

﴿ رسالة المحجوب . من باب الانتقاد على المنار ﴾

أرسل الينا بعض علماء تونس رسالة كان كتبها رجل اسمه السيد عمر المحجوب التونسي في الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي في زمنه وطلب منا ان نبين رأينا فيها ، فتصفحناها هي وما ألحق بها في نحو من نصف ساعة فلم نجد فيها شيئاً يزيد على ما تلوكه العامة في هذه المسائل وعلمنا من الذيل الذي ألحق بها انها طبعت منه بعد الحادثة التي وقعت معنا بدمشق في آخر رمضان من السنة الماضية لتكون رداً علينا فيما شاع من أن سبب تلك الفتنة تأييدنا لمذهب الوهابية . فبلوحتنا لهؤلاء الجهلاء المساكين الضعفاء الذين تهيجهم الأكاذيب الى اظهار جهلهم وطاعة اقتالهم العدائية لمن هو لهم صديق غير عدو وان كانوا لا يميزون

قد علم الخاص والعام ان حادثة الشام لم تكن مقاومة لمذهب الوهابية ولا انتصارا للسنة السنية وانما كانت انتصارا للاستبداد على الدستور ، وايثاراً للظلمات على النور ، وان خطيبي فتنتها الشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالحا التونسي قد سعوا لاموروسائهما من مدبري تلك الفتنة إثارة فتنة اعظم منها باسم الاسلام اذ نشروا تلك الجمعية الفسادية التي اطلق عليها (تمويها وخداعا) اسم الجمعية المحمدية ، لذلك اختفيا عن الانظار ، ووليا الأدبار ، لما نصر الله الدستور ، وخذل الغرور ، وأنشأت الدولة العلية تحاكم زعماء الفتنة الذين كانوا يحرضون على الثورة ، ثم ظهر الخطيب فاستنطق ورفع أمره الى الاستانة . ومعلوم ان صالحا التونسي من دعاة ابي الهدى رجال عبد الحميد الذين كفى الله المسلمين شرهما (والعاقبة للمتقين)

وانا ندعو صاحب الذيل الطويل لتلك الرسالة هو وجميع من على رأيه من

علماء تونس الى المناظرة نجيزوا فيما يزعمون ان المنار أخطأ فيه بأن يذكروا المسألة التي يزعمون انها خطأ والدليل من الكتاب والسنة وكذا الاجماع والقياس على ذلك مع التصريح بأسمائهم ونحن نجيب عن اقوالهم ونجعل اهل العلم والفهم في المشرق والمغرب حكما بيننا وبينهم . وانما نشترط ان يصرحوا بأسمائهم لتعلم قيمة المحق منهم والمبطل في الحال ، ويحفظ التاريخ ذلك لاعقابهم في الاستقبال ،

على ان صاحب الذيل المشار اليه لم يذكروا مسألة الاجتهاد من خطإ المنار الا مسألة طهارة العطر الافرنجي والكحول وكذا ما سماه تحليل مقتولة المتق والمضروبة على الرأس ولبس القبعة الافرنجية — المسائل الثلاث التي كانت موضوع فتوى الاستاذ الامام منذ سنين فان فرضنا ان ما كتبه المنار فيها كان خطأ فليدلونا على كتاب من كتب الفقه او الحديث أو التفسير ليس فيه مسائل كثيرة منتقدة لمخالفتها الكتاب أو السنة أو لما وجهه العلماء الآخرون المخالفون لأولئك المؤلفين لها في اجتهادهم او فهمهم

اذا كان صالح التونسي وعبدالقادر الخطيب الدمشقي قد تصديا للفتنة بدمشق بباعث السياسة وهما يعلمان انهما باغيان غمطان فيحتمل ان يكون احد جمال الدين صاحب ذيل هذه الرسالة حسن النية لشيء من العذر بجهله . وهل يرجى من مثله ان يفهم دقائق مباحث المنار الاجتهادية وهو الى اليوم لم يفهم معنى العبادة بل اتبع فيها الشيخ المحجوب الذي لم يعرف كيف كان اساس دعوة الاسلام النهي عن عبادة غير الله تعالى الى عبادته وحده كما بيناه قريبا ؟ فكيف يتكلم في مثل شيخ الاسلام ابن تيمية الذي لم يسمح الزمان له بنظير

اما رسالة الشيخ المحجوب فليس فيها شيء الا وقد سبق لنا تحريره في المنار ولا يفهم العامة ووسواسهم من أصحاب العمائم من اعادة القول في بيان مواضع الخطإ فيها الا ان المنار يتصر للوهابية ، على ذلك الشيخ الذي ينسب الى ما لا يفهمه من السنة السنية ، وما كان المنار ليتصر لمذهب من المذاهب او يتعصب لفئة الفئات . إنما يؤيد الكتاب والسنة ويحكمها في أقوال المتقدمين والمتأخرين . وأما أمثال هذا المعترض المسكين فان قصارى علمه ان يحفظ كلمات من بعض شيوخه المعاصرين او المؤلفين المتأخرين الذين ليس لاكثرهم من العلم الا نسخ كتب القدماء ، مع زيادات يستميلون ببعضها العامة وببعضها الآخر الملوك والامراء ،

يظهر ان الشيخ المحجوب كان من يعبر عنهم بالأدباء ، ولم يكن من العلماء ، فقد ظهر في رسالته تشميره في الهجاء والشتم ، وقصوره في مسائل الدين والعلم ، وهو لم يذكر في رسالته كلام خصمه ، فيوازن بينه وبين رده ، فنكتفي إذاً بالإشارة إلى بعض خطإه وضعفه ، ليعلم انه لا يوثق بعلمه ، مع عدم التعرض لخطإ خصمه وصوابه ؛

قال في (ص ٤) في رد انكار خصمه ما تفعله العامة عند قبور الأولياء والصالحين من الاستغاثة والتوسل والتعظيم « معاذ الله ان يعبد مسلم تلك المشاهد ، أو أن يأتي اليها معظما لها تعظيم العابد ، أو أن يخضع لها خضوع الجاهلية للاصنام ، وان يعبدها بركوع أو سجود أو صيام . » ونقول ان هـذا القول يدل على ان المحجوب لم يكن يعرف الواقع الذي عليه الجم الغفير من العامة أو انه يعرفه ويقول غير ما يعلم ، وانه لا يفهم معنى العبادة بل يتوهم انها عبارة عن الصلاة والصيام وسائر التكاليف الشرعية فقط كما قال مقلده صاحب الذيل في (ص ١٩) في تقوية رده : «وما دري (أي ابن عبد الوهاب) ان العبادة الشرعية هي التكاليف التي اشتملت عليها الشريعة سواء كانت معقولة المعنى أو تعبدية » وقد جهل صاحب الذيل كصاحب الاصل ان أول شيء دعا اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ان يعبد الله وحده وان لا يعبد سواه . دعا إلى ذلك قبل ان تشرع التكاليف العملية من الصلاة والزكاة والصيام فهل يصح ان يقال ان المراد بالنهي عن عبادة غير الله تعالى هو ان تكون التكاليف التي ستشرع بالتدريج خاصة بالله تعالى ؟ هل يصح ان يكون معنى العبادة شيئاً لم يكن معروفا ولا مشروعا ؟ ؟ يا حسرة على المسلمين ، الذين ابتلوا بأمثال هؤلاء المؤلفين

على ان أمثال هؤلاء الضعفاء يعذرون إذا جهلوا معنى العبادة لأن من كانوا يستطيعون تحديد الحقائق من العلماء عدوا معنى العبادة من البديهيات فلم يهتموا ببيانه ولذلك لم يشتهر عنهم قول في تحديده . وأما الأقوال المشهورة فيه عن اللغويين وغيرهم فليست حدودا بل لا يبلغ بعضها ان تكون رسوما تامة أو ناقصة وقد بينا ذلك مرات كثيرة ومنه ان أعظم مظاهر العبادة الدعاء وفي حديث البراء عند أحمد وابن أبي شيبة وأصحاب السنن « الدعاء هو العبادة » وفي رواية ضعيفة للترمذي من حديث أنس «الدعاء مخ العبادة» وهل يكابر أحد في دعاء الالوف والملايين من عامتنا الموتى من

الصالحين إلا إذا كان لا يخجل من إنكار المحسوسات؟ ألا أنهم لا ينكرونه ولكنهم يؤولونه لهم بأنهم لا يقصدون به العبادة وإنما يقصدون التوسل !! ألفاظ يلوكونها ولا يفهمونها ، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول «الدعاء هو العبادة» أي هو الفرد الأعظم من أفرادها ، والركن الأكمل من أركانها ، كقوله «الحج عرفة» فتجويزدعاء غير الله كتجويز الصلاة لغير الله بدعوى عدم قصد العبادة وتسميتها توسلا أو ما يشاء أهل التأويل من الأسماء

قال المحجوب (ص ٤) «وأما ما جنحت إليه وعولت في التفكير عليه ، من التوجه إلى الموتى ، وسؤالهم النصر على العدا ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، التي لا يقدر عليها إلا رب الأرضين والسموات ، إلى آخر ما ذكرته موقدا به نيران الفرقة والشتات ، فقد أخطأت فيه خطأ مبينا ، وابتغيت فيه غير الإسلام دينا ، فإن التوسل بالمخلوق مشروع ، ووارد في السنة القويمة ليس بمحظور ولا ممنوع ، ومشارع الحديث الشريف بذلك مفعمة ، وأدلته كثيرة محكمة ، تضيق المهارق عن استقصائها ويكل اليراع إذا كلف بإحصائها » ،

ثم ذكر أثر استسقاء عمر بالعباس (رضي الله عنهما) وحديث طلب عمر الدعاء من أويس القرني ، ومسألة الشفاعة ، والوهابية لا ينكرون أثر الاستسقاء ولا الدعاء ولا الشفاعة ، وكتب ابن تيمية التي هي عمدتهم في هذا الباب مثبتة هذه المسائل مبينة لها أتم بيان وهم يحتجون بها على الذين يدعون أصحاب القبور فيقولون أن عمر والصحابة لم يدعوا العباس أن يسقيهم الغيث كما يدعو جمهور عامتنا الأموات أن يقضوا لهم حاجاتهم . وإنما كان توسلهم بالعباس هو جعله إماما لهم في الاستسقاء فصلى بهم ودعا وهم أمنوا على دعائه ويقولون أنه ورد فيه أن عمر رضي الله عنه قال « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » وهذا دليل على أن الميت لا يتوسل به وإن كان حيا عند الله تعالى . وأقول أن المسألة ليست من باب ما يسمونه اليوم بالتوسل وهو أن يدعى غير الله تعالى ويطلب منه شيء ما وإنما هو استسقاء كما تقدم . ويحتجون به من وجه آخر وهو دعاء العباس الذي ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وهو «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة» وهو نص في أن كشف الضر لا يكون بسبب الأشخاص وإنما يكون بالتوبة إلى الله والرجوع إليه وحده - وفي الحديث روايات لا تصح (لها بقية)

باب الاخبار والآراء

(جمعية الاتحاد والترقي)

استحسن العقلاء في سورية ما كتبناه في الجزء الثالث من مجمل ما ينتقده الناس على هذه الجمعية وكتب الينا غير واحد يقول ان المتدين من أعضاء الجمعية أنفسهم استحسنوه وعدوه من النصح الخالص . وقد استنكره آخرون مع ما عهدوا من تأييدنا للجمعية في المناظرات والخطب زيادة عما يكتب في المنار . وقد يعذر المستنكر لذلك اذ لم يكد يصل ذلك الجزء الى سورية الا وقد ظهرت خفايا ثورة الاستانة وعلم الناس انها دبرت في « يلدز » لحوآية الدستور وإعادة استبداد عبد الحميد الى شر مما كان عليه ، وفر اعضاء الجمعية الى سلانيك مستنصرين مستصرخين ينفضون غبرة الموت قتلا وغيلة عن رؤوسهم

ثم اننا كتبنا ما كتبناه قبل ظهور تلك المكيدة ولما تقابل طبع الكراسة الاخيرة من ذلك الجزء علمنا ببعض بوادر الفتنة فاشرنا اليها بما هو صريح في الميل الى الجمعية والدعاء لها بالانتصار . ومع هذا كله نرى ان التعريف بما ينكر الناس عليها وما يقولون فيها ضروري لاسيما من يحمد سعيها ولا ينكر فضلها

اننا لخصنا الكليات التي يرجع اليها انتقاد المنتقدين من غير موافقتهم على كل ما ينتقدونه وسكتنا عن بعض الجزئيات العظيمة التي هي من قبيل تعيين بعض الاشخاص والأعمال المنكرة . وهل تؤمن عاقبة اشخاص يعملون بقوة في مملكة واقعة في اشد الحرج وهم لا يسئلون ولا ينتقدون ؟ وقد كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم في بعض رأيه في السياسة والحرب حتى يرجع عنه ، فهل كانت الجمعية اجدر بالتقديس منه ؟

إننا قد صرحنا هناك بفضل الجمعية علينا في الانقلاب وإنما ذلك الفضل لأفراد ربما كان العمل الآن في أيدي غيرهم ممن لم يكن لهم عمل قط في الانقلاب وقد دخل في الجمعية خلق كثير منهم من لا اخلاق لهم ولكنهم أصحاب دهاء أو حظ — على ما يقال — وقد ينتخب بعضهم للجمعية العليا العاملة . كما ان الاعيان المركزية في

بعض البلاد فيها من نعرف ومن لا نعرف ممن لا اخلاق لهم ولا عرفان ولا إخلاص فهل يقول عاقل ان مصلحة الامة أو مصلحة الجمعية أن تعد الجمعية مقدسة في جميع أعمالها؟

وقد أيدناها أيضاً في ذلك المقال من حيث الحاجة الى بقائها وتأييد الجيش لها إذا حدث ما يخشى منه على الدستور مع اعتزاله السياسة في عامة أحواله فهل فوق هذا التأييد من تأييد ؟ على انه تبين ان الجيش حام للدستور على كل حال

انه وأيم الحق قد راعنا عندما عدنا من سورية الى مصر ما سمعناه من أحرار الترك وسائر العثمانيين من الانكار على الجمعية في تصرفها وعلمنا ان الانكار والاستياء في الاستانة أشد فخشينا ان ينتج ذلك مما لا تحمد عاقبته إذا لم تتداركه الجمعية ، فكان ذلك هو الباعث لنا على كتابة ما كتبنا وما كنا إلا ناصحين

* * *

(طعن المؤيد في الدولة العلية الدستورية)

ظهر المؤيد بمظهر الساخط المقت للحكومة الدستورية في الدولة العلية وقد كادت تنقضي السنة الاولى لها وهو يكتب عنها بقلمه وأقلام بعض محرريه ومكاتبيه شر ما يسمع وما يقرأ ، وشر ما يتخيل ويتصور ، وقد أرضى بذلك بعض الاغرار من المصريين المخدوعين بما كانوا يقرءون في الجرائد من إطراء عبد الحميد ؛ ولكنه أسخط العقلاء وخواص الأمة المصرية حتى اننا سمعنا بعض الكبراء الذين يعرف صاحب المؤيد صدقهم واستقلالهم يقول انني لم أر أحدا من الخواص يعذر المؤيد على خطته هذه

وقد اختلف رأي أهل التعليل في سبب اختيار صاحب المؤيد لهذه الخطة فقال بعضهم إنه قد أسخط في سنيه الأخيرة جمهور أهل بلاده من جميع الطبقات حتى الأزهريين وهو يعلم ان حسن الظن بعبد الحميد خان غالب فيهم فأنشأ يدافع عنه و يطعن في الحكومة الجديدة ليستميل بذلك الجمهور الساخط ومن هؤلاء من يقول ان الجمهور سخط على المؤيد لتذبذبه واتباعه هواه دون مصلحة الامة ومنهم من يقول بل لاعتداله في الكلام عن الحكومة والمحتلين وهذا هو الأقل

ويقول آخرون ان سبب اختيار المؤيد لهذه الخطة هو اتفاقه مع عزت باشا العابد وغيره من اعوان عبد الحميد على اسقاط الحكومة الدستورية واعادة الحكم

الحميدي السابق ولما خلع عبد الحميد وأخرج من عاصمة السلطنة كان الاصرار على الانتصار له من دعوى الثبات على الرأي

ومن الناس من يقول ان المواطأة بين عزت العابد وحزبه انما هي على تأسيس دولة عربية وخلافة جديدة . وقد تنصل المؤيد من هذا ولعن من يسعى اليه

ومنهم من يظن أن صاحب المؤيد يخدم بذلك انكلترا التي تحب ان تمحو نفوذ الدولة الديني من مصر والهند وان جاملتها في أوربا وان لها يدا في تحريك سخط مسلمي الهند على الحكومة العثمانية الجديدة ، وهذا إغراق في سوء الظن

ومنهم من يرى ان صاحب المؤيد لما كان يعلم ان جمعية الاتحاد والترقي تعتقد انه من جواسيس الحكومة الحميدية وشيعة عزت العابد لاسيما بعد ان أظهر ضلعه في أول العهد بالانقلاب وميله الى الماضي وانها لا بد ان تتخذه خصما وعدوا ــ هاجمها هي وحكومتها بقوة لعلها تخافه فتسعى الى استمالته فلا يحرم من الكرامة في الاستانة وسورية في كل مصيف

ومنهم من يرى انه لعلمه بما كان من فتك عبد الحميد خان بالدولة والامة اعتقد منذ حدث الانقلاب أن الدولة لم يبق فيها رمق فتنهض بحكومة دستورية فإما ان يعود عبد الحميد الى استبداده وإما ان يسقط الدولة بتدميره الماضي وكيده الحاضر فصار يكتب مايكتب وهو يظن ان الايام ستصدقه بفشل الدولة وسقوط الدستور أو ماهو أعظم من ذلك فيظهر بمظهر السياسي الخبير والمحب الغيور . ويظن أنه لايبعد ان يكون سمع من كبار الاجانب أو منهم بنفسه أو بواسطة عزت العابد شيئا من هذا المعنى لان الاجانب شعروا بالدسائس التي كان يديرها عبد الحميد واعوانه واعتقد الكثيرون منهم ان قوة الدولة ستكون قسمين يتصادمان فيتساقطان وقد أعدوا لذلك عدته . ونحمد الله ان كذب هذا التشاؤم

لماذا تضاربت الظنون واختلفت الآراء في إنحاء المؤيد على الحكومة الدستورية في الدولة العلية ؟ أليس لانه كان في زمن عبد الحميد يدافع عنها بالحق و بالباطل فيخفي عيوبها ويجعل سيئاتها حسنات؟ نعم ومن العجب ان يعكس الأمر الآن فينحي عليها بالحق و بالباطل ويجعل حسناتها سيئات

يقول انه يعتقد صحة ما يكتب . ونقول لماذا لم يختر من الحق الا ما ينفع ويضر نشره ؟ ومتى كان السياسي صوفيا صادقا يقرر العقائد كما هي مهما ترتب عليها ؟ أليس عند هؤلاء الصديقين من الاسرار الباطنة ما لا يجوزون نشره ؛ لانهم يخشون ضرره ؟

يقول انه يقصد بهذه الشدة النفع بإرجاع جمعية الاتحاد والترقي عن غرورها الذي يراه ضارا . نقول ولماذا يخفى عليه غروره في هذه الدعوى فيتوهم ان هذه الجمعية تنتظر جريدته العربية لترجعها وتعمل بنصائحها وهي لم تحفل بما قام في وجهها من الاحزاب والكتاب الذين هم أبلغ منه قولا وأعلم بمكان الانتقاد ولماذا خفي عنه الآن ما كنت أعده كغيري عذرا له في دفاعه عن الحكومة الحميدية وهو ان اظهار سيئات الدولة وعيوبها يسقط منزلتها من نفوس المصريين وغيرهم من قراء المؤيد فيكون ذلك ضغطا على ضغث ؟ أليس إسقاط نفوذ الدولة الآن أشد ضررا من إسقاطه في العصر الماضي عصر الظلم والتخريب والتدمير ؟ بلى ان خطة المؤيد الجديدة يخشى ضررها ولولا ان الجرائد التي تناقضها في القطر المصري نفسه أوسع منها انتشارا لاضلت وأضرت الجمهور وما يرجوه صاحب المؤيد من التأثير في نفوس لجنة جمعية الاتحاد والترقي لا يوازي هذا الضرر لو حصل على انه يطعن الدولة لا الجمعية وحدها

ان خطته هذه قد سلبته أنفس حلية كانت له في أنفس المسلمين لا سيما محبي الدولة العلية الذين يتبعهم سائر مسلمي الأرض وهي انه صاحب الجريدة الاسلامية العربية الكبرى التي تدافع عن الخلافة والسلطنة وتؤيد نفوذها والآن نرى الجرائد العثمانية في عاصمة الدولة وولاياتها تنطق بلسان واحد صائحة ان المؤيد عدو الدولة والخلافة عدو الدين والملة ؛ وقد احرقه جماهير الناس في بلاد كثيرة حتى بلاد الحرمين ونادوا بإسقاطه وما كان أغناه عن التصدي لهذه العاقبة التي لم تكن في حسبانه

نعم ان صاحب المؤيد صار من عدة سنين على غير ما كنا نعهد منه : صار لا يبالي برأي احد ولا بنصحه ولا يحسب للعواقب حسابا ويرى ان الدنيا كلها اذا قامت عليه اليوم فانه يسهل عليه ان يستميلها اليه غدا ؛ ولكننا رأينا هذه الشاكلة قد أضرته ولم تنفعه . هذا هو رأينا ان كان يقبله وهو يعلم اننا لا نقول الا ما نعتقد . ونتمنى لو يقدر بالفعل على استمالة الدولة العلية والامة العثمانية بما يكتبه بعد فيرجع عن اجتهاده ذلك الى ضده والله الموفق

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر — السبت سلخ جمادى الآخرة ١٣٢٧ — ١٧ يوليو (تموز) سنة ١٢٨٥ هـ ش ١٩٠٩ م ﴾

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الهجرة وحكم مسلمي البوسنه فيها ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في البوسنه (*)

بعد السلام عليكم يا فضيلة الأستاذ الأكبر ، والعلامة الفهامة الهمام الاوحد ، حجة الاسلام ، وامام أهل الحق وفخر الأنام ، العالم العامل الفاضل الكامل المحقق ، والبحر النحرير الفيلسوف الحكيم المدقق ، الاديب اللبيب ، فريد العصر ، ووحيد الدهر ، سيدنا ومولانا ومرشدنا ، الشيخ محمد رشيد رضا ، عمره الله وحياه بأحسن الحياة ،

أقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ذي العظمة والكبرياء ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وقرة أعيننا رسوله الداعي الى سبيل الهدى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين المهتدين بهداه والذين اتبعوهم باحسان إلى يوم الحشر والجزاء ،

أما بعد فقد أخبرني بعض المصاحبين بان واحدا من علماء الاستانة قد اتفق ان ألقى وعظا في جامع بمدينة عندنا ، فمن جملته ان قال فيه بوجوب الهجرة علينا وعدم صحة النكاح ونحوه بعد ما ألحقت النمسا وضمت (ولاية البوسنه والهرسك)

(*) ان السائل من الغالين في حب المنار وصاحبه فهو يطرينا بالألقاب والنعوت التي نخجل من ذكرها وإنما ننشرها عملا بما جرينا عليه اخيرا من نشر الاسئلة بنصوصها كما جرى عليه علماؤنا من قبل الا من اذن لنا بتصحيح بعض اغلاطه اللفظية

إلى أهلا كما وملكها · وشدد أيضاً فقال بعدم صحة أركان الاسلام تحت حكومتها مطلق الصلوة فالجمعة داخلة في ذلك ونحو الصيام والحج والزكوة ، فاضطرب منه أكثر من سمع ما قال اضطرابا شديدا ، ظنا منهم بان حقيقة الامر كما قال :

فياسيدي ومولاي وقرة عيني ويا ناصر الحق والسنة ، ويا قامع البدع الدينية الذليلة الشنيعة ، ويا كاشف الغمة عن هذه الامة المرحومة ، ويا مقتدى الامة ، وقدوة الائمة ، ويا رحمة الله لهذه الملة الحنيفية ، أرجو من حضرتكم ، ان تتفضلوا بالجواب الواضح الشافي عن قول ذلك العالم ، على نحو ما اهتديتم بالكتاب والسنة السنية ، مع البراهين والادلة الشرعية المرضية القوية ، كما هو دأب جنابكم على صفحات المنار المنير ، أدام الله ضياءه الى يوم الحشر والقرار ، و بالك في عمر سعادة صاحبه وعامله نحو ما عامل المقربين من عباده المتقين ، وجزاه نحو ما يجزي المحسنين من عباده المخلصين ، انه على ما يشاء قدير ، و بالاجابة جدير ،　　الداعي والمستدعي

قارئ المنار المنير وصديقكم المطيع الخالص وصديق أصدقاء المنار المنير وصاحبه ومحبهم وعدو عدوهم ومبغضهم العبد الضعيف النحيف الحقير الفقير الى رحمة ربه العلي القدير تراب اقدام انصار الحق محمد ز · ه · د · تارابار من طلبة المدرسة الفيضية بمدينة تراونيك (بوسنه)

(ج) لاشك ان ذلك التركي قد اخطأ في جملة ما قاله والصواب انه لاتجب الهجرة وجوبا عينيا على من كان متمكنا من إقامة دينه آمنا من الفتنة فيه وهي الإكراه على تركه او المنع من إقامة شعائره والعمل به وهو نحو مما قالته عائشة ففي البخاري انها سئلت عن الهجرة فقالت « لا هجرة اليوم كان المؤمن يفر بدينه الى الله ورسوله مخافة ان يفتن فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام والمؤمن يعبد ربه حيث شاء » والأصل في المسألة آية « ٤ : ٩٧ ان الذين توفاهم الملائكة » وستأتي ، وفيها أحاديث وآراء للعلماء نذكر اهمها : فاصح ما ورد فيها حديث ابن عباس عند احمد والشيخين وأصحاب السنن الثلاثة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » وروي مثله عن عائشة في الصحيحين وروى احمد والنسائي وابن ماجه والطبراني وغيرهم عن عبدالله بن السعدي ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال « لا تنقطع الهجرة ماقوتل العدو » وهو يوافق حديث ابن عباس في وجوب النفر على من استنفر للجهاد الشرعي وترك وطنه لاجل ذلك وهذا لا وجود له الآن

وأما حديث جرير بن عبدالله عند ابي داود والترمذي « انا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » وتعليله ذلك بقوله « لا تتراءى ناراهما » فقد صحح البخاري وابو حاتم ومخرجاه وغيرهم إرساله الى قيس ابن أبي حازم وفي الاحتجاج بالمراسيل الخلاف المعروف في الأصول ورواه الطبراني موصولا - وهو لا ينطبق على أهل بوسنه لانهم ليسوا بين أظهر المشركين . وقد كان للاسلام سياسة خاصة في مشركي العرب. وفي الباب حديث عن معاوية رواه أحمد وأبو داود والنسائي وقد اشرنا اليه في الجزء الماضي وهو انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » وهذا الحديث قال الخطابي « اسناده فيه مقال »

أما أقوال العلماء في احكام هذه الأحاديث فنذكر منها ما أورده الشوكاني في شرح المنتقى في الجمع بينها قال: وقد اختلف في الجمع بين أحاديث الباب فقال الخطابي وغيره كانت الهجرة فرضا في أول الاسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم الى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة الى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو ، انتهى قال الحافظ (ابن حجر) وكانت الحكمة أيضا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من اذى من يؤذيه من الكفار فانهم كانوا يعذبون من أسلم منهم الى ان يرجع عن دينه وفيهم نزلت « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » الآية . وهذه الآية باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها . وقال الماوردي إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام فالاقامة فيها أفضل من الرحلة عنها لما يترجى من دخول غيره في الاسلام. ولا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب القاضية بتحريم الاقامة في

دار الكفر . وقال الخطابي أيضا ان الهجرة افترضت لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة الى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال (٨ : ٧٣ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا) فلما فتحت مكة ودخل الناس في الاسلام من جميع القبائل انقطعت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب . وقال البغوي في شرح السنة يحتمل الجمع بطريق أخرى فقوله «لا هجرة بعد الفتح» أي من مكة الى المدينة ، وقوله « لا تنقطع » أي من دار الكفر في حق من أسلم الى دار الاسلام ، قال ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله « لا هجرة » أي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كانت بنية عدم الرجوع الى الوطن المهاجر منه الا باذن ، فقوله « لا تنقطع » أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الاعراب ونحوهم . وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الاسماعيلي بلفظ انقطعت الهجرة بعد الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار أي ما دام في الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي ان يفتن على دينه . ومفهومه انه لو قدر ان لا يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها . وأطلق ابن التين ان الهجرة من مكة الى المدينة كانت واجبة وان من أقام بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة بغير عذر كان كافرا . قال الحافظ وهو إطلاق مردود . وقال ابن العربي الهجرة هي الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام وكانت فرضا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي انقطعت أصلا هي القصد الى حيث كان . وقد حكي في البحر ان الهجرة عن دار الكفر واجبة اجماعا حيث حمل على معصية فعل أو ترك أو طلبها الامام بقوته لسلطانه وقد ذهب جعفر بن مبشر و بعض الهادوية الى وجوب الهجرة عن دار الفسق قياسا على دار الكفر وهو قياس مع الفارق والحق عدم وجوبها من دار الفسق لانها دار اسلام و إلحاق دار الاسلام بدار الكفر بمجرد وقوع المعاصي فيها على وجه الظهور ليس بمناسب لعلم الرواية ولا لعلم الدراية وللفقهاء في تفاصيل الدور والاعذار المسوغة لترك الهجرة مباحث ليس هذا محل بسطها . اه

ما أورده الشوكاني وهو زبدة ماقيل في شرح الأحاديث من علمائه .

أقول انك تجدهم قد اختلفوا في كل وجه من وجوه المسألة الا اثنين احدهما عدم التمكن من اقامة الدين بالفتنة وهي حمل المسلم على الكفر أو مخالفة دينه في فعل أو ترك أو بالجهل ، وثانيهما الجهاد الديني أي المتعلق بحماية دعوة الاسلام وأمن أهله على دينهم وحقيقتهم ففي هاتين الحالتين تجب الهجرة بلاخلاف . أي على من عجز عن إقامة دينه سواء كان واحداً أوجما وعلى من احتيج الى جهاده وكان فقره مما يعزز المسلمين و يفيدهم في الدفاع المطلوب شرعا . فأما هذا الوجه فمن البين الظاهر انه لا يتحقق في أهل بوسنة الآن كما تقدم وما أظن ان الوجه الأول متحقق فيهم أيضا وهم اعلم بأنفسهم

ويدخل في باب الوجه الأول الهجرة الى طلب العلم الواجب عند الحاجة الى ذلك فان لم يهاجر من يتعلم و يعود ليعلم أثم جميع المسلمين الذين فقدوا هذا العلم في وطنهم . وكذلك الهجرة من المكان الذي فشا فيه الفسق والمجاهرة بالمنكرات وصارت التربية على التقوى والصلاح متعذرة فيه . وقد روى ابن وهب عن مالك أنه قال: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها . واحتج بصنيع ابي الدرداء في خروجه من أرض معاوية حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها ، رواه أهل الصحيح . وقال مالك في موضع آخر اذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد في الارض . وقال لاتنبغي الاقامة في ارض يكون العمل فيها بغير الحق . اه

أقول وإنما يكون هذا من الافراد الذين يتعذر عليهم ازالة المنكر فان وجد فيهم من يقدر على إزالة المنكر وجب ذلك عليه دون الهجرة

ومن قال انه لا يظهر له دخول هذا في الوجه الأول قلنا لك ان تعده وجها آخر وهو ظاهر . ولا حاجة الى قياس الفسق على الكفر ليصح ما ذكر من الهجرة من حيث يفشو الفسق و يتعذر الصلاح أو يتعسر الى حيث الصلاح والخير

وجملة القول ان المسلم يجب عليه ان يقوم بالحق والخير كما يرشده دينه فان عجز عن ذلك في بلاد وجب ان يهاجر منها الى حيث يقدر عليه والا كان ظالما لنفسه وقيل له يوم الحساب اذا اعتذر باستضعاف الكفار اوالفساق له ومنعه من العمل بدينه ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجر فيها ؟

اما مازعمه ذلك الواعظ التركي من عـدم صحة النكاح وأركان الاسـلام في بوسنه بعد إلحاقها بالنمسا فهو باطل ، لا يصدر مثله الا من جاهل ولولا إباحة ماحرم الله على المسلمين من التقليد لما كان لهذا الجاهل من سبيل لتشكيك أولئك المسلمين الذين سمعوا وعظه في عبادتهم وعقود زوجيتهم اذ الوعظ ببيان كتاب الله وسنة رسوله لا يأتي فيه شيء من هذه المزاعم والأباطيل . فتى تستنير بصائر جماهير المسلمين ويعتصمون بحبل الله حتى اذا حاول ان يعبث بدينهم عابث طالبوه بما عنده من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا جاءهم بهديهما قبلوه ، والا ردوا ما جاء به ورفضوه ؟ ؟ ؟

لافرق في العبادة والنكاح بين المسلم في دارالكفر والمسلم في دارالاسلام وإنما هنالك احكام تتعلق بالمعاملات السياسية والمدنية والحربية وأدخل بعضهم في السياسية صلاة الجمعة . ومن البديهي ان الهجرة لم تكن حتما لازما في زمن كزمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنصره والاخذ عنه ولما كان من اشتداد المشركين في ايذاء المسلمين قبل فتح مكة ومع ذلك لم يرد في السنة من التشديد على من لم يهاجر شيء مما زعم هذا الواعظ الجاهل فقد روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم من حديث بريدة انه قال قال رسول الله (ص) « اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال — أو خلال — فايتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم انهم ان فعلوا فلهم ماللمهاجرين وعليهم ماعلى المهاجرين فان أبوا ان يتحولوا منها فأخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين ، فان هم أبوا فسلهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » الخ

واما ماقالوه في دار الكفر ودار الاسلام فلا حاجة الى بسطه هنا وقد سبق لنا بحث فيه من قبل فليراجعه من شاء

* * *

﴿ خطبة جمعة في سوء حال المسلمين في هذا الزمان ﴾

(س ٣٦) من م . ا . ص في سنغافوره

سنغافورا في ٧ جماد الاول ٣٢٧

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المنيرة بمصر

قد اتى على المسلمين بهذه الاصقاع حين من الدهر وهم لا يسمعون الخطبة في مساجدهم غير خطب ابن نباتة او نحوها فتعودوا سماع فضائل الشهور وبيان قرب الساعة والحث على ترك الدنيا الى غير ذلك ولما كان الزمان في تقلب دائم حصلت الفرصة في الجمعة الماضية للغيور الاديب الشاب المحبوب عباس بن محمد طه فأنشأ خطبة تناسب الأحوال الحاضرة بهذه الجهات تمام المناسبة ثم رقي المنبر بالجامع الكبير المسمى (مسجد سلطان) فخطب خطبة تؤثر في نفوس الغيور بن وان خطيب المسجد لم يخطب في ذلك اليوم نظراً لما كان عليه من العذر ثم طفق الجامدون بعد فراغ الصلاة يشيعون ان الخطبة لا تليق ان تكون خطبة الجمعة لان فيها تكفير المسلمين وذمهم ومدح الكفار مع ان خطبة الجمعة دينية محضة وما في هذه الخطبة من أمور الدنيا وتقبيح احوال المسلمين ورفع شأن الكافرين مخل لنظر الدين ولذلك قال هؤلاء انهم لا يريدون ان يصلوا الجمعة في هذا الجامع اذا اعيدت تلك الخطبة حتى بالغ بعض الناس في سب ذلك الخطيب وسمعت ذلك انا والشيخ عبد القادر وغيره فعلمنا أن كره المتغالين هذه الخطبة قد بلغ الغاية وانا قد اطلعنا على الخطبة عند بعض معارفنا فنقلت منها عدة نسخ نسخة منها لتقديمها الى مجلتكم المنيرة وهذه هي الخطبة :

* * *

« الحمد لله الذي جعل الجمعة من اسباب الاجتماع . تقرأ فيه المواعظ لتمزق غشاء الاسماع . فتتأثر منها القلوب والطباع . وتفتح بذلك ابواب الخير والانتفاع . احمده سبحانه وتعالى على جزيل الفضل والاحسان . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له المنان . واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بالبيان . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه في كل وقت وأوان . أما بعد فيا عباد الله : ان

ما حل بنا من ضعف وهوان . وفساد في الأعمال وخسران . من سوء تربية في الصغر تولد منه في الكبر فساد وطغيان . وتهاون بالصلاة وتجاهر بالعصيان وموت شعور عند سماع أوامر ونواهي القرآن . وكثرت الخرافات والاوهام ادخلها الجاهلون وصبغوها بصبغة دين الاسلام . ومعظم أهل زماننا هذا هم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان . والمصيبة في الاعمال والاديان . اعظم منها في الاموال والابدان . ونحن نعلم كل ذلك علم اليقين . وأهملنا شعائر الدين . فوقعنا في شدائد متراكمة . ونظرت الينا الاجانب نظر تحقير وملامة . وان التباعد عن الاهتداء بهدي الشرع الكريم . وعدم التمسك بعروة الدين القويم . قد أدى بنا ذلك الى الاهمال . والانحطاط وشر المآل وديننا يأمر بالتعاون والاتفاق . ونحن نسعى الى التنافر والافتراق . حتى ذهبت اعمالنا ادراج الرياح . وضاعت اوقاتنا بين الجد والمزاح . ولا نقدر على القيام بمهام الاعمال ولا على مثابرة الاشغال . فآلت امورنا الى اسوء الحال . وخابت الآمال . وانا لو اتحدت كلماتنا . وصرنا حزبا متعاونا . ساعيا في مصالح امورنا . في ديننا ودنيانا . لكان اكبر الاعمال هينا . ونجح نجاحا مبينا ، واذا نظرنا الى حال الامة الغربية ، ذات السعادة والرفاهية ، وجدنا انها تدرجت على اصول الاسلام ، وبذلت الجهد في التعاون والاتحاد والالتئام ، كان اكبر المشروعات عندها من اسهل الممكنات ، وان كان عندنا يعد الناس نجاحه من المستحيلات ، وهم يعقدون الشركات ، وينشئون الجمعيات ، ليعود ذلك على ابناء ملتهم بالنفع والفضائل ، ونحن ننشئ الجمعيات للتلوث بادران الخمول والرذائل ، و يعود ذلك علينا بضعف الديانة ، وتضييع الصيانة ، كانت المواعظ عندهم داعية الى التقدم السريع ، وعندنا قد صارت سلما الى تأخرنا الشنيع ، فياذوي الابصار ، اين التبصر والاعتبار ، وما هذه الغفلة والاغترار ، فليت شعري ما اعتذاركم بعد الانذار ، اما علمتم ان الله لم يخلق الدنيا عبثا ، بل جعلها دار سعي واختبار ، يعقبها بدار جزاء وقرار ، وجعل لنا العقول نميز بها بين النفع والاضرار ، وامرنا بفعل الخيرات ونهانا عن الاوزار ، ومن اطاعه ادخله الجنة ومن عصاه ادخله النار ، وليس لنا عليه بعد ذلك حجة ولا اعتذار ، فيا عباد الله تعاونوا واتفقوا ، واعتصموا بحبل

الله جميعا ولا تفرقوا » (الحديث) قال (ص) اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لأخراك كأنك تموت غدا » الى آخر الخطبة »

وما دعاني الى افادتكم بهذه الواقعة الا لنصرة الحق وحضرتكم أهل لذلك

(المنار) وجاءنا سؤال آخر عن خطبة هناك الظاهر انها هذه بعينها وهذا نصه

سنغافورا ١٣ جماد الاول (؟) سنة ١٣٢٧

(س ٢٧) من س . ح س .

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار بمصر

لا يخفى ان من طبيعة الانسان حب الفخر والشهرة ويوجه كل قوته الى الوصول اليه بأي وجه كان ولا يجول بخاطره انه امام الملأ من الاكابر كالذبابة لولا ذلك لما تجرأ بعض الناس على تلاعب بعض أمور العبادة فقلب الخطبة على غير وجهتها التي شرعت لاجلها فخطب على منبر أكبر الجوامع هنا خطبة تقشعر من سماعها الابدان يكفر فيها المسلمين ويقبح اعمالهم ويستحسن اعمال الكافرين وذلك بمسمع من العباد والعلماء ظنا منه ان ذلك مما يوجب فخره ولا يدري ان الامر بالعكس وقد افتى العلماء بمنع ان تخطب خطبة الجمعة مثل تلك الخطبة ولذلك جئتكم بهذه الرقعة سائلا عن رأيكم الصائب في ذلك

(ج) ان المصريين ليعجبون من استنكار بعض مسلمي سنغافوره لهذه الخطبة التي يسمعون كل جمعة في مساجدهم ماهو أشد منها انكارا لحال المسلمين وتركهم لهداية دينهم واضاعتهم لمصالح دنياهم وتقدم سائر الامم عليهم، ومن ذلك عبارة يكررها في الخطبة الثانية الشيخ خالد النقشبندي خطيب مسجد الست الشامية المشهور بالصلاح وحسن الخطبة وهي « اتقوا الله فقد تقدم الاجانب وتأخرنا، اتقوا الله فقد نشطوا وكسلنا» الخ وهو نحو ماقاله خطيب سنغافوره فلماذا استنكر هناك ولم يستنكر هنا؟ لا سبب لذلك الا أن العلماء والعوام هنا اعلم ممن هناك بالاسلام والمسلمين وما يحتاجون اليه وهذه هي الخطب التي يسمونها هنا الخطب العصرية ويرجون فائدتها ونفعها

ويتقدون الخطب القديمة التي معظمها مدح للشهور والمواسم بالباطل وذم للدنيا وتزهيد فيها . على ان تلك الخطب القديمة المشهورة في جميع البلاد الاسلامية لا تخلو من وصف المسلمين بترك الاسلام وإضاعة الكتاب والسنة والضراوة بالمعاصي والمنكرات وناهيك بتلك العبارة المشهورة التي حفظناها من الخطباء لأول عهدنا بالصلاة في صغرنا وهي « لم يبق من الاسلام الا اسمه، ولا من القرآن الا رسمه » ومهما أكثر المكثرون من الانكار على المسلمين ووصفهم باضاعة الدين فهم لا يأتون بأبلغ من هذه العبارة ولا يكونون الا شارحين لها

.اذا ينتظر السائلون من هذه الخطبة من المنار وهو الذي نبه منذ سنته الأولى الى وجوب إصلاح الخطابة في المساجد الجامعة وترك تلك الخطب المحشوة بالا باطيل المميتة للهمم، وقد كتبت قبل إنشاء المنار فصلا طويلا في الخطابة أودعته كتابي « الحكمة الشرعية » فهل ينتظرون مني أن أجيز تلك الخطب السخيفة المألوفة ومافيها من الاحاديث الموضوعة وأنكر ما يجيء به أذكياء الخطباء من المنبهات التي تزلزل ذلك الجمود القديم ؟

يظهر ان أنكر ما استنكروه من هذه الخطبة هو اقتباس الخطيب قوله تعالى « هم للكفر يومئذ أقربُ منهم للايمان » يريد ان الذين تلبسوا بتلك المنكرات التي نهى عنها هم يوم إذ أدخلت عليهم الخرافات والاوهام وتلبسوا بها أقرب الى الكفر منهم الى الايمان . وليس هذا تكفيرا صريحا ولا هو في قوم معينين بذواتهم وانما هو في قوم يأتون ما نهى عنه الاسلام ويتركون ما أمر به فماذا يريدون ان يقول الواعظ فيهم

اخرج ابن ابي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن ابي داود وابن ابي حاتم عن مقاتل ان الصحابة اخذوا في شيء من المزاح فانزل الله تعالى فيهم (٥٧ : ١٦ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومن المعروف عند أهل القرآن ان الفسق والظلم والكفر كثيرا ما ترد فيه على مورد واحد كما بيناه في تفسير « ٢ : ٢٥٤ والكافرون هم الظالمون » وروى مسلم والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن ابن مسعود قال : ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية « ألم يأن » الخ الا اربع سنين . وعنه قال لما نزلت هذه الآية اقبل بعضنا

على بعض : أيّ شيء أحدثنا اي شيء أضعنا ؟ فاذا كان رب العزة يعظ افضل المؤمنين من السابقين الاولين بمثل هذه الآية فهل يستنكر في مسلمي زماننا مثل تلك الخطبة ؟ ما هذا الغرور الذي اصابنا ! نسيء ونطالب الشكر على إساءتنا ! وليراجع السائلون تفسير (٢ : ٢١٤ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم (ص ٣٠٢ — ٣١١) ولينظروا ما هي النسبة بين اولئك المخاطبين بالآية عند نزولها و بين اهل عصرنا هذا وهم مخاطبون بها أيضا . ومثلها كثير ننبه دائما في التفسير عليه ونحث مسلمي زماننا على وزن انفسهم بميزان القرآن ثم سيرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة اصحابه عليهم الرضوان . ولو شئنا ان نعزز ذلك بالاحاديث والآثار لفعلنا ولكن المنصف يكتفي بما ذكرناه ، والمغرور أو صاحب الهوى لا يقنعه شيء يخالف هواه ، أما اذا كان السائل الثاني يعني بما ذكره خطبة غير التي أرسلها السائل الأول منهما وفيها تكفير للمسلمين صريح وتحسين لأعمال الكفار التي هي من كفرهم فلا مندوحة لنا عن إنكار ذلك بشدة . اما الاعمال التي ليست من كفرهم فمنها الحسن والقبيح قال تعالى في اليهود (٥ : ٦٦ منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)

* * *

« أم كلثوم بنت النبي (ص) »

(س ٢٨) من خليل رشدي افندي ملحس التلميذ بمكتب نابلس الاعدادي

الحمد لله وحده

حضرة الفيلسوف المعظم والأستاذ الحكيم الامام العلامه بحر فهامه سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة (المنار) الاسلامي نور الله قلبه وأدام مجده على مدى الدوران آمين

بعد اهداء ما يليق بحضرتكم من التحيات الزاكية أعرض لجنابكم بأن تكرموا على هذا العاجز بنشر سؤالي الآتي على صفحات مجلتكم « المنار » الأغر وسرد جوابه بما يتراءى لكم ولحضرة فضيلتكم الشكر والمنة سلفا :

لا يخفى على جنابكم أحوال تلامذة المدارس من جهة المباحثة مع بعضهم البعض ، فيوم من الايام اجتمعت أنا و بعض رفقائي للمباحثة وصرنا نتباحث الى ان وصل بحثنا عن السؤال الآتي :

(١) ما هو أصل اسم بنت النبي (ص) الملقبه به (أم كلثوم)

(٢) لأي سبب لقبت به (أم كلثوم)

وطال بنا الجدال في هذا الموضوع وانقسمت أفكارنا الى آراء كثيرة وحيث انه لم نوفق لمعرفة السؤالين المرقومين أعلاه قر بنا القرار بالتفسير من فضيلتكم واخذ رأيكم في هذا الموضوع فكلفوا هذا العاجز بالسؤال من جنابكم

ولأجل ذلك حررت لفضيلتكم هذا التحرير راجيا إرشادنا في هذا البحث والله الملهم الى الحق والصواب ولكم الأجر والثواب والسلام على من اتبع الهدى ودين الحق ودمتم

(ج) لا أدري كيف وجدتم ذلك المجال الواسع للخلاف وانقسام الأفكار في هذه المسألة وهي لا تحتمل عندنا خلافا فالعرب كانت تسمي أيمن وأم أيمن وسلمة وأم سلمة والمعروف أن بنت النبي صلى الله عليه وسلم سميت ام كلثوم ابتداء ولم يكن كنية كنيت بها بعد ان سميت باسم آخر وفي الصحابيات كثيرات سمين بهذا الاسم . وكلثوم من الكلثمة وهي استدارة الوجه

* * *

﴿ عهد (موضوع) زعموا انه من النبي (ص) للنصارى ﴾

(س ٢٩) من احد العلماء في حمص

ان مجلة (روضة المعارف) التي تصدر في بيروت أدرجت في عددها الثالث عشر من هذه السنة صورة عهد للنبي صلى الله عليه وسلم تزعم أنه أملاه على سيدنا معاوية رضي الله عنه لأهل الذمة ولدى البحث في كتب الحديث والسير والتاريخ ما وجدت هذا العهد بهذا اللفظ الطويل الذي نقلته هذه المجلة ونقلته عنها جريدة لسان الحال فأرجوك ايها الفاضل ان تفيدني عن درجة هذا العهد من الصحة والحسن

وعن خرجه منه المحدثين وفي أي كتاب هو وهل هذا اللفظ المنقول كله مروي محفوظ عن ائمة هذا الشان الموثوق بهم الذين يعول على نقلهم فيكون حجة في العمل

لقد رأيت في هذا العهد طولا كبيراً وألفاظاً لا تشبه ألفاظ صاحب الرسالة في عهوده ورأيت بعض الصحابة المدرجة اسماؤهم بصفة شهود كان قدمات قبل هذا التاريخ وبعضهم لم يكن اسلم فأرجو إيضاح الجواب على كل جملة ليكون الانسان على بصيرة لا زلت مرجعا لحل الاشكالات وتحقيق المسائل وليكن الجواب على صفحات مجلتكم ليطلع عليه القراء الكرام

(ج) قد اطلعنا في مجلة روضة المعارف على هذا العهد الملفق الموضوع فساءنا اندفاع قومنا في تيار الجهالة الى هذا الحد الذي يتهجم فيه على نشر هذه الأكاذيب الموضوعة على النبي (ص) على حين نحن في غنى عنها بما عندنا من الآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف المعروفة

ان هذا العهد المكذوب لم يروه أحد من المحدثين ولا يحتاج من له ادنى شمة من علوم الدين الى اطلاع واسع ليعرف انه مصنوع موضوع فذلك واضح من عبارته في أغلاطها واسلوبه في ركاكته وما فيه من الاصطلاحات الحادثة ومن المبالغة والتكرار ومن مسائله التي توهم ان الاسلام وجد في الارض لأجل تعزيز النصرانية وخدمة أهلها والدفاع عنهم والخضوع والذل لهم واعانتهم على المعاصي والجنايات اذا ارتكبوها فان مما جاء فيه « وان جرا حد من النصارى جريرة او جنى جناية فعلى المسلمين نصره ومنعه (أي حمايته) والذبّ عنه والغرم عن جريرته » فهل يعقل من شم رائحة الاسلام ان النبي الذي يقول كما في صحيح البخاري « لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » يأخذ العهد على أمته بأن ينصروا مرتكبي الجرائم والجنايات من النصارى ويحموهم ويدفعوا عنهم ؟ وهل يتفق هذا مع قوله تعالى في الآية التي أذن فيها للمسلمين بالجهاد والدفاع عن أنفسهم « ٢٢: ٤١ الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وفي هذا العهد كثير من امثال هذه المسائل الباطلة بالاجماع التي لا يبيحها الاسلام لأحد بل يعد استباحتها كفرا وردة عن الاسلام

اما ما يدل على كذب هذا العهد مما يتوقف العلم به على الإلمام بالتاريخ فربما يعذر ناشروه بجهلهم له ولكنهم لا يعذرون بجهل المسائل المعلومة من الدين بالضرورة

ثم ان هنا مسألة تاريخية تكاد تكون معروفة عند العامة وقد جهلها ناشرو هذا العهد وهي مسألة التأريخ بالهجرة ففيه « كتبه معاوية بن ابي سفيان بإملاء رسول الله يوم الاثنين في ختام أربعة أشهر من السنة الرابعة من الهجرة بالمدينة » فمن المشهور أن هذا التأريخ قد حدث في خلافة عمر بن الخطاب بمشاورة الصحابة (رض) ولم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبو بكر (رض) وما ذكر مختلق العهد هذا التاريخ الا ليظهر كذبه علم التاريخ فالمروي في صحيح البخاري ان معاوية اسلم في عام الفتح أي في السنة التاسعة للهجرة فكيف كان يكتب للنبي في السنة الرابعة، ثم ان ختام الشهر الرابع للهجرة وهو شهر جمادى الآخرة لم يكن يوم الاثنين وانما كان يوم الجمعة . وذلك ان الهجرة كانت في شهر ربيع الأول ولما اراد الصحابة في عهد عمر التأريخ بالهجرة جعلوه من أول السنة القمرية التي حدثت فيها فكان في ذلك زيادة شهرين كما هو مشهور . ثم انه اكثر من الشهود ليظهر كذبه أيضا وهاك البيان بالايجاز

في ذكر هؤلاء الشهود أربعة أنواع الغلط احدها واهونها الاسماء المحرفة والمصحفة كالفضيل بن العباس صوابه الفضل وحسن بن ثابت صوابه حسان وابو درداء صوابه الدرداء ويزيد بن ثابت صوابه زيد - والثاني من لم يكن اسلم كمعاوية - والثالث من كان قد مات او استشهد كحمزة - والرابع من لا وجود لهم في الصحابة كداود بن جبير والعاصي ابو حنيفة واساف بن يزيد وكعب بن كعب - ولو استقصينا كل ما في هذا العهد المكذوب من الخطإ لأفضى بنا ذلك الى تطويل نحن في غنى عنه بهذا القول الوجيز

* * *

﴿ رسم المصحف ﴾

(س ٢٨) من صاحب الامضاء في قزان (روسيا) في ٦ جمادى الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا حفظه الله ومتعنا وسائر المسلمين بعلومه الشريفة

اما بعد فان من المسائل التي تدور بيننا الآن مسئلة رسم المصاحف المطبوعة في بلدة قزان ، حيث ان العلماء صرحوا بأن رسم المصاحف يجب فيه الاتباع لرسم المصاحف التي كتبت بامر سيدنا عثمان رضي الله عنه وفي رسم المصاحف القزانية مخالفة كثيرة لرسم تلك المصاحف فتشكلت بقزان لجنة من العلماء والقراء لتفتيش رسم هذه المصاحف ونصوص العلماء فيه وتكلموا في وجوب الاتباع وعدمه فذهب كثير منهم الى انه ينبغي اتباع رسم المصاحف العثمانية وان الرسم سنة متبعة على ما نص عليه ابو عمرو الداني والشاطبي والجزري والسيوطي والزمخشري وغيرهم . وبعضهم قالوا انه لا يجب اتباع الرسم محتجين بقول شيخ الاسلام العز بن عبد السلام حيث قال « اما الآن فلا يجوز كتابة المصاحف على المرسوم الاول خشية الالتباس ولئلا يوقع في تغيير من الجهال » ويجيب الفريق الاول عن هذا بان المواضع التي يتوهم فيها الالتباس يمكن التخلص منها بالنقط والاشكال . ثم فتشوا المصاحف المطبوعة في الديار الاسلامية من الاستانة ومصر وهند وغيرها فوجدوا فيها ايضا مخالفة كثيرة لرسم المصاحف العثمانية ، فما ندري ما سبب عدم اعتنائهم في هذا الباب ؟ أأهملوا في رسم كتابنا المقدس ، ام لايقولون بلزوم الاتباع . واذا كان الاتباع واجبا كما يقول به اكثر الائمة فما ينبغي ان نصنع لنقرأ برواية حفص المعروفة في بلادنا في مثل كلمة «آتان» في سورة النمل آية ٣٦ فانه كتب في مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه كلها بغير ياء بعد النون والحال ان حفصا يقرأه آتاني بياء مفتوحة بعد النون فكيف يكون زيادة ياء بعد النون في مثل هذه المواضع تخلصا من الالتباس والتلفيق في القراءة . وهل يجوز مخالفة الرسم لاجل الضرورة في مثل تلك الضرورة وما نصنع في الكلمات التي حذفت فيها الالفات في بعض المصاحف المطبوعة والمكتوبة القديمة مثل كلمة الاعلام والاحلام والاقلام والازلام والاولاد ، وتلك الكلمات كتبت في بعض المصاحف « الاعلم والاحلم والاقلم » بحذف الالف بعد اللام والحال ان قاعدة الخط العربي تقتضي اثبات الالف في مثلها : وليس فيها نص صريح من علماء الرسم في حق الحذف أو الاثبات . هل ينبغي فيها اتباع قاعدة رسم الخط العربي واثبات الالفات ام نقول «انهم كانوا يعتبرون الظهور وعدم الالتباس ولهذا كانوا

يحذفون الالفات فيا ظهر المراد (منه) مثل الكلمات المذكورة ، فحذف الالفات فيهن .
ورسم المصاحف المطبوعة هنا ليس على نسق واحد ، في بعضها تلك الكلمات
مكتوبة بألفات بعد اللام وفي بعضها بحذف الالفات . وان المصحف الذي يحفظ
في بلدة بترسبورغ عاصمة الروسية في المكتبة الامبراطورية و يظن كونه واحدا من
مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه قد حذف فيه الالفات في مثل هذه المواضع ،
والعلامة شهاب الدين المرجاني القزاني الذي افنى عمره في خدمة العلم وصنف كتابا
مفيدا في رسم المصحف وكان مأمورا بتصحيح المصاحف المطبوعة من جهة الحكومة
قد حذف الالفات قصدا في مثل هذه الكلمات ولزيادة الاطمئنان ولكون
المسألة عامة مهمة ومتعلقة بعموم اهل الاسلام اتفقنا على المراجعة الى (؟) جنابكم المحترم
بالاستفسار في تلك المسئلة رجاء ان تتفضلوا بابداء ملاحظاتكم العالية في صفحات
المنار . والسلام والاكرام

رئيس اللجنة المتشكلة لتفتيش رسم المصاحف المطبوعة ببلدة قزان
ملا صادق الايماقولى القزاني

(ج) ان ديننا يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأول فالذين
تلقوا القرآن عمن جاء به من عند الله (ص) حفظوه وكتبوه وتلقاه عنهم الالوف من
المؤمنين وتسلسل ذلك جيلاً بعد جيل . وقد أحسن التابعون وتابعوهم وأئمة العلم
في اتباع الصحابة في رسم المصحف وعدم تجويز كتابته بما استحدث الناس من فن الرسم
وان كان أرقى مما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم لأنه صنعة ترتقي بارتقاء المدنية
إذ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه في بعض الكلمات باختلاف رسمها وجهل أصلها .
فالاتباع في رسم المصحف يفيد مزيد ثقة واطمئنان في حفظه كما هو و بعد الشبهات ان
تحوّم حوله ، وفيه فائدة أخرى وهي حفظ شيء من تاريخ الملة وسلف الامة كما هو
ثم ان تغير الرسم واختلاف الإملاء يجعل قراءة المصحف على وجه الصواب
خاصة بمن يتلقاه عن القراء ولذلك أحدثوا فيه النقط والشكل وهي زيادة لا تمنع
معرفة الاصل على ما كان عليه في عهد الصحابة . ثم إنه يجعل تعليم الصغار عسرا

ولذلك افتى الامام مالك بجواز كتابة الألواح ومصاحف التعليم بالرسم المعتاد كما نقل:

قال علم الدين السخاوي في شرحه لعقيلة الشاطبي قال أشهب رحمه الله سئل مالك رضي الله عنه أرأيت من استكتبه مصحفا أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتبة الاولى . قال مالك ولا يزال الانسان يسألني عن نقط القرآن فأقول له أما الامام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ولا يزاد في المصاحف مالم يكن فيها وأما المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان وألواحهم فلا أرى بذلك بأسا . ثم قال « أشهب » والذي ذهب اليه مالك هو الحق اذ فيه بقاء الحال الأولى الى أن يعلمها الآخر وفي خلاف ذلك تجهيل الناس بأوليتهم . وقال أبو عمرو الداني (في كتابه المسمى المحكم في النقط) عقيب قول مالك هذا ولا مخالف لمالك في ذلك من علماء الامة اه

فالذي أراه هو الصواب أن تطبع المصاحف التي تتخذ لأجل التلاوة برسم المصحف الامام الذي كتبه الصحابة عليهم الرضوان حفظا لهذا الأثر التاريخي العظيم الذي هو أصل ديننا كما هو لكن مع النقط والشكل للضبط . ولو كان لمثل الأمة الانكليزية هذا الأثر لما استبدلت به ملك كسرى وقيصر ولا أسطول الالمان الجديد الذي هو شغلها الشاغل اليوم . واما الالواح والأجزاء وكذا المصاحف التي تطبع لاجل تعليم الصغار بها في الكتاتيب فلتطبع بالرسم المصطلح عليه اليوم من كل وجه تسهيلا للتعليم ومتى كبر الصغير وكان متعلما للقرآن بالرسم المشهور لا يغلط إذا هو قرأ في المصاحف المطبوعة برسم الصحابة مع زيادة النقط والشكل . وكذلك يكتب القرآن في اثناء كتب التفسير وغيرها بالرسم الاصطلاحي ليقرأه كل أحد على وجه الصواب . وبهذا نجمع بين حفظ أهم شيء في تاريخ ديننا وبين تسهيل التعليم وعدم اشتباه القارئين

اما ما احتج به العز بن عبد السلام على رأيه فليس بشيء لأن الاتباع إذا لم يكن واجبا من الاصل فلا فرق بين الآن الذي قال فيه ما قال وبين ما قبله وما بعده بل يكتب الناس القرآن في كل زمن بما يتعارفون عليه من الرسم واذا كان واجبا في الاصل وهو مالا ينكره فترك الناس له لا يجعله حراما أو غير جائز لما ذكره من الالتباس بل يزال هذا الالتباس على انه لا يسلم له

واما ما طبعه المسلمون من المصاحف في الاستانة وقزان ومصر وغيرها من البلاد فغير متبعين فيه رسم المصحف الإمام في كل الكلمات فسببه التهاون والجهل والاعتماد على بعض المصاحف الخطية التي كتبت قبل عهد الطباعة فرسم فيها بالرسم المتاد الكلمات التي يظن انه يقع الاشتباه فيها إذا هم كتبوها كما كتبها الصحابة كلفظ «الكتاب» بالألف بعد التاء وهو في المصحف الإمام بغير ألف ليوافق في بعض الآيات قراءة الجمع فكتبوه بالألف . ولم أر مصحفا كتب أو طبع كله بالرسم المتاد

ونحمد الله تعالى ان وفق بعض الناس الى طبع ألوف من المصاحف برسم الصحابة المتبع وأحسن المصاحف التي طبعت في أيامنا هذه ضبطا وموافقة للمصحف الإمام المتبع هو المصحف المطبوع في مطبعة محمد أبي زيد بمصر سنة ١٣٠٨ إذ وقف على تصحيحه وضبطه الشيخ رضوان بن محمد المخللاتي أحد علماء هذا الشأن وصاحب المصنفات فيه . وقد وضع له مقدمة بين فيها ما يحتاج اليه في ذلك . فالذي أراه انه ينبغي للجنة القرآنية ان تراجع هذا المصحف فانها تجد فيه حل عقد المشكلات كلها ان شاء الله تعالى ككلمة الاقلام وأمثالها وهي بغير ألف وكلمته «اتاني» التي رسمت في المصحف الامام «اتن» فيرون ان هذا المصحف وضع فوق النون ياء صغيرة مفتوحة هي من قبيل الشكل لتوافق قراءة حفص فهي فيه هكذا « ءاتنِ ىَ »

وجملة القول إننا نرى أن الصواب الذي ينبغي ان يتبع ولا يعدل عنه هو أن تطبع الاجزاء والمصاحف التي يعلم فيها المبتدئون بالرسم الاصطلاحي لتسهيل التعليم وهو ما جرت عليه الجمعية الخيرية الاسلامية هنا باذن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فهي تطبع أجزاء القرآن كل جزء على حدته بالرسم الاصطلاحي وتوزعها على التلاميذ في مدارسها . واما سائر المصاحف فيتبع في طبعها رسم المصحف الامام كالمصحف الذي ذكرناه آنفا . واذا جرى المسلمون على هذا في الاستانة ومصر وقزان والقريم وسائر البلاد الاسلامية فلا يمضي جيل أو جيلان الا وتنقرض المصاحف التي طبع بعض كلماتها بالرسم الاصطلاحي و بعضها برسم الصحابة . ولا ضرر من وجودها الآن اذ هي مضبوطة بالشكل كغيرها فالاشتباه والخطأ مأمونان في جميع المصاحف ولله الحمد

بحث

﴿ في خطبة الفضلة المصرية « باحثة بالبادية » ﴾

نشرنا في الجزء الخامس هذه الخطبة ووعدنا بأن نبين رأينا فيها في هذا الجزء وكنا نريد ان نطيل القول فيه فكثرت علينا المواد العارضة فسامتنا الاختصار فكان ما لا بد منه

ان الخطيبة تسامي بعبارتها وأفكارها كتاب الطبقة الثانية من الرجال بمصر ولكني رأيت عبارة مقالاتها النسائيات في الجريدة أصح من عبارة الخطبة فيظهر أنها لم تعن بتحرير الخطبة عنايتها بتحرير المقالات كما يفعل الذين يكتبون الخطب قبل إلقائها ولا بد لذلك من سبب ينهض عذرا

أودع في الخطبة من الحكم ، ما هو جدير بأن يحفظ ويضرب به المثل ، ولا تخلو من الملح والافاكيه التي تستملح في الخطب ، لما فيها من تجديد النشاط وذود الملل ، ولم أر فيها على طولها شيئا تمنيت لو لم يكتب — وان نطق به — الا كلمة واحدة في نساء الافرنج . ورأيت مسائلها المستمدة من الصحف ، اكثر من مسائلها المستمدة من الكتب ، فليت نساءنا يكثرن من قراءة الصحف فانها دروس تكرر فتثبت مباحثها في الذهن

ينتقد بعض الناس من الخطبة كثرة المباحث النظرية والمسائل البديهية ككون الزوجين الذكر والانثى خلقا للمعاونة لا للمباغضة وكون العالم لا يعمر بدونهما، وكونهما سواء في القوة والاستعداد أو متفاوتين ، وغير ذلك من المسائل الفلسفية والاجتماعية كمسألة تعليم احد الصنفين كل ما يتعلمه الآخر أو عدم تعليم البنات ، ومسألة خلق النساء للبيوت والعمل فيها والرجال لكسب المعاش ومسألة الحجاب ويرى هؤلاء المنتقدون ان القسم الأول من الخطبة لو كان كالقسم الثاني في الأمور العملية الواقعة من العادات والمعاملات بين الرجال والنساء لكان خيرا وأنفع

ونقول ان ماذكرته الخطيبة من هذه المباحث نافع ولا بد منه وان كان بعضه خطأ في نظرنا و بعضه يعلو أفهام كثيرات من حاضرات الخطبة ، وانما نفعه أنه يحرك اذهانهن وينبه أفكارهن فتخرج به عقول بعضهن من مضيق ليس فيه الاصور الزينة والاثاث والرياش الى فضاء واسع فيه كل شيء ومتى فكرت الواحدة منهن في مسألة من تلك المسائل يكون لها فيها رأي خاص قد يخالف رأي الخطيبة وقد يوافقه وذلك ضرب من ضروب ترقية الفكر التي يطلبها الرجال المحبون لإصلاح الامة

ثم ان القسم الآخر الذي يبحث فيه عن العادات والاخلاق والآداب التي هي مناط السعادة بين الصنفين هو أنفع وأولى بالعناية وقد أجادت الخطيبة وأفادت بما ألقته على المستمعات لها من النصائح والمباحث وذ كرتهن بما يغفل عنه اكثرهن من أمر الصلة بينهن و بين الرجال وما يجب ان تكون عليه ، ولكنه قلما يفيد الرجال فائدة جديدة لأنهم يعرفونه في الغالب لما سبق لكتابهم من الخوض فيه وهم ينتظرون ان يستفيدوا من كتابة المرأة في النساء اكثر مما يستفيدون من كتابة الرجال عنهن ، وعسى أن تكثر الفوائد لكل منهما فيما تجود به الخطيبة من الخطب والمقالات من بعد ، فأن أول الغيث قطر ، وقليلها لا يقال له قليل

لقد قربت الخطيبة مسافة التفاوت بين الرجال والنساء في العقل والفهم كما قربت مسافة التفاوت بين المرأة المصرية والمرأة الغربية ، وما قالته أشبه بكلام السياسيين الذين يراعون المصلحة فقط منه بكلام الفلاسفة الذين يتحرون الحقيقة فقط

أرادت أن ترفع من شأن صنفها في أنفسهن وأنفس الرجال وان ترغب رجال وطنها في الوطنيات وتنفرهن عن الاجنبيات فجاءت من الخطابيات في هذا المقام بما يناسبه

ونرجو ان تعيد الكرة فتبحث في مسألة التفاوت بين الرجال والنساء فيما يتعلق بالبيوت والخطبة والزواج والحياة الزوجية بحث المؤرخ الحكيم ، والاجتماعي الخبير ، وان تكون مستقلة في ذلك غير مقلدة لمن كتب من الرجال في هذه المسائل ولا مستمدة منهم شيئاً ، بل من البحث في العادات والاختبار للأحوال ، لعلها تستطيع ان ترشدهن الى ما يرقق حجاب جهلهن ، فيجعله كبراقع وجوههن ، فيبصرن ما بين الرجال و بينهن ، مما يحول دون ما يجب من الألفة والود بينهم و بينهن ،

اذا كانت المشاكلة في الاخلاق والعادات ، والمساهمة في الأهواء والرغبات ، معيارًا للمساواة بين النساء والرجال ، فلا مندوحة لنا عن القول معها بأن السواد الاعظم من أهل هذه البلاد لايزال ذكرانهم واناثهم في مستوى واحد ولذلك يرضى جماهير الرجال بما يخترعه نساؤهم كل يوم من بدع التبرج والتهتك ، فقد سن الرجال وفتكت النساء ، فصار جمهور الفريقين في المجانة سواء ، ولذلك ترى الزواج لايزال كثيرا

واذا نظرنا في المسألة من وجه آخر نرى ان الرجال مهما فسدت أخلاقهم أرقى من النساء عقولا وأفكارا وأن المتعلمين والمهذبين منهم أكثر وانه يوجد عدد كبير ينوعاما بعد عام قد تغير رأيهم ووجدانهم في الزواج فهم يطلبون فيه حياة إنسانية عالية لاتحصل بمجرد دواعي النسل ومقدماته ولا بالنسل نفسه وهو الغاية الطبيعية الشرعية له وإنما هي عبارة عن حاسة زائدة على الحواس الخمس يدرك بها كل من الزوجين من الانس وسكون النفس وشعور الود والرحمة والاخلاص مالم يكن يدرك حقيقته قبل الزواج وانما يشعر كل احد باضطراب في نفسه يصاحبه علم ضروري بانه لايزول الا بالسكون الذي يكون بالزواج بعد إحكام عقد الزوجية (كما بينا ذلك في مقالات الحياة الزوجية من المجلد الثامن) ولكن المرقين يعرفون من أركان ذلك وشروطه ومن قيمته مالا يعرفه من دونهم

يعلم هؤلاء المرقون في مراتب الانسانية ان تلك الحياة التي تتلمسها فطرتهم لاتنال الا اذا اقترنوا بمن هن على مقربة منهم في الفهم والخلق ومعرفة قيمة الحياة الزوجية فهل يوجد كثيرات من هذا الطراز في نسائنا ؟

ان الشاب من هؤلاء ليبحث السنين الطوال عن فتاة مهذبة الاخلاق ، ذكية الفؤاد ، وان لم تكن ذات جمال بارع ، ولا رزق واسع ، بل منهم من يشترط عدم ذلك ثم هو لا يظفر بمطلبه ، على ان المرضيات (أي للخطبة والزواج) كثيرات في البيوت وفي الشوارع والأسواق ، وقد تعرف الفتاة هي وأهلها الخاطب فيرضون مقامه وعيشته ودينه وأخلاقه ثم يصدهم عن قبول خطبته عادة من اسخف العادات وإن كانوا يظنون انهم لا يكادون لا يجدون صهرا مثله ، ومنهم من يرد خطبته لأن الفتاة لا يعجبها زيّ ثيابه

ومن هؤلاء من تزوج بعد التحري الطويل في السنين الطوال فلم يكن في

زواجه الا شقيا . أعرف شابا من هؤلاء رغب عن الزواج زمنا طويلا لاعرض له فيه بعض رؤسائه الاغنياء في الحكومة برغبتهم في مصاهرته فتجاهل ذلك وسعى في الخروج من دائرة رياستهم ، لخجله من العمل فيها مع رد رغبتهم ، ثم تعاونت عليه الفطرة والعفة فلم ير بدا من طاعتهما في طلب الزوجة ، فكان من رأيه أن يقترن بفتاة متعلمة تكون دونه جمالا ، ومثله أو دونه مالا ، حتى لا يحجبها الإدلال عليه بجمالها ومالها عن معرفة قيمته ، والغبطة بالاقتران به ، وماذا كان ، بعد الظفر بهذا القران

كان ان تلك الدمية عاملته بالصلف والزهو ، وحاولت استعباده لهواها ، وألحت في ذلك الحاحا ، ولجت في عتو ونفور ، حتى عيل صبره ، ولم ينجح فيها وعظه ولا هجره ، ولم يلق من أهلها الا ناصرا لها عليه ، ومغريا لها بسوء معاملته ، والتهكم بصلاته وديانته ، فأنشأ يستشيرني في طلاقها وانا اقول له (٢٣ : ٣٧ اتق الله وامسك عليك زوجك ـ ٤ : ١٩ فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ثم طلقها ولو شاء ان لا يعطيها شيئا لفعل فانها رضيت بأن تبرئه من حقها ولكنه أعطى الحق وزيادة

لست أحكم على المرأة وأهلها بقول أحد الخصمين فاني كنت واقفا على جميع وقائع القضية اذ كان الرجل يستشيرني في كل شيء فآمره بالحلم والصبر وحسن الخلق مع الثبات على مطالبه الشرعية كستر الرأس والصدر والساعدين والعضدين في حضرة غير المحارم من الاقارب الذين اعتادوا زيارتهم امتثالا للشرع لا اتباعا للظنة . ولو شئت لذكرت غير هذه الواقعة من أمثالها

أليس عجيبا ان يجهل قدر أمثال هؤلاء الرجال مع حرص زوجاتهم على تحبيب أنفسهن اليهم والاستعانة على ذلك بالعزائم والطلسمات ، والبخور والتناجيس والتولات ، وهم يقولون لهن ، غير هذا أولى لكن ، وأدنى الى حظوتكن ، تبذلن بعض عنايتكن ، في تدبير أمر بيوتكن ، لتكون العيشة فيها راضية ، والحياة معكن هنية ، واعلمن ان الخرافات ، التي يعبر عنها بالروحانيات ، لا سلطان لها على نفوس العقلاء ، فاستمالتنا بها كاستمالتنا بالاسراف في الزينة مما تمجه أذواقنا ، وتشمئز منه نفوسنا ، وأنى لهن بفهم هذا الكلام وتصديقه ؟ انهن لا يفهمن منه الا انه احتقار لهن ، وميل عنهن الى غيرهن ؟

ليس الغرض من هذا إثبات كون الرجال كلهم مظلومين مع النساء كلا ان منهن

من لا ترى بعلها الا عمولا في السحر من حانات الأزبكية ومواخيرها الى بيتها فيلقى فيه كأنه ميت لا يعي ولا يتحرك ؛ الا ان يقول هجراً أو يأتي نكراً ، وانما الغرض منه بيان ان المهذبين لا يكادون يجدون مهذبات يعرفن قيمتهم وان خير النساء عفة وأدبا ليفضلن في الغالب المجان الفاسقين من الرجال لتصبيهم اياهن بالتطرز والتطرس والتورن (١) على ان حظهن منهم بعد الزواج يكون في الاكثر دون حظ فواجر الاجنبيات والوطنيات لانهم في الغالب من الذواقين

ليس بين الرجال والنساء عندنا الآن خلاف كبير في مسألة توسعهن في العلوم ولا في مسألة مزاحمتهن لهم في الاعمال فما ذكرته الخطيبة في ذلك جاء قبل أوانه وانما اكبر الخلاف في كون جمهور عظيم من المتعلمين يطلبون حياة جديدة في البيوت فلا يجدونها لذلك قل التزوج في هذا الصنف وأكثر المتزوجون من أفراده الأغنياء من استخدام الأوربيات ولذلك يتزوج بعض المتفرنجين بهن حتى صار في مصر احتلالان اجنبيان ـ كاقالت الخطيبة ـ أحدهما في المواقع العسكرية وثانيهما وهو أشدهما في البيوت

قالت ان الرجال يخطئون في إناطة فساد النساء بالتعلم وحقهم ان ينيطوه بالتربية وقالت انه لا صلة بين التعليم والتربية الا في تعلم الدين . قد أحسنت في جعلها أمر التربية أهم من أمر التعليم ولكنها افتأتت علينا بما نسبته الينا فاننا نشكو من فساد التربية اكثر مما نشكو من فساد التعليم وقلته . وليس الانفصال بين التربية والتعليم بالمقدار الذي ادعته فان التعليم الصالح يمدّ التربية الصالحة ويغذيها وهي الاصل في الصلاح فيمكن ان يكون الامي صالحا بحسن التربية ولكنه لا يبلغ مرتبة من ربي وتعلم . وأما من تعلم ولم يترب على الاعمال الصالحة فيكون شرا من الجاهل الذي لم يؤخذ بالتربية لانه يكون أعلم بوجوه الشر وأجرأ على العمل بها

اذاً لا بد من تربية البنات وتعليمهن ليحسنّ ادارة بيوتهن ويكنّ قرة عين لأزواجهن في انفسهن وأولادهن (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

---

(١) تطرز الرجل وتطرس تنوق في اللباس فلم يلبس الا فاخرا . ويقال أيضا تطرس في الطعام اذا تنوق فيه . وتورن اكثر من التدهن والتنعم

الجزية وتجند أهل الذمة

جرى الصحابة في فتوحاتهم على جعل الجزية التي يفرضونها على أهل الذمة جزاء على حمايتهم والدفاع عنهم وعدم تكليفهم منع أنفسهم وبلادهم أي حمايتها والدفاع عنها ولذلك كانوا يفرضونها على من هم أهل للدفاع دون غيرهم كالشيوخ والنساء فكان ذلك منهم تفسيرا وبيانا لمراد الكتاب العزيز منها . وكأن العثمانيين سموها لأجل ذلك بدل عسكرية

ولما كان من مقتضى الدستور العثماني تجنيد جميع العثمانيين وتكليفهم تعلم الفنون العسكرية وأعمالها لأجل الاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن أنفسهم وبلادهم التي هي بلاد جميع العثمانيين كان من لوازم ذلك وضع الجزية أو بدل العسكرية عنهم

وهنا مسألتان يظن الجاهل بحقيقة الشريعة الإسلامية وأصولها أن الدستور مخالف لها فيهما إحداهما انه لا يجوز تكليف أهل الذمة الدفاع عن أنفسهم ولا عن البلاد التي يقيمون فيها ما دام للمسلمين ولاية عليها . والثانية ان الجزية فرض لازم لا يجوز وضعه بحال

فاما المسألة الاولى فيصح ان يقال فيها انا لا نسلم انه لا يجوز تجنيد أهل الذمة اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك برأي أهل الشورى فان المصلحة العامة هي الاصل والاساس للحكومة لا تترك لغيرها وانما يترك غيرها لها وقد سبق لنا تحرير هذا الاصل واثباته غير مرة . على انا إذا سلمنا جدلا انه لا يجوز إكراههم على مساعدتنا على الدفاع عن أنفسنا وأنفسهم وبلادنا وبلادهم فلنا ان نقول ان أمر التجنيد لا ينفذ إلا بعد أن يقرره مجلس النواب العام الذي اشتركنا نحن وإياهم في انتخاب أعضائه وجعلناهم وكلاء عنا ليقرروا ويضعوا القوانين التي تقوم بها مصلحة الجميع وهذا ينافي كون التجنيد بالاكراه وان كره بعض رؤساء الدين المتعصبين منهم فان هؤلاء الرؤساء ليسوا نوابا عن أهل دينهم في وضع القوانين

وأما المسألة الثانية فيدلك على الحق فيها هذه النصوص التي ننقلها عن رسالة الشيخ شبلي النعماني العالم الشهير نشرت في أواخر السنة الاولى من المنار حقق فيها ما ذكرناه من كون الجزية جزاء الحماية والدفاع وأورد في الاستدلال على ذلك هذه النصوص المروية فقال :

ولعلك تطالبني باثبات بعض القضايا المنطوية في هذا البيان أي إثبات أن الجزية ما كانت تؤخذ من الذميين الا للقيام بحمايتهم والمدافعة عنهم وان الذميين لو أدخلوا في الجند أو تكفلوا أمر الدفاع لعفوا عن الجزية فان صدق ظني فاصغ الى الروايات التي تطلك الثلج في هذا الباب وتحسم مادة القيل والقال .

(فمنها) ما كتب خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا حينما دخل الفرات وأوغل فيها وهذا نصه: « هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا ابن نسطونا وقومه اني عاهدتكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة وما منعناكم (أي حميناكم) فلنا الجزية والا فلا . كتب سنة ثنتي عشرة في صفر » (ومنها) ما كتب نواب العراق لاهل الذمة وهاك نصه « براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليها خالد والمسلمون . لكم يد على من بدل صلح خالد ما أقررتم بالجزية وكففتم . أمانكم أمان وصلحكم صلح ونحن لكم على الوفاء » . (ومنها) ما كتب أهل ذمة العراق لامراء المسلمين وهذا نصه « انا قد أدينا الجزية التي عاهدنا عليها خالد على أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم » (ومنها) المقاولة التي كانت بين المسلمين وبين يزدجرد ملك فارس حينما وفدوا على يزدجرد وعرضوا عليه الاسلام وكان هذا في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان من جملة كلام نعمان الذي كان رئيس الوفد « وان اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعنا كم والا قاتلنا كم » . (ومنها) المقاولة التي كانت بين حذيفة بن محصن وبين رستم قائد الفرس وحذيفة هو الذي أرسله سعد بن أبي وقاص وافدا على رستم في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان في جملة كلامه « أو الجزاء ونمنعكم ان احتجتم الى ذلك » فانظر الى هذه الروايات الموثوق بها كيف قارنوا بها بين الجزية والمنعة وكيف صرح خالد في كتابه بأنا لا نأخذ منكم الجزية إلا اذا منعنا كم ودفعنا عنكم وإن عجزنا عن ذلك فلا يجوز لنا أخذها

وهذه المقاولات والكتب مما ارتضاها عمر وجل الصحابة فكان سبيلها سبيل المسائل المجمع عليها . قال الامام الشعبي وهو أحد الائمة الكبار أخذ « أي سواد العراق » عنوة وكذلك كل ارض الا الحصون فجلا أهلها فدعوا الى الصلح والذمة فأجابوا وتراجعوا فصاروا ذمة وعليهم الجزاء ولهم المنعة وذلك هو السنة كذلك صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدومة »

ولا تظنن أن شرط المنعة في الجزية انما كان يقصد به مجرد تطييب نفوس أهل الذمة واسكات غيظهم ولم يقع به العمل قط فان من أمعن النظر في سير الصحابة واطلع على مجاري أحوالهم عرف من غير شك انهم لم يكتبوا عهدا ولا ذكروا شرطا الا وقد عضوا عليها بالنواجذ وافرغوا الجهد في الوفاء بها وكذلك فعلهم في الجزية التي يدور رحى الكلام عليها ـ فقد روى القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج عن المكحول انه لما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعيونا للمسلمين على اعدائهم فبعث أهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بأن الروم قد جمعوا جمعا لم ير مثله فأتى رؤساء أهل كل مدينة الامير الذي خلفه أبو عبيدة عليهم فأخبروه بذلك فكتب والي كل مدينة ممن خلفه أبو عبيدة الى ابي عبيدة يخبره بذلك وتتابعت الاخبار على ابي عبيدة فاشتد ذلك عليه وعلى المسلمين فكتب أبو عبيدة الى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج وكتب اليهم أن يقولوا لهم انما رددنا عليكم أموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كان بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم . فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا « ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي حتى لا يدعوا شيئاً »

وقال العلامة البلاذري في كتابه فتوح البلدان حدثني أبو جعفر الدمشقي قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من

الخراج وقالوا « قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم » فقال أهل حمص « لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوا والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا أن نغلب ونجهد فأغلقوا الابواب وحرسوها وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا إن ظهر الروم واتباعهم على المسلمين صرنا على ما كنا عليه والا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد

وقال العلامة الازدي في كتابه فتوح الشام يذكر اقبال الروم على المسلمين ومسير أبي عبيدة من حمص « فلما أراد أن يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فانه لا ينبغي لنا إذ لا نمنعهم ان نأخذ منهم شيئا وقل لهم نحن ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح ولا نرجع عنه الا أن ترجعوا عنه وانما رددنا عليكم أموالكم لأنا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم » فلما أصبح أمر الناس ان يرتحلوا الى دمشق ودعا حبيب ابن مسلمة القوم الذين كانوا أخذوا منهم المال فأخذ يرد عليهم وأخبرهم بما قال أبو عبيدة وأخذ أهل البلد يقولون « ردكم الله الينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا الينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا » وقال أيضا يذكر دخول أبي عبيدة دمشق « فأقام أبو عبيدة بدمشق يومين وأمر سويد بن كلثوم القرشي ان يرد على أهل دمشق ما كان اجتبي منهم الذين كانوا أمنوا وصالحوا فرد عليهم ما كان أخذ منهم وقال لهم المسلمون نحن على العهد الذي كان بيننا وبينكم ونحن معيدون لكم أمانا » ٥

اما ما ادعينا من ان أهل الذمة اذا لم يشترطوا علينا المنعة وشاركونا في الذب عن حريم الملك لا يطالبون بالجزية أصلا فعمدتنا في ذلك أيضا صنيع الصحابة وطريق عملهم فانهم أولى الناس بالتنبه لغرض الشارع وأحقهم بادراك سر الشريعة والروايات في ذلك وان كانت جمة ولكن نكتفي هنا بقدر يسير يغني عن كثير (فمنها) كتاب العهد الذي كتبه سويد بن مقرن أحد قواد عمر بن الخطاب لرزبان وأهل دهستان وهاك نصه بعينه « هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول ابن رزبان وأهل

دهستان وسائر أهل جرجان ان لكم الذمة وعلينا المنعة على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضا عن جزائه ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وملّلهم وشرائعهم ولا يغير شيء من ذلك شهد سواد بن قطبة وهند بن عمر وسماك بن مخرمة وعتيبة بن النهاس وكتب في سنة ١٠٨ اه « طبري » ص ٢٦٥٨

ومنها الكتاب الذي كتبه عتبة بن فرقد أحد عمال عمر بن الخطاب وهذا نصه :

« هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك اه (طبري صحيفة ٢٦٦٢)

ومنها العهد الذي كان بين سراقة عامل عمر بن الخطاب وبين شهربراز كتب به سراقة الى عمر فأجازه وحسنه وهاك نصه :

« هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم أن لا يضاروا ولا ينقضوا وعلى أرمينية والأبواب الطرّاء منهم والتنّاء (١) ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالي صلاحا على أن توضع الجزاء عمن أجاب الى ذلك ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل اذربيجان من الجزاء فان حشروا وضع ذلك عنهم ، شهد عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله وكتب مرضي بن مقرن وشهد اه (طبري صحيفة ٢٦٦٥ و ٢٦٦٦)

ومنها ما كان من أمر الجراجمة وقد أتى العلامة البلاذري على جملة من تفاصيل أحوالهم فقال حدثني مشايخ من أهل انطاكية ان الجراجمة من مدينة على جبل لكام عند معدن الزاج فيما بين بياس و بوقا يقال لها الجرجومة وان أمرهم كان في

(١) الطراء الغرباء الذين يطرءون جمع طارئ والتناء المقيمون

استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريق انطاكية وواليها فلما قدم أبو عبيدة انطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهموا باللحاق بالروم إذ خافوا على أنفسهم فلم يتنبه المسلمون لهم ولم ينبهوا عليهم ثم ان أهل انطاكية نقضوا وغدروا فوجه اليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية وولاها بعد فتحها حبيب بن مسلم الفهري فغزا الجرجومة فلم يقاتل أهلها ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح فصالحوه على ان يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام وان لا يؤخذوا بالجزية ، ثم ان الجراجمة مع انهم لم يوفوا ونقضوا العهد غير مرة لم يؤخذوا بالجزية قط حتى ان بعض العمال في عهد الواثق بالله العباسي ألزمهم جزية رؤوسهم فرفعوا ذلك إلى الواثق فأمر باسقاطها عنهم اهـ

(المنار) لفظ المنع في هذه الكتب والعهود معناه الحماية كما اشرنا الى ذلك في رواية منها

التعصب الديني في اوربا

تتهم أوربا أهل الشرق عامة والمسلمين خاصة بالغلو في التعصب الديني الذي يفضي الى إيذاء المخالف في الدين او المذهب وغمط حقوقه . وقد كتبنا في المجلد الأول من المنار مقالات بينا فيها ان مهد التعصب هوأوربا وان الشرقيين عامة والمسلمين خاصة لا يبلغون مدّ اوربا ولا صاعها ولا يردها ولا مترها في التعصب . وحسبك انها اكرهت جميع من كان فيها من الوثنيين ثم من المسلمين على النصرانية الا من هاجر وترك أرضه وماله من حيث بقيت جميع الاديان في الشرق لا سيما الممالك الاسلامية منه . ثم إنها سفكت من الدماء الغزيرة لاجل الخلاف في المذاهب النصرانيـة نفسها مالم يعرف له نظير في الشرق . وقد انقلبت فيها طبيعة الاجتماع بالعلوم والأعمال الدنيوية وكثر الملحدون واعطت أكثر الحكومات الاوربية الحرية حقها في كل شيء ولم يقو ذلك كله على محو التعصب الديني لا من مثل روسية التي لا تزال حكومتها نفسها متعصبة فقط بل من مثل انكلترا العريقة في

الحرية . وقد نقل الينا البرق والبريد في هذا العام ان الحكومة الانكليزية لم تمكن الكاثوليك من القيام بتقاليدهم الدينية في عيد الفصح . وجاء البرق في هذه الايام بأن تلاميذ المدارس البروتستانت والكاثوليك في ليفربول قد تشاجروا فيها تشاجرا ادى الى إقفال الحكومة خمسين مدرسة منها وان امهاتهم شاركتهم في هذا الجهاد الديني . وقد نشر في جريدة الاخبار أحد الكتاب مقالة في ذلك فكهة هذا نصها :

﴿ التعصب الديني الانكليزي ﴾

« هل الصغار غير الكبار »

جاء في نبأ برقي من لندن انه أقفلت خمسون مدرسة في لفربول لوقوع مشاجرات بين أولاد البروتستانت والكاثوليك اشتركت أمهاتهم فيها

فاذا فرضنا ان في كل مدرسة من هذه المدارس ١٠٠ تلميذ نصفهم متساهلون والنصف متعصبون فيكون عدد الذين اشتركوا في هذه المعركة — على أقل تقدير — ألفي تلميذ من صميم الناشئة الانكلوسا كسونية . أما أسلحتهم فأولها « البوكس » الانكليزي وثانيها « الرفس » بالجزم الانكليزية وثالثها المضاربة بأدوات المدارس من ألواح الاردواز والبراجل والمقاشط والمساطر وغيرها مما لا تخلو منها جعبة تلميذ

ولا بد ان حضرات الأمهات المتدينات المتعبدات التقيات من طائفة البروتستانت جئن مسرعات الى هذه المعركة ما وجدته امامهن من أحذية قديمة وأرجل كراسي ومقشات وزجاجات فارغة . كما حملت بعض الكاثوليكيات الايقونات والصلبان تبركا وذخيرة لهذه الحرب الدينية المقدسة

ومع ان النبأ البرقي لم يأتنا بتفصيل واف عن أسباب هذه الحركة الصبيانية الملية التعصبية فانه لا شبهة في انها نشأت إما عن نفار مذهبي أو عن جدال ديني احتدم بين هؤلاء الصغار فازدرى به المدرسون لما هو مشهور عن أكثرهم من التباعد عن التداخل في كل أمر غير الفرض المدرسي

أما الأمهات المصونات فالراجح انهن أتين لمساعدة أولادهن وانقاذهن من خطر الملاكمة ثم رأين الحاجة داعية الى المداخلة الفعلية فتضاربن

ولو لم يكن الخطب جللا لما أقفلت ٥٠ مدرسة دفعة واحدة حتى لا يعود التلاميذ الى المخاصمة فالمقاتلة . وربما كانت المودة داعية الى اشتعال نيران الحقد الديني بين غيرهم من تلاميذ المدارس التجهيزية فالجامعة التي يبلغ عدد طلبتها ٧٩٠ طالبا الآن الكل منقسمون الى بروتستانت وكاثوليك وما أثر في التلاميذ الصغار يؤثر فيهم . وبذلك يعيد الانكليز أيام الحروب الدينية ويبرهنون لنا على ان ذلك الرقي المدني الهائل وحفظ أشمارشا كبير وامتلاك المستعمرات التي لا تغيب عنها شمس لم ينفع في تربية الاخلاق وان دعوى اللورد كرومر بأن بلاد الشرق عامة ومصر خاصة مهبط التعصب الديني دعوى يكذبها اليوم فصل أبناء ليفربول الذين تجمعهم الجامعة الوطنية وتضمهم مدرسة واحدة ولم يحضر منهم أحد الى مصر ليتلقى دروس التعصب من المسلمين والاقباط

واذا كان صغار الامة عنوان كبارها وصورة لاخلاقهم فلا مراء في ان هؤلاء الانكليز يحملون لبعضهم من الاحقاد الدينية اثقالا مثقلة . لان تربيتهم البيتية والمدرسية متشابهة وما يتعلمونه مع شاي لبتون وسكي بوكانان هنا وهناك مساو تماما لما يتلقنه صغار ليفربول الذين لم يكادوا يشبون عن الطوق حتى عرفوا كيف يتعصب فريق منهم للوثر وفريق للقديس بطرس والفضل في ذلك راجع الى السيدات المهذبات اللاتي لا يكتفين بحقوقهن بل يطالبن بأن يكن مساويات للرجال في حق الانتخابات السياسية

ولا يقتصر التعصب على هؤلاء الانكليز من الامم التي نظنها أرقى منا طبائع وأفضل اخلاقا بل يشترك فيها الفرنسوي والايطالي والالماني والروسي — بنوع أخص — فاذا درست أخلاق أحدهم تجده يقطر تعصبا دينيا جنسيا وان لم يكن متدينا وذلك بحكم المعاشرة والروابط الاجتماعية والبيتية

فالتعصب صفة من صفات الانسانية لم يقو العلم ولا التربية على استئصال شأفتها من النفوس . وربما متنا ومات أبناؤنا واحفادنا قبل ان نصل الى درجة تمحي فيها التعصب (أحد المتعصبين)

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين — لليافعي ﴾

٥

بقية بحث احاديث الآحاد وكونها من اصول الدين

قال في الاعتراض الثالث من هذه الكلمة فكأنهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات مما لايخفى على احد فساد ذلك — الى قوله — وربما ادّانا ذلك الى التسلسل أو الدور في البرهان

واقول ان هذه مغالطة من الفاضل ايضا اذ لا يلزم ذلك الامر الا اذا كان المعدل والجارح لغيره هو المعدل لنفسه امّا اذا كان المعدل والجارح قد عرفت عدالته بالاجماع وقل هذا الاجماع بالإجماع او بما يقاربه كالتواتر بل لو قلت عدالته باسانيد أخر فلا فساد ولا يلزم شيء مما ذكر الفاضل

وقوله ان اكثر هذه الروايات مقتضبة الى آخره · فجوابه انهم (رح) يروون ما تلقوه على نحو ما يسمعون فما كان له سبب ذكروه وهو كثير انما قد يترك بعضهم ذلك لسبب ومناسبة حيث لم ير لذلك ضرورة ·ولذلك تراه في موضع آخر يذكر السبب والمناسبة وقلّ ان يهملوا ذلك · وامّا ما كان يلقيه عليهم (ص) بما يشبه التعليم والتشريع العام فلا يلزم ان يطلب له سبب وا كثر الاحاديث وآيات الاحكام كذلك فلا محذور

أما قوله وقد ايدنا فيه الاستاذ الكبير العلامة المحقق صاحب المنار الاغر فنقول فيه ان كان يعني ما كتبه شيخ الاسلام المذكور على اثر ما كتبه اخونا العلامة خاتمة المحققين رفيق بك العظم حفظهما الله · فنحن قد رأينا ذلك ولم نر فيه تأييدا لحضرة

الدكتور الفاضل وغايته ان يكون رجح ان ما كتبه المجيبون لم يدفع الشبهة تماما على ان حضرة العلامة المحقق رفيق بك العظم حفظه الله انما ذكر تاريخ الكتابة عند العرب و بين بعض حالاتها في الاسلام وذلك في خطبة ألقاها والخطب لا تحتمل الاستقصاء في الاستدلال او ان يغاص فيها وراء عويصات المسائل .

ونقول أيضا قد عرفت مما كتبناه سابقا وماقدمناه حال الصحابة (رض) في الرواية عن رسول الله (ص) وانهم كيف يروون عنه (ص) وعرفت انه كيف كان يبين لهم وعرفت ان حفظهم لما روينا عنهم ليس بالمستبعد وأن المكثرين منهم وغير المكثرين قد كتبوا في حياته أو استكتبوا وهم لم يزالوا يكتبون بعد وفاته ما فات بعضهم عن عن البعض الآخر . والفاضل الدكتور هو ان قدر ان يثبت كراهية بعضهم فهو لا يستطيع بين علة منصوصة لذلك غير ما ذكرناها عنهم في رسالتنا السابقة . وقلنا ان من كره ذلك فانما كره ان يكتب رأيه اما احاديث النبي (ص) فقد كتبها كثير منهم برأى ومسمع منه (ص) ومنهم (رض) فلم ينكر (ص) ذلك ولا هم انكروا ذلك . ولم يتلف بعضهم ما عند البعض الآخر بالاحراق وغايته ان بعضهم اتلف مكتوبات نفسه ورأيه وهذا بخلاف فعلهم بالقرآن الذي كان عند بعضهم غير ما اجمعوا عليه . وبذلك يظهر ظهورا لاغبار عليه ان كتابة الحديث لم تكن في معتقدهم مكروهة مطلقا وحاشاهم من ذلك — فقد كان الخلفاء الاربعة (رض) وغيرهم من كبار الصحابة (رض) اذا وقعت واقعة ووجدوا فيها حديثا عن رسول الله (ص) لا يعدلون به سواه بل يحكمون بمقتضاه ويحفظونه ويكتبونه في رسائلهم الى عمالهم فكتابة الحديث بالصفة التي ذكرناها كانت من عملهم ومما أجمعوا عليه فعلا وتقريرا

وغاية ما يثبت عن بعضهم انه كره كتابته في كتاب واحد لا يرجع الى سواه ويكون مرتبا كما كتب القرآن يعمل به الناس ويتركوا ما لم يكن فيه — على انهم قد عزموا على ذلك وكان ميل أكثرهم الى الفعل ومن كره ذلك فانما كرهه رجوعا بعد الموافقة على الكتابة ومع ذلك هو لم يكرهها ويتركها لأجل ان الحديث شريعة موقتة ولم يستدل على الترك بما يدل على انه فهم ان الأحاديث شرعية موقتة كما بينا ذلك في رسالتنا السابقة — وهم قد صرحوا بانهم لم يتركوا كتابة الحديث بالصفة

المذكورة الا خوف الالتباس بالمصحف وبعضهم لم يقل الا جردوا القرآن

فالاصل الذي بني عليه الفاضل الدكتور مذهبه انما هو احتمال من عنده وظن توهمه لم يسبقه الى تخيله أحد من اتباع محمد (ص) بل قولهم وعملهم وأمرهم يناقضه مناقضة النقيض لنقيضه وما هذا حاله لا يصح فرضه — على انه لو لم يوجد عنهم ما يناقضه فلا يصح ان يجعل مثل ماهذا حاله أصلاً لمخالفته نصوص القرآن — بل لو لم يوجد في القرآن ما يناقضه فلا يصح كذلك لمخالفته ما يوجبه العقل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم — ولو تغاضينا عن ذلك كله فغايته ان يكون احتمالا من جملة احتمالات قاله غير معصوم خالف اجماع المسلمين والله جل شأنه قد ذم من يتبع غير سبيلهم وتهدده — فما رأيك باحتمال هذا حاله كيف يعول عليه أم كيف يسوغ للمنصفين الاعتماد عليه والمفاضلة دونه وهو على كل تقدير ومهما فرض فاسد مدفوع . فهذا بعض ماتقوله في شبهة الفاضل في عدم كتابة الحديث وقد ذكرنا بعض أدلته في رسالتنا السابقة والمقام جدير بالاطالة ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن يريد الله له الهداية

اما من بعد الصحابة من رجال الأسانيد والأئمة المحدثين الذين رووا عن الصحابة (رض) وروى عنهم من بعدهم من الائمة كذلك فهم الذين كتبوا الأحاديث واجمعوا على كتابتها وكانوا كلهم رحمهم الله يكتبون وكان المحدثون (رح) يكتبون كل مروياتهم عن الشيخ حين الدرس يكتب ذلك الطلبة كلهم ويقابلون ويصححون على الشيخ أو من كتابه كل ذلك يكون بغاية الاحتياط مع كمال الفحص والتنقيب عن كل راو وعن كل ما يحدث به

فان قيل اذا كان الامر كذلك لم لم تكن جميع الاحاديث بنقل الجموع والتواتر — قلنا ان الاحاديث الصحاح هي هكذا في نفس الامر ودليله تلقيهم ذلك بالقبول — وسبب كونها آحادا انما هو لان أهل الكتب المعتبرة لايثبتون الا ما يرويه الاثبات الضابطون ومن سواهم لا يروون عنه لئلا يغتر به من لم يعرف حاله تقليدا لمن روى عنه — ولانهم يختارون الاختصار فلذا وذاك كانوا يختارون في مصنفاتهم الأمثل من الاسانيد ويتركون ما سواه — ونحن قد قلنا انهم لو اختلوا طريقة

التواترية لكان كل حديث أو أكثر الاحاديث متواترة في أكثر الطبقات فليتأمل الناظر . وان أرادمصداق ما ذكرنا فليفرض أي حديث مما اتفقوا على صحته ثم ليتتبع طرقه في كتبهم فلا نشك انه حينئذ يوافقنا على ما قلناه — على انه ان وجد في اثناء سنده تفرد واو فلتك الراوي لا بد وان يكون ممن أجمـع على حفظه واعتباره وكماله وضبطه بالكتابة ورب رجل يعدل رجالا فتفكر

قال حضرة الفاضل في الكلمة الخامسة ما مؤداه ان المسلمين خالفوا القرآن بايجابهم العمل بالاحاديث الى آخره — واستدل ببعض آيات في ذم الظن الذي أجبنا عنها في رسالتنا السابقة وزيادة على ذلك نقول قد قدمنا في هذه الجملة المختصرة الادلة القطعية على ان أخبار الآحاد ليست ممـا تفيد الظن فقط بل هي تفيد اليقين أيضا — فلا بد للفاضل ان ينقض ذلك أولا بأدلة أصح ممـا سقناها — ثم لا بد له من أدلة جديدة تدل على ان جميع أحاديث الآحاد الثقات الضابطين الذين تنطبق عليهم شرائط أهل الحديث لا تفيد العـلم ولو لبعض الناس — ثم لا بد له من دليل يدل على ان المراد بالظن في هذه الآيات ما يرى انه الظن الراجح — وبدون ذلك لا يصح ولا يتم له الاستدلال بهذه الآيات على رد العمل بالاحاديث — نحن لا نرى ان هذه الآيات مما تدل على ذم العمل بالاحاديث ومن أراد ذلك منها فقد حملها مالا تحمله — لان من تفكر في هذه الآيات وامعن النظر فيما اشتملت عليه مما سماه الله ظنا فيها يراه لا محالة انما هو ممـا يسميه الناس في زماننا هذا بالشك فالقرآن انما يذم ما يكون بمرتبة الشك بل بمرتبة الوهم والخرص فقوله تعالى « سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء » هو استدلال منهم بالمشيئة والقضاء والقدر الذي لم يعرفوا سره ولا ماهو ولا آمنوا به على رد وانكار دين الله وشرعه وعلى تكذيب رسوله (ص) فكأنهم يقولون ان كل ما فعلناه هو حسن ودين مقبول عند الله حتى الغصب والسرقة وقتل النفس التي حرم الله الى غير ذلك مما يقوله اخوانهم الجبرية اليوم فهل يصح هذا الاستدلال ؟ وهل هو ظن راجح ؟ وما المرجح ؟ وهل أخبار

الثقات الضابطين مثل ما ذمه الله عن المشركين في هذه الآيات ؟ وما لم تتحد العلة ويعلم انتفاء المانع لا يصح القياس

والفاضل حفظه الله كثيراً ما يستدل بهذه الآية ونحوها على رد وذم العمل بالاحاديث الصحاح في زعمه · وقد سبقه الى الاستدلال بها على ذلك الخوارج · واستدل بها بعض العلماء على رد القياس المساوي والاولوي و بعضهم على رد وجوب الاخذ بالعمومات القرآنية مطلقا أو الذي قد وقع فيها تخصيص أو احتمال وعلى رد الاخذ بالاستصحاب وعلى رد الاجتهاد بترجيح احد الاحتمالين الراجح· واستدلالهم على ذلك اظهر من استدلال الفاضل على ما نحن بصدده فليسلم بما هو اولى من استدلاله · فان سلم لزمه القول بان ما سوى المنصوص في القرآن ليس من الدين مطلقا ولا يجوز العمل به · وعليه فلا ندري ماذا يقول في الوقائع التي لم ينص عليها القرآن · انه مهما يريد ان يقول فيها فالحديث اولى من قوله ورأيه واقرب الى العلم واليقين منه · والا لزمه ان الدين ناقص غير كاف لفصل كل ما وقع

ونقول ان ما استدل به هؤلاء المشركون قد سماه الله ظنا وذمهم عليه · واذا كان الظن يطلق على الراجح من الاحتمالين وعلى المتردد بينهما على السواء وهو الشك وعلى ما هو دون ذلك كالوهم والحزر والخرص ونحوه فهو مشترك لفظي انما يدل على ما يراد منه بقرينة على الراجح ولما كانت هذه المعاني متفاوتة ومختلفة الحقائق فلا يصح ان يقاس هذا منها على ذاك الا اذا استكملت شروط القياس كاتحاد العلة وان لا يكون في المقيس او المقيس عليه وصف يصلح ان يناط به حكم غير الحكم الذي يراد ان يطرد فيها مع عدم المانع كذلك · ومن صحح النظر فيما ذمته هذه الآية يرى انه لا يصح قياس الاحاديث الصحيحة عليه بوجه من الوجوه مطلقا وكذلك العمومات والقياس والاستصحاب ونحوه كل ذلك لا تدل الآية على ذمه · وهذه لا تتعارض بل هي مرتبة واعلاها نص القرآن ثم نص الحديث وهذا الثاني مقدم على العموم مطلقا وقيل على العموم الذي قد تطرقه الاحتمال وليس شيء من هذه الاشياء من الظن المذموم حتى عند من يجعل كل ذلك من الظن لان كل ما ذمه الله تعالى من الظن في غير هذه الآية من كتابه فانما هو متحقق

ذمه في هذه الآية ولئلا يدخل في ذلك الظن الراجح كالقياس وما ذكرناه بعده
ونحو ذلك ايضا قوله تعالى « ان بعض الظن اثم » أي بعض الظن الذي هو بمثابة
ظن المشركين غير المستند الى حجة ترجحه فهو اثم لانه من ظن ضعفاء العقول الذين
ليس لديهم علم و بصيرة وانما هم يخرصون بالحزر والوهم الكاذب ومفهوم الآية ان
البعض الآخر أي كالظن الراجح ونحوه ليس كذلك وحينئذ نقول إما ان يجعل
الظن مراتب لا يتناول حكم احداها الاخرى وذلك مثل ما قلناسابقا أو يجعل كالمتواطئ
في افراده وهذا مع ضعفه فالظن الراجح مستثنى كما عرفت ايضا ، وإما ان نجعل كل
ما هو نظير ومثيل ما ذمهم عليه هو الظن وكل ما كان مدركه أقوى مما ذكره الله
عن المشركين وذمهم عليه هو من العلم وعلى كل تقدير فاستدلال الفاضل الدكتور
بهذه الآية ونحوها على ذم العمل بالاحاديث الصحاح فاسد فاذمه الله عن المشركين
في واد والاحاديث في واد آخر . وبما ذكرناه تنحل عقدة الاشكال التي كثيرا ما
تورد مثل هذه المسائل فتأمل ذلك واشكر الله على افضاله

قال اخونا الفاضل وقد اقر الاستاذ الفاضل الشيخ اليافعي بان الظن انما يذم
اذا عارضنا به الامر القطعي . ثم رد علي بأني ومن على مذهبي كثيرا ما اعارض
نصوص القرآن الشريف الصريحة واخالفها لاجل الاحاديث الآحاد . الى قوله واليك
بعض الامثلة على ذلك .

وأقول في الجواب قد قدمنا الكلام على آية الوصية للوالدين والاقربين
الوارثين . وهنا نقول للاخ المكرم حفظه الله ان تجويز معارضة نص القرآن بالحديث
الصحيح لم يقل احد من المسلمين به فيما اعلم والحقير لا يقول به أيضا هذا فصل (الثاني)
ان من جوز نسخ القرآن بالسنة متواترة كانت او مشهورة او آحادية لا يلزمه ان
يقول بوقوع ذلك فعلا (الثالث) ان من يجوز نسخ القرآن بالحديث الصحيح هو
لم يعارض به نص القرآن وانما اذا صح حديث عن رسول الله (ص) متأخر عن
نزول آية ولم يمكن التوفيق بينهما فالمعارضة انما هي بين الحديث واستمرار الحكم
أي بقائه او عمومه واطلاقه وقد اختلف في الاول كبار العلماء (رح) وقد قدمنا بعض
الكلام على ذلك اما الثاني والثالث فقد قال بجوازه ووقوعه الجمهور لكن قال شيخنا

ابن القيم رحمه الله مع تجويزه النسخ بجميع اقسامه ما معناه ان كل ما يظنه الناس معارضة بين السنة والقرآن فليس الامر كما يظنون بل لا بد ان تكون السنة مبينة لآية من القرآن هي في الحقيقة ناسخة او مخصصة لما يظن منه أن السنة خصصته او قيدته وعلى كل تقدير فأهل العلم كلهم متفقون هؤلاء وهؤلاء على انه لا يجوز اهمال والغاء شيء مما صح عن النبي (ص) سيان من جوز وقوع المعارضة ومن التمس لها موافقة من آيات الكتاب العزيز لان المرمى والمحط واحد

قال الاخ الفاضل حرموا اكل الحمر الاهلية للحديث مع ان الله يقول « قل لا اجد فيما اوحي اليّ محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآية . ويقول دائما حرم عليكم الميتة والدم » الآية الخ واقول ان الحصر في هاتين الآيتين قد عارضته آيات أخرى في القرآن نفسه (٭ واذا اخذ المطعوم المحرم اعم من لحم الحيوان فالمعارض اكثر . وحينئذ إما ان يقال الحصر منسوخ او مخصوص بوقت نزولها وكلا التقديرين مخالف لمذهب الفاضل لعدم تجويزه النسخ أي وقوعه ، ولقوله ان الخصوص بوقت دون وقت لا يكون في القرآن وانما يكون في الحديث لانه أي الحديث شريعة موقتة بزعمه وهو هنا لا محيص له من التزام أحد الاحتمالين رضي ام ابي

ثم نقول اذا كان الحصر منسوخا أو مقيدا بحين النزول فلا يكون الحديث المذكور معارضا لنص القرآن المحكم بلا خلاف وانما هو من باب الزيادة على ما في القرآن او ما سكت عنه ومن لا يجوز ذلك فقوله غير مؤيد بحجة ولا بشبه حجة على أنا نقول ان الله حرم الخبائث والخبيث في القرآن كما حرمْ الانفاق منه فلم لا يجوز ان يكون لحم الحمر الاهلية من ذلك والحديث مبين لما اجملت تلك الآيات وبذلك يندفع الاعتراض من اصله

قال الفاضل قالوا بحرمة الذهب والفضة والحرير للاحاديث التي رووها والقرآن يقول «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » الآية قلت وليس الامر كما أطلق وأهل الحق (رح) لم يحرموا الا الاكل والشرب في آنية الذهب والفضة وعلى الرجال لبس الذهب في غير السلاح والحرير الخالص لغير الضرورة

٭) المنار : ليته بين المعارضة بالشواهد كما تعودنا من إسهابه

والآية ليست نصاً في تحليل ذلك بل لم يذكر فيها شيء من ذلك بخصوصه وكان سبب نزولها في زينة مخصوصة حرمها المشركون وهي ستر العورة فكانوا لا يجيزون بل يحرمون سترها عند الطواف وكانوا يحرمون بعض الرزق الطيب فأمر الله عباده المؤمنين ان يأخذوا زينتهم عند كل مسجد وان يأكلوا ويشربوا من الطيبات من الرزق ونهاهم عن الاسراف في الامرين أي اللباس والاكل والشرب ورد على المشركين بأن قال لنبيه (ص) قل لهم أي أسئلهم من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية فالآية لا يعارضها الحديث لما عرفت ان ما أحل لنا من ذلك هو مقيد بعدم الاسراف وأيضا قوله « من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » المراد بالزينة فيه الزينة التي أمرهم بأخذها عند كل مسجد وتلك معلومة لدى المخاطبين (رض) لم تكن هي ذهبا وفضة ولا حريرا ، على ان ماسوى الاكل والشرب في آنية النقدين من كل استعمال لما ذكره جائز للنساء وهن ممن يدخل في الخطاب وأيضا كل مايطلق عليه لفظ الزينة لايمكن الدكتور ان يجوزه لكل أحد بلا تقييد ولا نظنه يجوز للرجال لبس النساء ولا العكس مطلقا واذا كان الامر كذلك فكان الاولى به ان لايعترض علينا بهذه الآية في الاحاديث لاسيما وقد عرفت ان آخر الآية انما هو مبني على ماذكره في أولها

ان من يعارض الاحاديث ويحلل كل مايطلق عليه لفظ الزينة بهذه الآية قوله أشبه شيء بقول من يجوز أكل وشرب وتناول واستعمال كل ما على الارض وكل مايخرج منها بقوله تعالى « هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا » الآية فكما ان هذا لايصح فتحليل استعمال كل زينة بكل صفة لايجوز مثله والآية لاتدل عليه

قال حرموا ان تنكح المرأة على عمتها وخالتها وخالفوا قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » الى قوله بعد ان ذكر سائر المحرمات وليس من بينهن المرأة على عمتها أو خالتها . وأقول هذه الآية قد دندن حولها الخوارج وأطالوا بما لا طائل تحته وقد خالفوا اجماع من تقدم عليهم علما وفضلا وخالفوا نصوص رسول الله (ص) والنبي (ص) قد حذر منهم وذمهم وقال انهم يمرقون من الدين استدلوا بعموم قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » وهو غير مراد على اطلاقه لوجود نصوص

القرآن بتحريم محرمات لم تذكر في هذه الآية كالمشركة وزواج الأمة لمن يقدر على زواج الحرة والزانيـة والملاعنة والمطلقة ثلاثا حتى تنكح زوجا غيره ــ والعقد بالربيبة قبل ان يطلق أمها ويدخل بها على خلاف في ذلك بين العلماء ــ كما اختلفوا في المشار اليه في قوله « ما وراء ذلكم » وقد اختلفت طرق أهل العلم في الرد عليهم · ونحن إذا ناقشناهم الحساب قلنا لهم ان الله ذكر ما ذكر من المحرمات منبها بها على ما لم يذكره مما أحدث فيه علة التحريم ــ وليس المراد الحصر بالعد ، ولا اقامته مقام الرسم والحد ، وبناء على ذلك نقول ان الله لم يذكر الجدات ولا بنات الاولاد ولا أم المرضعة ولا بنات الأخت والأخ من الرضاعة ولا سائر من يحرم من الرضاعة فكما انه لم يصرح بذكر من ذكرناهن وهن محرمات غير داخلات في قوله « وأحل لكم ما وراء ذلكم » فكذلك تحريم ان تنكح المرأة على عمتها أو خالتها من كل امرأة لو فرضت ذكرا حرمت على الأخرى ــ لا يحل ان تنكح عليها ــ فقوله « وان تجمعوا بين الأختين » لا يأبى دخول الجمع بين أحدهما وبنت أختها وأخيها في المنع والنهي بل دخولها ظاهر لاهل العلم بالقرآن لاسيا وقد دل الحديث الصحيح أو المتواتر عند بعضهم على ذلك

ولو سلمنا بالمعارضة فهي ليست لنص الآية · وانما هي بين عمومها أو استمرار الحكم وتأبيده وهو ظني كما تقدم والحديث أقل حالاته ان يكون أرجح واذا وقعت المعارضة فالجمع بين الدليلين هو الواجب اذا أمكن والا لزم اهمال أحدهما بلا موجب وهو لا يجوز · هذا على قول من يقول ان الاحاديث الصحاح انما تفيد الظن اما على ما اعتمدناه من انها قد تفيد نا العلم فالامر واضح ظاهر ولا قباحة فيه

قال الفاضل حفظه الله أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام للحديث والقرآن يقول « لا اكراه في الدين » « فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » · وأقول قوله أوجبوا القتل مطلقا ليس بصحيح على اطلاقه ــ بل لو منع الامام عن قتل المرتد لمصلحة كهادنة ومعاهدة ومأمنة بشروط ألجئ اليها لا يجوز قتله فقتل المرتد قد يختلف حكمه باختلاف الحالات وهذا الاختلاف الذي قد يرى انه تساهل في

بعض الاوقات والاحوال — انما يستفاد من الاحاديث والسنن لا من القرآن ومن تفكر فيما اشتمل عليه صلح الحديبية من الاحكام عرف ذلك فلنكتف بالاشارة اليه

أما ماذكره حضرة الفاضل فهو ليس في حكم المرتد وانما الآية الاولى في شأن الكفار من أهل الكتاب هل يجبرون على الاسلام أم لا وأما الآية الثانية فليس فيها تجويز الكفر لهم ولا حكم الاكراه لهم مقابل هو مسكوت عنه كله انما هو في الكافر الاصلي فالايراد ليس في محله .

ونحن نسأل حضرة الفاضل هل يقول باقامة الحدود والتعزيرات على فعل بعض الواجبات والفرائض الذي اجمع عليه المسلمون ودل عليه الكتاب والسنة كما قال « تعالى فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم » الى غير ذلك مما يدل على ان المسلم يجبر على التدين والخضوع لاحكام الدين ؟ ام هو يقول بعدم جواز اقامة الحدود ونحوها ؟ فان قال بالاول وهو ظننا به فقد وافقنا ونقض اعتراضه بنفسه والا كان مخالفا وواقعا في أقبح مما ظن وزعم ان غيره واقع فيه

(لها بقية)

الانقلاب العثماني الميمون

﴿ ورأي صاحب جريدة وطن الهندية فيه وفي عبد الحميد خان ﴾

أرسل الينا صديقنا الغيور مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية ما يأتي فننشره مع تصحيح قليل لبعض الالفاظ من جهة اللغة والنحو ونجيبه عنه وهو

حضرة الصديق الفاضل :

استلمت كتابكم الخصوصي مع العدد الرابع من مجلة المنار وشكرت فضلكم وقد وصلني في نفس ذلك البريد اعداد من جريدة اللواء ايضا خلاف المعهود وقد نشرت هذه الجريدة كتابي في أحد اعدادها وردّت عليه في العدد الآخر حسب ما رأت فاشكره على لطفه ايضا

وجنابكم تعلمون اني اظن حضرتكم محباً مخلصاً للاسلام والمسلمين فلذلك اكلفكم في بعض الاحيان تكليفا ما - واطالع مقالاتكم وكل ما تسطرون في امر الاسلام والمسلمين بمزيد العناية والتبجيل بل واسعى في اشاعته جهد طاقتي وحسب استطاعتي ليستفيد العالم الاسلامي الهندي من آرائكم الحكيمة - وكذلك لا اشك في كون حضرة علي فهمي كامل بك ايضا محباغيورا للملة والوطن - ولكن اعذروني ياسيدي باني لا أرى بدا من ان أقول لكم كلمة صادقة - وهي اني كنت دائما لا أرى رأيكم صحيحاً في امر السلطان المخلوع وان ما كتبتم في العدد الاخير من مجلة المنار قد قرأته بكمال الاسف والحيرة - وليكن في علم حضرتكم اني لا اظن عبد الحميد ملكاً معصوماً - بل أرى فيه من حيث انسان من التقصيرات ومواقع الضعف البشري ما يجب ان يؤخذ عليها - ولا يخفى عليكم وعلى الذين طالعوا كتابنا تاريخ مشروع السكة الحجازية باني اول من كتب بالصراحة التامة في ذم عمال عبد الحميد وعدم كفايتهم حين لم تكن في استطاعة أي جريدة من جرائد مصر وسوريا ان تكتب في هذا الباب بمثل تلك الصراحة - لاني كتبت ذلك في شهر يناير سنة ١٩٠٨ واظنكم غير ناسين ما جريات مشروع السكة الحجازية فانه لما شاع اقتراحي هذا اول مرة خالفه السلطان عبد الحميد اشد الخلاف وكتبت جريدته الرسمية «المعلومات» ان هذا المشروع يكون اشد ضرراً للدولة العلية ولكن يغفر الله للمشيرين المرحومين شاكر باشا وعثمان باشا غازي فانهما بعد أن تأثرا من مكتوباتي المتوالية ايدا المشروع حتى تأييده وكانت نتيجته ما كان

ان حضرتكم وحضرة محرر جريدة اللواء تقولان ان مخاطبكم هذا (محرر جريدة وطن) ومسلمي الهند لا يعلمون من الحالات الاصلية للدولة شيئا - فاقول بكل الادب ان قياسكما هذا ليس بصحيح فان سوء ادارة ولاية الحجاز والحالة السقيمة التي كانت لاحقة للجيش العثماني المرابط في الولايات البعيدة - والمظالم التي كانت تجلبها يد الجاسوسية على البلاد والعباد كانت حديث كل ناد من اندية القوم في الهند والسند وأفغانستان ولم يكن الفرق غير انا كنا خبيرين بذلك والعثمانيون هم واقعون تحت نير هذا الاستبداد عملا يذوق بعضهم من طعمها المر ويتأوه من شدائد هذا المظالم

والآلام — وتعلمون حضرتكم حق العلم ان مسلمي الهند لم يكونوا بوجه ما منها عليهم من السلطان المخلوع ولا مرهونين بهمة من الامة التركية . ان الاتراك أو الخليفة لم تعط ولا درهما واحدا في اعانة مسلمي الهند حين ما ابتلوا ببلاء او انتابتهم نائبة مع ان مسلمي الهند لم يقصروا قط في مديد الاعانة للعثمانيين — حتى أن محرر جريدة وطن غير كونه مقترحا لمشروع السكة الحجازية والبغدادية جمع لها من اموال الاعانة زهاء مليون قرش وارسلها الى اللجنة العليافي الاستانة ولم تستطع جريدة من جرائد العالم الاسلامي ان ترسل مثل هذا المال لاعانه ذلك المشروع العظيم من الاكتتاب العام وكذلك ارسلت في اعانة منكوبي جزيرة اقريطش آلافا من الروبيات — احتسابا وخالصا لوجه الله — ما اردت أن أمن بها على احد ولما تشفع لي دولتلو ذهني باشا في حضرة السلطان بعطاء امتياز (؟) منذ سنتين وصدرت الارادة باعطائي الوسام العثماني من الدرجة الرابعة كتبت الى حضرة الباشا المشار اليه اني لم ار من المناسب أن اود عطاءكم مع اني لا احسبه شيئاً بمقابلة الاجر الذي يحصل لي من الله الكريم لان تلك الصلة الدنيوية لا يمكن أن تفيدني فائدة ما . ولا يخفى عليكم ان هذا الامتياز لم يكن ليعتد به لان الذين زاروا الأستانة العلية من الاجانب من أي صنف وطبقة كانوا يحصلوا على امتيازات اجل وافضل من ذلك الامتياز وغير ذلك فاني لم اكن اخدم هذا المشروع رغبة في صله»

يظنون بان السلطان عبد الحميد هو الباني والمحرك لفكرة اتحاد الاسلام ولكني أعلم حق العلم انه لم يسع قط لاشاعة هذه الفكرة في مسلمي الهند ولا احد من اعوانه ولو كان كذلك لكان لابد ان اكون اول من يعلم به وكيف كان من الممكن السعي في نشر افكار اتحاد الاسلام بين مسلمي الهند حينما لم يكن قنصل الدولة العلية في ثغر بمبي عالما باسماء الجرائد الاسلامية التي كانت مشغولة في جمع الاعانات للسكة الحجازية ايضا — واني اعلم واكثر مسلمي الهند مثلي في العلم بان الوسائل الاصلاية الترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد الى حد يجب أن نفتخر به حتى قلت بنفسي في تأليفي كتاب «تاريخ خاندان عثمانية» الصادر في سنة ١٨٩٧ ما مفهومه « لعلي اری بجنب الجامع الحميدي وحميدية خسته خانه وامثال ذلك من المشروعات

ترعة او سكة حديدية ايضا يفتخر بها العصر الحميدي الى الابد » ولعلكم تتعجبون من سماع هذا الامر ان جريدتي « وطن » كانت ممنوعة الدخول في الاستانة و بعض الممالك المحروسة كجريدة « وطن » المصرية وان كانت جريدتي لا يكون فيها غير مدح عبد الحميد وتأييد الخلافة العثمانية شيئا — بل هي مخصوصة لذلك الامر

ولكن مع ذلك كله اعتقد انا وجميع مسلمي الهند بوثوق تام ان تركيا الفتاة أو الامة العثمانية قد ارتكبت خطأ جسيما في عزل عبد الحميد بل كفرت نعمة الله تعالى وقد علمتم من صاحبزاده عبد القيوم عظيم الافغان ان الصدمة التي احس بها مسلمو أفغانستان والهند من عزل عبد الحميد كيف كانت شديدة عليهم وكل يوم يرد عليّ من الكتب من اقطار الهند مالا أستطيع نشره في الجريدة وفيها مافيها من اظهار التألم والتأثر في النفس — وأخاف لو نشرت افكار المنار واللواء في جريدتي أن تأتي غالبا بما هو عكس المقصود — واسمحوا لي ان اقول لكم بكل الاسف ان ماكتبتم حضرتكم تعليقا على مقالتي أو في مكان آخر من مجلتكم هو خارج عن حد الاعتدال يشف عن ميلكم الى الاتحاديين ولذلك ترمونني وجميع مسلمي الهند بالجهل بأحوال الدولة العلية — ان حضرتكم أو حزب تركيا الفتاة أو الرجعيين من العثمانيين الذين يرومون عود عصر الاستبداد كلكم من المناظرين اوفريق من المتخاصمين لاتستطيعون ان تبدوا او تقيموا رأيا صحيحا واما نحن معاشر المسلمين في الهند ففي وسعنا ان نقيم الرأي الصحيح لاننا لسنا من فريق ولا واسطة لنا بهم غير الاخوة الاسلامية والتعلق الادبي الذي هو روح الاسلام — وانكم مثل الجندي الذي يكافح و يناطح الاعداء في ميدان القتال لا يرى غير ما يكون حواليه ولا يكون همه الاقتل مبارزيه ونحن كالمتفرجين من بعيد نرى كل ما يجري بين الفريقين المتحاربين — وانكم من الذين آذاهم العصر الحميدي حتى اضطروا لترك الاهل والوطن فلابد انكم تسرون بزوال السبب الذي جر عليكم هذه البلاد وان يكن هو السبب البعيد والقريب غيره والا فلم يكن يليق بحضرتكم ان تصوبوا سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له (شيء من) الحول ولا الطول وهو الآن تحت رحمة أعدائه الذين لا تشفى غلتهم الا بشرب دمه

ان مافعلوا بعبدالحميد هو ليس غير عزله من سرير السلطنة ولكن ترون مئات من الملوك والخلفاء والقوّاد العظام الذين دالت دولتهم قد صار مصيرهم أسوء من عبدالحميد : ايش مضى على نابليون ؟وما جرى على مدحت باشا ؟ قد قتل السلطان عبدالعزيز وعزل السلطان مراد — بل الفاروق (رض)وذو النورين(رض)والامام علي (رض) كلهم فازوا بالشهادة ان لم ينزلوا من دست الخلافة وأراد القاتل اغتيال معاوية (رض) وقتل الحسين (رض) مع رفقائه رضوان الله عليهم في اشد المصيبة ولقد نجد التاريخ مملوءًا من أمثال هذه الحوادث الجسام فمالنا ان نخص مفهوم الآيات القرآنية بعبد الحميد وحده بل يجب علينا ان نحترز من مثل ذلك الخطاء

واعلموا ان ظنكم وظن جريدة اللواء بان الانكليز في الهند يسعون في إلقاء بذور الشقاق بين مسلمي تلك الاقطار والعثمانيين للقضاء على الاتحاد الاسلامي والخلافة فأقول لكم بكل الاحترام ان ظنكم هذا ليس في محله بل أسأتم حيث ظننتم هذا لأن الأمة الانكليزية أمة حرّة عادلة عاقلة لا تتداخل أبداً في مثل تلك الأمور . ان مسلمي الهند كانوا يجلون عبد الحميد لكونه سلطان المملكة العثمانية وأحبوه لأنه في رأيهم كان حافظ هذه السلطنة من المخاطرات الجسيمة لا غير فكان تبجيلهم له ومحبتهم منه لأجل خدماته الجليلةالتي خدم بها السلطنة والخلافة الاسلامية — وان كان عطل الحكومة الدستورية السابقة فلأنه يحسبها مضرة أشد الضرر في حق الدوله والملة

ان المسلمين الهنديين يعلمون بانه ليس من أحد في هذه الدنيا غير فان و باقيا غيرالله الواحدالقهار : ان الحجر على بسمارك ما صار سببا لخراب ألمانيا وعزل عمر بن الخطاب خالدا (رض) عن القيادة العامة لجند المجاهدين الاليجسبه المسلمون سببا للفتوحات ويتركوا الاتكال على الله تعالى وعلى شجاعتهم وقد هلك آلاف من الصحابة الكرام بطاعون عمواس وفازوا بالشهادة في ميدان القتال ومع ذلك لم تقطع سلسلة الفتح الاسلامي كذلك عبد الحميد أيضا لم يكن ليعمر الى الأبد ان كان يموت فكان لا بد من مشي الأمور كما كانت تمشي قبل أيامه وفي عصره ولكن مع كل هذه المسلمات لم تتصور نحن معاشر المسلمين الهنديين عزله طاعة كبرى للدولة ؟ لأن في

آرائنا أن الدولة العلية فقدت بهذا الامر إحدى يديها وعينيها وصارت ذات يد واحدة وعين واحد فقط بعد ان كانت ذات يدين وعينين

نحن نقول ان عبد الحميد لما أخذ كل أمور المملكة في قبضة يده قد أحسن نظرا الى الحالة الطارئة على البلاد في تلك الايام لانه لو كان القوم كلهم أو جزء قوي من أجزائهم يرى مثل رأي مدحت باشا لكان من المحال سقوط ذالك الرجل المصلح . ولايذهب من خاطركم ما فعله القواد العثمانيون العظام في حرب الروسية الاخيرة من أخذ الرشوة وكيف كان حال العمال في ذالك العهد فكان كل تبعة الجور والاستبداد على الوزراء والولاة

هذا هو حلمي باشا الصدر الاعظم الحالي لما كان واليا في اليمن أي شيء فعل في تلك البلاد التعسة ؟ لذالك رأى السلطان عبدالحميد ان العافية في ان يأخذ كل أمور المملكة في يده ويقبض عليها بيد من حديد ومن الظاهر ان ترقية القوم الذين قد خيم الادبار بجرانهم لايكون ممكنا الا بالحكم المطلق

كان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقا وكان حكم الصديق (رض) والفاروق (رض) أيضا كذالك

لا ننكر ان اجتماع الاختيارات في يد رجل واحد أعني عبد الحميد قد صار في آخر الامر موجبا للخراب أيضا لان الرجل الواحد لا يستطيع أبدا ان يحكم على بلاد واسعة الارجاء مترامية الاطراف وقد اندكت قواه بكثرة الاشغال فظهر عليه ضعف الكهولة والشيخوخة حتى صارت أكثر الامور في يد رجال المابين وهم يرمون كما يشاؤن ولكن نية عبد الحميد لم تكن سيئة قط لذالك لما رأى ان جزءا كبيرا من القوم صار أهلا للحكم الدستوري اعاده عليه وأعطاه حقه والظاهر ان هيئة الادارة التي تشكلت في سنة ١٩٠٨ هي من أحسن ما يكون

ولا يمكنكم إنكار ان المتعلمين المتنورين الآن في بلاد العثمانية قليلون جدا والجزء الاعظم من تركية آسيا مملوء من المسلمين الذين يميلون الى بقاء القديم على قدمه أكثر من الذين يرون الدستور حياة البلاد ومخلص العباد من شرك الظلم والفساد ومحبو القديم هم يقدرون اقتدار جلالة السلطان حق قدره ولا يرضون ان يكون السلطان مسلوب الاختيار

فان بقاء السلطان عبد الحميد على سرير الملك وقيام مجلس المبعوثان على العمل باصلاح الحكومة والبلاد هما الامران اللذان كانا يبعثان الطمأنينة في نفوس الفريقين وبهذه الطريقة كان من الممكن ان يأخذ الدستور مجراه الطبيعي على سبيل التدريج والترقي ولا تقع السلطنة في اخطار الحرب الاهليــة والفتن الداخلية ومن الجانب الآخر لا يكون بوسع الاعداء الخارجية ان يتلاعبوا مع الدولة العلية لخوفهم من سياسة عبد الحميد ودهائه المشهور والمعلوم ولكن الانقلاب الأخير (المشؤوم) قد فتح الدور الجديد قبل أوانه وزلزلت أركان حالة البلاد زلزالا شديدا

ان محمود شوكت باشا قد يستطيع ان يهدم كل جهال الاستانة وصوفتها ولكنه لا يستطيع أبدا ان يمحو من الوجود الملايين من المسلمين القاطنين في بلاد العراق وكردستان وجزيرة العرب والاناضول وغيرها الذين هم من محبي الحالة القديمة والحكم المطلق لا شك في أنهم ساكتون وصامتون الآن وسيسكتون الى بقاء الادارة العرفية والسيادة العسكرية ولكن متى وجدوا انفراجا من هذا الضغط ولو قليلا فلا بد من انفجار المادة المشتعلة الكامنة الان تحت هـذا الضغط الشديد (لا قدر الله)

انكم تقولون ان الخليفة والسلطان هو موجود وجالس على عرش السلطنة ولكن حجتكم هذه غير نافعة لان جلالة السلطان محمد الخامس هو كآلة صماء في يد فريق ليس له وجاهة خصوصية وقوة ذاتية . ونقول بعبارة أخرى ان يدا وعينا واحدة من يدي وعيني الدولة تعملان الآن واليد والعين الاخريين معطلتان بل تريد اليد العاملة والعين المستعملة في ذالك الوقت قطع اليد الأخرى وقلع العين الثانية من جسم الدولة وصلاح الدولة منوط باتحادهما في العمل اعني كان من الواجب ان يكون الفريقان من انصار عهد القديم والدور الجديد متحدين في ترقية شأن الدولة وصلاح المملكة مثل اليدين والعينين ويكون الصدر أو الرأس عبد الحميد فيعملان حسب إشارته وينجحان في أعمالهما

انكم تقولون ان الحركة الجديدة في الدولة العثمانية هي عين التوحيد والاسلام ولكن التاريخ يقضي بخلاف ذلك . ان الفتيان من الاتراك (تركيا الفتاة) يتبعون

أثر اقدام فرنسا التي اسقطت الملك أولا والعلماء الروحانيين ثانيا وقطعت علاقة العبد بالله تعالى أخيرا فصاروا بذلك من الماديين الدهريين . ان صبغة تعاليم الاسلام لتجدون في انكلترا البتة (كذا) ولعل تركيا الفتاة ان لم يكن بوسعها ان تقلد الخلفاء الراشدين فكان اللازم عليها قراءة تاريخ انكلترا . لاريب انه قبل قرون من هذا العهد قد فعل كرامول في انكلترا كما فعل شوكت الآن في الاستانة ولكن ايش صارت نتيجة ذالك الفعل القبيح غير اراقة الدماء اعواما متوالية وأخيرا قد حلت الملكية محلها وثبت ان محوها محال

تقولون ان عبد الحميد كان منبع جميع الشرور والمظالم ولكن ما تقولون في أمر تركيا الفتاة والمشير شوكت باشا فانهم أنفسهم من الذين رباهم العهد الحميدي الزاهر هل تسبونه على تهيئة مثل تلك النابتة النابغة ؟

قلتم أقوالا للغازي مختار باشا في ذم عبد الحميد وكأنكم ليس لكم علم بان عبد الحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل واميالة العدائية نحوه ولكن لم يتعرض قط لشأنه بل كان ينعم عليه ويكرمه كما كان يسعى في جلب الفتيان الثائرين عليه من أوربا بالشفقة الابوية والعفو السلطاني أليس هذا سماحا وكرما منه لا يوجد له نظير الآن

ان جمعية الاتحاد والقائد شوكت باشا يستطيع ان يأسر عبد الحميد ورجال الدور السابق ويعدم من يشاء من معانديه ، أفلم يكن يستطيع عبد الحميد ان يذلل المختار في زمان اقتداره؟ ولكن التاريخ يشهد له بأجلى بيان انه لم ينتقم من أحد لنفسه قط بل كان يشدد ويلقي القبض على الذين يعدهم أعداء الدولة والملة . ان مراد بك وغيرهم من رفقائه يساقون الآن الى السجن المؤبد أو المشانق ومن الذي لا يعلم انهم كانوا من أشد أعداء عبد الحميد فعفا عنهم وطلبهم الى الاستانة وأنعم عليهم ـ وعلى كل حال إن المسلمين الهنديين متألمون ومتأسفون جدا من جراء هذا الانقلاب لظنهم انه يضر بالدولة والملة العثمانية ضررا بليغا ولكنهم اذا وجدوه مفيدا بحقها وثبت لهم ذلك من كر الليالي والايام فلا بد من أن ينعم به بالهم وتقر به أعينهم ويقولون « الخير فيما وقع » وإلا فقد افتى العالم الخارجي كله بأن « لا خير فيما وقع »

انكم تنسبون تألم المسلمين الهنديين الى دسائس الاجانب . وأكثر العقلاء يرون ان تركيا الفتاة مغرورة من جهة الاغيار في ارتكاب ذلك الخطإ الجسيم

ان عبد الحميد لم يكن قط بانيا لتحريك اتحاد الاسلام ولكن قد وجدت هذه بالحركة في عصره بين المسلمين بناموس الارتقاء البشري وأيقنت أوربا مثل يقينه بعدم تناهي كنوز يلدز وان الثلاثمائة مليون من المسلمين كلهم في قبضة عبد الحميد وكان ذلك اليقين كفل ثروة عبد الحميد الغير متناهية (بزعمها) مباركاً في حق الدولة والاسف كل الاسف على ضياع هذه الاعتقاد بعزل عبد الحميد وتحريات ثروته !!!

ان اتهام عبد الحميد بالجبن كالبصق على السماء ينزل على وجه الرجل نفسه لقد قال له الوزراء حين قدوم جنود الروسية في سان استفانوس أن يهرب الى بروصه لكنه لم يتزعزع من مكانه ولم يرض بترك دار الخلافة ولما طلب الروس الاسطول قال عبد الحميد انني أركب في السفائن وأدمرهم بيدي وأغرق معها ولكن لا أقبل ان أسلمها للعدو أبداً فهل يمكن طمس الحقيقة التاريخية التي تظهر بذكر ثبات عبد الحميد وقوة جأشه عند وقوع الزلزلة في القصر وفرقعة الديناميت على بضعة أقدام من مركبته حيث لم يكترث ذلك الطود العظيم بهذه الحوادث ابداً !!! وأكبر من ذلك ان يتهمه فاضل مثلكم بعقر الخمور (استغفر الله) لأن وجود الخمر في قصره من لوازم ضيافات الاوروباويين الذين كثيرا ما كانوا يدعون كل يوم على مائدته ولاجل ذلك لم يكن يشترك عبد الحميد قط في الطعام معهم وتقول جريدة اللواء ان انصار العهد القديم والرجعيين يعدون الجرائد الخارجية بالمال ويأخذونها وسيلة لنشر افكارهم » - يمكن ان يكون في مصر جريدة مثل ما قالته - ولكن لا يوجد في الهند عثماني واحد يحض جرائدها ببذل المال على تنقيص تركيا الفتاة والحكومة الدستورية — ومع ذلك فرصيفتنا اللواء تقول كذلك وتظهر خطأها القياسي كالواقعة الحقيقية فيمكن لنا ان نستدل بقية بياناتها بأنها قياسات لا أصل لها -

ان جريدة المقطم وغيرها من الجرائد التركية لقد تجاوزن حد الآداب في ذم عبد الحميد ولم تكن تفعل واحدة منهم هكذا في عصره - ومن العجب ان أكثر جرائد العرب والشام وغيرها ينقلون مقالات المقطم في أنهر صحفهن - وهن يعلمن

ان آراء هذه الجريدة كانت دائما مخالفة للحقوق التركية والمصرية في معاملة مصر — وفرحها وسرورها بعزل عبد الحميد يكشف الغطاء عن نيتها و يظهر لنا جلياً انها ترى هذا العزل حسب مرادها —

ان كان عبد الحميد ليس له عون ولا نصير فلم يهدمون الآلات المؤلفة من النفوس في الاستانة وسائر الجهات ؟ لاشك في انه فضل حقن الدماء ولم يرض ان يكون مثل شاه العجم · انه كان محباً للملة وخادماً مخلصاً للوطن لا طالب الجاه — وكان يحب الحياة لكن لا للتنعم والالتذاذ بنعمات الدنيا الفانية بل لخدمة الوطن والملة وظنه ن حياته رحمة الملة لصالح العباد والبلاد —

ان خير ما كتب في ذلك الشأن هو قول رصيفتنا اللواء « ان عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة ليس قتله بل احياءه لانه خلص من متاعب الحكومة » ولكن أقول ان عزله وان يكن في حقه احياء فلا يكون في حق الدولة الا موتاً ونكالاً — لا يوجد رجل في جميع المملكة محنكاً مثله بل وأقل منه أيضاً في السياسة الخارجية لذلك أرى من الواجب على الامة ان تكرم مقامه وتستشيره في الامور المتعلقة بالسياسة الخارجية و يكون العمل منوطاً بالاكثرية لا على اشارته

ولقد طال المقال رغم ارادتي الاختصار لذلك اختم رسالتي بتقديمي فائق الاحترام لحضرتكم وأرجو منكم نشرها كما ترون مناسبا والرد عليها سالكين مسلك الانصاف والحق وترك المجادلة بالباطل والسلام

وقد ارسلت نقولا من ذلك الى بعض جرائدأخرى أيضا عسى ان يتكرموا بنشره

في ١٢ يونيوسنة ٩٠٩ كاتبه المخلص محمد انشاء الله

محرر ومدير جريدة « وطن »

لاهور (بنجاب) الهند

﴿ جواب المنار ﴾

مقدمات ومسائل حول المقصد

(١) كان لنا ان لا ننشر رسالة صديقنا هذه لانه لم ينشر مقالتنا في الرد على رسالته

الأولى لأن الفائدة في نشر أمثال هذه المناظرات في الصحف هي بيان جميع مايجب بيانه لقرائها في المسائل المتناظر فيها لاجل ان يكون حكم أولئك القراء صحيحا لبنائه على العلم بالمقدمات التي يبنى عليها الحكم . ولكن صديقنا خشي من نشر ردنا عليه أن يأتي بضد مايراد منه كما قال فكأن قراء جريدته لايرضون منها الا ان تكتب لهم مايوافق ميلهم وهو يوافقهم على ذلك وهي خطة فيها من النقد مالامحل لشرحه هنا . أما نحن فاننا ننشر ماهو مخالف لرأينا ولمشرب جمهور قراء المنار لأنه ان كان حقاقبلناه ، وان كان باطلا دحضناه ، وفي اعتقادنا ان الحق يدمغ الباطل فاذا هو زاهق

(٢) لانسلم لرصيفنا وصديقنا المناظر لنا مايدعيه من أن رأيه في عبد الحميد والدولة هو رأي جميع مسلمي الهند فانه يتعذر عليه ان يعرف آراء أولئك الملايين وهو لايعرف أكثرهم ولا هم يعرفونه وانما قصارى ماعكن ان يظن هو أن جمهور قراء جريدته موافقون له في رأيه وميله وماهم الا عدد قليل في أولئك الملايين . وقد اعتاد مثل هذه الدعوى بعض الجرائد المصرية وما زلنا ننكرها عليها - واننا نرى بعض جرائد اخواننا مسلمي الهند تنشر من الرأي ضد ماينشر صاحب « وطن » بل ترد عليه فيما يكتبه كجريدة «وكيل» التي تصدر في (أمرتسر) وبلغنا عن مسلمي عليكده انهم مسرورون راضون عن هذا الانقلاب العثماني وناهيك بمن هنالك ، انهم أنور مسلمي الهند عقولا وأرجاهم لخدمة العلم والملة

(٣) ان صديقنا المناظر احتج برأي عبد القيوم عظيم الافغان وان هذا الرجل العاقل المنصف لم يفارقنا الا وهو مقتنع بأن تشاؤم الكثيرين من مسلمي الهند والافغان وخوفهم من عاقبة هذا الانقلاب انما سببه الجهل بالحقائق وان لبعض الجرائد تأثيرا تأثيرا سيئا في ذلك وانه يجب السعي في إزالة هذا الجهل حتى انه اقترح إرسال وفد تركي يجوب البلاد الهندية والافغانية لإزالة سوء الفهم والجهل بالحقيقة . وقد كان هذا من المعقول في أول العهد بالانقلاب أما وقد طال العهد ونشرت الحقائق في الجرائد فقد رأينا المنصفين من اخواننا مسلمي الهند مقتنعين بما ظهر لهم من الحق ولذلك كان إصرار صديقنا صاحب جريدة « وطن » على ما كان عليه غريبا عندنا يصعب تأويله

(٤) قرأنا رسالته هذه قبل نشرها على بعض أهل الرأي والاستقلال من مسلمين وغير مسلمين فعجبوا واستغربوا وقالوا ماتذكره مع إنكاره على إطلاقه وإجلال صديقنا وتبرئته من سوء النية : انه لا يعقل ان تكون هذه كتابة عارف مخلص ... وليس في هؤلاء من هو من جمعية الاتحاد والترقي ولا من المتعصبين لها بل هم ممن يعرفون لها وينكرون عليها .

حقا انه يصعب على العقل المجرد من الهوى ان يتصور ان إنسانا يعرف حقيقة حال الدولة العثمانية وحقيقة مافعله عبد الحميد من الافاعيل الضارة بها و بالامة ثم يكتب كلمة في مدحه والدفاع عنه ويكون مخلصا محبا للمصلحة العامة ولذلك بنينا ردنا السابق على قاعدة جهل جرائد مسلمي الهند بمفاسد عبد الحميد ومضار حكمه اذ لا وجه يتضح لاتهامهم بسوء النية وعدم الإخلاص . ولكن صديقنا ومناظرنا ينكر ذلك في رسالته هذه ويدعي انه هو وغيره من مسلمي الهند واقفون على جميع سيئات الحكم الحميدي وانهم اعلم بها وأقدر على الحكم فيها من العثمانيين الذين ذاقوها وتقلبوا فيها . ويبني دفاعه عن عبد الحميد ومدحه له على ادعاء حسنات له لادليل عليها ولا يستطيع ان يزيد فيها على الدعاوي والمدائح الشعرية كما بينا ذلك في ردنا الاول عليه وزاده بيانا صديقنا رفيق بك العظم في مقالته التي نشرناها في الجزء الماضي ونزيده نحن بيانا في هذا الجزء

(٥) ان كتابة صديقنا لهذه الرسالة بعد اطلاعه على مااطلع عليه من كلامنا وكلام غيرنا في الانقلاب لم نجد لها من تأويل مع ماتقدم من اخلاصه الا ان جريانه على مدح عبد الحميد سنين طويلة جعل حسن اعتقاده فيه أمرا وجدانيا كدين العجائز لا يقبل بحثا ولا استدلالا يخالفه أرجو منه العفو والسماح عن ابداء رأيي هذا فاننا لم نر وجها آخر نفهم معنى إصراره وتناقضه وتهافته فيما يكتبه أولا وآخرا

(٦) إننا لانعتقد صدق مايظنه بعض الناس هنا من ان الانكليز هم الذين أحدثوا في الهند فكرة سوء الظن بالدولة العثمانية في طورها الدستوري وان كنا نعتقد انهم يحبون ان تنتشر هذه الفكرة ليضعف تعلق المسلمين الديني بهذه الدولة وأن كل من يعطل ثقة المسلمين بالدولة العلية في البلاد التي للانكليز فيها نفوذ يكون خادما لهم في الواقع ونفس الامر وان لم يكافئوه ذلك ويغروه به

(٧) انا لا نعتقد أيضا ان السلطان عبد الحميد هو الذي سعى في بث نفوذ الدولة الديني في مسلمي الاقطار أو في دعوتهم الى التآخي والاتحاد مع سائر المسلمين . هو أقل وأصغر من ذلك فمثله لا يسعى في عمل كبير كهذا . وانني موافق لصديقي المناظر في كون هذه الفكرة المنبثة في المسلمين من روح التعارف والوحدة المعنوية ليست الا أثرا من آثار سنة الترقي في البشر . وقد كان شيخنا الاستاذ الإمام يقول ان الحرب الروسية العثمانية هي مبدأ هذه الحركة والصوت المحدث لهذه اليقظة الاسلامية العامة . وقد كان هو وشيخه السيد جمال الدين يكتبان في أثناء تلك الحرب المقالات المنبهة والموقظة . وقد رأينا قبل ذلك ان انكلترا حاربت الافغان فلم يكن أحد من المسلمين في مصر والاستانة وغيرهما يحفل بذلك

(٨) انني لا أتعجب من منع جريدة «وطن» الهندية من دخول البلاد العثمانية في عهد عبد الحميد وان كان لا يخشى ان ينتشر بدخولها من الافكار ما لا يحبه لجهل العثمانيين بلغتها ، ولا منع جريدة «وطن» المصرية - ان صح انها أرسلت ومنعت على كونها قبطية لا يطمع صاحبها بنشرها في غير مصر - لان العاقل انما يعجب مما جاء على خلاف المعهود ومثل هذا المنع هو المعهود في أيام عبد الحميد لان سياسته كلها وما يتعلق منها بمنع الصحف والكتب خاصة هي سياسة جنون وهل يتعجب العاقل من المجنون اذا آذى من يحسن اليه ؟ ؟

(٩) ان ما ذكره من سيئات عبد الحميد يناقض من وجوه ما ذكره في الرسالة الماضية التي نشرناها في الجزء الرابع التي ادعى فيها انه أصلح مالية الدولة ورقى عسكريتها ومعارفها وعمر داخليتها بل يناقض بعض ما جزم به في رسالته هذه كما سيأتي

(١٠) انا بينا المخطأ فيما أطري به عبد الحميد من الاعمال التي نسبها اليه وكان يعمل ضدها فلم يستطع ان ينفي شيئا مما أثبتناه وهو مع ذلك يصر على إطرائه بعبارات شعرية ودعوى ظاهر بطلانها لكل أحد كدعواه انه منع الدستور لاعتقاده ان الأمة لم تكن أهلا له ثم أهلها له ومنحها إياه

(١١) لا نسلم له انه أول من كتب بالصراحة في ذم عمال عبد الحميد فان جرائد المشرق والمغرب قد فاضت بذم عماله وبذمه هو أيضا قبل سنة ١٩٠٨ التي كتب

صديقنا فيها ولم يشذ عن ذلك الا الجرائد التي كانت تحت سيطرة ظلمه وجبروته أو المستأجرة بماله لمدحه أو الجاهلة بحال الدولة العثمانية او التي لا يهمها شأنها كبعض جرائد أمريكا واسبانيا مثلا (وعسى ان لا يعود صاحبنا الى دعوى مثل هذه الاولية التي يسخر العقلاء من انتحال بعض الجرائد المصرية مثلها)

(١٢) ان ماذكره عن جريدة معلومات غير صحيح فهي لم تكن جريدة رسمية ولم يكتب ما كتب فيها عن مشروع سكة الحديد الذي كان اقترحه الكاتب بأمر خفي أو ظاهر من السلطان عبد الحميد وانما كان ذلك رأي محررها في ذلك الوقت وهو صديقنا السيد عبد الحميد افندي الزهراوي الشهير وهو الذي حدثنا بذلك عن نفسه . وانما ذكرنا هذا الامر مع كونه ليس من موضوعنا الخاص لغرضين أحدهما كونه مثالا لعدم الثقة بمعلومات صديقنا صاحب وطن عن الدولة العلية وثانيهما معارضته في قوله ان خطأ اللواء في بعض ما ذكره عن الهنود يقتضي عدم الثقة بكل مايكتبه

(١٣) دعواه اننا نحن السياسيين والمؤرخين العثمانيين لا نستطيع ان نحكم في قضية الانقلاب العثماني حكما صحيحا لاننا من قبيل الخصم يحكم كل لنفسه وأن مسلمي الهند هم الذين يستطيعون ذلك — هي دعوى غير مسلمة لأن التشبيه في غير محله والا قلنا انه لا ثقة بما كتب مؤرخو فرنسا وساستها عن ثورتهم وحكومتهم — ولان اخواننا مسلمي الهند غير واقفين على حقائق الاحوال فيكون حكمهم فيها أجدر بالصحة

(١٤) اننا نعتقد اخلاص مسلمي الهند في حبهم للدولة ونعد صديقنا ومناظرنا من أشدهم غيرة واخلاصا بل نقول ان خطأه جاء من شدة غيرته

المقصد وفيه مسائل

(١) اعترف صاحبنا « بأن الوسائل الأصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد » الخ واعترف بأن أخذ أزمة المملكة بيده « صار في آخر الأمر موجبا للخراب » وهذا مناقض لرسالته الاولى برمتها ولبعض مسائل رسالته هذه كما أشرنا الى ذلك في التمهيد والمقدمات

(٢) ادعى مع ذلك الاعتراف ان عبد الحميد كان محسنا في إبطال الدستور الأول واستبداده بالحكم المطلق واستدل على ذلك بدليلين أحدهما سوء حال الدولة وعدم استعدادها للحكم الدستوري بدليل ماحصل من سقوط مدحت باشا المصلح ومن اخذ القواد العثمانيين الرشوة في الحرب الروسية وسوء حال العمال في ذلك العهد وعجز حلمي باشا عن اصلاح اليمن . وثانيهما كون حكم الاسلام هو الحكم المطلق

نجيب عن دليله الأول من وجهين أحدهما إنما يصح كونه محسنا في ذلك لو كان عدل في حكمه المطلق وأصلح وهو لم يكن الا ظلوما مفسدا زادت الرشوة في زمنه أضعافا مضاعفة . وثانيهما انه كان يمكنه ان ينفذ الدستور مع الرجال المستعدين لذلك الذين وضعوه كمدحت باشا وإخوانه كما فعل ميكادو اليابان فيكون في أول الامر دستوريا في الصورة وحكما بين المطلق والشوري في الحقيقة و بذلك يقوى استعداد الامة بسرعة . هذا مانقوله مؤخرا في الدليل نفسه لأ نا لا ننكر كون الامة العثمانية لم تكن في عهد مدحت باشا مستعدة للدستور بنفسها بل صرحنا بذلك مرارا في خطبنا ومقالاتنا المنشورة في المنار . أما الجزئيات التي أيد بها ذلك فهي مجال للبحث فان عبد الحميد اغتال مدحت باشا بالحيلة الخفية بعد ما نقله من ولاية الى ولاية والامة لم تفطن لكيده . وان حسين حلمي باشا عجز عن اصلاح اليمن لان كل اصلاح مع استبداد عبد الحميد وخرقه كان محالا على ان حلمي باشا كان حسن الادارة في اليمن لا ينكر أهلها ولا غيرهم ذلك

ونجيب عن دليله الثاني بمنع زعمه ان حكومة الاسلام حكومة فردية مطلقة . وقد أساء جدا في قوله ان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكم الصديق والفاروق رضي الله عنهما كان حكما مطلقا برأيهم الله مما قال وانما ذلك هو حكم الشورى الكامل ، وحكم التقيد بالشرع في الظاهر والباطن ، وقد بينا ذلك في المنار غير مرة مؤيدا ببراهين الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الأربعة . فليراجع صاحبنا تفسير « وشاورهم في الامر » من المجلد الحادي عشر ومباحث الحكومة الاسلامية في المجلد الرابع وغيرهما من المجلدات وليستغفر الله تعالى مما قال

(٣) أذكر بعد زعمه ان حكومة الاسلام التي قام بها النبي (ص) والخلفاء

الراشدون كانت حكومة مطلقة زعمه اني قلت ان الحركة الجديدة في الدولة العلية هي عين التوحيد والاسلام ورده ذلك بزعمه ان فتيان الترك القائمين بهذه الحركة يتبعون خطوات فرنسا باسقاط الملك فعلماء الدين ثم قطع العلاقة بين الناس وربهم واختيار مذهب الماديين الدهريين

ونقول في جوابه ان زعمه هذا من سوء الظن المتعلق بمكنونات الصدور ومخبآت الغيب للمستقبل . واذا كان صاحبنا ومناظرنا لا يعرف حقيقة الدولة الحاضرة وحال القائمين بها فكيف يعرف ما خبئ لها في الغيب . بل كيف يمكنه أن يدعي الاستدلال بالحاضر على الغائب . ان الاحرار الذين بأيديهم حدثت الحركة هم النابغون من العثمانيين العرب (كالقواد محمود شوكت باشا وهادي باشا وعلي رضا باشا) والترك (كأنور بيك من الضباط وغيره) والألبان (كنيازي بك من الضباط وغيره) ولم يعرف عن أحد منهم الكفر وانتحال مذهب الماديين وكذلك النابغون من المبعوثين والاعيان لم يعرف عنهم ذلك الا ما نقل عن رضا توفيق مبعوث أدرنه من ذلك القول الذي اعتذر عنه وهو لم ينقل على وجهه . ولم يعرف عنهم انهم يفضلون الحكومة الجمهورية على الملكية

نعم اني لا أنكر انه يوجد في متفرنجي الترك — وكذا غيرهم من العثمانيين — كثير من الملاحدة لفساد التربية في البلاد والتعليم في مدارس الحكومة ولا يبعد ان يوجد منهم أفراد في مجلس المبعوثان وفي لجان جمعية الاتحاد والترقي ولكن يوجد في هؤلاء الملاحدة من هم أحرص على جعل الدولة إسلامية من جميع المتنطعين في التدين لانهم يعرفون من فائدة ذلك مالا يعرفه المتنطعون . فالملحد الغالي الذي يخشى من غلوه على شكل الحكومة الاسلامي قليل . واختلاف الآراء والاهواء في الحكومة طبيعي في كل أمة فقد كان في عصر الاسلام الأول من يميل الى جعل الحكومة حكومة أشراف كشيعة علي كرم الله وجهه ؟ ومن قال منا أمير ومنكم أمير ؟ ومن يميل الى الديمقراطية المعتدلة وهم الأكثر . ووجد في ذلك العصر الخوارج وناهيك بمذاهبهم في الحكومة

ونقول من وجه آخر إذا كان ما ذكره عن فتيان الترك أو العثمانيين ونابتهم المتعلمة صحيحا وكانوا هم المعدين لادارة المملكة بمقتضى طبيعة الحال ألا يكون من سوء ادارة عبد الحميد أنه لم يرب في ثلث قرن من يصلح لإدارة دولة إسلامية كدولته ؟

ان مناظرنا الصديق يحتج علينا تارة بأن عبدالحميد رقى التربية والتعليم فيالدولة حتى صارت اهلا للدستور فتكرم وتفضل بالانعام عليها به مختارا مسرورا ، وتارة يحتج علينا بأن هؤلاء المتعلمين ملاحدة لاينتظر منهم الا الإلحاد والافساد؟ وليت شعري ماذا يفيد بقاء عبد الحميد في الملك مع التعليم والتربية التي تنتج مثل هذه النتيجة ؟ أكانت كل رغبة مناظرنا وغرامه من التمتع بالحكم الاسلامي الحميدي هو ان يبقى لعبد الحميد استبداده الى ان يموت على فراشه ؟ أليس ماظهر من عدل الله فيه مما يزيد الذين آمنوا إيمانا ؟

اما ما اشار اليه الصديق المناظر من استحسان الاعتبار بحال الانكليز والاقتباس من سيرتهم وتاريخهم وكونهم أقرب الى الحكومة الاسلامية الصحيحة من غيرهم فهو مقارب لرأي اخيه وعبده هذا وقد نبهت الى هـذا في خطب وأقوال كثيرة وكتبته في المنار ايضا في بعض المقالات ولعل الصديق رآه وسنعود اليه بالبيان الكافي ان شاء الله تعالى

(٤) يقول صديقنا ان المشير احمد مختار باشا الغازي سيء النية وعدو للسلطان عبد الحميد أي فلا يحتج بقوله فيه . ويقول لي « كأنكم ليس لكم علم بأن عبدالحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل واميال العدائية نحوه »

وأقول أولا — كيف كان يعلم هو في الهند من العلاقة بين مختار وعبد الحميد مالا أعلمه وانا في مصر اسهر الليالي الطوال مع مختار باشا ونتحدث في احوال الدولة بالحرية التامة ويذكر لي كثيرا من الاسرار وهو يعلم اني أمين عليها ، ومنها رأيه في السلطان ورأي السلطان فيه . وثانيا — لماذا يكون مثل احمد مختار باشا سيء النية لعبد الحميد وشديد العداوة له مع ما ذكر صديقنا المناظر من إنعامه عليه وإكرامه له ؟ هل يعقل ان يكون لذلك سبب الا اعتقاد هذا المشير الذي بذل في سبيل الدولة

دمه غير مرة أن عبد الحميد جان عليها ومخرّب لها وهو الذنب الذي لا يغفره عند هذا الرجل العظيم الإنعام ولا الإكرام الشخصي . وثالثا ليراجع صديقنا ص ٦و٧ من منار هذه السنة يجد فيها ان السلطان عبد الحميد كان يتهم مختار باشا بأنه يساعد جريدتي المنار والقانون الاساسي لانهما أنشئتا لمقاومته نفسه . ولو شئت لذكرت له كثيرا من أمثال هذه الوقائع والحوادث والمكاتبات الرسمية السرية ليعلم انني اذا قلت فيه إنه لا يعرف حقيقة ما كان عليه عبد الحميد في دولته ورجالها فانما أقول عن علم واختبار لا يمكن لمثله ان يصل الى ذرة منهما لان قصارى مايصل اليه نتف متعارضة في الجرائد

وما قيل في احمد مختار باشا يقال في محمود شوكت باشا وأمثاله من المشيرين وقواد الجيش وغيرهم من العقلاء الذين لم يصب أشخاصهم شر عبد الحميد وبغيه . فاذا كان مثلي في غيرته على الدولة والملة متهما عند الصديق (سامحه الله) لأن بغي عبد الحميد وحكومته أصابنا في أنفسنا وآلموا لنا وأهلينا فماذا يتهم هؤلاء ؟ على أنه لو فكر قليلا لعد اضطهاد الحكومة الحميدية لمثلي من أسباب التعديل لا من أسباب الجرح اذ لولا الصدق والاخلاص لسهل عليّ أن أكون مطوقا بذهب عبد الحميد دون سلاسل غضبه ولا يعقل ان يكون بين أمثالنا وبينه عداوات شخصية

(٥) نرى آخر ماستقر عليه رأي صديقنا انه كان يجب إبقاء عبد الحميد على عرشه ومشاركة جماعة الدستور له واستعانتهم بتجاربه على إقامة الحكومة الجديدة ولكنهم لم يفعلوا ذلك إيثارا للانتقام منه

ونقول ان أكثر العقلاء من الاجانب والعثمانيين العارفين بالتاريخ يرون انه كان يجب قتله عند الانقلاب الأول وإراحة الأمة من شره وان جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تدير القوة غلبت العفو والسماح والرحمة على الشدة والانتقام وظنت أنها تستطيع ان تنسخ سنة من سنن الاجتماع البشري فتحدث انقلابا في الحكم غير ملطخ بالدم ، وقد كنت أنا ممن حذر من التعدي على شخص السلطان ودعا الى الاستفادة من تجاربه في الامور الخارجية في أول مقالة كتبتها بعد إعلان الدستور ولكن أبى الله ذلك فأبى عبد الحميد ان يعيش مع حكومة الشورى والدستور ، يرضى

القتيل وليس يرضى القاتل ، فأخذ يكيد لها كما كاد لسابقتها ، فوقع في البئر التي حفرها ،
أما آن لك أيها العاشق لعبد الحميد ان تعرف الحقيقة التي عرفتها الارض والسماء
ولم يبق منفذ للشك فيها

(٦) يقول ان محبي الحكم المطلق من مسلمي العراق وكردستان وجزيرة العرب
والاناطول سيهبون الى مقاومة الدستور بعد انقضاء مدة الاحكام العرفية . يعني ان
من خطر الحكومة الدستورية على الدولة أنها مضادة لما عليه السواد الاعظم من المسلمين
وستكون سببا للثورات والفتن الداخلية

ونقول ان البلاد التي ذكرها ان كانت جديرة بعدم فهم منافع الدستور لعموم
الجهل فيها كما بينا ذلك في الكلام على تفاوت البلاد العثمانية في الاستعداد والعلم فهي
أيضا لاتعشق الحكم المطلق تفضيلا له على المقيد بحجة دينية أو عقلية وإنما يخشى من الفتن
فيها لان الزعماء الذين كانوا يتحكمون فيها بالدماء والاعراض والاموال شعروا بأن
ايديهم ستغل وسلطتهم ستزول فهم لاجل هذا أحبوا ويحبون مقاومة الحكومة الدستورية
كلما وجدوا الى ذلك سبيلا ولكن الحكومة ستطهر البلاد من شرهم في مدة أقصر
من المدة التي دنسها بهم عبد الحميد ان شاء الله تعالى

(٧) يقول اذا لم يكن لعبد الحميد أنصار محبون فمن هؤلاء الذين تشنقهم الحكومة
العرفية كل يوم

ونقول ان أعوان عبد الحميد على تخريبهم المملكة لتعمير بيوتهم وإذلال أهلها
لأجل تفخيمهم وتعاظمهم لايعقل ان يكونوا غير محبين له والتمتع بنعيم سلطته فهم
كأولئك الزعماء الذين ذكرناهم في المسألة السادسة

(٨) انني لا أقول شيئا في طعنه بمولانا السلطان محمد الخامس الا دعوته الى التوبة
والاستغفار من هذه المعصية فان لم يجب الآن فانه سيجيب بعد زمن بعيد أو قريب
يعلم فيه أن محمداً الخامس في بني عثمان كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، كما ان عبد
الحميد ، شر من يزيد ، فسلطاننا الآن ليس آلة في يد أحد كما أن الشرع والدستور
ليسا آلة في يده يستعملها بهواه كذلك المسلط بالبغي الذي أدال الله لنا منه .

ومن التناقض ان يطالب صاحبنا الجمع بين الدستور واستبداد السلطان واعجب من ذا أن يعد هذا من الاسلام

(٩) قال ان المقطم تجاوز الحد في ذم عبد الحميد وان جرائد بيروت تنقل عنه الخ

ونقول ان المقطم كان دائما يطعن في عبد الحميد وحكمه ولكن يتحامى الطعن الشخصي الصريح الذي يخشى أن يعاقب عليه القانون المصري الذي يعد السلطان سلطانا له وبعد سقوطه زال هذا المانع . أما كونه كان « مخالفا للحقوق التركية والمصرية » وسيء النية فنطلب من صديقنا المناظر الجمع بينه وبين مامدح هو به الانكليز من العدل وحسن النية وارادة الخير فانه لايختلف اثنان في كون المقطم كان ولا يزال مؤيدا لسياسة الاحتلال لأن مذهبه في حسن نية الانكليز كمذهب صاحبنا . وأما كون جرائد سورية لم تكن تذم عبد الحميد في عهده فهذا من البديهيات التي لاحاجة الى الكلام فيها . على ان أكثر هذه الجرائد السورية جديدة حدثت بعد الدستور

(١٠) قال اني اتهمت عبد الحميد بشرب الخمر واستغفر هو الله من هذه التهمة بالنيابة عني وقال ان وجود الخمر في قصره كان لأجل ضيوفه الاوربيين « الذين كثيرا ما كانوا يدعون كل يوم على المائدة » يريدان يبرئ كل من كان في القصر من الشرب

واقول لصديقي ومناظري الفاضل اني اعجب لقلبه الشريف الذي يملأه الحب حتى لايدع فيه مجالا لشيء يزاحمه وأتمنى لو افوز بدوام حبه وصداقته . ثم أوكد له القول بأني لم استدل على شرب عبد الحميد للخمر بما نقلت الجرائد من وجود طائفة من الخمور في يلدز كما فعل اللواء فانني أعلم منذ سنين انه يشرب الخمر وان اكثر من في يلدز كان يشربها بلا نكير وانها هنالك من المؤونة الضرورية . أعرف هذا من الثقات الذين أكلوا فيها وخالطوا أهلها . وكثيرا ما كان يذكر في البرقيات العمومية والجرائد شرب عبد الحميد للخمر في سياق الكلام عن صحته ومرضه ومنها أنه في اوائل العهد بالانقلاب كان يتغذى بالروم المعتق ...

(١١) قال ان عبد الحميد لم ينتقم لنفسه من مختار باشا وأمثاله من أحرار الترك لإيثاره الحلم والعفو

وأقول انه لم يكن قادرا على ان يعامل مختار باشا بأكثر مما عامله به وصديقنا

لا يعرف من معاملته له شيئاً قط ولا حاجة الى إعلامه به · وأما انتقامه من الاحرار فلم يدخر فيه وسعا فقد قتل رئيسهم مدحت باشا وكثيرين غيره وسجن ونفى خلقا كثيرا · وعوالم المدنية كلها تعرف ذلك حتى ان الافرنج يلقبونه بالسفاح و بالسلطان الاحمر · ولا أحب أن أناقشه فيما ذكره من مدح أخلاقه فانها شعريات لا يؤبه لها وما أحببت له ذلك التشبيه الذي ذكره عند الكلام في شجاعته لان ادبه في نفسي اعلى من ذلك · والذي عليه المحققون ان جمود عبد الحميد في موضعه يوم الزلزلة قد كان من شدة الخوف واضطراب الاعصاب · وما قاله في مسألة الاسطول كلام في الهواء لا عمل يستدل به · وليكن عبد الحميد شجاعا فماذا جنينا من شجاعته التي لم نر احدا قال بها الا صاحب الوطن اوجبنه الذي يضرب به المثل غير الحنظل والزقوم

(١٢) اعاد صاحبنا صدى قول المؤيد ان من ضرر الانقلاب الاخير اظهار كنوز «يلدز» ومخبآتها اذ علم من ذلك أنها ليست كما يظن الاوربيون وكان توهمهم ان فيها مالا يحصى من الملايين قوة خفية للدولة تخيفهم من الاقدام على مناوئتها فهي كتوهمهم تعلق جميع المسلمين به

ونقول ان هذا القول لا يصدر عن سياسي عارف الا اذا أراد به الخلابة والمخادعة لفساده من وجوه (منها) ان الوهم البين الواضح هو ما تخيله صاحبا المؤيد ووطن من انه يمكن ان يوجد عشرات من الملايين من النقد الذهبي لا يعرف مكانه الاوربيون الذين يديرون ثروة العالم · ومن الشواهد الصغيرة على ذلك ما ذكرته جرائد الاستانة من أن مدير البنك العثماني فيها لاحظ ان عددا يؤبه له من قراطيسه لا يعود اليه في دورة التعامل فجزم بأنه في «يلدز» وهو ما وجد فيها (ومنها) انهم يعرفون موارد الدولة أكثر مما كانت تعرفها نظارة ماليتها (ومنها) انهم كانوا يعلمون ان عبد الحميد يودع في كل سنة ما يزيد على نفقاته والمال الاحتياطي لها في بيوتهم المالية (البنوك) وهم يعرفون مقدار ما أودعه في تلك البيوت (ومنها) ان الاعتماد على الوهم في صيانة الدولة وحفظها مما لا يجنح اليه عاقل لانه عرض زائل فان أفاد عبد الحميد مدة وجوده ، فهو لا يفيدها بعد موته (ومنها) انا ما رأينا آية ولا علامة لخوف دولة من الدول من ثروة عبد الحميد وخلافته عند حدوث الحوادث ،

ونزول الكوارث ، وإنما كانوا يطلبون منه الامر الشائن المذل له ولدولته فاذا راوغ وهددوه أجاب صاغرا ، وخنع متضائلا » ولم ينس أحد تهديد فرنسا له في مسألة الارصفة وانكلترا في مسألة العقبة وايطاليا في مسألة البريد ، وما كان يساورنا من الذل والمهانة من سياسته معهم . ثم إنهم انتزعوا في أيامه معظم الولايات الاوربية من الدولة حتى انه لو بقي سلطانا سنة أخرى لذهبت الولايات المكدونية التي هي سياج العاصمة بلا نكير . فاتقوا الله أيها المتصرون لذلك المدمر المخرّب فقد وضح الحق في ذلك لكل أحد

(١٣) بقي ما انتقده الصديق عليّ من ايراد آيات الإنذار من القرآن في المقالة التي كتبتها للعبرة بالانقلاب الاخير قال انه لم يكن يليق بي ان أصوّب سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له شيء من الحول والطول وإن ما جرى له ليس أمراً كبيراً بالنسبة الى ما جرى لغيره من الخلفاء والملوك والكبراء وذكر بعض من قتل وعزل من المتقدمين والمتأخرين

وأقول ان الصديق نفعنا الله بمودته قد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء أهمها ان الكلام في تلك المقالة ليس من باب إظهار الشجاعة بمقاومة عبد الحميد بعد ان صار مثلي ليس له سلطة ولا خطر في بالي ان عبد الحميد يقرأها أو يعلم بها وإنما هي تذكير لقراء المنار بعواقب الظلم والإفساد والبغي والغرور بالقوة والغنى والملك والسلطان » ومحاولة الفرد إذلال الامة وقهرها ليهنأ له التمتع بلذة السيادة ولوازمها فيها : ولو قتل عبد الحميد غيلة كما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تكن العبرة التي شرحناها تامة في شأنه

ان صديقنا نظر في المسألة من الجهة الشخصية فعد سقوط سلطة عبد الحميد كقتل عمر وعثمان والحسين (رض) واسر نابليون وعزل بسمارك وقتل مدحت باشا . وما ابعد الفرق بين هذه الحوادث وأشد اختلاف وجوه العبرة فيها . لو صح ما رمي اليه لما كان لنا فائدة فيما ذكره الله تعالى من العبر في هلاك المفسدين والظالمين كفرعون وآله ومن عينهم ومن أبهم قصصهم من السابقين بل لكان ذكرها في كتاب الله تعالى من اللغو الذي يتنزه كلام الله عنه

قتل عمر لم يكن الا كوته فما خاب به سعيه ولا حبط عمله بل لا يزال يضرب المثل بعدله . وفي قتل عثمان من وجوه العبرة ماليس في قتل عمر لان لينه لبني أمية الطامعين أوجد في الأمة مقدمات الاستبداد ، وولد فيها جراثيم الفساد ، فانتج ذلك من الشر ما أنتج . وفي قتل الحسين عبرة أخرى من حيث إنه لم يعد للظالمين العدة الكافية بحسب سنن الله تعالى ولم يكن تأثير ظلمهم قد بلغ الحد الذي يوجب سقوط دولتهم . واما نابليون فلم يكن الا مفسدا في الارض مغري بسفك الدماء فالعبرة في خذلانه يعد من باب العبرة في خذلان عبد الحميد

والحاصل اننا نذكر صاحبنا بأن العبرة بالحوادث العامة غير مسألة الشماتة بقتل الافراد أو عزلهم وذلك مما لا يخفى عن علمه وفهمه لولا انه متألم مما جرى لعبد الحميد ثالما ملأ جوانحه لحسن اعتقاده بسياسته وهو مخطئ معذور في ذلك فعسى ان يكون قد استبان له الحق فصار من انصاره ، كما يليق بفضله وإخلاصه ،

﴿ رسالة المحجوب . من باب الانتقاد على المنار ﴾

٣

وقد ادعى المحجوب ان الاحاديث التي تدل على جواز دعاء غير الله تعالى كما يفعله العوام كثيرة مشارعها ، مفعمة تضيق المهارق عن استقصائها ، ولم يأت منها بشيء قط فان أثر الاستسقاء ليس حديثا مرفوعا وطلب الدعاء من أويس ليس محلا للنزاع فان الدعاء يطلب من الاعلى للأدنى اذ لا خلاف في فضل عمر على أويس . وكل ما ورد في الشفاعة خاص بالدار الآخرة والوهابية يعترفون به كله ويفرقون بينه وبين الشفاعة التي انكرها الله تعالى على المشركين كما فرق ابن تيمية بينهما في كتبه المتداولة وقد بينا ذلك في التفسير وغيره مرات

قال المحجوب « واما ما جنحت اليه من هدم ما يبنى على مشاهد الأولياء من القباب ، من غير تفرقة بين العامر والخراب ، فهي الداهية الدهياء والبلية العظمى ،

من الظلم ، الذي أضلك الله فيه على علم ؟ ثم انه بعد سرد جمل واسجاع من هذا الباب أول الأحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر بقوله « ان محل ذلك الزجر ، ومطلع ذلك الفجر ، في البناء على مقابر المسلمين ، المعدة الدفن عامتهم لا على التعيين ، لما فيه من الحجر على بقية المستحقين ، ونبش عظام السابقين ، » ثم جعل محل الإباحة كون البناء في ملك الباني وأنه لا حرج فيه ، ثم ذكر ان المسألة محل خلاف بين النظار وان هذا المنكر ليس متفقا عليه ! ! !

أقول ما أفسد الدين في أمة من الأمم الا مثل هذا التحريف للنصوص ممن يلبسون على الجهل لباس العلماء فتتبعهم العامة على تحريفهم فتضل عن دينها ولمثل هذه الغاية الرديئة منعوا العلم بالكتاب والسنة زاعمين بجهلهم انه لا يفهمها أحد بعد قرن كذا . ألا يكفي لمن له أدنى إلمام بالعربية وان كان عاميا أن يضرب بتأويل المحجوب وتحريفه عرض الحائط اذا سمع الاحاديث الشريفة الواردة في ذلك وقد ذكرناها مراراً ونشير هنا الى بعضها

فمنها حديث أنس في الصحيحين وغيرهما وحديث عائشة وابن عباس عند أحمد والشيخين وغيرهم وحديث أسامة عند أحمد في لعن أهل الكتاب لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة « يحذر ما صنعوا » أي يحذر النبي (ص) أمته من مثل ذلك وفي رواية لأحمد والشيخين والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً » الحديث . وفي رواية لابن سعد « ألا ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك » والروايات في ذلك كثيرة وهي تدل في جملتها وتفصيلها على ان مدار النهي والحظر تعظيم قبور الصالحين وجعلها في مواضع العبادة كراهة أن يحدث ما حدث فينا حيث اتبع الجماهير منا سنن أولئك الذين لعنهم الرسول (ص) شبرا بشبر وذراعا بذراع فعظموا أصحاب القبور تعظيما وصل الى حد العبادة إذ صاروا يخشعون ويضرعون اليهم بالدعاء وطلب الحاجات ،

اما ان العلماء لو كانوا يعظون الأمة بهذه الاحاديث لما بنت على قبور الصالحين

القباب والمساجد وتعرضت للعنة الله ورسوله ولكن قصر الكثيرون من المطلعين على هذه الأحاديث ثم خلف من بعدهم خلف لا يعرفون الحديث ولا يفهمونه فصاروا يحرفون ما يسمعون ويؤولون للعوام والخواص ما يعملون حتى وصلنا إلى ما وصلنا اليه مع وجود الاحاديث بنصوصها وتفسير المحققين لها

أورد ابن حجر الفقيه جملة من هذه الأحاديث في بيان الكبيرة ٩٣ ـ ٩٨ من كتابه (الزواجر) وهي « اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها واتخاذها اوثاناوالطواف بها واستلامها والصلاة اليها» ثم قال

« عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث . ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجدا منهاواضح لأنه لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ففيه تحذير لنا كما في رواية « يحذر ما صنعوا » أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من ان يصنعوا كصنع أولئك فيلعنوا كما لعنوا . واتخاذ القبرمسجدا معناه الصلاة عليه أو إليه وحينئذ فقوله (أي قول ذلك الإمام الذي نقل ابن حجر قوله في كون هذه الأمور الستة من الكبائر) مكرر الا ان يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط ، نعم إنما يتجه هذا الأخذ اذا كان القبر قبر معظم من نبي أو ولي كما أشارت اليه رواية « إذا كان فيهم الرجل الصالح » ومن ثم قال أصحابنا تحرم الصلاة الى قبور الانبياء والأولياء تبركا واعظاما ، فاشترطوا شيئين ان يكون قبر معظم وان يقصد بالصلاة اليه ومثلها الصلاة عليه التبرك والاعظام . وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الاحاديث المذكورة لما علمت . وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كايقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهوأخذ غير بعيد سيما وقد صرح في الحديث المذكور آنفا بلعن من اتخذ على القبر سرجا فيحمل قول اصحابنا بكراهة ذلك على ماذا لم يقصد به تعظيما اوتبركا بذي القبر (١)

(١) أي ان وضع السراج والقنديل على القبر له حالان حال كراهة اذا كان القبر غير معظم ولم يوضع السراج عليه بقصد تعظيم وحال حرمة من الكبائر اذا كان قبر معظم كقبور الاولياء

(قال) واما اتخاذها اوثانا فجاء النهي عنه بقوله صلى الله عليه وسلم «لا تتخذوا قبري وثنا يعبد بعدي» أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له اونحوه (١) فان اراد ذلك الامام بقوله «واتخاذها اوثانا» هذا المعنى اتجه ما قاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه وان اراد ان مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد. ثم قال بعض الحنابلة قصد الرجل الصلاة عند القبر تبركا بها عين المحادة لله ورسوله وإبداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجماعا فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد اوبناؤها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك اذ لا يظن فلان بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن صاحبه وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها اسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه نهى عن ذلك وامر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قنديل او سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى»

(المنار) ذكرنا هنا ما قاله ابن حجر نقلا وتفقها لا لأن ما جاء به أظهر من الاحاديث الشريفة بل ليعلم من لم يطلع عليه وعلى أمثاله من أقوال العلماء المدققين ان التحريف الذي جاء به ذلك المحجوب تنبو عنه النصوص النبوية الشريفة ويخالفه كلام العلماء المحققين في شرحها وان خصمه ما ضل في هذه المسألة — كما زعم — على علم ولكنه هو ضل على تحريف وجهل، وهكذا كل كلامه مبني بجهله أو تعمده التحريف. ولعل من طبع هذه الرسالة لو استشار كبار علماء تونس كالشيخ سالم أبي حاجب لأشاروا عليه بعدم طبعها لانهم يرون من العار نسبتها الى واحد منهم

ثم ذكر المحجوب مسألة زيارة القبور فجاء فيها بما هو مشهور على ألسنة العامة وخصمه لا ينكر الرخصة في زيارة القبور ولكنه ينكر ان تزار لغير ما صرح به في الحديث من سبب الزيارة وهو العبرة وتذكر الآخرة وما غلط به الغزالي من مسألة

---

(١) اي كالدعاء عنده والطواف به وتقبيله والتمسح به. وهو ما يفعل بقبور الصالحين في المساجد والزوايا والقباب كل يوم.

الاستمداد لا يقوم حجة عليه لانه لا يدخل في مفهوم الحديث بل يخالفه على ان الغزالي لا يبيح تعظيم القبور ودعاء من دفن فيها وغير ذلك مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم

وكذلك حرف حديث « لا تشد الرحال » فألحق به قيد نذر الصلاة فيها ولو جاز لنا ان نقيد الآيات والاحاديث بما لا تدل عليه عبارتها لما سلم لنا من ديننا شيء ومن جهله بالحديث أنه جعل غاية الاحتجاج وعمدة البراهين على زيارة قبر النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » (كما في ص ١١) وأهون ما قال المحدثون في هذا الحديث انه ضعيف كما ترى في الجامع الصغير للسيوطي ، وكأن المحجوب قد حجب والعياذ بالله تعالى عن جميع كتب السنة حتى مثل الجامع الصغير

ثم احتج (في ص ١٢) ببناء سليمان لقبر الخليل عليهما السلام و ببعض روايات حديث المعراج ان جبريل أمر النبي (ص) ان ينزل عند قبر جده ابراهيم (ص) فيصلي ركعتين ففعل وزعم أن هذا حديث صححه المحدثون الثقات وهو كاذب في ذلك بل قال شيخ الاسلام في تفسير سورة الاخلاص انه موضوع ولم يكن لابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم قبر مبني قبل الاسلام ولا في العصر الأول له . على انه إذا صح لا يكون حجة على خلاف ما قلناه لانه لا يعارض الأحاديث الصحيحة التي أشرنا اليها إذ لا يدل على ان القبر كان عليه مسجد ولا على انه (ص) صلى إليه أو عليه معظما له بل به تصدق كلمة «عنده» بالصلاة في مكان هنالك وان بعد عن القبر .

فان فرضنا انه هذا الحديث يعارضها والجمع بينه و بينها متعذر وجب القول بنسخه دونها لأن أحاديث المعراج كانت في أول الاسلام وأحاديث النهي عن القبور كانت قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى انه كان يقولها قبل الموت بخمس ليال ويقول « اللهم اني بلغت » ثلاث مرات ثم قال « اللهم اشهد » ٣ مرات كما في حديث كعب بن مالك عند الطبراني . وأنى للمحجوب أن يطلع على هذا ؟

وحرف أيضا النهي عن وضع السرج على القبور فقال (في ص ١٣) «بحمله على تقدير صحته على فعل ذلك للتعظيم المجرد عن انتفاع الزائرين (قال) واما اذا كان القصد به انتفاع اللائذين والمقيمين «فهو جائز بلا مين» وهذا من التحكم في حديث الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم بالهوى وقد علم مما مر عن ابن حجر فساد تحريفه . وبناؤه التحريف على فرض صحة الحديث من دلائل جهله بالرواية

وحرف أيضا وأول النذور والذبائح لاصحاب القبور وزعم ان تلك النذور لاتفعل على انها من باب الديانات . وبطلان هذا بديهي لكل مختبر الا انه يجوز ان يكون لم يطلع على مااطلع عليه غيره من تلك البدع فأطلق النفي كعادة أمثاله من الذين يكيلون جزافا

وحرف أيضا الاحاديث الواردة بطمس القبور وتسويتها زاعما ان المراد طمس ما كان من ذلك للجاهلية وانه لا بأس باتباع المسلمين لسننهم بل زعم ان المسلمين انما يجعلون القبور تحت البناء وهذا لادليل على منعه والجاهلية يبنون على القبور (انظر ص١٥) وهذه سخافة لايكاد يرضاها لنفسه عاقل فاذا كانت الأحاديث صريحة في منع تعظيم القبور بالبناء عليها فهل يعقل ان يكون هناك فرق بين تقدم بناء المسجد على القبر أو تأخره عنه ؟ ؟ على ان المسلمين يفعلون الامرين معا كما هو مشاهد في مصر وغيرها

اما صاحب الذيل لتلك الرسالة (أحمد جمال الدين) فهو أجهل من المحجوب وا كثف حجابا فلا يستحق ان يقام له وزن فيرد عليه وبماذا يخاطب من يرمي شيخ الاسلام ابن تيمية بالانحراف عن السنة وتحقير السلف وهو هو الذي امتاز على جميع علماء الاسلام بنصر السنة وخذل البدعة والدعوة الى اتباع السلف واظهار خطأ من خالفهم من المتكلمين والصوفية والفقهاء بالحجج والبينات النقلية والعقلية ولولا هذا لما تكلم فيه أحد كما علم مما نشرناه من ترجمته في المجلد الماضي ؟ وان له رحمه الله كتاباً في المسألة التي يعبرون عنها بالتوسل جمع فأوعى سيطبع وينشر فترى ما يقول عباد القبور فيه

أرسل الينا هذا الكتاب لأجل طبعه ونحن نكتب هذا الرد على المحجوب فاختصرنا فيه لأن البيان المطول في مسألة التوسل التي هي أم هذه المسائل سيظهر في هذا الكتاب عن قريب ان شاء الله تعالى

باب الأخبار والآراء

الاحتفال بعيد الدستور العثماني

قرر مجلس الأمة العثمانية المؤلف من المبعوثين والاعيان أن يكون مثل اليوم الذي أعلن فيه الدستور من كل عام عيدا وطنيا للعثمانيين تحتفل فيه الحكومة رسميا . وصدرت إرادة السلطان الدستوري الاول مولانا محمد الخامس بذلك، وقد علم من صحف عاصمة السلطنة ان الاحتفال الاول فيها سيكون ذا بهجة وفخامة لم يعهد لها نظير، يشترك فيه الاهالي مع الحكومة بمحض أريحيتهم واختيارهم راضين مسرورين لا كاحتفالات عيد الجلوس الحميدي التي كان عبد الحميد ينفق على الرسمي منها وغير الرسمي حتى انه كان يرسل مقدار الزينة من يلدز الى دور الكبراء لعلمه انه لا يكاد يوجد فيهم من ترتاح نفسه الى إنفاق شيء مما ملكته يده على ذلك وان كان مما نهبه بجاه عبد الحميد من مال الامة أو مما باعه للاجانب من مصالحها

سبق لنا بحث في فلسفة هذه الاحتفالات في المجلد الرابع من المنار في مقالة عنوانها (الشعور والوجدان، وشعائر الامم والاديان) (في ص ٦٤١) وفي استدراك عليها (في ص ٦٧٥) وقد بينا هنالك ان الاعياد من الشعائر التي تحيي شعور الامم بالمعنى الذي وضع العيد لاجله سواء كان دينيا أو اجتماعيا ومما قلناه في المقالة :

« إن أهل الغرب اتخذوا الملوكهم أعيادا لإحياء الشعور الوطني الذي يمثله رئيس الدولة في المملكة ، وللدول الجمهورية منهم اعياد باسم الحكومة التي يعتزون بها ويعززونها . وقد قلدهم الشرقيون في الاحتفال بأعياد ملوكهم وأمرائهم لإرضائهم إذ كانوا لا وطن لهم ولا وطنية ، ولا دول عزيزة بحكومتها قوية ، ولا شك ان هذه الأعياد شعائر تبعث الشعور بحب السلطان أو الامير في نفوس الذين يعتقدون

النفع فيه للدولة والامة . فينتفع بهذا المستبدون ، ويغتر به المغترون ، حتى يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون » »

وقد مزجنا في هذا بين ماهو مقصود من هذه الاحتفالات بأعياد الملوك والامراء الفا وما كان ينبغي ان يقصد ثم استدركنا على ذلك في الجزء الذي نشرت فيه المقالة بعد ذكر الاحتفال بقدوم الأمير من أوربا فبينا ان الشرقيين لم يتبعوا الغربيين في ذلك وانما يحتفلون بالملوك والامراء لذواتهم لا لمعنى وطني عام - قلنا « والصواب ان الشرقيين اشد الناس تعظيما لملوكهم منذ القدم وحسبك انهم عبدوهم من دون الله ، وأنهم لا يزالون يقدسونهم بقدر مالهم من السلطة والاستبداد . وأما مسألة إحياء الشعور فترى بعض الجرائد تنوه بضدها ذاهبة الى ان هذه الاحتفالات منبعثة عن الشعور بعظمة من احتفل لأجله وحبه . وربما يصح هذا من بعض المحتفلين الذين لهم فيه منافع تولد هذا الشعور وإنما الغلط في إسناده الى الأمة مع ان القائمين به أفراد معدودون معروفون » اه المراد منه هنا

وأقول الآن إن الاحتفال لذكرى جلوس السلطان عبد الحميد قد كانت من أسباب انتشار الشعور بعظمته في نفوس من لم يذوقوا ظلمه ونفوس من ذاقوه من حيث لا يعلمون انه منه وكذا من عرفوا ولكن شعور هؤلاء بعظمته في امتهم كان يزيدهم شعورا بمقته وبغضه ، ولم يحل دون ذلك الشعور كله كون النفقة على الاحتفال الرسمي منه كانت من مال الحكومة وعلى غير الرسمي من اموال المرائين في الغالب

ان تقوية الشعور بعظمة الامراء والسلاطين في نفوس الامة يضعف فيها الشعور باستحقاقها للسلطة واهليتها للحكم الدستوري فتبقى ذليلة مهينة . ويقابل هذا كون الاحتفال بعيد الدستور يقوي في الامة الشعور بكرامتها واستحقاقها للحكم الذاتي . واذا كان سلطانها راضيا لها بذلك مشتركا معها فيه — كما هو شأن سلطاننا محمد الخامس ايده الله تعالى — كان ذلك مما يحببه اليها ويرفع مكانته في نفوسها مع العلم بأن عزته بعزتها وعظمته بعظمتها دون العكس

لهذا المعنى وضع عيد الدستور للأمة العثمانية ، وتعلقت به الإرادة السلطانية ،

ولهذا المعنى يحتفل العثمانيون بهذا العيد الوطني حيثما كانوا ، واينما حلوا ؛ وستكون عنايتهم بذلك على قدر فهمهم لقيمة الدستور وشعورهم بفائدته

ألفنا نحن العثمانيين المقيمين بمصر لجنة لجمع المال ؛ والقيام بما يحسن من الاحتفال ، وشاركنا في ذلك اخواننا المصريون ؛ وما هم الا مثلنا عثمانيون ؛ «واذا قوبل الخاص بالعام ، يراد بالعام ما وراء الخاص ، » وسيكون احتفالنا في حديقة الازبكية ، بكيفية لم يعهد لها نظير في الاعياد القومية ولا الرسمية ؛ تتجلى فيها الحديقة متلألئة بالانوار الكهربائية ، وأبدعها ما يمثل منها الشارات العثمانيـة ؛ وتأتلف فيها اصوات اشهر المطربين ؛ بنغمات احسن آلات الموسيقيين ، وتعرض فيها الصور المتحركة البديعة ؛ لا سيما صور حوادث الأستانة الاخيرة ؛ وغير ذلك من أسباب الانس التي تتوخى في هذه المواسم

وقد ألف أهل الاسكندرية لجنة لإقامة احتفال عمومي أيضا وسيكون هنا وهنالك زينات خاصة يقيمها الافراد على بيوتهم أو امكنة أعمالهم فتتجلى بهذه الاحتفالات عثمانية المصريين واخلاصهم للدولة العلية كما يتجلى فيها حبهم للدستور ومعرفتهم لقيمته

يذهب بعض رجال الدين الى ان هذه الأعياد الوطنية والسياسية محظورة في الاسلام لأنه لم يأت الا بعيدين فقط هما عيد الفطر وعيـد النحر فالزيادة عليهما بدعة . وقد سمعنا هذا القول من أحد العلماء فقلنا له ان البدعة الدينية انما هي فيما يعمل على انه من الدين فقولك هـذا إنما يصدق على الموالد التي صبغت بصبغة الدين دون هـذه المواسم المشتركة بين أهل الأديان المختلفة التي لا صبغة للدين فيها . نعم يتجه ان يقال ان الدين يحظر من المواسم الدنيوية ما وضع منها لمقصـد ضار كتعظيم الملوك الظالمين وتقوية سلطتهم دون ما وضع لمقصد نافع كتعزيز الأمة ورفعة شأنها

﴿ المشتركون الماطلون ﴾

بعض الماطلين في القطر المصري معذور بما أصابه من العسرة المالية و بعضهم يعتذر بها بغير حق ولكن ما بال أهل سنغافوره وجاوه وروسـيا الذين كنا نعدهم أحسن المسلمين وفاء كادوا يكونون كأهل تونس مطلا وهضما

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار ١٣١٥

ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿مصر ـ الاثنين ٣٠ رجب ١٣٢٧ ـــ ١٦ اغسطس (آب) سنة ١٢٨٥ه ١٩٠٩م﴾

التعصب الديني عند الافرنج

كتبنا في الجزء الماضي نبذة في التعصب الديني عند الافرنج بينا فيها ان مهده وعشه أوربا لا آسيا وقبل ان ينشر الجزء ظهر في الجرائد الافرنجية المصرية ما يؤيد رأينا ويثبته

أشاعت هذه الجرائد انه وقع خلاف في لجنة الاحتفال بعيد الدستور العثماني سببه الاختلاف في الدين وان صاحب المنار قال في اللجنة انه لا يقبل ان يكون رئيسها نصرانيا . وطفق محررو تلك الصحف يشنعون على هذا التعصب الاسلامي الشرقي الذي تخيلوه لخالوه فشنعوا عليه كدأبهم وعادتهم وقياسهم على انفسهم

ويقال ان بعض محرري تلك الصحف من السوريين وكأنهم لما تلقوا لغات الافرنج وآدابهم تفرنجوا فأخذوا منهم عصا التعصب يحركون به ناره كلما سنحت السوانح أو عنت البوارح ، وهاك ماقالته في ذلك جريدة (النوفل) نقلا عن ترجمة الاخبار لها

« قلنا في عدد سالف ان الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار ارتأى انه يجب ان لا يرأس نصراني جمعية الاحتفال بالدستور العثماني . والشيخ رشيد هذا كان الى اليوم يعد حرا مريدا للدستور عدوا لحكم السلطان عبد الحميد وقد حارب الخليفة السابق بصفته مسلما باذلا جهده في سبيل تقويض حكمه المبني على الظلم والاعتداء والنهب والسلب والفتك بعباد الله وقد كان شديد اللهجة في كتاباته الى حد أنه ألزم أن يفر من تركيا ويلجأ الى القطر المصري

« والآن قد تغيرت الاحوال واعتقل عبد الحميد في سجنه الحالي في سالونيك محجوبا نظره عن الاشراف على ما يجري في البلاد وأصبح تحول بينه و بين الحياة و بينه و بين الطبيعة سيوف الحراس . فقد هذا الظالم الذي طرده العالم من بينهم قوته ولكن أولا هل سقط مع عبد الحميد كل ما كان قائما في أيامه ? اننا لنشك في ذلك لانه اذا كان مثل الشيخ رشيد رضا يجعل بين المسلم والنصراني فارقا فماذا يفعل غيره ? أفلا يجوز ان نعتقد ان أحرار الاتراك ما كادوا يستولون على كرسي السلطة حتى تناسوا مطالبهم القديمة باقامة العدل وتأليه الحرية

ان الشيخ رشيدا سيندم على ما جاهر به غير ان ندمه لا ينفي انه قال ما قال ولقد أصبح الآن يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكوا في اخلاص اخوانهم المسلمين » اه

(المنار) لما اطلع اعضاء لجنة الاحتفال بعيد الدستور على هذه الكتابة كتبت اللجنة الى هذه الجريدة وسائر الجرائد التي ذكرت الخبر المختلق تكذيبا له . ونحن نزيد على هذا التكذيب كلمة نقولها لكاتب تلك النبذة في جريدة النوفل وهي

قلتم إنه يجوز للنصارى العثمانيين أن يشكوا في إخلاص المسلمين لهم بعد ان نقلت لهم صحفكم تلك الكلمة عن صاحب المنار دون صحفهم العربية وكان من مقتضى التساهل الذي تدعونه ان لا يصدقوها عنه لما يعلمون بالاختيار الطويل من تساهله وكتابته في الدعوة الى الوفاق اثني عشرة سنة حتى باسم الاسلام وسعيه مع بعض اصدقائه المسلمين في تأليف جمعية سياسية مصرية مؤلفة من جميع العناصر العثمانية لأجل جمع كلمتهم وتوحيد مصلحتهم — او كان ينبغي لهم مع تصديقها ان يحملوها على غرض صحيح غير التعصب كأن يكون مراده — لو صح الخبر — ان جعل الرئيس من كبراء المسلمين كامراء البيت الخديوي مثلا يجعل للجنة من النفوذ والاحترام وقبول الدعوة الى الاكتتاب مالا يرجى مثله لو كان الرئيس نصرانيا لانه ليس في نصارى العثمانيين من له مثل هذا النفوذ. هكذا شأن المتساهل يتروى ويتثبت في الخبر الذي يثير الخلاف وينافي الائتلاف فان ايقن بصدقه التمس له مخرجا صحيحا

فاذا كان النصارى يعذرون على رأيكم بعدم الثقة باخلاص أحد من المسلمين لخبر يحتمل الصدق والكذب والقرائن تدل على كذبه ويحتمل على تقدير صدقه ان يكون قيل لغرض صحيح لا للتعصب أفلا يعذر المسلمون بالاولى اذا كانوا يرون الرجل من علماء دينهم وسلالة نبيهم والدعاة الى الاصلاح الديني فيهم يقضي السنين الطوال وهو يدعوهم الى التسامح والائتلاف مع النصارى وغيرهم بالقول ويجعل نفسه قدوة في ذلك بالعمل ثم يرميه النصارى بالتعصب ويجعلونه حجة على عدم ثقتهم بأحد من المسلمين ؟ ؟

بلى ولكن نحمد الله تعالى أن كان أهل الشرق من المسلمين والنصارى لم يصلوا الى هذا الحد من التعصب الذي ينفثه فيهم كتاب الافرنج والمتفرنجين منهم ولذلك رأينا الفريقين قد هزءوا بما كتب في تلك الجرائد الافرنجية عن صاحب المنار حتى قبل تكذيب اللجنة له

الجنسيات العثمانية

﴿ واللغتان العربية والتركية ﴾

ان من شؤون مدنية هذا العصر المحافظة على أجناس الموجودات حسية كانت أو معنوية فترى الغربيين أئمة هذه المدنية اذا رأوا نوعا من الحيوانات الارضية أو الجوية أو المائية أخذ في النقص حتى خيف من انقراضه حرموا صيده ان كان مما يؤكل وقتله ان كان مما لا يؤكل وان كان ضارًا كما يحافظون على العاديات والآثار القديمة جميعها ، ونراهم أيضا يرغبون في بقاء نموذج من الأديان والمذاهب الدينية وغير الدينية واللغات المستعملة وغير المستعملة حتى انهم أحيوا بعض اللغات التي ماتت وبقي أثرها وجعلوا يتدارسونها ويتنافسون في معرفتها

ما كان لهذه المدنية أن تحافظ على أجناس الحيوان والجماد وتسمح بانقراض بعض أجناس الناس (١) بل هي أشد محافظة على أجناس الناس ومقومات جنسيتهم من اللغة وغيرها واعتبر ذلك بالاجناس المكونة لمملكة النمسا (الامبراطورية) تلقه واضحا جليا ،

كان الجنس في العصور الماضية ينقرض بانقراض أفراده كلهم أو جلهم بالموتان والأوبئة أو بالحرب وما يعقب الغلب فيها من العبودية والذل الذي يقلل النسل رويدا رويدا حتى لا يبقى منهم أحد أو يبقى منهم حثالة ممزقة في الأرض لا تسمى شعبا ولا تعد قبيلة ،

وهناك ضرب من ضروب انقراض الجنس يتحقق باضمحلال رابطة الجنسية

---

(١) نستعمل لفظ الجنس والاجناس هنا بمعناه اللغوي والعرفي لا المنطقي فالمنطقي يسمي جنس الترك أو الروم مثلا صنفا من نوع الانسان الذي هو من جنس الحيوان على ان للاجناس مراتب عند المناطقة منها العالي والمتوسط والسافل فتدخل فيها الانواع والاصناف

وزوالها لا بانقراض الاشخاص وانقطاع الأنسال وهو أن يدخل الجنس في دين جنس آخر أو لغته فيمتزج به ويلابسه في تقاليده وعاداته حتى يذوب فيه ويصير من عناصره المكوّنة لذاته كما امتزجت الاجناس السورية في الجنس العربي باللغة في جميع الافراد وبالدين في أكثرهم ونسيت جنسيتهم النسبية وزالت جنسيتهم اللغوية وصاروا كلهم عربا

هذا النوع من زوال الجنس أو الجنسية هو من الترقي والكمال في الانسانية لا من النقص أو المرض الذي يعرض لها لان الانسان عالم اجتماعي فكلما اتسع نطاق الاجتماع وقل التفرق والانقسام فيه زادت الانسانية كمالاً ولهذا يرى حكماء الاجتماع ان منتهى الكمال البشري في هذه الحياة ان يكون الناس كلهم أمة واحدة لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا وطن ولا دين ، و يستحيل ان يتحولوا الى هذا دفعة واحدة وانما يكون مثل هذا باندغام بعض الاجناس في بعض بالتدريج البطيء .

وان الامم الكبرى التي تجتهد بنشر لغاتها وآدابها في ارجاء العالم تطمع كل واحدة منها في ان تكون لغتها هي لغة البشر كلهم في المستقبل البعيد لكي يكون لها الامامة و بقاء التاريخ والذكر في الزمن المستقبل على ما يكون لها من السبق الى الاستفادة من توسيع دائرة جنسيتها في الحال . ولا ينافي هذا ما نشاهد عليه الانكليز — وهم أطمع الامم في هذه الغاية — من شدة محافظتهم على جنسيتهم وغلوهم في أثرتهم لما عليه الانسان من الحرص والبخل بمميزاته وخصائصه سواء كانت شخصية أو قومية ، وان هذا البحث ليتسع لتفصيل ليس هذا المقال بموضعه وانما ذكرناه فيه تمهيدا ومقدمة لا مقصدا . وعندي ان الاسلام يرمي الى هذه الجامعة العامة (١)

ومن فروع هذا المبحث التي لا مندوحة عن ذكرها في باب التمهيد ان هذا النوع الكمالي من زوال الجنسيات أو تحول بعضها الى بعض لا يكاد يرضى شعب من الشعوب بأن يكون هو المدغم في غيره لاجل تحقيقه فضلا عن ان يرضى بذلك ايثارا لمقومات جنس آخر على مقومات جنسيته، وسبب ذلك ما ذكرنا آنفا من حرص الانسان على خصائصه ومميزاته وان كانت ضارة كبعض التقاليد والعادات، وانما له طريقان

(١) سنبين هذا المعنى في مقدمة التفسير ان شاء الله تعالى

أحدهما الغلب والقهر وطبيعة المدنية الحاضرة تأباه لما ذكرناه في فاتحة الكلام، وثانيهما التحالف والاتحاد في المصالح والمنافع بحيث يأخذ كل جنس من الآخر أمثل ما عنده بمقتضى سنة الانتخاب الطبيعي الى ان تغلب مقومات جنسية أحدهما في مجموعها على مقومات جنسية الآخر ويصيران جنسا واحدا وهو ما يطمع فيه بعض الغربيين في مستعمراتهم كفرنسا في الجزائر، والشعوب العثمانية احوج اليه ولن يكونوا امة واحدة بدونه

يتج ماتقدم من المقدمات ان الدولة العثمانية لاتستطيع في هذا العصر ان تحل رابطة جنس من الاجناس التي تتكون منها أمتها بالقهر والإكراه، ولا بالخلابة والاقناع، بل سبيلها اللاحب أن تؤلف بينها في المنافع والمرافق، والمصالح والوظائف، وتوحدها بجنسية الشريعة والقانون، دون جنسية اللغة والدين، حتى يتمازج منها ماهو مستعد للمزج، وينبذ مزاج وحدتها الجديدة من لايقبل ذلك من الاجناس كما ينبذ مزاج الجسم المعتدل ماعساه يدخل فيه من الاجسام الغريبة

أعني بهذا النبذ والتبيب بهم ماتقتضيه طبيعة الاجتماع من ذلك لا ان الدولة نفسها تنفي من بلادها الآن بعض الاجناس . ذلك ان الجنس الذي لاتقبل طبيعته الوحدة العثمانية التي ذكرناها (كجنس الروم فيما يظهر) لجذب جنسية أخرى هي أقوى منها في حقه يتسلل اكثر أفراده في بلادها بالهجرة أو سبب آخر ويتصلون بجنسهم الذي ترتبطهم به عدة روابط لكونه أقوى على جذبهم من الجنس الذي يرتبطون فيه برابطة واحدة

أما تنازع البقاء بين الجنسيات القوية في الشعوب العثمانية الذي ينتهي باستيفاء طوره الاجتماعي الى تغلب الامثل فسيكون على أشده بين العربية والتركية لانهما اللغتان الحيتان للشعبين الكبيرين في الأمة والاولى منهما لغة الدين الذي يكفله منصب الخلافة والثانية لغة السلطنة الرسمية وليس للغات سائر الشعوب شركة في هذه المزايا

ان الارمن شعب صغير وعهده قريب بتدوين لغته وجعلها لغة علمية ولا يطمع أحد من عقلائه بنشر هذه اللغة في شعب آخر فهي لغة قاصرة محصورة غير قابلة لحياة النشر والامتداد لعدم الحاجة اليها عند غير أهلها واللغة التركية مزاحمة لها فيهم أنفسهم فهي لاتملك لأ لسنتهم من لغتهم

وأما الالبان والاكراد فهم حتى اليوم لم يدونوا لغتيهم ويجعلوها لغة علم ولا يطمعون في نشرها وتحويل أحد من الشعوب الاخرى اليهما والتركية مزاحمة لها في الشعبين وكذا العربية لاسيما في بعض بلاد الاكراد كالسليمانية وغيرها . ثم ان الدين يجذبهم الى هذه والادارة تجذبهم الى تلك فزيادة عناية كل شعب من هذين الشعبين بلغته ومحاولته إحياءها تقليداً لما ذكرناه من طبيعة المدنية الغربية لهذا العهد لا يفيده الا أثقالا تعوقه عن تحصيل العلوم ومجاراة غيره بالترقي فيها لأنه ان ترك العربية قصر في دينه الذي هو أعز شيء عليه وان ترك التركية قصر في عثمانيته وما يترتب عليها من الفوائد فلم يبق الا انه يضيع بعض زمن التحصيل في دراسة لغته القومية ولا أرى العقلاء منهم يطمعون في تأسيس دولة لأنهم يعلمون انه لا فرق في ذلك بين شعبيهما و بين الشعب الارمني من حيث انه طمع في غير مطمع يضر الطامع و يضر الدولة فيقوى عليهما الطامعون فيهما ، ولضرر الشعب الصغير من ذلك أكبر من ضرر الأمة الكبيرة . على ان محاولة تمزيق السلطة محرم في الاسلام فالشعب الاسلامي الذي يفارق الجماعة يجني على دينه وعلى دنياه — فالتنازع الحقيقي في لغات الشعوب العثمانية إنما هو بين العربية والتركية

يرى بعض الترك الغالين في عصبية الجنس انه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة التركية وحدها لغة التعليم وتلزم جميع العثمانيين بتعلمها وتجعلها اللغة الرسمية في جميع معاملات الحكومة حتى القضاء والمرافعة في المحاكم الى ان تحول العرب فمن دونهم من العثمانيين الى الجنسية التركية . ويظنون ان هذا أمر ممكن حتى في عصر الدستور ، وما ظنهم هذا الا اثم وغرور

ويرى بعض العرب بنزعة دينية و بعضهم بنزعة جنسية أنه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة العربية هي لغة العلم ثم تجعلها بعد انتشارها اللغة الرسمية لانها لغة الشعب الأكبر من الشعوب العثمانية ولغة الدين لجميع مسلميها ومسلمي سائر الآفاق الذين يرتبطون معها برابطة الخلافة ، ويغفلون عما بيناه في القسم التمهيدي من هذا المقال من شأن المحافظة على الجنسية لاسيا في شعب يرى لنفسه حق السيادة فان تنازل

عنها بالدستور فانه يصعب عليه أن يترك من مميزاته ماحفظ لنفسه الحق في استبقائه بنص القانون الاساسي وهي جعل لغته هي اللغة الرسمية للدولة

ان غوائل اختلاف اللغة في الدولة لاتنكر ،وان فوائد توحيدها ووحدة الامة بها لا تجهل ،وان رجحان العربية في الدين والعلم والسياسة لهو أوضح وأظهر ،فانها هي التي تتوفر الدواعي على تعميمها لان الناطقين بها أ كثر من الناطقين بغيرها ، وإرجاع القليل الى الكثير أسهل من عكسه ـ ولأن للترك والكرد والالبان باعثا نفسيا يبعثهم على تعلمها وهو الحاجة الى فهم كلام ربهم (عز وجل) وحديث نبيهم (صلى الله عليه وسلم) وحكم سلفهم الصالح (رضي الله عنهم) وكتب أئمتهم في التفسير والحديث والفقه وغيرها من علوم الدين (رحمهم الله) والوقوف على تاريخ دينهم . ومن الجهل ان يقال انهم يستغنون عن ذلك كله بالترجمة لما سنبينه في فرصة أخرى ـ ولأن جعلها اللغة الرسمية هو الذي يزيل خطر تفرق الاجناس فاذا اتفق عليها المسلمون الذين يشاركهم فيها غيرهم من الملل في البلاد العربية لا يبقى للروم والارمن سبيل لطلب تعليم لغتهم في مدارس الدولة ولا يكون لتعليمهم لها في مدارسهم خاصة تأثير في اضعاف الوحدة ـ ولانها لغة حضارة سابقة وعلوم وفنون ـ ولأنها اللغة المشتركة بين جميع المسلمين ولانه يمكن ان توسع دائرة نفوذ الدولة بنشرها في الممالك الشرقية التي يكثر فيها المسلمون (كالصين وجاوه والهند)من غير نفقة توازي عشر معشار ماتنفقه الامم الغربية لنشر لغاتها وتوسيع دائرة نفوذها وتجارتها في الشرق ــ ولأن الدولة تأمن بذلك من قيام دولة عربية تدعي الخلافه وتنازعها النفوذ في العالم الاسلامي بنفسها او بمساعدة بعض دول أوربا ــ ولأن في ذلك تحقيقا لمقصد من مقاصد الاسلام العالية وهو محو العصبيات الجنسية وتوسيع دائرة الاخوة الانسانية

هذه المرجحات لا تعزب عن علم اذكياء المفكرين من الترك ولو كان أمر الأقوام والشعوب مما يتبع فيه البرهان اذا ظهر لكان حل هذه المسألة من أهون الأمور ولكن الاقوام والجماعات تتبع الشعور والوجدان دون العقل والبرهان بل يقول الفيلسوف الاجتماعي جوستاف لبون انها لا تعقل ولا تطيق سماع الدليل فلا

مطمع اذاً في رضاء الشعب التركي بجعل العربية لغة العلم والحكومة في الدولة كلها مهما كان في ذلك من الفوائد وأمن الغوائل لا سيما في هذا العصر الذي اشتدت فيه العصبيات الجنسية في أوربا من عهد نابليون الى اليوم وسرت عدواها الى البلاد المجاورة لها

اذا كنا لا نجد سبيلا الى توحيد اللغة لاجتناء فوائده فكيف السبيل الى اتقاء غوائل التنازع بين اللغتين السائدتين، وما يتبعه من تحريك عصبية الجنسين، الذي هو أشد الاخطار على الدولة في العهد الذي يجب الاتفاق فيه على تعزيزها و إعلاء شأنها والتأليف بين اجناسها وعناصرها جهد المستطاع ؟

يقول أ كثر الباحثين المستقلين من الاجانب والعثمانيين ان لحل هذا المشكل طريقا معبّدا ومثالا متبعا لا يحتاج معه الى النظر والاستدلال وهو ما عليه سلطنة النمسا فينيفي أن يكون العرب والترك في الدولة العثمانية كشعبي النمسا والمجر وان يكون سائر العناصر العثمانية كسائر العناصر في تلك الامبراطورية،

أراني بهذا قد وصلت الى بحث لم أكن أرمي اليه، وطرقت بابا لا غرض لي الآن بالدخول فيه، باب البحث في المسألة التي يعبرون عنها بالمركزية واللامركزية التي هي موضوع الخلاف بين الحزبين السياسيين العظيمين فينا وهما حزب الاتحاديين وحزب الاحرار فلندع تنازعها للزمان يبرم فيه حكمه ولنعد الى موضوع اللغتين فنختم الكلام فيه برأيين احدهما ما نراه يرضي المفكرين ودعاة العلم والسياسة من العرب والآخر لأحد المفكرين والخبراء من الترك ولا ندري ايرضيهم أم لا

﴿ الرأي الأول ﴾ هو ان يكون تعليم كل من الشعبين في المدارس الابتدائية الرسمية بلغته وان يكون تعلم اللغتين إلزاميا في جميع مدارس الحكومة الثانوية والعالية وان يكون تعليم العلوم في بلاد العرب بالعربية وفي بلاد الترك بالتركية وان تكون جميع معاملات الحكومة كل ولاية من ولاياتهما بلغتها ويكون في الولايات العربية قلم ترجمة لاجل مخاطبة العاصمة وتلقي الخطابات منها بالتركية . وأما سائر الاجناس فيعلمون العلوم بالتركية لان أ كثرهم يعرفها الا من كان منهم في الولايات العربية فانه يكون تابعا لاهل ولايته. فان لم يتيسر تنفيذ هذا الرأي في مدة هذا الدور الاول لمجلس الامة فالرجاء فيما بعده قوي اذا

كان الترك كما نظن يحبون الوفاق . وقد بينا من قبل حاجة الترك الى تعلم العربية في الجزء الثاني (راجع ص ١١١ م ١٢)

(الرأي الثاني) وهو لعبيد الله افندي مبعوث أزمير أودعه في مقالات له في التعليم نشرها في جريدة «تصوير افكار» وترجمته بعض صحف بيروت ومصر وهذه خلاصته نقلها عن جريدة الاتحاد العثماني البيروتية قال:

أرى خير حل لمشكلة لغة العلم هو ان يتخذ الاتراك التركية لسانًا علميًا لهم وان تؤسس بحماية الحكومة وتحت مراقبتها مراكز علمية عربية في قواعد الاقطار العربية مثل دمشق وأم القرى ودار السلام تسعى في انهاض علوم الحضارة العربية التي أخذت تنحط وتضمحل منذ انقرضت السلطنة العربية

وبذلك تنتشر العلوم والفنون بين الاتراك بلسانهم وتحفظ الحضارة العربية وترقى بلسانها الخاص من جهة وبما ينقل منها الى التركية من جهة أخرى وينجو الاتراك من الجهل بالدين وينهضون من هوة التعصب الاعمى التي لا يزالون ساقطين فيها الى اليوم . وان الحكومة لتقدر الخلافة حينئذ حق قدرها وتقوم باعباء واجباتها . ولو ان الدولة أدركت هذا الحل من قبل وعملت به لكثر سواد الترك الذين يعرفون العربية والعرب الذين يتكلمون بالتركية وتحول لسان جميع العناصر العثمانية كالروم والارنؤوط والارمن وغيرهم بقوة العلم منذ ثلاثة قرون أو أربعة الى لسان الترك لسان المعارف والحضارة (١)

اضطرني الى استطراد هذه المسألة مع انها خارجة عن مبحث المدارس ما أراه من لزوم تنبيه الاذهان الى ان من الممكن بل من الواجب اتخاذ التدابير التي سردتها واني لست أرى واسطة أحسن من هذه تقطع ألسنة الذين أصبح ديدنهم في هذه الايام الضرب على نغمات الخلافة

وان منع دخول المؤيد وغيره من الاوراق المصرية الى الولايات العربية لا فائدة له بل ربما زاد انتباه الناس الى مطالعته

---

(١) ان لسان الترك لم يكن لسان علوم وحضارة وانما كان يمكن تنفيذ ذلك وقتئذ بالعربية كما حاول السلطان سليم

ليس نشر العلم في الولايات العربية باللغة التركية من الممكن كما انه ليس بالمعقول بل بالعربية فقط تمكن اشاعة العلم فيها وان من الواجب حماية اللغة التي تريد تعميم العلم بها بين أمة (العرب) وحماية الافاضل أيضا من أهلها. وان اصلاح مدارس القسطنطينية لا يعد حماية للغة العربية لان اصلاح هذه وتعليم العلم بها – من أقرب طريق لا يكون الا بتأسيس مدارس علمية في القطر العراقي والقطر السوري والقطر الحجازي وانشاء مجامع علمية عربية هنالك اعضاؤها من العرب وموظفون بصورة رسمية

ومتى تم ذلك نبغ بتلك الاقطار في القريب العاجل فحول العلم وارهاط الفضل وزحف اليهم أصحاب المزايا في الشرق والغرب وفي مصر والسودان. فلا يمضي الزمن اليسير حتى تنتقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية بكل فروعها وسوف تندم الخلافة العثمانية اذا لم تكن هي المتوسطة لهذا النقل والقائدة لهذه الحركة

وفضلا عن ذلك فان دولة كالخلافة الاسلامية وسلطنة كالسلطنة العثمانية تحكم بلاد العرب الذين لا نزال نستنير بأنوار علمهم وفضلهم لا يمكنها الا الاكتفاء بالقسطنطينية وحدها مركزا علميا لهذا الملك الطويل العريض ، فان مكة عاصمة المسلمين اجمعين وبغداد دار الخلفاء ومنشأ العلوم الاسلامية ودمشق عاصمة الخلافة الاموية وأكبر مدن السوريين الذين نهضوا بمعارف مصر ومطبوعاتها وصحافتها في هذا العصر الاخير هذه المدن الثلاث يجب ان تكون مراكز عالية مهمة في هذه السلطنة وعندئذ يخلف الائمة البصريين والكوفيين القدماء بضع سنين أئمة واساتذة عراقيون وسوريون وحجازيون يجعلون دولتنا مدنية نصيرة للعلم واللغات حتى اذا ما امتد لسان الى الخلافة يسلقها العلم اهـ بعبارة الاتحاد

(المنار) كنا نتمنى لو اطلعنا على رأيه في المدارس عامة. وانا نقتبس بعد هذا مقالة تاريخية في الموضوع من مجلة المقتبس الشهيرة فيها رأي ثالث في المسألة وهذا نصها

﴿ العربية والتركية ﴾

أصيبت الأمة بعد سقوط دولة بني العباس بفتور غريب في العلم والآراء لما عاينته من أهاويل الحروب والفتن ، ولما قامت الدولة العثمانية خمدت تحت لوائها

الاقطار المختلفة نظرت الى الاقطار العربية من الوجهة السياسية ولم تعن بها ولا بغيرها من الوجهة العلمية الاجتماعية شأنها في عامة أدوارها وأقطارها ولم يشذ عن ذلك الا مصر فكانت أشبه بمملكة مستقلة حتى بعد استيلاء العثمانيين عليها ، وبعيد ان قامت الدولة تؤسس لها مدارس في العاصمة والولايات لتعلم العلوم الحديثة وتستبدل النور بالظلمة والعلم بالجهل قام محمد علي والي مصر فنزع القطر المصري من المماليك في الظاهر ومن الدولة في الباطن وانشأ فيه مدارس عربية وتوفر بدلالة جماعة من مستشرقي الفرنسيس النبهاء على ترجمة الكتب العلمية من اللغات الأوربية فانتعشت اللغة العربية في مصر فقط وظلت كهف العرب عنها يأخذون علومهم وموطن الطباعة والكتب والصحف وبأنوارها يستضيئون وذلك لغناها العظيم وتاريخها المجيد القديم ،

بقي الامل في نهوض العربية محصورا في مصر لان الشام والعراق والجزيرة والحجاز واليمن ونجد وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش أمست في فتور ، وقد أنشئت في تونس وسورية بعض المدارس والمطابع تدرس بالعربية وتطبع اللازم من الكتب العربية لكنها لم يمض على تأسيسها بضع سنين حتى أطفئت شعلتها بما أصاب سورية من بلاء المراقبة وما أصاب تونس من الاحتلال الفرنسوي ، والمراقبة واحتلال الغريب مما يقتل روح المسلم وينزع حياة النهضة القومية ، وقد أوشكت مصر ان تصاب بضعف لغتها لما احتلها الانكليز لولا ان قامت الامة وطلبت جعل العربية لغة المدارس الابتدائية والثانوية فلم تر الحكومة بدا من اجابة طلبها ،

اما هذه الديار فكان أول ما انصرفت اليه الوجوه (١) بعد إعادة القانون الاساسي العثماني مسائل التعليم فالتركية لسان الدولة الرسمي تريدان تعلمه جميع العناصر العثمانية ليجيء منهم في المستقبل مزيج واحد وتقوى وحدتهم السياسية ، وقد نشرت نظارة المعارف برنامجها ولم نشهد فيه ذكرا للعربية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية بل قالت ان تعليم العلوم بالتركية للذكور والأناث وللصغار والكبار وللعرب والترك والروم والأرمن والبلغار والأرناؤد حتى ان المبادئ البسيطة التي سمحت بتعلمها من العربية تدرس في كتب ألفها أتراك باللغة التركية ، فدرك بعض الباحثين في

(١) المنار : لعله سقط من هنا كلمة « فيها »

أحوال البلاد والمعاصر ان غرض الحكومة من هذه الخطة (تتريك) العرب وغيرهم ، وهو عمل اذا كان نافعا من حيث السياسة فلا نفع فيه من حيث الاجتماع والعلم خصوصا بعد ان رأينا أصغر الشعوب الأوربية تحافظ على لغتها الاصلية محافظتها على اعراضها وأموالها وأرواحها ،

لا بد للحكومة ان تجعل التعليم اجباريا في المملكة فاذا جعلته باللغة التركية ولم تراع حالة كل قطر ولغة أهله تسوء العاقبة ولا تأتي الشجرة التي تريد غرسها الآن بثمرة جنية بل يكون شأن البلاد العقم في العلم والفكر ومن لم يتعلم العلوم بلغته هيهات ان يأتي منه عضو يفيد أمتــه وبلاده ، واذا فعلت الدولة ذلك الآن فتكون في عهدها الدستوري أظلم منها في عهدها الاستبدادي وتكون حكومة مصر أرفق بأهل مصر من حكومتنا بنا لانها منا فينتظر عن يدها الكثير وتلك ليست منهم وكل شيء تأتي به يعد كبيرا ،

وبعد فان كانت الحكومة العثمانية لم تنشط اللغة العربية في الماضي مع انها لغة الدين والآداب والحضارة فهي لم تضع العقاب في سـبيلها مباشرة ولكن الغلطة العظيمة التي ارتكبتها ولا يغفرها لها التاريخ هو ان القائمين باعبائها منذ البدء جعلوا اللغة التركية لغة الدولة الرسمية خلافا لما جرت عليه دول الاسلام السالفة كدولة المصامدة البربر في الغرب الاقصى والأدنى ودولة الجراكسة في مصر والشام ودولة آل سلجوق التركية في العراق والجزيرة ودولة بني بويه الفارسـية ودولة آل أيوب الكردية في مصر والشام والحجاز واليمن وغـيرها من الدول التي طرحت لغاتها وعمـدت الى اتخاذ اللغة العربية لغة الحكومة والدولة فكان الجراكسة والبربر والفرس والاكراد والاتراك يتخلون عن لغاتهم مختارين ولا يستعملون في الرسميات غـير العربية لغة البيان والعلوم أما الترك فجروا على غير سـنة الدول السالفة فلم يروا من المصلحة تعلم لغة عامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واكتفوا بلغة ملفقة بدوية ما برحوا يتوفرون منذ قرون على اصلاحها وهيهات ن تكون كما يحبون ،

ولما جاء السلطان سـليم فاتح مصر والشام وكان على شيء من المعرفة يحسن

العربية كما يحسن الفارسية والتركية أحب ان يتلافى الغلط الذي سارت عليه دولته وان يجعل اللغة العربية لغتها الرسمية أسوة الدول الاسلامية البائدة فقام عليه بعض ضعاف العقول من أهل دولته وأرادوه على العدول عن رأيه مخافة ان تندثر لغتهم بل تخلصا من ان يتعلموا لغة غيرها فكان عملهم هذا من جملة السدود التي حالت دون آل عثمان و بسط أيديهم على الممالك الاسلامية المجاورة لهم واللغة العربية أعظم رابطة بين المسلمين ،

وقد كانت الدولة ولا تزال تعلم في مدارسها الرسمية العربية كما تعلم الفارسية وذلك لأن التركية مزيج من هاتين اللغتين و بدون معرفة قليل من اللغتين لا يتأتى لتركي ان يكتب كتابة صحيحة في لغته فكان شأنها من بعض الوجوه شأن المدارس في أوربا لا تزال الى اليوم تعلم اللاتينية واليونانية لانهما أصل لغات أوربا وان كانتا بادتا أو كادتا ، ولكن مدارس أوربا أخرجت كتابا بهذين اللغتين ولم نعهد من مدارس الحكومة العثمانية كاتبا بالعربية أو الفارسية ، هذا والتركية ليست لغة دين ولا لغة علم ولا لغة حضارة قديمة ولا مدنية معروفة كالعربية التي شهد أهل الارض بأمجاد أهلها وحضاراتهم ، ومن الغريب انه لم ينبغ في الدولة العثمانية كاتب عربي من أصل تركي على حين نبغ و ينبغ من الفرس والاكراد وغيرهم أناس يؤلفون بالعربية فتحسبهم عربا خلصا ، وانك لتقرأ العجمة في كلام ابن كمال باشا وكاتب جلبي وطاشكو بريلي وغيرهم من الاتراك الذين عانوا القلم العربي وعدوا في المصنفين ،الا تقرأه في كلام الراغب الاصفهاني وأبي بكر الخوارزمي وحجة الاسلام الغزالي بل ان هؤلاء على منشأهم الفارسي كانوا أئمة الانشاء العربي ،

إذا تعلم أبناؤنا اليوم على الطريقة التركية لا يلبثون ان يجيئوا أتراكا و يتقنون التركية كأرقى أبنائها و بذلك لا يخدمون أبناء لغتهم أدنى خدمة وقد رأينا معظم الذين تعلموا من أبناء سورية والعراق في المدارس الرسمية لا يحسنون التكلم بالعربية العامية فضلا عن ان يكتبوا سطرين صحيحين بلغتهم بل ربما رأيتهم يمزجون المصطلحات التركية و بعض الالفاظ التركية بينا هم يكلمونك بالعربية فكان شأنهم في هذا شأن أكثر التوانسة والجزائريين من سكان المدن يتكلمون

بعربية تكاد تكون أقرب الى الافرنجية لما خالطها من الالفاظ الافرنسية والاسبانيولية والطليانية ، »

وقد رأى بعض العقلاء أن أحسن حل لمسألة اللغة العربية في المدارس الرسمية وأسلمه عاقبة على اجيال الدولة المختلفة هو ان يجعل تدريس العلوم المادية كلها باللغة العربية كالطبيعيات والرياضيات والفلك والكيمياء والطب وان تجعل العلوم السياسية كلها باللغة التركية كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والحقوق والاجتماع وبذلك لايقع حيف على العرب وهم نصف الدولة أو يزيدون ولغتهم أفضل لغات سائر العناصر العثمانية ، والمستقبل كفيل بحل هذه المعضلة العلمية ،

تقرير (١)

عن امتحان مدرسة المعلمين الناصرية

﴿ في العام الدراسي سنة ١٩٠٨ الداخل في سنة ١٩٠٩ ﴾

صاحب السعادة سعد زغلول باشا ناظر المعارف العمومية حضرتلري

قبل كل شيء أقدم الى سعادتكم أكمل الشكر والامتنان على ان جعلتموني موضع الثقة فاخترتموني لرئاسة امتحان هذه المدرسة التي هي في نظري من أهم المدارس وأفيدها لهذا القطر ولهذا قد دققت البحث واختبرت كل شيء في الامتحان بنفسي واني عارض ما علمته بالتفصيل

(١) رأيت ان وقت الامتحان الذي حدد لهذه المدرسة غير ملائم لحالتها

(١) ننشر هذا التقرير لما فيه من الفوائد الدقيقة المتعلقة بفن التعليم وحاله في مدرسة من أرقى المدارس المصرية وأهمها عندنا بيان سوء أثر تعليم الأزهر في نفوس طلابه من حيث إدراك المسائل ومن حيث بيانها وهو ما شرحه صاحب التقرير الشيخ عبد الكريم سلمان الشهير العضو في المحكمة الشرعية العليا » في مسألة (ج) فعسى ان يكون فيه عبرة لمديري نظام الأزهر كما نحب له ونرضى

لانه قد زاحمه قبله امتحان الشهادة الثانوية وشاركه في زمنه امتحان مدرسة الحقوق الخديوية ونشأ عن ذلك تعطيل في العمل لأن من انتقتهم النظارة للامتحان فيها كان أكثرهم مشتغلا بامتحان الشهادة وتلاوة أوراقه واضطرونا لتأجيل الامتحان في التربية العملية عن وقته المعين في الجدول وهو أول مايو سنة ١٩٠٩ إلى ما بعد ١٦ منه واجهد الممتحنون أنفسهم في أول النهار و بعد الظهر حتى أتموا عملهم بمشقة عظيمة في أوقات هذا الحر الشديد

فلهذا ولقلة العمال الذين يوثق بعملهم أرى ان يجعل موعد امتحان هذه المدرسة في الاعوام المقبلة من أول مايو كما وقع ذلك في بعض السنين

(ب) لاحظت ان كون الامتحان بنمر سرية قد أوجب زيادة العمل على العمال واستدعى إيجاد عمال في حين الاحتياج الى عملهم في موضع آخر لتزاحم الامتحانات في وقت واحد ولو كانت الفائدة من جعله سريا توازي هذه الاتعاب وتلك المضايقة في إيجاد العمال لهان الخطب ولكني وزنت النفع والضرر في ذلك فوجدت الثاني أكثر بكثير وغاية ما يقال في النفع ان كون الامتحان بالنمر السرية يجعل النظارة في اطمئنان من عدم وجود الغرض فيه إذ يقرأ الممتحن ورقة لا يعرف كاتبها فيقدر لها درجتها بالضبط وهذا النفع وان كان يكون حقيقيا في بعض الأوقات ليس بمطرد لانه ليس كل ممتحن يعمل فيه الغرض وفضلا عن ذلك فقد يوجد شيء من التساهل مع الامتحان بالنمر السرية يقوم مقام الغرض أو يفوقه لأن الممتحن كلما قرأ ورقة ووجدها غير صالحة سأل عن النمرة التي يمكن ان يمر بها الطالب ولا يكون ساقطا فيعطيها للورقة وهو جازم بانه لا يستحقها لأجل ان ينجو الطالب من السقوط وذلك استعمالا للشفقة واذا أسأنا الظن قلنا ان الممتحن تحت نظره أشخاص يجب ان يمروا فيخاف ان يكون صاحب الورقة الساقطة منهم فيمرّ الكل حتى يمر صاحبه بسلام وهذا أكبر في الضرر من استعمال الغرض لشخص مخصوص بالرجاء المعتاد في هذه البلاد وبين أوراق الامتحان في كل علم أوراق منحطة جداً وضع لها الممتحنون الدرجات التي تقتضي مرور كاتبها

فقط كنمرة (عشرين) فيما نمرته الحقيقة (٤٠) و (٢٥) فيما نمرته (٥٠) و (١٥) فيما نمرته (٣٠) وهكذا ولسعادتكم ان تأخذوا نموذجا من تلك الأوراق المكتوب عليها مثل هذه النمر فتجدوها على ما وصفناه وأيضا فان الامتحان بالنمر السرية في هذه المدرسة وهي من المدارس المخصوصة العالية تفرقة بينها وبين أختها مدرسة الحقوق الخديوية ولا فرق بينهما في الواقع ونفس الأمر فلم يكون الامتحان في الحقوق جهريا وفي المعلمين سريا على اننا لم نسمع بأن طالبا في الحقوق مع الامتحان الجهري نجح للغرض ولا بأن طالبا تأخر بقصد الإضرار به

ولهذا فاني أرى ان يكون الامتحان في هذه المدرسة أيضا جهريا فيقل التعب وتزول تلك الاضرار ويسهل وجود العمال ويعرفون انهم موضع الثقة فيعملون على ما يزيدها وانهم ليسوا موضعا للريبة فيعتادون النزاهة والتخلي عن الغرض وهذا من حسن التربية واعلاء النفوس بمكان عظيم

(ج) لاحظت اثناء تأدية الامتحان الشفهي في علوم النحو والصرف والطبيعيات وتقويم البلدان ما لا يكاد يصدق وذلك ان الشخص الواحد يكون شخصين متبايني الصفات والادراك في وقتين مختلفين امام ممتحنين في علمين وهذا وان كان وجد في قليل من الاشخاص ولكنه مما يستدعي النظر والالتفات والبحث عن الاسباب . رأيت بنفسي أحد الطلبة يؤدي الامتحان الشفهي امام الشيخ حمزه فتح الله فاذا سأله عن تطبيق قاعدة أو اعراب جملة أو تعيين محل اسم من الاعراب أو عن أصل الكلمة وما صارت اليه بعد القلب أو الابدال يبحث عن الجواب في جوانب السماوات وشاسع الآفاق، فاذا نبه الى ان الجواب قريب منه اعتراه ذهول حتى صار لايدرك البديهي من القول، ورأيته بعينه وهو امام علي بك بهجت يؤدي الامتحان في تقويم البلدان فوجدته رجلاً ثابت الجنان منطلق اللسان يعبر عما يريد بقوة ولا يعتريه انزعاج رأيت هذا في أكثر من واحد ومن اثنين واني أحقق بعد ان أطلت الأخذ والرد والبحث ان هـذا الداء كان متأصلا في بعض أولئك الاشخاص من أصل التعليم لأن قاعدته في الأزهر كثرة الاحتمالات في العبارة الواحدة واستعمال المعلم للتشكيك والاكثار من الاعتراضات

الفطية وقد تعودوا ان لا يعرضوا فكرهم على أحد سواهم فاذا سئل هذا المتعلم على هذه الطريقة حار في أمره فلا يدري أي الاحتمالات يذكر وأيها يكون موافقا لذوق السائل فيرتبك كما قدمناه واما العلوم الأخرى فانها خلو من هذه العلة الثقيلة علة الاحتمالات والتشكيك فاذا سئل فيها قال ما يعلمه منها جازما بما يقول والجزم في العلم هو قاعدة كل خير وهو الأساس المتين في نجاح التعليم

ولا يقال ان هذا الفرق بين هذا الطالب وهو امام الشيخ حمزة وبينه وهو امام بهجت بك جاء من عوارض أخرى مثل وجود من يهابه زائدا على من يمتحنه فاني كنت موجودا مع هذا الطالب امام الاثنين واذا قيل ان الفرق جاء من كيفية توجيه الأسئلة فاني كنت أبسط السؤال له وهو عند الشيخ حمزة بطريقة هي غاية في السهولة والوضوح وقد لاحظ حضرة الشيخ حمزة فتح الله هذا المعنى من بعض الطلبة فأشار اليه في تقريره القيم الذي منه حيث قال « لذلك لا أجد بدا من سرد نموذج مما نطق به من كثير منهم بنانه وبيانه ويراعه ولسانه مما لا نعقل نسبته لأمثالهم الا لفرط ذهول استحكم فاما في الشفوي فكما سمعتم من البعض حتى عذرتموه بحصر الهيبة في معترك الامتحان ولذا اقتصر على ما خطه بنانهم في الأوراق التي صححناها » اه

ظهر مما تقدم ان العيب في هذا الموضوع انما هو في كيفية التعليم وفي بعض الكتب لا في شخص المتعلم - والنظارة مسؤولة عن اصلاح هذا العيب والطريقة التي اراها نافعة في هذا الباب هي انتقاء الطلاب حين الدخول انتقاء كاملا في نباهتهم ومعلوماتهم وسيرتهم وليس من الضروري ان نتوسع في العدد فبدلا عن ان نأخذ ستين منهم أربعون ناقصون نأخذ عشرين كاملين اذا تخرجوا تخرجوا رجالا ذوي قدرة على العمل وقدوة للمتعلمين في كمال الاخلاق - أما اذا تخرج من الستين خمسون وكان منهم ثلاثون ناقصين فقد أدخلنا في عداد المعلمين اشخاصا غير صالحين وكانت النتيجة مساواة الصالح بالطالح والخلط بين الضار والنافع وعندي ان يقال إننا لا نخرج كل سنة الا عشرين كاملين خير من ان يقال اننا نخرج كل سنة طائفة كبيرة لا يمكنها في مجموعها القيام بوظيفتها حق القيام على انه قد مضى وقت الاحتياج الى

الإكثار من المعلمين بقطع النظر عن الكامل والناقص وجاء الوقت الذي يجب فيه القليل من المعلمين حتى نصادف الخيرين منهم

ويمكن ان تجمع النظارة لجنة لتقرر مقدار الحاجة الى المعلمين في كل سنة وتقرر بناء على ذلك انتقاء الطلبة وشروط الدخول وارى ان يكون في اول ما تنظر اليه اللجنة ان الطالب لا يكون قد امضى زمنا طويلا في الازهر بين تلك الاحتمالات والشكوك (١) ولا بد حينئذ اي اذا تقررت هذه القاعدة ان تطيل النظارة زمن وجودهم في المدرسة حتى يتغير وضعهم بالمرة ويسبكوا سبكا جديدا فيكون المتخرج منهم مفكرا مستنتجاً تربت فيه ملكة القيام بالنفس فيمكنه العمل بما تعلم وان يفيد المتعلمين ويبث فيهم روح العلم الحقيقي وروح التربية الحقة فان الذي ينقص المعلمين اليوم هو التفكر والاستنتاج فاذا اخذنا الطلبة من الآن فصاعدا ممن لم يمضوا مدة طويلة في الازهر وعوضنا عليهم تلك المدة في المدرسة وصلنا الى نتيجة حسنة قطعا وتخرج من هذه المدرسة العدد المجيد لعمله وان كان قليلا فهو خير من عدد كبير جله ممن لا يجيد العمل ولا يحسن التعليم

على ذكر هذا الذي تقدم اقول انني امتحنت طلاب السنة الرابعة من مدرسة الحقوق كما امتحنت مدرسة المعلمين فاذا مدرسة الحقوق في موضوعها متقدمة وفي طلابها جرأة على القول أمام اي ممتحن وبالطبع لم تكن لهم هذه الجراءة الا من اصل التعليم فلو اصلح التعليم في مدرسة المعلمين لوجد من متخرجيها من يفوق متخرجي الحقوق لأن في مدرسة المعلمين تتوفر العلوم العربية والمنطقية وكلها مما يوجب القوة في الحجة والطلاقة في اللسان والتوسع في البيان

(د) لاحظت ان بعض العلوم كآداب اللغة والتاريخ تتفق فيها كتابات الطلبة

(١) المنار : لما عرفت الشيخ عبد العزيز جاويش للاستاذ الامام سألني عن درجة تحصيله في أوربا ودار العلوم . قلت اني لم اقف على ذلك لقرب العهد بحضوره من أوربا ولم أعاشره قبلها كثيرا . فقال سله عن مدة اقامته في الأزهر فان كان أقام زمنا طويلا فيه فما أرى انه حصل شيئا ترجى فائدته لأن طول الاقامة في الازهر تضعف الاستعداد للعلم حتى قد تذهب به " . وان كانت إقامته فيه قصيرة فهو عندي محل رجاء

عند الامتحان اتفاقا يكاد يكون تاما من كثير من الوجوه فعلمت من ذلك انهم لا يعتمدون على قوة الكتابة والإنشاء ولو كانوا كذلك لاختلفت العبارات فان المنشئ يمكنه ان يعبر عما علم في موضوع واحد بعبارات مختلفة الأساليب وان كانت متفقة الموضوع   وهذا العيب يكاد يكون عاما في المدارس التي امتحنتها وان اختلف التلامذة في ذلك بعض الاختلاف   ولاحظت أيضا في أمر التطبيق ما يصح ان ألفت النظارة اليه ويقول حضرات المتحنين كلهم في الاعتذار عن بعض النقص الذي يوجد فيه ان علته انما هي تضييق الزمن وهذه تقاريرهم مجمعة على كثرة العلوم وقلة الزمان و بعضها يشير الى قلة الزمن المحدد للعلم بالنظر لموضوعه وفائدته كعلوم العربية وعلوم الشريعة التي هي المقصود الاصلي من تأسيس هذه المدرسة . وكأنهم يرمون الى النظر في أمر البر وجرام ولزوم تعديله على مقتضى وضع المدرسة وما يناسبها من العلوم

اني بما قدمته في فقرة (ج) من الكلام في أمر الانتقاء للدخول وشروطه والاخذ ممن قل زمنهم في الازهر وتعويضهم زمنا في المدرسة أستغني عن الذهاب مع حضرات الاساتذة المتحنين الى النظر في أمر البروجرام فانه بعد ان يتقرر الامر على ما تقدم يستغنى موقتا عن التعديل فيه   ومع ذلك فلو رأت النظارة ان تنيط اللاجنة التي تؤلف للغرض المتقدم بالنظر أيضا في تحديد العلوم على الوجه المناسب لموضوع المدرسة ومدة الدراسة وعدد الدروس في كل علم وما يبقى من العلوم وما يحذف لكان ذلك خيرا ومفيدا للعلم والتعليم

يدخل في باب التطبيق وجودته صناعة الإنشاء وحيث اني كنت ممتحنا فيه هذا العام أيضا فاني أقدم هذه الملاحظة بمثابة تقرير مني على انفراده في امتحان الانشاء

رأيت السنة كلها وعدد طلابها (٥٦) نفسا لم يجز ولا واحد منهم الدرجة العليا ولم ينل القريب منها إلا عدد قليل اما الباقون فمنهم كثير أخذ نصف الدرجات المقررة وهذا فيه مافيه على ما قلناه ومنهم من زاد عليه زيادات تتردد بين (٢٦) و (٣٩) وقد قال لي الشيخ أحمد السكندري مدرس هذا الفن (وهو الذي كان يقرأ لي ما كتبوه) ان هذه الفرقة كلها كانت عندي في طول السنة متوسطة لا عالية وقوله

هذا هو قول العارف الماهر ولا يؤخذ عليه انه هو المدرس لهذا الفن وربما قاله حتى لا يلحقه تقصيرهم لأن الرجل معروف بالعمل و بالصدق في الاقوال وانى موافق على قوله هذا وأقرر ان هذه السنة في الانشاء أقل من سابقاتها ولا يمكنني ان انسب ضعفهم الى صعوبة موضوع الإنشاء فاني سألتهم سؤالا يكون كل منهم معه حرا في اختيار الموضوع الذي يجيد الكتابة فيه وكان عندهم من الوقت ساعتان ومضمون السؤال ان كل طالب يختار فضيلة من الفضائل ويحث على العمل بها قوما مخصوصين فكان مقتضى هذه الحرية ان تجيء كتابة كل منهم في غاية الاجادة ولا يكون هذا الا إذا كانوا يحسنون صناعة الانشاء

(ه) يستخلص مما تقدم ان هذه المدرسة يجب ان يكون لها مقام مخصوص بين المدارس العالية لان الغرض منها كما هو ظاهر من نص المادة الأولى من قانونها هو تخريج معلمين مصريين للغة العربية وكل ما يدرس بها في المدارس التابعة لنظارة المعارف العمومية وهذا الغرض هو أعظم غرض تتوجه اليه فكرة من يريد اصلاح التعليم ولا فائدة أكبر من إيجاد هؤلاء المعلمين ايجادا حقيقيا وهو لا يكون الا باصلاح النظام الذي يتخرج بمقتضاه أولئك المعلمون فانا في غاية الاحتياج الى كونهم من النوابغ لا ان يكونوا كثيرين فيجب انتقاء الطلاب وانتقاء الاساتذة لهم وإيجاد المناسبة بين علومها وزمانها وهذه المدرسة لا تقل في الاهمية عن أختها شقيقتها مدرسة القضاء الشرعي وزمان الدراسة في هذه الاخيرة هو تسع سنوات فليس من ضرر ان تجعل مدة الدراسة في مدرسة المعلمين ست سنوات و بهذا ننصف إحدى الشقيقتين نوعا ان لم نتمكن من انصافها بالتمام

(و) هذه الملاحظات لا تنافي اننا نذكر لهذه المدرسة حسناتها السابقة من يوم نشأتها الى الآن وانها أفادت البلاد والتعليم واللغة العربية بما لا يحصى من الفوائد فانني شغوف بتقدم هذه المدرسة أكثر مما هي عليه وحصولها على درجة تجعلها في أعين القائمين بأمر التعليم في المقام الاول من الاعتبار ولا تمنعنا هذه الملاحظات أيضا من ان نذكر المدرسة في هذه السنة بالنتيجة الحسنة التي حصلت عليها في هذا الامتحان الأخير وهي انه لم يسقط من السنة الرابعة سوى تسعة من (٥٦)

فيكون النجاح باعتبار (٨٤) في المائة تقريبا وان سبب سقوطهم كان علم الرياضة فقط في سبعة منهم وعلم الرياضة مع نقص في بعض متوسطات المجموعات في الاثنين وان الساقطين في السنة الثالثة خمسة فقط والساقطين في الثانية ستة فقط ولم يسقط في السنة الاولى ولا واحد ولم يسقط في التحضيرية سوى واحد وقد ذكر حضرات الممتحنين في تقاريرهم شهادات طيبة وذكروا معاذير فيما وجدوا من بعض التقصير فنسبوا ما يوجد منه لضيق الزمن في الغالب والامتحان في شيء قد تركوه زمنا طويلا وهذه ملخصات تقارير حضراتهم أذكرها بغاية الإيجاز مع إلفات النظر الى ماجاء في كل منها من التفصيل ولي أمل شديد في ان سعادة ناظر المعارف الذي عود المصلحة العمومية عنايته بها يعير هذه الملاحظات جانبا من التفاته فتتجه المدرسة الى الكمال الأكمل المطلوب لها مني ومن أمثالي وفقه الله لخير البلاد والعباد

وهذه هي نموذجات التقارير

(تقرير حضرة الاستاذ الشيخ حمزه فتح الله ممتحن النحو والصرف في السنة الرابعة تحريريا وشفهيا وتحريريا في علم المعاني وفي جميع علوم البلاغة للثانية والعروض والقافية للسنتين الثالثة والاولى) قال — « انهم احسنوا فيما عدا النحو والصرف كل الاحسان ولا اتم منهم الا وضع الهمزات على ألفات الوصل — وقال — انهم أجادوا في استحضار القواعد وجمع شتيتها والتعبير عنها بعبارات سلسة والتمثيل بدون تقيد بما في الكتب واستحضار الشواهد ثم سرد نموذجا من هفواتهم في علم النحو والصرف ورسم الحروف واستنتج ان حالة الجميع حسنة وقال انه يعوزهم في علمي النحو والصرف زيادة العناية بالتمرين العملي واثنى عليهم جميعا فيما يتعلق بعلوم البلاغة والعروض

(تقرير حضرة الشيخ النواميسي ممتحن السنة الرابعة في المنطق والسنة الثالثة في الفقه والاصول) قال: النتيجة في هذا العام حسنة وان كان يوجد تقصير من بعضهم في الاجابة خصوصا في علم الاصول فربما كان ذلك ناشئا من كثرة المواد التي تظهر انها عبء — الى آخر ماقاله ولفت النظر اليه

(تقرير ذهني باشا ممتحن الرياضة والهيئة مع جناب المستر تويدي) قال: امتحنته

التلامذة في مسائل مواتية للبروجرام ، وبين الناجحين في كل واحد من الحساب والجبر والهندسة على حدته والناجحين في الكل على العموم ومدح الطلبة على سلوكهم في الامتحان والنتيجة هي ما قلنا سابقا من ان الساقطين في الرياضة تسعة

(تقرير حضرة الشيخ الطوخي في التوحيد والتفسير والحديث) قال: أتجاسر على الاستلفات الى كثرة المقررات في العلوم بجداول التدريس وصعوبة بعض الكتب المقررة لتدريس بعض علوم المجموعة الشرعية وعدم كفاية الزمن المحدود لتدريسها. ويظهر من بين السطور في تقريره ان الطلبة كانوا يعجزون عن النجاح لولا مجهوداتهم فأوجه نظر سعادتكم الى ما يريده الشيخ الطوخي

(تقارير التربية العلمية والعملية) تشير الى ان الحال محتاج الى تحسين وطلب الشيخ شريف زيادة علم النفس في المدرسة حتى يكمل نظام التربية العملي وانا لا اوافقه عليه لاعتبارات كثيرة اهمها قلة عدد الراسخين في هذا العلم الذين ينتفع منهم فيه

(تقريرا علي بك بهجت في التاريخ والجغرافية) مدح التلامذة في انهم اقلعوا عن عادة الكتابة من المحفوظات ومدحهم على ما حصلوه ومدح اساتذتهم على ما علموه واشار الى ان زميله يريد إلفات نظر المدرس للجغرافية الى العناية بالرسم

(تقرير جعفر بك في الخط) قال ان الطلبة ينقصهم كثرة التمرين خارجا عن النموذجات التي تمرنوا فيها

(تقرير ممتحن العلوم الطبيعية) قال ان اجابات الطلبة كانت جيدة في العلوم الطبيعية واحسن منها في الكيمياء فانهم لم يعرفوا ما هي الكهربائية الديناميكيه واقترح تنقيح البرنامج الحالي وجعله ارقى مما هو عليه الآن

(تقرير ممتحن فن الرسم) قال ان (١٢ ونصف) تحصلوا على (٧٠) في المائة من الدرجة النهائية وقال ان عدد الفرقة كان كثيرا بالنسبة لموضوع الرسم على تختة التباشير وطلب تخصيص ساعتين في الاسبوع للرسم لان زمنه الحالي قليل

(تقرير معلم الجماز) قال ان النتيجة مرضيه واثنى على نشاط الطلبة وعلمهم بما يلقى عليهم من التعاليم

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين — لليافعي ﴾

٦

بقية بحث احاديث الآحاد وكونها من اصول الدين

قال في الأحاديث ماخلاصته: انه لايبعد ان يكون بعضها موضوعا وان ما غلب على الظن ان يكون له أصل صحيح كان شريعة خاصة بأحوال خاصة وظروف مخصوصة في مبدإ الاسلام — إلى قوله — وما جاء في القرآن هو الشرع العام لكل زمان ومكان ولذلك لم يأت أمثال هذه المسائل الخاصة فيه ثم قال ونهى رسول الله (ص) المسلمين عن تدوينها كي لا تكون خالدة بينهم كالقرآن الشريف — إلى قوله — لم يحسن المسلمون الجمع بين هذه الاحاديث وبين نصوص الكتاب العزيز

وأقول ان ما كان موضوعا فقد بينه النقاد بدور العلم ونجوم الهدى (رح) ومن سلك الطرق المؤدية عرفه والصحيح قد بينوه على اختلاف مراتبه وهو كثير وشريعة الله ودينه هو ما في الكتاب والسنة النبوية — والعجب ان الدكتور الفاضل قد ذكر في رسالته هذه ان في الكتاب كثيراً من الاحكام الخاصة ثم هو ينكرها هاهنا ونحن نعلم ان فيه المخصوص والمقيد والمجمل والمبين. والأحاديث وان كان قد يوجد فيها بعض ذلك الا ان ما فيها من ذلك هو أقل مما في القرآن. ونهيه (ص) عن تدوينها قد قدمنا الكلام عليه والمسلمون قد أحسنوا التوفيق بين الاحاديث وآيات الكتاب وما اعترض به حضرته قد عرفت الجواب عنه

أما قوله واني لأعجب من أهل الحديث وقوله فكأنه يجب على كل مسلم بمجرد ما يسمع أقوالا منسوبة الى الرسول (ص) ان يفني حياته في معرفة أحوال رجالها

والوقوف على أمورهم إلى قوله فأيّ حرج في الدين أكبر من هذا وخصوصا كلما طال العهد الى آخره

وأقول الأمر أيسر وأسهل مما ظن الفاضل — فالمتأهل للنظر قد سهل الله له الأمر بما قد صنفه العلماء من الاصول وما جمعوه من الصحاح التي قد هذبت ونقيت وقربت واختصرت على ان الجد والاجتهاد في تحصيلها هو من أفضل الطاعات وأولى ما انفقت له نفائس الاوقات «ما عندكم ينفد وما عند الله باق» فسد الزمان وتركت الأديان والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله فلتكن منكم أمة يدعون الى الخير. اما العوام فلا حرج عليهم ولا تضييق — وقد قال تعالى «فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» — أي اسألوهم عن دين الله لا عن آرائهم المخالفة له فمن أجاب بغير ما شرعه الله أو بما يخالف ما شرعه فليس هو من أهل الذكر الذين أحال الله عباده إلى سؤالهم بل هو من أهل الرأي المذموم ولا ندري ما مراد الفاضل بهذا والله المستعان

قال حضرة الفاضل حفظه الله في الكلمة السابعة من رسالته — السنة في اللغة وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة الى ان قال وهناك فرق عظيم بين لفظ السنة ولفظ الاحاديث ويجب على كل باحث ان يدرس هذا الفرق جيدا حتى لا يقع في الخلط والخبط — وقال اما تسمية الاحاديث مطلقا بالسنة فهي من اصطلاح المتأخرين الى ان قال — والسنة لا تكون إلا عملية — وأقول ان الله قد أمر باتباع رسوله (ص) ولا شك ان الاتباع يدل على امتثال أمره فيما قال (ص) ونحن لا ننكر ان الاتباع لغة يكون في الفعل أكثر منه في القول — أما كون ذلك هو العرف الشرعي فلا نسلمه وإذا كانت السنة هي الخطة والطريقة كما قال حضرته فلا شك ان الخطة يكون أصلها القول — والطريق والطريقة والسبيل معناها واحد — وقد قال تعالى «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» والدعاء قول وقد سماه سبيلا — والفاروق الخليفة الثاني (رض) قال أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث ان يعوها وتفلتت منهم ان يردوها فاستبقوا الرأي — وفي رواية واستحيوا حين يسألون ان يقولوا لا نعلم

فعارضوا برأيهم فاياكم واياهم . وفي رواية أخرى اياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن أعيتهم الاحاديث ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا ـ قلت وهذه الآثار سواء كانت موقوفة حقيقة أو قد سمعها من رسول الله (ص) فانه رضي الله عنه قد سمى الاحاديث سننا و بذلك يظهر ان تسمية الاحاديث سننا ليس هو اصطلاح متأخر وقد روي وصح عن غيره نحو ذلك وهو كثير ـ على انا نقول أيضا ان الله كما أمر باتباعه في سننه (ص) كذلك قد أمر و رغب وأكد بطاعته ـ والطاعة انما تكون في أمره القولي حقيقة وقد ذكرنا ذلك وما يقاربه و يضارعه بما لا مزيد عليه في رسالتنا السابقة

قال ولو كانت واجبة الاتباع لعلمها الناس جميعا في عصره (ص) وجروا عليها في أعمالهم ـ وقال وهذا أدل دليل على انها لم تكن دينا عاما لجميع البشر الى آخره . وأقول لا يلزم ذلك لان جميعهم لم يعلموا القرآن أيضا ولم يجروا في فهمه على طريقة واحدة في كل مسئلة و واقعة واقعة وهذا الخليفة عمر (رض) من كبارهم قد خفي عليه أمر الصداق وهو موجود في القرآن فلما قرأت عليه الامرأة قوله تعالى «وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا» قال «رجل أخطأ وامرأة أصابت» . فاشتراط استوائهم في العلم والعمل واتفاقهم على جميع الاحكام شرط لغو لم يقل به أحد من المسلمين كلهم ولم يكن لحضرة الدكتور حفظه الله فيه سلف لا في العمل ولا العلم بالقرآن ولا في السنة ـ واذا كان الامر في القرآن كما عرفت وقد امتاز بانه كلام الرب بلفظه وهم مأمورون بتبليغ لفظه للاعجاز ومتعبدون بتلاوته في الصلاة ونحوها والنبي (ص) كان يقرأه عليهم في الصلوات الجهرية ونحوها وهم كذلك . كل ذلك وهم لم يتفقوا على جميع احكامه ولا على العمل بجميعها كما عرفت فكيف يصح ان يشترط ذلك في الحديث وهو انما هو في المرتبة الثانية ؟ أفليس من الجائز ان يقول (ص) قولا ويحدث بحديث أو يحكم بحكم فلا يسمعه ولا يحضره الا بعضهم فيخفى على الآخرين ؟ على ان بعض الاحاديث قد عمل بها واتفق عليها أهل الحل والعقد منهم (رض) وقد حدثت أمور و وقائع فرجعوا فيها الى العمل بالحديث واذا صح عندهم الحديث فلم يكونوا يتأخرون عن العمل به ـ وأيضا أقول بلا مجازفة قل

ان يوجد حديث يصلح للاحتجاج به الا وقد عمل به منهم عدد - ومن لم يعمل به فنحن نعلم ونقطع بانه لم يبلغه أو لم يصح عنده وذلك بديهي مدة علمهم فلا إيراد ولا شبهة فيتأمل فيما قدمناه من الحجج والله أعلم

فالاحاديث الصحيحة قد جري عليها العمل بلا انقطاع الى يومنا هذا - اما الخلاف في الدلالات والترجيح وتقديم بعض الادلة على بعض في موارد الخلاف والتعارض فهو واقع في القرآن والحديث يعرف ذلك من اختبره وعليه فلا يصلح ذلك دليلا على ان الشرع موقت بزمان دون زمان وحال دون حال

ونحن قد قلنا في رسالتنا السابقة ان جميع الاحاديث المتفق على صحتها او التي صححها او احتج بها اهل الكتب المشهورة قد تلقتها الامة بالقبول فلا نعيد الكلام خوف الاطالة

قال الفاضل حفظه الله في الكلمة الثامنة من رسالته

(١) قال الامام احمد بن حنبل (رح) ما معناه ان الاحاديث الواردة في تفسير عبارات القرآن الشريف لا أصل لها - واقول اولا ان الدكتور الفاضل اذا أخذ هذه المقالة عن الامام احمد (رح) وضم اليها ان جميع السنن لا تقبل ولا يجب العمل بها فماذا يبقى بين ايدي المسلمين من بيان الدين ومجملات القرآن . وعليه فلا يبقى الا العمل بالرأي وقد عرفت ما فيه - (أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير) قلت والذين عرفوا الامام احمد واقواله انما حملوا قوله على انه لم يصح عنده في ذلك شيء مرفوع لأن عامة ما يروى انما هي المراسيل - وقد قال غيره من الأئمة ان حكم اكثر الموقوفات في ذلك الرفع وعدم علمه لا ينفي ان يكون هناك شيء كثير مرفوع لم يبلغه - على انه قد نقل عنه في الاتقان انه قال اي الامام احمد بمصر صحيفة في التفسير رواها علي ابن ابي طلحة لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيرا

وما قاله الامام احمد (رح) لا يفيد الدكتور الفاضل شيئا - وفرق بين ما ذهب اليه الدكتور الفاضل وما يدل عليه قول الامام احمد رحمه الله أمين ولو أردنا ان نورد عن الامام ما قال في وجوب اتباع الاحاديث لاستدعى ذلك مجلدا كبيراً وكذلك

الامام الشافعي (رح) كلاهما على نقيض مذهب الفاضل الدكتور — وقول الامام الشافعي (رح) في النسخ انما هو من نوع الكلام فيما اذا تعارضت الادلة

أما ما نقل عن أهل الظاهر فليس كما قال ولم نر من نقل عنهم عدم وجوب العمل بها كيف ومذهبهم انما اشتهر بالعمل بالقرآن والحديث فقط ولذا يقال لهم أهل الظاهر . انما ينقل عن بعضهم انه منع تخصيص الكتاب بالكتاب وهو مبني على اصطلاح متأخر اعتمدوه والحق خلافه . نعم نقل عن امامهم داود (رح) ان المتواتر من السنة يعارض الكتاب ولا يخصص احدهما الآخر أي فهو يتوقف حتى يعلم التاريخ وحينئذ يكون ذلك عنده من مسائل النسخ لا التخصيص واما آحاد السنة الصحاح فلا نعرف لهم خلافا منقولا نقلا موثقا انهم منعوا تخصيصها للقرآن . و بذلك نعرف ان قولهم انما هو مخالف ومناقض لمذهب الاخ الفاضل الدكتور حفظه الله

قال قال جمهور الاصوليين انها ظنية — واقول قد قدمنا الكلام على ذلك وان الحق غير ذلك على انهم مجمعون على وجوب اتباعها

قال وقال جمهور المسلمين انه لايجوز الأخذ بها في العقائد . واقول كونهم الجمهور غير مسلم . بل الجمهور من عهد رسول الله (ص) الى يومنا هذا على خلاف ذلك على انه لايجب علينا ان نعتقد وندين باقوال الرجال الا اذا وافقت الصواب من السنة والكتاب

قال قال كثير من الائمة كالقاضي عياض انه لا يجب الاخذ بها في المسائل الدنيوية المحضة — وأقول قد سبقهم الى ذلك سيد المرسلين (ص) فيما صح عنه لكنه لا يدل على ما زعمه حضرة الفاضل ولا يؤيد مذهبه

قال وقال جميع المحدثين ان الموضوع منها كثير وتمييزه عسير جدا وفي بعض الاحوال مستحيل — قلت اما ان أحداً منهم قال ان تمييزه مستحيل فغير مسلم واما الكثرة فلا بأس وهم قد ميزوا ذلك وظهر امر الله

واما ما نقل عن الامام ابي حنيفة فان صح ذلك كان بحسب اطلاعه لا انه في نفس الامر كذلك وامام الاحناف رحمه الله قد استفاض عنه وجوب تقديم الحديث الضعيف على الرأي فهو وأتباعه الصادقون على نقيض ما يذهب اليه الفاضل الدكتور

وما قل عن الامام مالك (رح) فليس مما نحن بصدده وانما هو من باب ترجيح احد الدليلين اذا تعارضا وهو لا يدل على ما ذهب الفاضل الدكتور حتى ولا من باب الاشارة ومذهب الامام مالك (رح) معروف في ايجاب العمل بالاحاديث الصحاح

قال اجمع المسلمون على عدم تكفير من انكر أي حديث منها · قلت ان من أنكر ذلك لانه لم يصح لديه فالامر كذلك ونحن نقول بذلك وأما من ردما عرف ان النبي (ص) قاله بلا مسوغ فهو كافر برسالة محمد (ص)

وقوله ان تناقضها كثير الى آخره جوابه ان ذلك انما هو في نظر بعض الناس ودعوى الكثرة والاستحالة في التوفيق غير مسلم ـ وقوله قام الدليل الحسي الى آخره جوابه انا لا نسلم ذلك · وقوله لم يجمعها الصحابة الخ قدمنا الكلام عليه

قال لم يبلغوها الى الامم بالتواتر ـ أقول ذلك غير لازم وهو لا يضرنا والشيء لا يكون متواترا الا اذا تواتر بل قصد وتواطى وانما يكون متواترا بالاتفاق (كذا)

قال انهم نهوا عن كتابتها وأحرقوا ما كتبوه منها ـ وأقول قدمنا الكلام على الكتابة وأما الاحراق فهو لم يكن لاحاديث النبي (ص) ـ وعلى المدعي البيان بما يبين ويدل على مراده

قال قد نهى بعضهم عن التحديث وكرهه ـ أقول ان صح ذلك فانما هو عن بعضهم وسببه كما قال خوف الغلط على رسول الله (ص) فيقع المكثر في الكذب على رسول الله (ص) على ان من يقال انه كره ذلك هو نفسه قد حدث عن رسول الله (ص) بأحاديث كثيرة واذا كان مراده أن الذي كره ذلك عمر (رض) فقد روى عنه الجم الغفير أحاديث كثيرة وقد قدمنا بعض قوله في الاحاديث وان غيره فعليه بيانه على ان كراهة الاكثار من التحديث اون وماذهب اليه الدكتور الفاضل اون آخر فلا حجة له في ذلك فتأمل

قال كان افاضلهم أقل الناس حديثا الخ وأقول ذلك غير مسلم على ان التحديث القليل الذي يسلمه هو حجة عليه ينقض مذهبه ونحن نقول ان عدم الاكثار له أسباب كثيرة ليس هذا موضع بسطها.

قال من كان من الصحابة (رض) كثير الحديث ملوه وزجروه كما فعل عمر

(رض) بأبي هريرة (رض) وأقول أبو هريرة من الثقات ومن الصحابة الكرام - وكلام عمر له أسباب غير مايريده الدكتور الفاضل وقد عرفت بعض كلام عمر «رض» وهو من اكثر الصحابة أمراً باتباع الحديث والسنة وقد حدث عن رسول الله «ص» بأحاديث كثيرة

قال ان ائمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها . قلت بل قل اتفقوا على كثير من ذلك وهذا ان صح ان يقال فانما كان قبل ان تدون أما بعد ان صنفت ودونت فقد اتفق الحفاظ والأئمة المتأخرون على قبول تصحيح ماوسم بالصحة في الكتب المشهورة وما بقي فيه بعض اختلاف فهو طفيف يمكن المنصف تمييزه

قال لم يعتن المسلمون بحفظها كما حفظوا القرآن أقول لايلزم ذلك ولا يضرنا ونحن لم نقل انه يلزم لها في الحفظ اللفظي مايلزم ويجب للقرآن على انه قد اعتنى بحفظها كثير من الأئمة والقادة وأهل القرائح الوقادة الذائدون عن الدين كما اخبر بهم سيد المرسلين «ص» فجزاهم الله عن هذه الامة خير الجزاء ورحمهم الله ورضي عنهم وارضاهم آمين وصلى الله وسلم على رسله الامين الى يوم الدين

* * *

هذا جواب ما كتبه الدكتور الفاضل بغاية الاختصار وأنا ارجو حضرة شيخ الاسلام أن يطبع ذلك في المنار الاغر ولو دفعات متفرقة فانه قد رغب فيه كثير من قراء المنار ومن ينظره بين الاعتبار - وألتمس من حضرته ان يصلح مافيه من الخطإ والزلل لأني كتبته بعجلة بعد ان كنت أودت الاعراض عن الجواب ولكن ارضاء لله ورسوله «ص» ثم للإخوان الكرام الذين رغبوا في ذلك كتبت ذلك اوجالا وألتمس من حضرة شيخ الاسلام أن يذكر ملخص رأيه وكذلك ألتمس من علماء الاسلام حفظهم الله وايدبهم الدين ان يتكلموا ولو بالتصويب والتخطئة فان الزمان كما ترون أهله أول مايبادرون الى حب الخلاف ولو لأضعف الشبهات فنسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله وآله الى يوم الدين

قال ذلك بفمه وكتبه بقلمه

الحقير صالح بن علي بن ناصر اليافعي

(المنار) اننا نشكر لصديقنا الاستاذ اليافعي غيرته على السنة السنية وعنايته بالدفاع عنها في هذا الزمن الذي عاد الاسلام فيه غريبا كما بدا ونسأل الله تعالى ان يجعلنا وإياه من الغرباء الذين يظهرون السنن كما ورد في بعض روايات الحديث . ثم نشكر له حسن ظنه بنا ومنه أمره إيانا بإصلاح ما عساه يوجد في كلامه من خطا وزلل وإطراؤه إيانا بالالقاب والنعوت التي لا نستحقها

اما رأينا في المسائل التي جرت المناظرة فيها بينه وبين صديقنا الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فلا نرى ان نبحث في جزئياتها بالتفصيل لما في ذلك من التطويل الذي يمله القراء ويعسر على أكثرهم ضبطه وربطه بأصله ومن كان مستقل الفهم غير مقلد في العلم قلما يوافق رأيه رأي واحد من المختلفين اوالمتناظرين في مثل هذه المسائل بل يرى أن كل واحد أخطأ في بعض المسائل وأصاب في بعضها وهذا هو رأينا في جزئيات كلام صديقينا المتناظرين ٠

وأما المسائل الثلاث الكلية التي هي أقطاب هذه المناظرة — وهي مسألة النسخ ومسألة العمل بالأحاديث وإفادة أخبار الآحاد العلم أو الظن — فسنقول فيها قولا مختصرا مفيدا ان شاء الله تعالى ونرجو ان يكون ذلك في الجزء السابع

باب الانتقاد على المنار

« ايضاح وانتقاد »

جاءتنا هذه الرسالة من صاحب الامضاء فننشرها ونجيب عنها وهي :

العلامة المفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر

(١ — تحية وسلاما) وبعد فيظهر ان المنار في جوابه على سؤالي الانتقادي المدرج في صحيفة (١٨٩ ج ٣ م ١٢) لم يتمكن في معرفة قصدي من الانتقاد أوالسؤال وأنا بغاية الايجاز اعيد عليه تفصيل مقصدي وما انتقده عليه .

لا يخفى ان كل انسان يهمه مستقبله وان شئت قل تهمه الآخرة أكثر من

الدنيا ولا يمكننا ان نجد واحدا مهما كان دينه يقول انه يريد لنفسه الشقاء اذا فهمنا هذا فالاستاذ يعلم ان جمهور المسلمين ومنهم المرحوم ابن تيمية الذي تنطق آراؤكم على آرائه يقولون إن الله تعالى قبل ان يوجد الخلق قد قسمهم قسمين ، فريق الجنة وفريق السعير وإن شئت قل فريق للهناء وفريق الشقاء ..أما هذه العلة المدهشة في مثل هذا التقسيم فهي غير معلومة للمنار أو لابن تيمية الذي يقول :

واصل ضلال الخلق من كل فرقة　　　　هو الخوض في فعل الاله بعلة

نترك ذلك ونؤمن معكم بهذا التقسيم الذي عمل قبل وجود الخلق موقتا (وان كنا نعتقد بفساده) ونتأمل لماذا؟؟ يتبع ذلك من النتائج في الحياة الحاضرة والعمل الانساني ... هل الاسباب الدنيوية الموصلة الى النتائج الأخروية تعتبر علة لهذه النتائج ؟ ام النتائج الاخروية المقررة نفسها علة للاسباب الدنيوية ؟ ... أقصد اذا كان رجل كتبت له السعادة في الآخرة عند الخالق .. هل يوفقه الله تعالى لاسباب السعادة في هذه الحياة حتى ينيله في الآخرة ما قد تخصص اليه «؟» من قبل ليكون كما هو «؟» سعيدا ؟ .. أما جواب ابن تيمية وان شئت قل جوابكم ايضا ان العلة في ان يتوفق «؟» لاسباب السعادة هو كونه مكتوبا سعيدا من قبل أي ان النتيجة كانت علة للسبب وليس العكس كما يقول ابن تيميه

فمن كان من أهل السعادة أثرت　　　　اوامره فيه بتيسير صنعة

ومن كان من اهل السعادة لم ينل　　　　بامر ولا نهي بتقدير شقوة

ومختصر المعنى ان المكتوب سعيدا عند الله قبل ان يخلق يتأثر بطبيعته باوامر الله فيتبعها ليكون كما لا بد أن يكون.. والمكتوب من قبل الشقاء «؟» لاتفيده المواعظ ولا الاوامر ولا النواهي بل يسير بطبيعته الى حيث يتوصل الى قسمته القديمة ايضا . اذا علم المنار كل ما تقدم ووافق عليه فانا من جهه أخرى اقول له لا يهمني الآن فرقة القدرية ولا فرقة الجبرية الذين يقولون ان الانسان كالريشة في الهباء كما اني لا انكر ان القرآن الحكيم امر بالعمل والنظر في الاسباب ونظام الكون الخ

وكل الكلام الحلو الجميل الذي ذكره المنار في تفسير معنى القدر وما ذكره

في (٨ ــ حكم الاسلام في عمل الانسان) مسلم به بل القرآن ماهو اكثر وأحكم وأمتن

(٢ ــ العقيدة) العقيدة من حيث هي إما تكون فاسدة فتضر . وإما ان تكون صحيحة فتنفع والقرآن الحكيم أول الكتب السماوية الذي طلب تحكيم العقل في كل عقيدة وفند كثيراً من المعتقدات الفاسدة . فكيف واني اعتقد جازما ان تقسيم الخلق على الشكل السالف من أول العقائد الفاسدة بل المضرة المهلكة ايضا . ولا يخافن المنار من ادعائي هذا بلا برهان . فاني اجيبه عند السؤال بشرط ان لا اتعدى القرآن والعقل . فلنترك ذلك ايضا موقتا

(٣ ــ اعتقاد المسلم في دينه) ماذا يعتقد المسلم في دينه من حيث كونه مسلما آمن بالله وحده و باليوم الآخر ؟ . لا شك انه افضل الاديان . بل ايد القرآن ان من لم يكن في بواطنه «؟» مخلصا وخارجا عن مبادي الاسلام كانت له النار حتما كالآية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » فضعف اعتقاد المسلم هذا بأن له الجنة وحده وان غيره له النار للاسباب المتقدمة الى الاعتقاد السالف بان الله تعالى قسم الناس قسمين قسم للجنة وقسم للنار بلا علة تجد منها «؟» ان المسلم هو الوحيد الذي كتب الله له الجنة من الازل وغيره له النار من الازل . وان المسلم موفق من الله باعماله الى السنن التي تؤول به الى الجنة وغيره الى السنن التي تؤدي الى ضدها او الى الشقاء

(٤ ــ الكلام بحسب الواقع) ان بكلامي هذا للمنار اتكلم بالاغلبية العظمى «؟» الظاهرة عند المسلمين وما عليه اجماع حال الامة الباطني الحقيقي . فان المتنورين النوادر الذين يمكنهم ان يحولوا المعاني بسحر بيانهم وقوة عارضتهم لتحليل «؟» أي فرض عسر حله مثل صاحب المنار هم قليلون . وقد تواجد (؟) مثل الشيخ محمد عبده (رحمه الله) وصاحب المنار مثل الغزالي وابن خلدون ممن ملؤا الدنيا بفصاحتهم وقوة بيانهم مالا يطلب بعده المزيد . ولكن كل ذلك ما كان يفيد تقريبا . ولا قدم شيئاً للامة محسوسا ولا وضع الامة في صفها الحقيقي كما طلب الغزالي ويطلب صاحب المنار . ولم تزل ساقطة كما كانت تقريبا «؟» لو اردنا ان نعمل بينها و بين غيرها نسبة . وغرضي ان تتوصلوا لتأصل «؟» هذا الداء الذي هو اصل البلاء حتى يكون اصلاحكم المنشود

للامة فعال مؤثر «؟» لايزول . وليس كمن يكتب على الماء لماذا ؟ . لانه اذا كانت الغاية النهائية التي يطلبها الانسان والتي هي نهاية آماله ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . فالواسطة ان حسنت او ساءت لانهم كثيرا ما دامت الغاية الابدية المعول عليها مقررة ومعلومة .

(٥ ــ مثال عن حال تقسيم الناس في اعتقاد اغلب المسلمين) اسمع مني تكرما ياصاحب المنار مثلا : رجلان وقفا امام ادارة المنار احدهما يسمى مسلما والثاني غيرمسلم والاول اعلن «؟» من ادارة المنار انها ستحمله الى حديقة الازبكية ليتمتع بما فيها من الجنات والمسرات . والثاني اعلنته انه سيكون خارجها محروما من كل شيء ولكن اخبرتهما معا في آن واحد ان الطريق ما بين ادارة المنار والحديقة مملوء بأنواع المسرات وهو لهما معا فمن سار بقدميه وتأمل بعقله واسنن الكون (؟) والنظامات الآلهية الى ما في الطريق (؟) تمتع «وتنعم أي تنعم ومن وقف منتظرا مركبة المنار فليس له شيء مما في الطريق مطلقا ولا يجد في المركبة غير الحرمان ... غير انه على كل حال سيصل الى مركزه المعين . الاول سيكون داخل الحديقة والثاني خارجها بلا سبب و بلا جواب ان سأل

افتكر ان المنار عرف مقصدي من هذا المثال فداخل الحديقة التي عدت «؟» للمسلم هي الجنة وخارجها لغير المسلم هي النا «؟» . والطريق الموصل الى الطرفين مشترك بين الاثنين ولهما معا هي الحياة الدنيا الموجود فيها المسلم و بها مشترك الحياة بين الجميع

(٦ ــ المسلمون في تمدنهم وانحطاطهم) سار بعض الامم الاسلامية في الطريق على السنن الطبيعية من غير ان ينتظروا مركبة الآخرة ليحملوا عليها الى مقرهم فتحصلوا على كل شيء في الطريق ونالوا كل شيء بكدهم وعملهم كما كان الامر في صدر الاسلام فتقدمت الامم الاسلامية وسادت في الارض فكانت سعيدة وسيدة في الدنيا غير سعادتها المضمونة لها في الآخرة حسب اعتقادها . ثم جاء قوم مسلمون آخرون منهم وقالوا مالنا ولكد الحياة . بل مالنا ولهذا المتاع الفاني فلنتزهد ونتقشف في الحياة ولا نبحث على اكثر من قوت يومنا فان يقين الايمان بالآخرة ودوام التعبد كاف لسعادة الروح بحسن المآل (ولا شك ان العقل الذي يجعل اساس السعادة

بالعقيدة من السهل عليه تجويز هذا الوهم) ولقد تابع التقاعد وعدم الاهتمام للحياة بين الامم الاسلامية حتى لو سألت بعض المتقين الذين تغلب أفكارهم بين اكثر الناس عن افكارمثل صاحب المنار الكثيرة عن سبب تقدم الامم الغير اسلامية الحالي والماضي . اجابوك هؤلاء لهم الدنيا ولهوها وزينتها والعبرة بالاواخر والحياة الابدية ولقالوا لك في آن واحدا اذا كانت توجد آيات قرآنية تدل على لزوم الاخذ بالاسباب والتأمل للنتائج الطبيعية العالية والسنن الآلهية فان كثيرا من الآيات ما يدل على التقشف وترك الدنيا(؟) وان كان صاحب المنار له في ذلك تأويلا (؟) لا يهمهم سماعه لوجود عقيدة التقسيم المذكورة أوما يسمونه (بالقسمة)

ومن جهة أخرى إذا تأملنا لعلل تأخر المسلمين الدنيوي وانحطاطهم نجد ان الاسباب التي ارتكنوا عليها في طبيعتها فاسدة ولذا كان الانحطاط ملازما لها . . ولكن العقل المؤسس على العقيدة والمؤيد حتما لضرورة (وجود الاسباب الدنيوية للعلة الاخروية) يحتم بوقوع «؟» تلك الاسباب قبل وجودها لوجوب نتائجها ولزوم وقوعها أيضا . . فكان كلامي (في صحيفة ١٩١ ج ٣ م ١٢) عن العقل المؤسس على العقيدة ما يأتي : « وما دامت الأسباب التي هي حجة النتائج «؟» مقدرة حتمية فالنتائج (أي الدنيوية خلاف الأخروية أيضا) بالطبع تابعة لهذا الالزام «؟» . . وعليه فالتقاضي والحساب في الآخرة ليس الا لتتميم رواية كلامية . . . واذا كان هذا مبدأ المنار فلا يلوم الأمم الاسلامية الماضية وما كانت فيه من الاضمحلال ولا داعي لاستخراج «؟» نتائج فلسفية أو عمرانية للزوم الأخذ بأسباب الترقي والهرب من القديم — ولا عيب على حكومات الاستبداد . . ولا مانع من البقاء في الجهل الخ إذ ان الداعين للزوم تغيير المناهج لتتغير معها النتائج ليسوا الا معترفين بلزوم التسلط وتحوير القدر الإلهي(؟) القابض على الاسباب (حسب وهمهم) بيد من حديد » وهنالك إذا اعترفوا بذلك كانت العقيدة في التقسيم المذكور فاسدة ولا أصل لها » ويكون الحكم العقلي على كل ما يحدث جائزا فقط بحيث يمكن وقوع غيره بأسباب أخرى ولا يكون حتما مع الاسباب المذكورة التي وقع بها (؟)

(٧ - انتقاد المنار لكلامي) — لما أراد المنار ان ينتقد بعض كلامي المدرج

في السؤال وجدت انه لم يصب الغرض الذي أرمي اليه من حيث كون القرآن أو العقل والعلم يجوز امكان عدم وقوع حادث وقع فعلا أم لا . . . اما أنا فقلت بالجواز وأقول به أيضا . . . . أما المنار فأجاب عن وقوع الفعل من حيث كونه وقع فعلا فقط ولم يزد ... فترى في أول صحيفة (١٩٢ ج ٣ م ١٢) « أما قولكم في مسألة اصابة « ولي عهد ألمانيا » بذلك المرض لم تكن محتمة لمن الأزل الخ قول ظاهر البطلان . . لان قضية مرضه جهتها الاطلاق لوقوعها بالفعل والامكان لا يناقض الاطلاق و بعبارة عامية : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . . . هذا ما قاله المنار والحقيقة اني لم أقصد المسئلة بذاتها من حيث كونها مطلقة ووقعت فعلا بل من حيث حكم العقل والقرآن والسنن الطبيعية في كل ما يحدث وذلك مثلا يقال : فلان سرق قرطا من الذهب وجازته الحكومة لجنايته . . . هل كان يمكنه ان لا يسرق قبل(؟) ان تقع منه السرقة فعلا ... أما جوابي وجواب العلم والقرآن فنعم كان يمكنه ان لا يسرق وكان في الامكان تبعا لذلك عدم مجازاته . . . أما جواب المنار السالف في مسئلة ولي العهد أشبه (؟) بقوله . . نعم ما دامت وقعت السرقة فهو لا بد ان يسرق ولا بد ان يقع الجزاء ... وهذا لا يعد جوابا عن المقصود . . . مع ان ما جاوب به المنار لم ننكره بل أيدناه في نفس السؤال لانه مفهوم و بديهي لا يحتاج لأن يقول عنه المنار . . ظاهر البطلان إذ قلنا كما قال المنار في (صحيفة ١٩٠ سطر ١٩) ولكن مسئلة اصابة ولي العهد بالمرض تخصصت له من الله تعالى بسبب جهله لتلك الاسباب ليس الا . . وهي نفس الجملة التي قالها المنار وهي : انه كان لا بد من مرضه بدليل وقوعه وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض . وعليه كان انتقاد المنار لغوا وكان جوابه فقط دالا على لزوم التمسك بالعقدة بالقسمة ؟ وتخلصا مما عداها

(٨ — سبب التمهيد للاصلاح الاسلامي) — يا صاحب المنار ان كنت تريد اصلاحا فلا يجب ان يكون تقليديا فان تغلب الفكر الحالي في لزوم الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطبيعية و نطابق ذلك بحسب اجتهادكم على القرآن لم يكثر ولم ينتشر الا بسبب قبوله عند بعض المسلمين مما رأوه ورأيتموه من تقدم الامم

الغربية التي اتبعت هذه السنن وصارت أحوالها أشرف وأحسن بالاجمال من حال المسلمين اليوم ـ وان الأخيرين «؟» من زمن بعيد آخذون في التدلي حتى صاروا الآن وراء جميع الامم تقريبا ـ وان المجهودات الكبيرة التي يؤديها أمثالكم كالشعرة البيضاء في الجسم الاسود بالنسبة لتعداد الأمة الاسلامية في العالم (وحاشا ان يكون ذلك داعيا لتثبيط همتكم فان الحق لا بد ان يسود مع طول الزمن) وان تلك المجهودات تصير كالهباء مع تأصل عقيدة التقسيم وان الفضل الذي يرجع اليه تيقظ المسلمين الحالي راجع الى الضغط الذي يلاقونه من غيرهم لسيادتهم عليهم اسما أو فعلا لا الى الاصلاح الديني من حيث هو فانه لا يعتبر أصلا بل يساعد على انتشاره لغرض الخلاص من سوء الحال لوقوف العقيدة امام العقول بالمرصاد «؟؟»

(٩ ـ الفرق بين المسلم وغيره) اذا كنتم تقولون ان علماء اللاهوت بحثوا كثيرا في هذا الموضوع وانهم كالمسلمين الآن في بحر عميق وان ذلك من توابع البحث في العلم والارادة وان الفريقين المسيحيين والمسلمين مشتركين «؟» في هذا الاعتقاد. قلت لكم. ان الفربيين لم يتقدموا الا من بعد ان فكوا من أعناقهم وداسوا بأرجلهم على كل عقيدة تقيد عقولهم ونظامهم الفطري الطبيعي ، فهم لذلك من حيث عقيدة التقسيم السالفة التي يتبعها المسلمون بوجودها «؟» بالفرض بينهم فهي «؟» ليست أصلا لاعمالهم وانجاحهم ولا هي مرجاء «؟» لمركز الاعتقاد في سعادتهم وشقائهم في الدنيا والآخرة كما هو ظاهر في جمهورهم بخلاف المسلمين فانها ان كانت دافعة لتقدمهم سنة واحدة فانها اخرتهم وتؤخرهم سنين لماذا ؟ لان المسلمين جعلوا الاعتقاد بالقسمة أصلا لتقدمهم وتأخرهم وهم هم أنفسهم لا ينكرون وجود السنن الالهية التي يجب السير عليها والتي لم يجعل الله تعالى نظام العالم بغيرها ولكنها فرعا ثانويا «؟» من تركه كما حصل منهم من مئات من السنين الى الآن وهم معذورون لتسلطها على قلوبهم وكان صوت المصلحين بينهم كالنافخ «؟» في الرماد

ولكن الغربي بالعكس صار ينظر بالتجارب العلمية والعقلية و بمقاومته «؟» أكثر المعتقدات الدينية الباطلة حتى وصل الى ان عمله في هذه الحياة هو أصل سعادته وشقائه هنا وهناك وكل ماعدا ذلك من المباحث القديمة ثانويا «؟» وصار يقدم نفسه وماله فداء

بارتياح لمقاومة كل مايهدم شيئا من السنن الالهية الطبيعية في العالم الموافقة للعقل والشعور الانساني وكان الاصل الاول الذي اتخذه لسعادته المحسوسة هو: «الحرية»

(١٠ـ الخوف من التقليد مع وجود الداء) ماذكرناه الآن هو الداعي لان تقول المنار في صحيفة (١٩٠ ج٣م١٢) (اذا كان المنار وابن تيمية والمسلمون جميعا) يعتقدون ان العباد مقسومة هذا للشقاء وذاك للسعادة وان هذا الاعتقاد مستول على العقول فهمة المسلمين التي تتوجه للاصلاح والتقدم « الدنيوي » ليست الا ضربا من التقليد والتشبه للأمم الحية التي لاتعرف شيئا من هذه العقيدة المقيدة للهمم والعقول «من حيث كونها ليست أصلا لسعادتهم وشقائهم لا من حيث جهلهم لها بالمرة» فتزول منهم « أي همة المسلمين » اذا زالت عنهم الاسباب الاضطرارية «مثل السيادة » الداعية لهذا التشبه لان الدين «عند المسلمين وخصوصا الاعتقاد بالتقسيم » راسخ في الاذهان « كما هو ظاهر » من مبدإ وقوي أثره تقليدي . اللهم الا اذا ضرب صفحا عن هذه العقيدة من الدين ثم تشبعت النفوس تدريجيا بالمبادي الطبيعية « والسنن الالهية المعقولة » التي تسير مع تقدم الامم الخ فهناك يكون الاصلاح من نفسه طبيعيا لاتهدده ولا تقاومه عقيدة

(١١ ـ الاصلاح الطبيعي) غرضنا مما تقدم لزوم «؟» انكار هذا التقسيم الملازم لهذا الاعتقاد لان العقل والعلم لايقبله ثم ثبوت «؟» ان الذي يسير على السنن الالهية فانه كما يكون بها في الدنيا سعيدا فهو في الآخرة أيضا والعكس «؟» وان نوم المسلمين مع اعتقادهم ما هو مكتوب لهم بالذات ومخصصا «؟» لهم أصله باطل محض ـ مع تأييد امكان تنوع الحوادث وانها أصلا «؟» لما هو مكتوب عند الله عامة على «؟» جميع الناس سواء وليس ما هو مكتوب لكل شخص ومخصص له بالذات عند الله أصـلا لما يناسبه من الحوادث المذكورة ـ لان النتيجة (الذي هو التقسيم المذكور بالعقيدة) اذا كانت لازمة من الأزل كانت أصلا للسبب «؟» ـ والسبب عندها يتحتم ويكون واجبا وقوعه عقلا ويكون مدلوله في العقل بشكل اجباري «؟» وان كانت البداهة تؤيد عدمه أومهما تنوع فهم الاجبار المذكور بشيء من دلائل الاختيار وتعريف معناه وصفته «؟» كما عرف بذلك المنار في آخر صحيفة (١٩٩ ج ٣ م١٢) فكما

ذلك لا يفيد ولا يؤثر - بل يكون من قبل مقاومة القوة بالقوة فكل منهما يلاشي الآخر وان كان لكل منهما تأثيرا «؟» في نفسه ويجب أيضا ان يكون كل حادث ممكنا فقط قبل وقوعه «؟» مع ثبوت احتمال وقوع غيره ان وقع فيتبدل التقسيم المذكور تبعا لاتباع السنن المختلفة بالحرية لا تبعا لكون التقسيم هو الذي يوجب اتباع احدى السنن المعينة التي تلازمه وتلتصق به إلصاقا وبذلك تنقلب العقيدة الى أصلها الحق الطبيعي «؟» .

(١٢ - حل المسألة) اذا كان المنار يتفضل بحل المسألة على الوجه الذي ذكرنا أفاد الأمة كثيرا في أكبر دآءاتها (كذا) وما كان في نصائحه الفلسفية العمرانية التي يذكرها تباعا كمن يشد الحبل من طرف فتشده الأمة بقوة العقيدة المذكورة من الطرف الآخر - فهو لم يزل واقفا مع صرف كثير من المجهودات . بل ربما تدلت الامة لا سمح الله بالرغم عنه الى الوراء زيادة وكثير من المسلمين بل أغلبهم ما زال في الطرف المضاد الى الآن

اما اذا كان لابد للمنار من ان يصرح بلزوم عقيدة التقسيم المذكورة ويوافق ابن تيمية على مقاله فانا نقول له ان العقيدة المذكورة بمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرة ولا يؤيدها شيء مطلقا لا العقل ولا العلم ولا الحقيقة بل انها باطلة — واذا سمح لي المنار انا العاجز بمحل على صفحاته الغراء فاني اعرض عليه ما يمكنه به حل هذه العقدة وخصوصا فيما يتعلق بالارادة والعلم وله انتقاده ما شاء فاذا محص الحق طلبنا منه معاونتنا على تأييده والذود عنه كما هو مبدؤه لاني لا اريد الا الاصلاح كالمنار ما استطعت وما توفيقي الا بالله العزيز الحكيم . ثم لي كلمة انتقاد على بعض ما اورده المنار في جوابه على سؤالي في صحيفة ١٨٩ ج ٣ م ١٢ اجلتها لوقت آخر حتى أرى ما سيكون عما كتبناه الآن في المنار والسلام

سواكن في ٤ يونيه سنة ١٩٠٩ كاتبه

احمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

﴿ جواب المنار ﴾

سبق لنا تقريظ كتاب المنتقد (احمد افندي بدوي) اشرنا فيه الى رأينا في المؤلف نفسه وهو انه مستعد للمباحث الفلسفية الدينية ولكنه لعدم تمكنه من درس الفنون والتوسع في اللغة العربية التي يتوقف فهمه على اتقانها يقول فيها ما لا يكاد يفهم . وكان لنا ان لا ننشر انتقاده هذا لأنه ليس على شرطنا اذ هو مبني على مافهمه من قصيدة لابن تيمية وعلى حكمه بأننا موافقون لابن تيمية فيه او في كل شيء — وكأنه أخذ ذلك من ثنائنا عليه — ولكننا نشرناه عناية به وحفزاً لهمته الى التدقيق في المباحث التي يدفعه اليها استعداده وقد صححنا بعض أغلاطه اللفظية البديهية وتركنا الباقي على حاله الا أننا وضعنا في جانب بعض الكلمات او الجمل علامة (؟) اشارة الى بعض تلك الأغلاط اللفظية والمعنوية وقد تكون العلامة لعدة اغلاط في الجملة كما لا يخفى على العارفين

ان كان يريد الانتقاد على في شيء رآه خطأ فكان عليه ان يقول إن ماذكره المنار في صفحة كذا غير صحيح بدليل كذا والحق في المسألة هو كذا مع إقامة الدليل عليه . وان كان يريد تقرير حقيقة جهلها المسلمون واخطأ فيها مثل ابن تيمية وعجز عن بيان الصواب فيها مثل الغزالي والشيخ محمد عبده واهتدى هو الى معرفتها وأوتي القدرة على بيانها فكان الواجب عليه ان يعجل بهذا البيان حرصا على هداية هذه الامة وكراهة لاستمرار ضلالها في أهم قواعد دينها ومدار سعادتها وشقائها ثم له بعد ذلك ان يبين وجوه خطأ اشهر شيوخ الاسلام فيها إن كان لا يرى أن ظهور الحق كاف لدحض الباطل . هذا هو المعقول وأما مسلكه فلم له نعقل وجها صحيحا

قرأنا مقاله المسلط ففهمنا بعضه من العبارة و بعضه من القرائن ومنه جمل لم نفهمها بالمرة لان تركيبها غير صحيح . وقد علمنا منه أنه لم يفهم ما كتبناه كله وانه يبني الإيرادات والاعتراضات على شيء في مخه يعزوه تارة الى الدين وتارة الى بعض من كتبوا فيه حتى انه ينسب الى المنار ما يدعو المنار الى ضده حتى في الجواب عن اعتراضه الاول على عبارة

التفسير فهذا وما ذكرنا من ضعفه في اللغة هما سببان فيما ذكره من عدم فهمنا لغرضه من انتقاده الأول وكذا الثاني، وهما السببان في عدم فهمه هو لكلامنا السابق كله ولا ندري ماذا يكون نصيب كلامنا اللاحق من فهمه . ولو لا الضرورة لما صرحنا بهذا ولكن اردنا ان يعرفه ويفكر فيه لما سنذكره في آخر الرد

قد أحسن الكاتب في تقسيم كلامه الى مسائل معدودة بالارقام كما فعلنا في جوابه الذي نشرناه في الجزء الثالث وانا نبين ما لا نرى بدا من بيانه في كل مسألة من كلامه مشيرين اليها بالارقام ثم نقول كلمة مجملة في الموضوع

(١) قال ان جمهور المسلمين ومنهم ابن تيمية الذي تتطبق آراؤنا على آرائه يقولون ان الله تعالى قد قسم الخلق قبل إيجادهم قسمين « فريق في الجنة وفريق في السعير » وقال انه يعتقد فساد هذا التقسيم أي بطلانه وعدم صحته ثم انه يدعي مع ذلك انه يستمد عله من القرآن والعلم الصحيح !! ونقول إن القرآن هو الذي نص على هذا التقسيم في سورة الشورى قال تعالى «٤٢ : ٧ وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ٨ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير » اما قولهم ان هذا التقسيم أزلي فمعناه انه ثابت في علم الله الأزلي لا معنى له عندهم غير هذا فان كان ينكر التقسيم نفسه فذلك انكار للقرآن نفسه لا يصدر من مؤمن به وان كان ينكر أزلية علم الله تعالى به او بغيره فحكمه عند المسلمين معروف أيضا . وأما قوله ان صاحب المنار وابن تيمية لا يفهمان علة هذا التقسيم فلا نجيبه عنه لأننا لانحب أن نضيع وقتنا ووقت الناس في الجدل والدفاع الشخصي فليحكم على فهمنا وفهم ابن تيمية بماشاء علم ذلك ام لم يعلمه

«٢» ليس في هذه المسألة الا تأكيد ما جاء في الأولى من جزمه بفساد عقيدة التقسيم وكونها من العقائد الضارة أي بحسب فهمه لتأثيرها في المسلمين

«٣» اعتقاد المسلم ان دينه أفضل الأديان وان له الجنة ولغيره النار الخ فيه تفصيل بيناه في التفسير مرارا لجهل عامة المغرورين له وهو ان الاسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين وأساسه اتباع المرسلين في الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح

وان المسلم الموفق مختار في اتباعه لنبيه والكافر المخذول مختار في عصيان نبيه وان علم الله الأزلي لا ينافي هذا الاختيار لأنه سبق في علمه انه يكون كذلك وأنه مختار فيه كما بيناه في المسألة التاسعة من الفتوى الثانية عشرة وهي الجواب عن سؤال المنتقد (ص ١٩٩ ج ٣)

«٤» الكلام بحسب الواقع لا يدخل فيه المستقبل فلا يقول أحد من المسلمين العارفين بدينهم ان الغاية النهائية له أو لزيد من الناس هي كذا وانها لا تتغير ولا تتبدل بل نقول ان الغاية مجهولة لنا وانما تكون على حسب أعمالنا الاختيارية « ان خيرا فخير وإن شرا فشر » ولكنها معلومة لله تعالى فهو وحده يعلم تلك الغاية علما لا تغير فيه ولا تبديل ، وجهل أكثر المسلمين بدينهم ليس من المشكلات التي لا تعلم ولا يعلم علاجها فعلاج الجهل هو العلم الصحيح ومنه فهم الدين على وجهه وهو ما ندعو اليه كما كان يدعو اليه الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وليس كلامنا فيه كالنقش على الماء كما زعم بل هو كالنقش في الحجر انتفع به ألوف من الناس وانبث في المدارس الدينية والرسمية وسيعم بالتدريج بحسب سنة الله تعالى في الأمور الاجتماعية ،

«٥» ان المثال الذي ذكره في هذه المسألة قد فهمناه بالقرينة لضعف عبارته وهو غير مطابق لاعتقاد المسلمين فهو لم يعرف اعتقاد المسلمين حق المعرفة ولم يحسن بيان ما عرفه منه فان الدين الاسلامي لم يخاطب طائفة من الناس معينين بانهم سيكونون في الجنة وطائفة أخرى بأنهم سيكونون في النار وانما ناط دخول الجنة بأمور سمى مجموعها الاسلام وناط دخول النار بأمور يعبر عنها غالبا بالشرك و بالكفر و بالظلم و بالفسق، ولما تفاخر بعض الصحابة مع بعض أهل الكتاب في ذلك أنزل الله تعالى (٤ : ١٢٣ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يُجز به ولا يجدْ له من دون الله وليا ولا نصيرا ١٢٤ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) فناط أمر الغاية النهائية بالعمل لا بالانتساب الى دين كذا ونبي كذا ثم بين أن الاسلام هو روح الدين وصفوته فقال (١٢٥ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم

حنيفا) الآية ، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا . وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم وقد أمرتم ان تتبعونا وتتركوا أمركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل وإسحق ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا . فأنزل الله تعالى « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب » الآيات

فالأمر في الاسلام منوط بالعمل مع الايمان لا بجنسية الاسلام وغير الاسلام فما بال المنتقد ينتزع المشكلات من جهالات العامة ويحمل عليها بعض عبارات العلماء وغير العلماء من غير تمحيص ويوردها على الدين او على العلماء المخطئين أو المصيبين ؟ ألا إن الداء هو جهل جماهير المسلمين بحقيقة دينهم والدواء هو التعليم الصحيح والتربية الصحيحة وهو الذي تدعو اليه

«٦» ما ذكره في المسألة السادسة غير جلي ولا مفهوم بالتفصيل من العبارة المسلطة . وما تفلسف فيه من الاسباب والنتائج لا يكاد يخطر في بال احد من المسلمين الا ان يكون بعض المولعين بالأبحاث النظرية الفلسفية في هذه المسائل وقليل ما هم ولا يحكم على الملايين بحال أفراد لا يوجد منهم واحد في كل مليون فهذه المسألة عندي من اللغو

(٧) ما قاله في جواب المنار عن مسألة الحكم على الشيء قبل وقوعه وبعد وقوعه وحادثة مرض ولي عهد المانيا عبارته مسلطة أيضا والظاهر منها انه لم يفهم ما قلناه فيها . وقد مثل لها مثلا رجلا سرق قرطا وجازته الحكومة هل كان يمكنه قبل ان تقع السرقة منه ان لا يسرق أم لا ؟ زعم ان مقتضى كلام المنار انه لم يكن يمكنه ان لا يسرق وان جوابه هو وجواب العلم والقرآن انه كان يمكنه ان لا يسرق . والحق في مثل هذه المسألة اننا اذا نظرنا الى طبيعة الرجل الذي سرق وطبيعة العمل الذي هو السرقة في المثال نرى ان العمل في ذاته من الممكنات وان الرجل كان متمكنا من فعله وتركه وان الترك هو الاصل فلا يقال انه لم يكن في إمكانه ان يترك واذا

نظرنا في ذلك باعتبار ان العمل وقع من الرجل علمنا ان وقوع السرقة منه حتم لم يكن منه بد لا باعتبار الامكان الخاص بطبيعته كما قدم بل باعتبار الواقع ونفس الامر ، وكذلك باعتبار علم الله تعالى فانه متى وقع الشيء علمنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع وإلا كان جهلا وذلك محال . فاذا لم يفهم المنتقد ما نفهمه ويفهمه جميع العقلاء من كون الواقع قد انتهى الحكم فيه وانه لا يقال فيه نفسه كان يمكن أن لا يقع لأن هذا تناقض وإنما يقال ذلك باعتبار طبيعة الامكان وصرف النظر عن كون الامر قد وقع بالفعل - اذا لم يفهم هذه الدقيقة في الفرق بين الاعتبارين تنازلنا له عنها فانها مسألة عقلية محضة لا يترتب على الخلاف فيها أمر كبير

«٨» لقد تبسمنا عند قراءة قول المنتقد « يا صاحب المنار ان كنت تريد إصلاحا فلا يجب ان يكون تقليديا » فيالله العجب من شأن الانسان أينهى صاحب المنار عن التقليد بعد ان حاربه وحارب أهله اثني عشرة سنة !! ومن الذي نهاه ؟ رجل يقرأ المنار !! أما قوله ان الأخذ بالاسباب والعمل بمقتضى السنن الطبيعية وانطباق ذلك بحسب اجتهادنا على القرآن لم يكثر ولم ينتشر عند بعض المسلمين الا بسبب ما رأوه من تقدم الأمم الغربية باتباع هذه السنن وبسبب ضغط أوربا على الكثير منهم - فهو صحيح في الجملة ولا يضرنا ان تعدنا حوادث الزمان للعمل بما يرشدنا اليه القرآن وأن نفهم منه ما لم نكن نفهمه نحن ولا آباؤنا الأولون فان كلام الله تعالى بحر لا تنفد حكمه بل هي تفيض في كل عصر على المستعدين بما يناسبه (٤١: ٥٢ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) على انا لا نسلم ان المتفهين بذلك والمقتدين به هم الواقفون على أحوال الغربيين دون غيرهم فالحق ان الامر ليس محصورا فيهم ، ولا أنهم مقلدون فيه بل هم مستقلون ونوضح ذلك في الكلام عن المسألة التاسعة . واما قوله ان « المجهودات » الكثيرة التي يؤديها أمثالنا هي كالشعرة البيضاء في الجسم الاسود فهو غير صحيح وليس لمثله ان يحكم في ذلك وهو لم يختبر شعوب المسلمين ولا ساح في بلادهم وليس له وسائط أخرى كافية لمعرفة سير الاصلاح فيهم فالحق ان الاصلاح أوسع

انتشارا مما يظن فان كان لا يزال قليلا بالنسبة الى مجموع المسلمين فنموه في كل مكان يبشر بمستقبل حسن « وصاحب الدار أدرى » فزعمه ان تلك المساعي او المجهودات تصير كالهباء مع عقيدة التقسيم زعم باطل غير مبني على علم ولا تجربة بل التجربة قد أبطلته ،

«٩» ان ما ذكره من فك الغربيين القيود التي تقيد عقولهم قد سبقه اليه المنار فصرح بهمرات كثيرة حتى بالتعبير بلفظ كسر القيود ومن أصرحها ما كتبناه عن المؤتمر الاسلامي (ص٦٧٩م١٠) فلاحاجة بالاعادة قراء المنار دروسه علينا، وما ذكره عوداعلى بدء من التهويل في مسألة ما سماه عقيدة التقسيم قد سبق آنفا انه مخطيء فيه لأنه في مخيلته أكبر مما هو في الواقع ونفس الأمر فما هــذا الإلحاح والتكرار اللهم صبرا، نعيد له القول — في مقابلة إعادته — إن ما جعله هو الاصل في سعادة الغربيين من جعل العمل في هــذه الحياة هو الموصل الى السعادة أو الى الشقاء في الدنيا والآخرة هو عين ما جاء به الاسلام والاسلام أستاذهم الأول فيه وعقيدة التقسيم التي تمثلت لك كالغول يقتال المسلمين لا تعارض هذا فان القرآن صرح بهما جميعا ولكن تسرب الى دهماء المسلمين من نزغات الجبرية وكسالى المتصوفة ما كان مع الجهل بحقيقة دينهم سببا من أسباب كسلهم الذي نشكو منه وشرحناه في المنار مرارا والتربية والتعليم الصحيحان يكفلان إزالة ذلك بالتدريج — ومنه النشر في الصحف الدورية — ولن يزول بغير ذلك

«١٠» ليس في هذه المسألة الا إعادة ما كرره غير مرة من استحالة الجمع بين عقيدة التقسيم وبين العمل بالمبادئ الطبيعية والسنن الإلهية، وزعمه ان كل ما يعمله المسلمون من الاعمال الاستقلالية بدعوة المصلحين يكون مع هذه العقيدة تقليدا للغربيين وانما يخرجون به من ربقة التقليد اذا محيت عقيدة التقسيم من ألواح نفوسهم مع ان التقليد في هذه الحالة يكون أظهر لأنه محاكاة المقلد من كل وجه ، ورأيه هذا يشعر بأنه لا يفهم معنى التقليد أو يفهمه فهما خاصا به غير ما عليه جميع العلماء، التقليد هو ان تأخذ برأي غيرك وتحاكيه من غير دليل قام عندك على ما تأخذه عنه أو تحاكيه فيه هو الصواب، فاذا قام الدليل الشرعي والعقلي والتجربي

عند المسلمين القائلين بعقيدة التقسيم على ان النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة انما ينالان بالعمل بمقتضى سنن الله تعالى في خليقته وشريعته وعملوا بذلك لايكونون مقلدين للافرنج بل مستقلين وان كان من جملة دلائلهم التجريبية ان الافرنج نجحوا بذلك

«١١» عبارة هذه المسألة أشد غلطة من سائر المسائل ليس فيها يفهم منها شيء جديد الا تفلسف وتفصيل قصد به ايضاح مراده فزاده خفاء ولو أننا حذفنا أمثال هذا لظن القارئون انه فاتهم شيء كثير

«١٢» هي المقصد وذلك انه بعد تكرار ما تقدم في المسائل السابقة مرارا طالب المنار بأحد أمرين إما ان يحل المسألة على الوجه الذي ذكره هو وإما أن يصرح بموافقة ابن تيمية على اعتقاده في مسألة التقسيم وحينئذ يقول هو لنا ان هذه العقيدة بمثل هذا التقسيم غير موجودة في القرآن بالمرة ولا يؤيدها العقل ولا العلم ولا الحقيقة وهو مستعد لبيان ذلك في المنار ان سمحت له

وأقول قد بينت هنا في كلامي على المسألة الأولى ان لهذه العقيدة أصلا في القرآن وذكرت آية سورة الشورى الناطقة بها وسأذكر آيات أخرى ، ولست قادرا على تصور فهمه المسألة ولا فهم وجه الاشكال الذي كانت به أقتل أدواء المسلمين عنده فأحل له ما أحكم من العقد في خياله كما انني لست مكلفا تفصيل قول ابن تيمية فيها ولا سبق لي ان ذكرته وأيدته وإنما ألصقه بي تمهيدا لما يريد التفرد به من بيان فساد اعتقادي واعتقاده الذي هو اعتقاد جماهير المسلمين ، ولا أنشر له بعد الآن في المنار شيئا مثل هذا الكلام الذي نشرته له لانه كلام مسلط مضطرب ربما يحدث للضعفاء اضطرابا في اعتقادهم وان لم يفهموه كله وانما ننشر في المنار أحد شيئين : إما بيان مسألة مما يحتاج اليه الناس ويستفيدون منه بشرط ان تكون عبارتها صحيحة تفهمها ويفهمها مثلنا العارفون بلغتنا العربية الفصيحة واما انتقاد لمسألة معينة أوردناها في المنار بشرط أن تذكر المسألة وموضعها ووجه الخطإ فيها والدليل عليه بعبارة فصيحة تفهم وما كتبه أخونا المنتقد أولا وثانيا ليس من هذا ولا ذاك وإنما نشرناه عناية به وتنشيطا له ولكونه يمكن أن يكون وسيلة لمعرفته قيمة رأيه وبيانه له

انه انتقد علينا اولا في مسألة لم يقرأ كلامنا فيها كله والغالب انه لم يفهم كل

ماقرأه منه ، ثم انه جعل الانتقاد موجها الى كلام لشيخ الاسلام ابن تيمية قرأه في قصيدة له يغلب على ظني انه لم يفهمها وانه لم يطلع على تفصيل مذهب شيخ الاسلام في المسألة فهو وتلميذه ابن القيم قد اطالا في هذه المسائل والثاني منهما كتاب كبير فيها اسم « شفاء العليل في القضاء والقدر والتعليل » على انه لم يبين ما فهمه من مذهب ابن تيمية ولا وجه خطإه الذي ادعاه ولا ما عنده من التحقيق في المسألة فهل يرضى احد من قراء المنار ان ننشر فيه مثل هذا الكلام

إنني اكتب هذا وانا متألم لاضطراري الى مفاجأة رجل محب للعلم والفلسفة والاصلاح ببيان ما أرى من ضعفه بعد ان علمت انه لم يكتف بالاشارة اللطيفة الى ذلك من قبل وما سبب ذلك الا إعجابه بما عنده فعسى ان يعتني بعد الآن باتقان اللغة العربية ليقدر على الفهم والافهام فربما كان في فلسفته شيء نافع تستفيد الأمة من بيانه بها

* * *

فصل الخطاب في عقيدة القسمة

(١) صفوة القول في المسألة ان القرآن الحكيم بين ان الناس يقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد كما في سورة هود (١١ : ١٠٥) وانهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » كما في سورة الشورى (٤٢ : ٧) وانه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه كما قال في سورة الأعراف (٧ : ٢٩ كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذه القسمة ثابتة في القرآن خلافا لما زعمه المنتقد من براءة القرآن منها وكونها مخالفة له . وكل من يؤمن بالآخرة يؤمن بذلك ولا ينافيه عقل ولا علم بعد اثبات حقية الآخرة بل هو معقول واسبابه مشاهدة في الدنيا . بل نقول انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم الرزق والجاه فجعل بعضهم فقيرا وبعضهم غنيا وبعضهم رفيعا وبعضهم وضيعا كما قال (٤٣ : ٣٢ أهم يقسمون رحمة ربك؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) الآية ولكن قسمته تعالى لا تنافي ما وهبه للانسان من الاختيار والاستقلال فان هذا داخل فيها

(٢) ينظر في هذه القسمة من ثلاث جهات العلم والفعل والحكمة أو العلة . فاما

علم الله تعالى فهو قديم بقدمه أزلي بأزليته فالقسمة فيه قديمة أزلية أيضا .

واما الفعل فلا تتحقق قسمة الجنة والنار بحسبه الا في الآخرة فهناك تكون القسمة فعلية ومثلها السعادة أو الشقاوة في الدنيا تتحقق لكل فرد في مدة وجوده في الدنيا لا في الأزل .

وأما العلة والحكمة فطريق معرفتهما هي معرفة الشرع ومعرفة طبيعة الانسان نفسه في اعماله وصفاته وقد بينا ذلك مرارا كثيرة منها ما كتبناه بالايجاز في جواب المنتقد (ص ١٩٩ ج ٣) ونقول الآن كلمة وجيزة ايضا وهي ان الله خلق الانسان وأعطاه نوعا من الاستقلال في أعماله الاختيارية على حسب علمه ووجدانه وما تكونه التربية والعادة من الصفات في نفسه وبذلك يكون مصدرا لسعادتها او لشقائها بعمله فكل فرد من افراده يعمل بنوع ما من الاستقلال والاختيار فيه ما يجعله في القسمة مع احد الفريقين وليس علم الله الازلي بالقسمة ملزما له بالعمل لأن تعلق العلم تعلق انكشاف لا تعلق فصل والزام على أنه يتعلق بالشيء وبعلته .

واما القسمة بالفعل - وهي كون الناس سعداء وأشقياء في الواقع - فالبضرورة لا تكون ملزمة ولا مجبرة له على العمل الذي يكون به من أحد الفريقين ولا مانعة لحريته واستقلاله فيه لانها أي القسمة بالفعل هي المعلول للعلة التي نتكلم عنها وهل يكون الشيء علة لنفسه ومعلولا لها؟ هذا دور ظاهر . وقد بينا الدلائل النقلية والعقلية والوجودية على استقلال الانسان في الفكر والإرادة - وهما مصدر اعماله التي يكون بها في القيامة من أحد الفريقين - في عشرات أو مئات من المواضع وبينها الاستاذ الامام في رسالة التوحيد (ص ١٢٥ من طبعة المنار)

(٣) ان الألوف الكثيرة من المسلمين لا يفكرون في هذه القسمة وقد تمر السنين ولا تخطر في بال الواحد منهم ومنهم من يقرأ أو يسمع ما يخطرها في باله فتمر فيه مر النسيم فلا يجيل فيها قداح الفكر ومنهم عدد قليل يفكر فيها ويتفلسف بقدر استعداده . وما زعمه المنتقد من كونها هي علة العلل لكسل المسلمين وتقصيرهم في أعمال الدنيا عن غيرهم من الامم فغير صحيح بل لذلك اسباب كثيرة كل منها علة مستقلة منها امشاج من مسائل القضاء والقدر والجبر والتوكل والزهد وقسمة الارزاق فهموها على غير وجهها وقد بينا ما فيها من الفساد والخطإ في التفسير والفتاوى

وغير ذلك من ابواب المنار مرارا كثيرة منها بحث التوكل والاسباب في التفسير « ص ٨٠١ — ٨٠٨م ١١ » الذي بينا فيه خطأ الغزالي في التزهيد في الدنيا .

و بيان خطا المخطئين في فهم مسألة القسمة وحدها لا يكفي في الاصلاح بل لا بد من بيان الحق الصريح في تلك الامشاج كلها . ثم ان هذا البيان ليس هو كل المطلوب وإنما هو بعضه او مقدمة له فانه بنشره المرة بعد المرة في صحف المنار المنتشرة يثبت في نفوس الكثيرين ومنهم معلمو المدارس وهؤلاء يدخلونه في تعاليمهم واني أعرف أفرادا من أساتذة المدارس في مصر كانوا يعتمدون على المنار في تحضير بعض الدروس الدينية وكذلك المصنفون وكتاب الجرائد يدخلون ذلك في مكتوباتهم ولو مع عدم التنبه لمصدرها وبمثل هذه الوسائل تم كما عمت تلك التعاليم الباطلة من قبل

« ٤ » ان مسألة تعليل افعال الله تعالى نفاها الاشاعرة وقد أثبتها ابن تيمية وابن القيم بالدلائل والبينات النقلية والعقلية وأثبتا ان القضاء والقدر لا ينافيان اختيار الانسان واستقلاله المشرحين له من خالقه ولا وجوب العمل عليه لدنياه وآخرته فتحامل المنتقد على ابن تيمية وحده لأبيات قرأها له مع عدم اطلاعه على كتبه في العقائد من جملة غرائبه

ذكر ابن تيمية في غير موضع من كتبه الكثيرة في العقائد وغيرها ان مذهب سلف الأمة ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة ومشيئة واختيارا وأن قدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع والاسباب وأن ذلك كله ثابت شرعا وعقلا ، وأنكر على جمهور الاشعرية مايقولونه في الكسب ونقل موافقة بعض أئمتهم على ماقال انه مذهب السلف وذكر منهم أبا اسحق الاسفرايني وإمام الحرمين . فليراجع ذلك المنتقد ان شاء في كتبه أو في شرح عقيدة السفاريني

ان المنتقد كرر الشبهة التي أوردها على الاصلاح وهي عقيدة القسمة وكرر زعمه بأن كل سعي فيه يكون باطلا مالم تثبت للمسلمين بطلان هذه العقيدة . ونحن نكرر له الجواب في خاتمة الكلام بأن العقيدة ثابتة لا يمكن إبطالها وانه لاضرر في اعتقادها وانما الضرر في فهمها على غير وجهها كفهم القدر على غير وجهه إذ يلزم من هذا الفهم لوازم باطلة واننا مازلنا نبين حقيقة هذه المسائل و بطلان لوازمها وذلك هو كل المطلوب فيها

خطبة في عيد الدستور

﴿ تلاها في الاحتفال العام بطرابلس الشام ﴾

« الشيخ اسماعيل افندي الحافظ الشهير »

لم يمر على الأمة العثمانية يوم هو أوفر جمالاً ، وأكثر إقبالا ، من مثل هذا اليوم المجيد الذي أشرقت فيه كواكب سعدها ، في أفق مجدها ، باهرة الاضواء ، ساطعة اللألاء ،

في مثل هذا اليوم هبت نسمة قدسية ، من أفق العناية الالهية ، ترنحت لها أعطاف ابطال الحرية ، من جمعية الاتحاد والترقي الفادية المفدية ، فنهضوا لاسترداد المفقود ، واصلاح الموجود ، بقلوب تمثل أقصى مراتب الحمية الملية ، وعزائم تناهض الدهر حزما ، وتغالب الايام ثباتا ، فأنقذوا الأمة من براثن الظلم ، ووضعوا عنها أغلال الغلبة والقهر ، وأطلقوا العقول من قيودها ، ونشروا الافكار من لحودها :

في مثل هذا اليوم شعر العثماني انه عضو عامل في أمة حية يسعد بسعادتها ويشقى بشقائها ، فهب من سبات غفلته ، وشمر يدأب في مصلحة أمته ، فرأى ان لا سبيل الى سعادته الا بالاتحاد ، وان لا تحقق للاتحاد الا بالإخاء والمساواة ، فتآخت ملل الامة وأديانها ، وتساوت شعوبها وعناصرها ، وتضامت أجزاؤها ، وتماسكت أعضاؤها ، واقبل المسلم يعانق المسيحي ، واليهودي يصافح الارمني ، والتركي يفدي أخاه العربي بنفسه ، والكردي يدافع عن الالباني بمهجته ، والكل موقن ان لا غنى له عن الآخر في حياته الاجتماعية ، وسعادته القومية ، في شكل يسحر الالباب بهاؤه ، ويأخذ بالقلوب بهجة ورواؤه ،

في مثل هذا اليوم تفجرت ينابيع حياة الامة فسرت في أجزائها المفرقة ، ودبت في أعضائها الممزقة ، فاتحدت أفرادها ، وتوحدت أعدادها ، وصدرت عنها أعمالها بارادتها الكلية ، وحركتها الاختيارية ، فتوجهت متحدة نحو سعادتها الحقيقية ، متملصة

من ظلام الباطل الى نور الحق ، ناهضة من حضيض التأخر الى يفاع الترقي ، معلنة بأطيب ألحان الحرية ، آيات العدل والانسانية ، تحت لواء الاخاء والمساواة :

في مثل هذا اليوم أعلن القانون الاساسي فقضى للأمة بنيل حريتها ووهبها نعمة الاستقلال وخول لافرادها ان يكون لهم رأي مقبول في ادارة شؤون مجموعها وهي نعمة تعد أساسا مكينا لسعادة مستقبلها ، ورقي حقيقي تنهض اليه فتنال ماقدر لها من الكمال ، وما استعدت له بفطرتها من مظاهر الإقبال

نعمة دلنا الاستقراء وعلمنا التاريخ ان الامم التي تكون محرومة منها لايكون لها اجتماع حقيقي ولا سعادة صحيحة ، وان ظفرت باليسير من ذلك فما هو الاصورة خيالية تظهر بمظاهر وهمية ، لأسباب توجدها المصادفة والاتفاق ، ثم لاتلبث ان تذهب بذهاب أسبابها ، شأن الحوادث الناشئة عن أسباب موقتة . نعمة قيضها الله لبعض الأمم فنالت بها من العز والمنعة والمجد والعظمة ما نشاهد آثاره ونسمع أخباره ، وحرمها بعضها فبقيت راسفة في قيود الجهل تائهة في بيداء الغباوة لايرعى لها جانب ولا يحفظ لها حق ، فلا غرو ان تحتفل جميع الامة العثمانية بيومها السعيد احتفالا يتجلى في أبهج مظاهر الزينة وأهنا مجالي الفرح ، ولا غرو أن تشرئب العقول لتعرف معنى هذه النعمة ونسبتها الى الهيئة الاجتماعية :

اختلف فيها أنظار الباحثين ، وتنوعت منازع الناظرين ، فذهب بعضهم الى ان حرية الامة أو حكم نفسها بنفسها ليس هو حقا طبيعيا لها بل هو حالة اجتماعية يقتضيها طور من أطوار الامة وينبذها طور آخر وان الامم لاتستحقها الا اذا بلغت مرتبة مخصوصة من مراتب الاجتماع وانها قبل ان تصل في اجتماعها الى هذه المرتبة فلا حق لها بنيل حريتها ولا بالمطالبة بها كما انه ليس لحكامها ان يفوضوا لها شيئا من شؤون نفسها خشية ان تتصرف تصرفا يفسد حالها ويوجب طروء الخلل في ادارتها

وزعموا ان حالة الامة اذ ذاك كحالة الصبي قبل بلوغه فانه لايجوز في نظر العقل السليم ان يطلق له التصرف في شؤون نفسه لئلا يفسد عليه أمره ويضطرب حاله ، وان ماهو للشيء بطبعه لايتخلف عن ماهيته مع ان كثيرا من الجمعيات البشرية عاشت أزمانا

متطاولة وهي مملوك عليها أمرها، مستبد عليها في شؤونها، فكيف يكون حكم الامة نفسها بنفسها حقا من حقوقها الطبيعية ومميزا من مميزاتها الفطرية

وذهب أهل البصيرة منهم الى ان حكم الامة نفسها بنفسها حق طبيعي ثبت لها يوم صح ان يطلق عليها لفظ أمة فهو وصف لازم لذاتها غير منفك عن ماهيتها وان من عمد الى سلبها هذا الحق فرداً كان أو جملة فهو كمن عمد الى سلب انسان حقه في استنشاق الهواء وتناول الغذاء، أوكمن قيد إنسانا عن حركة الطبيعة التي يهمّ بها بارادته ويباشرها بقدرته

واستدلوا على ذلك بأن العقول السليمة متفقة على ان كل فرد من بني الانسان هو بحسب فطرته حر مستقل في حركته وسكونه واقدامه وإحجامه وأخذه وتركه وان الشرائع السماوية والقوانين الوضعية قد حكمت بأن له حقا طبيعيا في ان يتصرف بشؤون نفسه كيفما شاءت إرادته ومال اليه اختياره وان الباحثين في تعريف ماهيات الاشياء وتحديد طبائعها قد عرفوا الانسان بأن الحيوان الناطق بطبعه المتحرك بإرادته

وان الأمة لما كانت عبارة عن جملة أفراد مجتمعة بروابط من المصالح المشتركة والصفات الشاملة فقد وجب ان يثبت لمجموعهم من الحق ما ثبت للفرد الواحد منهم

إذا كان العدوان على حرية شخص واحد يعد شذوذا عن قواعد العدل وفسوقا عن أوامر الله وخروجا عن حدود الانسانية وهو لم يتعد ان اضر فردا بعينه لا تتوقف عليه سعادة ولا يناط به شقاء فما بال العدوان على حرية أمة كبيرة قد تكون مؤلفة من ملايين من مثل ذلك الفرد لا يعد شذوذا عن منهج العدل ؟ بل كيف يعد ذلك من نتائج الصواب ، وحكمة أولي الالباب ، لعمري ليس هذا المذهب الا من وساوس المستبدين الذين لا يروق لهم الا الاثرة بحقوق الضعفاء ، والتلاعب بعقول الاغبياء، وان الحكم على أمة مجتمعة بأنها غير جديرة ان تحكم نفسها بنفسها لأ بعد عن الصواب من الحكم على الرجل العاقل انه غير أهل للتصرف بشؤونه الخصوصية

هل يبلغ الجهل والقصور بمجموع يستقل أفراده بشؤون أنفسهم ان يعجزوا جميعا عن تدبر شؤون مجتمعهم ؟

ان حد التمييز والرشد في الأمة هو ان تكون بحيث يتهيأ لها الاجتماع بأبسط معانيه فانها متى بلغت هذه المرتبة حكم لها بأنها بالغة رشدها قادرة على ادارة نفسها وكل جمعية بشرية فهي بالغة هذه المنزلة لا محالة ضرورة أن الانسان خلق على أن يعيش مجتمعا فهو لا ينفك عن الاجتماع والأمة المجتمعة لا تنفك ان تكون مستحقة للاستقلال بطبعها وانما تحول دون ذلك اطماع المستبدين احيانا فاذا اتفق لأمة أن صرفت همة المستبدين من رجالها عن العبث باستقلالها فقد قضي لها ان تباشر السير الى كمالها

لا يشترط في نيل الأمة حريتها واستحقاقها لذلك بطبعها ان تبلغ في اجتماعها مبلغ الامم الراقية كما لا يشترط في بلوغ الرجل رشده ان يكون كأصوب الرجال رأيا وأكلهم رشداً لأن الرقي والرشد يقالان بالتشكيك فيكونان في بعض الاشخاص وفي بعض الأمم أرقى منها في غيرها ولا يوجب ذلك نقصا بالمقصر عن درجة المتقدم يؤدي الى حرمانه من حقوقه الطبيعية

اذا نالت الأمة حقها في حكم نفسها افسح لافرادها مسرح الفكر ، واتسع لهم مجال العمل ، ودبت فيهم حياة جديدة شعروا بها ان لارادتهم وميولهم تأثيراً في رقي مجتمعهم ، فترفعت بذلك نفوسهم عن الدنايا ونهضت الى معالي الامور وانصرفت من هنا الى الشعور بأن الفوز بالمصلحة الخاصة متوقف على تأييد المصلحة العامة فاندفعوا بسائق محبة الذات الى التماس مصلحة افرادهم في ضمن مصلحة مجموعهم

ومن ثم تخرج العقول من مضايق اشخاصها الى متسع الأمة وتنصرف الافكار عن البحث في الكليات فتمرن على الاستنتاج الصحيح من المقدمات اليقينية فتستقيم الافكار وتصان الاعمال عن الخلل

ويتبع ذلك صحة في العزائم ونهوض في الهمم ومسابقة الى الأعمال الشريفة وتنافس في إصابة المفيد منها للأمة . هكذا يتسنى للامم ان ترتقي في مدارج اجتماعها مبتدئة بالفكر الصحيح ومنتقلة من ذلك الى الصالح لها الموافق لمصلحتها ثم تتدرج من هنالك في مراتب الكمال مرتبة بعد مرتبة ! ومن أين للأمم التي ليس لها حظ من الحرية ان تنال هذه المزية ؟

اذا تقرر هذا علم ان نيل هيئة اجتماعية لحريتها يعد مهيأ لرقيها ومقدمة لتقدمها او مرتبه اولى من مراتب كمالها فاذا توقف نيل حريتها على بلوغها مرتبة القدرة التامة على ادارة شؤونها فقد كلفناها ان تأتي النهاية في البداية ، وتصل في مبدأ سيرها الى الغاية ، وهو باطل في نظر العقل ، ومحال بحكم الواقع

(يرد هنا نبوغ الأمة الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين الى زمن المعتصم ورقيها وفيها من المستبدين مثل يزيد وعبد الملك والمنصور والرشيد ونبوغها ايضا في دولة بني عثمان من زمن مؤسسها الى زمن السلطان سليمان القانوني والجواب عن هذه يستغرق بحثا طويلا لا يتسع الوقت له الآن فنرجئه لفرصة أخرى)

ومهما يكن الامر فلامراء في أن حرية الأمة هي مبدأ حياتها الاجتماعية وان الناهضين في كل أمة لإيصالها الى هذا الحق هم صفوة رجالها ، والنوادر من ابطالها ، بل هم القبيل الذين رآهم الا قدمون فحسبوا انهم ممتازون عن البشر فاقاموا لهم التماثيل وشيدوا لهم الهيا كل وافردوهم بالعظمة والكرامة حتى وضعوهم بمصاف الآلهة فلا عجب ان تحتفل الامة العثمانية اليوم بنيل حريتها وتترنم بآيات الثناء لاولئك الابطال العظام من جمعية الاتحاد والترقي فلتحي الجمعية فليحي السلطان الدستوري فليحي المنقذ الثاني للوطن محمود شوكت باشا فليحي الجيش المظفر

* * *

عيد الدستور بمصر

انشدنا محمد حافظ افندي إبراهيم لنفسه في ليلة الاحتفال بهذا الموسم في حديقة الازبكية بمصر هذه القصيدة

أجل هذه أعلامه ومواكبه هنيئا لهم فليسحب الذيل ساحبه
هنيئاً لهم فالكون في يوم عيدهم مشارقه وضاءة ومغاربه
رعى الله شعباً جمع العدل شمله وتمت على عهد الرشاد رغائبه
تآلف في ظل الهلال إمامه وحاخامه بعد الخلاف وراهبه
خذوا بيد الاصلاح والامر مقبل فاني أرى الاصلاح قد طر شاربه

وردوا على الملك الشباب الذي ذوى ... فاني رأيت الملك شابت ذوائبه

فمن يطلب الدستور بالسوء بعد ما ... حمته يد الفاروق فالله طالبه

اذا شوكت الفاروق قام منادياً ... الى الحق لباه نيازي وصاحبه

ثلاثة آساد يجانبها الردى ... وإن هي لاقاها الردى لا تجانبه

يصارعها صرف المنون فتلتقي ... مخالبها فيه وتنبو مخالبه

روت قول بشار فثارت وأقسمت ... وقامت الى عبد الحميد تحاسبه

« اذا الملك الجبار صعّر خده ... مشينا اليه بالسيوف نعاتبه »

وسار على أعقابها كل سابح ... على متنه برج مشيد يداعبه

يصيح به « لاوجيّ » أو نبلغ المنى ... و«لاشبع» أو يُرجع الحق غاصبه

هنالك فانهل واتخذ ثَم مربطا ... بيلدز واحمد في الوغى من تصاحبه

رجال من الايمان ملأى نفوسهم ... وجيش من الأتراك ظمأى قواضبه

صوالجه سمر القنا وكراته ... رءوس الاعادي والحصون ملاعبه

اذا ثار دكت اجبل وتخشعت ... بحار وأمضى الله ماهو كاتبه

وثُلت عروش واستقرت ممالك ... ولو ان ذا القرنين فيها يناصبه

* * *

فمن لم يشاهد يلدزاً بعد ربها ... وقد زال عنه الملك واندك جانبه

واسلمه أحبابه لقضاته ... وفر ولم يخش المرة كاتبه

وقلمت الاقدار اظفار بطشه ... ودل على ماتجهل الجن حاجبه

فما شهد الدنيا تزول ولا رأى ... بلاء قضاء الله في من يحاربه

أبيح حماها وانطوى مجد ربها ... وقامت على البيت الحميدي نوادبه

ولم يغن عن عبد الحميد دهاؤه ... ولا عصمت عبد الحميد تجاربه

ولم يحمه حصن ولم ترم دونه ... دنانيره والامر بالامر حازبه

ولم يخفه عن اعين الحق مخدع ... ولا نفق في الارض جمٌّ مساربه

أقام عليه مهلكا عند مهلك ... يمر به روح الصبا فيواثبه

تحاماه حتى الوهم خوف اغتياله ... فلو مسه طيف لدارت لوالبه

وأسرف في حب الحياة فخاطها — بسور من الاهوال لم ينج راكبه
ففي كل قفل للمنية مكمن — وفي كل مفتاح قضاء يراقبه
وفي كل ركن صورة لو تكلمت — لما شك في عبد الحميد مخاطبه
تماثيل ابهام أنيمت وأقعدت — تراءى بها أعطافه ومناكبه
تمثله في نومه وجلوسه — وتخدع فيه الموت حين يقاربه
أقام عليه ألف موت محجب — ليغلب موتاً واحداً عز غالبه
سلوه أأغنت عنه في يوم خلعه — عجائبه أو أحرزته غرائبه
وقد نزل المقدار بالأمر صادعا — وضاقت على شيخ الملوك مذاهبه
وأخرجه من يلدز رب يلدز — وجرده من سيف عثمان واهبه
وأصبح في منفاه والجيش دونه — يغالب ذكرى ملكه وتغالبه
يناديه صوت الحق ذق ما أذقتهم — فكل امرئ رهن بما هو كاسبه
هم منحوك اليوم ماأنت مشته — فرد لهم ما أنت بالأمس سالبه
ودع عنك ما أملت ان كنت حازما — فلم يبق للآمال فضل تجاذبه
مضى عهد الاستبداد واندك صرحه — وولت أفاعيه وماتت عقاربه

* * *

لك الله يا تموز إنك بلسم — لجرحى الأسى والدهر تعدو نوائبه
فكم رعت جبارا وأرهقت ظالما — وانصفت مظلوما توالت مصائبه
فديناك من شهر أغر محجل — أوائله ميمونة وعواقبه
تقابله الاعياد في الأرض كلما — تجلى هلال الشهر أو لاح حاجبه
ففي الغرب عيد ينظم الغرب حسنه — فتهتز من وقع السرور جوانبه
وفي الشرق عيد لم ير الشرق مثله — تدفق في دار السلام مواكبه
يطيفون بالعرش الكريم وربه — تطيف بهم آلاؤه ومناقبه
لتهنئ أمير المؤمنين محمداً — خلافته فالعرش سعد كواكبه
ستملك أمواج البحار سفينه — كما ملكت شم الجبال كتائبه
ممالكه محروسة وثغوره — ركائبه منصورة ومراكبه

وأرسل الينا اسماعيل بك عاصم المحامي المصري هذه القصيدة من الاستانة

عيد عز الدستور بالامن أسفر　　نوره للأنام الله أكبر
آل عثمان هاكم اليوم يوم　　هلل القلب فيه بشرا وكبر
يوم عيد الحرية التي كم بتنا　　زمانا لبعدها نتحسر
كل حرية بغير حماة　　لا يراعي زمامها من تجبر
ولهذا جاء الرشاد ليحميها فكانت لعصره خير مظهر
يا أميرا المؤمنين وسلطا　　ن جميع الشعوب لاتفرق يذكر
كل هذي الاقوام ترجوك في تفويض ماقات أنت بالعدل أقدر
انت أدرى يا صاحب الملك بالماضي فادرك بعزمك الملك تشكر

* * *

يا رجال الوزارة الصيد هذا الـ　　ـوقت في هوله كيوم المحشر
دققوا في الحساب بالقسط ترتا　　ح البرايا فطالما الظلم كدر
فالمليك المحبوب رأس وأنتم　　منه اعضاؤه به تتأثر
والكرام النواب أوردة الجسـ　　ـم وماء الحياة منها تفجر

* * *

آل عثمان ان سلطاننا أعـ　　ـظم ملك بنوره تتبصر
هو حامي الدستور حامي الرعايا　　حافظ العهد للعدالة أظهر
فتفانوا في حبه فهو بالاخـ　　ـلاص منا وبالمحبة أجدر

* * *

أيها النائبون عن هذه الأمـ　　ـة أنتم لها العماد الأكبر
أنتم عارفو البلاد وحاجا　　ت الأهالي وما به تعمر
أعين الناس نحوكم ناظرات　　فاظهروا للورى بأشرف منظر
لا نريد استرداد ما راح لكن　　حفظ ما عندنا فلا تتقهقر
ثلث قرن مضى ونحن من الار　　هاق كانت أعصابنا تتخدر
ثلث قرن ونحن في ظلمات　　بعضها فوق بعضها تتكرر

فجلا تلكم الدياجي نورٌ من سنا قادة الجيش مظفر
أنقذونا وكادت الروح تدنو للتراقي وصائح الموت زمجر
فسجدنا لربنا وشكرنا هؤلاء الابطال والحر يشكر
يا ليوث الوغى ويا خير من أنـ ـقذ نفوساً كادت من الظلم تقبر
يا أسود الشرى ويا خير من قو م ملكاً قد كاد أن يتدمر
قد جلوتم لنا عروساً تجلت كتجلي بدر السماء وأزهر
وهي حرية اضاءت ودستو ر بحفظ الحقوق في الملك بشر
فعليك السلام ياشوكت منـّا تليه تحية تتعطر
انت ادركت ذي الخيانة فانقضـ ـت حتى ظفرت والملك عمر
وعلى الفرقدين ازكى سلام بطلي تركيا نيازي وأنور
لا تقولوا قد راح مدحت عنا كلكم مدحت اذا ما تدبر
فاتركوا ما مضى وجدوا لما يأ تي بحزم النهى وعزم الغضنفر
واستعينوا بالحق دوماً وبعو نكم فالنجاح في ذاك اكثر
خير ما ينفع الشعوب ثبات واتحاد بعزمه تتحرر
فهنيئاً يا آل عثمان هذا يوم عيد الناس عيد مكبر
دام سلطاننا ونوابنا والجيش والشعب في الهناء الأوفر

* * *

هذه غادة من النيل وافت بسناها ودلها تتبختر
غادة زانها حلي المعاني ومن اللفظ عقد در وجوهر
أقبلت في بشائر أرختها عيد عز الدستور بالأمن أسفر
سنة ١٣٢٧ ٨٤ ٧٧ ٧٠١ ١٢٤ ٣٤١

ضاق هذا الجزء عن باب الفتاوى وفيه بيان معنى كون الدستور موافقاً للشرع وغير ذلك من المسائل فأرجأناه الى الجزء الآتي

باب الأخبار والآراء

الهرج والقتل في أطنه

أشرنا في آخر الجزء الثالث الى هذه الحوادث وكانت في بدايتها وقلنا انه لا ثقة بإخبار شركة روتر ان الترك هنالك تصدوا لذبح الأرمن عدوانا ثم ان الجرائد في الاستانة وسورية ومصر جاءت بتفصيل لتلك الحوادث جاء في بعضها ان الأرمن كانت هي المضرمة لنار الفتنة وأن مبدأ ذلك تمثيل الأرمن قصة سياسية في أدنه يصفون فيها ظلم الترك لهم وقيام ملك منهم ينقذهم من ظلمهم ويقيم لهم دولة جديدة . ثم إنهم لم يكتفوا بهذا بل طفقوا يستحضرون السلاح الجديد فتنكر لهم المسلمون الى ان انفجر البركان ، وفاض الطوفان ، واقتتل الفريقان ، وروي ان أول واقعة من وقائع الاعتداء كانت من الأرمن . ومن الناس من لا يصدق هذه الروايات بل يرجح ان المسلمين هم المعتدون ، ومنهم من يقول ويكتب غير ما يعتقد والهوى سلطان على القلب وعلى القلم واللسان . ومن رأينا ان يرجأ الحكم في الاسباب والمبادي الى ان يتم تحقيق الحكومة في ذلك وينشر رسميا

مهما كانت الاسباب والمبادي ، وايّاما كان المعتدي والبادي ، فلا شك في كون الفريقين قد عملا مالا يبيحه الدين الذي ينتسبان اليه ، ولا يتفق مع مصلحة الوطن الذي يقيمان فيه ، فقد هدمت الدور ، وأحرقت الاسواق ، وقتل النساء والاطفال ، وحملت الامة عبئا من العار ، ولحق الحكومة ما لحقها من الخسار ، وتألمت الانسانية الفاضلة في جميع الاقطار

قد أكثر أهل الاهواء وافرط مقلدة التفرنج من القول بأن سبب ذلك هو التعصب الديني ولو كان مازعموا لما كان الهرج بين الترك والارمن دون سائر المسلمين والنصارى فقد ثبت ان أبناء العرب هناك كانوا يحمون الأرمن ويواسونهم

وأن الأرمن لم يعتدوا على غير الترك والترك لم يعتدوا على غيرهم فالمسألة اذا أثر من آثار الأحقاد الجنسية ومن جعل سببها التعصب الديني فهو ان لم يكن جاهلا متعصب او منافق يتزلف للمتفرنجين، وان ادعى انه من الاحرار او المسلمين »

دعا بعض فضلاء العثمانيين الناس الى الاجتماع في حديقة الازبكية لسماع الخطب والقصائد في شكوى الانسانية من ذبح أبنائها بعضهم لبعض والحث على مواساة المنكوبين وإعانة اليتامى والاوامل من الفريقين — المسلمين والارمن — فلبى الدعوة جماهير أهل الخير من جميع الطوائف ماعدا الارمن . وخطب صاحب هذه المجلة — على انه كان مريضا والحر شديدا — خطبة ارتجالية بناها على بيان التفاوت العظيم بين الانسانية الراقية والانسانية السافلة التي يكون أصحابها شرا من الوحوش الضارية والحشرات السامة، وكون هذا الاجتماع احتجاجا من أهل الاولى على أهل الثانية وارشاداً وتعليما . وبينت فيها مشروعية البر والاحسان في الاسلام بجميع البشر مؤمنهم وكافرهم بل بجميع الاحياء « في كل كبد حرى أجر » ورمى بعض الخطباء الى كون المسلمين هم المعتدين الباغين باسم الاسلام فرددت عليه بلطف وقلت ان المقام مقام استعطاف لا محاكمة ولا تاريخ وان التحقيق الرسمي سيظهر الحقيقة ان المسألة جنسية لا دينية

ذلك ما كتبناه للجزء الماضي من المنار فلم يتسع له ثم قرأنا في جريدة لسان الحال البيروتية المؤرخة في ١٥ الشهر (رجب) ملخص تقرير المجلس العرفي فنحن ننشره بنص هذه الجريدة وهو

* * *

﴿ تقرير المجلس العرفي في أطنه ﴾

وضع المجلس العرفي في أطنه تقريراً مفصلا بحوادث اطنه ولكن جرائد دار السعادة العلية لم تنشر الا خلاصة منه وهو يذكر ان الحوادث التي جرت هناك انما يصعد تاريخها الى أيام بحري باشا الوالي الذي كان قبل جواد باشا فانه ظلم الناس ظلماً فاحشاً وأوقع بهم خسفاً وجوراً وهم لايبدون ولا يعيدون بل كانوا كالموتى لايتحركون ولا يشكون وكان رجال الوالي كثيرين وهم يتفننون من توسيع نطاق تلك الاختلالات ويتمنون الى الله ان تدوم لان اكثر تلك المظالم التي تشمئز منها

النفوس الآبية كانت واقعة على الارمن وكان هؤلاء بها راضين صابرين حتى يمن الله بالفرج ولما ثقلت الوطأة وشعروا بشدة الشكيمة فضلوا الموت على الحياة ولكن الذين كانوا يعللون النفوس بأمل الانفصال في الاستقبال كانوا يسكنون روعهم ويحضونهم على الصبر وقد أتوا بكثيرين من هؤلاء المظلومين من أنحاء الولاية وأقاموهم في مركز الولاية وقالوا ان هذا المركز يعتبر ثغرا بحريا وقد استجلبوا له كثيرا من الاسلحة لاسيا بعد اعلان الدستور فانها كانت ترد اليهم من بيروت بكميات عظيمة بالسفن والبواخر وكانت توزع عليهم في اطنه وضواحيها حتى زادوا طمعا بالانفصال عن الحكومة

وبعد اعلان الدستور كان المسلمون يتقربون من جميع ابناء الطوائف ويظهرون لهم المودة والمسالمة ولكنهم ماكانوا يخفون احتقارهم الجمعيات الارمنية الموجودة في البلاد لاعتقادهم بان اعضاءها يسعون في الانفصال والاستقلال وقد زادهم ثقة بذلك كونهم رأوهم يقيمون الشعب والفروع لجمعياتهم في كل الجهات ولا تنكر ان الحكومة أظهرت ضعفا شديدا في كل الاحوال التي مرت بالبلاد فانها لم تسع في قمع الفتن ولا في اخماد المشاغب حتى انه بلغ مسامعها ان الارمن يسعون سعيا متواصلا في الوصول الى الاستقلال الاداري وان رفاقهم في أوربا يكاتبونهم بذلك ولكن الحكومة لم تلتفت الى هذه المسألة واعتبرتها كأنها لم تكن

وقد اتصل بالحكومة ان الجمعيات الارمنية وزعت رسوما وجرائد وشارات مخصوصة على الارمن وجعلت لكل منهم علامة فارقة يعرف بها ومع ذلك فانها لم تهتم للامر ولا سعت في ايقاف تياره حتى ان المطران موشاغ الذي هرب كانت له يد سوداء في كل هذه الاعمال المثايرة وما زال الامر يزداد استفحالا ونطاق الخلاف يزداد اتساعا بين المسلمين والارمن حتى صارت الحوادث تتوالى من مدة الى أخرى وكثيرا ما كانت تتفاقم وتتجسم حتى امتلأت القلوب بالضغائن ووقع ماوقع بين الفريقين من أسباب القتال الذي قضى بذهاب الانفس ووقائع الحرق والنهب وغيرها(١)

وكانت الحكومة تنظر الى هذه الاحوال بعين لا يخامرها كلل وفكر لا يعتريه

(١) حذفنا من هذا الموضع كلاما في (احسان فكري) صاحب جريدة اعتدال وما كان من ارتكابه ومكايدته للوالي وما في ذلك من ضعف الحكومة الماضية

وجل ولا حسبان لشيء وكان الخطب يتفاقم ويتعاظم بين المسلمين والارمن وفي كل يوم يطلق الرصاص هنا وهنالك من الفريقين والحكومة لا تكترث له حتى جنت بذلك جناية لا تغتفر ولما قبضت على بعض المشاغبين من الارمن توسط البعض في أمرهم فتركتهم وشأنهم اما المسلمون فابقتهم في الحبس فكثرت اذ ذاك الاشاعات وترا كمت المخاوف والترهات فراج السلاح رواجا عظيما وكان تجاره وباعته ينذرون الفريقين بقرب اشتباك القتال وان الواقعة ستكون عظيمة يتخللها مذابح هائلة حتى بلغ ما دخل اطنه من الاسلحة بطريق بيروت واسكندرونه ومرسين اكثر من ١٣ الف بندقية عدا البنادق والمسدسات وغيرها مما لم يعلم به أحد. واتفق ان قتل رجل من الارمن مسلما فتعقبته الحكومة ولكن الارمن خبأوه واخفوه عنها ولما اقروا به قالوا انهم لا يسلمونه ما لم تقتص الحكومة من مسلم ادعوا عليه بكونه كان قتل ارمنيا

وفي ١٣ نيسان اطلق رجل اسمه محمود طلقا ناريا في محلة من البلدة فقبضت عليه الضابطة ولكن اجتمع اكثر من خمسمائة نفس من المسلمين وانقذوه منها بحجة انها لم تقبض على الارمن الذين اطلقوا النار وليس ذلك فقط بل انهم اجتمعوا ثاني يوم مع رفاقهم وحضروا الى السراي وبالاتفاق مع مدير البوليس اطلقوا سراح كل اخوانهم المحابيس ومنذ ذلك اليوم أخذ المسلمون يطوفون في المدينة شاكي السلاح ويبدون مظاهرات تدل على انهم لا يعبأون بالحكومة ولا يأتمرون بامرها وفي اثناء ذلك قتل ارمني مسلما فعارضه المسلمون فخرج الارمن عليهم متحمسين شاكي السلاح حتى ملأوا الشوارع والطرقات فاستدعت الحكومة رجال الرديف فحضروا وطافوا في الاسواق بملابسهم المدنية فكانوا كسائر الاهالي لا فرق بينهم في اللباس فقام عليهم الارمن ولكنهم اشاعوا فيما بينهم ان الحكومة هدرت لهم دماء الارمن ورخصت لهم بالفتك بهم وعند ذلك هجموا على المستودعات العسكرية واخذوا الاسلحة وما يلزمهم من الذخيرة وفعلوا ما فعلوه مما اوجب على اعضاء ديوان الحرب ان ينكروه ويذرفوا من اجله الدموع ولما حمي الوطيس أخذ رجال الحكومة يفوزون بانفسهم فهربوا وتواروا عن العيان ثم سجن عدد كبير من الارمن ولما عقد الديوان الحربي حكم على ١٥ نفسا من الارمن والمسلمين بالاعدام

فاعدموا ويوجد الآن من ٧٠٠ الى ٨٠٠ نفس كلهم مجرمون مذنبون كالذين شنقوا واذا أردنا محاكمة كل الذين دخلوا في هـذه الحوادث كان هناك من ١٠ الى ١٥ ألف نفس واذا كان لا بد من عقاب كل الذين ارتكبوا المخالفات والجرائم كان لا بد من عقاب كل سكان الولاية

وقد طلب في ذلك التقرير العفو عن مرتكبي الجرائم والصفح عما مضى اه

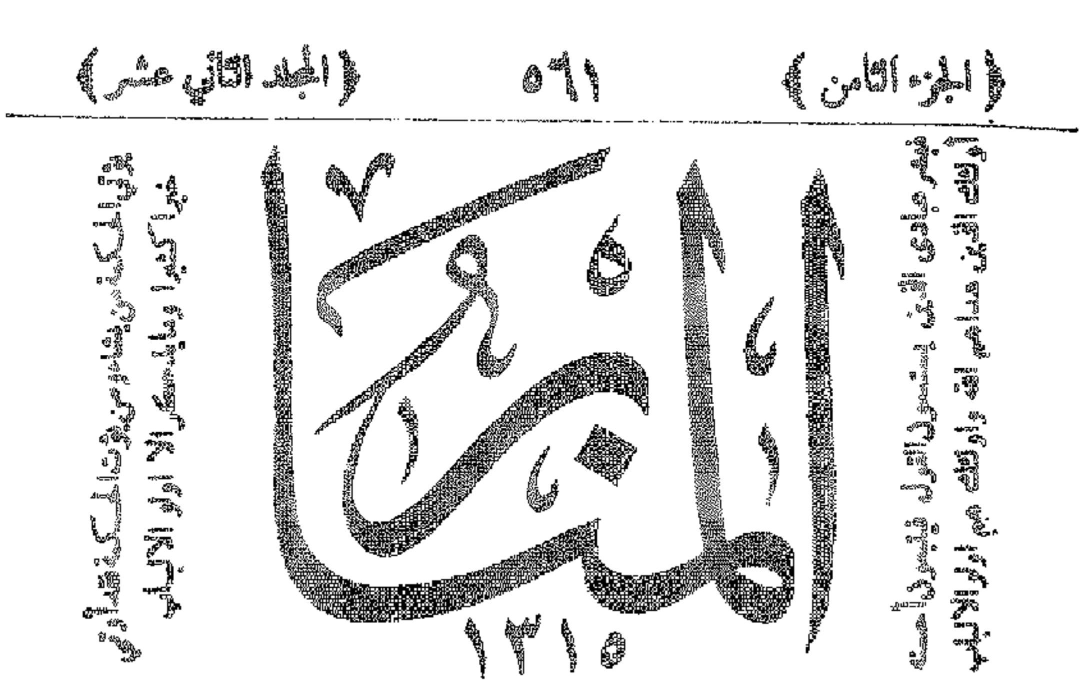
(المنار) ذكر اللسان بعد هذا ان بطرك الارمن اعترض على هذا التقرير وزيف اكثر كلامه . وقد ذكر مثل هذا في بعض جرائد مصر . وانا نعلم أكثر من ذلك نعلم ان الارمن اجتمعوا في الكنيسة في الاستانة فحثهم البطرك على الثبات على طلب الاستقلال وقرروا هناك وفي كل مكان عدم مشاركة العثمانيين بالاحتفال بعيد الدستور ولا تزال جمعية الاستقلال الارمني العليا في الروسية مجدة في عملها وساسة الروس يغرونها وسيكشف لهم الزمان ان اتحادهم بالعثمانيين خير لهم وأبقى

﴿ فقيد العلم والصحافة الشيخ حسين الجسر ﴾

نعت الينا جرائد طرابلس الشام وبيروت عالم الديار السورية بل أحد أفراد علماء المسلمين في هذا العصر ، استاذنا الشيخ حسين افندي الجسر ، صاحب الرسالة الحميدية التي طار بها ذكره في الاقطار ، واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار ، ولما كانت مواد هذا الجزء قد تمت أرجأنا ترجمته الى الجزء الثامن سائلين الله عز وجل أن يحسن عزاء أنجاله وعزاء الوطن عنه ، وان يتغمده برحمته ورضوانه ، آمين

﴿ الدستور في فارس ﴾

ثبت الشعب الفارسي في محاربة الاستبداد كما ثبت الشاه الجاهل محمد علي على رفض الدستور حتى نصر الله الحق على الباطل فدخـل المجاهدون طهران فاتحين وخلعوا الشاه وجعلوا ولده وولي عهده مكانه وهو ابن إحدى عشرة ولذلك جعلوا له نائباً من كبار رجال الدولة



﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الثلاثاء سلخ شعبان ١٣٢٧ — ١٤ سبتمبر (ايلول) سنة ١٢٨٨هـ ١٩٠٩م ﴾

البلاغ المبين

« الذي بلغ من قبل المشيخة الاسلامية الى النواب والقضاة »

« والعلماء الراسخين والمشايخ العارفين » (*)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد فلما قضت ارادة الله تعالى في الازل ان تصلح الارض للعمران استخلف في مناكبها الانسان القادر على تدبير اموره الشخصية والاجتماعية بعقله الذي

(*) المنار : نشر هذا البلاغ بالتركية والعربية والفارسية كما بلغنا ونشرنا هنا نص الترجمة العربية التي وردت من الاستانة وزدنا فيها عدد الآيات والسور فيما جاء فيها من الآيات وخرجنا الاحاديث في الهامش

وهبه اياه كما دل عليه قوله تعالى (٣٥: ٣٩ هو الذي جعلكم خلائف في الارض) الآية وجعل ما تحتويه ارضه التي تقله وسماؤه التي تظله خاضعا لمنافعه كما قال جل من قائل (٤٥: ١٣ وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) الآية وجعله مكلفا لانه ذو عقل وارادة هما قوتان فعالتان يقتدر بهما ان يستعمل القوى الطبيعية لقضاء حاجاته وتحسين اعماله في حياته الدنيا ولكن اعماله مرتبطة باعمال غيره لا يستطيع ان يأتي بنظمها ما لم تتحد الآمال وتتبادل المنافع فقد علم الله تعالى ان الانسان ألعوبة لهوى نفسه الأمارة لا يتخلص من اشراكه التي نصبته له بالسهل وان العقل الابتدائي قاصر عن استنباط الشرائع الكافلة لسعادة البشر فارسل بفضله انبياءه يوضحون له احكام المصالح العامة وقواعدها التي يعجز العقل الابتدائي وحده عن استنباطها و يعلمونه ان السعادة كل السعادة في الايمان واتباع طريق العقل وقد تمت حجة الله البالغة وظهرت حكمة التكليف فالحائدون بعد ذلك عن المنهاج المستقيم الذي أضاءه لهم الهادي الأمين مطرودون من رحمته ومبعدون عن دائرة الهدى كما وصفهم تعالى بقوله (٢: ٧١ صم بكم عمي فهم لا يعقلون) الآية ثم قد تمت حجة الله بخلقه العقول فينا وارساله الانبياء الهادين الينا فان ضللنا بعد ذلك كنا من الظالمين ومن هنا يعلم السر في اتفاق الائمة على ان اصلاح العالم ليس بواجب على الله (١) وتقريرهم ان نصب الامام واجب على الامة

ولما كانت المطالب الاجتماعية مما لا يكلفها الواحد المعين بل الجماعات كما دلت عليه صدور بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى (يا أيها الناس * يا أيها الذين آمنوا) الآية فلا تصح الامامة التي هي من اهمها الا بالبيعة الشرعية العامة و بيعة الناس لرئيس حكومتهم بالطوع والرضا مشروط صحتها بتمسك ذلك الرئيس بحبل الله المتين واتباع شرائعه وقوانين عباده المرعية مما يدل على ان كل أحد من المسلمين مكلف

(١) المنار : هذا ما عليه اهل السنة خلافا للمعتزلة وعدم وجوب الصلاح عليه تعالى لا ينافي كون افعاله وشرعه صلاحا وخيرا وحكمة فالصلاح والاصلاح من لوازم افعاله واحكامه وهي واجبة له لا عليه اذ لا سلطان فوق سلطانه

مراقبة ما يأتيه ومسئول عن حكومته يجب عليه أن يشرأب الى استطلاع اعمال رجالها ويراقبهم حتى اذا رأى معروفاً قد غفلوا عنه ذكرهم به أو منكرا كاستعمال نفوذهم خلاف الشرائع الربانية ومنافع العباد نهى عنه وفق وصفه تعالى في قوله (٣: ١١٠ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) الآية وحديث نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » الحديث (١)

كان الخليفة بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام هو الصديق الاكبر باجماع الأمة وبعده باتفاقها على العمل بوصية الصديق هو الفاروق الاعظم وأحال الفاروق امر نصب الخليفة على الشورى فوقع اختيار أهل الشورى على ذي النورين عثمان رضي الله عنهم وبعد شهادته اتفق جمهور الصحابة في المدينة على استخلاف علي كرم الله وجهه فبايعوه وقد امتدت الفتوح الاسلامية في زمن هؤلاء الاربعة الموسومين لطهارة سيرتهم بالخلفاء الراشدين الى مشارق الارض ومغاربها ولكن الاغراض المتصادمة واختلاط الأقوام العربية بالطوائف الاعجمية بدهم بدل الطوع والرضا في أمر البيعة بالكره والجبر فلم تنتخب رؤساء الحكومة على النحو الذي أمرت به الشريعة المطهرة الا الشواذ منهم حتى ظهرت سلاطين آل عثمان

فلما ظهرت شجرة آل عثمان التي يصدق عليها قوله تعالى (١٤: ٢٤ أصلها ثابت وفرعها في السماء) وجعلت هذه تحمي في وارف ظلها عرش السلطنة والخلافة اقتفى سلاطينها في حكومتهم خطوات الخلفاء الراشدين ومشوا على آثارهم يهدمون صروح الظلم ويحيون ما انطمس من معالم الدين وكانوا والحق وضاح يستحبون الرضا فلم يكرهوا الناس على بيعتهم وقد أرسلوا الى البلاد قضاة من العلماء ففرقوا بين القضاء والتنفيذ ورعوا معاهد العلم حتى نبغ فيها عدد كبير من الاعلام وسعوا باشاراتهم قضية الفتوى لفصل المصالح حسب ما تقتضيه الاحوال العصرية معلقين بذلك قوى الحكومة الثلاثة على حكمي الشرع والعقل ليكون حملة القدرة التشريعية ناسا من أهل العلم والتقوى المالكين لمراقبة الحكومة

(١) رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر

التي هي نتيجة هذا التألف المشروع الطبيعية وأحالوا التنفيذ والاجراء على الوزراء والامراء وحل الخصومات وفصلها بالحكم والقضاء على القضاة والنواب الفضلاء والمراقبة والافتاء على المتقين من فطاحل العلماء المظهرين لقابلية الاستقلال في شعب الاجتهاد فقويت حكومتهم واستحكمت عراها حتى انقادت لها طوعا عناصر الأمة العثمانية المختلفة كافة

هذا ما كانت عليه الحكومة العثمانية في عصورها الغابرة ولكن الدهر قلب فان وضع دولتنا الجغرافي وسعة بلادها وظهور المفسدين من الطوائف الجلالية واطماع الدول المجاورة كلها أسباب ولدت في سني حكومتنا الاخيرة محاربات دامية واختلافات داخلية شاع من جرائها الفقر وعم الوهن فوق ماأورثت الامراض الوبائية المتعاقبة من فتور العزم حتى انطمست معاهد العلم شيئا فشيئا وانطفأ سراجه الوهاج وشاع مكانه الجهل الاسود والضلال المبين وكادت دولتنا تنقرض المرة بعد الاخرى لا سمح الله

تبين مما قدمناه من وجوب نصب الامام شرعا على الامة وكون الخطاب الرباني عاما لكل الناس وكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مكلفا بهما كل أحد من المسلمين ان الامة هي الحاكمة (١) وان صنوفها المؤلفة لها متضامنة بالتسلسل بحيث يجب على كل صنف منها ان يرقب غيره من الصنوف واذا تكاسل صنف عن اداء وظيفته الخاصة به قومت الصنوف الأخر المعوج لانها هي المكلفة عما هو نتيجة الارتباط المتسلسل الشرعية ولذلك قال الشارع «لا طاعة لمخلوق عند معصية الخالق» (٢) وقال (انما الطاعة في المعروف) الحديث (٣) ومما يؤيد وجوب ذلك التضامن أمره تعالى العام في قوله (٨: ٢٥ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) الآية وعليه فاذا أبدينا أقل غفلة عن الائتمار بأمره هذا اختل نظام الادارة وانحلت روابطها

(١) المنار قد بين الاستاذ الامام هو المعني في تفسير قوله تعالى (٣: ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) أجلى بيان فراجعه في المنار وسيأتي في هذا البلاغ التصريح به

(٢) رواه احمد والحاكم من حديث عمران بلفظ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

(٣) رواه الشيخان وابو داود والنسائي « بلفظ لا طاعة لأحد في معصية الله إنما الطاعة في المعروف

ولا يستنبطن أحد مما أوردناه ان لكل صنف من الناس أن يتداخل في مصالح الحكومة فذلك غير صحيح بل الواجب أن تكون الحكومة الدستورية التي تراقب أعمالها من قبل جماعة مصطفاه من عموم الامة مصونة من كل يد تمتد للمداخلة فيها اذا أمرت الناس وجب عليهم أن يلبوا فيجيبوها بقولهم سمعنا وأطعنا

ولما كانت الدولة العثمانية التي بنت قوانينها على أساس الشرع الرصين وركبت قوى حكومتها من سياسة التوفيق بين الحكمة الشرعية والعقلية لا يتطرق الى أصلها الزلزال بسهولة حافظت حتى في أزمنة الجهل المطبق على شكلها بفضل رجال من أهل العلم والتقوى راقبوها ولم يطأطئوا من خشية الله رءوسهم لسلطان الجبابرة الظالمين فهي وان كانت في كل زمن معرضة للاضمحلال الذي نبهنا الله تعالى لاجتناب أسبابه بقوله (١٣ : ١١ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الآية ستبقى مدى الدهور مضمونة بالاستقامة التي هي جزء من الضمان الالهي حسب قوله تعالى (٧٢ : ١٦ وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً) الآية

كان لعمر الحق عهد الاستبداد المنصرمة أيامه السود قد شوه وجهي الدولة الاصلي والفرعي مدة ثلث قرن حتى افل من كل آفاقها العدل واهمل ما أبرمه الشرع واختل النظام وشاع الظلم والجبر والفوضى وتنفرت قلوب الرعايا من الحكومة ونجم الشقاق والنفاق بين العناصر المختلفة واستحالت الاوداء الاجانب أعداء يعملون للايقاع بها ويضيقون عليها يريدون بذلك تمزيقها وكادت جامعتنا العثمانية تتهور بسرعة في حفرة اضمحلالها . هنالك هبت من مكامن حفظ الرحمن فئة هم الفرقة الناجية حزب الله الغالبون استقتلوا في سبيل الحرية وقوفاً في وجوه الجبابرة المعاندين يكبرون ويجاهدون وفي أيديهم راية (٤٧ : ٧ ان تنصروا الله ينصركم) الآية فانقذوا بما أتوه من السعي المحمود ذكره المملكة من الخطر المحدق الذي كان يهددها والوطن من الخراب المدوفكوا اغلال الحيف من أيدي(١) الأمة وكسروا قيود الاستعباد وسلاسلها من أرجلها وسروا فؤادها ببشارة قوله تعالى (٤٨ : ١ إنا فتحنا لك فتحا مبينا) الآية مثبتين بأعمالهم هذه التي سيحمدها التاريخ وتغني بنشائدها

(١) المنار : انما موضع الاغلال الاعناق ولعل التحريف من الترجمة أو سبق قلم

الاستبداد صدق حديث المخبر الصادق (لا تجتمع أمتي على الضلالة) (١) شكر الله سعيهم والحمد لله على دين الاسلام، ولم يكن عفو الامة العثمانية المتبعة لحكم قوله تعالى (٥:٩٥ عفا الله عما سلف) وقول نبيه الكريم «المفوز كوة الظفر» (٢) عن طواغي الاستبداد أولي الصحف السود ليثبطهم في مواقفهم بل جرأهم على ابداء ما انطووا عليه من الفطرة السيئة كلما وجدوا فرصة تساعدهم حتى تمكنوا بما بثوه من الدسائس وزينوه من الحيل ان يورطوا المملكة في ورطة هي والعياذ بالله أعظم من كل الورطات الغابرة فكانوا مصداقا لقوله تعالى (١٣١:٣٣ ومن يضلل الله فما له من هاد) الآية ولكن ابطال الحرية أولياء الله المقسمين بكتاب الله المبين على نصر شريعته واحياء سنن سيد رسله والمحافظة على قوانين عباده ثاروا كالاسود من مرابضهم يستصحبون في زحفهم الشرعي الفيلقين المنصورين الثاني والثالث مدججين بسلاح الجهاد ومقدمين أمام صفوفهم أمراء الحماسة يأمون مقر الخلافة بسرعة محيرة حتى قهروا بسيوف بسالتهم جماعة الفئة الباغية مقاوميهم وردوا كيدهم في نحورهم وحفظوا بيضة الاسلام من ان تعبث بها أيدي الآثمين فاستحقوا بذلك ان يسموا مؤسسي الدولة ثانية كما استحقت الفئة الباغية ان تلقى جزاءها حتى صح فيهم قوله تعالى (٥:٣٣ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) الآية وحينئذ اجتمعت أساطين الامة الذين اصطفتهم عنها نوابا يترجمون عن آمالها وقرت آراؤهم الحرة على ان يطلبوا الى المشيخة الاسلامية تذكيرهم بما ينطق به الشرع في مثل هذه الاحوال لقمع الفساد الساري في جسم الدولة فجمع شيخ الاسلام السالف علماء العاصمة الاعلام واصدر باتفاق أصواتهم فتوى شرعية خلع بها السلطان السابق

---

(١) المنار : الحديث متداول بهذا اللفظ ولكن بتنكير لفظ ضلالة وقد رواه أحمد والطبراني في الكبير بلفظ «سألت ربي ان لا تجتمع أمتي على ضلالة واعطانيها» والحاكم بلفظ «لا تجتمع هذه الامة على ضلالة ويد الله مع الجماعة»

(٢) لا أعرف هذا الحديث ولا أذكر انني رويته ولا رأيته في كتاب ومولانا شيخ الاسلام أوسع اطلاعا وأجود حفظا

واستخلف مكانه بالبيعة الصحيحة العامة جلالة السلطان الحاضر محمد خان الخامس أيده الله تعالى فكانت البيعة المقبولة الشرعية التي قضت الأزمان الغابرة ان تكون نسيا منسيا قد أوجدت بذلك مكانها ،

(٤٣ : ٧ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله) أما سيئات العهد السابق التي يعجز القلم عن احصائها فهي معلومة لكل أحد تستغني عن تفصيلها بحمد الله تعالى على زوالها واما عهد الدستور الجديد فهو عهد المحاسن والارتقاء ذلك لانه احيا ركنا من أركان الشرع المبين كان الطاغون المتسيطرون قد هدموه وهذا حسن ابتداء لنا فيه خير فأل

ولا يخفى ان حصول الراحة والسعادة في الملك لا يتيسران الا باتباع الرعايا للقوانين المرعية هنالك تماما والقوانين المرعية إذا لم توزع الحقوق والوظائف بين سكنة المملكة على التساوي المطلق لا تضمن الراحة والسعادة المطلوبتين ولكن القوانين العدلية والادارية في دولتنا العثمانية مبنية والحمد لله على أساس الشرع الرصين فالمساواة المطلوبة بين الرعية مكفولة اذا به لا يعدل عنها لاختلاف الدين كيف والأخبار المأثورة تسطع كنور الهدى مصرحة بذلك في كتبنا الدينية كقوله صلى الله عليه وسلم (لهم مالنا وعليهم ما علينا) الحديث (١) وكل وظيفة في نظر الشرع مقابل

(١) المنار : ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة فيمن دعوا الى الاسلام فأجابوا منها حديث بريدة المشهور فيمن أسلموا وهاجروا ان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما عليهم وحديث سلمان في قتال الفرس عند ابن ابي شيبة قال « فان اسلمتم فان لكم مثل مالنا وعليكم مثل ما علينا » وفي كتاب الهداية وأصلها وشرحها من كتب الحنفية اجراء ذلك على من قبل بالجزيه قال : « فان بذلوها فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين » لقول علي رضي الله عنه انما بذلوا الجزيه لتكون دماؤهم كدمائنا واموالهم كأموالنا اه قال في فتح القدير بعد ذكر قول علي كرم الله وجهه والاحاديث في هذا كثيرة بل هو من الضروريات . ومعنى حديث علي رواه الشافعي في مسنده — وذكر سنده الى أبي الجنوب — قال قال علي من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا . قال الكمال وضعف الدارقطني أبا الجنوب

حق فلا يجوز ان يحمل أحد وظيفة ويحرم من حقه لان ذلك ظلم محض يجب ان ينزه الله تعالى عنه وهل يتصور ان ينطق دين الله بحكم فيه أقل حيف؟ ألم تذكر كتب السير ان فخر الرسل صلوات الله عليه قد استشار كثيرا ممن لم يكونوا مسلمين حتى ولا داخلين في ذمة المسلمين واستعان بهم في حروبه وغزواته (١)

وقد نص الله تعالى في كتابه المبين بقوله (٣ : ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية على وجوب مراقبة الحكومة من قبل منتخبي الأمة كما قدمناه ولما كانت الطوائف غير المسلمة بعض عناصر الدولة كان اشتراكهم في هذه المراقبة موافقا لصالح المملكة وعليه فان مجلس المبعوثين اليوم أصح مثال لمقتضى الشرع والمشروطية أوضح تمثال (٢) للخلافة الكبرى الاسلامية

قد حصحص لعمري الحق ووضح الصبح لذي عينين فما على الحكومة بعد اليوم الا أن توزع الحقوق بالمساواة بين الرعايا وتقلد الوظائف كل من رأت فيه أهلية منهم ولا على الرعايا الا أن يحسنوا معاشرة وطنيهم من سائر الطوائف ويراعوا حقوقهم من كل وجه كما يأمرهم به الدين وقد نطق الكتاب بنجاة الصلحاء من النصارى وشهد بمودتهم للمسلمين وهو قوله تعالى (٥ : ٨٣ ولتجدن أقربهم مودة) الآية (٣) وصرحت الكتب الفقهية بلزوم صيانة دينهم وأرواحهم

(١) المنار: قد سئلنا عن هذا وأجبنا عنه في هذا الجزء فراجع باب الفتاوى

(٢) يوشك ان يكون الاصل «وأوضح مثال» فحرف في الطبع (٣) في الكلام إجمال وللمفسرين في الآية قولان أحدهما انها فيمن أسلم من نصارى الحبشة وهم ناجون حتما فان أراد الشيخ هذا القول كانت فائدته هنا ان حسن معاملة المسلمين لغيرهم من شأنها ان تفضي الى مثل هذه العاقبة المحمودة . والقول الثاني انها عامة في جميع النصارى وان كان سببها خاصا وقوله تعالى في الآية التي بعدها (٨٤ واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول) الآية مستأنف وهو الخاص بنصارى الحبشة وعلى هذا يكون مراده بنجاتهم هو نجاتهم من السيف والاعتداء والظلم ويوشك ان تكون عبارته التركية أظهر في مراده

وأموالهم من التعرض أفبعد هذا يضطهدهم المضطهدون؟ كلا فان في ذلك خزيا في الدنيا ونكالا في الآخرة قال الله تعالى (٣٣: ٢١ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الآية وقال سيد الرسل المبعوث لإتمام مكارم الاخلاق « تخلقوا باخلاق الله »(١) الحديث ومن أخلاق الله تعالى العدل والإحسان الى خلقه كافة بدون استثناء فلا يجوز بعد ذلك معاملة المسلمين لوطنييهم من الامم السائرة بالفظاظة والغلظة لان في ذلك مخالفة صريحة لرضى الله وسنة رسوله الكريم والمخالفون داخلون في زمرة الخاسرين الذين قال الله تعالى في حقهم (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية(٢) فنحن ننبه المسلمين على ان عقاب مثل أولئك المخالفين المعتدين مقرر عند الحكومة ونوصي الناس بحسن المعاشرة فيما بينهم واجتناب ما يلقيه اليهم الاشرار أولو الغايات الفاسدة من دواعي التفرقة والخلاف

شيخ الاسلام

كتبه الفقير صري زاده

محمد صاحب عفي عنهما

(تنبيه) اثبت توقيع الشيخ في النسخ المطبوعة منقولا عن خطه بالزنكوغراف

* * *

---

(١) المنار : قد اشتهر على الالسنة ان هذا حديث ولم أره في شيء من كتب السنة

(٢) ظاهر هذه العبارة ان كل مسلم يعامل احدا من غير المسلمين بالغلظة والفظاظة يكون ممن نزلت فيهم هذه الآية ولذلك انكر الناس هذه العبارة لان الآية نزلت في البغاة الذين يزيلون الامن بالقتل والنهب وقطع الطريق . ولا شك ان شيخ الاسلام ايده الله به الشرع المبين لا يريد بعبارته أن من يعامل الذمي او المسلم بالغلظة والفظاظة يكون محاربا لله ورسوله ومفسدا في الارض ويعاقب بأحد العقوبات المذكورة في الآية الحكيمة وانما يريد أولئك الذين يقدمون على القتل والنهب واحراق الدور ومعاهد التجارة والعلم كما وقع في ادنه (أطنه) ولعل الخلل جاء من الترجمة بالعربية والمراد ظاهر تؤيده الحكم الشرعي المراد منه القرائن الحالية ويشير اليه ما ختم به الكلام من دسائس الاشرار أولي الغايات الفاسدة

﴿ اعتبار المصلحين ، بهذا البلاغ المبين ﴾

ان في هذا البلاغ من آيات العلم الصحيح ، وهداية الدين القيم ، والاعتصام بالكتاب والسنة دون التقليد الاعمى ما تنشرح له صدور المؤمنين ، وتشتد به عزائم المصلحين ، لصدوره من أرفع مقام في علماء الاسلام الرسميين

ما أضاع الاسلام إلا ترك الكتاب العزيز والسنة السنية الى كتب جماعة من مقلدة المذاهب المختلفة تقيد بها علماء الرسوم من القضاة والمفتين وغيرهم من اعوان الحكام الجاهلين الظالمين وقيدوا بها الأمة حتى حل بها ما نعلم وقد شرحناه مرارا وفصلنا القول فيه تفصيلا

لقد بعث الله في القرون الخالية علماء أصفياء يجددون لهـذه الامة أمر دينها فكانوا فيها كأنبياء بني إسرائيل منهم من اهتـدى بدعوته النفر والرهط والجماعة ومنهم من حال الاضطهاد وضعف الاستعداد دون الاهتـداء به ، وكانت العامة المسكينة تغتر بمقاومة علماء الرسوم وسادانهم الحكام لأولئك المصلحين المجددين وتبعهم في تضليلهم لأن الناس على دين ملوكهم ، حتى ان صوت شيخ الاسـلام أحمد بن تيمية قد خفت في هذه الامة المسكينة وهو أندى أصوات المصلحين ، وكتبه خفيت فيهم عدة قرون وهي أقوى وأظهر حجة من سائر كتب المسلمين ،

هذا ما كان من الجهاد بين الحق والقوة ، وهكذا كان يعادي الكتاب والسنة كل من له بالحكام علاقة رسمية ، فالعلماء الرسميين نفوذ عظيم إذا أيدوا به الاصلاح ينتشر بسرعة عظيمة ولكن الحكام المستبدين لا يمكنونهم من ذلك فالعالم الرسمي في الحكومة المستبدة لا يوثق بما يقول ولا بما يكتب إفتاء ولا تصنيفا ، بل اذا اشتد الاستبداد في بلاد كان فالعاقل ان لا يعتد بكلام أحد من علمائها وزعمائها في الامور العامة الا من كان مضطهدا من حكومتها . نقول هذا بصرف النظر عن تحكيم الدليل في الكلام لمن كان من أهله

طال الزمان على قوة الباطل وضعف الحق لان أهل الحق منهم الاستبداد

من إظهار حقهم وانما يغلب الحق الباطل إذا وجدا معا بلا معارض ، ولهذا غلب الجمود ودخل جماهير المشتغلين بالعلوم الدينية جحر الضب وطاب لهم المقام فيه حتى صاروا ينفرون من فضاء الحنيفية السمحة المضيئة بنور الكتاب والسنة ، فوصلوا الى ذلك الدرك الاسفل من الضلال الذي عبر عنه بعض شيوخ الازهر في ملأ منهم فقال : من قال انني أعمل بالكتاب والسنة فهو زنديق

نحمد الله تعالى أنه لم يسلب جميع المشتغلين بعلوم الاسلام نور كتابه وسنة رسوله بل صدق رسوله بانه لا يزال طائفة منهم قائمين على الحق حتى تقوم الساعة(١) ولكن حرية الامم بخروجها من رق الاستبداد هي التي تظهر علم هؤلاء وهدايتهم . فلما لاح شعاع الحرية في مصر ظهر فيها المصلح العظيم الشيخ محمد عبده (رحمه الله تعالى) وكان صوته ضعيفا الى أن صار له صفة رسمية بتقلده افتاء الديار المصرية فحينئذ علا صوته حتى صار شرق البلاد الاسلامية وغربها يلهجان بلقبه الذي اشتهر به « الاستاذ الامام » وتعلقت به آمال طلاب الاصلاح الاسلامي في كل مكان

ثم أشرقت شمس الحرية في المملكة العثمانية فظهر من أعلى مقام علمي فيها — وهو مقام مشيخة الاسلام — كلمتان كبيرتان في الاصلاح (احداهما) الفتوى بخلع السلطان عبد الحميد فانها فتوى بنيت على أساس من كتاب الله عز وجل ، لا على شفا جرف من آراء زيد أو عمرو ، فهي أقوى وأصح فتوى صدرت في هذا العصر ، كما بينا ذلك من قبل ، وقد زادنا سرورا بها ما جاء في هذا البلاغ من جمع شيخ الاسلام الذي اصدرها للعلماء الاعلام واستشارتهم في المسألة واصداره الفتوى باتفاقهم

(الكلمة الثانية) هذا البلاغ المبين ، المتألق نوره بالاقتباس من القرآن الحكيم ، والاستنباط منه ومن الحديث الشريف ، فقد قرت عيوننا بما رأينا فيه من الفهم الثاقب ، وتطبيق الآيات والاحاديث على الوقائع والحوادث ، ناهيك باستنباط وجوب سيطرة الامة على الحكومة من آية وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ايد به الحكومة الدستورية ، وباستنباطه من آيات وأحاديث أخرى مشروعية الجمع بين

---

(١) اشارة الى حديث صحيح رواه الحاكم من حديث عمر وابن ماجه من حديث أبي هريرة

الدين والعقل ، والانتفاع بما خلق الله في السموات والارض ، ووجوب التضامن والتكافل العام في الامة ، وبيان سنة الاجتماع في تغير احوال الامم ، والتصريح بكون الحكام انما تجب طاعتهم في المعروف لافي المنكر والمحرم وغير ذلك من الاحكام والحكم

ان شيخ الاسلام لم ينقل هذه المعاني من كتب التفسير نقلا ، وانما فهمها من كتاب الله تعالى فهما ، وان فهمه (حفظه الله) للآيات من قبيل فهم الاستاذ الامام (رحمه الله) لها ، فهذا الاجمال موافق لما سبق تفصيله في المنار في التفسير وغير التفسير مرارا ، وهو لم يكن قبل هذا العام ممن يرون المنار ، وانما هو الاستقلال وعدم التقليد يتفق اصحابه في كل ما تتوفر الدواعي على العلم به

فنحمد الله أن وجد فينا مثل هذا الامام الجليل وأن كان شيخا للاسلام في هذا العصر المنير ، ونسأل الله تعالى ان ينفعنا وسائر المسلمين بعلمه وهديه ، ويوفق جميع العثمانيين بارشاده الى التعاون والاتفاق على ما به عمران البلاد وتعزيز الدولة آمين

* * *

﴿ فصل — أو — وصل ﴾ اننا نذكر في هـذا المقام للشيخ سليم البشري شيخ الازهر ورئيس لجنة الدعوة الى المؤتمر الاسلامي إجازته لقانون المؤتمر الذي فيه ان المباحث الدينية في المؤتمر تكون اجتهادية تبنى على الكتاب والسنة والاجماع والقياس لا على نصوص المذاهب . نذكر له هذا ونثني عليه عودا على بدء ، وننتصر بتقريره هذا وبالبلاغ الذي نشرناه في هذا الجزء — وهما من أكبر شيوخ الاسلام الرسميين في أكبر عواصم المسلمين — على الجامدين البلداء الذين كانوا ينكرون علينا من بضع سنين دعوتنا الى الاهتداء بالكتاب والسنة وجمع كلمة المسلمين عليهما والله خير الناصرين

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الدستور والحرية والدين الاسلامي ﴾

(س ٢٩ و ٣٠) من صاحب الامضاء في سواكن (السودان)

حضرة الاستاذ المرشد السيد محمد رشيد رضا دام فضله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد ألجأني فهمي القاصر وذهني الفاتر لرفع هذه الأسئلة لجنابكم ملتمسا حلها وشرحها شرحا وافيا يفهمه الخاص والعام لان ظروف الاحوال تقتضي ذلك بالنسبة لما هو حاصل الآن في دار الخلافة الاسلامية صانها رب البرية . وهي :

الأول — ما هو الدستور وما حقيقته وهل هو موافق للدين الاسلامي تمام الموافقة . وما الدليل عليه من الكتاب والسنة ؟

الثاني — ما هي الحرية - القولية والفعلية — وما حقيقتها وهل هي موافقة للشريعة الاسلامية وما الدليل عليها شرعا وعقلا ؟

وهل هي كما علق بأذهان العامة بانها الفوضوية التامة التي لا رادع لها كأن تذهب المرأة من بعلها وتفعل ماتشاء وهو لا يقدر على منعها . ويذهب الولد خارجا من طاعة الوالد ولا يقدر على تأديبه ومنعه من ارتكاب المحظور أم هي بخلاف ذلك ؟

نرجو من حضرة الأستاذ إجابتنا على صفحات المنار الأغر في أول عدد منه لا زال خضم علمه زاخرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه عبد القادر ملاقلندر البخاري

الدستور والدين الاسلامي

(ج) تنقسم الحكومة في عرف أهل العصر إلى قسمين أصليين حكومة مطلقة وتسمى شخصية واستبدادية وحكومة مقيدة أو دستورية ويعبر عنها الترك والفرس بالمشروطة أي المشروط فيها العمل بالدستور

فالحكومة الشخصية المطلقة هي التي يكون فيها حق التشريع والتنفيذ للحاكم العام والرئيس الأكبر الذي يلقب بالملك أو السلطان أو غير ذلك من الألقاب فهو الذي يضع لبلاده من القوانين ما يشاء متى شاء وينسخ منها ماشاء متى شاء غير مقيد برأي أحد ولا مكلفا ان يستشير أحدا ، وهو الذي ينفذ الاحكام التي يحكم بها في بلاده بارادته أي تنفذ باسمه على ان له ان يوقف تنفيذ مايشاء منها ويعفو عمن يشاء سواء كان الحكم من نوع القانوني الوضعي أو من نوع الديني الشرعي فهو فوق الشريعة والقانون لا تجوز محاكمته اذا خالفها . ومثال هذه الحكومة ما كنا فيه قبل سنة وشهرين من حكم عبد الحميد فقد كان بما له من السلطة المطلقة يمنع من الاحكام الشرعية ما يشاء كمنعه شهادة التواتر والحكم بمقتضاها والحكم بالحجر على المجانين وتنفيذ أحكام الاعدام الشرعية وغير ذلك كما كان يمنع من كتب الدين والعلم ما شاء ويصادر منها ما شاء بمحض الهوى والوسواس

فهذا النوع من الحكم يحرمه الدين الاسلامي بل تحكم الشريعة الاسلامية بكفر مستحله لأن من استحل الحرام المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كإبطال الاحكام الشرعية ومصادرة الناس في أموالهم ودمائهم كان مرتدا

واما الحكومة الأخرى أي المقيدة أو المشروطة أو الدستورية فهي التي يكون فيها الحاكم العام ومن دونه من الحكام والعمال مقيدين كلهم بالدستور والدستور عبارة عن شريعة البلاد وقوانينها التي يضعها أهل الرأي الذين تعهد اليهم الامة ذلك بالتشاور بينهم ليس للحاكم العام فيها ان يستبد بشيء بل عليه ان يتقيد بالشريعة والقانون الذي وضعه وقرره أهل الشورى . فهذه الحكومة موافقة للدين الاسلامي في أساسها وأصلها هذا لأن أحكام الاسلام قسمان أحكام دينية جاء بهما الوحي

وأحكام دنيوية جاء ببعضها الوحي ارشادا وتعليما ووكل سائرها الى أهل الشورى من أولي المكانة والرأي الذين عبر عنهم القرآن العزيز بأولي الأمر فهم الذين يضعون برأيهم واجتهادهم ما تحتاج اليه الأمة لاقامة المصالح ودرء المفاسد التي تختلف باختلاف الزمان والمكان . ودليل ذلك قوله تعالى في المؤمنين (٤٢ : ٣٨ وأمرهم شورى بينهم) وقوله عز وجل (٤ : ٨٣ واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وقد بينا معنى هاتين الآيتين أكثر من مرة وليراجع السائل تفسير قوله تعالى (٣ : ١٦٠ وشاورهم في الأمر — ص ٧٢٦ م ١١) وعلى هذا جرى النبي (ص) في امور الدنيا والخلفاء الراشدون من بعده

هذا هو معنى موافقة الدستور للشرع الاسلامي في اصله وأساسه بالاجمال . واما التفصيل فهو موكول في دولتنا الآن الى أولي الأمر الذي انتخبتهم الأمة لوضع القوانين التي يطلق على مجموعها لفظ (الدستور) فاذا كانت مسائل هذه القوانين مطابقة للنصوص الثابتة وللاصول والقواعد الشرعية المستنبطة منها كالعدل ورفع المضار وجلب المنافع وغير ذلك من القواعد والاحكام كان الدستور موافقا للدين الاسلامي في جزئياته التفصيلية وان كان بعض تلك المسائل مخالفا لها يكون الدستور مخطئا فيما خالف فيه كما اخطأ كثير من الفقهاء في بعض الاحكام في كتبهم . وللأمة حينئذ ان تنبه مجلس نوابها على ذلك ليتداركه اذا تبين له

ويردها هنا اعتراضان يتحدث بهما الناس أحدهما مستمد من التفسير وهو ان اولي الامر الذين فوض كتاب الله تعالى اليهم استنباط الاحكام والقوانين يجب ان يكونوا من المسلمين، ومجلس النواب العثماني الذي يضع القوانين الدستورية مؤلف من المسلمين وغيرهم . والجواب عن هذا ان استشارة المسلمين لغيرهم ومشاركتهم في الرأي غير ممنوعة وقد تكون مطلوبة اذا كان ذلك من مصلحة الأمة لأن المصلحة هي الاصل في جميع الاحكام الدنيوية حتى قال بعض علمائنا انها تقدم على النص اذا عارضته كما نقلناه عن الطوخي في المجلد التاسع (ص ٧٤٥) على ان المسلمين هم

الأكثرون في مجلس الأمة المكون من المبعوثين والاعيان وهم العارفون بمصالح الامة ومنافعها فلا ينفذ الا ما قرروه

والاعتراض الثاني مستمد من أصول الفقه وهو ان الذين يستنبطون للمسلمين ما يحتاجون اليه من الاحكام غير المنصوصة في الكتاب والسنة يجب ان يكونوا من أهل الاجتهاد الذين استوفوا شروطه التي ذكرها الاصوليون . وقد يجيب المشتغلون بالسياسة عن هذا بان الاحكام الشرعية المحضة لا يتعرض لها المجلس بل هي لا تزال تؤخذ من كتب الفقه بالتقليد وانما يضع المجلس القوانين المتعلقة بأمور الدنيا كجباية الأموال وطرق إنفاقها ونظام المحاكم وغيرها من مصالح الحكومة وهي لا تحتاج الى ما ذكروه من الشروط للمجتهد . ولكن هذا الجواب لا يقنع المتفقهة فانهم يقولون ان جميع الأحكام المالية والسياسية والحربية والإدارية يجب ان تكون مستمدة من الشرع وموافقة له

واني أجيب بجواب آخر وهو ان ما ذكره الاصوليون من شروط المجتهدين ليست نصوصا تعبدنا الله تعالى بها فيما أوحاه الى نبيه وإنما هي آراء لأولئك الأصوليين . وقد بينا الحق في ذلك وما يجب من الاصلاح من الامور الدينية والدنيوية بالتفصيل في مقالات محاورات المصلح والمقلد فليرجع اليها السائل ومن شاء في المجلد الثالث والرابع من المنار (١)

ونقول هنا أيضا ان الله تعالى قد جعل لجماعة أولي الأمر من الامة أن يستنبطوا برأيهم واجتهادهم من الاحكام ما تمس حاجتها اليه وأطلق ذلك فان كان هنالك أدلة تدل على انه يشترط فيهم ما قاله علماء أصول الفقه في المجتهدين فلتكن تلك الشروط كالشروط التي اشترطوها في الخليفة وفي القاضي من حيث انه يجب تحصيلها ويقدم من توفرت فيه على غيره ولكن لا تتعطل الاحكام بفقدها . فكما أجازوا خلافة الخليفة من غير استيفاء جميع شروطه للضرورة وأجازوا ان يكون القاضي غير مجتهد للضرورة يجب ان يجيزوا استنباط الاحكام المالية والسياسية والادارية

(١) جمعت تلك المقالات في كتاب مستقل ثمنه خمسة قروش واجرة البريد مضمونا قرش ونصف

والقضائية لمن لم تتوفر فيهـم شروط المجتهد لاجل الضرورة إذ لافرق بين هؤلاء المستشارين والمستنبطين و بين الحاكمين والمنفذين

لا بد للأمة في كل وقت من الحـكام ولا بد ان يكون هؤلاء الحكام مقيدين بالشورى ولا بد ان يكون أهل الشورى من أولي الرأي والمكانة لتثق بهم الامة فعليها في كل زمن ان تختار أمثل أهله للقيام بذلك الركن الشرعي فان لم يوجد في زمن ما من هم متصفون بصفات الكمال التي تدل عليها الدلائل الشرعية فعلى الأمة مع اختيار الأمثل للضرورة أن تمد أفاسامتها بالتربية والتعليم للكمال المطلوب

يقول حملة الفقه انا نستغني بما استنبطه المجتهدون السابقون عن استنباط أحكام جديدة فيجب أن نعمل بما دوّن في كتب الحنفية أو غيرهم من فقهاء المذاهب الأربعة ولا نزيد على ذلك شيئا ٠ ويجيبهم الحكام وغيرهم من العارفين بحال العصر (أولا) ان مادون ونقل عن الائمة الأربعة لم يكف الامـة في زمن ما ولذلك زاد عليه أتباعهم غـير المجتهدين اضعاف اضعافه حتى صار العمل بكتب هؤلاء المقلدين، وقد أكثر كتب الائمة المجتهدين، وما عساه يوجد منها لايقرأ ولا يفتي به ولا يرجع اليه . واتباع المقلد وتقليده باطل بحسب أصولكم ٠ واعذاركم عن ذلك غير مسموعة (ثانيا) ان الزمان قد تغير وتغير العرف الذي بني عليه كثير من الاحكام وحدثت للدولة والامة مصالح وحاجات كثيرة لم تكن في زمن الائمة ولا زمن مدوني الفقه المنسوب إلى أصولهم ومذاهبهم في الاستنباط وصارت عرضة لمضار ومفاسد لم تكن في زمنهـم فنعرفَ من كتبهم طرق درئها فاضطررنا الى احكام تناسب حال زمننا . وانا ما صرنا أضعف الامم بعدان كنا أقواها الا بعدم جرينا في درء المفاسد وجلب المصالح في هذه الازمنة الأخيرة بحسبها

هذا وان أساس هذا الدستور هو ان تنتخب الامة نوابا عنها يكونون هم أصحاب الشأن في الاحكام التي تساس بهـا فعليها ان تختار أمثلهم وأعلمهم بالشرع احكامه ومقاصده، والرأي الراجح في مجلس الامة للمسلمين كما قلنا آنفا فاذا قرروا ما يخالف الشرع القطعي ولم تستبدل الأمة بهم من يعود اليه كان الإثم عليها وعليهم ولم يكن الدستور مانعا لها ولهم من إقامة شرعهم ، واما في زمن الحكومة المطلقة فلم يكن لهـا

ان تقول ولا ان تعمل وان ضاع دينها كله وضاعت دنياها معه

وجملة القول ان الأمة يمكنها بهذا الدستور ان تحيي دينها ودنياها فان لم تفعل كان الاثم عليها . نعم انها لا تستطيع ذلك إلا بالتدريج كما نشأ الاسلام وترقى بالتدريج فكان شأنه إلى عهد صلح الحديبية سنة ست غير شأنه بعد فتح مكة سنة ثمان فلا ينبغي ان ننسى هذا

الحرية والدين الاسلامي

الحرية تطلق على عدة معان بحسب العرف والاصطلاح ولعل ماتسألون عنه هو ماقرره القانون الاساسي الذي هو أصل الدستور وأساسه في المادتين ٩ و ١٠ والمراد منهما انه ليس للحكومة — ولا لغيرها بالاولى — ان تعتدي على أحد لقول يقوله أو عمل يعمله او تكلفه شيئاً من ذلك إلا مايعينه القانون لحفظ الحقوق العامة والخاصة فمن كان في بلد حكومته دستورية يكون حرا غير مستعبد لحكومتها ولا لأصحاب النفوذ والجاه فيها آمنا على نفسه من الاعتداء ما دام محافظا على القانون الذي يحظر عليه الاعتداء في حريته على حرية غيره وحقوقه . فحماية الناس من التعدي عليهم موافق للشريعة الاسلامية كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص لما علم ان ولده ضرب غلاما قبطيا « منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » فاذا ادخل معنى في الحرية كترك بعض الحدود أو التعزيرات المجمع عليها كانت الحرية حينئذ غير شرعية بجميع جزئيات معناها بل بعضها شرعي و بعضها غير شرعي وإن كان سلبيا وليس في القانون الاساسي تصريح بذلك ولكن قد يكون هذا النقص مما يقصر فيه مجلس الامة عند وضع قانون الجزاء والذنب عليه وللأمة ان تطالبه به

اما ماعلق بالاذهان من كون الحرية القانونية تبيح نشوز النساء عن رجالهن وعقوق الاولاد لوالديهم فغير صحيح

＊＊＊

(سؤال آخر) ورد علينا استفتاء آخر في المسألة من دمشق الشام يحيلنا فيه السائل على مقالة نشرها المقتبس فيها لم نطلع عليها فاذا كان في جوابنا مقنع له فيها والا فليعد السؤال وليرسل معه المقالة التي سأل عن موضوعها

＊＊＊

﴿ استشارة غير المسلمين والاستعانة بهم في الحرب ﴾

« س ٣٩ » من صاحب الامضاء في بيروت

سيدي الاستاذ الشيخ محمد رشيد افندي رضا الحسيني منشئ مجلة المنار المحترم

بعد التحية اليكم انه قد اطلعت في عدد « ٢٦٣ » من جريدة الاتحاد العثماني الاغر فرأيت في طليعته منشوراً لشيخ الاسلام كان من ضمنه هـذه الجملة « وقد استشار نبينا في ظروف عديدة خطيرة اناسا لم يكونوا يدينون بالاسلام وطلب (ص) في الحروب معاونتهم ومساعدتهم » فارجو ان تبينوا لنا من هم المشاوَرون ؟ وما هي تلك الحوادث التي وقعت فيهـا الاستشارة كما ارجو بيان من هم الذين طلب النبي (ص) معاونتهم ومساعدتهم في الحروب ؟ أخذاً للحكمة و بيانا لمن انتحل لنفسه التعصب الذميم فتطهر بذلك نفسه واتباعا للحق مولاي . خادم العلم الشريف

راغب قباني

(ج) خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الطائف في اول الاسلام وطلب من رؤساء أهلها حمايته من قريش ليبلغ دعوة ربه فردوه . وكان يخرج في المواسم الى اسواق العرب يعرض نفسه على القبائل ليحموه حتى يبلغ دعوة ربه فكان بعضهم يرد ردا حسنا و بعضهم يرد ردا سيئا . ثم انه بعد ان قوي الاسلام استعان في الحديبية بعُيينة الخزاعي فاتخذه عينا على المشركين وكان يومئذ مشركا ومن المعروف ان قصة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست من الهجرة وكان مع النبي (ص) من المؤمنين الف وأربع مئة ــ أو خمس مئة ــ واستعان بصفوان بن امية يوم حنين . واخذ في خيبر برأي عزال اليهودي فقطع مشرب القوم ليخرجوا من حصنهم لمناجزته

وفي مراسيل ابي داود عن الزهري أن النبي (ص) استعان بناس من اليهود في خيبر فأسهم لهم وهو ضعيف . وفي حديث ذي مخبر (رض) عند احمد وابي داود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ستصالحون الروم صلحا وتغزون انتم وهم قوما من ورائكم » وكان النبي (ص) محالفا لخزاعة وكانت

قريش محالفة لبكر فاعتدى بنو بكر على بني خزاعة وساعدتهم قريش بعد عهد الحديبية فانتقض عهدهم وحاربهم النبي (ص) باصحابه لأجل ذلك حتى فتح مكة عنوة وخرجت خزاعة معه على قريش

لكن ورد في حديث عائشة عند احمد ومسلم أن النبي (ص) خرج قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة ادركه رجل قد كانت تذكر منه جراءة ونجدة قال جئت لاتبعك فاصيب معك، فقال رسول الله (ص) « تؤمن بالله ورسوله؟» قال لا « قال « فارجع فلن استعين بمشرك » ثم ذكرت انه عاد مرتين بعد ذلك فقال له مثل ما قال في المرة الاولى . وفي حديث خبيب بن عبد الرحمن عن ابيه عن جده انه استأذن النبي هو ورجل آخر من قومه في الغزوة معه فقال « أسلمتما؟ » قالا لا فقال « إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين » رواه الشافعي واحمد والنسائي وغيرهم

ومن هنا جاء الخلاف بين العلماء في جواز الاستعانة وعدمه فنقل الجواز عن الحنفية وعن الشافعي منع الاستعانة بهم على المسلمين وجواز الاستعانة بهم على امثالهم اما الجمع بين الروايات المختلفة فقد قال الحافظ ابن حجر في التلخيص ان اقرب ما قيل فيه ان الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها قال وعليه نص الشافعي . وانت ترى ان جميع ما نقلناه من روايات الاستعانة كان بعد غزوة بدر التي قال فيها «لن استعين بمشرك» والعمدة في مثل هذه المسألة اتباع ما فيه المصلحة وهي تختلف باختلاف الاحوال

واما استشارة النبي (ص) لغير المسلمين، فلعل شيخ الاسلام نفعنا الله بعلمه يريد بها ما كان في اول الاسلام من استشارته (ص) لعمه ابي طالب ومن استشارة المنافقين بعد الهجرة كاستشارة عبد الله ابن ابي في غزوة احد ومراجعته لحلفائه من اليهود في بعض المسائل المتعلقة بالمحالفة ان صح ان يسمى هذا استشارة . أما كونه (ص) كان اذا عرض امر يستشير فيه المشركين أو أهل الكتاب ليستبين بمشاورتهم الرأي فهو ما لا اعرفه ولا اظن ان شيخ الاسلام يريده . وقد علمت مما تقدم في الكلام على الدستور انه لا مانع من المشاورة وان مصلحة الامة هي الحكمة في مثل هذه المسألة. ولا شك ان مصلحة دولتنا في هذا العصر تقتضي إشراك جميع شعوبها في المشاورة ووضع جميع القوانين لا تقوم المصلحة بدون ذلك وهذا وحده [illegible] بالجواز شرعا

﴿ انصار البدع والتقاليد وكتبهم ﴾

(س ٣٢) من صاحب الامضاء في بتاوى (جاوه)

مولاي الاستاذ المصلح فضيلتلو أفندم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت والمسئول منكم ايفاء لما التزمتم به من النصح لله ولكتابه ولرسوله والمؤمنين ان تفيدونا عن أسئلتنا هذه قد عرفنا منكم الصدق وقوة الحجة وقطع ألسنة أئمة البدعة أدامكم الله وزادكم توفيقا : انها قد نبغت في هذه السنين رجال يدعون الى الكتاب والسنة ويؤثرون ما كان عليه السلف الصالح على كثير من المقول عن المتأخرين وقد كثر أصحابهم وعلت أصواتهم ونرى على أقوالهم جلالة الحق ومسحة الصدق ،

وقد غاظ أمرهم هذا أناسا عاشوا بترويج الرابطة والتوجه . وآخرين جمدوا على ما قاله بعض مصنفي المتأخرين كابن حجر المكي فاتخذوهم أربابا من دون الله يحلون ما أحلوا ويحرمون ما حرموا ويقدمون أقوالهم على قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال كبار أصحابه ورجالات التابعين باحسان مع صحة النقل وانتفاء المعارض ، وقد زعموا أن الواجب علينا هو الاخذ بما قاله أولئك المصنفون وانه لا تجوز لنا مخالفتهم ولا نسبة السهو والغفلة اليهم فضلا عن الغلط وان خلاف ما قالوه بدعة وضلالة وفسوق مهما قويت صحته وكذا القائلون به من سلف الامة وخلفها وان شيخ الاسلام ابن تيمية كبير الفسقة وان من يسميه شيخ الاسلام فاسق أيضا بل حرموا الاستدلال من الكتاب والسنة مطلقا ، وقالوا لا يقرأهما أحد إلا بنية التبرك أو نحو الاستسقاء والا فهو ضال مجرم !!!

والى سيدي نبذة طبعها مصنفها حديثا . عكف عليها عباده وفيها همز ولمز لا نسأل عنها ولكن نرجوكم عدم غض النظر عما فيها من التغرير والتضليل واطلاق المقيد وتعميم الخاص وايراد الأحاديث الموضوعة والتحكم في الدين والافتراء

على الله بالقول هـذا حلال وهذا حرام بدون حجـة ليكون ما تكتبونه زاجرا له ولامثاله من الجهال المتعصبين ومنقـذا لمن يقع في حبالتهم من العوام والسذج من المؤمنين ولتعلموا ان قصده من الكتابة الرد لما جاء في المنار من نحو الفتيا في الغناء ومن المدح لشيخ الاسلام ومن الانحاء على البدع والتقليد ثم لغيركم بعد من الرسالة فصولا أخرى ولربما سكت عن الجواب لعذره ولا عـذر لجنابكم ومع تلك الرسالة نموذج من فتاوي ذلك البعض في منع الترجمة للقرآن لم يأت على ما قاله فيها ببرهان فنرجوكم بيان الحق في حكم الترجمة والتفصيل بين ما يترجم لبيان معناه للاستدلال به على من لا يفهم العربية وما يترجم ليقرأ به العاجز عن القراءة بالعربية وما يترجم ليكون كالتفسير وما يشترط لذلك وان تشيروا بمن كتبت ترجمة بيان آي القرآن في كتبه بالفارسية وغيرها كالغزالي والبهوبالي والدهلوي وغيرهم ، ولكم منا جزيل الشكر ومن الله وافر الأجر والسلام

(سائل خائف يحب إظهار الحق ويخشي السجن)

م . م

(المنار) قد أرسل الينا صاحب هـذا السؤال رسالتين مطبوعتين في جاوه مؤلفهما عثمان بن عبـد الله بن عقيل المستشار الديني لحكومة هولندة في جاوه ، احداهما في النهي عن ترجمة القرآن والثانية في مسائل المجتهدين والمقلدين والصوفية والاولياء والصحابة والنصيحة والحب والبغض في الله والورع وحفظ اللسان

يكلفنا هذا السائل كما كلفنا غيره ان نقرأ هاتين الرسالتين ونبين مافيهما من الخطإ ومخالفة الشريعة كما كلفنا غيرهم من قبـل مطالعة بعض كتب النبهاني والرد عليها . وان الـكتب الحديثة وكذا القـديمة المحشوة بالأباطيل والقول في دين الله بغير علم ككتب النبهاني وأمثاله أكثر من أن تحصى فهل يكلف مثلي ان يقرأها ويبين ما فيها من الخطإ والباطل مهما كثر ذلك وتكرر ؟ ان هذا من تكليف ما لا يطاق فحسبنا ان نبين الحق في مسائل الدين ومنه يعلم ان كل ما خالفه باطل . وان أكثر المسائل التي نسئل عنها من هاتين الرسالتين وكتب النبهاني قد بينا الحق فيها بالدلائل الواضحة فهل نـكلف ان نعيد كل ما كتبناه كلما تكرر السؤال عنه ؟

على ان الرد على هؤلاء المقلدين المتهوكين مشكل لكثرة تناقضهم ولضيعة البرهان عندهم كما قال الشاعر

أقلد وجدي فليبرهن مفندي ... فما أضيع البرهان عند المقلد

فتراهم يحرمون الاهتداء بالكتاب والسنة والاستدلال بهما على المطالب ويدعون أن الله تعالى ما كلفنا الا العمل بأقوال بعض الفقهاء المتأخرين كابن حجر الهيتمي والسبكي في دين عثمان بن عقيل مؤلف هاتين الرسالتين ثم انهم يستدلون بعد ذلك بالكتاب والسنة ويخالفون امامهم ومقلدهم فيما اشترطه في نقل الاحاديث بله الاستدلال بها . فقد ذكر ابن حجر في (ص ٣٢) من فتواه الحديثية انه لا يجوز لغير المحدث رواية الاحاديث ونقلها بمجرد رؤيتها في الكتب بل لا بد من نقلها من كتب اهل الحديث الذين يعزون بين الصحيح وغيره وابن عقيل هذا ينقل في رسالته احاديث من غير الكتب المعتمدة ولا يعزوها الى احد من الحفاظ ولا الى كتبهم وفيها الموضوع والواهي الذي لا يحتج به والمحرف وهو لا يعرف اصلها . ومن غرائب التهافت انه عقد في رسالته فصلا للاحاديث الموضوعة وذكر انها أشد الاشياء خطراً على الدين

وممن يعدهم عمدة وحجة في الدين الغزالي وقد شنع في الاحياء وما بعده من كتبه على التقليد والفقهاء الذين أعلى من ابن حجر مرتبة فهل يأخذ برأيه في ذلك وهو يحمد اتباع السلف ويأمر بعد ذلك بالبدع التي تخالف سنتهم ويعتمد على أقوال الخلف وأعمالهم التي لم تكن في زمنهم

كذلك تراه يعظم الصوفية ويأمر باتباعهم والصوفية كلهم يتبرءون من التقليد ويقولون انهم لا يأخذون دينهم الا من عين الشريعة وهو كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد نقل في رسالته شيئا من أقوالهم في ذلك ، ولهم في ذلك ماهو أصرح مما نقله وأوضح . فماذا نحتج على مثل هذا المؤلف وهو ليس من أهل الحجة والدليل لأن هؤلاء هم الذين يسميهم هو وأمثاله المجتهدين ويقولون انهم قد انقرضوا ولا يأتي الله بمثلهم يقولون هذا افتياتا على الله وعلى الوجود بما لا يعلمون ؟؟

ومن غريب تناقضهم انهم على تبرئهم من الاستدلال الذي هو الاجتهاد تراهم

يحكمون في المسائل والوقائع حكم المجتهدين بمحض الجهل والهوى فيقولون هذا حلال وهذا حرام ، وهذا كفر وهذا إيمان ، وهذا العالم على هدى فيؤخذ بقوله وهذا على ضلال فيرد قوله ، فالأئمة المجتهدون لم يكونوا يجيزون لأنفسهم ان يقولوا مثل هذا الا بدليل فكيف صار هؤلاء المتأخرون الجاهلون فوق الأئمة يقولون في دين الله تعالى بغير دليل حتى كأن الله تعالى أذن لهم ان يشرعوا للناس من الدين ماشاؤا

ان مناقشة هؤلاء عبث والرد عليهم قليل الجدوى في الغالب ولا يمنع إضلالهم للعامة التي تثق بهم لموافقتهم لأهوائها في البدع والعادات الحاكمة عليها وانما السبيل الى ذلك ان يكثر العلماء الراسخون العارفون بدين الله تعالى ويتولون أمر التعليم والارشاد فمن أراد ان يسعى في انقاذ المسلمين مما هم فيه من الجهل والبدع ويردهم الى أصل دينهم فليسع في هذا وهو ما يهتم به بعض أصحاب الغيرة المصلحين اليوم وسيظهر أثره ان شاء الله تعالى عن قريب

على ان المؤلفين الذين يفسدون بمصنفاتهم ولا يصلحون قسمان: قسم طبع الله على قلوبهم وجمدوا على ما اعتادوه وألفوه باسم الدين وصار لهم به حظ من المال والجاه حتى تودع منهم ووقع اليأس من رجوعهم الى الحق . وقسم آخر لا يزال على شيء من نور الفطرة وسلامة القلب فهؤلاء وان سدوا على أنفسهم باب الاستدلال لا يزالون محل رجاء فهم يعودون الى الحق اذا ظهر لهم نوره . فلهؤلاء أقول :

انا ندعوكم الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى عليه وآله وسلم فان الله تعالى لم ينزل عليكم غير هذا القرآن ولم يرسل اليكم غير هذا الرسول (ص) وقد قال في كتابه انه أكمل لكم دينكم فكل من زاد في الدين شيئاً فهو غير مذعن لقوله تعالى (٣:٦ اليوم أكملت لكم دينكم) ولا قول نبيه (ص) في حديث ابي ثعلبة -الذي حسنه النووي في الاربعين وصححه ابن الصلاح « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها »

ندعوكم الى معرفة الكتاب والسنة والاهتداء بهما وان تستعينوا على فهمهما بما كتبه خدمتهما من أئمة الفقه والحديث والتفسير واللغة لانها كم عن الاستهداء

والاستعانة بكلام هؤلاء الأئمة بل ندعوكم اليه ولكن لاتجعلوا كلام هؤلاء العلماء شرعا مقصودا لذاته وتتركوا الاصل الذي كتبوا ما كتبوا لاجل خدمته وبيانه حتى يصير نسيا منسيا فيصدق عليكم ما نعاه القرآن على من قبلكم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم

أجمع سلف الأمة ومنهم الائمة الاربعة على تحريم التقليد ونصوصهم في ذلك مشهورة ذكرنا كثيرا منها في (محاورات المصلح والمقلد) ثم جاء المصنفون المقلدون فقالوا بوجوب التقليد للعاجز عن الاجتهاد ولكنهم اجمعوا على انه لايجوز تقليد المقلد وانما يجب تقليد الائمة المجتهدين ثم جاء المتأخرون يقولون بوجوب اتباع مثل ابن حجر وغيره من المقلدين فاذا كان قول مثل ابن حجر بوجوب التقليد ليس حجة عند أحد فهل يكون كلام مقلديه مما يعتد به وهو كلام مقلد المقلد الذي لا يفهم الكتاب والسنة ولا يعرف كلام من يقول انهم هم الذين فهموهما وبينوهما وهم الائمة المجتهدون؟؟

يدعي الشيخ عثمان بن عقيل وأمثاله في جاوه وحضرموت انهم متبعون للامام الشافعي رضي الله عنه ولكن الشافعي نص في كتبه على منع التقليد فكيف يكون المقلد متبعا له ! ؟

طبع في هذه الأيام كتاب الأم له مع رسالته في الاصول وطبع على هامشه مختصر صاحبه اسماعيل بن يحيى المزني فلينظروا كيف بدأ المزني مختصره بقوله بعد البسملة « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه وبالله التوفيق »

فالائمة رضي الله عنهم ما قصدوا لبيان الكتاب والسنة الا ليعينوا الناس على فهمها ولم يقصدوا أن يكون كلامهم شرعا يعمل به ويترك الكتاب والسنة استغناء به عنهما فهم مبلغون للكتاب والسنة لا شارعون فينبغي أن نستعين بكلامهم على الفهم ونعمل بما فهمنا

ذكر الشيخ عثمان في الفصل الثالث أن الائمة أهل الاجتهاد المطلق مبينون للكتاب والسنة والعلماء أهل الاجتهاد في مذاهب الائمة مبينون لكلام الائمة

كالغزالي وأهـل الترجيح والفتوى كابن حجر مبينون لكلام أهـل الاجتهاد في المذهب ، فهو يعترف بأن أصل الدين وأساسه كتاب الله وان السنة مبينة لما اجمل فيه وان الائمة مبينون للسنة الخ ويرى هو وأمثاله ان الواجب على جميع المسلمين الآن اتباع أصحاب الطبقة الاخيرة من المبينين كابن حجر فلنا مع هؤلاء أسئلة :

(١) ان علماء الاصول قالوا ان الوجوب هو حكم الله المقتضي للفعل اقتضاء جازما فمن أين أخذتم هذا الحكم الإلهي باتباع طبقة ابن حجر وهذه الطبقة لم توجد إلا بعد انقراض الائمة الذين فهموا الكتاب والسنة والطبقة التي فهمت كلامهم ؟

(٢) ان بعض العلماء جعلوا الطبقات ستة والاخيرة التي يعتمد عليها هي طبقة الناقلين الذين لا يعتد بفهمهم ولا ببحثهم كما بينه ابن عابدين في رسم المفتي فاذا أراد بعض العقلاء المستقلين من الافرنج ان يدخل في دينكم فكيف تقنعونه بوجوب اتباع الطبقة الثالثة أو السادسة مع اقراركم بأنها لا تفهم أصل الدين وانما تفهم عبارات طبقة فوقها أو تنقلها وتلك الطبقة لا تفهم أيضا بنفسها أصل الدين الخ ؟

(٣) اذا سلمنا لكم ما تقولون في هذه الدرجات من البيان وانكم أهل لان توجبوا على الامة حكما شرعيا لم يوجبه الله ولا رسوله ولا الصحابة والائمة الذين فهموا كلامهما وهو ايجاب اتباع هذه الطبقة من مقلدي المقلدين فيما سميتموه بيانا لبيان بيان بيان أصل الدين أفلا يجب ان يكون بين هذه الطبقات من البيان و بين الاصل المبين اتصال يعلم منه أنه بيان له و يزداد الاصل اتضاحا وجلاء ؟ أليس بهذا الاتصال يعقل أن يكون كلامهم بيانا ولا يمكن أن يعقل ذلك بدونه ؟

(٤) هل يعقل أن يحتاج كلام الله الذي سماه بيانا وتبيانا مع زيادة بيان الرسول (ص) له بأفعاله وأقواله الى كل هذه الطبقات من المبينين ؟. ألا ينافي هذا الاحتياج كونه بيانا وتبيانا وكون الدين قد كمل قبل وفاة رسول الله (ص)

(٥) اذا رأينا في كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة الثابتة عندنا حكما فهمناه وعقلناه ورأينا في كلام مثل ابن حجر ما يخالفه فهل يفرض الله علينا ان نترك كلامه وسنة رسوله الى كلام مثل ابن حجر لانه مبين لكلام مثل السبكي المبين لكلام مثل الشافعي المبين للكتاب والسنة ؟ فنترك الاصل الصريح الواضح الى كلام يخالفه

بناء على انه مبين له في الدرجة الرابعة من البيان ؟؟ هل يقول عاقل أو مجنون ان بيان الشيء يكون بخلافه ونقيضه . لو كان هذا السؤال مبنيا على شيء مفروض لصح أن يكون ناقضا لقاعدتهم فكيف وهو مبني على اساس ثابت وهو أن في كلام الفقهاء كثيرا من المسائل المخالفة لنصوص الدين لا سيا الاحاديث الصحيحة اخذوها من قواعدهم اومن ترجيح حديث ضعيف على صحيح أوالعمل به ابتداء فاخطأوا وما كانوا معصومين . وقد اورد ابن القيم في (اعلام الموقعين) اكثر من سبعين شاهدا على ذلك فتراجع فيه او في المجلد السادس من المنار . ومن هذه المخالفات ما هو للشافعية — وهو أقلها — ومنها ما هو لغيرهم

وليس هذا بالامر بالغريب فان الائمة انفسهم كانوا يقولون القول ثم يظهر لهم خطوءه فيرجعون عنه كما رجع الشافعي عن مذهبه القديم الى مذهبه الجديد وكما رجع علماء مذهبه إلى بعض المسائل من مذهبه القديم فأفتوا بها ترجيحا لها على الجديد لظهور دلائل تؤيدها وكما رجحوا بعض مسائل مخالفة للمذهب مطلقا كقول النووي في شرح صحيح مسلم ان الراجح من حيث الدليل ان نجاسة الخنزير كغيرها من النجاسات في الغسل وكفتوى الغزالي بعدم تنجس الماء القليل الا بتغير احد اوصافه من النجاسة وكما صرح الامام مالك عند موته بأنه كان يرى الرأي في المسألة ثم يظهر له خطوءه فيه فيرجع عنه و بكى لاجل ذلك حين بلغه أن الناس اخذوا بقوله وقلدوه فيه وكما رجع بعض الصحابة عن خطإهم وهم اعظم من هؤلاء الائمة وأعلم كرجوع عمر (رض) في مسألة المهور الى قول المرأة التي ردت عليه وهو يخطب في المسجد . فكل أحد من العلماء عرضة للخطإ فيما يقوله لأنه غير معصوم فيه إما لنسيان الدليل كما نسي عمر قوله تعالى (وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) فأراد أن يحدد المهر بمثل مهور بنات النبي (ص) واما لعدم علمه به لأنه لم يكن كل صحابي حافظا لكل القرآن ، و إما لعدم فهمه له كما اخطأ بعض الصحابة في فهم المراد من الخيط الابيض والخيط الاسود وفي فهم كيفية تيمم الجنب ، وغيرهم أولى بمثل هذا الخطأ في الفهم

فاذا كان كل أحد من علماء الامة عرضة للخطإ فيما يقوله لما ذكرنا وما لم نذكر من الاسباب والشواهد فلا جرم ان كل من يأخذ بقوله من غير ان يعرف اصله من

الكتاب والسنة هو عرضة لهذا الخطأ ولهذا قال ابو حنيفة وغيره لا يجوز لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من اين قلناه .

ونتيجة هذا كله أن كلام الأئمة يستعان به على فهم الكتاب والسنة ولا يترك الكتاب والسنة له بل يجعل فهمها هو المقصود بالذات والعمدة في الاهتداء ولا تترك الامة تعلمها والفقه فيهما قط ولا تهمل كلام أئمة العلماء والانتفاع بما فتح الله عليهم من الفهم فيهما مع البصيرة التي هي شأن المؤمنين

فنطالب من هؤلاء المعارضين لنا في الدعوة الى الاهتداء بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم التي جرى عليها سلف الامة ان يجيبونا عن هذه الاسئلة .

* * *

أما طعن السيد عثمان بن عقيل في شيخ الاسلام ابن تيمية لأن مثل ابن حجر الهيتمي طعن فيه فنقول فيه كلمات تكفي لرجوعه عنه وتوبته ان كان قال ذلك عن سوء فهم لا عن سوء قصد كما نظن فيه ترجيحا للخير على الشر وهي :

(١) إذا كنتم تقبلون طعن العلماء بعضهم في بعض مطلقا وتضللون كل من طعن فيه فانه لا يسلم لكم أحــد من أئمتكم لا في الفقه كالشافعي ولا في الحـديث كالبخاري ولا في الـكلام كالأشعري ولا في التصوف كالشاذلي وابن عربي ولا من المتفننين كالغزالي كما هو مبين في كتب التاريخ والتراجم ونقله معتمدكم الشعراني في أول كتاب اليواقيت والجواهر وغيره من كتبه وذكر التاج السبكي طائفة منه في طبقاته ومنها انهم طعنوا في والده التقي السبكي الذي هو عمدتكم في تخطئة ابن تيمية

(٢) إذا كنتم تسلمون معنا بأنه لا يجوز أن يضلل كل من طعنوا فيه ولا ان يتبع كل طاعن في طعنه فإما ان تسكتوا عن الطعن في العلماء ولا تخوضوا فيه وهو الاسلم لأمثالكم وإما أن تبحثوا عن سبب الطعن وتحكموا فيه الدليل وأنتم لا تدعون أهلية الحكم بين مثل ابن تيمية والتقي السبكي

(٣) إذا كنتم ترون أنفسكم أهلا لهذه المحاكمة فلا يكون حكمكم عادلاً كما أمر الله من يحكم بين الناس ان يحكم بالعدل الا اذا اطلعتم على ما كتبه ابن تيمية في

المسائل التي أنكرها عليه السبكي وغيره من المعاصرين له (دع مانسبه اليه من بعدهم زورا وبهتانا) ورأيتم أدلته ثم اطلعتم على كلام خصمه وأدلتــه . واما الحكم على شخص بمجرد سماع كلام خصمه فهوظلم بين كما هو بديهي

(٤) ان ما عزاه ابن حجر الهيتمي الى ابن تيمية من القول بان الرب تعالى محل للحوادث وان القرآن محدث وان العالم قديم بالنوع ومن القول بالجسمية والجهة وبان الرسول (ص) لا جاه له — كل ذلك مكذوب على ابن تيمية وكتبه الكثيرة مصرحة بخلاف ذلك ولم نر في كتب أحد من علماء الاسلام مثل ما رأينا في كتبه من الدلائل والبراهين على نفي هــذه الاباطيل وتفنيدها . فاما ان يكون ابن حجر قد ســمع تلك المطاعن من بعض الكاذبين فصدقها — وهو المرجح عندنا — وإما ان يكون هو الذي افتجر ذلك عليه وهو ما لا نظنه في مثله ، واما ان يكون ذلك مدسوسا على ابن حجر وقــد دس المفسدون كثيرا في الكتب كما بيّن ذلك معتمدكم الشعراني . ومهما كان سبب تلك المطاعن فهي لا قيمة لهــا مع استفاضة كتب الرجل بخلافها وقدطبع الكثير منها ولله الحمد — ومنه رسالة التوسل والوسيلة التي نقلنا منها نبذة في تفسير الجزء الماضي فيها إثبات الجاه للنبي (ص) ونقل في هذا الجزء نموذجا آخر منها — فعليكم ان تطلعوا على هذه الكتب ان كنتم الحق تطلبون

(٥) ان كلام مثل ابن حجر في ابن تيمية معارض بكلام من هو أعلم منــه بالرجال وبما قيل فيهم كسميّه الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو شيخ شيوخه وأعلمهم بالرجال فانظروا ما ذا قال في ابن تيمية في كتابه طبقات الحفاظ وغــيره من كتبه . وبمثل قوله فيه وثنائه عليه واعترافه له بمشيخة الاســلام قال وأثنى واعترف أكابر الحفاظ في عصره وبعد عصره وشهدوا له بالاجتهاد المطلق

(٦) ان كتب ابن تيمية أكبر شهادة من كل أولئك العلماء على كون الرجل وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق وقصارى ابن حجر انه في رتبة المرجحين في فقه الشافعية

فاين الثريا وأين الثرى ... واين معاوية من علي

هذا ماننبه اليه السيد عثمان صاحب رسالة فصل الخطاب التي أرسلت الينا حديثا

ونقول انا نحسن الظن فيه وان جاءنا فيه مطاعن كثيرة من علماء بلاده قالوا فيها انه عون الظالمين ونصير المستبدين .... وانما بما يغلب علينا من حسن الظن فيه نرى اذا تدبر كلا منا هذا رضيه واذعن له ان رآه حقا كما نرى ونعتقد وان رأى فيه شيئا باطلا بينه لنا بالدليل عملا بوجوب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والفرق بيننا و بين المنكرين علينا اننا لانقول شيئا بغير دليل واننا نصرح على رءوس الاشهاد بأننا نرجع الى الحق اذا ظهر لنا دليله . وانهم يقولون بغير دليل واذا قامت عليهم الحجة أعرضوا وادبروا ، وولوا واستكبروا ، الا من كان منهم مخلصا في إنكاره فانه يرجع الى الحق اذا ظهر وكان الله للأوابين غفورا

ثم نقول لصاحب السؤال ولأمثاله الذين يكلفوننا المرة بعد المرة الرد على الطاعنين في شيخ الاسلام ابن تيمية بالتفصيل عليكم بالكتاب الجديد الذي استقصى ذلك وطبع في هذا العام المسمى (غاية الأماني في الرد على النبهاني) وهو مجلدان كبيران لاحد علماء العراق الأعلام

هذا — وأما ترجمة القرآن فلنا فيها فتوى طويلة نشرت في المجلد الحادي عشر فتراجع فيه (ص ٢٦٨) فانها تغني عن قراءتنا للرسالة التي كتبها الشيخ عثمان و بيان خطإها من صوابها

* * *

﴿ تنبيه للمستفتين ﴾

ان من أسباب اغفال بعض الاسئلة أو تأخيرها زمنا طويلا لايجاب عنها وضع السائل إياها في ضمن خطاب يتكلم فيه عن أمور أخرى كالاشتراك في المنار أو طلب بعض الكتب . فأمثال هذه الخطابات تحفظ في أوراق حسابات المنار أو حساب المكتبة ولا نجد في الغالب وقتا لنسخ السؤال منها . واما الاسئلة التي تكتب في ورقة مستقلة فانها تحفظ في ظرف وحدها ثم تعطى للمطبعة عند ارادة الجواب عنها فلا تكلفنا ان ننسخها . فعلى المستفتين ان يكتبوا أسئلتهم في ورقة على حدتها إذا أحبوا ان لا تغفل ولا تؤخر كثيرا

نموذج

﴿ من كتاب التوسل والوسيلة ﴾

لشيخ الاسلام ابن تيمية الذي طبع في هذه الايام. قال بعد بحث وتحقيق ما نصه:

اذا عرف هذا فقد تبين ان لفظ الوسيلة والتوسل فيه اجمال واشتباه يجب ان تعرف معانيه ويعطى كل ذي حق حقه فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه فان كثيرا من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الاجمال والاشتراك في الالفاظ ومعانيها حتى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب،

فلفظ الوسيله مذكور في القرآن في قوله تعالى (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وفي قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ۞ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) فالوسيلة التي أمر الله ان تبتغى اليه واخبر عن ملائكته وانبيائه أنهم يبتغونها اليه هي ما يتقرب به اليه من الواجبات والمستحبات فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرما أو مكروها أو مباحا فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به

أمر ايجاب أو استحباب ، وأصل ذلك الايمان بما جاء به الرسول فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل اليه باتباع ماجاء به الرسول لا وسيلة لأحد الى الله الا ذلك

والثاني لفظ الوسيلة في الاحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم «سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون انا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة » وقوله «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته انك لا تخلف الميعاد حلت له الشفاعة» فهذه الوسيلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقد أمرنا ان نسأل الله له هذه الوسيلة واخبر انها لا تكون الا لعبد من عباد الله وهو يرجو أن يكون ذلك العبد وهذه الوسيلة أمرنا ان نسألها للرسول واخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلت عليه الشفاعة يوم القيامة لان الجزاء من جنس العمل فلما دعوا للنبي صلى الله عليه وسلم استحقوا أن يدعو هو لهم فان الشفاعة نوع من الدعاء كما قال انه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا

واما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته . والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الاقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الانبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح

وحينئذ فلفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين ويراد به معنى

ثالث لم ترد به سنة * فاما المعنيان الاولان الصحيحان باتفاق العلماء فأحدهما هو أصل الايمان والاسلام وهو التوسل بالايمان به وبطاعته والثاني دعاؤه وشفاعته كما تقدم فهذان جائزان باجماع المسلمين ومن هذا قول عمر بن الخطاب : اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا. أي بدعائه وشفاعته * وقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) أي القربة اليه بطاعته وطاعة رسوله طاعته قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فهذا التوسل الاول هو أصل الدين وهذا لا ينكره أحد من المسلمين

واما التوسل بدعائه وشفاعته كما قال عمر فانه توسل بدعائه لا بذاته ولهذا عدلوا عن التوسل به الى التوسل بعمه العباس ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس فلما عدلوا عن التوسل به الى التوسل بالعباس علم ان ما يفعل في حياته قد تعذر بموته بخلاف التوسل الذي هو الايمان به والطاعة له فانه مشروع دائما

فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان أحدها التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الايمان الا به والثاني التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته ويكون يوم القيمة يتوسلون بشفاعته والثالث التوسل به بمعنى الاقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ولا يعرف هذا في شيء من الادعية المشهورة بينهم * وانما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة كما سنذكر ذلك ان شاء الله تعالى وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه انه لا يجوز ونهوا عنه حيث قالوا لا يسأل

بمخلوق ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك . قال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة . وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة * قال بشر بن الوليد : حدثنا أبو يوسف قال قال أبو حنيفة لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به واكره ان يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك . وهو قول أبي يوسف قال أبو يوسف بمعقد العز من عرشه هو الله فلا اكره هذا واكره ان يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام . قال القدوري المسئلة بخلقه لا تجوز لانه لا حق للمخلوق على الخالق فلا تجوز وفاقا * وهذا الذي قاله ابو حنيفة واصحابه من ان الله لا يسئل بمخلوق له معنيان احدهما هو موافق لسائر الائمة الذين يمنعون ان يقسم احد بالمخلوق فانه اذا منع ان يقسم على مخلوق بمخلوق فلأن يمنع ان يقسم على الخالق بمخلوق اولى واحرى . وهذا بخلاف اقسامه سبحانه بمخلوقاته كالليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى والشمس وضحاها والنازعات غرقا والصافات صفا فان اقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته ما يحسن معه اقسامه بخلاف المخلوق فان اقسامه بالمخلوقات شرك بخالقها كما في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «من حلف بغير الله فقد اشرك» وقد صححه الترمذي وغيره وفي لفظ «فقد كفر» وقد صححه الحاكم وقد ثبت عنه في الصحيحين انه قال «من كان حالفا فليحلف بالله» وقال «لا تحلفوا بآبائكم فان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم» وفي الصحيحين عنه انه قال «من حلف باللات والعزى فليقل لا اله الا الله» وقد اتفق المسلمون على انه من حلف بالمخلوقات

المحترمة او بما يعتقد هو حرمته كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة والصالحين والملوك وسيوف المجاهدين وترب الانبياء والصالحين وايمان السدق وسراويل الفتوة وغير ذلك لا ينعقد يمينه ولا كفارة في الحلف بذلك

والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب ابي حنيفة واحد القولين في مذهب الشافعي واحمد وقد حكي اجماع الصحابة على ذلك . وقيل هي مكروهة كراهة تنزيه والاول اصح حتى قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر : لأن احلف بالله كاذبا احب اليّ ان احلف بغير الله صادقا . وذلك لأن الحلف بغير الله شرك والشرك اعظم من الكذب . وانما نعرف النزاع في الحلف بالانبياء فعن احمد في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتان احدهما لا ينعقد اليمين به كقول الجمهور مالك وأبي حنيفة والشافعي والثانية ينعقد اليمين به واختار ذلك طائفة من أصحابه كالقاضي واتباعه وابن المنذر وافق هؤلاء . وقصر أكثر هؤلاء النزاع في ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وعدى ابن عقيل هذا الحكم الى سائر الانبياء . وايجاب الكفارة بالحلف بمخلوق وان كان نبيا قول ضعيف في الغاية مخالف للاصول والنصوص فالاقسام به على الله والسؤال به بمعنى الاقسام هو من هذا الجنس .

(المنار) ثم حقق المصنف مسألة سؤال الله بما ليس سببا للاجابة كسؤاله بخلقه وسؤاله بما هو سبب شرعي للإجابة كالايمان والطاعة . وقد أودعنا بعض كلامه في تفسير الجزء الماضي (السابع) ثم قال من فتوى أفتاها بمصر ما نصه :

فاما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته مثل الاقسام بذاته أو بغيره من الانبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشروعاً عند الصحابة والتابعين بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن ابي سفيان ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان لما اجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس وكيزيد ابن الاسود ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي صلى الله عليه وسلم لا عند قبره ولا غير قبره بل عدلوا الى البدل كالعباس وكيزيد بل كانوا يصلون عليه في دعائهم، وقد قال عمر اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا. جعلوا هذا بدلا عن ذلك لما تعذر ان يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه وقد كان من الممكن ان يأتوا الى قبره ويتوسلوا هناك ويقولوا في دعائهم بالجاه ونحو ذلك من الالفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به فيقولون نسألك أو نقسم عليك بنبيك أو بجاه نبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس

وروى بعض الجهال عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: اذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فان جاهي عند الله عظيم، وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث مع ان جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الانبياء والمرسلين وقد أخبرنا سبحانه عن موسى وعيسى عليهما السلام انهما وجيهان عند الله فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها)

وقال تعالى (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) فاذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله عز وجل فكيف بسيد ولد آدم صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون، وصاحب الكوثر والحوض المورود الذي آنيته عدد نجوم السماء وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة حين يتأخر عنها آدم وأولو العزم نوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويتقدم هو اليها، وهو صاحب اللواء آدم ومن دونه تحت لوائه، وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على ربه عز وجل، وهو امام الانبياء اذا اجتمعوا وخطيبهم اذا وفدوا ذو الجاه العظيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله

ولكن جاه المخلوق عند الخالق تعالى ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فانه لا يشفع عنده أحد الا باذنه (إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ۞ لقد احصاهم وعدهم عدا) وقال تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ۞ فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا)

والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير اذنه فهو شريك له في حصول المطلوب والله تعالى لا شريك له كما قال سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من

شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)

وقد استفاضت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من يفعل ذلك ونهى عن اتخاذ قبره عيدا وذلك لان أول ما حدث الشرك في بني آدم كان في قوم نوح قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان نوحا أول رسول بعثه الله الى أهل الارض وقد قال تعالى عن قومه انهم قالوا (لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرُنّ ودًّا ولا سواعا * ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا) قال غير واحد من السلف هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا اعكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الامد عبدوهم . وقد ذكر البخاري في صحيحه هذا عن ابن عباس وذكر ان هذه الآلهة صارت الى العرب وسمى قبائل العرب الذين كانت فيهم هذه الاصنام

فلما علمت الصحابة رضوان الله عليهم ان النبي صلى الله عليه وسلم حسم مادة الشرك بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد وان كان المصلي يصلي لله عز وجل كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس لئلا يشابه المصلين للشمس وان كان المصلي انما يصلي لله تعالى وكان الذي يقصد الدعاء بالميت او عند قبره اقرب الى الشرك من الذي لا يقصد الا الصلاة لله عز وجل لم يكونوا يفعلون ذلك وكذلك علم الصحابة ان التوسل به انما هو التوسل بالايمان به وطاعته ومحبته وموالاته والتوسل بدعائه وشفاعته فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا وهذا فلما لم يفعل الصحابة رضوان الله عليهم شيئا

من ذلك ولا دعوا بمثل هذه الادعية وهم اعلم منا [١] واعلم بما يحب الله ورسوله واعلم بما امر الله به رسوله من الادعية وما هو اقرب الى الاجابة منا بل توسلوا بالعباس وغيره ممن ليس مثل النبي صلى الله عليه وسلم — دل عدولهم [٢] عن التوسل بالافضل الى التوسل بالمفضول ان التوسل المشروع بالافضل لم يكن ممكنا الخ

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الدكتور شبلي افندي شميل ﴾

اطلعت في مجلة الهلال شهر حزيران سنة ١٩٠٩ على مقالة للدكتور المومأ اليه بحث بها بحثا فلسفيا يخال المطالع من أول وهلة ان الدكتور قصد بها محاربة الاديان السماوية على الاطلاق بما توخاه من نفي الخلق واثبات النشوء وقد عجبت بعد اطالته لتأييد هذا المذهب الجديد من قوله : « لا حياء في الدين » وهذا مما يدل ان للدكتور دينا فما هو دينه يا ترى ؟

سعى اخوان الدكتور المومأ اليه لاخذ توقيع بعض الناس لانتخابه عضوا في مجلس الاعيان العثماني بصفة انه عالم مسيحي والعالمية والمسيحية صفتان مرتبطتان بنواميس وقواعد توجب السلامة لكل بني البشر باعتبار ان للاسلام أصولا تقضي باحقاق الحق كما ان الدين قانون لمكارم الاخلاق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكنت أستغرب عدم تعيين المومأ اليه بعد ذلك الانتخاب ولعل الذين رفضوا

(١) يحتمل أن يكون هنا شيء محذوف وهو ما يأتي نظير له في لاحق الكلام ويحتمل أن يكون المراد انهم أوسع علما منا على الاطلاق ثم عقب ذلك بقيد على المتعلق

(٢) هذا جواب قوله فلما علمت الصحابة الخ

قبول تعيينه عضوا في المجلس الآنف الذكر عرفوا ان الدكتور على مذهب دارون وانه ليس بمذهب معقول ولا مشروع ولا له اتباع في البلاد العثمانية ليكون نائبا عنهم لان أصحاب الاديان المعروفة هم المسلمون والنصارى واليهود .

كنت أقف مبهوتا كلما نظرت إلى مصوَّر الانسان «أطلس رسوم هيا كله على اختلاف أشكالها » وما احتوت عليه من تراكيبه الكلية والجزئية الظاهرة والخفية التي لا تدون ولن تدون لانطواء كل شيء في العالم الكبير العظيم ضمن هذا الجرم الصغير وكنت أكرر تمجيد قدرة الخالق سبحانه كلما تأملت في الاوعية والاوردة والادوات والمصانع وأسبحه وأقدسه لإعطائه كل شيء خلقه وهدايته إلى استعمال وظيفته وانشد قول الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في توجيه الخطاب إلى الانسان

وتحسب انك جرم صغير　　وفيك انطوى العالم الاكبر

وأقول في نفسي ان الاطباء يلزم ان يكونوا أكثر الناس اعتقادا بتوحيد الخالق سبحانه لوقوفهم على حقائق ودقائق ولطائف في تركيب الانسان لا يعرفها غيرهم كما انه لا زلنا نسمع عن أساطين الاطباء انهم كلما اكتشفوا شيئا جديدا يقولون ان الطب لم يزل طفلا « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »

وبالنظر الى الدقائق واللطائف والرقائق المنطوية في العالم الانساني قال بعض علماء الصوفية « من عرف نفسه فقد عرف ربه »

واذا قلنا ـ وهو الواقع ـ ان الاطباء أكثر الناس علما بنظام العالم الإنساني فهل يسلم العقل انهم ينسبون الى الطبيعة الجامدة غير المتصفة بالعلم والقدرة والارادة انها أوجدت هذا الانسان العاقل بالنشوء « سبحانك هذا بهتان عظيم »

الكون موجب للحيرة أو هو بعجائبه محل الحيرة ولذلك قال بعض شيوخ علماء التصوف « العجز عن درك الادراك إدراك »

واذا كانت علوم مدنية اوربا لبواعث نقف تأدبا عن ايرادها قد احتوت على الالحاد فقد احتوت ايضا على علوم ذات فوائد عظيمة اجتماعية واخلاقية واقتصادية

وسياسية الى غير ذلك والشرق بحاجة اليها وخصوصا بدورنا الدستوري ذلك الدور السعيد الذي يقضي بتوحيد مشارب عناصر الوطن وتماسكهم لكي يسعدوا بالوطن ويسعد بهم وذلك يستلزم ان ينقل الى الوطن من علوم مدنية اوربا ما يعود عليه وعلى ابنائه بالخير واسمى المطالب وخصوصا لجهة البحث عن احوال بلاد النمسا والمجر المشابهة من حيث تعدد العناصر البلاد العثمانية وبيان البواعث التي قضت بوحدة تلك العناصر واتفاقها وقيامها شعبا واحدا يؤيد مصلحة الوطن ويعزز قوته

ألم يكن البحث بمثل ذلك خيرا واعم نفعا من تأييد مذهب دارون ذلك المذهب الذي قضاياه تخيلات افتراضية صورها الوهم وقربها الاعتقاد بها وهي لا يمكن ان تحل في محل دين من الاديان مطلقا . نعم ان من يميل اليها يكون حجر عثرة في سبيل الفاف والانسانية والعدالة تأخذ بيد من مال منها الى الاهواء وتحسره على فك ارتباطه من قيود الدين الادبية فتسوء عاقبته ويتحمل صاحب هذه البدعة مثل وزر ذلك المسكين الذي مرق من الدين بالاغواء وزخرف القول المموه

ومن المؤكد ان الاعتقادات الفاسدة التي تناقض الدين فضلا عن انها تبعد الانسان عن خالقه فهي توجب شرورا تؤخر الوطن بأدبياته وماديانه فنرجو من أفاضل الشرقيين الذين وهبوا العلم أو تحصلوا عليه بجدهم ان يتحفوا الشرق بغرر فوائد أوربا وحسناتها ويدعونا من إلحاد الملحدين لان الحسن في نفسه حسن ويوجب حسن الاحدوثة والسيء في نفسه سيء ويوجب سوء العاقبة اجارنا الله من ذلك وان يهبنا الصدق في القول والاخلاص في العمل

بيروت عبد القادر قباني

(المنار) صاحب هذه الرسالة يعرفه كثير من قراء المنار ومنهم من لا يعرفه، هو شيخ رجال الصحافة وكبيرهم عبد القادر افندي القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون التي عاشت أكثر من ثلث قرن وأوقفت في العام الماضي وكان مديراً للمعارف ببيروت الى ذلك العام . وقد جرى في دفاعه عن الدين في رسالته هذه على ما تعوّد فجزاه الله عن نفسه ودينه خيرا ، .

ولكنه جاء بشيء من المبالغة في الكلام عن مذهب داروين ومخالفته الدين

وافضائه الى الشرور حتى جوز ان يكون هو الذي منع جعل الدكتور شميل عضوا في مجلس الاعيان كما طلب الكثيرون من السوريين . وعجيب من مثل القباني ان يخطر هذا في باله! وهل يظن انه لا يوجد في رجال المجلس العمومي من المبعوثين والاعيان من يقول بصحة رأي داروين في تباين الأنواع ؟ وهل كان الكاتب نفسه يمنع كتب داروين وكتب من على رأيه من المدارس وغير المدارس لو بقي مديرا للمعارف بعد الدستور أو صار ناظرا للمعارف العمومية ؟

أؤكد لصديقي الكاتب ان مذهب داروين لا ينقض — ان صح وصار يقينا — قاعدة من قواعد الاسلام ، ولا يناقض آية من آيات القرآن ، وأعرف من الاطباء وغيرهم من يقولون بمثل قول داروين وهم مؤمنون إيمانا صحيحا ومسلمون إسلاما صادقا يحافظون على صلواتهم وسائر فرائضهم ويتركون الفواحش والاثم والبغي التي حرم الله تعالى عملا بدينهم . على ان هذا المذهب علمي ليس من موضوع الدين في شيء

ثم انني أعلم ان الدكتور شميلا لم يكتب ما كتب ردا على صاحب مجلة الهلال الا إنكارا لبعض ما قاله في الاستدلال على صحة الدين من طريق العلم ولم يقصد بذلك التعرض لإبطال الدين نفسه ، إعني ان بحثه كان في الدليل لا في المدلول . وهو وان كان غير متدين لا يستجيز الكتابة في إبطال الدين والتنفير عنه بل انكر قولا وكتابة على جماعة من ايطاليا انشأوا مدرسة في الاسكندرية ظهروا فيها بمقاومة الدين . ولو كانت كتابته للهلال في الاعتراض على الدين لكنا ممن عني بالرد عليه

لا فرق بين الدكتور شميل وبين الكثيرين من اهل بلادنا الذين يرون رأيه في الدين وأكثرهم من النصارى المتعلمين (أي من النصارى جنسية لا اعتقادا) الا أنه هو يصرح برأيه لأن ظاهره وباطنه سواء لا نفاق عنده ولا جبن ولا مصانعة . والذين يجلون علمه واختباره لم يسعوا الى جعله عضوا في مجلس الاعيان المدافعة عن مذهب داروين فانهم يعلمون ان مجلس الاعيان لا يعرض عليه هذا المذهب ليبدي رأيه فيه وانما أحبوا ان يكون في ذلك المجلس عضو عربي سوري هو من أوسع العثمانيين

علما واختبارا ، وأشدهم حرية واستقلالا ، وحرصا على عمران البلاد ، وارتقاء أهلها في العلوم والآداب ،

اما قول الكاتب الغيور ان الاطباء يلزم ان يكونوا اكثر الناس اعتقادا بتوحيد الخالق فهو صحيح وهو يعني انهم جديرون بأن يكونوا اشد اعتقادا واقوى توحيدا وما ارى الا ان المؤمنين منهم بالله تعالى موحدون لا شرك في ايمانهم ولا وثنية كما في ايمان اكثر الناس (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) وليس للكاتب أن يعجب من حرمان بعضهم من الايمان وهو قد صرح بأن الكون موجب للحيرة أو هو بعجائبه محل الحيرة . والكلمة التي عزاها في هذا المقام لبعض شيوخ الصوفية يعزونها الى الصدّيق الاكبر وهل يظن ان احداً من علماء الكون - الطب وغيره - الكافرين موقن في كفره ؟ كلا إن هم إلا حائرون ولكن الحائرين فريقان فريق نشأ على دين وتربى عليه فظل لابسا له ، وفريق نشأ وتربى في مهد الحرية والاستقلال كالافرنج ومن تلا تلوهم فهم في حيرتهم هذه لا يلبسون لباس الدين

اما سبب فشو الكفر في هؤلاء الناس فهو أنهم يتعلمون العلوم الكونية باحسن الاساليب واقرب الطرق الى الاذهان ولا يتعلمون معها دينا يتفق معها ويرون فيما عليه اهل الاديان كلها أباطيل ينقضها العلم نقضا ويهدمها هدما . ولا يوجد الآن في الارض دين يتفق مع العلم الا دين الاسلام الذي هو دين القرآن لا دين جماهير المسلمين الذين يلتمسون الخيرات والحسنات ، ويدفعون الشرور والسيئات ، بالاستغاثة بالالوف من الاموات ، والطواف بقبورهم والتمسح بما ينسب اليهم من قبر حجري او خشبي ، وقفص من نحاس اوحديد ، و باب من الخشب ، وعمود من الرخام ، وشجرة من الاشجار ، وحجر من الاحجار ، و بئر من الآبار ، وجلد من النعال ، وخرقة من القماش ، — الذين يضيق دينهم عن قلنسوة أو كمة تلبس للوقاية من الشمس ، فما بالك بما لا يحصى من مكتشفات العلم ونتائج العقل !

فهلمّ ايها الكاتب الغيور نتعاون على جهاد البدع والخرافات ، والتقاليد والعادات ، التي الصقت بهذا الدين فجعلته كغيره أو أشوه من غيره في نظر العالمين ، ونجاهد أنصار هذه الضلالات من ارباب العمائم ، الذين هم اضر على الدين من ملحدي

داروين ، لعله يتيسر لنا انقاذ الاسلام من هؤلاء الجاهلين واخراجه من جحر الضب الذي وضعوه فيه ، ونبين لاهل العلوم والعرفان انه بريء من هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، واتخذوه هزؤا ولعبا ، وانه هو الحنيفية السمحة وهم المائلون المضيقون ، وانه فطرة الله التي فطر الناس عليها وهم عن الفطرة ناكبون ، وانه موافق لمصالح البشر في كل زمان ومكان وهم لا يوافقون ، فاذا نجحنا في هذا فانا الضامن لك على الاطباء والكيماويين ، والطبيعيين والفلكيين ، والاجتماعيين والاشتراكيين ، والقانونيين والسياسيين ، أن يفضلوه على جميع الاديان ، و يرجحوا جعله دين المدنية في هذا الزمان

أرأيتك هذا الدكتور شميل الذي ترد عليه ، انه يقول في كل نادو سامر ، وعلى مسمع من المؤمن والكافر ، انه لا يوجد دين اجتماعي إلا دين القرآن ، فهو بهذا القول يدعو إلى نصف الاسلام وهو النصف الدنيوي منه ولكن يوجد فينا كثير من أصحاب العمائم ينفر عنه بقسميه الدنيوي والأخروي !!

واما ما أشار اليه الكاتب الغيور من حث امثال الدكتور شميل على وضع المؤلفات في الفنون والعلوم العصرية النافعة للامة في هذا العصر فهو أفضل ما ينبغي الحض عليه والترغيب فيه لتكون لغة البلاد غنية بعلمائها ، وسيكون هـذا على قدر عناية الأمة والحكومة بالعلم والله الموفق و به المستعان

﴿ المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت ﴾

(مقدمة رسالة) قد كان من سيئات الحكومة الاستبدادية لاسيما الحميدية منها ان يذل المسلمون لكل خسف ينالهم حتى العبث بدينهم لأن السلطان عبد الحميد كان قد منع المسلمين من جميع أنواع الاجتماع ومن الحديث والكتابة فيما يتعلق بالأمور العامة ومن تقديم الشكاوى للحكومة في المظالم العمومية دينية كانت أو دنيوية فلم يكن للأمة ان تقدم محضرا وانما كانت الشكوى خاصة بالافراد !! ولما سقطت سلطته ـ لا سقى الله عهدها ـ كان مما شكا منه التلاميذ المسلمون في المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت وشايعهم عليه الرأي العام إلزام المدرسة إياهم بتعلم الديانة النصرانية وحضور عبادتها في الكنيسة كما علم مما نشرناه في العام الماضي . وقد انتهى

الامر الآن بما يعلم و يعلم مقدار السخط منه من الكتاب الآتي :

سيدي وجل الاسلام والمسلمين السيد رشيد افندي رضا حفظه الله

عرفتم بالتفصيل ما صار اليه أمر الاعتصاب الاسلامي في الكلية وكيف ان العمدة تلافت الخطر المحدق بها باعفائها التلامذة من حضور الكنيسة موقتا والآن وقدأوشكت السنة المدرسية ان تنتهي لم نشعر الاوالرئيس يستقدم التلامذة من مسلمين و يهود لغرفته طالبا منهم التوقيع على صك تعهدا منهم بالقيام بالواجبات الدينية في السنة المقبلة من دخول كنيسة ودرس توراة وانجيل حسب الشروح والتعاليق البروتستانتية التي ينفر منها المسلم و يشك في صحتها كل من له مسكة من العقل واذا آنس من أحدهم رفضا أو ترددا يفهمه بعدم قبوله في السنة الثانية حتى ولو لم يبق له إلا سنة أو سنتان لنيل الشهادة وقد وقع هذا فعلا مع أحد العثمانيين الاسرائيليين ·

فياركن الاسلام المتين أطلب منك ان تحمل بقلمك وعملك وفتاويك الحملة الشعواء على خطة الكلية وتظهر الملأ سوء نيتها وتسدد لهم الاضرار الناتجة عن تساهل المسلمين في أمور دينهم حتى لايبقى عذر للآباء ولاحجة للابناء ، وإن الكلية لفي خوف من المسلمين ولاسيا إذا وجد من يحركهم تحريكا لا تعمله القوة الكهربائية ليفسد ما بنوه من الاوهام منذ اثنين وأربعين سنة

عرفتك فيما مضى تحض المسلمين على ايجاد مدرسة للاستعاضة عن الكلية قبل مناقشتها الحساب أو قبل الرغبة اليها بإصلاح نظاماتها فنعم الرأي رأيك والنصيحة نصيحتك وقد عرف كل مسلم مالك من القدم الراسخة و بعد النظر في الامور العقلية والنقلية ولكن ياسيدي ماعسانا نفعل وقد دُفع المسلمون الى الاعتصاب بتأثير من القوى الطبيعية وقوانينها التي سنها الله واهم تلك القواعد هي أن كثرة الضغط تستوجب الانفجار

فيامن اتخذك الكبير اخا والصغير ابا مدّ يدَ المساعدة الى مسلمي الكلية وحرض المصريين بجرائدهم اليومية ومجلاتهم للاعتراض على الكلية فلقد عرفنا أن ليس للمدرسة من حجة تستند عليها ولقد أقرَّ كاتب العمدة امامي بان المدرسة عثمانية تتبع كل أمر مصدره الاستانة ، وذكرهم ان ما علينا الا أن نصب الشكوى من جميع

الجهات واعلم أن كل ما تفعله الكلية لتأييد مركزها هو من باب السياسة وليس له ظل من الحقيقة واعلم أن ليس كل كلام يصدر عن كاتب له تأثير ككلامك

فكأني بالاسد الآن وقد ثار من مربضه مدافعا عن الاشبال خيفة ان يصيبهم اذى من الاغرار ليظهر ان للاسلام صوى هو منارة يستضاء بنوره اذا اشتد حالك الظلام فلا زلت للاسلام عضدا وللمسلمين مرشدا مقر بفضلك

بيروت عبد القادر القندور

(المنار) هذا الذي عملته المدرسة الآن هو الذي كنا نحسبه فان هؤلاء الافرنج أشد خلق الله تعصبا للدين وهم الذين نفخوا روح التعصب الذميم في الشرق كما بينا ذلك مرارا ولكنهم هم ومن ربوه على تعصبهم يشيعون في بلادنا أن الشرق هو مهد التعصب « ومنتهى بدائها وانسلت » حتى راج ترويجهم هذا على الجمهور ومنا ولا يبعد ان يعدوا كراهتنا لاكراهم إيانا على دينهم تعصبا منا وتساهلا منهم !!!

إنهم علموا ان الحكومة العثمانية الآن تمنعهم من اكراه غير النصارى على التعاليم والأعمال النصرانية ولا يمكنهم أن يعبثوا بها كما كانوا يعبثون في زمن عبد الحميد فلجأوا الى هذه الحيلة التي ليس أمامهم سواها ولا يرجعون عنها بحملة الجرائد عليهم لأن بث دينهم هو الغرض الأول لهم من مدارسهم لاسيما في الشرق فلا يثنيهم عنه شيء الا ان يكون قوة الحكومة والحكومة لا تمنع الا الإكراه

فالرأي إما ترك التلاميذ المسلمين لهذه المدرسة ان كانوا يستغنون عنها بغيرها، وإما البقاء فيها مع تلافي ضرر التعاليم المخالفة لدينهم وجعل ذلك ذريعة الى منافع أخرى دينية ودنيوية

أما الاستغناء عن المدرسة بمثلها أو خير منها فلا سبيل اليه اذ لا يوجد في بلادنا مثلها في تعليمها وتربيتها وأما الثاني فهو ميسور والذي ننبه اليه منه أمور (١) مطالعة الكتب الاسلامية التي تبين حقيقة الاسـلام ككتب الاستاذ الامام وأقواله في التوحيد والتفسير والنسبة بين الاسلام والنصرانية وكتاب روح الاسلام للقاضي أمير علي (٢) مطالعة الكتب التي تعارض كتبهم التعليمية الدينية ككتاب اضرار تعليم التوراة والانجيل لأحد علماء الانكليز وهو يوجد بالعربية والانكليزية وغيره من الكتب الانكليزية التي يمكن ان يرشدهم اليها سليم افندي التنير (٣) المواظبة على

الصلوات الخمس لا سيما مع الجماعة اذا إمكن وغير ذلك من الاعمال الاسلامية كالصوام في هذه الايام (٤) ما أمر الله به من التواصي بالحق والتواصي بالصبر، ومنه التواصي باعداد النفوس لمسابقة القوم الى مثل عملهم في الجمع بين العلم والدين وانشاء مثل هذه المدرسة في بيروت وغيرها من البلاد فان عملهم هذا مما يحمد

قد بينا فيما كتبناه عن مسألة هذه المدرسة في العام الماضي ان المسلم لا يكون نصرانيا كما قال السيد جمال الدين وغيره من العارفين ، وقلنا هناك أيضا ان هذا التعصب من هؤلاء الافرنج لا سيما القائمين بأمر هذه المدرسة هو الذي يحيي الشعور الديني في نفوس غير النصارى من التلاميذ في هذه المدرسة فعمل رجال المدرسة يأتي بنقيض ما يريدون منه ويصدق فيه على المسلمين قوله تعالى (٢ : ٢١٦ وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم)

ان المسلم البصير بدينه لا يمنع من النظر في كتب أي دين من الاديان ولا من سماعها ولكن علماء الاسلام متفقون على انه لا يجوز للمسلم ان يتلبس بعبادة أهل دين آخر ويعدون تلبسه بها الذي يكون به كأهلها لا يميزه الرائي عنهم من الردة فاذا ثبت عند القاضي ذلك في دعوى ارث مثلا فانه يحكم بأن من هذا شأنه لا يرث من أبيه المسلم ، وما أظن ان تعصب عمدة المدرسة يصل الى هذا الحد فان هم وصلوا اليه ورفع الامر الى الحكومة فانها تمنعهم منه بلا شك سواء تهدد التلميذ به أم لا ، ثم ما كل ما يحكم به في الظاهر يوافق الباطن ، وما كل ما يسميه النصارى صلاة (دعاء) ممنوع عندنا ولكن التشبه بهم فيما هو خاص بهم من أمر الدين ممنوع قطعا

﴿ غلط فاحش يجب اصلاحه بالقلم ﴾

في السطر ٢٣ من صفحة ٥٧٨ وفي السطرين ٣ و ٤ من صفحة ٥٧٩ من مجلد المنار الحادي عشر : ﴿ والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ أي فضل خاص لا يشاركهم فيه غيرهم وهو عناية بهم وتوفيقهم ، وصوابه هكذا : ﴿ ان الله غفور حليم ﴾ لا يعجل بتحتيم العقاب ومن آياته مغفرته لهم وحلمه بهم توفيقهم

وفي السطر الاول من صفحة ٥٢٨ من الجزء الماضي : كلمة « السابع » وصوابها التاسع

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر-الخميس ٣٠ رمضان ١٣٢٧ - ١٤ اكتوبر (تشرين الأول) ١٢٨٥هـ ١٩٠٩م)

ابو حامد الغزالي (*

٦

(رأيه في اثبات مذهب أهل الحق من المسلمين)

« و في مذهب الباطنية اهل التعليم »

(وفيه رأيه في آيات النبوة وفي خروج المسلمين من الخلاف)

(تمهيد) كان الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين دينا واحدا والمسلمون أمة واحدة لا فرق فيهم ولا مذاهب ثم حدثت المذاهب في الاصول والفروع ووقع المسلمون فيما نهاهم الله تعالى عنه من الاختلاف والتفرق الى شيع متعددة كل شيعة منها تنتحل مذهبا ولم يضر المسلمين في دينهم ودنياهم شيء كهذا التفرق ولذلك لم يشدد القرآن في النهي عن شيء كما شدد في النهي عن الخلاف والتفرق كما بينا ذلك في تفسير القرآن الحكيم وفي مواضيع كثيرة من المنار

وكان شر المذاهب وأشأمها في هذه الامة مذهب الباطنية الذين ذهبوا الى ان للدين ظاهرا و باطنا وان الباطن منه هو الحق المراد لله تعالى وانه لا يمكن ان يعرف

*) تابع لما نشر في (ص ٦٠١) من المجلد الحادي عشر

من النظر في الكتاب والسنة بطرق النظر المعروفة في الاصول وقوانين اللغة التي للألفاظ والمعاني بل لا بد في كل عصر من إمام معصوم يؤخذ عنه الدين بالتسليم الأعمى حتى إذا قال إن الشمس والقمر في القرآن لا يراد بهما هذان الكوكبان المعروفان وانما يراد بهما فلان وفلان وجب تصديقه فلا يعارض شيء من تعليمه بمخالفة اللغة ولا العقل ولا النص !!!

وان لهذا المذهب بل الدين الذي ظهر بمظهر المذهب درجات في الاعتقاد ودرجات في الدعوة ليس هذا المكان بمحل لبيانها . والدرجة الاخيرة منها هي اعتقاد أن إمامهم هو الله الذي خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب (تعالى الله عما يقولون) وقد ظهروا في أطوار وتسموا بأسماء أشهرها في زمن الغزالي الاسماعيلية وكان رئيسهم يومئذ حسن بن الصباح الشهير . وآخر فرقهم المشهورة في زمننا هذا فرقة البابية أو البهائية من البابية

ما ظهرت بدعة ولا ضلالة قام بها أهل مذهب إلا ووصل الى غيرها من المذاهب شرها ، وسرى الى أهلها ضرها ، وكان أقرب الفرق الى الباطنية فرقة الشيعة لقولهم بعصمة الائمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم الرضوان والسلام) بل كانت الباطنية في الزمن الماضي والحاضر من الشيعة كالعبيديين بمصر والبابية في فارس ، وهم ليسوا في الحقيقة من الشيعة ولا من المسلمين والشيعة تقول بكفرهم كغيرها

كذلك يشتبه مذهبهم بمذهب الصوفية الذين يقولون ان للقرآن ظاهراً وباطناً وان للدين أسراراً لا يفهمها الا الخواص ، ولكن فرقاً عظيماً بين الصوفية والباطنية فالغزالي الذي كان أشد العلماء على الباطنية حتى انه صنف الكتب في الرد عليهم كان صوفياً يقول ان للدين اسراراً كما سيأتي عنه في هذه الترجمة مع بيان الفصل فيه بين الصوفية والباطنية

بل ان مقلدة المذاهب الاربعة في الفقه والمذهبين الاشعري والماتريدي في الكلام وهم من اتباع أئمة أهل السنة قد سرت اليهم دعوة الباطنية الاولى فعملوا بها في الناس فجعلوا أئمتهم معصومين وان لم يسموهم معصومين فمبدأ التقليد عند أكثرهم ان الواجب اتباع ما ثبت في المذهب من غير بحث ولا دليل وانه لا يجوز رد شيء من

المذهب لما يظهر انه مخالف له من آية قرآنية وسنة نبوية ، بناء على ان امام المذهب وعلماءه اعلم بالكتاب والسنة فالقول مايقولونه وهوالدين الواجب اتباعه على كل أحد!

والفرق بينهم و بين الباطنية أن الباطنية تقول بامام واحد يتبع في كل شيء من الاصول والفروع وهم يقولون بإمامين في العقائدهما الأشعري والماتريدي وأربعة في فروع الاعمال كل من خالفهم يكون ضالا خارجا عن هداية الاسلام إما إلى الكفر أوالبدعة وإما إلى الفسق ! بل اوجبوا اتباع من لا يحصى عددهم من علماء هذه المذاهب وان لم يسموهم كلهم أئمة فهؤلاء مقلدة سنغافورة وجاوه يقدسون أحمد بن حجر الهيتمي و يوجبون اتباعه دينافي كل ما دوّنه في كتبه وان خالف نص الشافعي الذي هو إمامه «ولكل قوم ابن حجر»

اذا تمهد هذا فاعلم ان أبا حامد الغزالي قد أبطل في رده على الباطنية مذهبهم والنزعات التي سرت منه الى غيرهم من أهل المذاهب الاسلامية أو ما وافقه منها وان لم يكن بالسريان ، وأبطل التقليد مطلقا كما أبطله كتاب الله وسلف الامة حتى أئمة الفقة الاربعة ومن اخذ عنهم ، وأثبت انه ليس في البشر إمام معصوم يجب اتباعه غير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني منذ بعثته الى آخر الزمان

أحسن ما وصل الينا من كتب أبي حامد في ابطال مذهب الباطنية و يسمى مذهب التعليم كتاب (القسطاس المستقيم) وهو يشرح فيه مناظرة دارت بينه و بين أحد دعاة الباطنية وسماه بهذا الاسم لأن الباطني لما سأله بماذا يزن معرفته أبالرأي والقياس الذي جرى عليه المسلمون في الاستنباط من النصوص وهو مثار الخلاف بين الناس لما فيه من التعارض والالتباس ، أم بميزان التعليم باتباع الامام المعصوم؟ اجابه أبو حامد بأنه يزنها بالقسطاس المستقيم كما أمر الله في كتابه . ثم استنبط له من القرآن خمسة موازين يعرف بها الحق من الباطل في كل علم . ثم بين له ان الشيطان له موازين تضل الناس وهي طرق الوساوس والاوهام ومسارب خطأ الناس في الفهم والعلم ، ثم شرح له القصد الذي أشرنا اليه فقال

« القول في الاستغناء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبعلماء أمته عن امام معصوم آخر »
« وبيان معرفة صدق محمد صلى الله عليه وسلم بطريق أوضح من النظر في المعجزات »
« وأوثق منه وهو طريق العارفين »

قال (أي الباطني) : لقد أكملت الشفاء وكشفت الغطاء وأتيت باليد البيضاء لكن بنيت قصراً وهدمت مصراً فاني الى الآن كنت أتوقع ان أتعلم منك الوزن بالميزان واستغني بك وبالقرآن عن الامام المعصوم فالآن اذ ذكرت هذه الدقائق في مداخل الغلط فقد أيست من الاستقلال به فاني لا آمن ان أغلط لو اشتغلت بالوزن وقد عرفت الآن لمَ اختلف الناس في هذه المذاهب وذلك لانهم لم يتفطنوا لهذه الدقائق كما فطنت فغلط بعضهم وأصاب بعضهم فاذا أقرب الطرق لي ان أعول على الامام المعصوم حتى أتخلص من هذه الدقائق

فقلت : يا مسكين معرفتك بالامام الصادق ليست ضرورية فهي اما أن تكون تقليدا للوالدين أو موزونة بشيء من هذه الموازين فان كل علم ليس أوليا فبالضرورة يكون حاصلا عند صاحبه بقيام هذه الموازين في نفسه وان كان هو لا يشعر به فانك عرفت صحة ميزان التقدير بانتظام الأصلين في ذهنك التجربي والحسي وكذلك سائر الناس وهم لا يشعرون به . ومن يعرف مثلا ان هذا الحيوان غير حامل لأنه بغل عرفه بانتظام الاصلين الذين ذكرناهما في صدر الكتاب وان كان لا يشعر بمصدر علمه وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك فانت ان أخذت اعتقاد العصمة في الامام الصادق بل في محمد صلى الله عليه وسلم تقليدا للوالدين والرفقاء لم تتميز عن اليهود والنصارى والمجوس فانهم كذلك فعلوا وان أخذته من الوزن بشيء من هذه الموازين فلعلك غلطت في دقيقة من دقائقه فينبغي على زعمك ان لا تثق به

قال : صدقت فأين الطريق فلقد سددت علي طريق التعليم والوزن جميعا

قلت : هيهات راجع القرآن فلقد علمك الطريق إذ قال تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » ولم يقل سافروا الى الامام المعصوم فاذا هم مبصرون فانت تعلم ان المعارف كثيرة فلو ابتدأت في كل

مشكلة سفرا الى الامام المعصوم بزعمك طال عناؤك وقل علمك لكن طريقك أن تعلم مني كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان أشكل عليك شيء عرضته على الميزان وتفكرت في شروطه بفكر صاف وجد واف فاذا أنت مبصر . وهذا كما لوحسبت ما المقال عليك أولك عليه أو قسمت في مسئلة من مسائل الفرائض وشككت في الاصابة والخطأ فيطول عليك أن تسافر الى الامام المعصوم ولكن تحكم علم الحساب وتتذكره ولا تزال تعاوده مرة بعد أخرى حتى تستيقن قطعا انك ما غلطت في دقيقة من دقائقها وهذا يعرفه من يعرف علم الحساب وكذلك من يعرف الوزن به كما أعرفه فينتهي به التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد أخرى الى اليقين الضروري بانه ما غلط ، فان لم تسلك هذه الطريق لم تفلح قط وصرت تشكك بلعل وعسى ولعلك قد غلطت في تقليدك لامامك بل للنبي الذي آمنت به فان معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ليست ضرورية (أي ليست بديهية معلومة بالضرورة)

فقال : لقد ساعدتني على ان التعلم حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بان كل واحد لا يمكنه أن يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان إلا منك فكأنك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فما برهانك ومعجزتك فان امامي اما أن يقيم معجزة واما ان يحتج بالنص المتعاقب من آبائه اليه فأين نصك وأين معجزتك ؟

فقلت : اما قولك انك تدعي الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فاني ارجو أن يشاركني غيري في هذه المعرفة فيمكن أن يُتعلم منه كما يتعلم مني فلا أجعل التعلم وقفا على نفسي . واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم أن الامام قد نعني به الذي يتعلم من الله بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه لنفسي وقد نعني به الذي يتعلم من الله بغير جبريل ومن جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمي عليّ رضي الله عنه اماما فانه تعلم من الرسول لا من جبريل وأنا بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسي . أما برهاني عليه فاوضح من النص ومما تعتقده معجزة فان ثلاثة انفس لو ادعوا عندك انهم يحفظون القرآن . فقلت ما برهانكم فقال أحدهم برهاني انه نص عليّ الكسائي استاذ القرئين اذ نص على استاذي واستاذي نص عليّ فكأن الكسائي نص علي

وقال الثاني اني أقلب العصا حية فقلب العصا حية ، وقال : الثالث برهاني اني أقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف فليت شعري أي هذه البراهين أوضح عندك وقلبك بأيها أشد تصديقاً؟ فقال بالذي قرأ القرآن فهو غاية البراهين اذ لا يختلجني فيه ريب، أما نص استاذه عليه ونص الكسائي على استاذه فيتصور ان تقع فيه اغاليط لا سيما عند طول الاسفار، وأما قلب العصا حية فلعله فعل ذلك بحيلة وتلبيس وان لم يكن تلبيسا فغايته انه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظاً للقرآن

قلت : فبرهاني اذاً أيضاً اني كما عرفت هذه الموازين فقد عرفت وأفهمت وازلت الشك عن قلبك في صحته فيلزمك الايمان بامامتي كما انك اذا تعلمت الحساب وعلمته من استاذ فانه اذا علمك الحساب حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري بأن استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه ايضا في انه حاسب وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القمر ولا بقلب العصا حية بمجردها فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل ، فان التعارض في عالم الحس والشهادة كثير جدا لكني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المعاد وعذاب القبر وعذاب أهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتيقنت ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » فكانت معرفتي بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ضرورية كمعرفتك اذا رأيت رجلا عربيا يناظر في مسألة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأتي بالفقه الصحيح الصريح فإنك لا تمارى في انه فقيه ويقينك الحاصل به أوضح من اليقين الحاصل بفقهه لو قلب الف عصا ثعبانا لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتلبيس والطلسم وغيرها ولا يحصل العلم بالقرآن بينها و بين هذه الاشياء وكونها معجزة الا بعد بحث طويل ونظر دقيق ويحصل به ايمان ضعيف هو ايمان العوام والمتكلمين فإما إيمان

ارباب المشاهدة الناظرين من مشكاة الربوبية فلا يكون كذلك

فقال : فأنا أيضا اشتهي أن أعرف النبي صلى الله عليه وسلم كما عرفته وقد ذكرت ان ذلك لا يعرف الا بأن توزن جميع المعارف الالهية بهذا الميزان وما اتضح عندي ان جميع المعارف الدينية يمكن وزنها بهذه الموازين فبم اعلم ذلك ؟

قلت : هيهات لا أدعي اني ازن بها المعارف الدينية فقط بل ازن بها العلوم الحسابية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية وكل علم حقيقي غير وضعي فاني أميز حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسطاس المستقيم والميزان الذي هو رفيق الكتاب والقرآن في قوله تعالى « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » وأما معرفتك بقدرتي على هذا فلا تحصل لا بنص ولا بقلب المصاحبانا ولكن تحصل بأن تستكشف ذلك تجربة وامتحانا فمدعي الفروسية لا ينكشف صدقه حتى يركب فرسا ويركض ميدانا فسلني عما شئت من العلوم الدينية لاكشف لك الغطاء عن الحق فيه واحدا واحداً وازنه بهذا الميزان وزنا يحصل لك علم ضروري بأن الوزن صحيح وان العلم المستفاد منه مستيقن ومن لم يجرب لم يعرف .

فقال : وهل يمكنك ان تعرّف جميع الحقائق والمعارف الإلهية جميع الخلق فترفع الاختلافات الواقعة بينهم ؟ قلت : هيهات لا أقدر عليه وكأن امامك المعصوم الى الآن قد رفع الاختلافات بين الخلائق وازال الاشكالات عن القلوب بل الانبياء متى رفعوا الاختلاف ومتى قدروا عليه ؟ بل اختلاف الخلق حكم ضروري أزلي « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك » أفأدعي أن أردّ قضاء الله الذي قضى به في الازل ؟ أو يقدر امامك ان يدعي ذلك ؟ فان كان يدعيه فلم اخره الى الآن والدنيا طافحة بالاختلافات ؟ وليت شعري أرئيس الامة علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان سبب رفع الاختلافات بين الخلق اوسبب تأسيس اختلافات لا تنقطع أبد الدهر ؟!

« القول في طريق نجاة الخلق من ظلمات الاختلافات »

فقال : كيف نجاة الخلق من هذه الاختلافات ؟ قلت : إن اصغوا إليّ رفعت الاختلافات بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في إصغائهم فانهم لم يصغوا بأجمعهم

الى الأنبياء ولا الى امامك فكيف يصغون إليّ وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم في الازل بانهم لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم . وكون الخلاف بينهم ضروريا تعرفه من كتاب « جواب مفصل الخلاف » وهو الفصول الاثني عشر .

قال : فلو أصغوا كيف كنت تفعل ؟ قلت : كنت أعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى إذ قال « وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد » الآية وانما أنزل هذه الثلاث لأن الناس ثلاثة أصناف وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم .

فقال : فمن هم وكيف علاجهم ؟ قلت الناس ثلاثة أصناف عوام وهم أهل السلامة البُلْهُ وهم أهل الجنة ، وخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة : أما الخواص فإني أعالجهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها فيرتفع الخلاف بينهم على قرب وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال إحداها القريحة النافذة والفطنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلّية لا يمكن كسبها ، والثانية خلو باطنهم من تقليد وتعصب للمذهب موروث ومسموع فان المقلد لا يصغي والبليد وان أصغى فلا يفهم ، الثالثة أن يعتقد فيَّ اني من أهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بأنك تعرف الحساب لا يمكنه أن يتعلمه منك

والصنف الثاني البله وهم جميع العوام وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطلب بل شغلتهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضا داعية الجدل بخلاف المتكايسين في العلم مع قصور الفهم عنه فهؤلاء لا يختلفون ولكن يتخيرون بين الائمة المختلفين فأدعو هؤلاء الى الله بالموعظة كما ادعو أهل البصيرة بالحكمة وادعو أهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة في آية واحدة كما تلوته عليك أولاً فأقول لهم ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أهلا لذلك فقال « وماذا عملت في رأس العلم » أي

الايمان والتقوى والاستعداد للآخرة » اذهب فأحكم رأس العلم ثم ارجع لاعلمك من غرائبه » فأقول للعامي ليس الخوض في الاختلافات من عشك فادرج فاياك أن تخوض فيه أو تصغي اليه فتهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة لم تكن من أهل الحياكة وقد صرفت عمرك في غير العلم فكيف تكون من أهل العلم (١) ومن أهل الخوض فيه فإياك ثم إياك أن تهلك نفسك فكل كبيرة تجري على العامي أهون من أن يخوض في العلم فيكفر من حيث لا يدري ·

فان قال : لا بد من دين أعتقده واعمل به لاصل به الى المغفرة والناس مختلفون في الأديان فبأي دين تأمرني أن آخذ أو أعول عليه ؟ فأقول له للدين أصول وفروع والاختلاف انما يقع فيهما أما الأصول فليس عليك أن لا تعتقد فيها إلا ما في القرآن فان الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته وأسماءه فعليك أن تعتقد أن لا إله إلا الله وان الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثله شيء الى جميع ما ورد في القرآن واتفق عليه الأئمة فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شيء فقل آمنا به كل من عند ربنا واعتقد كل ما ورد في اثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفي المماثلة واعتقاد انه ليس كمثله شيء وبعد هذا لا تلتفت الى القيل والقال فانك غير مأمور به ولا هو على حد طاقتك . فان أخذ يتحذلق ويقول قد علمت انه عالم من القرآن ولكني لا أعلم انه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الأشعرية والمعتزلة » فقد خرج بهذا عن حد العوام إذ العامي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا ما لم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوماً الا يؤتيهم الجدل كذلك ورد الخبر واذا التحق بأهل الجدل فسأذكر علاجهم ·

هذا ما أعظ به في الأصول وهو الحوالة على كتاب الله فان الله أنزل الكتاب والميزان والحديد وهؤلاء أهل الحوالة على الكتاب

وأما الفروع فأقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف ما لم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتفقت الامة على ان زاد الآخرة هو التقوى والورع وان الكسب

(١) يريد العلم بأصول العقائد والاحكام ومذاهب الخلاف فيها

الحرام والمال الحرام والغيبة والنميمة والزنا والسرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام والفرائض كلها واجبة فان فرغت من جميعها عاملتك طريق الخلاص من الخلاف . فان هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا كله فهو جدلي وليس بعامي ومتى تفرغ العامي من هذا الى مواضع الخلاف ؟ أفرأيت رفقاءك قد فرغوا من جميع هذا ثم أخذ إشكال الخلاف بمخنقهم ؟ هيهات ما أشبه ضعف عقولهم في خلافهم إلا بعقل مريض به مرض أشرف على الموت وله علاج متفق عليه بين الأطباء وهو يقول قد اختلفت الاطباء في بعض الادوية انها حارة أو باردة وربما افتقرت اليه يوما فأنا لا أعالج نفسي حتى أجد من يعلمني رفع الخلاف فيه

نعم لو رأيتم صالحا قد فرغ من حدود التقوى كلها . وقال : ها أنا ذا تشكل عليّ مسائل فاني لا أدري اتوضأ من اللمس والقيء والرعاف وانوي الصوم بالليل في رمضان أو بالنهار الى غير ذلك . فأقول له ان كنت تطلب الامان في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فتوضأ من كل ما فيه خلاف فان كل من لا يوجبه يستحبه وانو الصوم بالليل في رمضان فان من لا يوجبه يستحبه . فان قال هو ذا يثقل علي الاحتياط ويعرض لي مسائل تدور بين النفي والاثبات وقال لا أدرى أأقنت في الصبح ام لا وأجهر بالتسمية ام لا فاقول الآن اجتهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه أغلب على قلبك كما لو كنت مريضا وفي البلد اطباء فانك تختار بعض الاطباء باجتهادك لا بهواك وطبعك فيكفيك مثل ذلك الاجتهاد في أمر دينك فمن غلب على ظنك انه الأفضل فاتبعه (١) فمن أصاب فيما قال عند الله فله في ذلك اجران وان أخطأ فله عند الله في ذلك أجر واحد وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فاخطأ فله اجر واحد » ورد الله تعالى الأمر الى أهل الاجتهاد وقال تعالى « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » وارتضى الاجتهاد لأهله اذ قال رسول الله صلى

---

(١) ليس هذا امرا بالتقليد الذي ابطله سابقا ولاحقا وانما هو امر بنوع من الاجتهاد لشخص لا يكاد يوجد على فرض وجوده فقد امره اولا ان يجتهد في نفسه ثم في الائمة الذين اشتبه في أي اقوالهم في تلك المسائل ارجح وان يأخذ بقول من رأى قوله اصوب ولا يكون ذلك الا بعد النظر في دليله . غاية الامر ان اجتهاده لا يكون مطلقا بل منتسبا الى من رجح دليله

الله عليه وسلم لمعاذ « بم تحكم ؟ » قال بكتاب الله قال « فان لم تجد ؟ » قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فان لم تجد ؟ » قال أجتهد رأيي . قال ذلك قبل ان أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن له فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذي وفق رسولَ رسول الله لما يرضاه رسولُ الله » ففهم من ذلك انه مرضي به من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وغيره كما قال الاعرابي اني هلكت واهلكت واقعت اهلي في نهار رمضان فقال « أعتق رقبة » ففهم ان التركي أو الهندي لو جامع أيضا لزمه الإعتاق وهذا لأن الخلق ما كلفوا الصواب عند الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليفَ بما لا يطاق بل كلفوا ما يظنونه صوابا كما لم يكلفوا الصلاة بثوب طاهر بل بثوب يظنون انه طاهر فلو تذكروا نجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله في اثناء الصلاة لما انبأه جبريل أن عليه قذرا ولم يعد الصلاة ولم يستأنف وكذلك لم يكلف ان يصلي الى القبلة بل الى جهة يظن انها القبلة بالاستدلال بالجبال والكواكب والشمس فان اصاب فله اجران والا فله اجر واحد ولم يكلفوا أداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لان ذلك لا يعرف باطنه ولم يكلف القضاة في سفك الدماء واباحة الفروج طلب شهود يعلمون صدقهم بل من يظنون صدقهم واذا جاز سفك دم بظن يحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد !

وليت شعري ماذا يقول رفقاؤك في هذا ؟ أيقولون اذا اشتبهت عليه القبلة يؤخر الصلاة حتى يسافر الى الامام ويسأله أو يكلفه الاصابة التي لا يطيقها أو يقول اجتهد لمن لا يمكنه الاجتهاد اذ لا يعرف ادلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح ؟ قال لا شك في انه يأذن له في الاجتهاد ثم لا يؤثمه اذا بذل كنه مجهوده وان اخطأ أو صلى الى غير القبلة

قلت فاذا كان من جعل القبلة خلفه معذورا مأجورا فلا يبعد ان يكون من اخطأ في سائر الاجتهادات معذورا فالمجتهدون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين في احد الاجرين فمناصبهم متقاربة وليس لهم

ان يتعاندوا وان يتعصب بعضهم مع بعض لا سيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافران في القبلة فاختلفا في الاجتهاد فحقهما ان يصلي كل واحد الى الجهة التي غلبت على ظنه وان يكف انكاره واعراضه واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف الا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ في اليمن مجتهد لا على اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ لكن على انه ان اخطأ كان معذورا وهذا لان الامور الوضعية الشرعية التي يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشيء من نقيضه بعد كونه مظنونا في سر الاستبصار واما ما لا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته في الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن

وأما الصنف الثالث وهم أهل الجدل فاني ادعوهم بالتلطف الى الحق واعني التلطف أن لا اتعصب عليهم ولا اعنفهم لكن ارفق واجادلهم بالتي هي أحسن وكذلك أمر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن ان آخذ الاصول التي يسلمها الجدلي واستنتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذي اوردته في كتاب الاقتصاد والى ذلك الحد فان لم يقنعه ذلك لتشوفه بفطنته الى مزيد كشف رقيته الى تعليم الموازين فان لم يقنعه لبلادته واصراره على تعصبه ولجاجه وعناده عالجته بالحديد فإن الله سبحانه جعل الحديد والميزان قريني الكتاب ليفهم منه ان جميع الخلائق لا يقومون بالقسط إلا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخواص والحديد الذي فيه بأس شديد للذين يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون ان ذلك ليس من شأنهم وانه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم دون اهل الجدل

واعني باهل الجدل طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة اذ كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا لكن لم تهلكهم إلا كياستهم الناقصة فان الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير وفي الخبر « إن اكثر اهل الجنة البله وان عليين لذوي الالباب » (١) ويخرج من جملة

(١) المنار : رواه البيهقي في الشعب والبزار في مسنده هكذا « أكثر أهل الجنة البله » وهو ضعيف

الفريقين الذين يجادلون في آيات الله وأولئك أصحاب النار ويزع الله بالسلطان مالا يزع بالقرآن وهؤلاء ينبغي ان يمنعوا من الجدال بالسيف والسنان كما فعل عمر رضي الله عنه برجل اذ سأله عن آيتين متشابهتين في كتاب الله تعالى فعلاه بالدرة وكما قال مالك رضي الله عنه لماسئل عن الاستواء على العرش فقال : الاستواء حق والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة . وحسم بذلك باب الجدال وكذلك فعل السلف كلهم . وفي فتح باب الجدال ضرر عظيم على عباد الله تعالى

فهذا مذهبي في دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك بأن دعوة الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان القسط لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان فانه يعرف به مقادير أعيان لانهاية لها كذلك من معه القسطاس المستقيم فمعه الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيراً لا نهاية له ولولا اشتمال القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن نورا لان النور ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره وهو نعت الميزان ولما صدق قوله «ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين . » فان جميع العلوم غير موجودة في القرآن بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي بها تفتح أبواب الحكمة التي لا نهاية لها فبهذا ادعو الخواص . ودعوت العوام بالموعظة الحسنة بالاحالة على الكتاب والاقتصار على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى . ودعوت أهل الجدال بالمجادلة التي هي أحسن فمن أبى أعرضت عن مخاطبته وكففت شره بيأس السلطان والحديد المنزل مع الميزان

فليت شعري الآن يا رفيقي بم يعالج أمامك هؤلاء الاصناف الثلاثة ؟ أيعلم العوام فيكلفهم مالا يفهمون ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرج الجدال من أدمغة المجادلين بالمحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة محاجة الله تعالى في القرآن مع الكفار ؟ فما أعظم قدرة امامك إذ صار أقدر من الله تعالى ومن رسوله !! أو يدعو أهل البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بقلب العصا ثعبانا بل يقولون هو فعل غريب ولكن من أين يلزم منه صدق فاعله وفي العالم من غرائب السحر

والطلسمات ماتتحير فيه العقول ولايقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف جميعها وجملة أنواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون معجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من أئمة السحرة ومن الذي يقوى على ذلك ؟ بل أهل البصيرة يريدون مع المعجزة ان يعلموا صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق أستاذه في قوله اني حاسب فهذه هي المعرفة اليقينية التي بها يقنع أولو الالباب وأهل البصائر ولا يقنعون بغيره البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فمن أين يحتاجون الى امامك المعصوم؟ وما الذي حل من اشكالات الدين؟ وماذا كشف عن غوامضه ؟ قال الله تعالى «هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه» وقد سمعت الآن منهاجي في موازين العلوم فأرني ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من امامك الى الآن وماذا الذي يتعلمون منه؟ وليت شعري ما الذي تعلمت من امامك المعصوم أرني ما رأيتها :

مايسدي بي رتسدي أوف   خر ابن وقلب يارفوت

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها واني اراكم تدعون الناس الى الامام ثم ارى المستجيب لإمامك بعد الاستجابة على جهله الذي كان قبله لم يحل له الامام عقدا بل ربما عقد له حلا ولم تفده استجابته بل ربما زاده به طغيانا وجهلا

قال : قد طالت صحبتي مع رفقائي ولكن ما تعلمت منهم شيئا الا انهم يقولون عليك بمذهب التعليم واياك والرأي والقياس فانه متعارض مختلف. قلت: فمن الغرائب ان يدعوا الى التعليم ثم لا يشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتموني الى التعليم فاستجبت فعلموني ما عندكم فقال: ما أراهم يزيدونني على هذا شيئا . قلت: فإني قائل أيضا بالتعليم و بالامام و ببطلان الرأي والقياس وأنا أزيدك على هذا لو أطقت ترك التقليد تعلم غرائب العلوم وأسرار القرآن فأستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ما أشرت الى كيفية انشعاب العلوم كلها منه في كتاب

جواهر القرآن لكني لست أدعو الى امام سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولا الى كتاب سوى القرآن فمنه أستخرج جميع أسرار العلوم و برهاني على ذلك لساني و بياني ، وعليك إن شككت تجريبي وامتحاني ، أفتراني أولى بأن تتعلم مني من رفقائك أم لا ؟ اه المراد منه

باب المناظرة والمراسلة

﴿ النسخ وأخبار الآحاد ﴾

وعدنا في الجزء السابع بأن نبين رأينا في المناظرة التي دارت في المنار بين الدكتور محمد توفيق افندي صدقي والشيخ صالح اليافعي ورجونا أن يكون ذلك في الجزء التاسع (وكتب « السابع » غلطا وصححناه في الجزء الثامن على انه غلط بديهي إذ هو في الجزء السابع) . وقد عرض لنا من كثرة المواد ومن الشواغل ما حال دون تحقق الرجاء بالتفصيل الذي كنا نريده فرأينا ان نقول الآن كلمة مجملة ونرجئ التفصيل المراد الى جزء آخر فتكون كلمتنا هذه كحكم المحكمة بدون ذكر الأسباب التي يسمونها الحيثيات وكلمتنا الموعود بها كبيان حيثيات الحكم فنقول :

النسخ

قد سبق لنا القول بأن النسخ المصطلح عليه الذي هو محل النزاع لم يرد به نص في القرآن ولا في الحديث المرفوع يعلم منه ان آية كذا أو حديث كذا قد نسخ وبطل معناه أو ترك لفظه أو اللفظ والمعنى جميعا وما اورده اليافعي في تفسير « ما ننسخ من آية » ليس نصا ولا ظاهرا فيها بل الظاهر ما قاله الاستاذ الامام وجرى عليه الدكتور صدقي ولكن الاستاذ كان يرى ان الظاهر في قوله تعالى (١٦ : ١٠٠ وإذا بدلنا آية مكان آية) في آيات القرآن خلافا لما قاله الدكتور فيها وهي ليست نصا قاطعا في هذا ولا ذاك وقد ورد في كلام الصحابة والتابعين وأئمة الفقه ما يدل على ان للنسخ الاصطلاحي أصلا ولكنه كما قال اليافعي في بعض المواضع انه أعم من النسخ الذي عليه الأصوليون

وان نسخ حكم في الشريعة بحكم آخر هو كنسخ شريعة بشريعة أخرى معقول المعنى موافق لحكمة التشريع في انطباقها على مصالح الناس التي تختلف

باختلاف الزمان والاحوال لا شبهة فيه على أصل الدين . وان أكثر ما قاله العلماء في نسخ احكام القرآن بديهي البطلان وما هو محل نظر منها قد جعله السيوطي عشرين وغيره سبعا والصواب انه لا يوجد في القرآن آيتان لا يتفق معنى إحداها مع معنى الاخرى بحيث يقطع بالتعارض الذي لا يمكن التفصي منه الا بحمل إحداها على النسخ المعروف عند الاصوليين . أما النسخ بالمعنى الذي يعم التخصيص والتقييد و بيان المجمل فهو واقع في القرآن ونقول به

واما نسخ التلاوة فلم تظهر لنا حكمته ولم يأت الرافعي ولا من قبله من العلماء الذين اطلعنا على أقوالهم بحكمة مقنعة لمن كان مستقلا في فهمه غير مقلد فيه لا سيما نسخ اللفظ مع بقاء حكمه

وأما الدليل على وقوع ذلك فهو بعض الروايات عن الصحابة وهي وان صحح مثل البخاري أسانيدها محل إشكال في متنها كأحاديث أخرى في الصحيحين وغيرها منها نص علماء هذا الشان على عدها مشكلات وعدم الاهتداء الى حل معقول لها إلا الجزم بغلط الرواة فيها كحديث شريك في المعراج عند البخاري وحديث « خلق الله التربة يوم السبت » الذي رفعه مسلم وغيرها . وسنشير الى غير هذين الحديثين مما هو مشكل في الصحيحين قريبا

أحاديث الآحاد والدين

ان كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قول أو فعل أو تقرير يتعلق بأمر الدين على انه منه فهو حجة على من ثبت عنده يجب عليه الاذعان لما يدل عليه ، ولا يقال ان شيئا منه خاص بوقت دون وقت أو قوم دون قوم أو شخص دون شخص من المكلفين إلا بدليل يثبت ذلك . فان عارض هذا الحديث بعد ثبوته آية من القرآن أو حديث آخر أو دليل حسي أو عقلي كان الحكم في ذلك لما تقتضيه قواعد التعادل والترجيح والجمع والتأويل وهي معروفة في مواضعها . وقد قال المحدثون إن من علامة كون الحديث موضوعا مخالفته لنص القرآن والمسائل القطعية في الدين واليقينيات الحسية والعقلية ، هذا إذا كان الجمع بينه و بين القطعي أو التأويل متعذرا

ولم يقل احد من سلف الامة وائمة الفقه ان معرفة الدين تتوقف على الاحاطة بجميع ما رواه المحدثون من الاحاديث ولا بأ كثرها ولم يكن الائمة الاربعة الذين يتبعهم أكثر المسلمين في الاحكام العملية مطلعين على ذلك كله لا سيما الامام ابو حنيفة الذي لم يرحل في طلب الحديث القاء الرواة المنتشرين في بلاد الاسلام ولم يكن الحديث مدونا في الاسفار فيأخذه منها. وهو مع ذلك معترف بامامته واجتهاده عند اتباعه وغيرهم من أهل السنة . فما جرى عليه سلف الأمة وخلفها هو أن من بلغه حديث وثبت عنده وجب عليه العمل به ومن خالف بعض الاحاديث لعدم ثبوتها عنده او لعدم العلم بها فهو معذور فالعمدة في الدين كتاب الله تعالى في المرتبة الأولى والسنن العملية المتفق عليها في المرتبة الثانية ، وما ثبت من السنن وأحاديث الآحاد المختلف فيها رواية أودلالة في الدرجة الثالثة ، ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجيا في الآخرة مقربا عند الله تعالى كما ترى بيان ذلك في ترجمة الامام الغزالي من هذا الجزء

احاديث الآحاد تفيد اليقين ام الظن

ذكرت هذه المسألة اكثر من مرة في المنار وقد حققنا في تفسير قوله تعالى « ٣ : ١٧٣ فزادهم ايمانا » ان للظن اطلاقين أحدهما اعتقاد ان هذا الشيء ثابت وانه يحتمل احتمالا ضعيفا ان لا يكون ثابتا وهذا هو الظن الذي جاء في القرآن انه « لا يغني من الحق شيئا » . ثانيهما اعتقاد ان هذا الشيء ثابت مع عدم ملاحظة الطرف المخالف ولكن من غير برهان على منع الطرف المخالف وهذا قد يسمى في اللغة والشرع يقينا وعلما ولكنه لا يسمى يقينا عند علماء المنطق والكلام والفلسفة لأنهم يطلقون اليقين على مرتبة اعلا من هذه المرتبة في العلم وهي ثبوت الشيء بالبرهان وثبوت امتناع مقابله . وراجع التفصيل في التفسير (ص ٨٩٨ م ١١)

فيعلم مما حققناه ان بعض أخبار الآحاد يفيد العلم واليقين لغة وشرعا وعادة وبعضها لا يفيد ذلك ولكن لا يفيد شيء منها العلم البرهاني واليقين المنطقي . والدكتور توفيق صدقي لا ينكر ان له من الاصحاب من لو أخبره بشيء

يصدقه ويطمئن قلبه لخبره فلا يشك ولا يتردد فيه كما انه يصدق المؤذن في دخول وقت الصلاة والفطر في هذه الايام لا يشك فيه ولا يتريث في العمل به . فهل هو في هذا عامل بالظن الذي ذمه القرآن ؟ لا لا . وقد صرح الاستاذ الامام في الدرس بأن الصحابة والتابعين كانوا موقنين بصدق الاحاديث التي عملوا بها عند ماسمعوها ممن رفعها الى النبي (ص) وانه لا يعقل ان يحدث مثل الصديق أحدا عن النبي (ص) ويتردد السامع في صدقه

ولا شك في ان كثيرا من الاحاديث المروية في دواوين المحدثين المشهورة تفيد هذا النوع من العلم واليقين ولا يعقل ان يكون كل ما رواه المسلمون عن النبي (ص) غير موثوق به بل لا يعقل ان تكون أكثر روايات التاريخ التي اتفق عليها المؤرخون كاذبة ، فكيف يكون أكثر ما رواه المحدثون واتفقوا على تصحيحه كاذبا وهم أشد تحريا وضبطا من المؤرخين . واحتمال خطإ بعض الرواة العدول ووقوع ذلك من بعضهم لا يمنع الثقة بكل ما يروونه . كما ان مجرد تعديل المحدثين لم لا يقتضي قبول كل ما رووه بغير بحث ولا تمحيص

فالجامعان الصحيحان للبخاري ومسلم هما أصح كتب الحديث متنا وسندا لشدة تحري الشيخين فيهما (رضي الله عنهما وجزاهما خيرا) ومع هذا لم يتلقهما المحدثون بالقبول تقليدا لهما وثقة مجردة بهما بل بحثوا ومحصوا وجرحوا بعض رواتهما وبينوا غلط بعض متونهما. كتغليط مسلم وغيره لرواية شريك عند البخاري في حديث المعراج ، وتغليطهم لمسلم في حديث خلق الله التربة يوم السبت (وتقدم ذكرهما) وفي حديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وثلاث سجودات. وفي حديث طلب أبي سفيان بعد إسلامه أن يتزوج النبي (ص) أم حبيبة ويتخذ معاوية كاتبا.

ومن دقق النظر في تاريخ رجال الصحيحين ورواية الشيخين عن المجروحين منهم يرى أكثرها في المتابعات التي يراد بها التقوية دون الأصول التي هي العمدة في الاحتجاج . ثم اذا دقق النظر فيما أنكروه عليهما مما صححاه من الاحاديث يجد ان أقوالهما في الغالب أرجح من أقوال المنازعين لهما لا سيما البخاري فانه أدق المحدثين في التصحيح ولكنه ليس معصوما من الغلط والخطإ في الجرح والتعديل

وجملة القول في الصحيحين ان أكثر رواياتهما متفق عليها عند علماء الحديث لا مجال للنزاع في متونها ولا في أسانيدها والقليل منها مختلف فيه وما من امام من أئمة الفقه إلا وهو مخالف لكثير منها . فاذا جاز رد الرواية التي صح مسندها في صلاة الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل ، وجاز ردّ رواية خلق الله التربة يوم السبت الخ لمخالفتها للآيات الناطقة بخلق السموات والأرض في ستة أيام وللروايات الموافقة لذلك فأولى وأظهر أن يجوز ردّ الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه (كالروايات في نسخ التلاوة) لا سيما لمن لم يجد لها تخريجا يدفع الشبهة كالدكتور محمد توفيق صدقي وأمثاله كثيرون . ومثلها الرواية في سحر بعض اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ردها الاستاذ الامام ولم يعجبه شيء مما قالوه في تأويلها لأن نفس النبي (ص) أعلى وأقوى من ان يكون لمن دونه تأثير فيها، ولانها مؤيدة لقول الكفار (٢٥ : ٨ وقال الظالمون ان تتبعون إلا رجلا مسحورا) وهو ما كذبهم الله فيه بقوله بعده (٩ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) .

ومثل هذا وذاك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب والجواب عنه بانها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ وقد سألنا عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لاننا لم نجد جوابا مقنعا للمستقل في الفهم . فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الارض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علما قطعيا لا شبهة فيه . فاذا قلنا انها يصدق عليها مع ذلك انها ساجدة تحت العرش لأنها خاضعة لمشيئة الله تعالى ولان كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن – ان لم تكن التحتية فيه حسية لان الجهات أمور نسبية لا حقيقية فهي معنوية – إذا قلنا هذا أو انه تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها وهو أقرب فهل ينطبق على السؤال والجواب انطباقا ظاهرا لا امراء فيه؟ اللهم لا. ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم والانبياء لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ولم

يقل أئمة الدين انهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح في تأبير النخل ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه

اما الاحاديث المخالفة للقرآن في خبره او معناه او اي نوع من انواع المخالفة الحقيقية فلا يمكن ان تكون صحيحة في الواقع وان وثق المحدثون رجال اسانيدها ولكن يجب التدقيق في ذلك قبل الحكم به فما رآه الدكتور محمد توفيق صدقي من أن تحريم الاكل والشرب في اواني النقدين مخالف لآية اباحة الزينة والطيبات هو في غير محله فان النبي (ص) استنبط ذلك من قوله تعالى في الآية التي قبل آية الزينة (٧ : ٣١ كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) فالاكل والشرب في اواني النقدين إسراف عظيم لا سيما بالنسبة الى المسلمين في ذلك الزمان

وكذلك تحريم الجمع بين المرأة وعمتها او خالتها أخذه صلى الله عليه وسلم من تحريم الجمع بين الاختين لان العلة فيهما واحدة وكما ان تحريم الخمر التي كانت في زمن التنزيل يتضمن تحريم كل مسكر يستحدثه الناس الى يوم القيامة كذلك يتضمن تحريم الجمع بين الاختين تحريم ما في معناه كالجمع بين العمة و بنت أخيها فقوله تعالى (٤ : ٢٣ واحل لكم ما وراء ذلكم) لا يتناول الجمع بينهما على هذا فالحديث ليس مخالفا له . ولكن الجمهور يعدونه مخصصا للآية وتخصيص السنة للقرآن جائز وواقع فإن سماه بعضهم نسخا فلا نعارضه في التسمية ونحن موافقون له في المعنى

النبي صلى الله عليه وسلم مبين للقرآن بقوله وفعله ويدخل في البيان التفصيل والتخصيص والتقييد ولكن لا يدخل فيه ابطال حكم من احكامه او نقض خبر من اخباره ولذلك كان التحقيق ان السنة لا تنسخ القرآن . ثم انه (ص) شارع بإذن الله ولذلك قال عند ما سئل عن بعض المسائل « لو قلت نعم لوجبت » ومن ذلك انه حرم ما بين لابتي المدينة فجعلها كحرم مكة لا يحل صيدها ولا يقطع شجرها ولا ولا يختلى خلاها والحديث في الصحيحين وغيرهما وليس ناقضا لشيء من القرآن ولا مخالفا له . ومما يدل على انه حرم المدينة من قبل نفسه أي بغير وحي خاص ان العباس قال له « إلا الإذخر » فقال « الا الإذخر » فاستثنى الاذخر من قوله لا يختلى خلاها وهو نبات عطر لحاجتهم الى قطعه بمجرد طلب العباس . ولكن هذا النوع من التشريع قليل جدا وهو

مختلف فيه قيل ان الله أعطاه ذلك وقيل لا وليس هذا القول المجمل مما يتسع لتحقيق ذلك

هذا وان للاسلام اصولا ومقاصد لا بد لكل مسلم منها كالتوحيد واركان الايمان وهي الايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر وهي اعتقادات ، واركان الاسلام الخمسة ، وهي اعمال بدنية ، واركان الأدب التي تجمعها كلمة التقوى واجتناب الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وكل ذلك مبين في القرآن والسنة العملية . فهذا ما يجب على كل مسلم ان يعلمه ويعمل به

وأما الاحاديث التي لم يجر عليها عمل جماعة المسلمين والسواد الاعظم من أهل الصدر الأول ولا كتبها الراشدون ولا غيرهم من الصحابة ولا دعوا اليها وانما انفرد بها بعض الذين صرفوا هممهم إلى جمع الروايات وحفظ الاخبار والآثار فقيها تفصيل ملخصه أنه لا يجب على كل مكلف البحث عنها ولكن في معرفتها مزيد علم ومن عرف شيئا منها وصح عنده متنا وسندا بلا معارض أقوى منه وجب عليه ان يقبله ويهتدي به

نكتفي بهذه العجالة الآن بل هي قد جاءت أطول مما كنا نبغي ومتى سنحت الفرصة نعود الى بعض هذه المسائل بالبيان والتفصيل والى غيرها مما دار عليه كلام المتناظرين ما لم يدر عليه مما يتعلق بالمقام ككراهة النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة السؤال لئلا تكثر التكاليف واستلزام ذلك لكراهة ان يعلم جميع الناس بما يجاب به بعض السائلين و يكلفوا العمل به كما كلف السائل ذلك لحاجته اليه ، أوعدم استلزامه . وما جرى عليه الصحابة في السكوت على ما يعلمون من ذلك حتى يسئلوا عنه وانفراد الكثيرين منهم بالحديث الواحد وقلة ما رواه الجم الغفير . ولا نضرب لذلك موعدا معينا لئلا نصد عن الوفاء به والله الموفق

الانقلاب العثماني الميمون

لاهور في ١٩ أغسطس سنة ١٩٠٩ م

حضرة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا أدام الله فضلكم ونفعنا بعلومكم آمين

أما بعد السلام والاحترام ، لا أستطيع ان أفي بحق شكركم على ما أبديتم

من اللطف في نشر مقالتي والرد عليها ردا مسهبا ؛ وسأنشر ترجمة ردكم هذا في جريدتي تماما ان شاء الله تعالى

ولا أكتب بعد ذلك في هذا الأمر شيئا بقصد استطلاع الآراء ، بل نترك الدهر يقضي كيف يشاء ؛ فانه خير قاض ، ولكني أرى بنفسي ان الذين هم اليوم اعداء لعبد الحميد مثل شوكت باشا والغازي مختار باشا وغيرهم يحسون عاجلا بضرورة رجوعهم إلى عبد الحميد — ان لم تأخذهم الحمية حمية الجاهلية وسلكوا مسلك الانصاف والسداد –

وأما أمر التحاشي من نشر ردكم الأول فكنت على الصواب فيه لانه صدق ظني حين نشرته جريدة « علي كده انستي تيوت غازت » ، فاستاء منه العالم الاسلامي الهندي أشد الاستياء حتى اضطر محرر هذه الجريدة لتقديم الاستقالة من خدمته في أواخر شهر يونيو الخالي — وساءت سمعة مجلة المنار أيضا — فرأيت ان أدافع عن المجلة ونشرت ردكم في جريدتي مع جوابي الذي أوسلته اليكم بعد التعريب كما نشرتموه في العدد السادس من مجلة المنار الاغر — ولقد أثر ذلك الامر تأثيرا حسنا في تسكين ثائرة نفوس المسلمين الهنديين واطفاء نائرة غيظهم على « المنار »

وليكن في علم حضرتكم ان الجرائد التى وافقت آراءكم من مائة جريدة إسلامية في الهند لا يربو عددها على اثنتين فقط — إحداها جريدة « علي كده انستي تيوت غازت » والأخرى جريدة « وكيل » (أمرتسر) فما الذي جرى للاولى ؟ هو ان النواب وقار الملك ناظر الكلية الإسلامية في علي كده طلب من المحرر ان يصلح آراءه ويكتب ردا لأقوال مجلة المنار — ولكنه أبى الرد واستقال من وظيفته — ورد أقواله حضرة النواب المشار اليه في الاعداد التالية من الجريدة واضطر الى التسليم بان عبد الحميد هو « عبد الحميد الاعظم » لا محالة — وقد ندمت جريدة « وكيل » أيضا من سلوكها ذلك المسلك الصعب المخالف للرأي العام لمسلمي الهند واعتذرت عما فرط منها —

وظنكم أن آراء جريدة « وطن » موافقة لقرائها وهم عدد قليل في الملايين من مسلمي الهند فليس في محله لان شيوع هذه الجريدة في الاقطار الهندية

واشاعتها أكثر بكثير من جميع الجرائد الاسلامية الهندية ، فان جريدة علي كده جميع اشاعتها خمسمائة في الاسبوع ، وجريدة « وكيل » اشاعتها ألف وخمسمائة —

و بقية الجرائد الاسلامية لا تزيد اشاعتها عن الالف البتة — ولكن جريدة «وطن» إشاعتها الآن خمسة آلاف وثلثمائة في كل أسبوع — ولا ريب في ان قراءه لا يكونون أقل من خمسين أو ستين ألف رجل من المسلمين — بل ربما يكونون مائة ألف أو يزيدون — ولا يخفى على حضرتكم ان جريدة « وطن » تجد مشتركين معاونين لها في كل مكان فيه عدد ولو قليل من المسلمين الذين يعلمون لسان « الاردو » مثل إفريقيا الجنوبية والشرقية — وأمريكا الشمالية والجنوبية — وجزائر غرب الهند — والصين ، وأوستراليا ، وزنجبار ، وتونس ، وطرابلس الغرب ، وترانسفال ، ونيجريا ، وملايا ، وسومطرا ، وتركستان ، وعرب (؟) ، و بغداد ، وغيرها من البلاد النائية الاطراف من العالم الاسلامي فان جريدة « وطن » لتصل الى كل هذه البلاد دائما وانكم تعلمون ان وظيفة الجريدة ليست هي هداية قرائها الى جادة الصواب فقط بل انها يجب ان تكون مرآة ترى فيها آراء الامة والقراء جميعا وتكون مظهرة لميلانهم (؟) — واني أقول بكل الثقة ان آراء جريدة «وطن» في هذه المعاملة مطابقة لآراء قرائها وآراء الجمهور من المسلمين ولا عبرة للشواذ —

وأما قولكم بجهل مسلمي الهند بالحقائق في أول الأمر واقتناع منصفهم بعد ما ظهر لهم من الحق بواسطة نشر الحقائق في الجرائد التركية والعربية حتى تتعجبون من اصراري على ما كنت عليه فالمطلوب من حضرتكم إمعان النظر في مكالمة مراسل جريدة « بإونير » الانكليزية (التي تصدر في بلدة إله آباد بالهند) مع محمود شوكت باشا وقد أدرجت هذه المقالة بعددها الصادر في ١٣ أغسطس سنة ١٩٠٩ فاعترف شوكت باشا بأنه ليس عنده الرجال الاكفاء ذوو سطوة واقتدار حتى يقدر على حفظ السلطنة من التورط في الهلاك والخراب ،

وانا مسلمي الهند مع وقوفنا على كون العهد الحميدي محفوفا بالاخطار ومملوءا من السيئات ، لا نلقي تبعة هذه المفاسد على عبد الحميد وحده كما تلقون حضرتكم بل

نسبها الى جهل الملة وخوطها ونعلم ان عبد الحميد سعى جهد طاقته في تخفيف ذلك الجهل والخول (!!!)

واني لا ادعي الاولية في كتابة ذم عبد الحميد وعماله على جميع جرائد العالم بل قصدي انه ان اول من كتب بهذه الصراحة في الجرائد الاسلامية الهندية لا غير وهذا صحيح لا ريب فيه وقلتم ان الاختلاف في مشروع السكة الحجازية لم يكن من جهة السلطان السابق فاني لا اسلمه لان عندي كتبا خصوصية من اصدقائي في الاستانة وهم يكتبون ان الجرائد التركية حظرت عليهن الحكومة ذكر مشروع سكة بغداد والحجاز وسبب نشر آرائي في جريدة المعلومات العربية هو قلة انتشارها في المملكة العثمانية وان لم انس فاذكر ان الذي كتبوا منهم صديقكم وصديقي السيد عبد الحميد الزهراوي ايضا

والمؤرخون الذين ينحازون الى احد الطرفين لا يعد قولهم صحيحا بل العبرة بما قاله مؤرخة اولي الدراية في الازمنة التالية وكذلك الذين ليس لهم علاقة باحد من الفريقين المتخاصمين وانا كما تعلمون ليس لي واسطة بعبد الحميد ، ولا بتركيا الفتاة بل كل ما أقصده هو خير الدولة العلية وسلامتها حفظها الله ووقاها من جميع الآفات والمهلكات آمين

وعجبت من احتجاجكم باعترافي ان الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد الخ » فاقول لكم بكل ادب ان فيلسوفا مثلكم لا يلزم ان يكون ناسيا الفرق بين الترقية و بين حفظ مركز السلطنة وسد الخلل ومقصودي هو أن عبد الحميد لا يجب ان نأخذه بجريرة اسلافه ونترك ما اصلحه هو ولا نشكره عليه فان العقل لا يسلم لاحداث لايكون فيه حسنة غير السيئات ولذلك لا يخلو عبد الحميد ايضا من حسنات و يشهد على حسناته ما كتبته جرائد مصر العربية وجرائد اوربا في اكثر الاوقات في امتداحه من مدائحه واصلاحات عصره بالصراحة التامة والتاريخ يحفظ ذكرها

واما مدحت باشا فانه عزل من منصب الصدارة في سنه ١٨٢٢ ونفيَ ولكن القوم لم يكترثوا لحالته و بعد ذلك لما عين واليا على عدة ولايات فلم يكن سببه خوف

عبد الحميد منه أو من جماعته بل رأى ذلك السلطان العظيم أن يستفيد من اهلية الرجل وكفاءته في اصلاح شؤون المملكة — وما كان سبب العزل والنفي لمدحت باشا الا قلة مواليه ومشاركيه في حب الدستور (١)

انكرتم علي قولي ان حكم النبي (ص) والصديق والفاروق (رض) وغيرهم من الخلفاء الراشدين كان مطلقا واوجبتم علي ان استغفر الله من هفوتي هذه فاعوذ بالله واستغفره من كل ذنب واتوب اليه وبعد ذلك اسألكم ان ضمير « هم » في قوله تعالى (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) هل يرجع الى جميع افراد الملة الاسلامية او بعض سراتها وذوي الرأي منها؟ ان كان المقصود منه ذوي الرأي من سادات القوم ووجهائهم فلم تنسون مجلس شورى الدولة الذي كان موجودا في عهد عبد الحميد الى آخر ايامه واعضاؤه من اهل الخبرة والجاه والسياسة وسراة الامة؟؟ وان كان الضمير راجعا الى كل فرد من افراد الامة فمتى حصلت الاستشارة لجميعهم وكيف السبيل الى حصولها ايضا؟

هل كان صلح موقع الحديبية في زمن النبي (ص) وقتال أهل الردة والممتنعين من اداء الصدقات وتزحيف جيش أسامة (رض) وعدم مؤاخذة خالد بن الوليد (رض) من اعمال الصديق (رض) كل هذه الامور بمشورة القوم وغير مناقض لآراء الجمهور من الصحابة (رض)؟ ومتى اظهر المسلمون رضاهم من عزل خالد (رض) حينما عزله الفاروق (رض) لان الجمهور كانوا يحبونه ويفضلون ان يكون هو قائدا عليهم؟ — وان كانت هذه الامور بالاستشارة فالمرجو من كرمكم ان افيدوني باعلامها واذكروا لي اسماء الصحابة الذين استشيروا في تلك الامور

وعلمت اطلاع عبد الحميد على النوايا السيئة للغازي مختار باشا اليه من نشر تقارير الجواسيس في جرائد الاستانة في هذه الايام. وظهر انه كان عالما بسوء نية الرجل وإنعامه عليه واكرامه كان بسبب لطفه الطبيعي وحسن سياسته في تأليف قلوب النافرين منه بواسطة المال والاكرام (١)

انكم تقولون إني عاشق لعبد الحميد. ولا اعرف الحقيقة التي عرفتها الارض والسماء من انه كان السفاك المبيح للدماء وقاتل الابرياء وغيره، فقولكم هذا لا يعتد

به من غير بينة · وان الجرائد التركية مع كونهن تجاوزن حد الآداب في ذم عبد الحميد لم تستطعن ان تثبتن شيئاً حقيقياً من التهم الموجهة اليه في أمر افساد الدستور وشركته في الحركة الارتجاعية يوم ١٣ ابريل الماضي · غير الظنون والشكوك فان العاقل لا يعبأ بها · ومن الذي لا يعلم ان جرائد اوروبا لم تكن لتقصر في اذاعة سيئات عبد الحميد ومظالمه لو وجدن اليه سبيلا · والحمد لله خابت آمالهن من هذا القبيل ولم تستطع جريدة من جرائد أوروبا ان تكتب كلمة واحدة تدل دلالة صريحة على شركة عبد الحميد في الحادثة الارتجاعية ولكنكم تضربون على هذه النغمة عبثاً وتحاولون اقناعي بمثل هذه الخزعبلات (١)

ومعصيتي الكبيرة التي جنيتها في زعمكم هي قولي الحق في شأن مولانا السلطان محمد خان الخامس ادام الله ملكه وسلطنته « انه كآلة صماء في يد جماعة » ودعوتموني الى التوبة من هذه المعصية ولكن ما تقولون في اشاعات جمعية الاتحاد والترقي واقوال شوكت باشا نفسه بانه لم يترك حول جلالته احداً من انصار عهد القديم لا من رجال المعية ولا من الخدم والحشم حتى لم يتركوا حوله من خدامه القدماء احدا · وقد قاله شوكت باشا في مكالمتـه مع مراسل جريدة باونير المذكور سابقا في هذا المكتوب

وبالجملة فاني أتعجب من شدتكم في أمر عبد الحميد وسبكم له مع كونكم من العلماء الاعلام وحكماء الاسلام · يغفر الله زلتكم هذه ويهديكم سبيل الرشاد لان السب والشتم ليس من شيم الكرام · والسلام

ولا ابغي نشر مكتوبي هذا في المجلة ولا اكلفكم الرد عليه بغير رضاكم لاني علمت من الردين ما قد كفاني · واني عرضت عليكم بعض ما جال في خاطري عند قراءة ردكم · وخفت ان لو اكتب في جوابه شيئا فيطول الكلام لذلك اكتفيت ببعض الامور التي يجب اطلاع قرائكم عليه فان رأيتم من المناسب نشره نشرتموه والا فلا · فاطلب منكم العفو من تكليفكم مرتين كاتبه المخلص

محمد انشاء الله محرر ومدير جريدة « وطن »

ببلدة لاهور (بنجاب — الهند)

﴿ جواب المنار ﴾

ان هذه الرسالة تشعر باخلاص صديقنا فيما كتبه أولا وآخرا في مسألة الانقلاب في الدولة فنشره بعض ردنا وعده بنشر الباقي وهذا هو ظننا فيه الذي بيناه في ردنا عليه من قبل خلافا للجرائد التركية والعربية التي جعلته من صنف (الارتجاعيين) الذين يتبعون الهوى في نصر عبد الحميد حبا في ماله ورتبه واوسمته . وقد اوسعته تلك الجرائد ذماوتوبيخا وتهكما وهي مخطئة في ذلك كما انه هو مخطئ في اجتهاده ولذلك لم ننوه بشيء مما كتبوا وان أثنت علينا الجرائد التركية فيه وارسل الينا بعضه من الاستانة معلما عليه بالحبر الازرق . ونقول لأولئك الكتاب ان صاحب جريدة الوطن ربما كان اشد اخلاصا للدولة من اكثر الجرائد العثمانية التي تلعن اليوم الاستبداد وسلطانه ، وتطري الدستور واعوانه ، وسيرون ان شاء الله من محمد انشاء الله خير نصير للدولة الدستورية ، لا سيما بعد الاقتناع القريب بسوء عاقبة السياسة الحميدية ، ثم اننا نجيب مناظرنا عن شبهاته في هذه الرسالة بما يأتي بالاختصار :

(١) ان قراء الجرائد في الهند معذورون في إساءة الظن في المنار لما كتب ما يخالف آراءهم واهواءهم وجرائدهم التي استمدوا منها تلك الآراء والاهواء في السياسة الحميدية . وقد علمت ان اكثر المستائين يظنون اننا كنا نمدح عبد الحميد وسياسته في عهده فلما خلع انقلبنا عليه ذامين قادحين ، وظنهم هذا من الإثم ، والحكم علينا بغير علم ، ولذلك نظن ان قراء المنار لم يتهمونا بمثل ما اتهمنا به غيرهم لأنهم يعلمون اننا لم نكن نحسن الظن في السلطان عبد الحميد بعض الشيء ونلتمس له بعض العذر الا في السنة الأولى من سني المنار لأن استبداده لم يكن قد بلغ غايته ولقرب عهدنا يومئذ ببلادنا المحجوبة عنها الحقائق ، والمملوءة بالنفاق والمدح الكاذب ، وقد كان المنار بعد ذلك يتميز غيظا من سوء تلك الحال ، ويشكو منها بالاساليب المختلفة من الأقوال ، ومن أوضحها مقالة (حال المسلمين في العالمين ، ودعوة العلماء الى نصيحة السلاطين) وما يتبعها من المقالات التي نشرناها في المجلد التاسع ودعونا

فيها علماء الاسلام في مصر والهند وتونس الى مطالبة السلطان عبد الحميد بالعدل والإصلاح ، ولولا اننا أنشأنا جمعية سياسية سرية لمجاهدة استبداد عبد الحميد وجعلنا لها جريدة خاصة سميناها باسمها (الشورى العثمانية) وكنا نرسل الجريدة بمنشورات سرية يوزعها عمال مخصوصون في الاستانة والروملي والاناطول بنفقة من الجمعية لما رضينا بذلك التنديد الاجمالي في المنار . وقد نوهنا بذلك في فاتحة هذه السنة

ومن كان في شك من مجاهدتنا لعبد الحميد في عهد استبداده بأشد مما كتبناه في المنار بعد خلعه — وهو نفسه يعلم ذلك ولا يشك فيه — فليطلب منا بعض اعداد جريدة جمعيتنا ليعلم اننا لسنا كأصحاب تلك الجرائد العثمانية التي كانت تسبح اسم عبد الحميد بكرة وأصيلا راضية أو كارهة ثم صارت تلعنه كذلك . ولو كان المنار كتلك الجرائد وصاحبه كأصحابها لما خربت الحكومة بيت أبيه ، ونكلت بأهله وعشيرته ، ولولا انه مخلص في جهاده الاستبداد الحميدي لما احتمل ذلك العذاب ، والبلاء في الاموال والأنفس والأوقاف ، ورغب عن العطايا والرتب التي عرضت عليه ليكون من المادحين لعبد الحميد. واننا ننشر في هذا الجزء ما نشرته الحكومة الحميدية في جريدة بيروت الرسمية من اتهامنا واتهام بعض اخوتنا وأصحابنا بالجناية والأمر بالقبض علينا احياء أو ميتين . ونرجو من صديقنا ان يترجمه وينشره مع هذا الرد في جريدته ليقرأه من لا يعرف العربية من إخواننا مسلمي الهند

(٢) اننا نعجب لظن صديقنا المناظر لنا بعد ان بينا له الحقائق ان مثل مختار باشا وشوكت باشا سيظهر لهما على عداوتهما لعبد الحميد ضرورة الرجوع اليه ! ! يا لله العجب ! ! أيظن صاحبنا أنه أعلم بعبد الحميد منهما وممن على رأيهما من خيار رجال الدولة حتى يظهر لهم انهم هم المخطئون فيكون هو المصيب في غلوه في إطراء عبد الحميد ؟ ! أيسمح لي صديقي الفاضل ان أسمي هذا الظن غروراً مبيناً مع احترامه وحفظ مقامه ؛ هل أعيد له القول البديهي انهم يعرفون جميع عجره وبجره الخفية والجلية وجميع أعماله السرية والجهرية وصديقنا لا يعرف منها الا بعض الظواهر التي برز أكثرها في غير صورته الحقيقية . وهل تكون حمية مختار باشا على عبد الحميد حمية جاهلية وهو أكبر قواد الدولة الذي بذل دمه مرات كثيرة في سبيلها ؟ وتكون حمية

صاحب جريدة الوطن هي الحجة الصادقة التي يثيرها الانصاف ؟ أي حظ لمختار باشا من عداوة عبد الحميد ؟ ان مرتبه الآن لا يبلغ عشر مرتبه من عبد الحميد وان ولده كان بمحاباة عبد الحميد فريقا من الدرجة الاولى وقد أنزل بعد الدستور الى رتبة أميرألاي ، ومختار باشا راض مسرور من خلع عبد الحميد ، أليس هذا برهانا قاطعا على إخلاصه ؟ فائتنا أيها الصديق ببرهان مثله يثبت انك أشد إخلاصا للدولة وأعلم بمصلحتها منه ؟ ؟ ما كان ينبغي لك ان تعيد مثل هذه الاقوال التي لا يكاد يعقل صدورها من عالم مخلص مثلك إلا بذلك التأويل الذي حملت عليه كلامك من قبل وهو كون اعتقادك حسن حال عبد الحميد صار وجدانا لا يقبل البحث كدين العجائز ، ومنك يرجى السماح والعفو

(٣) اذا كان قولك ذلك عجبا فاعجب منه استدلالك على كونك مصيبا في اصرارك على رأيك في عبد الحميد وحكومة الدستور بقول شوكت باشا انه ليس عنده من الرجال الاكفاء من يكفي لحفظ السلطنة ! ! ان هذا اكبر حجة لناعليك واظهر مبطل لقولك ان عبد الحميد كان يسعى جهد طاقته في تخفيف الجهل والخمول السائدين في السلطنة . او كان حقا ما تقول لكانت مدة سلطنته كافية لتعميم التربية الملية والتعليم النافع وتخريج رجال لا عداد لهم يصلحون للنهوض بجميع أعباء السلطنة . فان ثلث قرن كاف لتربية ثلاث طبقات أو أجيال من الامة . ولكن عبد الحميد كان والله مفسدا في المملكة عدوا للعلم والتربية نصيرا للجهل والضلالة . وان من البراهين القاطعة على افساده وتخريبه للدولة وإتيانه إياها من قواعدها وأساسها ما قامت به الحكومة الدستورية من تصفية الرتب العسكرية فقد تبين به صدق ما كنا نعلمه بالاجمال ونقوله بالاختصار من ترقية عبد الحميد للضباط والقواد بمحض ارادته محاباة لهم لئلا يسخطوا على هدمه لسائر قواعد السلطنة . فالعسكرية التي احدثت الانقلاب وبيدها زمام الأمر هي التي اختارت إزال الجم الغفير من قوادها وأمرائها وضباطها عن مراتبهم غيرة على الدولة ومنعا لهذا الخلل الذي يقضي على الدولة اذا هي وقعت في حرب مع دولة قوية منظمة . لقد خلع عبد الحميد والدولة عاجزة عن محاربة البلغار التي هي قطعة منها ولكن حكومة الدستور أمكنها ان تلافى الامر بسرعة حتى

استعدت للطوارئ في اقل من سنة وان كان الاصلاح التام لما افسده عبد الحميد لا يتم الا بسنين ، وناهيك باصلاح الاسطول وتعزيزه وقد ظهر للوجود بعد خفائه

يا سبحان الله ! البلاد بلادنا والمكاتب والمدارس مدارسنا ومكاتبنا بنيت بأموالنا وهي تحت مواقع ابصارنا والمعلمون والمتعلمون فيها اخوتنا وأولادنا ، ونحن الذين نقول ان عبد الحميد ابطل كثيرا منها وجعل بعضها تحت مراقبة الجواسيس ومنع منها باشاراتهم بعض العلوم و بعض الكتب ثم بعض الآلات والمواد التي يتمرن فيها التلاميذ على الاعمال في العلوم الطبيعية ، كما منع اكثر الكتب النافعة في الدين والأدب والتاريخ والتربية وغير ذلك واحرقت حكومته ألوفا كثيرة من هذه الكتب وحملت الناس بضغطها وظلمها على احراق أكثر مما احرقت هي . و بعد هذا كله يقول صاحب جريدة الوطن ان السلطان عبد الحميد كان باذلا جهده في ازالة الجهل واصلاح حال الأمة بالعلم ! . ثم هو يعترف معنا بعد ذلك بأن الامة العثمانية ليس فيها (بعد هذا الجهد في تعليمها بزعمه) أناس قادرون على القيام باعباء الحكومة ! ! كيف يفهم هذا وبم يفسر ؟ ؟ ؟

يعترف صاحب « وطن » بأنه هو وقومه واقفون على ما كان في العهد الحميدي من السيئات ولكنهم لا يلقون عليه التبعة وحده مثلنا كما يدعي بل يقولون إن سببها جهل الامة نعم ان جهل الأمة هو الذي مكن مخالبه من مقاتلها ولذلك كان يكره ان تتعلم وينكل بكل من ينبه افكارها والا فليدلونا على ذنب المنار حتى لقي واهله ما لقوا منه ؟ اما عماله واعوانه على الافساد فانهم كانوا على شاكلته

ومن يربط الكلب العقور ببابه فكل بلاء الناس من رابط الكلب

ولماذا لا تحرق الكتب الآن ولا يحذف بعض المسائل من نسخها الطابعون كما حذفوا طائفة من كتاب المواقف الذي طبع في عهده بالاستانة ومن كتاب شرح المسايرة في العقائد الذي طبع في مصر فجعلت بعض نسخه كاملة صحيحة وهي ما يباع بمصر وسائر بلاد الدنيا ما عدا البلاد العثمانية وأما بقية النسخ التي ترسل إلى الاستانة وغيرها من الولايات العثمانية فقد حذف منها بعض المباحث لئلا يجعل وقودا للنار

(٤) تنازل صديقنا من دعوى ترقية عبد الحميد للسلطنة أو اجتهاده في ترقيتها

في بعض كلامه (وان تناقض مع بعضه الآخر) وجعل حسنته العليا حفظ مركز السلطنة وسد الخلل ونقول ان هذه الدعوى ممنوعة أيضا فان سد الخلل إنما يكون قبل كل شيء بإصلاح المالية فالدولة التي ليس عندها مال لا تقدر ان تدفع خطرا داخليا ولا خارجيا وهو قد دمر مالية الدولة تدميرا كما هو بديهي لا يقبل المراء . ثم ان الركن الآخر لحفظ المركز هو العسكرية وقد قلنا آنفا انه اشتغل في آخر عهده بإفسادها وإن تصفية الرتب العسكرية أقوى برهان على ذلك . ثم ان كل ما كان يعمله عبد الحميد في المشكلات الخارجية هو الحيلة والمواربة والتسويف والترضية للدول بعد ذلك والغرض من هذا كله تأخير سقوط الدولة الى ما بعد موته ليبقى طول حياته متمتعا بنعيمها وان كان أكثره وهميا مشوبا بالمنغصات التي لا قبل له بدفعها لأن وسواسه هي مثارها ومهدها . ولو طال العهد على تلك السياسة الخرقاء التي لم ينل منها بعض ما يريد الا باختلاف الدول وتنازعها لخربت المملكة فقد تداخلت أوربا في ولايات مقدونية وكان ذلك مقدمة لسلخها من الدولة ولولا الدستور الذي أراحنا من سياسته لذهبت تلك الولايات وما ثبتت الاستانة بعدها إلا قليلا . واما مدح الجرائد له فكان بعضه بالثمن وبعضه بسوء الفهم وبعضه بالاكراه

(٥) قال انه لم يثبت ان عبد الحميد هو مدير الفتنة الأخيرة التي خلع بها ، ومع هذا نصفه بسفك الدماء ، ونقول ان هذا وصف قديم له معروف عند الافرنج الذين يسمونه السلطان الأحمر ، وان الحكومة الدستورية قررت عدم محاكمته ولذلك لم تظهر كل ظهر لها من دسائسه في الفتنة وغيرها

(٦) سمى صديقي ماعبت به عبد الحميد في سياسته وإدارته ، وما كتبته من وجه العبرة بخلعه ، سبا وشتما وقال انه ما كان يليق ذلك بمثلي . وهي غفلة من الصديق ، سببها الغلو في حب عبد الحميد ، فان السب عبارة عن ألفاظ بذيئة توجه الى شخص لأجل تحقيره وإهانته فقط . وما ذكرناه في عبد الحميد لم يكن كذلك وانما كان بيانا لحقيقة رجل آذى دولة عظيمة وأمة كبيرة وتنبيها لوجه العبرة في سقوطه فهو من قبيل ما في الكتاب والسنة من ذم فرعون وملأه والعبرة بهلاكهم ، ومن قبيل جرح المحدثين لرواة الحديث، ومن قبيل ما أذن الله به من قول السوء لمن ظلم

بيان ظلم ظالمه وسوء عمله، وعبد الحميد لم يكن ظالما لي ولأهلي فقط بل كان ظالما لنا ولجميع الأمة ما عدا اعوانه على الظلم منها . هذا ما أقوله فيما يتعلق بعبد الحميد وأثبت له حسنة السكة الحجازية وحسنة عدم التعصب لجنسه وكراهته ان يقال ترك وعرب، واما المسائل العامة التي أنكرها علينا صديقنا أوسأل عنها فهذا جوابها بالاجمال الذي يسعه المقام نذكره تابعا بالعدد لما قبله

(٧) من البديهي ان الذين تجب استشارتهم في الامور العامة هم اهل الرأي والمكانة في الامة العارفون بمصالحها والمحترم رأيهم عند جمهورها المعبر عنهم في القرآن باولي الامر لا جميع افراد الامة . ولم يكن مجلس شورى الدولة مؤديا في عهد عبد الحميد لوظيفة المشاورة الشرعية ولا أعضاؤه من أهل المكانة في الامة ولا من المعروفين عندها وانما يعرفهم من كان بينه و بينهم صلة جوار أو نسب أو عمل . ذلك مجلس قديم العهد في الدولة وقد أفسده عبد الحميد كما أفسد غيره حتى جعله مستودعا لمن يسترضيهم ممن يخشى اشتغالهم بالسياسة وكان أكثرهم لا عمل لهم ولم يكونوا مرجعا له في الامور العامة ولا مستشارين على ان يكون رأيهم معمولا به قطعا بل كان المجلس ولا يزال ثلاث دوائر احداها الملكية والثانية للتنظيمات والثالثة للمحاكمات يحاكم فيها كبار الموظفين وكانت الاشارة من اقل رجال المابين او جواسيسه تكفي لإدانة البريء والحكم عليه باشد العقوبة وعفو السلطان فوق حكم هؤلاء كما انه فوق جميع المحاكم الشرعية والنظامية أهذه هي الشورى المطلوبة في القرآن التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل برأي رجالها وان خالف رأيه كما فعل في غزوة أحد التي أنزل عليه فيها (وشاورهم في الامر) ؟ ؟ ياسبحان الله ألهذا الحد وصلتم في الانتصار لعبد الحميد ؟

(٨) ذكر صديقنا عدة شبه على قولنا ان حكومة الاسلام حكومة شورى مقيدة، لا استبداد مطلقة، وان الخلفاء الراشدين، لم يكونوا في احكامهم مستبدين، ونجيب عنها واحدة بعد أخرى :

﴿ الشبهة الأولى ﴾ ان صلح الحديبية لم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم برأي الصحابة بل كانوا له كارهين في أول الامر وانما قبلوه تدينا لا اقتناعا بفائدته كما هو معروف في السير مع انه وقع بعد غزوة أحد التي أمر فيها بالاستشارة . والجواب عنه من وجهين

(الوجه الأول) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل بعض الاعمال بأمر من الله تعالى فلا يستشير فيها أحداً إذ لا مجال لرأي أحد مع أمر الله تعالى ويجب ان يكون صلح الحديبية من هذا القبيل والا لزم مخالفة النبي (ص) لأمر الله تعالى إياه بمشاورتهم وذلك غير جائز ، وقد يدل على ذلك قوله تعالى في الرد على كراهة الصحابة لذلك الصلح « فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريباً » وتسمية ذلك فتحا مبينا في أول السورة أيضا ، ولم يعاتبه تعالى عليه كما عاتبه على أخذ الفداء من الاسرى ببدر

(الوجه الثاني) قيل ان المشاورة لم تكن واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم وان أمره الله بها للندب فهو يفعله إذا لم يرغبه أرجح منه . ولا أراك تطيب نفسك للقول بأنه (ص) يخالف الأمر الإلهي وان كان الندب كما تطيب نفسك للقول بأنه فعله بوحي إلهي كما تدل عليه سورة الفتح

﴿ الشبهة الثانية ﴾ بعض اعمال الصدّيق كقتاله لأهل الردة ومانعي الزكاة ، وانفاذه لجيش أسامة ، وعدم مؤاخذة خالد بن الوليد على قتل مالك بن نويرة والتسري بزوجه . وانا نجيب عنها كلها جوابا عاما ثم نجيب عن كل منها بالتفصيل

اما الأول فهو ان الحكومة المطلقة هي ما كان الامر فيها للحاكم العام في التشريع والتنفيذ والحكومة المقيدة هي ما كان الحاكم العام فيها مقيدا بشريعة ليس هو الواضع لها إما منزلة وإما موضوعة برأي الأمة ، وإما بعض احكامها منزل و بعضه موكول الى استنباط أولي الأمر من الامة يضعونه بالمشاورة بينهم — كالشريعة الاسلامية — والتنفيذ في هذه الحكومة لا يحتاج فيه الى الاستشارة متى كان الحكم معروفا عند الحاكم . وكذلك كانت حكومة الراشدين : كانوا اذا وجدوا الحكم في كتاب الله حكموا به او في السنة كذلك فان لم يجدوا جمعوا أهل الرأي من الصحابة واستشاروهم كما روينا ذلك بالاسانيد المتصلة واوردنا بعض ذلك في المنار من قبل

وعلى هذا تجري الحكومات الدستورية الآن في اوربا وغيرها : يحكم الحاكم بالقانون فلا يراجع مجلس النواب في كل قضية وإنما يرجعون اليه في المشكلات وما كان غير منصوص في القانون . وقد كان الحكم الشرعي في المسائل المذكورة معروفا

عند ابي بكر فجاز له ان ينفذها من غير استشارة بل وجب عليه ذلك في اعتقاده

واما التفصيل فقد تأول في قتال مانعي الزكاة حديث « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » فانه جعل من حقها ان مانعي الزكاة الهادمين لركن من اركان الاسلام يقاتلون عليه حتى يذعنوا له . وان الفقهاء صرحوا بأن الذين يمنعون شيئا من شعائر الاسلام ولو مسنونا كالاذان يقاتلون عليه . فهو قد تصدى لقتال مانعي الزكاة عملا بحكم مقرر عنده بالنص ولما راجعه عمر في ذلك وذكر الحديث قال له « ألم يقل الا بحقها ؟ فالزكاة من حقها » الخ ما قال وهو مشهور فاقتنع عمر بقوله . وهذه المراجعة تدل على انهم كانوا يعارضون الامام اذا تصدى لشيء لم يظهر لهم دليله الشرعي فيه او ظهر لهم مخالفته فيه للنص الشرعي

والناس يغلطون في هذا المقام فيخلطون بين محاربة المرتدين وهو بنو حنيفة اتباع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وبين مانعي الزكاة وهم غيرهم فمحاربة بني حنيفة كانت باتفاق الصحابة لم يعرض لأحد فيها إشكال ومحاربة مانعي الزكاة عرض فيها الاشكال لعمر فاقنعه ابو بكر

الحديث الذي دار الكلام عليه بين الشيخين مروي في الصحيحين وقد اخرجاه بزيادة هي نص في فهم ابي بكر الذي رجع إليه عمر اذ قال « فوالله ما هو الا ان رأيت الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعلمت انه الحق » وهذه الزيادة هي « ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » فالحاصل ان أبا بكر عمل بما علم من حديث الرسول في المسألة وذلك مما لا يحتاج فيه الى الاستشارة وقد اقره الصحابة كلهم على ذلك بعد مراجعة عمر واقتناعه

واما إنفاذ أبي بكر لجيش اسامة فهو ايضا تنفيذ لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اشار عليه بعض الصحابة أن يرد الجيش فلم يفعل وقال « لا أحل راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم » فاحتج بأنه منفذ لأمر الرسول (ص) وكانت المصلحة فيما فعل . ومما يدل على انه لم يكن يرى ان له الحق في رد الجيش طلبه من أسامة ان يأذن لعمر في البقاء في المدينة لينتفع المسلمون برأيه ولم يمسك عمر عنده بما له من السلطة العامة لأن سلطته في الامور المنصوصة لا تعدو تنفيذ النص الا ان يظهر له

في اتباع النص ما ينافي المصلحة العامة لامور عرضت تقتضي ذلك فحينئذ يستشير اولي الامر في العمل بما فيه المصلحة كما فعل عمر في الطلاق الثلاث باللفظ الواحد اذ كان على عهد النبي (ص) وابي بكر (رض) بعد طلقة واحدة . فرأى عمر بعد مضي زمن من خلافته اكثار الناس من هذا الطلاق المخالف للسنة ومقصد الشريعة فاستشار الصحابة في انفاذه عليهم عسى ان يتركوه وأنفذه برضاهم والحديث فيه الصحيح وتقدم الكلام عليه في التفسير وغير التفسير

وأما عدم مؤاخذة ابي بكر لخالد بن الوليد اي مقاصته على قتل مالك بن نويرة فهي لا تدل على ان حكومته كانت مطلقة استبدادية اذ ليس في الشريعة نص يوجب القصاص في مثل تلك الحادثة وهي القتل بالتأول في الحرب بل فيها ما يقتضي عدم القصاص فان خالداً نفسه قتل طائفة من بني جذيمة متأولا فغضب النبي (ص) حتى قال « اللهم إني ابرأ اليك مما صنع خالد » كما في الحديث الصحيح ولكنه لم يقتله ولم يوجب عليه دية . وكذلك قتل اسامة رجلا قال لا إله إلا الله فأنكر النبي (ص) عليه ذلك وقال « يا اسامة أقتلته بعد ما قال لا إله الا الله ؟ » قالها ثلاث مرات كما في الصحيحين ولم يقتله به ولا اوجب عليه قودا ولا دية لانه متأول . وما روي من ان عمر اشار عليه بقتله غاية ما يفيده كما قال ابن تيمية ان المسألة اجتهادية اختلف فيها اجتهاد الشيخين ولم يأت عمر بدليل يوجب على ابي بكر الرجوع الى رأيه . والظاهر ان عدم الدية والقود خاص بما يكون من مثل هذا في ايام الحرب واما من قتل معصوما في أيام السلم متأولا فتأوله قد ينافي التعمد الذي يقتل به ولكنه لا يمنع ايجاب الدية ولا التعزير بحبس او غيره . ولمؤرخي الشيعة وغيرهم اقوال غير صحيحة في مسألة قتل خالد لمالك ومنها تسريه بزوجه من غير اعتداد ولا استبراء وليس لهم في ذلك رواية يحتج بمثلها شرعا ؛ على ان فقهاء الامة مختلفون في اعتداد مثلها وليس هذا المقام مما يتسع للخوض في ذلك

﴿ الشبهة الثالثة ﴾ عزل الفاروق لخالد من قيادة الجيش في الشام . ونقول إن ذلك حقه وقد بلغه من الاخبار ما أراه ان المصلحة في ذلك. وهذا ما يفعله كل رئيس للعساكر

أو للادارة في الحكومات الدستورية ولا يتبعون في اختيار القواد هوى الجند ورضاه فقط بل كثيرا ما تقضي السياسة بابعاد القائد عن الجند الذي يعشقه ويفتتن به لئلا تحدثه نفسه بالخروج به على الحكومة وتأسيس دولة جديدة · ويروى ما يدل على ان هذا هو السبب في عزل عمر له وهوانه لما سأله خالد عن ذلك قال خفت أن يعبدك أهل الشام · ألم يكن السبب في سفك نابليون لدماء الملايين من البشر هو افتتان جنوده به حتى انهم عصوا حكومتهم عند ما أمرتهم بمحاربته بعد رجوعه من جزيرة « ألبا » وكانوا عازمين على ذلك فلما اقبل عليهم بوجهه ودعاهم الى قتله خروا أمامه خاضعين وله متبعين ؟ ؟

(٩) ومن المسائل الهامة التي غلط فيها صديقنا صاحب « وطن » ما ذكره في المؤرخين الذين يعتد بأقوالهم والذين لا يعتد بأقوالهم وتطبيقه ذلك على أقوالنا وأقواله في الانقلاب العثماني · والصواب ان المؤرخ الصادق العدل يعتد بروايته عما رآه واختبره بنفسه ، وأما ما يرويه عن غيره فالعبرة فيه بصحة السند ومتى كان الراوي عدلا قبل قوله ولو فيما يؤيد رأيه ومذهبه كما قبل المحدثون من أهل السنة رواية العدول من المعتزلة والخوارج والشيعة · ثم انه ليس ههنا فريقان مختصمان نتعصب نحن لاحدهما على الآخر وانما يظهر التعصب من صديقنا لأنه يفضل الحكومة الحميدية الاستبدادية التي سقطت على الحكومة الدستورية التي قامت ويطري عبد الحميد ويذم خلفه وأعوانه فهذا هو التحيز الى فئة · وقد اتهمته (يني غزته) وغيرها من الجرائد التركية بأنه كان يرجو من عبد الحميد فوق ما ناله من وسام أو نوط وأنه وجد منه كتابة الى المابين يطلب فيها ان يدعى الى احتفال سكة حديد الحجاز ويعطى نفقة سفره الى الحجاز ، وهي مطامع في المال والجاه

أما نحن فاننا رأينا ظلم عبد الحميد في أنفسنا وبلادنا وأمتنا ودولتنا : رأينا المالية منهوبة ، والارض موظوبة ، والاملاك مغصوبة ، والمعارف مغضوبة ، والكتب ممنوعة ، والقضاء آلة سياسية ، والإدارة مدبرة الاستبداد ، والعسكرية قد سرى اليها الوهن والفساد ، والاجانب ينتقصون الارض من اطرافها ، ويسري نفوذهم فيها ، فجاهدنا على قدر عجزنا وضعفنا ، وجاهد غيرنا من الاحرار كل على قدره ، حتى اذا أذن الله بسقوط تلك

الحكومة الحميدية المفسدة ، حمدناه وأظهرنا سرورنا بنصره ، وشكرنا العاملين على الانقلاب مع شكره ، عملا بحديث «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» ولكننا لم نقدس الحكومة الجديدة ولم نتعصب لها في عمل من الاعمال بل نرشدها وننتقدها على خطإها ومنه ما يرى خبره في هذا الجزء عن فتن الشام ، وعلى تقصيرها ومنه انها لم ترد الينا شيئا من حقوقنا التي سلبها الاستبداد منا ، فلا نقول إننا بلغنا بها أعلى عليين ، وانما نقول انها محل الرجاء وكنا مما قبلها يائسين . فهل من العدل ان يقول صديقنا ان كلامنا لا يعتد به لاننا متحيزون متعصبون ، وان كلامه هو الذي يعتد به لانه يشهد لنفسه انه أوسع علما وأشد إخلاصا ؟

قلت من قبل اني أحسن الظن فيه وأقول الآن ان ظني فيه لم يتغير وان أصر على مدح عبد الحميد بعد البيان ، كما يحكم عليه الوجدان ، ولا أعد ما ذكرته الجرائد التركية قادحا في اخلاصه ، ولكني أوقن بأنه لا يعرف من حال الحكومة الحميدية عشر معشار ما أعرف أنا وأمثالي اذ ليس عنده الا سمعيات قليلة يصدق بعضها ويكذب بعضا بحسب فكره ووجدانه ، وأما معلوماتنا فتدخل من ابواب اليقينيات الستة وهي كثيرة جدا . واذا كانت الغيرة على الدولة والاخلاص لها تتعذر الموازنة بينهما في أنفسهما فدلائلهما فينا أقوى من دلائلها عنده لاننا تحملنا الايذاء والبلاء في أنفسنا وأهلينا وأموالنا وآثرنا ذلك على الاموال والرتب والاوسمة ، فهل عنده شيء من مثل هذه الدلائل على حب الدولة والاخلاص لها وهما مما لا ننكرهما عليه ؟

(٩) احتج مناظرنا على كلمته الشنيعة في مولانا وخليفتنا السلطان محمد الخامس ايده الله بروح منه بقول جمعية الاتحاد وشوكت باشا انه لم يترك حوله احد من انصار العهد القديم لا من رجال المعية ولا من الخدم والحشم ! ! !

اني على كثرة ما انكرت على صاحبي من اقواله وآرائه وحججه في موضوع مناظرتنا لم ار أغرب من قوله هذا وما كان يخطر في بالي ان يقول مثله وهو من أهل العلم والسياسة . ان مولانا السلطان محمدا لم تكن له حاشية عقلية من أهل السياسة الذين يعتمد عليهم فيقال ان إبعاد شوكت باشا أوغيره إياهم عنه واستبدال غيرهم بهم جعله غير قادر على التصرف حتى يصح ان تقال فيه تلك الكلمة المنكرة ، وانما كان حوله جواسيس عبد الحميد ليسوا من أهل السياسة بل من أهل الفساد والسعاية ، ولم يكن يثق بأحد

منهم ، وهو الآن يرى جميع الوكلاء وأركان الدولة ومن شاء من غيرهم ويكاشفهم بما يريد وكذلك كان جميع السلاطين قبل عبد الحميد لا عمل لهم الا بواسطة حكومتهم ولم تكن حاشيتهم إلا حاشية خدمة ولكن عبد الحميد اسس حكومة المابين ليحارب بها الدولة والامة وقد فعل وظفر زمنا ثم كان عاقبة امره خسرا

* * *

﴿ ذيل للرد يدخل في باب الاخبار والاراء ﴾

فيما نشر في عدد ٨٦٦ من جريدة بيروت الرسمية التي صدرت في ٢٨ المحرم سنة ١٣٢٤ بالتركية والعربية في اتهامنا بالجناية وجلبنا بالقوة أحياء أو ميتين لمحكمة الجزاء بطرابلس كما هو معنى « اخذ وكرفت » وهو

(طرابلس شام بدايت محكمه سي جزا)

« دائره سندن »

مصره فرار والمنار هذيانامه سنده نشريات خائنانه وملعتكارانه يه اجتسار ايتمك ماده سند تطولايي مظنون وقرارده بولنان طرابلس شام سنجاغنه تابع قلمون قريه سي اهاليسندن وهذيانامهٔ مذكوره صاحب ومحرري محمد رشيد رضا ايله هذيانامهٔ مذكوره يه دخالت ونشريات ملعتكارانه يه اشتراك ايلدكلري ادعاسيله مظنون ومرقوم رشيدك برادري أولوب موقوف بولنان ابراهيم أدهم وينه مصره فرار وأرباب فساده التحاق ايدن ديكر برادرلري أحمد حمدي وحسين وصفي ايله طرابلس شاملي عبد القادر مغربينك حركات خائنانه وملعتكارانه لرندن طولايي أصول محاكمات جزائيه نك مواد مخصوصه سي احكامنه توفيقا طرابلس شام جنايت محكمه سنده محاكمه لري اجرا قلنمق اوزره جزا قانونامهٔ همايوننك اللي [illegible] ماده سي موجبنجه بيروت ولايتي هيئت اتهاميه سنجه جنايتله اتهاملرينه قرار ويرلديكندن متهموف مرقومونلك هر نره ده كوريلورلر ايسه طوتيلوب محكمهٔ مذكوره توقيفخانه سنه تسليملري لازم كله جكي بالجمله ضابطهٔ عدليه مأمورلرينك معلومي أولمق أوزره اشبو اخذ وكرفت مذكرمسنك خلاصه سي بيروت رسمي غزته سنه درج واعلان أولنمق أوزره تنظيم أولندي .

(من دائرة جزاء محكمة البداية)

« في طرابلس الشام »

بما ان محمد رشيد رضا من أهالي قرية القلمون التابعة للواء طرابلس الشام الفار الى مصر وصاحب ومحرر جريدة المنار الهذيانية والمظنون عليه بالتجاسر على نشر مواد الخيانة والفتنة في الورقة المذكورة وكلا من أخيه ابراهيم أدهم الموقوف والمظنون عليه باشتراكه في تلك النشريات اللعينة وأخويه أحمد حمدي وحسين وصفي وعبد القادر المغربي من أهالي طرابلس الشام الفارين الى مصر أيضا والملتحقين بأرباب الفساد قد اتهمتهم الهيئة الاتهامية في ولاية بيروت بالجناية توفيقا للمادة ٥٨ من قانون الجزاء الهمايوني ليحاكموا في محكمة الجناية في طرابلس الشام توفيقاً لاحكام المواد المخصوصة من أصول المحاكمات الجزائية وذلك بالنظر لحركاتهم الجنائية اللعينة فعلى جميع مأموري ضابطة العدلية ان يلقوا القبض عليهم أينما وجدوا ويسلموهم لمحل توقيف المحكمة المذكورة ولأجل ان يكون ذلك معلوماً عند المأمورين المذكورين جرى تنظيم هذه المذكرة (اخذ وكرفت) لتنشر خلاصتها في جريدة بيروت الرسمية .

(الطبيب محمد إسماعيل الأجميري الهندي)

زارنا في أوائل هذا الشهر المبارك هذا الطبيب فعلمنا منه أنه جاء من القدس الشريف وانه جاء في العام الماضي مع أهله الحجاز فأدوا الفريضة وأقاموا في مكة المكرمة ثم في المدينة المنورة عدة أشهر ثم سافروا الى القدس فأقاموا فيها مدة ثم عادوا منها في أواخر الشهر الماضي محرمين بالعمرة وسيعودون بعدها الى بمبي وهي موطنهم وبلد اقامتهم . وقد كان هذا الطبيب يعالج جميع المرضى في البلاد المقدسة بغير أجرة ابتغاء مرضاة الله تعالى وقد كتبوا له شهادات في الحرمين ختمها الجم الغفير من العلماء والشرفاء وغيرهم وصدقت عليها الحكومة لا سيما في المدينة المنورة فنسأل الله تعالى ان يجزيه خير الجزاء ويجعله قدوة صالحة للاطباء

وقد علمنا منه انه ماجاء القاهرة الا لاجل زيارتنا فشكرناه له ذلك وقد سألناه عن افكار مسلمي الهند في الانقلاب العثماني وهل صح ما قيل ان اكثرهم يسيئون الظن بالدولة الآن لحسن ظنهم في السلطان عبد الحميد المخلوع . فقال ان في الهند كذا مليونا من المسلمين اكثرهم لا يعرف السياسة ولا يهمهم من امرها شيء قط ولكن الذين يقرؤن الجرائد وقليل ماهم يتبعون رأي جرائدهم في ذلك

﴿ كتاب التوسل والوسيلة ﴾

طبعنا الآن في هذه الايام كتابا خاصا في مسألة التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام وهو الذي نقلنا نموذجا منه في الجزء الثامن ونبذة وجيزة منه في تفسير الجزء السابع ، طبعنا اكثره على نفقة السيد محمد حسين نصيف وكيل امارة مكة في جده وطائفة منه على نفقتنا ؛ ليكون سلاحا في أيدي أنصار السنة ، يفرون به ضلالة أهل البدعة ، واننا ندعو أولياء البدعة المنكرين على شيخ الاسلام (كالشيخ النبهاني) الى قراءته والرد عليه ان استطاعوا وندعو جمهور الامة الذين يحبون السنة ولكن يخفيها عن بعضهم الجاهلون ، ويكرهون البدعة ولكن يزينها لأعينهم المبتدعون ، أن يقرءوا هذا الكتاب ويوازنوا بينه وبين ما اطلعوا عليه من كتب المبتدعين ثم ليتبعوا ما يرونه موافقا لكتاب ربهم عز وجل ، وسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيرة سلفهم الصالحين ، وأئمتهم المجتهدين ،

بين شيخ الاسلام في كتابه هذا معنى الوسيلة في القرآن ومعنى التوسل في لغة الصحابة وعرفهم ومعناه في عرف المتأخرين الذين ادخلوا فيه معنى البدعة ، وما هو مشروع منه وما هو مبتدع ، وما هو نافع وما هو ضار ، وحقق مسألة السؤال ومسألة الدعاء وما يشرع منها وما لا يشرع مع الدلائل من الكتاب والسنة وأقوال السلف وحكمة التشريع ــ وبين ما يشرع في زيارة القبور وما يمنع ، ومسألة الكرامات وشرطها والخوارق التي ينخدع بها الناس فيعدونها كرامة وما هي كرامة . وتكلم عن الاحاديث الواردة في زيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام وفي النهي عن اتخاذه وثنا وعن اتخاذه عيدا وعن اتخاذ المساجد على القبور وحقق مسألة رواية الحديث الضعيف والعمل به في الفضائل والمناقب وتكلم عن الشفاعة والاستشفاع والاستغاثة والاستعانة بغير الله وبين ما يصح من ذلك وما لا يصح ،

ولما كان حديث الاعمى الذي استشفع بالنبي (ص) فشفع له ودعا الله ان يرد عليه بصره فاستجاب دعاءه هو الحديث الوحيد الذي صح سنده في هذا الباب تكلم عنه في عدة ورقات فجمع طرقه وبين جميع رواياته وما صح منها وما لم يصح وحقق ان الصحيح لا يدل الا على ما هو ثابت مشروع من التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله

عليه وسلم في حياته بطلب الدعاء منه وبين في هذا المقام وفي مواضع أخرى أن ما كان يطلب من النبي (ص) في حياته لا يطلب منه بعد موته وان كان حيا عند الله تعالى في عالم الغيب كما أنه لا يطلب منه غير ذلك مما كان يطلب منه في حال حياته كالدعاء والاستسقاء والعلم واستدل على ذلك بعدم طلب الصحابة ذلك عند قبره أو مع البعد عنه و بعدولهم عن التوسل به في الاستسقاء الى التوسل بالعباس وغيره وذكر مسألة الاستسقاء في عدة مواضع واجتهاد الصحابة وما انفرد به بعضهم وخالف الجمهور وكونه خطأ لا يؤخذ به

وتكلم عن مسائل الشياطين واضلالها للناس وتمثلها لهم وخدمتها لهم واشتباه ذلك بالكرامات وكذا عن الاستغاثة والتعوذ بهم والرقية والعزائم باسمائهم وعن وسوستهم وإغوائهم وسلطانهم على غير المؤمنين

وان القارئ ليجد في هذا الكتاب من دقائق التفسير ومعاني الاحاديث وأسرار التشريع مالا يجده في غير كلام المؤلف من العلماء ويجزم بأن ما انفرد به من البيان والتحقيق فيها هو الحق

مثال ذلك كلامه في الدعاء والسؤال والحلف وكيفياتها والفرق بينها وحكمها وحكمة مايجوز منها وما لا يجوز ومن ذلك معنى كون الدعاء عبادة فلا يدعى غير الله ، والسؤال بالمخلوق وسؤاله والسؤال بما هو سبب للاجابة كالرحم والعمل الذي يقتضي الاجابة والسؤال بما ليس كذلك كالأمور الاجنبية التي ليست أسبابا وكالذوات والاشخاص التي لادخل لها في السببية وسؤال الله بحق بعض خلقه وهل لأحد حق عليه أم لا ، وبجاه الانبياء وهل الجاه الذي منحه الله لبعضهم يكون سببا لاجابة غيرهم اذا ذكره أم لا ، والفرق بين حلفنا وإقسامنا بالمخلوقات وبين إقسامه تعالى بها في القرآن وذكر أنواع هذه الاقسام وحكمها الخ الخ

وفي الكتاب تكرار لبعض المسائل يذكر المسألة ثم يعيدها بالمناسبة والمصنف يتعمد لذلك لعلمه أن هذه المسائل التي أخطأ فيها كثير من الناس حتى أدى بعضهم الى الشرك الاصغر أو الاكبر لا تنجلي وتستقر في الاذهان الا بذلك

صفحات الكتاب مئتان وثمنه سبعة قروش صحيحة وأجرة البريد قرش صحيح

﴿ فتن رمضان ، في دمشق الشام ﴾

يقول أحد الدمشقيين العارفين ان لأهل دمشق في كل رمضان فتنة يلهون بها فاذا أوشك الشهر ان ينقضي بغير فتنة هاج محبو الفتن ثم يسعون في اثارة فتنة صغيرة أو كبيرة بقدر الامكان

ونقول ان كبرى فتنهم الرمضانية ثلاث متشابهة في ثلاث : في تدبير أكابر الحشوية المستبدين لها ، وفي جعل مبدأها الانتقام من بعض الأحرار طلاب الاصلاح ، وفي كون الغاية منها التنكيل بجماعة معروفة ذنبها عند أولئك الأكابر انها تكره الاستبداد وأهله ، وتحب الاصلاح وتعمل له

(الفتنة الأولى) هي التي أثاروها على السيد عبد الحميد افندي الزهراوي من بضع سنين لانه ألف رسالته المشهورة (الفقه والتصوف) وكانوا يريدون قتله وقتل من أشرنا اليهم من محبي الاصلاح ولكن الحكومة الحميدية سبقت رعيتها المخلصة الى الانتقام منه وامره مشهور

(الفتنة الثانية) هي التي أثاروها على كاتب هذه السطور في أواخر رمضان السنة الماضية وهي مشهورة ، وقد ضعفت الحكومة الدستورية عن مداركتها بما يربي مثيري الفتن ، ولذلك نشروا بعدها جمعية « ولقان » التي قامت على الدستور ولو نجحت تلك الجمعية في الاستانة لكانت دمشق استانة ثانية لها بتدبير أكابر المجرمين في الباطن وأصاغرهم في الظاهر كالشيخ صالح المغربي والشيخ عبد القادر الخطيب اللذين كانا يقولان اقتلوا هؤلاء الدستوريين أو الوهابية فانهم ٥٠ رجلا

(الفتنة الثالثة) ما أثاروه في هذا العام على محمد افندي كرد علي صاحب جريدة المقتبس أولا ثم على سائر أعدائهم الذين أشرنا اليهم ، وقد علمنا انهم ألفوا جمعية للانتقام من الاحرار والمصلحين وانهم بدأوا بصاحب المقتبس لانه شدد النكير في جريدته على أعداء الدستور ومثيري فتنة رمضان الماضي فاتهموه أولا بمتابعة جمعية « ولقان » على الدستور ففتشت الحكومة مطبعته وادارته ولم يثبت عليه في التحقيق شيء فعلموا ان هذه التهمة لا تسمح في مثله فاتهموه وسائر الاحرار ومحبي الاصلاح الذين كانوا يضطهدونهم في زمن الاستبداد بالسعي الى « الخلافة العربية » وهي الكلمة التي كانوا هم واضرابهم ينتقمون بها ممن شاؤا في العصر الحميدي

أما كرد علي فرجل كان وما زال يكره الاستبداد وقد أصابه شره ففر الى مصر وكان فيها بعيداً عن السياسة وأهلها وقد دعوناه أكثر من مرة للدخول في جمعية الشورى العثمانية فأبى وهو لا يخلو من غرارة وسذاجة فما هو والله بأهل للسياسة ولذلك يسقط من قلمه وينشر لغيره ما يمكن ان يعده العدو شبهة على سوء قصده وما هو بالسيء القصد ، ومن ذلك انه كتب عن بلاغ شيخ الاسلام عبارة فهما من بعض الناس تشعر بأن الدولة العثمانية ليست دولة خلافة فأخطأ بذلك واعترف بخطأه في اليوم الثاني ولكن الحكومة بادرت الى الحكم عليه بالجناية وبابطال جريدته ومطبعته فجرأ ذلك مثيري الفتن في كل زمن على سائر الاحرار فوشوا بهم واتهموهم

المتهمون الآن بالخلافة العربية الوهمية هم أخلص المخلصين للدولة والملة في الشام فمنهم أفضل العلماء كالبيطار والقاسمي وأشهر الاحرار كعبد الرحمن بك اليوسف وكرد علي ومنهم جمعية النهضة السورية وهم احداث لا يعرفون السياسة . فاذا كانت حكومة الدستور تهين أمثال هؤلاء باغراء الرجعيين مثيري الفتن أفلا تكون الحكومة الحميدية خيراً منها وأعدل اذ كانت تعلم انهم أعداؤها ولم ينلهم منها الا المراقبة وتفتيش الكتب ؟ اعقلوا أيها الحكام وتبصروا وأقيموا الدستور بالقسط والا كانت العاقبة خطراً على الدولة والامة وقد قال الرسول (ص) « اذا ابتغى الامير الريبة في الناس أفسدهم » رواه أبو داود

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر - الجمعة سلخ شوال ١٣٢٧ - ١٢ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٢٨٥هـ ١٩٠٩م)

الصوفية والفقراء (*)

﴿ فتوى لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ﴾

مسئلة عن الصوفية وأنهم أقسام والفقراء أقسام فما صفة كل قسم وما يجب عليه ويستحب له ان يسلكه ؟

الجواب : الحمد لله أما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وانما أشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الائمة والشيوخ كالامام احمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما وقد روى عن سفيان الثوري انه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري وتنازعوا في المعنى الذي أضيف اليه الصوفي فانه من اسماء النسب كالقرشي والمدني وأمثال ذلك فقيل انه نسبة الى أهل الصفة وهو غلط لانه لوكان كذلك لقيل صُفِّي وقيل نسبة الى الصف المقدم بين يدي الله وهو أيضا غلط فانه لو كان كذلك لقيل صَفِّي وقيل نسبة الى الصفوة من خلق الله وهو غلط لانه لو كان كذلك لقيل صفوي وقيل نسبة الى صوفة بن بشر بن أدّ بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب اليهم النساك وهذا وان كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فانه ضعيف أيضا لان هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ولانه لو نسب النساك الى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى ان يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الاسلام وقيل وهو المعروف انه نسبة الى لبس الصوف فانه أول ماظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة

(*) المنار : ننشر هذه الفتوى ليعلم الذين يقلدون ابن حجر وغيره في قولهم ان ابن تيمية كان ينكر على الصوفية حق هذا القول من باطله ومنها يعلمون ان الرجل يزن كل شيء بميزان الشرع وسيرة السلف الصالح

والخوف ونحو ذلك مالم يكن في سائر أهل الامصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية وقد روى ابو الشيخ الاصبهاني باسناده عن محمد بن سيرين انه بلغه ان قوما يفضلون لباس الصوف فقال ان قوما يتخيرون الصوف يقولون انهم متشبهون بالمسيح بن مريم وهدي نبينا أحب الينا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس القطن وغيره أو كلاما نحوا من هذا ولهذا غالب مايحكي من المبالغة في هذا الباب انما هو من عبادة أهل البصرة مثل حكاية من مات أو غشي عليه في سماع القرآن ونحوه كقصة زرارة بن أوفى قاضي البصرة فانه قرأ في صلاة الفجر «فاذا نقر في الناقور» فخر ميتا وكقصة ابي جهير الاعمى الذي قرأ عليه صالح المرّي فمات وكذلك غيره ممن روي انهم ماتوا باستماع قراءته وكان فيهم طوائف يصعقون عند سماع القرآن ولم يكن في الصحابة من هذا حاله فلما ظهر ذلك انكر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبدالله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم والمنكرون لهم مأخذان منهم من ظن ذلك تكلفاً وتصنعا: يذكر عن محمد بن سيرين انه قال مابيننا وبين هؤلاء الذين يصعقون عند سماع القرآن ان يقرأ على أحدهم وهو على حائط فان خرّ فهو صادق ومنهم من أنكر ذلك لانه رآه بدعة مخالفا لما عرف من هدي الصحابة كما نقل عن أسماء وابنها عبدالله والذي عليه جمهور العلماء ان الواجد من هؤلاء اذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه وان كان حال الثابت أكمل منه ولهذا لما سئل الامام أحمد عن هذا فقال قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشي عليه ولو قدر أحد ان يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد فما رأيت أعقل منه ونحو هذا وقد نقل عن الشافعي انه أصابه ذلك وعلي بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه

لكن الاحوال التي كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن وهي وجل القلوب ودموع العين واقشعرار الجلود كما قال تعالى «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون» وقال تعالى «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله» وقال تعالى «اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا» وقال «واذا سمعوا ماانزل الى الرسول ترى أعينهم

تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » وقال « ويخرّون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا» وقد يذم حال هؤلاء من فيه من قسوة القلوب والرَّين عليها والجفاء عن الدين ماهو مذموم وقد فعلوا، ومنهم من يظن ان حالهم هذا أكمل الاحوال وأتمها وأعلاها وكلا طرفي هذه الامور ذميم

بل المراتب ثلاث احداها حال الظالم لنفسه الذي هو قاسي القلب لا يلين للسماع والذكر وهؤلاء فيهم شبه من اليهود قال الله تعالى « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » وقال تعالى «ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »

والثانية حال المؤمن التقي الذي فيه ضعف عن حمل ما يرد على قلبه فهذا الذي يصعق صعق موت أو صعق غشي فإن ذلك انما يكون لقوة الوارد وضعف القلب عن حمله وقد يوجد مثل هذا فيمن يفرح أو يخاف أو يحزن أو يحب أمورا دنيوية يقتله ذلك أو يمرضه او يذهب بعقله . ومن عباد الصور من أمرضه العشق أو قتله أو جننه وكذلك في غيره ولا يكون هذا الا لمن ورد عليه أمر ضعفت نفسه عن دفعه بمنزلة مايرد على البدن من الاسباب التي تمرضه أو تقتله أو كان أحدهم مغلوبا على ذلك فاذا كان لم يصدر منه تفريط ولا عدوان لم يكن فيه ذنب فيما أصابه فلا وجه للريبة كما سمع القرآن السماع الشرعي ولم يفرط بترك ما يوجب له ذلك وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفنا ونحو ذلك من الامور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها فانه اذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما بل معذورا فان السكران بلا تمييز وكذلك قد يحصل ذلك بتناول السكر من الخمر والحشيشة فانه يحرم بلا نزاع بين المسلمين ومن استحل السكر من هذه الامور فهو كافر وقد يحصل بسبب محبة الصور وعشقها كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران

وهذا مذموم لأن سببه محظور وقد يحصل بسبب سماع الاصوات المطربة التي تورث مثل هذا السكر وهذا أيضا مذموم فانه ليس للرجل ان يسمع من الاصوات التي لم يؤمر بسماعها ما يزيل عقله اذ ازالة العقل محرم ومتى أفضى اليه سبب غير شرعي كان محرما وما يحصل في ضمن ذلك من لذة قلبية أو روحية ولو بأمور فيها نوع من الايمان فهي مغمورة بما يحصل معها من زوال العقل ولم يأذن لنا الله ان نمنع قلوبنا ولا أرواحنا من لذات الايمان ولا غيرها مما يوجب زوال عقولنا بخلاف من زال عقله بسبب مشروع أو بأمر صادفه لا حيلة له في دفعه وقد يحصل السكر بسبب لا فعل للعبد فيه كسماع لم يقصده يهيج قاطنه ويحرك ساكنه ونحو ذلك وهذا لا ملام عليه فيه وما صدر عنه في حال زوال عقله فهو فيه معذور لأن القلم مرفوع عن كل من زال عقله بسبب غير محرم كالمغمى عليه والمجنون ونحوهما ومن زال عقله بالخمر فهل هو مكلف حال زوال عقله ؟ فيه قولان مشهوران وفي طلاق من هذه حاله نزاع مشهور ومن زال عقله بالبنج يلحق به كما يقوله من يقوله من أصحاب الشافعي واحمد وقيل يفرق بينه وبين الخمر لأن هذا يشتهي وهذا لا يشتهي ولهذا اوجب الحد في هذا دون هذا وهذا هو المنصوص عن احمد ومذهب ابي حنيفة

ومن هؤلاء من يقوى عليه الوارد حتى يصير مجنونا إما بسبب خلط يغلب عليه وإما بغير ذلك ومن هؤلاء عقلاء المجانين الذين يعدون في النساك وقد يسمون المولهين قال فيهم بعض العلماء هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم واسقط ما فرض بما سلب فهذه الاحوال التي يقترن بها الغشي أو الموت أو الجنون أو السكر أو الفناء حتى لا يشعر بنفسه ونحو ذلك اذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقا عاجزا عن دفعها كان محموداً على ما فعله من الخير وما ناله من الايمان معذورا فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره وهم أكمل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص ايمانهم وقسوة قلوبهم ونحو ذلك من الاسباب التي تتضمن ترك ما يحبه الله أو فعل ما يكرهه الله

ولكن من لم يزل عقله مع أنه قد حصل له من الايمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه فهو افضل منهم (*) وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم وهو حال نبينا صلى الله

*) المنار : هذه المرتبة الثالثة وهي العليا ولم يصرح هنا بالعدد

عليه وسلم فانه أسري به الى السماء وأراه الله ماأراه وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله فحاله أفضل من حال موسى صلى الله عليه وسلم الذي خر صعقا لما تجلى ربه للجبل وحال موسى حال جليلة علية فاضلة لكن حال محمد صلى الله عليه وسلم اكمل واعلا وافضل .

والمقصود ان هذه الامور التي فيها زيادة في العبادة والاحوال خرجت من البصرة وذلك لشدة الخوف فان الذي يذكرونه من خوف عتبة الغلام وعطاء السليمي وامثالها امر عظيم ولا ريب ان حالهم اكمل وافضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم او تفضل عليهم ومن خاف الله خوفا مقتصدا يدعوه الى فعل مايحبه الله وترك مايكره الله من غير هذه الزيادة فحاله أكمل وأفضل من حال هؤلاء وهو حال الصحابة رضي الله عنهم وقد روي ان عطاء السليمي رضي الله عنه رؤيَ بعد موته فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال قال لي ياعطاء أما استحييت مني أن تخافني كل هذا أما بلغك اني غفور رحيم .

وكذلك مايذكر عن أمثال هؤلاء من الاحوال من الزهد والورع والعبادة وأمثال ذلك قد ينقل فيها من الزيادة على حال الصحابة رضي الله عنهم وعلى ماسنه الرسول أمورا توجب ان يصير الناس طرفين قوم يذمون هؤلاء وينتقصونهم وربما أسرفوا في ذلك وقوم يغلون فيهم ويجعلون هذا الطريق من اكمل الطرق وأعلاها والتحقيق انهم في هذه العبادات والاحوال مجتهدون كما كان جيرانهم من اهل الكوفة مجتهدين في مسائل القضاء والامارة ونحو ذلك وخرج فيهم الرأي الذي فيه من مخالفة السنة ما انكره جمهور الناس وخيار الناس من اهل الفقه والرأي في اولئك الكوفيين على طرفين قوم يذمونهم ويسرفون في ذمهم وقوم يغلون في تعظيمهم ويجعلونهم اعلم بالفقه من غيرهم وربما فضلوهم على الصحابة كما ان الغلاة في اولئك العباد قد يفضلونهم على الصحابة وهذا باب يفترق فيه الناس

والصواب للمسلم ان يعلم ان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وخير القرون القرن الذي بعث فيهم وان افضل الطرق والسبل الى الله ما كان عليه هو واصحابه ويعلم من ذلك ان على المؤمنين ان يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسعهم كما قال الله تعالى « فاتقوا الله مااستطعتم » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا

أمرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم » وقال «لا يكلف الله نفسا الا وسعها» وان كثيرا من المؤمنين المتقين اولياء الله قد لا يحصل لهم من كمال العلم والايمان ما حصل للصحابة فيتقي الله ما استطاع ويطيعه بحسب اجتهاده فلا بد ان يصدر منه خطأ اما في علومه واقواله واما في اعماله واحواله ويثابون على طاعتهم ويغفر لهم خطاياهم فان الله تعالى قال « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير — الى قوله — ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا » قال الله تعالى قد فعلت . فمن جعل طريق احد من العلماء والفقهاء أو طريق احد من العباد والنساك افضل من طريق الصحابة فهو مخطيء ضال مبتدع ومن جعل كل مجتهد في طاعة اخطأ في بعض الامور مذموما معيبا ممقوتا فهو مخطيء ضال مبتدع .

ثم الناس في الحب والبغض والموالاة والمعاداة هم ايضا مجتهدون يصيبون تارة ويخطئون تارة وكثير من الناس اذا علم من الرجل ما يحبه احب الرجل مطلقاً واعرض عن سيآته واذا علم منه ما يبغضه أبغضه مطلقاً واعرض عن حسناته محاط(؟) وحال من يقول بالتحافظ(؟) وهذا من أقوال أهل البدع والخوارج والمعتزلة والمرجئة وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع وهو ان المؤمن يستحق بوعد الله وفضله الثواب على حسناته ويستحق العقاب على سيئاته وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه وما يحمد عليه وما يذم عليه وما يحب منه وما يبغض منه فهذا هذا .

واذا عرف ان منشأ التصوف كان من البصرة وانه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما له فيه اجتهاد كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد وهؤلاء نسبوا الى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم صوفي وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به لكن أضيفوا اليه لكونه ظاهر الحال

ثم التصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر ، واستوى

عنده الذهب والحجرة التصوف كتمان المعاني ، وترك الدعاوي، واشباه ذلك. وهم يسيرون بالصوفي الى معنى الصديق وأفضل الخلق بعد الانبياء الصديقون كما قال الله تعالى « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ولهذا ليس عندهم بعد الانبياء أفضل من الصوفي لكن هو في الحقيقة انوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال صديقو العلماء وصديقو الأمراء فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فاذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين انهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة انهم صديقون أيضا كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده وقد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكمل صديقي زمانهم وان الصديق في العصر الاول أكمل منهم والصديقون درجات وأنواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الاحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وان كان غيره في غير ذلك الصنف أكمل منه وأفضل منه .

ولاجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا انهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الائمة في ذلك من الكلام ما هو معروف وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام ، وطائفة غلت فيهم وادعوا انهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الانبياء وكلا طرفي قصد الامور ذميم والصواب انهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أولا يتوب ومن المنتسبين اليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا فان أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق مثل الجنيد محمد سيد الطائفة وغيره كما ذكر ذلك الشيخ ابو عبد الرحمن

السلمي في طبقات الصوفية وذكره الحافظ ابو بكر الخطيب في تاريخ بغداد .

فهذا أصل التصوف ثم انه بعد ذلك تشعب وتنوع وصارت الصوفية ثلاثة أصناف صوفية الحقائق وصوفية الارزاق وصوفية الرسم فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم وأما صوفية الارزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانك فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فان هذا عزيز وأكبر أهل الحقائق لا يتصدون بلوازم الخوانك ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط احدها العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم، والثاني التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية في غالب الاوقات واما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت اليها ، والثالث ان لا يكون احدهم متمسكا بفضول الدنيا فاما من كان جماعا للمال أو كان غير متخلق بالاخلاق المحمودة ولا يتأدب بالآداب الشرعية أو كان فاسقا فانه لا يستحق ذلك . وأما صوفية الرسم فهم المقصرون على النسبة فهمهم في اللباس والاداب الوضعية ونحو ذلك فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زي اهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من اقوالهم واعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره انه منهم وليس منهم

واما اسم الفقير فانه موجود في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لكن المراد به من الكتاب والسنة الفقير المعادل للغني كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (؟) والفقراء والفقر انواع فمنه المسوغ لاخذ الزكاة وضده الغنى المانع المحرم لاخذ الزكاة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تحل الصدقة لغني ولا لقوي مكتسب » والغنى الموجب للزكاة غير هذا عند جمهور العلماء كمالك والشافعي واحمد وهو ملك النصاب وعندهم قد يجب على الرجل الزكاة ويباح له اخذ الزكاة خلافا لابي حنيفة والله سبحانه قد ذكر الفقراء في مواضع لكن ذكر الله الفقراء المستحقين الزكاة في آية والفقراء المستحقين للفيء في آية فقال في الأولى « ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم — الى قوله — للفقراء المهاجرين الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا » وقال في الثانية « ما افاء الله على

رسوله من اهل القرى ـ الآية الى قوله ـ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون »

وهؤلاء الفقراء قد يكون فيهم من هو افضل من كثير من الاغنياء وقد يكون من الاغنياء من هو افضل من كثير منهم وقد تنازع الناس ايما افضل الفقير الصابر او الغني الشاكر والصحيح ان افضلهما اتقاهما فان استويا في التقوى استويا في الدرجة كما قد بيناه في غير هذا الموضع فان الفقراء يسبقون الاغنياء الى الجنة لا حساب عليهم ثم الاغنياء يحاسبون فمن كانت حسناته ارجح من حسنات فقير كانت درجته في الجنة اعلى وان تأخر عنه في الدخول ومن كانت حسناته دون حسناته كانت درجته دونه لكن لما كان جنس الزهد في الفقر اغلب صار الفقر في اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد وهو من جنس التصوف فاذا قيل هذا فيه فقر او ما فيه فقر لم يرد به عدم المال ولكن يراد به ما يراد باسم الصوفي من المعارف والاحوال والاخلاق والآداب ونحو ذلك وعلى هذا الاصطلاح قد تنازعوا ايما افضل الفقير او الصوفي فذهب طائفة الى ترجيح الصوفي كابي جعفر السهروردي ونحوه وذهب طائفة الى ترجيح الفقير كطوائف كثيرين وربما يختص هؤلاء بالزوايا وهؤلاء بالخوانك ونحو ذلك واكثر الناس قد رجحوا الفقير والتحقيق ان افضلهما اتقاهما فان كان الصوفي اتقى لله كان افضل منه وهو ان يكون أعمل بما يحبه الله وأترك لما لا يحبه فهو افضل من الفقير، وان كان الفقير أعمل بما يحبه الله وأترك لما لا يحبه كان افضل منه، فان استويا في فعل المحبوب وترك غير المحبوب استويا في الدرجة، واولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمي احدهم فقيرا او صوفيا او فقيها او عالما او تاجرا او جنديا او صانعا أو اميرا او حاكما او غير ذلك

قال الله تعالى «ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون » وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى «من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي

بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله كترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه » وهذا الحديث قد بين فيه أولياء الله المقتصدين أصحاب اليمين المقربين والسابقين ، فالصنف الاول الذي تقربوا الى الله بالفرائض والصنف الثاني الذي تقربوا اليه بالنوافل بعد الفرائض وهم الذين لم يزالوا يتقربون اليه بالنوافل حتى أحبهم كما قال تعالى وهذان الصنفان قد ذكرهم الله في غير موضع من كتابه كما قال « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » وكما قال الله تعالى « ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون « تعرف في وجوههم نضرة النعيم « يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون « ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون » قال ابن عباس يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين مزجا، وقال تعالى ان « الابرار يشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلا « عينا فيها تسمى سلسبيلا » وقال تعالى « وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون » وقال تعالى « فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم، واما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين »

وهذا الجواب فيه جمل تحتاج الى تفصيل طويل لم يتسع له هذا الموضع والله اعلم

﴿ الشيعة والمسلمون ﴾

سئلنا عن قولنا في البابية انهم ليسوا من الشيعة ولا من المسلمين ألا يفيد هذا القول ان الشيعة أيضاً ليسوا بمسلمين ؟ فقلنا : لا بل هذا من باب المقابلة بين العام والخاص لما هو معلوم عند قراء المنار وغيرهم من كون الشيعة مسلمين والقاعدة انه اذا قوبل الخاص بالعام يراد بالعام ما وراء الخاص فاذا قلت ان فلانا ليس بسوري ولا عثماني كان المراد بلفظ العثماني ما يشمل غير السوريين من العثمانيين ولا يدل على ان السوري ليس بعثماني . فلما كانت الشيعة فرقة من المسلمين ونفينا ان تكون طائفة البابية منهم وان ظهرت فيهم كان لظان ان يظن ان البابية ربما خرجت من مذهب الشيعة بمخالفته في المسائل التي كان بها مذهبا خاصا فقط وبقوا على اصل عقائد الاسلام التي لاخلاف فيها بين الشيعة وغيرهم فبينا ان ذلك ايضا غير صحيح وانهم ليسوا من المسلمين مطلقا

مكة المكرمة (*

﴿ والجرائد العربية ﴾

ان لدينا اليوم حكومة مهمة مالكة لجميع حقوقها المدنية ومركزنا السياسي وموقعنا الجغرافي لا يضاهيه مركز ولا يضارعه موقع وفي يدنا نعمة عظيمة تقدر بنعم الدنيا كلها وهي نعمة « الخلافة » على الأمم الاسلامية كلها

نحن أرقى الجميع في العلم والعرفان فلماذا لا نتأثر من الذل الذي يلحق اخواننا في بخارى ؟ لماذا نظل فاقدي الشعور امام المصائب التي تنزل باخواننا في مراكش ؟

ألم يكفنا أننا تسفلنا إلى درجة كدنا نضمحل فيها بالتملل بلفظ « لا يصير » و « ما يعنينا » ؟

ألم يكف باننا قد جعلنا تحت الارض قيد الذل والاسر مئات الملايين من اخواننا في الدين بسبب عدم التفاهم ؟

هل نحن واقفون على الحالة السياسية والضغطية الموجود فيها إخواننا المسلمون في أوستراليا وفي جاوة ؟ هل نحن مطلعون على طرز ادارة المسلمين في الصين وأحوالهم المعاشية ؟ لا نذهب بعيداً ، هل نحن على علم تام بمصائب متاخمينا ومجاورينا الايرانيين ؟ أو على المام بذل القفقاسيين ؟ أو سفالة القريميين ؟ أو سياسة المصريين ؟ أو سائر أحوال غيرهم من المسلمين ؟

لنترك هؤلاء أيضا . هل تذرعنا لانقاذ جزيرة العرب التي تبلغ ثلاثة اضعاف بلاد البلقان من الجهل المخيم عليها منذ قرون ؟

أليس ذلك عارا علينا ؟ ان اهمالنا لهذه الدرجة مما تحار له عقول ذوي العقول ؟

أيها المؤمنون ما هذه الغفلة ؟ أيها المسلمون ما هذا الاهمال ؟ لماذا بقينا متخاذلين متشتتين ؟ لماذا وصلنا الى هذه الدرجة من الحيرة ؟

(* / مقال لمحمد عالم افندي من كتاب الترك وعلمائهم نشر في مجلة « صراط مستقيم » التي تصدر في الآستانة وقد نشر مترجماً في مجلة النبراس ولخصته جريدة المؤيد وعنها أخذنا

ان سكوتنا هذا يحمله الجاهلون على المسكنة المتأصلة بفطرتنا والمفسدة الموجودة في ديننا « حاشا ثم حاشا »

قد وصلنا الى درجة من الجهل أصبحنا بها نسمع ألفاظ العداء من لسان الاوداء، لا من لسان الاعداء، حتى أصبحنا عرضة لامثال هذه الاقوال اللئيمة : « أي شيء رقاه المسلمون ؟ بل أي شيء أمكن المسلمين ان يرتقوا به؟»

هنا يتهافت اخواننا و بنو قومنا بدون ان يعملوا فكرتهم الى القول بان أورپا تحارب الدين غير عالمين كيف تحارب أورپا الدين وأي دين تحارب ! فيعلقون باشراك الشبهات والاضاليل غير متفكرين بمرامي كلامهم وما يجره من الرزايا والكوارث ومتخيلين ان الترقي الحاضر لم ينشأ الا عن محاربة الدين !

أليس القول : بأي شيء ارتقى المسلمون ؟ يرمي الى ان الاسلام مانع من التمدن ؟ ؟ تالله ان البلاهة الموجودة عندنا هي من الغرابة بمكان ، ان قائل هذا القول يعلم يقينا ان الاندلس و بغداد كانتا منبعا للتمدن الأورپي الحالي، ومصدرا للعلم الحاضر، فهل كان الدين الاسلامي في ذلك الحين غير الدين الاسلامي اليوم؟ فما هذا التناقض!

كيف يمكن ان تكون شريعتنا الاسلامية وهي جامعة لقواعد الارتقاء والتمدن حاجزا في طريق الترقي ؟

ان نظرة سطحية الى احكام الدين الاسلامي تكفي لأن يتبين منها بانها أساس متين للارتقاء ونظام مكين للعلاء

نعم نحن نعترف بان المسلمين لهذا العهد قد وصلوا الى درجة من الامتهان والازدراء بحيث لو ادعوا وهم على حالتهم الحاضرة بانهم مرتقون لاصبحوا سخرية، لكن في هذه الحالة لا يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم مسلمين ، بل يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم غير مسلمين حقيقة ، وما ذلك إلا لانهم لم يعملوا بالاحكام الاسلامية على وجوهها ، بل خالفوا الشرع ونبذوا الامور الإلهية وراء ظهورهم ، والا فان الاندفاع الى إنكار سماحة الدين الاسلامي وتساهله مع العلم

والارتقاء استنادا على جهل بنيه هو أشبه بالاستدلال على حسن رجل أو قبحه من خيوط شعره الموجودة في اليد

إن الدين الاسلامي يأمرنا بالاجتماع في محل واحد خمس مرات في النهار ولا ريب ان هذا الاجتماع يرمي الى كثير من المعاني الدقيقة والاشارات الرقيقة شأن الاوامر والنواهي الاسلامية كلها

أيها القوم ! يجب علينا ان نجتمع ، يجب علينا ان يرى بعضنا بعضا ، يجب على كل منا ان يبحث عن الآخر ، يجب علينا ان نسأل عن المتخلف عن الحضور يجب ان نعلم ما هي حالته ، أو ما الذي دعاه الى التخلف ، فاذا كان ثمة من كرب أو كارثة فلنجتهد بازالة كربه ، فاننا بهذا العمل نكون متعاونين على البر ، بل نكون جددنا اتحادنا واتفاقنا في كل وقت ، والا فلو كانت الغاية من الصلاة جماعة هي نفس الصلاة لكانت صلاة الانسان في أي محل يستسهله ممدوحة ومباحة عملاً بقوله تعالى « ما جعل عليكم في الدين من حرج »

إن صلاة الجماعة كما تكون وسيلة حسنة لاجتماع أهالي محلة واحدة وسببا لتعارفهم واتفاقهم في كل يوم خمس مرات تكون لاهل البلدة كلها في جامع واحد في الاجتماع لصلاة الجمعة ولذلك اختلف في جواز صلاة الجمعة في جامعين في بلدة واحدة

واجتماع الناس في صعيد واحد يتسنى به للخطيب ان يلقي عليهم المواعظ والنصح ويطلعهم على الشؤون الاسلامية بصورة إجمالية

ثم ان الدين الاسلامي قد أمر باجتماع آخر أعم وأشمل وأكثر تأثيرا وهو اجتماع أغنياء المسلمين في العالم في صعيد واحد كل سنة

وعليه فان أغنياء المسلمين النافذي الكلمة من كل مملكة وكل بلدة يجتمع بعضهم ببعض مرة في العمر على الاقل في محل عينه الشارع وجعل شد الرحال اليه فرضا وهنالك يتفاوضون مع سفراء اخوانهم في الدين ويتعارفون ويتعرفون شئون اخوانهم النائين ومن الحكمة في هذا الفرض انه جعل فرضا على الآباء والابناء على السواء فاذا حج الوالد فلا يسقط عن الولد

يجتمع المسلمون في هذا الموقف في الوقت المعين فيمتزجون ويتباحثون فيما

يعود عليهم بالنفع ويتفكرون في الوسائل التي تجعلهم جسدا واحدا إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بل يجعلهم يقرون على خطة يسيرون عليها سعيا وراء كل ما يرمون اليه من الآمال الكبيرة

الاجتماع في الحج واقتداء مئات الالوف بامام واحد وقت الصلاة يصور للمسلمين الاتحاد مجسما - الاجتماع في الحج يجعل المسلمين مطلعين على شئون مجموعهم في كل حين . الاجتماع في الحج يجعل أمل المسلم في طنجه هو نفس أمل المسلم في كشمير ويجعل ما يشعر به « أحمد » في القزان يشعر به « محمد » في الترنسفال

أيها القوم ! أليس من الاسف ان تكون أوامر ديننا بهذه الدرجة العالية من الحكمة ونحن نعد اداة الصلوات الخمس فضلا عن اداء فريضة الجمعة والحج أشبه بعمل زائد ؟ ؟

من منا يهتم بشأن الصلاة ؟ على انا وان صلينا فانا نعد الذهاب الى الجامع عملا لا لزوم له !

أيها القوم ! لنفكر بانصاف : اذا كنا نحن لا نهتم بأمر الاجتماع الذي يأمر به الدين فهل يكون الذنب على الدين أم على أهل الدين ؟ ؟ نعم ان دور الاستبداد كان يمنعنا عن التصريح بأمثال هذا الكلام بل كان يمنعنا عن التفكر به . اما اليوم فانه لا يقف بوجهنا حاجز عن التصريح بكل حقيقه ، كلنا نتمنى ان نرى الدولة العثمانية دولة عزيزة الحمى ، منيعة الجانب مرهوبة الشبا ، لكن يا ترى لماذا لا تتذرع بالوسائل التي تقوي العنصر الاصلي للاسلام « وهو العنصر العربي » بل لماذا لا تقوي الاسلام نفسه ! ؟ أول عمل يجب الشروع به في رأي هذا العاجز هو توثيق روابط الاتحاد وتحكيمها كما نحن مأمورون شرعا ، والاتحاد لا يؤيد ولا يوثق إلا بانشاء جرائد عربية خاصة تنشر وتعم

اللسان الفرنسوي يعده الاوربيون اللسان الرسمي العمومي بينهم ، واللسان العربي يعده المسلمون اللسان الرسمي الديني العمومي بينهم — اية بلدة أو مملكة إسلامية تعد اللسان العربي غريبا ؟ اية جمعية إسلامية تعد الكتاب العربي اجنبيا ؟ — وعليه فأي شأن من الشؤون النافلة تقصر الجرائد العربية عن القيام بادائه

انا وايم الله لنأسف كل الاسف لاننا لم نتذرع حتى الآن بشي من هذا القبيل بل اني أعد عدم تذرعنا بذلك عاراً نعم يجب علينا تحويل حركة الرأي العام الى هذه الجهة ان نعقد المجتمعات والمؤتمرات ولكن في أي مكان نعقدها ؟

انه يوجد لهذه الغاية الشريفة محل مبارك هو أهم من الاستانة ومصر ويمكن ان يتخذ مركزا وهو مكة المكرمة كرمها الله الى يوم القيامة

اذا كان صوت الشريعة الغراء يجمع كل سنة مئات الالوف من الحجاج واذا كان كثير من ذوي الثروة والكلمة النافذة من كل ارجاء الارض مكلفين أن يصرفوا هذه الجهة المقدسة أفلا نستفيد نحن شيئا ؟ اننا مع الاسف لم نعمل شيئا حتى الآن لكن مادامت غايتنا الآن العمل على ترقية الامة الاسلامية فان تلك الخطة هي احسن وسيلة للوصول الى مانرمي اليه

وأسفاه ! ان حجاجنا الذين يجتمعون في تلك الارجاء تراهم بسبب رزية جهلهم وسيئة عدم وجود مرشد لهم يكتفون بمواجهة بعضهم لبعض فقط فلا يتطرقون الى البحث في احوالنا لا الديني منها ولا الدنيوي

عقد في الايام الاخيرة في مدينة «موسكو» مؤتمر مؤلف من جميع ارجاء بلاد السلاف

ان تصور هذا المؤتمر وحده كاف لان يصور لنا مقدار الفوائد العظيمة التي نالها اصحابه منه وما نتج لنا من الضرر الذي لحقنا منذ زمن قريب بسببه

ان هذا المؤتمر لا يمكن ان يجتمع به أكثر من مئة أو مئتي شخص واذا بلغ الغاية فانه يجمع الف نفس ليس الا . ومع ذلك فانهم قد حلوا بواسطته عدة مشاكل ونالوا ما كانوا يطمحون اليه

اما نحن فما الذي صنعناه ؟ نعم ما الذي صنعناه نحن ؟ اننا الى الآن لم نقدر ان نمدن ما حوالي مكة . بل اننا نحن الى الآن لم نقدر ان نفهمهم باننا مسلمون مثلهم

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون قتل المسلم الحاج حلالاً مباحا طمعا بسلب ثلاث أو خمس ليرات منه !

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون كل من لا يحسن التكلم بالعربية من حجاج بيت الله الحرام مشركا

نعم ان التأسف على الماضي لا يجدي بيد ان الذي يجدي هو أن نجدّ ونجتهد لكي نجعله ماضيا و بعبارة أوضح هو ان نجد ونجتهد لكي لا نجعل الآتي كالماضي

اقول بكل صراحة اننا اذا اردنا ان ننهض بالامة الاسلامية يجب علينا ان نوجه كل اهتمامنا الى مكة . . . . . لان . . . . الوسائل التي تنهض بالدولة العثمانية وتجعلها في عداد الدول القوية التي تأبى ان تغلب انما تنالها بتلك الارجاء

يجب علينا ان نجعل لتلك الارجاء اهمية سياسية كاهمية العاصمة نفسها لانها منبع علومنا المدنية ومقر سياستنا الاسلامية

يجب ان ننشر بتلك الارجاء جميع الجرائد والكتب التي تطبع باللغات الاسلامية

يجب ان تُلقى الخطب الاجتماعية بتلك الارجاء . يجب ان تفتح اهم مكاتبنا (المدارس) في تلك الارجاء

يجب ان توزع من تلك الارجاء بذور الاتحاد على جميع انحاء العالم

يجب ان نجعل تلك الارجاء بدرجة اذا رأى بها احد مكة المكرمة يظن انه رأى الممالك الاسلامية و يعتقد بانه اطلع على زيادة آمال الامة

يجب ان يقتنع المسلم الذي يحب الوقوف على الشئون الاسلامية بانه اذا رأى مكة المكرمة اصبح واقفا على انموذج احوال الامة لدرجة كافية

يجب علينا ان نجعل هداتنا « اهالي مكة » يتخرجون من كلية علمية منظمة . يجب ان يدخل اهالي مكتنا المكرمة في دور عمراني مهم . ان هذا المقام مقدس وكل يوم نوجه وجوهنا اليه خمس مرات . اذا كانت الاستانة وجهتنا في المعاملات فمكة وجهتنا في العبادات اذا كانت الاستانة مركز خلافتنا فمكة مركز دياناتنا

اني اعتقد ان المسلمين لا يستفيدون استفادة حقيقية من المدنية الاسلامية التي هي المدنية الحقيقية الا باتخاذ مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة

ربما يتخيل بعض الناس ان اتخاذ مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة يضر بالاستانة نفسها ، لكن اظن أن المدنية الاسلامية والعلوم الحقيقية اذا نشرت في مكة على وجهها الحقيقي لا تنتج أقل ضرر فيجب ان نجعلها مثابة للعلم ، ومهبطا ومركزا للتقسيم

والتوزيع ، لان موقعها اشرف المواقع بلا استثناء ، وقد اختارها رب الأرباب من بين البلدان كافة وجعلها مقر بيته الحرام . وقبلة المسلمين في جميع أرجاء الارض

وعليه فان مكة أنفع للحكومة العثمانية من كل جهة ، بل ومن كل وجهة ، واذا فكر أولياء الامور واولو الشأن وارباب الاقلام منا بهذه النقطة الدقيقة فلاشك في انهم يجزمون بالفوائد الكثيرة التي تنالها

اليس الواجب ان تشمل تلك الارجاء السياحات النافعة المفيدة التي يجريها امثال اسماعيل غصبرنسكي وغيره من الغيورين المتفانين باعلاء كلمة الدولة والامة؟ اليس من الواجب ان لايحرم الحجاج المسلمون من ارشادات هؤلاء الافاضل

ايها القوم ! علينا بالعمل . يجب أن يبدأ بالارشاد من مكة . يجب ان ترسل اوراق الدعوة الى افاضل الامة وانا على يقين بانه لا تمضي مدة الا والعالم الاسلامي قد انتقل من طور الى طور

أيها القوم ! ان العرب ، والمصريين ، والمراكشيين ، والزيديين ، والايرانيين والافغانيين ، والهنديين ، والصينيين ، والجاويين ، والبخاريين ، والاتراك ، والاكراد واللازيين ، والالبانيين ، والجراكسة — كلهم قد ولوا وجوههم نحونا ينتظرون كلمة (الدعوة) لتصدر منهم كلمة (الاجابة) حالا

ايها القوم ! ان الالمانيين والمجريين والسكسونيين والسلافيين والاغريقيين كلهم باذلون قصارى جهدهم وراء الاتحاد والاتفاق

ايها القوم ! ان بقاءنا مهملين أمر المحافظة على كياننا وحقوقنا أمام الامم أجمع هو من الجرائم الكبيرة التي لا تغتفر بوجه من الوجوه

ايها القوم ! لماذا التقاعس ؟ لماذا لا نبحث عن الوسائل التي تمدن المسلمين كافة وتجعلهم متمدنين ؟ ألسنا من بني الانسان !

ايها القوم ! يجب ان نزيل الاقذاء المغشية على صماخ آذاننا لعلنا نسمع بها كيف ان الامم تجد وتجتهد لتكون في مركز يبدد كيان غيرها

ايها القوم ! اننا نسمع الذين يلقبون بلقب (لورد) او (موسيو) يأسفون وجود قسم من بني الانسان يسمى المسلمون ! فما هذا الذل ؟ وما هذا العار ؟ افلا

يجب علينا ان نجد ونجتهد لنقدر ان نطبق علينا (حقوق الدول)

ايها المسلمون ! يجب ان تنتبهوا فان القافلة قد شدت الرحال وغذت في المسير والسلام على من اتبع الهدى اهـ

(المنار) طرقنا باب هذا البحث : بحث جعل مكة مهد الاصلاح الاسلامي ، في السنة الاولى من المنار وفصلنا القول فيما يجب منه تفصيلا ، ووجهنا الخطاب في ذلك الى مقام الخلافة في الاستانة لا لاننا كنا نرجو من ذلك المقام القيام بالاصلاح المطلوب فاننا كنا على قلة ما نعلم من سيئات الحكم الحميدي في ذلك العهد لم نكن مغترين بذلك السلطان ومن ذوي الرجاء فيه بل كتبنا ذلك ليفكر فيه المفكرون فيقوى الاستعداد له ، اما وقد صار شكل حكومتنا دستوريا فان لنا رجاء في كل إصلاح ولكن يعوزنا الرجال المتفننون ، يعوزنا الرجال القادرون ، يعوزنا الرجال ، الرجال ، الرجال ، فهل من وسيلة لايجاد الرجال ؟؟

باب المناظرة والمراسلة

ايضاح وانتقاد

العلامة المفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير

(١٣ — السلام عليكم ورحمة الله) وبعد فقد اطلعت على جوابكم بالمنار (صحيفة ٥٣٧ ج ٧ م ١٢) واني اشكركم على كل حال وارجو ان تفسحوا للضعيف مجالا في صدر حلمكم فان الكمال لله وحده وان خوفي من التطويل مع رقة جسم المنار هو الذي جعلني اقصر عن زيادة الايضاح في أول الامر بل كثرة اشتغالي بمصالح الحكومة تجعلني اختلس القليل من وقت راحتي لاكتب ما ارى ذمتي تطالبني ببيانه اجمالا مع اعترافي بالعجز وان كان فيما اكتب شيئا من السلطة فمازلت اقول « رب زدني علما » حتى تتمكنوا من فهم قصدي الحسن واني باسم الله الاكبر ابتدئ في بيان المقصود فاقول :

(١٤ — القسمة في الآخرة) ذكرتم في صحيفة ٥٤٤ ج ٧ م ١٢ ان الناس ينقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد وأنهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » فهذا لا اخالفكم فيه في شيء

(١٥ — مساواة الناس في بدء الخلقة) قلتم في صحيفه ٥٤٤ « وانه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه » ففهمت من ذلك ان الله تعالى بدأ خلق الناس قسمين شقيا وسعيدا وانه تعالى اخرجهم في هذه الحياة على هذه القسمة وانه سيعيدهم في الآخرة على نفس هذه القسمة بلا تغيير ولا تبديل حيث ايدتم ذلك بقولكم « انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم » الخ . . . وهذا ما اخالفكم فيه ولا اوافقكم عليه من بعض الوجوه للاسباب الآتية :

اولا : خلق الله الناس في بدء خلقهم متساوين(؟) لغرض واحد فلا شقي بينهم ولا سعيدا ثم اخرجهم في الحياة الدنيا لعبادته كالآية « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » لحصر الغرض من الخلقة في العبادة وحدها يدل على تساوي أصل الناس في بدء النشأة

ثانيا : قال تعالى : « كان الناس امة واحدة » وهذا يدل صريحا على ان الناس كانوا كواحد في بدء الخلقة لا تمييز بين انسان وآخر ولا وجود لشقي بينهم ولا لسعيد

ثالثاً : قال تعالى : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ... » فهذه الآية تدل على ان ذرية بني آدم بلا استثناء وهم في ظهور آبائهم كانوا مطبوعين على تأليه الخالق وتوحيده بلا شرك فيدخل في ذلك بالطبع ذرية اليهودي والمجوسي والبوذي والبرهمي والمسيحي والمسلم والمادي والدهري والكافر والمؤمن مما يثبت توحيد الناس ومساواتهم في بدء الخلقة وقد ولدوا من بطون أمهاتهم بالبداهة على هذه الطهارة فكيف تقولون انه بدأهم قسمين ويعيدهم عليها !

رابعا : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة » والولادة على الفطرة كما لا يخفى عليكم هي الولادة على الاصل الطاهر الخالي من نزغات الشرك وخلافه فلا يوجد إذاً في بدء الخلقة تقسيم

(١٦ ـــ سير الناس على نظام ذو (؟) وجهين) لعلكم تتساءلون بعد ذلك وتقولون إذا سلمنا بان الناس متساوون في بدأ الخلقة لا شقيا ولا سعيدا فكيف ينقسمون في الآخرة اليها .. وكيف يتفق علم الله الأزلي الثابت على ذلك في الحياتين ؟

فأقول لكم إن الله تعالى أخرج الناس إلى الحياة الدنيا على الفطرة طاهرين وجعل لهم بارادته نظاما يسيرون عليه بعد ان منحهم الاستقلال الذاتي والحرية غير ان هذا النظام ذو وجهين متضادين كما قال تعالى « وهديناه النجدين » أي الطريقين المتضادين : طريق الخير وطريق الشر في آن واحد ولما كانت الطبيعة الانسانية متركبة بكيفية تلائم الطريقين المذكورين غير انها لا يمكنها ان تسير الا في طريق واحد فقط منها ولو بالتناوب مرة هنا ومرة هناك تبعا لحرية

الانسان واستقلاله كالآية « إنا هـديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » فكان ذلك داعيا لانقسامهم أقسهم مع ان الله تعـالى لم يقسمهم من قبل ذلك . فنجد واحدا يسير في طريق الخير دفعة واحـدة وآخر في طريق الشر دفعة واحـدة وثالث (؟) يتنقل بين طريق الخير والشر مع العلم انهم جميعا في امكانهم أن يسيروا من طريق واحد دون ان يروا الثاني ولا يعلمون به فتقسيمهم في الاصل غير موجود بالمرة ولكن النظام الموضوع امام حريتهم هو المقسوم فقط وفرق بين قسمة النظام وقسمة النفوس التي تسير بحريتها على أي شكل كان مما في هذا النظام المعلوم لله من قبل خلق الناس أجمعين

(١٧ — علم الله الازلي وسير الناس في الطريق) ربما تقولون مما ذكرته آنفا انه مادام الناس غير منقسمين من قبل سيرهم في احد الطريقين . وانهم يمكنهم جميعا ان يسيروا في طريق واحد من غير ان يروا الثاني ان علم الله تعالى الازلي فيما يختص بسيرهم هذا غير ثابت من جهة الواقع منهم ونفس الامر وانه تعالى لا يعلم من من هؤلاء الناس سيكون في الطريق الايمن أو من منهم سيكون في الطريق الايسر ، وجوابي على ذلك : ان كل مايحدث مهما كان من عمل الانسان الحر كان معلوما لله ازلا قبل وقوعه فعلا بصفة عامة لاتخصيص فيها لزيد من الناس وانه تعالى خالق الناس ليسيروا في أحد طريقين متضادين أو في كل منهما على التناوب « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » مع كونه يراقبهم بنفسه كل المراقبة « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » فالمراقبة هي أساس العلم بالتخصيص بأحد الطريقين أو المختار منهما في أي وقت بواسطة أي انسان بتمام حريته . ومن هذه المراقبة يعلم الله تعالى في أول وهلة ماخصص كل فرد لنفسه من أحدهما . مع كونهما وكل مافيهما من أنواع الاعمال المختلفة معلومين لله تعالى من الازل كما مر . وكل هذا بالبداهة لايزيد علم الله تعالى شيئا ولا ينقصه شيئا وغاية مافي الامر ان الله تعالى خلق الناس في الاصل طاهرين وأخرجهم في هذه الحياة الدنيا لغرض هو : ليعلم منهم من يسير في الطريق الايمن بحريته ومن منهم يسير في الطريق الايسر ولذا كانت المراقبة لازمة كالآية « ان الله كان عليكم رقيبا » ويؤيد ذلك مايأتي

أولا : ماذكره الله تعالى في الكتاب العزيز من أمر الفتنة أوالامتحان لاختبار كل من يؤمن به تعالى حتى يعلم منه اما الثبات نهائيا على الايمان أو الزعزعة عنه عند الامتحان أو الفتنة المذكورة كالآية : «أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » فالله تعالى يصرح في القرآن بنفسه بانه تعالى لا يعلم الصادق من الكاذب في الايمان الا بعد أن يفتنه ويجربه ويمتحنه ليعلم منه قوة الخيار للايمان والثبات عليه أو التزعزع عنه بمطلق حريته الممنوحة له منه . أما قولكم ان ذلك علم انكشاف فهو مردود لانه لايوجد لله علم مكشوف لان المعدوم والموجود في علم الله سواء

ثانيا :قال تعالى عن الشيطان : « وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها وربك على كل شيء حفيظ » أي انه تعالى لم يجعل للشيطان على الانسان سلطة ما ليحور (؟) إرادته الحرة الخصوصية من الايمان الى الكفر بل هي وسوسة ضعيفة « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » أمرها بسيط ولا تأثير منها ويمكن لكل انسان بحريته ان يتجنبها بما خلق الله تعالى فيه من عقل وجعل له من الهام والله تعالى لم يمنع الشيطان عن تلك الوسوسة للانسان الا ليجعلها في ضمن الفتنة أو اللازم المقرر في نظام الله ليعلم منها من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها . وان هذا العلم لايكون الا بالمراقبة المذكورة . اذ بغير ذلك لايكون معنى للمراقبة التي مدلولها التأمل لانتظار وقوع فعل من شخص معلوم في احد (؟) جهتين متضادتين

ثالثا :قال تعالى « وماجعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم » فهو تعالى يصرح هنا انه لا يعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه منهم قبل الفتنة بالانقلاب عن القبلة بيت المقدس الى الكعبة الا بعد حصولها . وهنا لايتوهم القارئ ان الله تعالى كان يجهل شيئا أو يعزب شيء عن علمه . كلا بل هو بكل شيء عليم لان الله تعالى كان يعلم أن ماخلقهم عليه من نفس كاملة وعقل يمكنهم بهما ان يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بمطلق حريتهم التي منحها لهم بلا أي مانع ، هذا من جهة ومن جهة أخرى بحسب الوضع الذي شكل

به الخلقة الانسانية كان يعلم عنهم في آن واحد انهم يمكنهم جميعا ان لا يتبعوه (ص) بمطلق حريتهم وفي الوقت نفسه كان يعلم بالنتيجة التي سيجازيهم بها وتصيبهم في الحياة الدنيا والآخرة ان لم يتبعوه ويعلم من قبل ايضا بالنتيجة التي سيجازيهم بها في الحياتين ان لم يتبعوه . غير ان هذا العلم المطلوب ليس انكشاف الفعل الواقع المطابق وحده للعلم السابق دون غيره كما يقول المنار . كلا كلا بل هو علم تنقل ارادة كل منهم الى اي جهة يرغب السير بحريته في احد الطريقين المتضادين المعلومين لله من قبل وهما مفتوحان معا في كل وقت أمام كل انسان حتى يعده الله بعد ذلك بجزاء ما اراد . وهذا العلم بالطبع لا يكون الا بالمراقبة كالآية « افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت »

رابعا : ان خلق الناس متساوين(؟) في بدأ الخلقة وخروجهم الى الدنيا للتنافس في عبادة الخالق بحريتهم هو كل الحق الذي كان الغرض منه وجود العالم كالآية : « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا » وكالآية : « اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض الا بالحق » . . فهل يعرف المنار ما هو هذا الحق؟ هذا الحق هو منح المخلوقات ومنها الانسان « الحرية » الكاملة في عبادة الله والسير في أحد الطريقين المتضادين متحملا نتائج احدهما او كل منهما بالتناوب على عاتقه بما وهبه الله من عقل وشعور والهام مع تمام الاستقلال في الارادة « وما تكسب كل نفس الا عليها »

فاذا كان الناس مقسومين كما قلتم من الاصل وفي الدنيا وانهم سيعودون على هذا التقسيم نفسه في الآخرة . . فان الحياة الدنيا والخلق في الاصل والمبدأ يصيران بذلك عملا من الله باطلا كل البطلان لا علة ولا حكمة منه اصلا . . بل يكون اشبه بتسخير القادر للعاجز ورحمة اناس وتعذيب آخرين بالاستبداد والقوة دون غيرهما مع ان الكل « انسان » ومن نفس واحدة يشعر الواحد ويحس كما يشعر الآخر وهذا لم يعمله ولن يعمله الرحمن الرحيم . ولا يشير اليه في كتابه الكريم وانما يشير الى ان الكل مكرمون « ولقد كرمنا بني آدم » ومخاطبون بالآية « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فلا قسمة في اصل الخلقة ولا تقسيم الا في الآخرة فانها ستكون طبقا لما اكتسبناه بحريتنا من احد النجدين المتضادين « وهديناه النجدين » لا طبقا

للمقسوم المحتوم « اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب »

خامسا : قال تعالى في بعض الآيات « ولما يعلم الله الذين آمنوا » فهذا العلم بالايمان يدل على وقوعه في المستقبل دون الماضي . فهو لا يؤيد على الله الجهل او انه علم انكشاف للواقع دون غيره كلا بل يدل على تنفيذ ما اراد الخالق ان يكون من نظام وضعه الانسان بصفته مخلوقا سيفعل الخير أو الشر في آن واحد ، والمطلوب عليه هو تقييد ما يختاره الانسان على نفسه من كل المعلوم لله ازلا من كلا الطريقين . فاذا فعل انسان خيرا من بدء حياته الى مماته ووقع ذلك فعلا فقد كان هذا الواقع معلوما لله ازلا بصفته معلوما لا بصفته واقعا لا محالة . ولكن بجانبه ايضا ان الله يعلم للشخص نفسه انه سيفعل الشر على نوع مّا من بدء حياته الى مماته بصفته معلوما لا بصفته واقعا غير ان هذا الانسان اختار بحريته الاول وترك بحريته الثاني فصار هذا الاخير من المعلوم لله غيبا لا يظهره للشخص ولا لاحد في العالم « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا »

وبهذا وبغيره يثبت لكم ان الله تعالى لم يخصص من الازل اناسا للايمان معلومين من قبل وجودهم وسينكشفون بالواقع . كلا بل كل موجود في الحياة امامه طريقان متضادان تحت حريته يراقبه الله تعالى حتى يعلم منه في اي جهة عزم بنفسه الثبات عليها فكان تعلق العلم الالهي عن كل انسان دائما هو من جهتين متضادتين في آن واحد لا من جهة الواقع وحده كما قلتم ولما كان الانسان لا يمكنه الجمع بينهما في وقت واحد فعلم الله تعالى المطلوب هو تخصيص أحدهما للانسان بارادته وحريته الذاتية . . . إذ ان هذا هو الغرض الوحيد من الخلقة

(١٨ ــ تعلق العلم الإلهي ــ علم الله بالواقع وبضده في وقت واحد) قلتم في صحيفة (٥٤١ ج ٧ م ١٢) انه متى وقع الشيء علمنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع والا كان جهلا . . وذلك محال ،

أما أنا فأقول لكم ان علم الله تعالى يتعلق بوقوع الاشياء قبل حصولها في أحوال مخصوصة يريدها الله تعالى بحق كالآية : « انما أمرنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون » ومثال ذلك وجود العالم قبل ان يوجد . . . ولكن بالنسبة للنظام الذي خلق الانسان عليه وأراد ان يسير بمقتضاه في هذه الحياة بصفة عامة فلا تعلق لوقوع الافعال الانسانية من قبل وقوعها غير أنها معلومة بشكلها التي وقعت عليه ان وقعت مثل ضدها تماما بالنسبة لمن وقعت منهم بالذات وان كان الضد الذي لم يقع صار في حيز العدم ولكنه ما زال معلوما لله تعالى في الغيب الذي لا ندركه ولا يريد الله ان ندركه لأن هذا التعلق الذي تقصدونه معناه تحديد ما وقع فعلا مهما كان من أي عمل إنساني انه كان في العلم الالهي واقعا لا محالة قبل وقوعه دون غيره . . وهذا هو الخطأ المحض بل هذا هو الخلاف الذي بيني وبينكم في الغالب ومنه أبديتم عدم فهمكم لكثير مما ذكرت آنفا (وسأشرح فيما بعد ان هذه النقطة نفسها هي التي فرقت الامة الاسلامية احزابا وكانت أصلا لسقوط الامة الاسلامية في أيامها المتأخرة المظلمة) إذ الحقيقة هي :

أولا إن الواقع كان معلوما لله تعالى مثل كثير من أنواعه واضداده بالنسبة لمن وقع منه الشيء نفسه في وقت واحد وغاية ما في الامر ان الواقع تخصص لفاعل الشيء من ضمن أنواع كثيرة كانت مفتوحة امام حريته لتنفيذ واحد منها في وقت واحد وان هذا التخصيص هو الذي كان يراقبه الخالق ليعلمه (راجع ١٧ علم الله الازلي وسير الناس في الطريقين) لانه تعالى أراد ان يكون هكذا النظام الانساني في العالم كما قال تعالى « وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » فاذا كان علم الله تعالى معلقا من الازل بمن يؤمن انه سيؤمن في وقت كذا قبل وقوعه ومن يكفر انه سيكفر في وقت كذا فما الداعي لقوله تعالى : « وليعلم الله الذين آمنوا » ؟ وأيضا — لماذا يتخذ منا شهداء أي شاهدين على من كفر به بحريته للمحاكمة في الآخرة ؟ « اللهم الا لان الناس كلهم في نظر الله سواء » وانه تعالى فتح امام كل انسان طريقين متضادين فلا يعلم الله

تعالى أنه آمن الا في حال إيمانه ولا يعلم الله تعالى انه كفر الا في حال كفره ، وان حكم الواقع عند الله في العلم هو كحكم المعدوم سواء بلا فرق وان كان ذلك يعجز عنه عقل الانسان « ليس كمثله شيء »

ثانيا : عثرت في الكتبخانة الخديوية على رسالة في التوحيد بخط نسخ للامام أبي حنيفة رضي الله عنه (مجموعة نمرة ١٢٧ ن ع ٢٣٧٢) يقول فيها ما يأتي : « لم يجبر الله تعالى أحداً على الكفر ولا على الايمان ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا ولكن خلقهم أشخاصا والايمان والكفر فعل العباد . يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا . فاذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال ايمانه وأحبه من غير ان يتغير علمه وصفته وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة اه »

فافتكر ان مدلول ذلك وان كان مجملا ولم اطلع على تفصيل له في كتاب آخر فهو يطابق في الغالب لتلك المبادئ التي أذكرها الآن وأؤيدها .

ثالثا : ما يدلكم على ان علم الله تعالى بالنسبة للعمل الانساني لا يتعلق بالواقع وحده ، بل يعلم به وبضده في آن واحد بلا فرق - مخاطبة الله تعالى للكافرين يوم القيامة أو ذكر أحوالهم التي سيقولونها بأنفسهم بعد ان يبصروا كل شيء على حقيقته كالآية : « ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » - فهذا يدلك على ان الحال الذي كانوا فيه في الدنيا وقد كفروا بالله كان ممكنا لهم أن يؤمنوا فيه بدل الكفر بلا أي مانع حتى يكون الكفر بعيدا عنهم في العدم كما صار الايمان الذي يتمنوا (؟) ان لو ردوا الى الحياة لاعتنقوه(؟) ، ولا يخفى ان ذكر الله تعالى لمثل هذه الامثال لم يكن عبثا ، بل لغرض ان نعلم أن علمه تعالى لم يكن معلقا بالكفر الذي كفروه فعلاً ويعذبون لاجله في الآخرة ، لان معنى التعليق يدل على ارادته الذاتية في لزوم الكفر منهم ولو باختيارهم الذي تفرضونه مع وجود هذا التعلق ، مع ان الله تعالى يتبرأ من ذلك « ولا يرضى لعباده الكفر » ، وانما كان يعلم عنهم الايمان كما يعلم عنهم الكفر في آن واحد بكيفيتها المتضادة ثم استمر الله تعالى في مراقبته لهم حتى علم منهم انهم اختاروا الكفر بحريتهم

بدل الايمان نهائيا فجزاهم بالنار حقا والرد الى الحياة الدنيا من الآخرة مستحيل لان هذه الحياة الدنيا حق أيضا وان ما فعلوه فيها صار حقا حتى طبعوا أنفسهم عليه بحريتهم لا من أصل خلقتهم الاولى كما ان النار في الآخرة هي الجزاء الوحيد « وما ربك بظلاّم للعبيد »

رابعا : ما هو أظهر من الآية السالفة قوله تعالى : « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » فان العمل الذي عملوه من الكفر والفساد صار واقعا في الدنيا حتى عذبهم الله عنه في الآخرة وان هذا الواقع نفسه علموا عنه في الآخرة « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » انهم كانوا قادرين على عمل غيره أو ضده في الوقت الذي عملوه فيه حتى كان يمكنهم ان يجعلوا الذي عملوه في العدم والضد مفعولا . وكل ذلك يؤخذ منه ان علم الله تعالى لم يكن معلقا بما فعلوه وحده بل كان يعلمه تعالى كما يعلم بضده عنهم في آن واحد وبمراقبة الله تعالى لهم علم ما اختاروه بتمام حريتهم من الكفر فكان لهم الجزاء حقا بتعذيبهم في النار « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

ولو أردنا ان نحصر كل الآيات القرآنية التي تدل على ما ذكرناه لاخذنا وقتا طويلا غير اني أذكر من أشهر هذه الآيات قوله تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » ومنها : « وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فاصدّق وأكن من الصالحين » ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يقول يا ليتني قدمت لحياتي » ومنها قوله تعالى : « قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت » ومنها أيضا : « ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » ومن ذلك أيضا : « ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل » الخ الخ

(١٩ — مثالان عن علم الله الازلي وعمل الانسان) أخشى ان تقولوا ان ما ذكرته مسلطا (؟) يصعب فهمه فاحتياطا لزيادة الايضاح أذكر لكم مثالين :

الاول : إفرض يا صاحب المنار أنك أصبحت غنيا ومالكا لمحل « ستين »

الشهير الموجود بالموسكي بمصر وهذا المحل كان فيه من أنواع البضاعة ما يبلغ عدده المليون من الاصناف ثم وضعت هذه البضاعة في دواليب بترتيب منظم وكل صنف عليه نمرته مكتوبة . فالبضاعة المكتوب عليها نمر فردية من ١ و٣و٥ الخ الى المليون مكتوب عليها أيضا انها بضاعة جيدة والمكتوب عليها نمر زوجية من ٢و٤و٦ الخ بضاعة رديئة . ثم أحضرت أربعة رجال من رجال ادارة المنار وقلت لأولهم ان لك في هذا المحل عشر نمر من ١ الى ١٠ والى الثاني من ١١ الى ٢٠ والى الثالث من ٢١ الى ٣٠ والى الرابع من ٣١ الى ٤٠ ثم دخل الاربعة رجال في المحل متمتعين بحريتهم وأخذ كل منهم نمره المقررة له منكم من قبل . فهكذا تقولون أنتم عن علم الله الازلي بإزاء عمل الانسان في الدنيا حال وقوعه . فانكم قبل ان يأخذ الاول نمره من ١ الى ١٠ كنتم تعلمون بذلك ولما أخذها صار الواقع منه مطابقا لما كنتم تعلمون من قبل وحاشا ان يكون فعل الله مشابها لذلك

الثاني : قلب هذا المثال بشكل آخر مع ثبوت النمر التي تعلمها من أولها الى آخرها وثبوت الرجال أنفسهم وافرض انك أعلنت هؤلاء الاربعة بأن لكل منهم عشر نمر في كل النمر الموجودة بالمحل من غير ان تخصص لهم نمرا محددة كما فعلت في المثال الاول بل اشترطت أن لكل منهم ان يقلب في المليون نمرة الموجودة ويأخذ عشرا منها كما . فهل يمكنك بعد ان أدخلتهم في هذا المحل على هذا الشرط ان تخبرني إن كنت تعلم ما هي العشر نمر التي سيأخذها الاول أو الثاني أو الثالث أو الرابع قبل ان يضع يده بالفعل على واحدة منها . الجواب : لا تعلم ذلك الا بعد ان يضع كل منهم يده على كل منها ؟ . ولكن هل ذلك غير شيأ في النمر المعلومة لك كلها أو غير الرجال أو انقص شيئا من معلوماتك بخصوصها ؟

الجواب كلا . فهكذا اقول عن الخالق سبحانه انه اخرجنا في هذه الحياة على مثل هذا الفرض وفتح للجميع طريقين متضادين فيهما من انواع الافعال ما يعجز عنه الحصر والكل يعرفها ويميزها العقل الانساني وكان هذا سر قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » ثم خاطب الجميع بقوله : « هو الذي خلق لكم ما في الارض

جميعا » فلا عين شقيا ولا قيد سعيدا وهو تعالى لذلك لا يعلم المؤمن الا في حال إيمانه ولا الكافر الا في حال كفره والكل امام الوهيته في الاصل « انسان » وهنا لا يقال ان الله تعالى جهل شيئا لان العلم المطلوب لله هو تخصيص المعلوم ازلا لمن يختاره عوضا عن تعميمه الذي كان عليه قبل هذا الاختيار وكان ذلك بناءعن ارادة الله الذاتية فيوضع الانسان على هذا النظام من الازل ـ وكل ذلك بالبداهة المتأمل المدقق لا يزيد علم الله شيئا ولم ينقصه ما دام الله تعالى قائما بالمراقبة ولذا كان الله من الازل الى الابد بكل شيء عليم (؟)

(٢٠ — ادوار الخلقة الانسانية أمام العلم الالهي) ينقسم الانسان الى ثلاثة ادوار امام العلم الالهي : الدور الاول ويبتدأ من بدء الكون الى وقت الولادة ·وفيه جميع الناس سواء فلا شقي ولا سعيد

الدور الثاني : الحياة الدنيا وفيها كل انسان بين السعادة والشقاء فلا شقي ولا سعيدا الا عند الوفاة · والدور الثالث الآخرة وفيها الناس فريقان : « فريق في الجنة وفريق في السعير »

فاذا فرضنا ان الآخرة تجسمت امامنا ونظرنا بالعين اشخاص كل فريق ووجدنا الشخص (ج) من فريق الجنة والشخص (س) من فريق السعير · فاقول ان كلامنهما صار كذلك طبقا لما سير نفسه فيه بحريته في الحياة الدنيا وليس لكونه كان مكتوبا من الازل شقيا او سعيدا فلا يوجد فيعلم الله الازلي ان (ج) هذا سيكون بالذات والواقع سعيدا ليس الا ولا ان (س) هذا سيكون شقيا ليس الا وان العلم الازلي هو ان كلامن (ج) و (س) شخص طاهر مكرم لاشقاء له ولاسعادة الا بعدان يولد في الحياة الدنيا سيسير فيها بحريته على نظام ذو (؟) وجهين متضادين فيهما السعادة والشقاء يراقبه الله تعالى عنداختيار واحد منهما فيعلمه تعالى وقتها من فعل (ج) انه سيكون في الآخرة سعيدا ومن فعل (س) بحريته انه سيكون في الآخرة شقيا وان الطريق الذي سار فيه (ج) في الدنيا وبه صار سعيدا في الآخرة كان مفتوحا في الوقت نفسه امام (س) أيضا وانه كان يمكنه ان يسير مع (ج) فيه جنبا الى جنب وان

يجتمعا في الآخرة في الجنة . وبالعكس فان الطريق الذي سار فيه (س) في الدنيا بحريته وبه صار في الآخرة في السعير كان مفتوحا ايضا في الوقت نفسه امام (ج) في الدنيا وان الاخير كان يمكنه السير فيه مثل (س) وان يكون معه جنبا الى جنب حتى يجتمعا (؟) معا في السعير وكل ذلك لا يغير شيئا من علم الاله الازلي

(٢١ — الله اول ملك دستوري في العالم) . قال تعالى في الكتاب العزيز : «قل اعوذ برب الناس ملك الناس آله الناس » فصرح تعالى في هذه الآية انه ملك الناس والههم . وهنا اسأل صاحب المنار ما هي نوع الحكومة التي يحكم الله تعالى بها النوع الانساني بصفته ملكا عليهم كما صرح في هذه الآية الكريمة ؟ . فاذا كانت نوع الحكومة الالهية مجهولة لصاحب المنار فاني اقول له انها هي الحكومة التي تعشقها وتتلهف على وجودها الآن جميع الامم ويسفكون لاجلها دماءهم واموالهم للحصول عليها الا وهي «الحكومة الدستورية » فان الله تعالى يحكمنا بالدستور الازلي لا بغيره وهو جل شأنه مع مطلق قدرته واوسع علمه لم يشأ ان يحكم الناس الا حكما دستوريا عادلا لنتعلم من ذلك ومما هو مسطور في القرآن الحكيم عن هذا الحكم ما نجعله اساسا في اعمالنا واحكامنا الدنيوية حتى يقام العدل وتحيي الامم على أساس وصين وكفى الانسان شرفا ان يكون هو الوحيد خليفة الله في الارض ليعمل في حكمه كعمل الله كالآية « إني جاعل في الارض خليفة »

ولما كان الله تعالى هو الخالق لكل شيء والعالم بكل شيء علما تاما كان هو وحده الذي اسس هذا الدستور دون غيره وهو الذي يرتاح لعدالته كل مخلوق في الارض والسماء ارتياحا تاما لانه صدر هذا القانون بالرحمة وفيه « كتب على نفسه الرحمة » وكان الاساس الثاني لهذا الدستور هو منح المخلوقات « الحرية » الكاملة بعد وجودها في الدنيا لتعمل بها كل ما في وسعها « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وانه تعالى لا يمس هذه الحرية في هذه الحياة مهما فعلت تلك المخلوقات من صالح او اساءة الا أن يمدها بجزاء ما تفعل بالرغم عنها جزاء عادلا ليس الا طبقا لما في القانون المذكور الموافق لتقلب الطبيعة الإنسانية «وما تجزون الا ما كنتم تعملون» وبمقتضاه

صادرة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها » وهذا تنزه عن الحكم الاستبدادي المجهول نظامه وتحلى بالكمال المطلق والعدل والرحمة لان كل ما يحدث في الارض والسماء كتب في هذا القانون « ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها (اي نخلقها) ان ذلك على الله يسير » وبه يصيبنا في الحياة الدنيا والآخرة بجزاء الخير أو الشر طبقا لاعمالنا وما يناسبها من بنوده العادلة

فان فرضنا مثلا ان المادة ٣٥ من قانون ما في حكومة السودان ان من يسرق كذا بالطريقة كذا فانه يجازى بكذا و بكذا . فعلينا هذه المادة تسري على جميع الناس الذين يشملهم هذا القانون بلا استثناء وما على الحكومة الان تراعيهم وتراقبهم حتى اذا وقع واحد مرتكبا ذنبا تنطبق عليه هاته المادة تجازى(؟) بما فيها تماما . وهكذا نقول عن النظام الذي كتبه الخالق على الناس بصفته ملكا دستوريا عادلا عليهم قد كتب قانونا لمجازاتهم بالخير أو الشر في الحياتين تبعا لارتكابهم خطأ أو عملهم خيرا طبقا لبنوده العامة العادلة ولذا كان رقيبا على كل نفس لتنفيذه « ان الله كان عليكم رقيبا »

(٣٢ — الفرق بين فهمي وفهم صاحب المنار في القسمة) صاحب المنار يفهم من المثال الاخير السالف عن المادة ٣٥ من قانون الحكومة ان الشخص (ج) مثلا اذا ارتكب جناية السرقة بكيفية تنطبق عليها قال : ان الحكومة السودانية عند ماسنت قانونها كتبت فيه هذا الشخص وانه سيسرق في وقت كذا . وسيجازى بكذا قبل ان يحصل منه ذلك وقبل ان يقبض عليه بسنين عديدة : ولما وقعت منه السرقة قال ان ماحصل فعلا منه كان مطابقا لعلم الحكومة لان الواقع دائما يكون مطابقا للعلم — وبمثل ذلك القسمة وعلم الله اما أنا فأقول ياصاحب المنار ان علم الحكومة ليس كما تزعم ان علم الله تعالى وان كان يحيط بكل شيء ولكن ليس كما تتوهم لان الحقيقة هي غير ذلك . لان الحكومة كتبت في قانونها ماينا سب أخلاق كل الناس وأعمالها من غير ان تخصص عملا لشخص معلوم ، وانها لا تعلم ان هذا السارق بالذات سيسرق

في هذا اليوم ولا نعلم انه سيأخذ هذا الجزاء ٠ لان ذلك ليس هو القانون المعلوم عند الحكومة ٠ بل قانون الحكومة عام على الجميع وان أخلاق الناس تتقلب بين الخبيث والطيب بحريتها ٠ وان القانون مذكور فيه كيفية السرقة وأنواعها التي يمكن ان تحصل منه كما تحصل من خلافه ٠ وأمام ذلك الجزاء على كل نوع منها وليس على الحكومة الا مراقبة الرعية لتنفيذ ما هو معلوم لها من قبل في بنود هذا القانون فاذا كان الشخص (ج) ارتكب جناية السرقة وكانت تنطبق على المادة ٣٥ تجازى (٩) بمنطوقها ايضا وبالعكس اذا عمل عملا صالحا ذكرته الحكومة في القانون ايضا وكانت له مكافئة كافأته بها ٠ وبديهي للمطلع ان الفرق بين القصدين كالفرق بين السماء والارض أو هو كالفرق بين حكومة الدستور وحكومة الاستبداد ٠ ولكن صاحب المنار يقول في (صحيفة ٥٤٣) «لست قادرا على تصور فهمه للمسألة ولافهم وجه الاشكال التي كانت بها قتل ادواء المسلمين عنده فاحل له ما احكم من العقد في خياله » فاذا كان صاحب المنار للآن لم يفهم وجه الاشكال فليتصور الآن الفرق بين المقالين السالفين وليعلم مما ذكرناه وما سنذكره على هذا الاشكال على وجهه الحق : فان الحق والباطل لا يجتمعان « ان الباطل كان زهوقا »

(٢٣ ــ لا قسمة معينة لشخص معين في الازل) يقول صاحب المنار صحيفة ٥٤٥ : أما علم الله تعالى فهو قديم بقدمه ازلي بأزليته ــ فالقسمة فيه أزلية أيضا ٠ وأقول : أما علم الله تعالى بكل ما كان وما سيكون فأمر بديهي مسلم به ولكن قسمة الاشخاص من أن هذا الشخص بالذات شقي في العلم الازلي وذاك بالذات سعيد أزلا أمر لم يفعله الخالق ويتبرأ منه القرآن ٠ نعم نظام الشقاء الانساني أو السعادة الانسانية معلوم لله تعالى أزلا ولكن هذا النظام سينفذ على بني الانسان الذين أرادهم الخالق أزلا ان يكونوا خلفاء في الارض بلا فرق بين انسان وآخر فيطبق الله هذا النظام العام على أعمالهم الحرة المعلومة له من قبل ان يكونوا بصفة عامة فبعضهم سيكون بهذا النظام شقيا تبعا لحريته والبعض سيكون به سعيدا بحريته أيضا طبقا لبنوده المكتوبة قبل العالمين « وما ربك بظلام للعبيد »

قال تعالى : «ياأيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم» فهذه الآية الكريمة تؤيد ان خير الله تعالى المطلوب أعطاه لهؤلاء الاسرى متوقف على تغيير ما في قلوبهم وان المعلوم لله تعالى وقت نزول هذه الآية من قلوبهم هو عدم الخير أو ضعف الايمان به أو الكفر فاذا غيروه بحريتهم التي لا يمسها الخالق في هذه الحياة الى خير او ايمان أصابهم الله تعالى بعد ذلك بخير احسن مما اخذ منهم وقت الحرب من مال أو أبناء وان علم الله تعالى بخير قلوبهم هذا متوقف على ارادتهم الحرة لانه هكذا أراد الله تعالى ان يكونوا بتمام الاستقلال في ارادتهم ليغيروا ما في قلوبهم كالآية « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وهذا دليل كاف على ان الله تعالى ينفذ جزاءه أو قسمته طبقا لارادتنا الحرة في اختيار نوع من الاعمال ، وليس طبقا لكونها هي والافعال كانت مقسومة في الازل بالذات حتى يكون الواقع مطابقا للعلم دون غيره كلا ـ بل الواقع وضد الواقع في العلم عند الله سواء ولذا قال تعالى «وان عدتم عدنا» فان قول الله تعالى للكافرين «وان عدتم» دليل على عدم المانعة لهم من الله في الاعادة لفعل ما كانوا عليه من الفساد والكفر ثم قوله تعالى: «عدنا» أي عدنا بعد ذلك بالانتقام تبعا لما ستفعلوه (؟) ان وقع منكم في نظير كفركم كما انتقم بمثل ذلك قبلا فاذا كانت لهم قسمة من الازل معلومة ما كان هذا التعميم البين الذي يدل كما قلنا على عدم كتابة شيء مخصوص أو منح قسمة مخصوصة لاحد من الناس في الازل وبمثل ذلك قوله تعالى : « وان تعودوا نعد » وهذا يشبه بلا تمثيل الى ان شخصا من أفراد الحكومة ارتكب جريمة تناسب مادة (٩٥) مثلا من قانون العقوبات فكلما يرتكب جناية تناسب هذه المادة عاقبته الحكومة بمضمونها فاذا عاد وارتكب نفس الجناية اعادت معاملته بالمادة نفسها وهكذا بقول الله تعالى : « وان تعودوا نعد » أي ان تعودوا لفعلكم الذي به تجازيتم (؟) بمقتضى القانون الإلهي ـ نعد لمثل هذا الجزاء عليكم (؟) بالتالي ـ فأنتم أحرار فيما تفعلون . فبذلك وبغيره قلنا « ان الله تعالى أول ملك دستوري في العالم » لشحن القرآن الحكيم من أمثال هذه الآيات الواضحة كالآية : « فمن

أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب »
أي ان كل من يكذب على الله من بني الانسان يناله الجزاء المناسب لكذبه مما في
الكتاب الذي هو قانون الله العادل ، و بالطبع يختلف الجزاء باختلاف درجة
الكذب أو التكذيب وكل ذلك يدل على عدم قسمة النفوس في العلم الازلي بل
النظام هو المقسوم والله بكل شيء عليم كاتبه

أحمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

***

﴿ جواب المنار ﴾

الآن قد جاء هذا الكاتب الفلسفي بما لم يأت به من قبل ولا يفهم
من سؤاله عن القضاء والقدر ولا من رسالته في إنكار عقيدة قسمة الخلق الى
سعداء وأشقياء وهذا الشيء الجديد هو اعتقاده ان الله تعالى لا يعلم ما يكون من
أعمال عباده الا بعد وقوعها ، فلا أدري أكان على هذا الاعتقاد من قبل وكان
هو الذي يريده من كلامه السابق فقصرت عبارته عن بيانه أم حمله الحرص على
الاتيان بشيء جديد في الدين على هذا المركب الصعب بعد ان سددنا في وجهه
باب الاعتراض على عقيدة القدر وعقيدة القسمة ؟

لا أناقشه في كل ما اخطأ به في هذه الرسالة لئلا يتشعب الكلام و يطول بل
أخص الكلام في مسألة العلم الإلهي بعد أن أبين له بالايجاز فقرة لم يفهم مرادي
منها و بنى على فهمه خلافا طفق يحتج لرأيه فيه بالآيات وغير الآيات، تلك الفقرة
هي التي تكلم عنها في المسألة ١٥ وهي قولنا « وأنه بدأهم على هذا و يعيدهم عليه»
ففهم من هذا انني أعني بهذا انه تعالى خلق كل فرد من أفراد البشر إما شقيا غير
مستعد في فطرته لعمل الخير الذي يكون به سعيدا وإما سعيدا مطبوعا على الخير في
أصل فطرته لا يستطيع غيره هذا رأي يمكن لمن يقول به ان يستدل عليه بالمشاهدة

وبعض النصوص كما يمكن لمعارضه ان يستدل ولكنه لم يكن هو الذي عنيته بتلك الفقرة بل عنيت بها حال جميع البشر (لا كل فرد منهم) في الحياة الدنيا من أولها الى آخرها وحالهم في الحياة الآخرة وهما الحالان اللتان يعبر عنهما علماؤنا بالمبدإ والمعاد · وقد قال تعالى (٧ : ٣٠ كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذا ما أعنيه وهو مشاهد في أمر الدنيا وأمر الآخرة مرتب على أمر الدنيا فلا خلاف بيننا في هذا ولله الحمد

ان الضابط أحمد افندي بدوي النقاش يريد ان يثبت ان الانسان خلق حرا مختارا مستقلا في أعماله تمام الاستقلال وانه مالك لاسباب سعادته وشقائه ملكا تاما وان هذه الحرية والاستقلال والملك لا يعارضها شيء من سنن الفطرة وليس للخالق فيها فعل ولا لإرادته عليها سلطان ولا لعلمه بها تعلق الا ان الله تعالى يعلم ماعمل الانسان بعد وقوعه · وهذا مذهب لم يقل به فيما نعلم أحد من البشر المليين ولا غير المليين · بل الذي عليه المحققون من فلاسفة هذا العصر أقرب الى مذهب الجبرية من المليين كما بينا ذلك من قبل

إن العلم الإلهي يتعلق بالمعلومات تعلق انكشاف لا تعلق خلق وإيجاد والزام واجبار فهو لا يعارض مذهب صاحبنا الجديد أو فلسفته الغريبة فما الذي حمله على إنكار علمه تعالى للغيب وتمحله لإثبات ذلك بالآيات الناطقة بابتلاء الله الناس وتعليله ذلك بقوله « لنعلم » وقوله « ليعلم » (*) وقد فسرنا أمثال هذه الآيات بما يطابق الدلائل العقلية على إحاطة علم الله تعالى والآيات الكثيرة الناطقة بعلمه للغيب ومنه أعمال البشر قبل وقوعها والآيات الكثيرة المبينة لبعض تلك الاعمال قبل وقوعها

ورد وصفه تعالى بعالم الغيب والشهادة في الانعام والتوبة والرعد والمؤمنين والم السجدة والحشر والتغابن ، ووصف بعلم الغيب فقط في سور أخرى ، فبأي سلطان يتحكم أحمد افندي بدوي في علمه تعالى للغيب فيستثني منه أفعال الناس وهو تعالى

---

*) راجع ص ٧ — ١٠ ج ٢ من التفسير و ص ٤١٢ — ٤١٤ م ١١ من المنار

يقول (٢ : ٢٥٥ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) أي يعلم ما يكون امامهم من مستقبل أمرهم وما كان من ماضيهم فهو محيط بكل شيء من أمرهم وهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء لانه هو واهب العلم الانسان وواهب كل شيء يتمتع به ، وقال أيضا بعد ذكر خبر القيامة وهي من علم الغيب (٢٠ : ١١٠ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) فهل أحاط أحمد بدوي به علما فحدد ما يتعلق به علمه وما لا يتعلق به ؟ ؟

ألم يخبر الله تعالى نبيه ببعض أقوال الناس وأعمالهم قبل وقوعها كقوله عزّ وجل (٢ : ١٤٢ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم) وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٦ : ١٤٨ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) الآية وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨ : ١١ سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨ : ١٥ سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا ، بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) وقد صدق الله عز وجل فقالوا ذلك وكانوا يريدون به ما اخبر تعالى انهم يريدونه

ومن اخباره جل جلاله باعمال الناس قبل وقوعها في الدنيا قوله وسع كل شيء علمه بعد الآية الاخيرة التي ذكرناها آنفا من سورة الفتح (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقد كان ذلك — وقوله تعالى مبشرا في هذه السورة بفتح مكة وكان النبي (ص) رأى ذلك في منامه (٤٨ : ٢٧ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) الآية وكان ذلك كما قال عز وجل وقوله (٣٠ الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوي العزيز * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقد

صدق خبر الله تعالى ووعده في الموضعين فغلب الروم في بضع سنين وفرح المؤمنون يومئذ بنصر الله إياهم على المشركين كما هو مبين في محله . ويدخل في هذا الباب ما بشر الله به زكريا بيحيى وما بشر به مريم وذكره من وصف ولدها وأعماله قبل ولادته ، ومن اخباره تعالى شأنه باعمال الناس واقوالهم في الآخرة قوله (٧ : ٣٨ قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار، كلما دخلت أمة لعنت اختها ، حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اولاهم لاخراهم ربنا هؤلاء أضلونا) الى الاية ٥٠ منها وليتدبر احمد افندي البدوي قوله تعالى بعد ذلك (٥١ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم) ومن قبيل آيات سورة الأعراف في تحاور أهل الجنة واهل النار وتخاصمهم آيات سورة الصافات كقوله (٣٧ : ٢٧ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الخ وهي في تخاصم أهل النار ، وقوله في حوار اهل الجنة بينهم ثم اطلاعهم على اهل النار ومخاطبتهم إياهم (٥٠ فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون ٥١ قال قائل منهم اني كان لي قرين ٥٢ يقول أئنك لمن المصدقين) الخ الايات وفي سورة (ص) شيء من تخاصم أهل النار ، وفي سورة الحديد نبأ عما يكون من التحاور في الآخرة بين المنافقين والمؤمنين

أفتسميت ابها المنكر لعلم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها هذه الآيات كلها أم تجد لها تفسيرا برأيك تحرفها به عن مواضعها كما حرفت غيرها بسوء الفهم لا بسوء القصد كما هو الظن فيك ، ولولاه لما نشرنا رسائلك ، ولما طمعنا في هدايتك ، فراجع نفسك ، واستغفر ربك ، ولا تغتر بعد برأيك ، واعلم ان هذه الزلة التي زللت لا تتفق مع الايمان الصحيح الذي يعتد به المسلمون ، ومن فضل الله عليك ان كنت على هذا الشذوذ الفاحش مؤمنا بالقرآن متأولا له وهذا هو محل الرجاء فيك ، والطمع في رجوعك الى الحق ، اذا كنت غير مغرور بنفسك

وهناك نوع آخر من أخباره تعالى عن مستقبل بعض الناس ، منه الاخبار بعدم إيمان اناس مخصوصين كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على إيمانهم والحجة فيه مزدوجة فهو حجة على علمه تعالى بغيب الناس وحجة على ان من الناس من يختم الله على قلبه فيفقد الاستعداد للايمان والحق والخير . ومن ذلك قوله تعالى (٢ : ٦ ان

الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ٧ ختم الله على قلوبهم) الخ وقوله (١٨ : ٥٧ وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذًا ابدا)

ولو شئنا لانتقلنا من هنا الى موضوع تكثر فيه الآيات الناقضة لمذهبه في الاستقلال التام والحرية المطلقة التامة للبشر في افعالهم كاسناد اعمالهم اليه تعالى وتقييد مشيئتهم بمشيئته فمنها : (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق — ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين — يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا — فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى — وأضله الله على علم — سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملي لهم ان كيدي متين — وما تشاؤن الا ان يشاء الله — قل كل من عند الله — ولو شاء الله مااقتتلوا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة — ولو شاء الله لجمعهم على الهدى — ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم — ولو شاء الله لهداكم اجمعين — ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها — قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله — يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة — ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا — فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا — وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله — ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء — والله لا يهدي القوم الظالمين — والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وامثال ذلك كثير وما كنا نحب ان نشير اليه في موضع لا يتسع لابطال ما فهمه الجبرية منه على انا قد بينا ذلك في التفسير وفي مواضع اخرى لايمكن لاحمد افندي بدوي ان يستغني عما ذهبنا اليه في تفسيرها وهو ان مشيئة الله تعالى وارادته جارية على سنن حكيمة هو الذي وضعها لنظام العالم ومنها ان للانسان علما بما يفعل وارادة ترجح بعض الاعمال الممكنة المستطاعة له علي بعض واستقلالا مّا في عمله الاختياري اي الذي يعمله

وجملة القول ان الفرق بين اعتقادي وهو اعتقاد جميع المسلمين وبين اعتقاد احمد افندي بدوي اننا نحن نؤمن بان الله تعالى عالم الغيب والشهادة يعلم ما يعمله عباده قبل ان يعملوه و بعد ان يعملوه لا يتقيد علمه بالزمان ، وانه يعلم ماسوف يجازي به جميع الناس في الآخرة كما يعلم جميع ما يصيبهم من البلاء في الدنيا قبل وقوعه و بعده بلا فرق ، وان الجزاء على الاعمال انما يكون بحسب تأثيرها في الارواح وتزكيتها للنفوس او تدسيتها لها كل ذلك مما يحيط به علمه وتنفذ فيه مشيئته بحسب علمه ، وان هذا كله لا ينافي ما منحه الله للناس من اختيار واستقلال بل هو مرتب عليه والمنحة وآثارها من فضله بمحض ارادته . واما احمد افندي بدوي فهو يعتقد ان الانسان خارج في افعاله عن محيط علم الله تعالى ومشيئته مستقل تام الاستقلال ليس لله عليه سلطان في أفعاله وانه سبحانه وتعالى عما وصفه به كحكومة السودان في امر الجزاء وضع قوانين وهو لا يعلم من يعمل بها ومن لا يعمل ولكنهم بعد ان يعملوا يطلع على عملهم فيجازيهم عليه !!! هذا ما يريد ان يصلح به هذا الجندي دين المسلمين ، هذا هو التحقيق الذي فاق به الاولين والآخرين ، وما هو الا ضلال مبين ، فعسى ان يرجع عنه ولو بعد حين

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ غاية الاماني ، في الرد على النبهاني ﴾

كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الاعلام المكنى بأبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي ، رد فيهما ما جاء به النبهاني من الجهالات والنقول الكاذبة والآراء السخيفة والدلائل المقلوبة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وانصار السنة كشيخ الاسلام ابن تيمية . بين المؤلف في كتابه هذا الحق في مسألة الاستغاثة وما يتعلق بها ، وأطال فيما لا بد من الاطالة فيه من تكذيب ماعزي الى ابن تيمية كذباً وبهتانا من الاقوال الباطلة وماعزي اليه مما ظن الناقلون لجهلهم انه انفرد به وهو لم ينفرد به وما زعموا أنه باطل لعدم الوقوف على دليله ، وجاء بالنقول الصحيحة من كتبه وكتب غيره من العلماء التي تفند أقوال المعترضين الكاذبين والجاهلين تفنيدا ، وتقذف بالحق على الباطل فيدمغه فيكون زهوقا

وفي هذا الكتاب مالا أحصيه من الفوائد العلمية في التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والآداب والتصوف ، وما انفرد به بعض المشاهير فانكره العلماء عليه كالانكار على الغزالي وابن العربي الحاتمي وغيرهما

فعلى هذا الكتاب نحيل الذين يكتبون الينا من الشرق والغرب يسألوننا ان نرد على النبهاني وكذا من اغتروا بقوله وقوله وظنوا ان قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها « انه لا يوثق بعلمه ولا بنقله » هو من قبيل السب . وحاش لله ما هو إلا ما نعتقده فيه وفي كتبه بعد النظر في بعضها ورؤية مافيها من الاحاديث الموضوعة والنقول المكذوبة والاستنباطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهدا وهو ينكر الاجتهاد ويعترف بأنه ليس أهلا له

وقد قرظ هذا الكتاب طائفة من العلماء تقاريظ حسنة فكأنهم كلهم ردوا على النبهاني ما جمعه كحاطب ليل . وقد طبع بحروف واضحة في مصر ولكن جاء فيه كثير من غلط الطبع جمع في جدول في آخره فينبغي لمن يقرأه ان يراجعه ويصحح الكتاب عليه قبل القراءة . وهو يطلب من الشيخ أحمد رزق بشارع الفحامين بمصر وثمنه خمسة وعشرون قرشا

***

﴿ إعلام الموقعين . وحادي الارواح ﴾

سبق لنا التنويه بكتاب (إعلام الموقعين) والنقل عنه فأكثر قراء المنار يعرفون قيمته ويعلمون انه لم يؤلف مثله أحد من المسلمين في حكمة التشريع ومسائل الاجتهاد والتقليد والفتوى وما يتعلق بذلك كبيان الرأي الصحيح والفاسد والقياس الصحيح والفاسد ومسائل الحيل وغير ذلك من الفوائد التي لا يستغني عن معرفتها عالم من علماء الاسلام .

واما « حادي الارواح إلى بلاد الافراح » فهو كتاب للامام أبي عبد الله محمد بن القيم صاحب إعلام الموقعين جمع فيه ما ورد في الكتاب والسنة وآثار السلف في الجنة مع بيان معانيها وما يتعلق بها بما عهد من قلم المصنف الجوال في ميدان البيان ، بما يعجز عن مثله فرسان هذا الشان ، وقد طبع الكتابان معا بحرف جميل في مطبعة النيل بمصر في ثلاثة مجلدات

***

﴿ الاجوبة المرضية ﴾

« عما أورده كمال الدين بن الهمام على المستدلين بثبوت سنة المغرب القبلية »

كتاب صفحاته ٣٦ وإذا كان يعد صغيرا في ورقاته فهو كبير في موضوعه بل يقال بادي الرأي انه أكبر من المسألة التي وضع لبيانها وهي سنية ركعتين قبل فريضة المغرب ، وربما يظن الذكي الذي لم يقرأه انه ككثير من الكتب التي وضعت لبيان شيء لا يتسع القول فيه فأكثر واضعوها من الاستطرادات والمباحث التي

ليست من الموضوع في شيء ليرضي أحدهم هواه و يظهر فضله بتأليف كتاب كبير في مسألة صغيرة

وقد يظن من له حظ من علم الحديث ان هـذا الكتاب لا حاجة الى مثله لان سنة المغرب القبلية ثابتة في الصحيحين ، فلا ينبغي ان يكتب فيها أكثر من سطرين ، حرصا على الوقت ان ينفق إسرافا فيما لا فائدة فيه . واما المقلد فلا يبالي أصح الحديث في المسألة أم لا لأنه يتبع ما وجد عليه آباءه وان كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون

وهذا الظن أيضا لا يصح ولا يرتضيه صاحبه لنفسه إذا هو اطلع على كتاب الاجوبة المرضية ولو كان الامر كما يظن قبل قراءته لما اطلت في تقريظه وتنبيه الاذهان اليه

الكتاب صغير في حجمه كبير في معناه وفائدته فهو كالمعول الصغير يهدم به البناء الكبير ، هو يهدم لك تلك الشبهة الباطلة التي كبرت واتسعت حتى أحاطت بأذهان أكثر الناس وهم الذين يقولون إن علماءنا الذين سبقونا هم الذين أحاطوا بعلوم ديننا فيجب ان نأخذه منهم لا من كتبه المقدسة لاننا لا يمكن ان نفهمها كما فهموها، هذا ما كان يقوله المقلدون في كل دين حتى قاله المسلمون الذين امتاز كتابهم المنزل بابطال التقليد وذم فاعليه : يقول اتباع كل مذهب منهم ان فقهاء مذهبنا هم اعرف الناس بكلام ربنا وسنة نبينا فاذا قلدناهم كنا متبعين للكتاب والسنة من غير ان ننظر فيهما ولا ان نفهم شيئا منهما بل يجوز لنا ذلك ويقول لهم اهل البصيرة بل عليكم ان تصيبوا حظا من النظر فيهما وان يكون اصل اهتدائكم بهما وان يكون كلام العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء عونا لكم على ذلك فلا يسمعون ، وما اضيع البرهان عند المقلد ، وقد يزيد طالب العلم منهم جمودا وتعصبا ما يراه في بعض كتب مذهبه من الاستدلال والترجيح والرد على المخالفين الذين لم يطلع على ادلتهم فيظن ان ذلك هو التحقيق الذي ليس وراءه غاية فيتيه بذلك عجبا ولو رجع الى اصول تلك الدلائل وكلام اهل الشأن فيها لرأى ما لم يكن يرى وتغير حكمه على كثير منها وهذا كتاب الاجوبة المرضية يمثل لقارئيه نموذجا من ذلك

الكمال ابن الهمام أعلم الحنفية في عصره ولم يجيء بعده مثله بل يقل وجود مثله فيمن تقدمه منهم حتى قيل انه وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق وكتابه الفتح القدير هو امثل كتبهم المتداولة واقواها استدلالا وبحثا في الحديث وتخريجا له ولكنه لما كان بحثه واستدلاله لاجل تأييد المذهب لا لأجل بيان الحق في نفسه سواء وافق مذهبهم ام وافق غيره من المذاهب كان كثير الغلط والخطإ في الاستدلال فاذا فحص العالم المستقل ادلته التي يرجح بها مذهبهم على مذهب الشافعي وغيره يرى الكثير منها خلابة وجدلا وكتاب الاجوبة المرضية يشرح لك ذلك في مسألة سنة المغرب القبلية فان الكمال عفا الله عنه يعارض الاحاديث المتفق عليها والمروية في احد الصحيحين وغيرهما من كتب الصحاح بأثر عند ابي داود لم يرتق به الى مرتبة الصحة فيقول في ترجيحه اقوالا ينقضها ما هو مقرر في علوم الحديث والاصول حتى انك لتعد من خطإه فيه العشرات

فكتاب الاجوبة المرضية على صغره يبين لكل ذي بصيرة ان المسلمين لا يستغنون بكتب فقهاء المذاهب مهما جل مؤلفوها عن القرآن والسنة وكتب الحفاظ في الحديث وعلومه ، وانهم لا يكونون مهتدين بكلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الا اذا جعلوا العلم بهما مقصودا لذاته في الاهتداء لا لتأييد مذهب على مذهب

اما مؤلفه فهو الشيخ محمد جمال الدين القاسمي المنقطع في دمشق الشام للتأليف وتصحيح الكتب المفيدة والتدريس مع الاستقلال في الفهم والاخلاص في العمل والاعراض عن زينة الدنيا وما يرغب فيها علماء السوء من المال والجاه . ومع هذا كله يتهمه الحشوية والمفسدون في الارض بأنه مشتغل بتأسيس مملكة عربية ويغرون به الحكومة الدستورية كما كانوا يغرون به الحكومة الحميدية فله ان يقول:

انا في امة تداركها الله (م) غريب كصالح في ثمود

* * *

﴿ الحرية في الاسلام ﴾

ألقى الشيخ محمد الخضر أحد علماء تونس المدرسين في جامع الزيتونة الاعظم

منذ ثلاث سنين وشهور مسامرة في نادي جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الصادقية بتونس موضوعها الحرية والاسلام شرح فيها معنى الحرية والشورى والمساواة وقسم الحرية الى اقسام : حرية في الاموال وحرية في الاعراض وحرية في الدماء وحرية في الدين وحرية في خطاب الامراء ، وختمها بالكلام في آثار الاستبداد

طبعت هذه المسامرة في هذا العام فبلغت صفحاتها ٦٤ صفحة وتفضل صاحبها باهدائنا نسخة منها منذ اشهر وكتب عليها بخطه وقد ارجأنا تقريظها راجين ان نجد وقتا نطالعها فيه ولما نجده ، فرأينا ان ننوه بها الآن تنويها اجماليا وسننقل في جزء آخر نموذجا منها

ومن وجوه العبرة في هذه المسامرة ان علماء تونس الرسميين يخطبون في الاندية حتى في المسائل السياسية وحكم الاسلام فيها وبهذا يفضل علماء جامع الزيتونة علماء الجامع الازهر . ومنها ان الشيخ محمد الخضر كان في الوقت الذي ألقى فيه مسامرته قاضيا لمدينة بنزرت وهذا يدل على ان عمال الحكومة التونسية يتمتعون بحرية اوسع من حرية عمال الحكومة المصرية الممنوعين من الكتابة — بله الخطابة — في السياسة ولو من الوجهة الدينية . او ان فرنسا اوسع صدرا من انكلترا في ذلك

***

﴿ شرح المعلقات للزوزني ﴾

المعلقات السبع لفحول شعراء العرب في الجاهلية مشهورة وفائدتها لطلاب ملكة الشعر وأدب هذا اللسان معروفة ، وشرح الزوزني لها هو عمدة المتأدبين في فهمها وقد طبع اكثر من مرة ولعل أحسن طبعاته هي الطبعة الاخيرة بمطبعة دار الكتب العربية بمصر فهي تفضل غيرها بمعارضة المعلقات فيها على النسخة التي اعتمدها الشيخ محمد محمود الشنقيطي امام اللغة والادب في هذا العصر (رحمه الله تعالى) وباثبات الأبيات الزائدة على ما في شرح الزوزني كما وجد في نسخة الشنقيطي وبضبط الأبيات بالشكل ، وبضم معلقتين أخريين اليها احداهما للنابغة الذبياني والثانية للأعشى بكر وائل وقصيدتي النابغة الداليتين الشهيرتين اللتين يصف في احداهما المتجردة

زوج النعمان بن المنذر ، ويعتذر في الاخرى له عما بلغه من السعاية فيه . ويطلب الكتاب من دار الكتب العربية الكبرى للحاج مصطفى الحلبي واخوته بمصر

***

﴿ الوطن – أو – سلستره ﴾

هي القصة التمثيلية الشهيرة لكاتب الترك وخطيبهم وأحد زعماء الاحرار السياسيين فيهم وامام النهضة الحديثة في ترقية اللغة العثمانية وتكوينها نامق كمال بيك (رح) وهو يمثل في هذه القصة حب الوطن بقالب العشق فيغلبه ، ويصور فيها الوجدان والوجد والشعور المتغلغل في اعماق النفس ، والهوى المستقر في زوايا القلب ، حتى تكاد تكون هذه المعاني الروحية ، اشباحا مرئية ، ولكنه يسرف في ذلك أحيانا فلا يراعي فيه ما تسيغه الطباع وتعرف طعمه الأذواق فينتبه الذهن إلى كونه خياليا لا حقيقيا ، وقد اشتهرت هذه القصة في أوربا حتى ترجمت باللغات الفرنسية والألمانية والروسية ، ولكنها كانت محجوراً عليها في عهد الحكومة الحميدية ، كسائر آثار مؤلفها ، وجميع ما ينتجه الأذهان من أمثالها ، حتى إذا ما جاء الدستور ، فأباح ما حرمه الاستبداد من الآداب والعلوم ، بادر الاحرار العثمانيون إلى تمثيل هذه القصة بالتركية ، ثم مثلت في بيروت بعد ترجمتها بالعربية ، ترجمها بالعربية الشيخ محي الدين الخياط وأجدر بمثله ان يحسن ترجمة مثلها ، ويجعل فرعها وارثاً لمحاسن أصلها ، وقد أودعها بعض الأناشيد والقصائد من نظمه فزاد ذلك في معناها وحجمها ، وطبعها سليم افندي هاشم وكمال افندي بكداش وهي تطلب من المكتبة الاهلية ببيروت ومكتبتي هندية والمليجي بمصر

* * *

﴿ المجلات والجرائد ﴾

(النبراس) مجلة أنشأها في بيروت صديقنا الشيخ مصطفى الغلاييني وهي تبحث في المسائل الأدبية والسياسية وغير ذلك ومشربها دستوري إصلاحي . ومنشئها من تلاميذ الأستاذ الإمام كان على عهده مجاورا في الأزهر يواظب على دروسه وهو ممتلئ غيرة وإخلاصا وقد اشتهر إسمه في بيروت في اثناء اعلان

الدستور بما كان يلقيه من الخطب في الجامع . وهو مؤلف كتاب (الاسلام روح المدنية) الذي رد فيه على (لورد كرومر) وقد كان من جرأته في الحق أن طبعه في بيروت قبيل اعلان الدستور وفيه نقول من كلام الأستاذ الامام معزو اليه بعضها بالتصريح وقول أخرى عن المنار (كما أشرنا الى ذلك في تقريظه) ولولا ان جاء الدستور عقب طبعه لما سلم من الخطر والبلاء من الحكومة الحميدية عدوة العلم والدين . فمجلة النبراس جديرة بتعضيد محبي الاصلاح ومساعدة النابتة الصالحة التي يرجى بنجاحها نجاح البلاد . وقيمة الاشتراك فيها ٢٥ قرشا لأهل القطر المصري وثمانية فرنكات لغيره من الاقطار ماعدا الولايات العثمانية فالقيمة لأهلها ريال مجيدي وربع

* * *

(المفيد) جريدة يومية سياسية أنشأها في بيروت صديقنا عبد الغني افندي العربي وهو من خيرة النابتة الحرة في بيروت مهذب الاخلاق ذكي الفؤاد شديد الغيرة على الدولة والملة قوي الاخلاص لها وحسبك انه كان على حداثة سنه من اعضاء جمعية الشورى العثمانية التي أسسناها في القاهرة لمجاهدة استبداد الحكومة الحميدية وطلب الدستور . فانا لا أزكي عليه وعلى صاحب النبراس أحدا من نابتة الديار السورية في الحرية والاخلاص للدستور والرغبة في ترقية الامة بعد كهولنا المشهورين كالسيد الزهراوي ورفيق بك العظم

وقد ظهرت مزايا جريدة المفيد لأهل الفهم في بيروت بصدعها في انتقاد الوالي قبلاً ادهم بك وغيره من رجال الحكومة ومقارعتها لأصحاب النزعات الجنسية من الترك الذين يهضمون حقوق الأمة العربية وتنبيهها اهالي البلاد العربية التي انشئت بلسانهم الى ما به حياتهم ورفعة شأنهم ، من غير تقية ولا مراعاة ولا مداراة ، وهي شديدة الانتقاد حتى كادت تكون غاية متطرفة فيه كجريدة المقتبس وإن الحرية التي لا تزال طفلة في مهد البلاد العثمانية لا تكاد تستطيع حمل اثقال الغلو في انتقاد الحكام فننصح لصديقنا ورفيقنا الجديد ان لا يخرج عن محيط الاعتدال ، وان يوجه سهام نقده دائما الى الاعمال لا الى العمال ،

ثم اذكره بان يتقي في تنبيه الأمة العربية وارشادها عصبية الجنس التي ينهى

عنها الاسلام ، وتنافي مصلحة الدولة في هذه الأيام ، وان نبث بذرها بعض الاغرار من الترك والاشرار من سائر الاقوام ، بل يجب إحياء اللغة العربية لانها لغة الدين الاسلامي الذي لا يفهم حق الفهم الا بها ، واللغة المشتركة بين جميع المسلمين على اختلاف اجناسهم ، لا لغة العنصر العربي وحده ، ولكن دعوتنا الى إحيائها ونقل جميع العلوم العصرية اليها ، كدعوة علماء الاسلام وانصاره من الترك الذين نرى من نفثات اقلامهم في جرائدهم ومجلاتهم ما لم نر لجرائدنا ومجلاتنا خيرا منه في الحث على احياء هذه اللغة الشريفة ، فارجع الى مجلة « صراط مستقيم » تجدها في ذلك على هدى وعلى صراط مستقيم

ولا أنهى صاحب « المفيد» عن الوقوف بالمرصاد لمن يزل عن هذا الصراط من الترك وغيرهم فيعتز بجنسيته ، وهو جاهل بأنه يضر بذلك قومه ودولته ، بل عليه ان يتتبع عوارهم ، وينقل أفكارهم ، ويترجم ما يكتبون في ذلك ويحذرهم من مغبته ، واغرائه كل عنصر بتعزيز عصبيته ،

وقيمة الاشتراك فيها اربعة ريالات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

* * *

(الرقيب) جريدة تصدر في بغداد مرتين في كل أسبوع وتكتب بالعربية والتركية صاحبها ومديرها عبد اللطيف أفندي ثنيان (وكيل مجلة المنار) ويعجبنا منها ان أكثر ما يكتب فيها هو في انتقاد ما ينتقد على حكومة بغداد وعلى أهلها ومطالبة الفريقين بما يجب على كل منهما من الاصلاح . وفي يدنا الآن العدد ٥٥ منها الذي صدر في ٨ رمضان وهو مفتتح بترجمة ما كتبه النادي العسكري في بغداد الصدارة ونظارتي الحربية والداخلية عن الاختلاف واضمحلال الفيلق السادس . وسننشره في باب الاخبار . ويليه نقل ما روي عن طلعت بك ناظر الداخلية الجديد من اهتمامه بأمر الامن وراحة الاهالي وكتابته الى الولاة بذلك . والتعقيب على هذا الخبر بعدم ظهور اثر ولا ذكر له في ولاية بغداد ، والعدد كله على هذا المنهاج . قيمة الاشتراك فيها مدة سنة يصدر فيها مئة عدد ٣٠ قرشا لاهل بغداد و٣٥ لسائر الولايات العثمانية و٧ روبيات لاهل خليج فارس والهند و ١١ فرنكا لسائر الممالك

باب الأخبار والآراء

﴿ الديار السورية ، في عهد الحكومة الدستورية ﴾

بيروت

جعل ناظم باشا الشهير واليا على بيروت بعيد طلوع فجر الدستور وكانت الولاية لاتزال سكرى بخمرة الانقلاب ، وأهلها من احتقار الحكومة والافتيات عليها في هياج واضطراب ، فكانت سياسته فيها كسياسته في عهد الاستبداد : سياسة مداراة للأهالي حتى كان نفوذ كثير من البحارة والحمالين (الشيالين) في بيروت أقوى من نفوذه ، وجوارهم أعز من جواره ، بل ظهر للناس كافة انه أحوج الى حمايتهم منهم الى حمايته ، وقد وافينا بيروت في تلك الاثناء ورأينا منه هذا الضعف ، فتلطفنا في الاشارة اليه بالنصح ، مبينين له ان الاهالي مهما ظهر من اعتصابهم ، واعتصامهم فيما ليس من شأنهم ، لايقفون في وجه الحكومة اذا اخذت بالحزم ، وعنيت بما هو أول واجب عليها من حفظ الامن ، بل قلنا له ان الوالي يجب ان يكون في مثل هذا الطور الذي نحن فيه منفذا للدستور بضرب من الاستقلال يشبه الاستبداد حتى يكون الاهالي معه كمن وردفيهم انهم يقادون الى الجنة بالسلاسل أي يلزمون الاعمال التي تعودهم اليها إلزاما لامحيص عنه . وقد أشرنا الى هذا فيما كتبناه عن رحلتنا في مجلد السنة الماضية

ولكن هذا النصح لم يؤثر في نفس الوالي لأنه جرى في المداراة على ما تعوّد ولأنه كسائر كبار الحكام قد شعر بثقل مسؤلية الدستور من حيث شعر أكثر الاهالي بضد ذلك وظنوا ان الحكومة لم يبق لها عليهم من سيطرة ولا قوة . فكان حفظ الامن وإضاعته في بيروت في يد عصائب أولي القوة من عامة الاهالي الذين يطلق عليهم لفظ (الابضايات) ونحمد الله ان كانت حكومتهم على مافيها من الخطر حافظة للامن العام

ثم نقل ناظم باشا الى دمشق الشام بعد اخراج شكري باشا منها ـ وسيجيء ذكره ـ وبقي فيها الى الشهر المنصرم فأعيد الى بيروت وعسى ان تكون حاله فيها خيرا من حاله السابقة في بيروت ومن حاله في الشام وسنشير اليها

ثم ولي ولاية بيروت أدهم بيك وهو رجل قلم وفكر ، لا رجل ادارة وعمل ، بارد المزاج لايبالي ان يعرف حال البلاد وأهلها ، ولا يهمه ماوقع فيها وانما يرى كل الواجب عليه ان ينظر في الاوراق التي تلقى اليه ، فيوقع عليها التوقيع الرسمي الذي كان يتمله ، اذلم يكن من قبل يمله ، وقد بينا في المنار من قبل اننا نصحناله بأن يمد نفوذ الحكومة الى نصابه ، ويوقف افتيات عصائب العوام عند حده ، ويعنى بحفظ الامن والحرية الشخصية ، وانه أجابنا بأن هذا لايمكن ولا يتيسر الا بعد أن تصلح حكومة الاستانة نظام الشرطة والشحنة (الضابطة والبوليس) وتنفذه في جميع الولايات ، ولم يكن يعقل معنى قولنا ان ذلك في استطاعة كل حاكم وانه لايفتقر فيه الى إصلاح القوانين ولا تجديد النظام وإنما يحتاج فيه الى الحزم ومعرفة حال الاهالي ونفوذ الحاكم الحازم ويبنا أيضا اننا نصحنا بمثل ذلك لمتصرف طرابلس جواد بيك وانه كان يجيبنا بمثل ماأجابنا أدهم بيك الوالي لان كلا منهما من أصحاب النظر لامن أصحاب العمل ولكن المتصرف كان يحيل على الوالي كما يحيل الوالي على الاستانة

ظهر بعد ذلك صدق ماقلناه لها أولهم فقد ولي قيادة الشرطة ببيروت أمير الالاي نجيب بيك فقل عصائب المفتاتين ومنع حمل السلاح وما كان من إطلاق الرصاص في الليل والنهار وقبض على من لم يفر ويغادر البلاد من المحكوم عليهم وأرهب جميع الاشقياء فعرف الاهالي مالم يكونوا يعرفون من سطوة الحكومة واحترامها ، وكان خير عون له على هذا نافذ بيك رئيس الشحنة (مدير البوليس)

وولي متصرفية طرابلس الامير أمين ارسلان فعني في أول الامر بحفظ الامن فتيسر له مع سوء حال الشرطة والشحنة ما كان يراه سلفه متعسرا بل مستحيلا من منع إطلاق الرصاص والظهور بحمل السلاح وارهاب الاشقياء والقبض على كثير من المحكوم عليهم منهم وإلقائهم في السجون ، ثم فترت همته في آخر العهد وقيل انه صار يقبل شفاعة بعض الوجهاء أو المنتسبين الى بعض الجميات ولعله لايدري انهم انصار الاشقياء وأعوان السفهاء وشركاء اللصوص وسالبي الامن . وقد انتخب مبعوثا عن متصرفية اللاذقية وولي مكانه آخر . فهل يعتبر الولاة والمتصرفون ورؤساء الشرطة والشحنة في سائر البلاد بفعل نجيب ونافذ وأمين في حفظ الامن واحترام الحكومة ؟

دمشق الشام

كان والي الشام عند اعلان الدستور شكري باشا ولعله أضعف ولاة الدولة عقلا وفهما، وأسوأهم ادارة وأقلهم حزما ، ناهيك بسوء تصرفه في حادثة آخر رمضان من العام الماضي فقد كان فيها آلة في ايدي اعداء الدستور ومثيري الفتنة ابتغاء قلب الحكومة الدستورية ، وإعادة العبودية الحميدية ، وقد اشرنا الى ذلك في سياق رحلتنا السورية في منار العام الماضي فلا نعيده وقد عزل بتلك الحادثة شر عزلة

ثم ولي الشام من بعده ناظم باشا فلم يأت فيها باصلاح جديد بل انتشرت في دمشق على عهده جمعية (ولقان) الافسادية التي أطلقوا عليها اسم «الجمعية المحمدية» تمويها وخداعا لعوام المسلمين . نشرها مثيرو فتنة آخر رمضان كالشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي واعوانهما من الوجهاء ، ولولم يصطلم محمود شوكت باشا بجيش الحرية تلك الفتنة في الاستانة بتلك السرعة التي أدهشت العالم لظهرت الفتنة في دمشق الشام في أقبح مظاهرها ولقام عشرات الألوف الذين دخلوا جمعية الافساد ينادون بابطال الدستور واعادة السلطة الحميدية ، باسم الشريعة المحمدية ، على حين لم يخذل الاسلام سلطان من السلاطين كما خذله وأضعفه السلطان عبدالحميد لاسقى الله عهده ، ولا أرى المسلمين مثله بعده

حادثة رمضان الماضي في دمشق

أشرنا في الجزء الماضي الى هذه الحادثة المشئومة وقد ظهرت بوادرها في آخر مدة ناظم باشا وشاع ان له يدا فيها وان ضلعه مع الفاتنين الذين أثاروها ولهذه الاشاعة سئل عن ذلك في بيروت فأنكره وقال انه دافع عن كرد علي لما اتهم أولا بمشايعة جمعية (ولقان) وكتب الى الاستانة ان كان كرد علي ارتجاعيا فانا ارتجاعي فكيف يتهمه بعد هذه الشهادة بالارتجاع، وشاع أيضا ان حسين عوني بك مدير المعارف بالشام قد مهد لهذه الفتنة في الاستانة تمهيدا قربها به من تصور الحكومة ، وان السبب في ذلك حملات المقتبس الشديدة في الانتقاد عليه و بيان ما في ادارته من الخلل والتقصير .

و يغلب على ظني انه لو بقي ناظم باشا في الشام لتلافى الفتنة ولأنقذ من مخالبها مثل الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال القاسمي وعبد الرحمن بك اليوسف

لأنه يعرف من اخلاص هؤلاء للحكومة الدستورية ما لا يعرفه غيره ويعرف ما كان يكيده أكابر المجرمين ودعاة الفتنة من اتباع أبي الهدى وغيره للشيخين البيطار والقاسمي في عهد الحكومة الحميدية وانهم يكيدون لها الآن بمثل ذلك ويريدون ان يجعلوا الحكومة الدستورية كالحميدية آلة لتوقدهم والانتقام ممن يبغضون من الاخيار والاحرار ومحبي الاصلاح . ناظم باشا يعرف هذا كله وكم منع أمثال هذه الفتن والشرور في زمن الاستبداد وهو قادر الآن على مساعدة الأبرياء كالشيخين وعبد الرحمن اليوسف وان لم يكن واليا فقوله مقبول عند الوالي الذي خلفه وفي الاستانة

أما كرد علي فقد اخطأ خطأ لا يبرئه منه أحد بل رأينا أصدق أصدقائه يلومه فالحكومة أجدر بلومه على ما كتب وان كان بسوء فهم لا بسوء قصد ولكن ليس من العدل أن يجعل الرجل جانيا خارجا على الدولة هادما للقانون الأساسي الناطق بأن سلطان العثمانيين هو خليفة المسلمين

لو كان هذا الأمر مقصودا لصاحب المقتبس كتبه ليعزو اليه ما أسنده إلى بلاغ شيخ الاسلام « الذي أرسل ليطلع عليه الخاص والعام » وهو نفسه يتمنى لو يسبق جميع الجرائد السورية الى نشره في جريدته . فمن البديهي الذي لا يماري فيه عاقل منصف ان نشر تلك الفقرة قد كان زلة قلم « لا زلة قدم » وكثيرا ما تزل أقلام الكاتبين لكلام الله وكلام رسوله « وآية ذلك انهم إذا نبهوا أو تنبهوا الى خطأهم يبادرون الى إصلاحه وكذلك فعل كرد علي فأصلح في غده خطأ أمسه » ونحن قد أصلحنا في الجزء الثامن من هذا المجلد خطأ في آية من كتاب الله وفي تفسيرها تبعا لما وقع في منار العام الماضي « وكتاب الله أعظم من بلاغ شيخ الاسلام فهل عاقبنا حكومة الخلافة على ذلك الخطأ ؟ ؟

هل يرضى النبي عليه الصلاة والسلام أن تعاقب حكومة الخلافة النائبة عنه من يخطئ في خبر معاقبة الجناة في شخصه وعمله ومورد رزقه وهو القائل « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » . رواه الطبراني عن ثوبان (رض) بسند صحيح . أي الفريقين يكون طاعنا في كون الحكومة العثمانية حكومة خلافة : أمن يخطئ في خبر لا يؤاخذه الله ولا رسوله عليه ، ولا سيما بعد ان تاب ورجع عنه « أم من يعاقب من منع الله ورسوله عقابه ؟ » ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا »

لقد قرت في دمشق الشام عيون اعداء الدستور الرجميين ، وما زالت راجفة فيها قلوب الأحرار المصلحين ، فليهنأ الرجعيون في رمضان هذا العام بفتنة صاحب المقتبس ، كما هنئوا في رمضان العام الماضي بالفتنة التي أثاروها على صاحب المنار ، وكما هنئوا في عام سابق بالفتنة التي أوقعوا فيها السيد عبد الحميد الزهراوي ، وليقولوا ان شاؤا ان لكل حر عندنا في رمضان فتنة ، واننا نعد لكل طالب للإصلاح محنة ، وإنما نحن الظافرون في عهد الدستور وعهد الاستبداد ، وانا نحن العابثون بحكومة عبد الحميد وحكومة رشاد ، ونحن نقول ان العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وان الاعمال بالخواتيم

وما الهِنا منكم بمشف تقبا وطالما اشفى الهِناء النقبا

فاذا لم ينصف الوالي الجديد القوم فستنصفهم المحكمة العرفية وان لم تنصفهم المحكمة العرفية فسينصفهم الخليفة محمد رشاد بنفسه ، ويكون حزب الحق هم الغالبين وحزب الفساد والاستبداد هم الخاسرين

مظالمنا في طرابلس الشام

نحن أقل الناس تعجبا مما أصاب كرد علي من الظلم لأننا من أوسعهم علما بحظ بلادنا السورية القليل من الدستور لسوء حال الحكام وجريانهم على ما تعودوا من الاستبداد وجهل جمهور الأمة بطرق مراقبتهم ومطالبتهم بالعدل والتظلم من كل هيئة حاكمة الى ما فوقها على ضعف هذه الهيئات كلها في هذا النوع من الحكم. وعلمنا هذا بعضه نظري مبني على قواعد علم الاجتماع والسياسة وبعضه اختباري بالاطلاع على أحوال الحكام وبالدخول في المحاكمات بأنفسنا :

ظلمنا في عهد الاستبداد ظلما يقينا لا يجهله أحد من حكام بلادنا ولا من الاهالي . ظلمنا في أنفسنا وفي أموالنا وفي أوقافنا وسبب هذا الظلم هو ان أحدنا صاحب مجلة المنار ، وقد نشرنا في الجزء الماضي ما كتب في جريدة بيروت الرسمية من اتهام صاحب المنار هو واخوته بالجناية ليعرف الاجنبي كما عرف الوطني سبب ظلمنا والاعتداء على حقوقنا . وقد حال الحول على الدستور ولم ترجع الحكومة الدستورية إلينا شيئا مما سلبته الحكومة الحميدية منا فضلاً عما سلبه الاشقياء الملمهم برضاها بظلمنا وعدم الانتصاف لنا ممن يعتدي علينا

توفي والدنا وجنود الاستبداد محيطة بداره فمكنت الحكومة الاستبدادية بعض المهجمين على الحقوق مما كان في تصرفه من حصة الاموال الأميرية الموجهة على أجدادنا من سلاطين آل عثمان الكرام المتسلسلة اليه من ذريتهم بغير توجيه شرعي ولا نظامي ومن أوقاف مسجدنا أيضا . وكنا كتبنا في المنار ان نائب طرابلس في ذلك العهد وجه ذلك عليه مخالفا لقانون نظام التوجيهات المصرح بأن ما كان على الرجل من مثل هذه التولية يوجه بعد وفاته على أكبر أولاده . ثم تبين لنا انه ليس هنالك توجيه صحيح وأقمنا الدعوى في المحكمة الشرعية لان صاحب هذه الجهة هو أكبر أخوته وأرشدهم وقد مرت السنة ونائب طرابلس يماطل في الدعوى ويلوي ولا يفصل فيها على وضوح الحق وظهوره ، ولماذا ؟ العلة يعرفها كل أحد !

على أنه قرر في اثناء الدعوى ان الحصة الموجهة من السلاطين على أجدادنا لم توجه بعد والدي على أحد وانه رأى ان يوجهها موقتا على خصمي مع أخ لي مناصفة الى أن تنتهي الدعوى التي لا يريد انهاءها إلا إذا أنا أرضيته وما أنا بالذي يرضيه

ثم قرر هذا النائب (عبد المجيد افندي الجمفري) ان الحصة المذكورة (وتسمى حصة السبعة القراء بطأ أو السبعة السهام) لم توجه بعد والدي على أحد وامامه دعوى فيها ان خصمي (محمود حسن) اعتدى على هذه الحصة عدة سنين وأكلها بغير حق وهو يعلم انني صاحب الحق فيها كما هو مقرر في قانون التوجيهات فكيف وجهها الى خصمي المغتصب ولم يوجهها الي ؟

السبب في هذا هو أنه حاكم مستبد في حكومة يرى هو انها اقرب الى الفوضى من الحكومة الاستبدادية الماضية فاذا كان لا يخاف من الله ولا من الحكومة العليا ان تسأله عن ظلمه وتعاقبه عليه فماذا يمنعه من تمكين المختلس لهذه الحصة زمنا ثم يوجهها عليه توجيها موقتا بعد ثبوت اختلاسه اياها عدة سنين قبل هذا التوجيه الموقت مؤبدا !!!

ماذا يخاف عبد المجيد الجمفري بعد ان ثارت عليه طرابلس بقضها وقضيضها وهجم الالوف من أهلها على المحكمة لاخراجه منها أو الفتك به لسوء سيرته واشتهاره بهضم الحقوق وانتهاك حرمة الشرع وبعد أن ارسلت العشرات من الشكاوي عليه بالبرق الى مشيخة الاسلام ونظارة الداخلية وولاية بيروت ، وبعد ان أمر شيخ الاسلام بمحاكمته في ولاية بيروت فكان من رأي المجلس الذي عقد لمحاكمته الصلح بينه

وبين خصمه بعد ان ظهر لهم وجه ادانته والحكم عليه !! ولماذا ؟ لانه رجل ذو عيال !
فهل تكون هذه القاعدة متبعة في حكومتنا ومرضية عند امتنا ونكون معها امة دستورية وحكومة دستورية ؟؟ لا لا . وهل يكون من ينجو من كل هذا في عصر الدستور مباليا بسلب الحق من صاحبه واعطائه لغيره ؟

هذا الصلح او الاغضاء عن حاكم يعبث بالشريعة ويضيع الحقوق فتعذره الحكومة لانه ذو عيال مدعاة لافساد الصالح من الحكام فضلا عن استمرار الظالم على ظلمه

تزوج البجتري على ام اولاده فتاة في الرابعة عشرة من سنها المجرد المتمتع وهو في سن الستين ليس في لحيته شعرة سوداء . ولا يبعد ان يتزوج فتاتين أخريين ويفتح اربع بيوت على قلة راتبه الشهري ، وهل يمنعه قلة الراتب من ذلك والحكومة الدستورية تبيح له الاستبداد وهضم الحقوق والحكم بالباطل جهرا كما نعلم ذلك علم اليقين في قضيتنا وكما يلهج به الناس في بلادنا

استغفر الله إن الحكومة الدستورية لا تبيح له ذلك بطبيعتها وشكلها ولكن ليس عندنا رجال يقيمون هذه الحكومة على قواعدها ، على ان المحاكم الشرعية لم يكن لها حظ من الدستور فلا الاحكام فيها تجري بالمشاورة كمحاكم مصر ولا المشيخة الاسلامية رئيسة هذه المحاكم توجه اليها مفتشين يعقبون احكام النواب (القضاة) فيقل عبثهم بالشريعة ولا هي تضع لهم كتابا كالمجلة يلزمون الحكم بمسائله . فاذا طال العهد على هذه الفوضى في المحاكم الشرعية سقطت قيمة الشرع من نفوس العامة وبطلت ثقتها به فنوجه عناية المشيخة الجليلة الى ذلك

﴿ حال الفيلق السادس في بغداد ﴾

جاء في جريدة الرقيب البغدادية ما نصه مع تصحيح قليل :

ذكرت رصيفتنا (بغداد) في عددها ٨٤ ان قد اجتمع في النادي العسكري امراء وضباط الفيلق اجتماعا عموميا وتذاكروا في أمر الفيلق السادس وانحطاطه وتدنيه وكان من نتيجة مذاكراتهم ان بعثوا بتلغراف الى الصدارة ونظارة الحربية والداخلية وقد وقفت على صورته وأدرجته بنصه بالتركية فآثرنا درج ترجمته بالعربية وهذه هي :

« ان فيلقنا باعتبار الاعداد هو الفيلق السادس وهو الحارس الوحيد لقسم مهم من أقسام الملك العثماني ولكنه لما توالى عليه من المصائب والرزايا في السنين المديدة نزل الى دركة من السفالة والضعف . ولذلك لم تزل الدواهي تتوالى على أفراده حتى توجهت لبلغت أعظم مبلغ يمكن تلفه في حرب دموية عظيمة بل أضعاف ذلك . فهذه المصائب أوقعته في المخاطر وشوشت نظامه لدرجة فوق العادة .

فاليوم فضلا عن وجود الافراد الاحتياطية يوجد ٢١ تابورا من الرديف أيضا تحت السلاح ومع ذلك فالامن العام مختل بصورة لا يمكن ان تليق بالشرف العثماني ولا تقوم بشأنه وشوكته .

فالعراق اليوم بكل اطرافه بؤرة مصائب . والفيلق بجميع جهاته كل فرقة منه توجب الاسف الشديد لما هو فيه من الإزراء وما هو متصور من زيادته شيئا فشيئا ولا سبب الا سوء الادارة . وقد ترك هذا الفيلق الذي لم يزل في كل دقيقة يخطو خطوة لهاوية الاضمحلال منذ تأسيس الحكم الدستوري دون سائر الفيالق بلا قومندان ولا صاحب ولا رئيس أركان حرب !

فالاعتناء به اليوم لا يوازي عشر ما كان عليه عندما افتتح نجدا وسكن تلك الغوائل بأجمعها .

فلو وجد قومندان مقتدر فعال (لا كمن لا أثر له سوى كونه عبئا ثقيلا على بيت المال) لتمكن من اعادة شرفه وشوكته وسطوته بهذه القوى المتفرقة الضعيفة .

فبناء على ذلك ان كان ثمة للحكومة العثمانية احتياج الى هذا الفيلق أو كان هذا الفيلق معدودا من فيالق الحكومة الدستورية فيجب تعيين قومندان فعال مقتدر وكذا رئيس أركان حرب وكذا امراء يكونون اهلا لقوماندانية الصنوف بأجمعها وارسالهم بالصورة السريعة فان في ذلك صونا له من الاضمحلال المحقق والتلف المحيق به .

إنا نأسف لعدم وجود مقتدر في هذا الفيلق للقيام بالوكالة لحين وصول من سيعين له فلا يقتضي العهد في الوكالة الى أحد من الموجودين قط وقد حررنا ذلك خدمة لصالح هذا الفيلق في الحال والاستقبال وباسم هذه الخدمة طلبنا ذلك . »

(تصحيح) في « س ١١ و ١٢ ص ٧٥٥ » من هذا الجزء : ان الابرار يشربون من كأس . والصواب : ويسقون فيها كأساً . الخ

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر الاثنين سلخ ذي القعدة ١٣٢٧ - ١٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٢٨٥ه ١٩٠٩م)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

« الصلاة بعد صلاة الجمعة »

(س ٣٣) من صاحب التوقيع بالسودان

سيدي الفاضل صاحب المنار الاغر ، نفعنا الله به آمين

السلام عليكم ورحمة الله : أما بعد فلما كانت مجلتكم الغراء هي المجلة الوحيدة الدينية الاسلامية التي اخذت على عاتقها خدمة الدين والامة واتباع منهج الحق والتي انتشر ذكرها في مشارق الارض ومغاربها حتى حازت ثقة الخاص والعام حماها الله وحفظكم لخدمة الملة والدين آمين — جئنا بالآتي :

نحن ياسيدي في بلدة حديثة العهد بالعمران يسكنها من المسلمين مايبلغ ثلاثة آلاف نفس مابين سوداني ومصري بجداوي و يماني وبعض من الهنود والمغاربة وليس فيها مرشد ديني الا قاضيها الشرعي السابق الذي أرشدنا المنار صاحبه وعرفنا كيف نقصده عند الشدائد والذي بسعيه وجده وبما جمعه من المسلمين أسس زاوية من الخشب كأغلب ابنية البلدة وهي المسجد الوحيد الذي تقام فيه الجمعة والجماعة وما زال حفظه الله يجد ويجتهد بإلقاء دروس الفقه والتوحيد على العامة حتى نور الله بصائرهم نوعا حتى رزئنا بنقله الى محكمة مركز سواكن عقب نقل المديرية منها الى ... دان (بلدتنا) وجاء قاضي محكمة المديرية فأملنا خيرا خصوصا وانه اكبر

سنا ومرتبة من سابقه ولما أقبلت أول جمعة بعد وصوله وحضر المصلون وازف وقت الخطبة والصلاة وصرنا في انتظار الامام ولم يتقدم أحد دعي فضيلة القاضي للخطابة فادعى انه لم يعل المنابر في عمره ولم يتعود الخطابة فخير فيمن يندبه فندب امام الاورطة المعسكرة هنا ليخطب ويصلي بالمسلمين بالنيابة عن فضيلته فأجاب المذكور وصلى وانه وان كان في لسانه عقدة وفي إلقائه بعض تعقيد غير انا حمدنا الله تعالى الذي لم يحرمنا ممن يقوم بالامامة والخطابة

صلى الامام الجمعة وعقبها بأربع ركعات الظهر أو نفل (لا أدري) فظن بعض المالكية ان صلاة الامام الظهر بعد الجمعة تبطل صلاة المالكية والمسجد واحد لا تقام الجمعة في غيره فسئل الامام عن ذلك فما كان جوابه الا ان انفعل وحسبل وكبر عليه ان يسأله احد من العوام ويخطئه في صلاته (وما كان الا مستفهما) وتخلص بقوله: أنا ما باخدشي أجرة ومذهبي حنفي وماليش دعوه بالك لاني ماحضرتوشي في الازهر والليّ يصلي ورايه يصلي والا مايصليشي عنه ماصلى !! (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى)

لم يكتف حضرة الامام بما أبداه من الاستياء من سؤال العامي الذي أراد ان يذكر فشفعه الذكرى بل اعاد الكرة في الجمعة التالية وأظهر عظيم استيائه وجعل خطبته طعنا وذما وشتما لمن يتجرأ على العلماء ويسألهم ويخطئهم حيث قال بعد الحمدلة والاستغفار والتشهد مانصه :

« عباد الله : قال الله تعالى «ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها » الى عظيم . وقال تعالى « ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها » عباد الله: انني أوذي من قبلي من المنافقين ولي في رسول الله اسوة حسنة ! عباد الله : وسوس شيطان من شياطين الانس لبعض المصلين ومايعدهم الشيطان الاغرورا ان يخطئني في صلاتي أوان صلاتي باطلة حيث صليت اربع ركعات نفلا وقالوا اني صليت الظهر واقسم بالله العظيم اني ماصليت الظهر ولا تنفلت وان صلاتكم صحيحة وصلاة الذين صلوا الظهر باطلة ولم أدر كيف يتجرأ هؤلاء الشياطين على تخطئة علماء الله هم وكلاء الله في ارضه ! ! .

عباد الله: قال الله تعالى «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون» «لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا» ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا» عباد الله : اني خطيب وما اغتصبت الوظيفة من صاحبها وما خطبت الا بعد الاذن منه فاختاروا الخطيب الذي يعجبكم . هذا وان لم ينته المنافقون فسوف يخرجهم الله من هذه البلدة مدحورين خاسرين الدنيا والآخرة كما اخرج الذين من قبلهم . عباد الله: ان شعبان قد مضى هل فيكم من قدم فيه شيئا ينفعه هل فيكم من عمل صالحا »

هذا هو ملخص الخطبة وآياتها وألفاظها والتي لم تخرج عن السب للذي سأله ومن وافق عليه من (الشياطين) ويالبته ماسأل

انتهت الصلاة وقام المصلون وانصرفوا فنهم من قال بفساد الخطبة وعدم جواز الصلاة خلف هذا الامام وآخرون قالوا بفساد الخطبة فقط ولازال الهرج والمرج بين الناس مع اختلاف جنسيتهم وفيهم من عاهد نفسه بعدم الصلاة خلف هذا الامام

فأخبرونا وأفيدونا عن الصواب عن كل وما يتبع وعن صلاح الخطبة وفسادها وصلاة الظهر للامام بعد الجمعة أو التنفل هل يفسدان صلاة المالكية مع نشر هذا السؤال برمته حتى لايقال تجاوزوا الحق أو كتبوا غير الحقيقة والمسلمون يطلبون هذه الخدمة الدينية لله وللنفع العام ولكم منا الشكر ومن الله الاجر

ولما كان خير البر عاجله فنرجوكم نشره بأول عدد وأن تفسحوا له صدركم الرحيب بصدر مجلتكم الغراء ودمت ياسيدي

ورحم الله الأستاذ الامام حيث يقول ان طول الاقامة في الازهر تضعف الاستعداد للعلم حتى قد تذهب به لان من فكر حضرة الامام ان علم الجغرافيا وما فيه من تقلب الفصول والبروج والعلوم الحديثة الاخرى هو من الكفر الذي جلبه الشيخ محمد عبده .

الفقير محمد بهجت
بالكارك السودانية

(ج) ليس فيما ذكرتم من الخطبة مايقتضي عدم صحتها أو عدم صحة صلاة

الجمعة المرتبطة بها . وصلاة الامام بعد الجمعة أربعا أو أكثر أو أقل لايبطل صلاة الجمعة على نفسه ولا على المصلين من المالكية ولا غيرهم وما علمنا ان احداً من علماء المسلمين قال ان عملا من الاعمال يصدر من رجل يبطل عبادة غيره أو عبادة نفسه الا الردة أي الكفر بعد الايمان فانها تحبط العمل وتبطل ثوابه . فياأيها المسلمون لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق . بذلك وصى الله من قبلكم وأعلمكم به لعلكم تتقون . ثم ان صلاة الظهر بعد الجمعة ليست مطلوبة عندكم في مذهب من المذاهب وان من لايقول بسنية صلاة قبل الجمعة و بعدها كالمالكية ليس له ان يعترض بمذهبه على مذهب غيره ممن يقول بذلك « والنظر في التعادل والترجيح بين أدلة المذاهب شيء آخر لكل أحد من المشتغلين بالعلم ان يبحث فيه بشرط ان لا يجعل سببا للتفرق بين المسلمين باختلاف الاجتهاد الذي لامندوحة عنه . وعندي ان مذهب المالكية في هذه المسألة ارجح ولكنني لااعترض على غيرهم لمخالفة اجتهادهم لاجتهادهم

واذا كان ماذكرتم عن الخطيب منصوصا على غره فانني أعظه ان لا يعود الى مثله واذكره بما يجب على الواعظ من الحلم والصبر وعدم الانتصار لنفسه ولا سيما بمثل تلك الشدة التي هي من السب والشتم وفي حديث الصحيحين « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره » وفي حديثهما ايضا « المسلم من سلم المسلمون من شر يده ولسانه » وفي رواية لغيرهما « من سلم الناس » الخ وليعتبر بعاقبة تلك الحدة فانها غيرت قلوب كثير من الناس وأطلقت ألسنتهم فيه ولو عاملهم بالحلم لجم قلوبهم عليه فأفادهم واستفاد من اقبالهم عليه وتعلمهم منه كثرة الاجر وحسن الذكر كما كان شأنهم مع القاضي السابق ولا شيء يعين على الحلم واللين وحسن السياسة وعدم الدعوى والانتصار للنفس كالاخلاص وعسى ان يوجه قاضي المديرية همته الى اصلاح ذات البين والعناية بارشاد أهل هذا البلد وقراءة درس لهم في الحلال والحرام وآداب الدين وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

***

﴿ اطلاق لفظ مولانا على الناس ﴾

(س ٣٤) من محمد علي افندي من موظفي كمرك (يافا)

حضرة العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أعرض انني قد اطلعت على كتاب يدعى (صيانة الانسان عن وساوس ابن دحلان) فرأيته قد فسر كلمة « مولى » بما معناه: ان كلمة مولى مشتقة من اسم الجلالة فلا يجوز والحالة هذه اطلاقها على بني الانسان كأن يقال مثلا (مولانا فلان) فكل انسان قالها لانسان غيره يشرك بالله ، فرأيت هذا وأنا بين الشك واليقين في كلامه لانني كثيرا ما أسمع هذه الكلمة يقولها الناس لأناس غيرهم فلم أرَ احدا يهديني للصواب سواكم فأتيت برسالتي هذه مستفتيا اياكم عن هذه الكلمة ودرجها مع الجواب بأول عدد يصدر من مجلتكم الغراء ، فلا زلتم الملجأ لحل المشكلات ، والوحيد في فك المعضلات ، آمين .

(ج) لقد غلا صاحب ذلك الكتاب في قوله الذي نقلتموه غلوا كبيرا وأخطأ خطأ ظاهرا فلفظ المولى ليس مشتقا من لفظ الجلالة الذي هو من مادة « وله » بل هو مشتق من مادة الولاية أو الولاء وقد بين الله تعالى في كتابه ان المؤمنين بعضهم أولياء بعض وما كل ما أطلق على الله عز وجل من الاسماء يحرم اطلاقه على غيره كما هو معلوم من اطلاق لفظ « رؤوف رحيم » على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن ومن تسمية المسلمين أبناءهم بالحكم والرشيد وغير ذلك مما جاء في أسماء الله الحسنى . وقد استعمل المسلمون لفظ « المولى » من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا العهد وهو بمعنى السيد وشاع عندهم اطلاقه على المعتوق فكانوا يقولون زيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) ونافع مولى ابن عمر (رض) . ومن استعماله بمعنى السيد قول الخنساء رضي الله عنها في أخيها صخر

وان صخرا لمولانا وسيدنا ... وان صخرا اذا نشتو لنحار

***

﴿ السماء والزرقة التي نراها فوقنا ﴾

(س ٣٥) من السيد محمد حسين نصيف (بجدة - الحجاز)

حضرة العلامة الفاضل ، والسيد الكامل ، من طار صيته حتى ملأ الاقطار ، بأعلا المنار ، مولانا السيد محمد رشيد رضا ، حفظه الله وأدامه

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أرجوكم حل هذه العقدة التي أبرمها امامنا أحد طلبة العلم مدعيا ان الزرقة التي نراها فوقنا ليست بالسماء المرادة بقوله تعالى « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » وانما تلك الزرقة هي الجو محتجا علينا بالحديث « ما بين كل سماء خمس مئة عام » وان تلك المسافة لا يدركها البصر عقلا ، فهل السماء التي نراها فوقنا زرقاء هي السماء الحقيقية المذكورة بالقرآن والحديث؟ أم الجو كما زعم؟ أفيدونا واروونا من بحر علمكم الزاخر زادكم الله علما وفهما والسلام

(ج) الحديث الذي أشار اليه طالب العلم لا يصح ولا يحتج به ولفظ السماء قد أطلق في القرآن على عدة معان منها السقف في قوله تعالى من سورة الحج « فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع » الآية ، ومنها السحاب في عدة آيات وذلك ان هذا اللفظ من السمو وهو العلو فكل ما علاك وكان فوقك جاز لك أن تسميه سماء هذا هو وضع اللغة التي نزل بها القرآن . فهذا الشيء الأزرق الذي نراه فوقنا في النهار سماء ومجموع هذه النجوم اللامعة التي نراها فوقنا في الليل يسمى سماء وجهة العلو فوقك تسمى سماء ، وبذلك ورد القرآن . وقد اختلف علماء الهيئة الفلكية في هذا اللون الأزرق الذي في السماء وينسب اليه ما يشبهه من ألوان الثياب وغيرها فيقال « سماوي » وفي لون البحر وليسوا على يقين مما يقولون فيه وهو على كل حال وكل قول لون لا يقوم بنفسه وانما يقوم بجسم أو جوهر وما يقوم به اللون يسمى سماء وان كانت الزرقة حادثة من الفصل بين النور والظلمة في هذه الجهة كما قال بعضهم . والقرآن لم ينزله الله تعالى لشرح مسائل العلوم والفنون الكونية كالفلك والنبات والحيوان وإنما

تذكر فيه محاسن المخلوقات وعجائبها للتنبيه على حكمة الله في ابداعها ونظامها وعلمه الواسع وقدرته العظيمة وان السماء التي تنظر اليها في الليل والنهار ذات زينة بديعة وبناء محكم لاتفاوت في خلقها ولافروج ولا شقوق فيها وهي من آياته سبحانه وتعالى الدالة على الوهيته . وما اكتشفه علماء الفلك من اسرار سقفها لا يزيد المؤمن بالقرآن الا ايمانا وخشوعا وليس فيه شيء ينقض كلمة منه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

* * *

« دفع الزكاة للجمعيات الخيرية العمومية »

(س ٣٦) من صاحب التوقيع في الاسكندرية

حضرة الاستاذ الفاضل والملاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا نفعنا الله به آمين

السلام عليكم ورحمة الله : أما بعد هل يجوز اعطاء زكاة المال للجمعيات الخيرية كجمعية رعاية الاطفال وهي ليست خاصة بفقراء المساكين المسلمين بل تقبل كل من يأتيها من فقراء اليهود والنصارى وهل يجوز نقلها لمكتب الادارة اذا كان بعيدا عن مسافة القصر كالمسافة من الاسكندرية الى مصر ونظرا لاهمية الجواب ارجو التكرم به بخطاب خصوصي وان لم يكن فالرأي لكم ودمتم كاتبه

محمود شرف بمصلحة عموم الفنارات

(ج) الزكاة المفروضة لها مصارف معينة وهي تؤخذ من أموال المسلمين لمصالحهم فلا يجوز صرف شيء منها لغير المسلمين كما هو مفصل في كتب الفقه ومنه يعلم ان دفعها لجمعية رعاية الاطفال لا يسقط الفريضة عن الدافع بل يكون ما يدفع لها من صدقة التطوع وهي جائزة للمسلم وغير المسلم كما بينا ذلك في تفسير قوله تعالى « ليس عليك هداهم » فراجعه في الجزء الثالث من تفسير القرآن الحكيم . واذا علمت ان دفع الزكاة لتلك الجمعية غير جائز بمعنى انه يسقط الزكاة المفروضة فقد استغنيت عن جواب السؤال الثاني وهو نقلها الى مكتب الجمعية من مكان يبعد عنها مسافة القصر أو أكثر والله أعلم

* * *

﴿ العلم والاتحاد ، أيهما المقدم ؟ ﴾

(س ٣٧) من صاحب التوقيع في سنغافورة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ما قول حضرة الامام السيد محمد رشيد رضا نفع الله به آمين

في رجلين قال أحدهما : لا اتحاد بدون علم وقال الآخر بل لا علم بدون اتحاد فمن يراه حضرة السيد المصيب ؟ وليتفضل بالجواب مبسوطا على صفحات المنار لا برحتم نافعين للأمة كاشفين عنها كل غمة آمين

السيد عبد الرحمن الكاف

(ج) مجال الكتابة في العلم والاتحاد وعلاقة كل منهما بالآخر مجال واسع يمكن أن يكتب فيه مصنف كبير ولا يحسن أن يكون ذلك في جواب سؤال مجمل كهذا السؤال، وبيان ترجيح رأي على آخر وكلاهما غير مبين ، فما هو الاتحاد المنفي جنسه بدون علم وما هو هذا العلم المنكر ؟ وما هو ذلك العلم المنفي جنسه بدون ذلك الاتحاد المنكر ؟ هل المراد اتحاد طائفة من أفراد الناس على عمل ما ؟ أم اتحاد طوائف من الناس هل تكوين ملك مشترك كالاتحاد الجرماني والامريكي ؟؟

الاتحاد عمل يتعلق بالجماعة أو الجماعات ولا عمل الا مع العلم بكيفيته ، والعلم مما يناله الافراد بدون اتحاد مع غيرهم فهو المقدم دائما ولكل عمل علم خاص يكون مقدمة له ومنه الاتحاد فقول من قدم العلم هو الصواب

العرب والترك(*)

١

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

التغاير بين الاخوة الاشقاء ، والتنافس بين الجيران والخلطاء ، هما من الاخلاق المعهودة بين الناس ، في جميع الشعوب والاجناس ، وكثيرا ما يفضي التغاير الى التنافر ، والتنافس الى التحاسد ، فاذا اقترن ذلك بالتقاطع والتدابر ، ولم يفض كل من المتنافسين بما في نفسه الى الآخر ، اشتعلت بينهما نار العداوة والبغضاء ، وان كان الخير لكل منهما في المودّة والوفاء ، وان ما يقع من الشقاق بين البشر بسوء الفهم ، اكثر مما يقع بسوء النية والقصد

تلك قوانين الاخلاق وسنن الاجتماع التي تسير عليها الافراد والاقوام ، فالعرب والترك هما الصنوان في شجرة الملة الحنيفية ، والاخوان الشقيقان في الجامعة العثمانية ، والركنان الركينان لبناء الخلافة الاسلامية ، فالرابطة بينهما جديرة بأن تبقى دائما كما وصفها كمال بك نامق زعيم النهضة الادبية في الترك بقوله : « ان كان يطمع أحد في حلها فهو الشيطان ، وان كان يقدر عليه احد فهو الله »

هذا ما كان ، وهذا مايجب ان يكون الى ماشاء الله ، ولكن وجد شيطانان لاشيطان واحد يطمعان في حل الرابطة المتينة بين العنصرين اللذين امتزجا كامتزاج الاكسجين والادروجين في تكون الماء ، أو الاكسجين والنيتروجين في تكون الهواء ، ذانك الشيطانان هما شيطان السياسة الاوربية ، وشيطان الجهل في كثير من أفراد

(*) مقال طويل كتبناه في الآستانة ونشر نبذا متفرقة مترجما بالتركية في جريدة « اقدام » الشهيرة وبالعربية في جريدة « كلمة الحق »

المنصرين، ولكلّ واحد من هذين الشيطانين شر من شيطان الجن الذي ذكره كمال بك رحمه الله، وسأبين ذلك تبيينا

ان هذا العاجز كاتب هذا المقال ربما كان من أعلم الناس بقوادم هذه المسألة وخوافيها وهزلها وجدها لاني جئت مصر منذ اثني عشرة سنة فكنت اشتغل فيها بالدعوة الى الاصلاح الاسلامي جهراً، من حيث اشتغل بالسياسة العثمانية سراً، وان مصر في هذا العصر، هي مرآة الشرق والغرب، بما فيها من الحرية المطلقة، والشعوب المختلفة، والجرائد الحرة، والاجتماعات المباحة، فالمقيم فيها يسهل عليه ان يعرف من احوال البلاد العثمانية وسياسة الدول فيها مالا يعرفه أهل الاستانة ولا غيرهم من المقيمين في الولايات حتى في هذا العصر عصر الدستور، فماذا تقول في عصر الاستبداد القريب: عصر الحجر على المطبوعات والختم على الافواه، والمنع من الاجتماع، والرعب من ذكر بعض الاسماء والالقاب، والعقاب الشديد على فلتات اللسان، وزلات الاقلام !!!؟

اني ماتركت مصر وجئت الاستانة في هذا الوقت لأمتع النفس باستنشاق هوائها وعذوبة مائها ومناظر بوسفورها، وانما جئت باحثا ومختبراً أو ساعيا في الاصلاح، فأنا أعرض ماعندي من المعرفة والاختبار والرأي، على اولي الامر وأهل الحل والعقد، بعضه بالمشافهة والمسارّة، وبعضه بالكتابة في الجرائد، فان صادف آذانا واعية، واعينا بصيرة متأملة، فذلك ماأرجوه، وان صدق ماقيل لي بمصر من ان أولي الامر وكذا أصحاب الصحف في الاستانة لايبالون بقول أحد ولا برأيه - وما أظن ان الامر كما قيل - فحسبي انني أديت الواجب عليّ وعملت بالنصيحة الواجبة لائمة المسلمين وعامتهم كما ثبت في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما

قضيت أكثر من اسبوع في هذه العاصمة لاأقابل أحدا من أولي الامر ولا من أصحاب الجرائد وانما كان همي فيها محصورا في اكتشاف الآراء، واستخراج مخبآت النفوس، ومكنونات الصدور، في الامور العامة، ومسألة سوء التفاهم بين الترك والعرب خاصة، فرأيتني بعد ان وقفت على كثير من المسائل والآراء، وما

فيها من الاغراض والاهواء ، لم أزدد علما بأصل المسألة وانما أضفت الى ماعندي جزئيات جديدة من الحوادث والوقائع تؤيد الامر الكلي ولا تنقض منه شيئا

فالامر الذي يجب التصريح به بالاجمال ،قبل بيان الاسباب والنتائج بالتفصيل والذي يجب ان يعلم وان يعمل به، هو أنه يوجد شيء من سوء التفاهم بين العنصرين تخشى عاقبته ان لم يتدارك في الحال ، وأن كبراء الدولة وقادة الافكار في العاصمة ليسوا على بينة منه وأستشهد على ذلك شهيدين قريبين : أحدهما فتنة الشام في هذا العام ، وثانيهما مانشر في جريدة «اقدام» من خبر اتحاد امراء جزيرة العرب لاجل تكوين دولة عربية !

أماالاول الذي استدل به على ان حكومة العاصمة ليست على بينة من احوال الولايات العربية فهوان بعض الوشاة في دمشق الشام بلغوا هذه الحكومة بتقريرمن تقاريرهم التي اعتادوها في زمن الحكومة الحميدية بأن أفرادا معينين يكوّنون دولة عربية وخلافة جديدة !! فبادرت الحكومة الدستورية الى التحقيق واستنطاق المتهمين بهذه الجناية جهرا ،وكانت الحكومة الحميدية تفعل ذلك في شأنهم وشأن أمثالهم سرا ، وهم أفضل علماء الشام وأخلص المخلصين من أحرارها للحكومة الدستورية ،هم الذين كانوا مضطهدين في الدور الماضي فلما جاء الدستور ظنوا ان زمن اضطهادهم قد مضى وجاء الزمن الذي ينفع فيه الصادقين صدقهم، و يعرف فيه للمخلصين اخلاصهم ، وكانوا هم السابقين، الى مقاومة الرجعيين ،اما ببذل نصائحهم وعلومهم كالشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي ، و إما ببذل أموالهم ونفوذهم كعبدالرحمن بك اليوسف ،والسبب في وقوع هذا الغلط عدم الوقوف على حقيقة الاحوال ودليل ذلك ان ناظر الداخلية لم يلبث ان أصدر أمرا حين علم بالحقيقة من مدة قريبة بترك التحقيق عن المتهمين بالباطل وجعل المسألة كأن لم تكن شيئا مذكورا ، ولكن تلك الاهانة التي اصابت اولئك المخلصين بسبب ما ذكرنا من عذر الحكومة قد تنسب الى سوء القصد،أو تضعف الثقة بالحكومة الدستورية — لولم تتداركها — وسنبحث في طريق معرفة الحكومة والجرائد في العاصمة لاحوال الولايات في نبذة أخرى من هذا المقال

وأما الامر الثاني وهو ماأستدل به على عدم معرفة الجرائد وقرائها هنا بأحوال

البلاد العربية فهو تصديق ما نشرته جريدة « اقدام » مترجما عن جريدة « الاتحاد العثماني » من اتحاد امراء العرب وشيوخهم في الجزيرة واهتمام الناس هنا بذلك: وهذا ماحملني على زيارة هذه الجريدة ومكاشفة مديرها الفاضل بحقيقة الامر في ذلك الخبر والاتفاق معه على كتابة مقال في بيان ماعندي من الصواب في هذه المسألة وفي المسألة الكبرى التي تعد هذه فرعا من فروعها وهي مسألة سوء التفاهم بين العرب والترك وما يجب من طرق تلافيه بعد معرفة أسبابه ، وقد شكرت للرصيف الكريم قبوله مني ما اكتب وترجمته ونشره في جريدته

لمسألة اتفاق امراء الجزيرة أصل عرفته من اوثق المصادر واصحها وهو ان شيخ لحج (ويلقب هناك بسلطان لحج) قد كتب كتابا الى بعض امراء العرب وشيوخهم كامام الزيدية في اليمن والشريف أمير مكة في الحجاز وغيرهما وأرسله مع رسل من قبله يحملون بعض الهدايا وهي تتضمن الدعوة الى المذاكرة في الاتفاق على حفظ جزيرة العرب من العبث باستقلالها او من قبل الدولة العلية! ولكن لم يجبه أحد الى دعوته ولا حصل اتفاق بين اولئك الامراء ولا اتفاق على الاتحاد ، ولا ذلك من المتيسر ولا شيخ لحج ممن يسمع له اولئك الامراء قولا ، أو يحترمون له رأيا، أو يعتقدون فيه اخلاصا، بل هم يسيئون الظن فيه لما بينه وبين انكلترا من الولاء ، وما يأخذ منها من العطاء ،

علمت بهذه المسألة من عدة اشهر ولم أنشرها في « المنار » ولا في غيره من الصحف لاعتقادي أنها لاضرر فيها وانما الضرر في نشرها ، وخوض العامة بذكرها ، لما سأبينه بعد : ولكن لما كان علم الدولة بها واجبا ولا سيما ان كانت بدسيسة اجنبية بادرت الى اخبار بعض من يثق بي من كبراء الدولة بها في كتاب ارسلته اليه من مصر على انه بلغني ان امير مكة المكرمة اخبر حكومة العاصمة بها ايضا

بعد ذلك سمع بعض التجار في عدن وغيرها بالخبر ولكن على غير وجهه فتناقلوه حتى وصل الى طرابلس الشام فتلقفه مكاتب جريدة « المؤيد » المصرية هناك وكبره واضاف اليه ماجرت عادة مكاتبي الجرائد بالتوسع في مثله وأرسله الى المؤيد ، و بعد ان نشره المؤيد بزمن غير طويل نشرته جريدة « الاتحاد العثماني » فوصل إلى الاستانة العلية في هذه الايام وكان له من سوء التأثير ما كان . ونحمد الله

ان كانت الحكومة هنا اعرف بحقيقة هذا الامر من الجرائد اذ لولا ذلك لخشي ان تحشر الزحوف ، وتنفق الالوف ، وتسيّر الاسطول ، لدرء هذا الخطر الموهوم ، فان اتفاق اولئك الامراء لايتلافى بمثل مايتلافى به اتفاق الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال القاسمي وهما شيخان ضعيفان يقيمان في مركز فيلق من فيالق الدولة العلية !!

أكتفي بهذه النبذة اليوم وسأكشف الغطاء في النبذة الثانية عن اسباب سوء التفاهم واجعل هذا وذاك مقدمة لما أدعو اليه من الوحدة والاتفاق

٢

قلت ان العرب والترك يجب أن يكونا متحدين كالعنصرين المكونين للماء اوالهواء بحيث يكون الناظرون اليهما كالناظرين الى الماء يرون شيئا واحدا لاشيئين ، والشاعرون بمقاومتهما كالشاعرين بمقاومة الهواء وهو قوة واحدة لاقوتان منفصلتان ، وقلت ان شيطاني السياسة الاجنبية والجهالة الداخلية ، يطمعان في حل رابطتهما القوية ، وتحليل وحدتهما الدينية الاجتماعية ، بمحال العصبية الجنسية ، واننا نبين ذلك بشيء من التفصيل

سياسة اوربا في الاجناس

وضعت في اوربا قاعدة من قواعد السياسة من عهد نابليون وهي وجوب استقلال كل جنس بنفسه ، فهذه القاعدة يعمل بها رجال السياسة الاستعمارية بحيث توافق مصلحتهم فقط ، ويوجد من رجال الاجتماع من يقول بوجوب اطرادها لمصلحة البشر وان كان استقلال بعض الاجناس ينافي مصلحة جنس آخر سائد عليه او متعزز به

لهذه القاعدة فروع كثيرة تتعلق بالدولة العلية لاخير لها في شيء منها لانها مؤلفة من اجناس كثيرة لا قوة للدولة الا باتحادها كلها او جلها بالاخلاص فان شذ منها جنس صغير هو فيها كالكربون في الهواء لم يكن ذلك ضارا لها ضررا يضعف كيانها فان خلوّ الهواء من الكربون لايبطل كونه هواء وإن كان لا يخلو في الغالب منه . وانني لاأبحث هنا في هذه الفروع وإنما اقول انه لا يغبن احد من الاجناس

العثمانية في سياسة الجنسية كما يغبن الترك العثمانيون لأن من مقتضاها أن يحصر استقلالهم في بلاد الاناضول التي هم فيها أكثر عددا ولا تسمح لهم اوروبا بالاتحاد باهل تركستان ولاهم يقدرون على ذلك بالقوة ، فاتهام بعض العرب وغيرهم لساسة الترك بانهم يريدون استخدام قوة الدولة لتمييز جنسهم على سائر الاجناس العثمانية هو اتهام لهم بالجهل بمصلحة الدولة وبمنفعة جنسهم فوق الجهل بما يحظره عليهم دينهم من عصبية الجنسية

سياسة اوروبا الجنسية في البلاد العربية

قلت ان القائلين بهذه السياسة في أوروبا فريقان : رجال الاستعمار الذين يستخدمونها لمصالحهم بقدر مصلحتهم ، ورجال الاجتماع الذين يسمونها سعيا على الاطلاق عملا بما يعتقدون من خير البشر . فالاولون يبثون في البلاد العربية العثمانية فكرة الاستقلال العربي مخادعة للعرب ليساعدوهم على الانفصال من جسم الدولة العلية ، وماذا تريد أوروبا بعد ذلك ؟ تريد أن تضع هذه البلاد العربية تحت حمايتها أو تضمها الى مستعمراتها وتقطع عليها طريق الاستقلال باسم الاستقلال ! ! وان لاوروبا من الدسائس والوساوس في اطماع البلاد العربية العثمانية بالاستقلال مالا تسمح لنا الحالة السياسية في الاستانة الآن بشرحه وانما اشرنا اليه لنذكر اهل الحل والعقد ورجال الصحافة في هذه العاصمة بأن سوء الادارة في عصر الاستبداد كان هو المساعد لترويج تلك الدسائس ، وان حسن الادارة وحده لا يكفي في هذا العصر لقطع عرق الدسائس وخيبة مساعي اصحابها بل يجب أن يقترن بالمساواة وتأييد الوحدة العثمانية بالعمل من الحكومة و باقوال الجرائد وفي مقدمتها جرائد العاصمة فان كلمة واحدة من جريدة تركية او من كاتب تركي تشعر بتفضيل الترك على غيرهم تحبط عمل الف واحد من العرب في الدعوة إلى الاتفاق والاتحاد

قد اشتهر امر المناظرة الطويلة التي دارت بين هذا العاجز و بين صاحب جريدة (وطن) التي تصدر في مدينة لاهور بالهند في الانقلاب العثماني الذي سميته ميمونا وسماه مناظري مشؤما ، وقد كان مما قاله في رده الاخير على انني لم أعترف لعبد الحميد بحسنة واحدة وقد كانت جرائد الشرق والغرب طافحة بتعداد حسناته الكثيرة ،

فأجبته في ردي الاخير عليه الذي نشرته في جزء المنار الذي صدر في آخر رمضان الماضي : اني أعترف لعبدالحميد بحسنتين سكة الحديد الحجازية ، وعدم التعصب للجنسية، اذلم يكن يقال فيزمنه ترك وعرب . وأزيد الآن على ما قلته هنالك انه لو كانت تلك الادارة السوءى مقرونة بالتعصب الجنسي للترك لانفصلت البلاد العربية من جسم الدولة ألبتة

هذا : وان في أوربا من أهل السياسة من يساعد على فصل بلاد العرب من جسم الدولة العلية لاجل اضعاف الدولة لا لطمع في شيء من تلك البلاد ، وانني قد دعيت منذ اعوام الى الدخول في جمعية او رياسة جمعية باوربا تدعو الى استقلال البلاد العربية وقيل لي ان جمعية كذا .... وجمعية كذا .... من الجمعيات التي تريد اضعاف الترك في مقدونية وفي الاناضول وحملهم على تفريق القوة العسكرية تساعد هذه الجمعية العربية بالمال الكثير اذا دخل فيها بعض المشهورين من المسلمين ، ولما رفضت هذه الدعوة قيل لي اسمح لنا بكتابة شيء في ذلك بقلمك او اسمح لنا أن نستخدم اسمك فلم اقبل بل كان ذلك مما قوى عزيمتي على القيام مع بعض اصدقائي العثمانيين بمصر بجمعية الشورى العثمانية التي ألفناها من جميع العناصر العثمانية المطالبة بالدستور والاصلاح

واما رجال الاجتماع من الاوربيين الذين يميلون الى تكوين دولة عربية فكثيرون ، ومنهم المخلصون الذين لا يقصدون مساعدة الطامعين في البلاد العربية ولا اضعاف الشعب التركي ، وقد يستغرب كثير من القارئين لهذا المقال الجزم بوجود هذا الصنف من الناس في أوربا ، ألا فليعلم المستغربون اننا نقول هذا عن علم لا عن ظن وان الانسان ما زال مصدر الغرائب . ومما وقفت عليه من ذلك ان بعض هؤلاء المخلصين في حب العرب قد عرف الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله) ووثق باقتداره فرغب اليه أن يضع له نظاما لاستقلال جزيرة العرب وتكوين دولة عربية فيها ليسعى في تنفيذ ذلك . وقال له انه يوجد مال كثير يبذل في سبيل المشروع وانه هو ينفق من صندوقه مبلغ كذا من الوف الجنيهات . فأقنعه الاستاذ الامام بأن فصل العرب من الترك يضيع الفريقين ويضر الاسلام نفسه ،

فقال له ذلك الاوربي الفاضل اذا كان الامر كذلك فانا أعاهدك على ترك السعي له

إن مايظهره العلماء المستشرقون من آثار العرب في العلم والمدنية والدين ومايطبعونه في كتبهم التي كانت نسجت عليها عناكب النسيان ، هو مما يقوي ميل أولئك الاجتماعيين الى مساعدة الاستقلال العربي اذا سمت العرب اليه وطالبت به ، فأحب ان يعرف ذلك رجال السياسة والصحافة من الترك وان يعلموا علم اليقين انه لم يوجد الى هذا اليوم سعي الى هذه التفرقة الضارة ولا ميل من أهل البلاد العربية ، وان العارفين منهم بهذه المنافذ يسعون في سدها ، وان الذين أظهروا الدعوة اليها في أوربا انما هم أفراد من اصحاب المطامع الذين كانوا يبتغون المال والمناصب من عبد الحميد والتهويش على الدستور ورجاله في أول العهد باعلانه ، وان عزت العابد لايقدر الآن على شيء ، وان كل مايجب الآن محصور في ازالة سوء التفاهم بين العنصرين وهو ماسنبينه بعد

٣

إذا جنحت الترك للاعتصام والامتزاج بالعرب بما سأذكره من الوسائل فان العرب تكون أجنح لذلك لان الترك هم العنصر الاكبر في الدولة والسياسة ، والقاعدة الطبيعية في الجاذبية ان الاكبر يجذب الاصغر ، ولانهم أشد استمساكا بالجنسية فيخشى ان يكونوا هم الذين يكوّنون عصبية العرب الجنسية

فان قيل ان العرب هم أكبر العنصرين بكثرة عددهم وسعة أرضهم وموارد ثروتهم فهم الذين يجب ان يجذبوا الترك اليهم ، فالجواب ان هذا كان يكون صحيحا لو كان التنازع والتجاذب بين عامة العنصرين ونحمد الله انه لم يكن كذلك لان هذه العصبية اذا سرت في نفوس العامة فتنبهوا لها ، وتوجهوا الى العمل بموجبها ، فإنه يتعسر أو يتعذر نزعها من قلوبهم ، واستخراجها من أدمغتهم ، وإنما التنازع والتجاذب محصوران في طائفة من المتعلمين وهم رجال المناصب في الدولة وطلابها ، والمشتغلون بالسياسة ، كأصحاب الجرائد وكتابها ، ومجموع الفريقين في الترك أكثر منهم في العرب وهو معنى قولنا ان الترك أكبر العنصرين في الدولة والسياسة ، وإن انحصار التجاذب بين اعقل المتعلمين في الفريقين هو الذي يطمع طلاب الوفاق ومحبي الاصلاح في

ازالة سوء التفاهم الذي يغري كل فريق يبث سموم التفريق في عامة الناطقين بلغته

وأما كون الترك اشد استمساكا بعصبية الجنس من العرب فسببه ان دولتهم قامت بهذه العصبية لا بالدين الذي يجمع بين الاجناس الكثيرة و يساوي بينهم كدولة العرب أو دولهم ولا نطيل في بيان هذا لانه لا يقوي ما نرمي اليه من التأليف والتوحيد بل ربما يعارضه؛ وحسبهم ان دولتهم سميت باسم جنسهم (تركيا) وكان مما زادهم استمساكا بعصبيتهم الجنسية كثرة الاجناس المزاحمة لهم في عاصمة الملك وما يتصل بها من البلاد .

نعم انهم على قيامهم بعصبية الجنس لم يكرهوا الاجناس التي استولوا على بلادها على التجنس بجنسيتهم ولا على الدخول في دينهم ؛ أما الاول فلان دولتهم لم تكن دولة علم وحكمة، وانما كانت دولة بأس وقوة ، وقد مرت عليها القرون ولم تجعل للغة التركية نحوا ولا صرفا ولا معاجم ولا غير ذلك من كتب التعليم . وأما الثاني فلان الإسلام نفسه هو الذي لم يسمح لهم بذلك وقد أراده بعض سلاطينهم واستفتى فيه مفتيه «شيخ الاسلام » فلم يفته فامتنع لانه كان مسلما ودولته اسلامية لا شبهة في ذلك .

ما كنت لألمّ بهذا الاستطراد لولا ما خشيته من الاعتراض على بعض المقدمات الذي يترتب عليه عدم التسليم بالنتيجة . واذا سلمنا ان الاستمساك بالجنسية فيهم أشد ، وانهم أقوى على جذب غيرهم اليهم وأقدر ؛ فلا مندوحة لنا عن التسليم بأن الخوف من التفرق والرجاء في الاعتصام هما منهم وفيهم أشد وأقوى أيضا . واني لأرجح الرجاء على الخوف لحسن ظني بكبراء القوم وزعمائهم الذي لا ينقضه وقوع بعض الاغلاط منهم ؛ التي تولد منها ما تولد من سوء الفهم ، الذي يسهل تداركه مع حسن القصد ؛ وقد رأيت بوادر الارتياح الى التدارك من فخامة الصدر الاعظم فمن دونه من رجالهم الذين اتفق لي الحديث معهم ؛ بل رأيت الكثيرين من فضلائهم قد اقبلوا بعد نشر النبذة الاولى من هذا المقال في جريدة (اقدام) للسلام عليّ والتعرف بي والشكر لي والاعتراف بحسن ما دعوت اليه من وجوب الاتحاد والاعتصام ؛ وكذلك فعل الكثيرون من وجهاء العرب المقيمين في هذه العاصمة . افليس هذا دليلا على صدق ما جزمنا به من كون المسألة التي نبحث فيها مسألة سوء فهم يسهل تداركها قبل اتساع دائرتها ؟ بلى ؛ ومتى وضحت الاسباب ، زال الارتياب ؛

تاريخ التغاير بين العرب والترك

ان الطبيب لا يحسن معالجة المريض ويكون جديرا بالنجاح فيها الا اذا كان عارفا بتاريخه الصحي وبما طرأ عليه من الامراض من قبل، بل يجب ان يكون مع ذلك على علم بالحال الصحية في آبائه وعشيرته ليعرف استعداد مزاجه وما عسى ان يكون قد سرى اليه بالوراثة ، وكذلك يجب ان يعرف الطبيب الاجتماعي تاريخ الامم والشعوب التي يتصدى لارشادها ومعالجة امراضها الاجتماعية ، واخلاقها وعاداتها الطارئة والموروثة ، وهذا ما يدعونا الى الاشارة الى ما لا بد من التذكير به من تاريخ التغاير بين هذين العنصرين اللذين يجب ان يتحدا دائما كاتحاد عنصري الهواء أو الماء

كان للعرب مدنيات قديمة قد امتدت من بلادهم الى بلاد الكلدان والفرس من جهة الشرق والى مصر من جهة الغرب فتاريخ دولة الرعاة العربية في مصر معروف ويقول بعض المؤرخين انه كان لهم في تلك البلاد دولة اقدم منها ، وشريعة حمورابي وهي اقدم الشرائع المعروفة من التاريخ شريعة عربية ، لحمورابي العربي كان يدعى ملك السلام كما في العهد العتيق والعهد الجديد من اسفار أهل الكتاب وكان معاصرا لابراهيم الخليل عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، الا ان تلك المدنيات قد زالت كما زال غيرها من المدنيات القديمة — ولم يظهر شيء من آثارها الا في هذا العصر الذي عني فيه الاوربيون باستخراج الآثار القديمة من بطن الارض ، وسيجاريهم العثمانيون في ذلك وهم أحق بمعرفة تاريخ البلاد التي ورثوها ويوجب عليهم الدستور في هذا العصر عمارتها كما أوجب الاستبداد على سلفهم اهمالها ان لم نقل تخريبها

ثم اتى على العرب حين من الدهر لم يكونوا فيه شيئا مذكورا في عالم المدنية حتى انبلج فيهم فجر الاسلام بمكة المكرمة وطلعت شمسه بالمدينة المنورة ثم امتد نوره الى سائر الآفاق ، واتسعت فتوحاته في الشرق والغرب ، واحيا العلوم التي كانت قد ماتت ، وجدد المدنية التي كانت قد عفت وطمست ، ولكن كان من تعاليمه محو العصبية الجنسية ، ولذلك كانت الدواوين التي دونها الخليفة الثاني للحكومة في بلاد الشام باللغة الرومية الى عهد عبد الملك بن مروان ، وكان وزراء اعظم الخلفاء العباسيين

من الفرس ، وحاشية آخرين منهم وحرسهم وجندهم الخاص الممتاز من الترك . ثم حدثت في بلاد الخليفة العباسي سلاطين الطوائف فكان منهم الفارسي والتركي والكردي، ولم يخطر في بال العرب ان هؤلاء غرباء عنهم، وانه يجب تأليف عصبية عربية لنزع الملك منهم؟ ذلك بأن الاسلام نزع عصبية الجنس من قلوبهم بقول الله لهم في سورة الحجرات «ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم» فعلمهم ان الشعوب التي تختلف باختلاف الجنسية والقبائل المتفرقة باختلاف النسب يجب ان تتعارف فتأتلف ، لا ان تتناكر فتختلف، و بذلك أوصاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وصرح بأنه لافضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى، ولذلك كانت العرب ولا تزال تفضل مثل ملكشاه السلجوقي وصلاح الدين الايوبي الكردي على أكثر ملوك بني أمية . ولذا سهل على ملوك آل عثمان الاستيلاء على البلاد العربية ولم يخطر على بال الامة العربية أنه قد استولى عليها قوم ليسوا من جنسها؟ اذ ليس لها -ومعظمها على الاسلام- جنسية في غير دينها ، ألم تر الى الشعب المصري العربي كيف يئن من نفوذ الانكليز وهم ليسوا بمالكين؟ ويحن الى الترك وان كانوا الى آخر عهد عبد الحميد من الظالمين؟ ومن الامور التي لا ينكرها مصري ولا تركي ان الانكليز قد اصلحوا من بعض الوجوه في مصر، أن الترك لم يصلحوا فيها شيئا ، ولا نزيد على ذلك لئلا نخرج الى ما ليس من غرضنا أو الى ما يوشك ان يضعف صوتنا فيه

يقول بعض المتفرنجين منا ان عدم تعصب العرب لجنسهم كان ضارا بهم لانه أزال ملكهم ، وان الترك لو عملوا بهذه السياسة الاسلامية لكان شأنهم في ذلك كشأنهم، ونقول ان هذا القول باطل وليس هذا المقام مما يتسع لبيان بطلانه بالحجة والبرهان ، وانما الغرض مما تقدم بيان ان العرب لا يكرهون سلطة الترك تعصبا لجنسهم، وانما يكرهون منهم بعض الاخلاق والاعمال كما ينكر بعض أفرادهم و بعض جماعاتهم على بعض . هذا ما عليه مجموع الامة العربية لا جميع افرادها فانني لا أنكر انه قد عرض لكثير من المتعلمين الميل الى التعصب الجنسي والاستقلال العربي وهو المقصود من بحثي هذا

ان الدولة التركية لم يكن لها في عصور قوتها نفوذ ولا سلطة ولا دواوين ولا محاكم في داخلية البلاد العربية ولا مدارس تركية فهي لم تمتزج بالعرب ولم تلتحم معهم بلحمة العدل والعلم واللغة فيكون الترك والعرب امة واحدة ، ولم تسسهم بالقوة والجبروت والظلم العام فتفسد بأسهم وتجعلهم امة ذليلة ، بل كانت الى ما قبل « التنظيمات الخيرية » التي وضعت في عهد السلطان عبد المجيد (رحمه الله تعالى) تكتفي بارسال بعض عمالها الى بعض البلاد الكبيرة لاجل اخذ ما فرض على كل جهة من المال للدولة ، ولكن البلاد المصرية قد ذاقت من الظلم في عهد المماليك ماصارت تعد به عصر محمد علي باشا وعصر احفاده عصر نور واصلاح ، على ما كان فيه من ظلم وجور ، ومع هذا كله لم تتوجه نفوس المصريين الى طلب الاستقلال التام عن الترك الا في عهد الثورة العرابية ، ثم لما كانت عاقبة الثورة هي احتلال الاجانب للقطر المصري حدث للمصريين من التعلق بالدولة العلية ما هو معروف وقد أشرنا اليه آنفا

بعد « التنظيمات الخيرية » تغلغل عمال الحكومة من الترك في البلاد العربية فلم يكن الناس يستنكرون سلطتهم ، أو يستثقلون وطأتهم ، ولا كانوا يرون أنفسهم أذلاء لخضوعهم لحاكم أجنبي عنهم بل كان السواد الاعظم وهم المسلمون يعدون التركي منهم لأنه مسلم وهم قلما يفكرون في مسألة الجنسية ، وأما غير المسلمين فلم يكن عندهم فرق بين التركي المسلم والعربي المسلم فهم كالمسلمين كانوا لا يفكرون في غير الرابطة الدينية ثم صار المتعلمون منهم على الطريقة الاوربية يدعون الى الرابطة الوطنية على ان اكثر اهل بلادنا لا يفهمون من معنى الوطن الا موضع الاقامة حتى ان كل بلد عندهم وطن وهذا هو المتبادر من المعنى اللغوي . ثم ان النصارى سبقوا في كثير من البلاد العربية الى التقرب الى حكام الترك بتعلم التركية حتى صار كتاب الدواوين كلهم أو جلهم منهم في أوائل العهد بالتنظيمات ثم قل عددهم فيها بعد ذلك

نعم ان جهل أهالي البلاد للغة التركية وجهل الحكام من الترك للغة العربية كانا ولا يزالان من أسباب الجفاء وعدم الانس ، واشتهر الترك على رقة حاشيتهم وعلو أدبهم بالكبر والغلظة على ان كثيرا منهم كان يتكبر لظنه ان التكبر يكون أدعى

الى المهابة والاجلال ولكن لم يكن يشعر بهذا إلا بعض أفراد الامة وهم رجال الحكومة من أهل البلاد فلم يكن له تأثير في الامة يوجب سريان الكراهة للجنس ، وإنما كان يعرف بين الناس وصف الحاكم من حيث هو حاكم فيقال هذا الوالى أو هذا المتصرف عادل لايأكل «الرشوة » وهذا الوالي أو المتصرف يأكل ويشرب ... وكثيرا ما كان الناس قبل هذه الايام يمدحون الترك كلهم لوجود حاكم عادل منهم وقلما كانوا يذمونهم كلهم لظلم الحاكم منهم على أن الظالمين كانوا بطبيعة الاستبداد أكثر من العادلين

وقد عرف بين الناس في الولايات العربية شيء آخر لا بد من ذكره وان كان مرا لاننا نبحث في هذه المسألة بحث الطبيب الآسي وفي المثل العربي « من أكتم داءه قتله » ذلك الشيء هو أن الترك يبغضون العرب . ويتناقل الناس في كثير من البلاد العربية كلاما سمعوه من بعض حكام الترك صريحا في هذا ولا أحب أن أطيل في بيانه ولولا أنه مشهور لما ذكرته ليعرف اخواننا الترك من ولاة الامور وأصحاب الصحف فيكونوا معنا على بصيرة فيما نطلبه من خير الامة بالاعتصام والوحدة

يمكن أن يقال ان ماسمع من تصريح بعض الترك ببغض العرب هو من الجزئيات التي لا تبلغ أن تكون استقراء ناقصا فالحكم بها على الجنس كله حكم باطل ولا سيما اذا عرف لها سبب يوجد في صنف من افراد الجنس دون غيرهم . وقد علمت بعد البحث والتحري ان هذا الصنف الذي قد بدت البغضاء للعرب من افواه كثير من أفراده هو صنف المتفرنجين والضعفاء في الدين من الذين يثقل عليهم مزاحمة العرب لهم في خدمة الحكومة وفي التوسل اليها بالتعلم في المدارس الرسمية فان بعض المتخرجين في هذه المدارس من ابناء العرب وبعض التلاميذ الذين لا يزالون فيها يذكرون من تعصب بعض المعلمين عليهم مالا محل لشرحه هنا . ومن المشهور عن كثير من الترك الصالحين وغير المتزاحمين معهم على اعمال الحكومة أنهم يحبون العرب حبا دينيا حتى ان منهم من يتبرك بالعربي لانه عربي فالحقيقة المحصة هي انه ليس بين الجنسين عداوة ولا بغضاء فنقول ان الاتحاد بينهما متعذر أومتعسر وانما هو التغاير والتنافس في طلب المناصب والوظائف وفي

صفوف المدارس قد وصل مع الغلو الى التحاسد كما أشرنا الى ذلك في فاتحة النبذة الاولى ومثل هذا التنافس والتحاسد يقع بين المتزاحمين من ابناء الجنس الواحد فتلافيه سهل ان شاء الله

والخلاصة ان تاريخ العلاقة بين الترك والعرب لم يكن فيه شيء ا كثر مما ذكرنا ولم يكن ذلك في الماضي مما يخطر على بال زعماء العرب السعي الى انفصالهم من الترك واستقلالهم بأنفسهم ولا ذكر هذا على لسان احد الا في عهد ولاية زعيم الحرية والاصلاح (مدحت باشا) على سورية ففي عهده شاع ان في البلاد حزبا كبيرا مؤلفا من وجهاء المسلمين والنصارى في بيروت والشام يسعى الى جعل القطر السوري مستقلا كالقطر المصري تحت سيادة الدولة العلية ويكون الخديو له مدحت باشا . وقيل ان بعض « الماسون » كانوا يسعون الى جعل الامير عبد القادر الجزائري هو الخديو لهذا القطر . وقد سمعت من والدي رحمه الله تعالى ان مدحت باشا على سعيه في اصلاح الدولة اعتقد ان اصلاح البلاد السورية وجعلها خيرا من البلاد المصرية لا يتأتى الا باستقلالها الاداري فكان يمهد السبيل لذلك فشعر بالامر رستم باشا متصرف لبنان فكاشف به الدولة فكان ذلك هو السبب في عزل مدحت من ولاية سورية . ولكن أخبرني بعض العارفين بدخائل السياسة في ذلك الوقت ان السلطان عبد الحميد هو الذي أوجد تلك الاشاعة في سورية ليتوسل بها الى اخراج مدحت من سورية لاجل الانتقام منه . ويقال ايضا ان لبعض الاجانب يدا في توجه نفوس الناس في سورية الى هذه الفكرة . وقد حدثني بعض اصحابي الذين كانوا من عمال الحكومة في عهد مدحت باشا انه سأله عما يقال في هذه المسألة فقال له زعيم الاحرار ان هذه دسائس من الاجانب يريدون بها فصل سورية من الدولة ليستولوا عليها

مثل هذه الدسيسة لا يستغرب من سياسة « يلدز » التي كانت مبنية على المكايدة والمخادعة واخفاء الحقائق بألوان التمويه والتلبيس وهي التي لعبت بالثورة العرابية ذلك اللعب المشؤم ومكنت الانكليز في أرض مصر ، ثم أرادت أن ترضي سائر الدول القوية بتمهيد السبيل لتمكنهم في سائر أرجاء الدولة في مقابلة مصر

فأعطت الالمانيين سكة حديد بغداد وقررت اعطاء الروسيين مثلها على شواطئ البحر الاسود — وقد راجت تلك الدسيسة الحميدية على اهالي سورية فشاع بينهم ان مدحت باشا وهو المعروف بحب الاصلاح ما أراد انشاء دولة عربية الا بعد يأسه من قدرة قومه على سياسة الملك واقامة العدل وتشييد دعائم المدنية بما تقتضيه حال العصر ، فكان هذا اول فكر في التنفير من السلطة التركية سرى في بلاد عربية ، وقد نظمت فيه القصائد البليغة المؤثرة كالقصيدة السينية الشهيرة لليازجي ولكنه فكر لم يتلقه السواد الاعظم بالتسليم

ثم سكنت هذه الافكار بعد اخراج مدحت باشا من سورية عدة سنين حتى اذا ما اشتدت المظالم الحميدية في السنين الاخيرة وقويت فتنة اليمن وفتنة مكدونية عاد بعض الناس الى الحديث فيها بمصر وأوربا فكان المشتغلون بالسياسة من ابناء العرب على ثلاثة آراء: بعضهم يرى السعي في أوربا لاستقلال البلاد العربية كأصحاب جريدة النهضة العربية في باريس ولم يكن لهم تأثير لعدم انضمام احد من المسلمين اليهم ولاتهامهم بانهم يريدون الاستفادة من السلطان عبد الحميد بالايهام الذي كان يروج في سوق سياسته أو وسواسه

وبعضهم رأى انه يجب اتحاد المسلمين مع اليهود والنصارى على العمل ووضع له قانونا جعل فيه من الامتياز لليهود ما كان ضامنا به أن يبذلوا للمشروع الملايين من أموالهم ليعطى بعضها لعبد الحميد ورجاله ثمنا للبلاد التي يراد استقلالها وكان يعتقد أن إرضاءه يلذ ء بالمال متيسر او مضمون وقد أطلعني صاحب هذا المشروع أنا وبعض أصدقائي على قانونه فلم نوافقه على السعي له مع علمنا بما لليهود من اليد العاملة في كل انقلاب كبير في التاريخ ويؤيده ماحصل أخيرا من الانقلابات ...

والرأي الثالث هو ماعليه جمهور المشتغلين بالسياسة وهو انه يجب الاتحاد الدائم بين العرب والترك والمحافظة على كيان الدولة العلية بالسعي في اصلاحها وجعلها دولة دستورية ولاجله اسسنا جمعية الشورى العثمانية من جميع العناصر كما اشرنا الى ذلك من قبل . فهذا ملخص تاريخ هذه المسألة قبل الانقلاب الاخير فماذا جرى بعده؟؟

(للمقال بقية)

ابو حامد الغزالي (*)

٧

﴿ رأيه في التوحيد والتوكل ﴾

« ويدخل فيه بيان وحدة الوجود والجبر والكسب »

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم أن التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل ، والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل ، فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له ، والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك ، والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد . فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الايمان الذي هو اصل التوكل ، اعني أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه

فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذاً لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول : للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته

(*) نقلا عن كتاب احياء علوم الدين وهو تابع لما في ص ٦٢١ من الجزء التاسع

العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد هي أن يقول الانسان بلسانه لا آله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافقين . والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام . والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار . والرابعة أن لا يرى في الوجود الا واحدًا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه والخلق

فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان ، والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقيدته ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بها يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته ، والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه الا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة ، والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد . فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة

السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب ، وكما أن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا أطفأ النار وأكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن ، وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصلت امكن ان ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالاضافة الى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذاك الشرح هو المراد بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) و بقوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه)

وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وأ كله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا ؟ فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون : افشاء سر الربوبية كفر ، ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى

واحد اذ تقول انه انسان واحدفهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده واعضائه والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل مافي الوجود من الخالق والمخلوق اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات أخر سواه كثير وبعضها اشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما انك اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذا انت ؟ فقال ادور في الاسفار لاصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد ؟ فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع

فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلابد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث ، وأما الاول وهو النفاق فواضح ، وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه ، وأما الثالث فهو الذي ينبني عليه التوكل اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع

وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم ـ فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله عز وجل لاشريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك و به ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض

واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتغي به أن يطرق الى قلبك شائبة الشرك لسببين أحدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات أما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الي البر إذا هم يشركون) قيل معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لايتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى أن ينتهي الى المحرك الاول الذي لامحرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لاحكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) فاذا انكشف لك ان جميع مافي السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان

خائبا وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فاتاك في المهلكة الثانيةوهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهـذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لاتخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولاتشك فيه ؟ و يقول له ايضا نعم ان كنت لاترى القلم لانه مسخر فكيف لاترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له؟ وعندهذا زل أقدام الا كثرين الا عباد الله المخلصين الذين لاسلطان عليهم الشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله تعالى صدره للاسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض

بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولاصوت لايسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست أعني به السمع الظاهر الذي لايجاوز الاصوات فان الحمار شريكك فيه ولا قدر لما يشاركك فيه البهائم وانما أريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أعجوبة لايقبلها العقل نصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لاينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لانهاية له (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر الآية ثم انها تتناجى بأسرار الملك والملكوت وإفشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط

أمينا على أسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق؟ ولو جاز افشاء كل سر لنا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم «لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال «اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا» ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار

فاذاً عن حكايات مناجاة ذوات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات مانعان: أحدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهي حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونردد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد؛ فلم سودت وجهك وما السبب فيه؟ فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المقالة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعاً ساكنا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحتت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنابيبي ثم برتني وشقت رأسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على قمة رأسي ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو جسما يتحرك بنفسه وانما أنا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة فهي

التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض أما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أما ترى أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فأنا أيضا من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فاني مركب أزعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم مليم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمري وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت أحركها ولا اسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوماظن الظانون بي اني ميتة أو معدومة لاني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل أزعجني وأرهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وأرهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيي فقال صدقت ثم سأل الارادة ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وأرهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وأنت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني أنهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري بأي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكني ادري اني في دعة وسكون مالم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قال القائل

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

فقال صدقت وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض

الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبل خاليا عني فسل القلم عني لان الخط لا يكون الا بالقلم فعند ذلك تتعتع السائل ولم يقنعه جواب وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت به في معرفة هذا الامر منه على غيره ولكني كنت أطيب نفسه بكثرة الترداد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست أفهمه فاني لا أعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا ، أسمع جعجعة ولا أرى طحنا !

فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق التي توجهت اليها كثيرة فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فألق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة ، والثاني عالم الملكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله وفيه المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا أدري كيف تسلم فيها ، والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته

الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تعتعتم فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف ، فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام « لو ازداد يقينا لمشى على الهواء » لما قيل له انه كان يمشي على الماء

فقال السالك السائل قد تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة ؟ قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به انكتبت في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من ابواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم اذ أنزل عليه (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » الصورة الظاهرة المدركة

بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فخلا واطو الطريق فانت بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فأصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكأن له في كل قلب رأسا ولا رأس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم فجزاه الله تعالى عني خيرا اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام

فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومراودتي لك وانا عازم على أن اسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له ما بالك ايها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدر وصرفه الى المقدورات فقال أو قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم اذ سألته فأحالك على اليد قال لم أنس ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم أما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال : فمن يمين الملك ؟ فقال القلم : أما سمعت قوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه) قال نعم والاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لاتحوي مجلدات

كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر السالك الى عالم القدرة ورأي فيه من العجائب ما استحقر عندها ماقبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فاسأل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا أن اسألك واتضرع اليك وأبتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله فقله فانه مازاد في هذه الحضرة على أن قال سبحانك لا أحصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أما سمعته يقول : العجز عن درك الادراك ادراك . فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا

فعند هذا رجع السالك واعتذر عن اسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل ، الآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره

وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول ليس بالآخر والظاهر ليس بباطن؟ فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على الترتيب واحد بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير السائرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من انكشف له أن الفاعل واحد. فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى أنه ينبني على الايمان بعالم الملكوت فمن لم يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه؟ فأقول أما الجاحد فلا علاج له الا أن يقال له انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فأنكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس فان قال وأنا منهم فاني لا أهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فإن قال وأنا من جملتهم فاني شاك أيضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك أياما قلائل وما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء

هذا حكم الجاحد وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا الى عينه التي يشاهد بها عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بتنقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشد الى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا

ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضا توحيداً إذ يعلم كل أحد أن المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد بأميرين فيقال له على حد عقله: إله العالم واحد والمدبر واحد اذ (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عادتهم في المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عماداً التوكل وأصلا فيه؟ فأقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا أنه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه أو الى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقنها من استاذه أو من أبويه أو من أهل بلده

وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما أن الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحرة لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) بل (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فان البيان والكشف يمنع التغير وأما أصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله (هذا الهكم واله موسى) ونسوا (انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) فكل من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لامحالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتضادا أصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك

ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء و يسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا؟ فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد أن يشاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل مايشاء اذا شاء ان يشاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشيئة أخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن اليه المشيئة فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لامحالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة

فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لاتنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا؟ فأقول لوانكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذاً مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لايفهم الاختيار؟ فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم تقصد به الاعلم المعاملة ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه إذ يقال الانسان يكتب بالاصابع و يتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات: فنسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ونسمي تنفسه فعلا اراديا ونسمي كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مها وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق الهواء لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تغميض الاجفان اضطرارا فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة

الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة بالتقيض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا واما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه

و بيانه ان الارادة تبع للعلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلا بابرة او بدنك بسيف فلايكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل اوالترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر فانبعثت الارادة هنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الى ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية

فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخييل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الانسان أن يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل او الحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء أن يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل

هنا يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه يرمي بنفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه أن لا يرمي نفسه فان كان يتبع بضرب خفيف فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة، لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس، والقدرة مسخرة للداعية، والحركة مسخرة للقدرة، والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولا. فاذاً معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا محضا موافقا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذاً هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة لانه لما كان فنا ثالثا واتبعوا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسباً وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه

فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وان أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض؟ فاعلم أن القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو

الاصل الذي لم يقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذى هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة و بعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا أشار قوله تعالى (وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقوله تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ﴿ ما خلقناهما الا بالحق)

فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذي وجدنا تأخر متأخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بأن تقدر انسانا محدثا قد انغمس في الماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر اعضائه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقبه اذيقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند

غسل الوجه فاذاً غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليدين وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لا يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدورات عن القدرة الأزلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا اله الا الله وما أخف مؤنته على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما اعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم

فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل الا الله تعالى ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم؟ فأقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وإن كان له معنيان و يكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا و يقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد أن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى

العباد ونسبها بعينها مرة أخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت (قل يتوفاكم ملك الموت) ثم قال عز وجل (الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال تعالى (أفرأيتم ماتحرثون) أضاف الينا ثم قال تعالى (أنا صببنا الماء صبا ۞ ثم شققنا الارض شقا ۞ فأنبتنا فيها حبا ۞ وعنبا) وقال عز وجل (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) ثم قال تعالى (فنفخنا فيها من روحنا) وكان النافخ جبريل عليه السلام وكما قال تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) قيل في التفسير معناه اذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) فأضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) وقال تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ رميت المعنى الذي يكون العبد به راميا إذ هما معنيان مختلفان وقال الله تعالى (الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) ثم قال (الرحمن علم القرآن) وقال (علمه البيان) وقال (ان علينا بيانه) وقال (أفرأيتم ماتمنون ۞ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام « انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يارب اذكر أم انثى أسوي أم معوج؟ فيقول الله تعالى ماشاء و يخلق الملك ـ وفي لفظ آخر ـ و يصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة »

وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجساد وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وقال (شهد الله أنه لا اله الا هو) فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا

ربي لما عرفت ربي وهو معنى قوله تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)
وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففي
الخبر أن ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك
الحياة أنا أحيي الموتى فأوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع
وأنا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فاذاً الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا
تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة
«خذها لو لم تأتها لأتتك» أضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تأتي على
الوجه الذي يأتي الانسان اليها وكذلك لما قال التائب أتوب الى الله تعالى ولا أتوب
الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم «عرف الحق لاهله» فكل من أضاف الكل الى
الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه الى غيره فهو المتجوز
والمستعير في كلامه وللتجوز وجه كما أن للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة
للمخترع ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق
وتوهم أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز
بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا
ان الفاعل قد وضعته أيها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره
بالمجاز أي تجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب
قصداً أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أصدق بيت قاله الشاعر
قول لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل» أي كل مالا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره
فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذاً لا حق بالحقيقة الا
الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته وكل ماسواه قائم بقدرته فهو الحق
وما سواه باطل ولذلك قال سهل : يامسكين كان ولم تكن و يكون ولا تكون فلما كنت
اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان

فان قلت فقد ظهر الآن أن الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف
غضبه على فعل نفسه ؟ فاعلم ان معنى ذلك قد أشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا
هو القدر الذي رأينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان

بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان أيضا باب عظيم من أبواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يسترِيب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة مالا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص منها جناح بعوضة ولا أن يرفع منها ذرة ولا أن يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال او غنى اونفع عمن انعم به عليه بل كل ما خلق الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور

وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ماينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذى ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالوهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان في الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف اهل الجنة قدر النعمة وكما أن فداء ارواح الانس بأرواح

البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء اهل الايمان بأهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لاجور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من إفشاء سره المكاشفون

والحاصل ان الشر والخير مقضي به وقد كان ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره، بل كل صغير وكبير مستطر ، وحصوله بقدر معلوم منتظر ، وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة ان شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل

باب المراسلة والمناظرة

تعصب أوربا الديني والحج

﴿ تمهيد لمقالة من سنغافورة ﴾

أثبتنا في السنة الأولى من المنار أن الغلو في التعصب الديني ولد في أوربا ثم أعدنا الكرة في هذا مرة بعد أخرى حتى في بعض أجزاء هذه السنة. ومن العجيب أن نرى جرائدنا السياسية غافلة عن تنبيه أهل الشرق إلى هذا أو وجلة من ذلك وأصحابها يرون ويسمعون ويقرأون كل يوم ما يؤيده حتى ان بعض الجرائد الافرنجية التي تصدر في مصر تسمعنا آنا بعد آن من آيات تعصبها عجبا فهم على جهلهم بالاسلام يطعنون في أحكامه الحكيمة العادلة ويحرفون بجهل أو بسوء قصد بعض آيات القرآن كما فعلت اكثر من واحدة منهن في الصيف الماضي بتحريف قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) الآية إذ أولوها بأن الاسلام يوجب على المسلمين ان يقتلوا كل من لقوه من الكفار في كل مكان وكل وقت سواء كان محاربا لهم أم لا؟ ولو كان هذا معناه لما عاش أحد من الكفار في الممالك الاسلامية وقد كان المسلمون قادرين على إبادة مخالفيهم من الشرق الادنى ومن بعض بلاد أوربا أيضا ولكنهم كانوا يعاملونهم بأفضل مما تعاملنا به أوربا اليوم في جاوه وسنغافورة والهند وتونس والجزائر

وانما الآية في كيفية القتال مع الكفار المحاربين فهي تأمرنا ان نجعل قتل عدونا في الحرب منها بالاثخان وأن نكف عن القتل اذا أثخنا وظفرنا ونكتفي عند ذلك بأسرهم فكأنه يقول: اقتلوا في المعركة من يقاتلكم ما دمتم خائفين على أنفسكم فاذا ظفرتم فكفوا عن القتل واسروا المقاتلين اسراء أفليس هذا منتهى الرحمة ؟ بلى وهو يقول بعد ذلك في الاسرى من هذه السورة (فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) ذلك

ولو يشاء الله لانتصر منهم) فهل بعد هذا من رحمة ورأفة في الحرب ؟ وهل يعترض على تلك الآية الا كل غال في التعصب ؟ وهو ماعليه الاوربيون وأفعالهم أدل على التعصب من أقوالهم

ان الانكليز لم تستقر أقدامهم بمصر الا وحاولوا أن يثبتوا في مؤتمر على كون الحجاز هو مهد الهيضة الوبائية وقد ضغطوا على الخديو توفيق باشا ليكره طبيبه سالم باشا سالم باقرار ذلك فأمره بأن يوافقهم فلم يفعل حتى أظهر توفيق باشا مغاضبته إرضاء لهم ، ثم انهم لما باعوا البواخر المصرية لشركة انكليزية بثمن لايزيد على ثمن مافيها من الاثاث والماعون (الموبليات) وان شئت قلت وهبوها البواخر وأوصفتها جعلوا الحكومة على إلزام حجاج المصريين السفر في هذه البواخر دون غيرها وكانت الشركة تسيء معاملة الحجاج الذين يركبون بواخرها ولكن الظلم الذي يكون في مصر ليس كالظلم الذي يكون في مثل جاوه أو سنغافوره بل يكون ظلما مفضوحا فيها وفي أوربا فلذلك ولما بذل من السعي في تحسين معاملة الشركة للحجاج اتفق لورد كرومر مع الحكومة المصرية على وضع نظام معتدل لنقل الحجاج المصريين في هذه البواخر . وكان انفع تلك المساعي ماقام به مستر ويلفردبلنت المستشرق الشهير وما كتبه في ذلك الى لورد كرومر وما نشر في الجرائد الانكليزية . فهذا التحسين لم يكن من رحمة لورد كرومر ورأفته ولا من عدله وعدل حكومته ولكن كان امرا اضطراريا لابد منه ولو كان ذلك من رحمة الحكومة أو عدلها لكان عاما في سنغافورة وفي كل بلاد لها سلطان عليها

هذا ما نقوله تمهيدا لرسالة جاءتنا من سنغافورة ورغب الينا ان ننشرها في عدة جرائد اذا أمكن وقد شدد الكاتب النكير فيها على الاوربيين وسمى تعصبهم الحامل لهم على إهانة المسلمين وهضم حقوقهم تعصبا صليبيا يعني انه تعصب لأجل المسيحية ثم ان المسيحية تتبرأ من مثل هذا العمل الذي يصفه صاحب الرسالة بل هي تتبرأ من هؤلاء الافرنج عباد المال والقوة واعداء الضعفاء من غير أبناء جنسهم ولكن ماذا يعتقد وماذا يقول مثل هذا الكاتب الذي رأى بعينيه واختبر بنفسه تضييق هولاندا

وانكلترا على الحجاج دون غيرهم وهو يعلم كما يعلم كل احد انه لاعذر لهم في ذلك؟
أليس بعد معذورا في كل ماقاله؟ بلى وهذا نص رسالته :

الحج

« أوربا والاسلام »

ماذا تريد أوربا من الاسلام وأهله؟ انها لم تزل تحارب باحر با صليبية كأشد مايكون من الحروب متحدة متناصرة من حيث ندري ولا ندري فانها لاتسنح لها فرصة الا ووثبت على قطر فافترست استقلاله والتهمت ثروته واستعبدت أهله ونشرت فيه الجرائم الضارة المهلكة للعقول والابدان والاموال (الخمر والزنا والقمار) كل ذلك باسم الانسانية وتأييد الحقوق وتأمين التجارة وحب الخير و. و. و. وماهو الا الكذب والخداع والغدر والاحتيال ولقد رابها ماترى من عطف المسلمين بعضهم على بعض ذلك العطف الذي يوجب الاسلام ان يكون على أقوى مايتصور ولكنه ويا للاسف لا يوجد منه الآن الا اسم بدون مسمى ومع ذلك لم يرق لدى أوربا الرحيمة فصاحت الصيحات المزعجة وسمته التعصب الديني ونسبت اليه ماشاءت ولونته بما أحبت وصورته غولا يبتلع الانسانية ويعيد الهمجية ولقد نجح مسعاها فاصغى الى زورها من تربوا في أحضانها من شباننا ومن تخرج في مدارسها المحشوة بالرهبان والقسوس وبالملاحدة فكانوا طليعة الاعداء وسلما لهم وحبالة يصطادون بها سخاف العقول والجهال منا فلا حول ولا قوة الا بالله

كبر على أوربا المتمدنة أن تكون للمسلمين ندوة عامة وهو الحج يلتقي فيه أهل الغرب منهم بأهل الشرق وأهل الجنوب بأهل الشمال فقامت لمحاربته فقالت ان الحجاز ينبوع الامراض ولو انصفوا لعلموا — وما إخالهم جاهلين — ان الهند منذ ربع قرن لم يفارقها الطاعون وهنكوغ منذ ١٥ سنة كذلك وغيرها كثير فلماذا لاتنظر أوربا الى تلك الجهات وتقيم عليها الحجر (الكورنتينات) بل تغض عنها النظر ولكنها في مقابل ذلك

تشدد على من يأتي الحجاز أو رجع منه كأنما هو ميكروب مجتمع سواء كانت الصحة هناك معتلة أو في أحسن حال حتى صار مفهوم لفظ الحج ملازما لمفهوم الحجر الصحي والتطهير! اذ لا انفكاك عنه ولا سلامة منه مهما كانت صحة الحجاج جيدة . سبحان الله ! لماذا كل هذه العناية ومزيد الرعاية من اساطين التمدن الرحماء ؟ كلنا نعرف ونعتقد انها احقاد وسخائم صليبية قلبت أسماؤها تغريرا للبسطاء وسترا عن أعين العمش وما كفاهم هذا حتى أجتمعوا فكادوا للإسلام وأهله وخصوا سفر الحج بقانون مخصوص !. اترى الحامل على ذلك كثرة المحبة والشفقة على الحجاج واختصاصهم بمزيد العطف ؟ هكذا قال أولئك الساسة وادعوا

والدعاوي مالم تقيموا عليها   بينات أبناؤها أدعياء

لو كان مايقولونه مما يمكن ان يكون صدقا لما خص أولئك الحجاج وحدهم بهذه النعمة وحرم منها جميع المسافرين في اقطار الارض كلها ، أترى ساسة أوربا هان عليهم جميع الناس واشفقوا على الحجاج فقط ؟ زه زه ! ! انا نسألهم لماذا يكون الانسان حرا في سفره الى الاقطار الاربعة بل والى القطب الجنوبي أو الشمالي ومجاهل افريقية وغيرها بلا شرط ولا قيد حتى اذا ماقيل انه يريد الحج قيد بالسلاسل والاغلال ، وسيق الى المحاجر ، واحتاج الى اجتياز عقبات ، وتحمل صعوبات ، أترى ذلك رحمة وعدلا ؟ بخ بخ !! لو كان الحامل لهم على عملهم هذا هو الرحمة لكان المجاوبون كالاغنام من الهند وجاوة للعمل في افريقية واستراليا في اعماق الارض أحق برحمتهم من الحجاج لانهم اكثر واسوأ حالا منهم . قالوا ان كثيرا من الحجاج جهال مغفلون فهم عرضة الضياع ، وقد صدقوا ، وقالوا انهم لذلك خصوهم بقانون مفرد غريب رحمة بهم وقد كذبوا ، ولو كان الامر كذلك لكان الاحق بهذه الرحمة فلاحي روسيا والحبشان فلماذا لم يرحموهم ويجربوا هذه القوانين النحسة فيهم ؟ مع انا نرى أوربا تسوق الجيوش وتجهز الاساطيل اذا أصاب النصارى من غيرهم أذى بحق أو بغير حق ولا نراها ترحم المسلمين اللهم إلا في سفرهم الى الحج ولكن رحمة مقلوبة ! فهل بلغ من استخفاف أوربا ان ظنت انا نصدقها في هذا ؟ عجب عجب !!

هذه هولاندا تقتل أهل سمترا ظلما منذ اكثر من اربعين سنة ولم ينبس احد

من وزراء أوربا بينت شفة ! أتراهم لم يعلموا انه لم يبق من أربعة ملايين فيها الا نحو الربع : كلا انه من المستحيل ان يعلم بذلك كل أهل الدنيا ويجهله وزراء الدول المتمدنة الرحيمة . بل الحقيقة ان أولئك المقتولين المضطهدين مسلمون والقاتلين الظالمين لهم نصارى .....

قالوا ان الحجاز محل الاستبداد والنهب والظلم وقد علموا ان وجود ذلك مسقط لوجوب الحج أو مانع من دخول الحجاز وقد صدقوا ولكن ذلك كان في أيام الطاغية راتب باشا وقد طار الاستبداد معه . وقالوا انهم لذلك احتاطوا للمسافر اليه . ولو رفعوا تلك الحواجز الآن ونسخوها لقلنا انهم صدقوا فكيف وقد كذبوا أنفسهم بأنفسهم بثباتهم على العدوان والتشديد مع سبق الاصرار على ذلك ! ولسان الحال أفصح من لسان المقال .

انهم بما سنوه من القوانين وأوجبوه من الشروط قد جعلوا الحجيج من الاصناف المحتكرة كالافيون والخمر فاختص بهم بعض الشركات القاسية تسومهم الخسف وتنهب أموالهم فلقد كانت اجرة الذهاب من سنغافورة مثلا الى جدة تتراوح بين ١٧ ريالا الى ٢٠ ريالا وهو الآن ١١٠ ريالات ذهابا وايابا ! ولو لم يقيدوه بالشروط المخصوصة لم يزد على ما كان ان لم ينقص لان المراكب التي تذهب من الصين الى أوربا لاتعد كثرة وسطوحها فارغة وكذا غرفها ان لم تكن مراكب بريد ولا يكلفها أخذ الحجيج شيئا الا ساعات قليلة تنحرف بها عن سبيلها حين ادخالهم جدة فيكون جل ماتكسبه من الحجاج أوكله ربحا . ولكن كيف وأنى وقد احتكر وا افضل رحمة الرحماء من صليبي أوربا وصاروا من حقوق بعض الناس وبعض الشركات يورثونها من بعدهم !!! أفلا تكون هذه نخاسة من مخترعات القرن العشرين ؟ فهنيئا مريئا للأقوياء ما استحلوا من ظلم الضعفاء ، اذ لاراحم للمسلم الضعيف ولا معين ...

أما المراكب التي اختصت بأخذ الحجاج من سنغافورة وجاوة فلا غرفات فيها ولقد رأيت أمراء هذه البلاد وأبناءهم يركبون ظهور تلك المراكب الوسخة بين الفحم والبهائم مضطرين وقد اعتادوا صنوف النعم والرفاهة والنظافة فيمرضون ويسقمون وكثيرا ما يهلكون ، ويقاسون من العذاب والنكال ما يرحمهم عليه زبانية جهنم

ولا يرحمهم محبو الانسانية من الاوربيين! وما هو ذنبهم؟ هو ذنب عظيم ألا انه هو قصدهم الحج وذهابهم الى الحجاز وأوربا لاتحب ذلك، فهي تعاقبهم وتحجزهم في تلك المراكب العفنة ثم تسوقهم الى المحاجر حيث تعري ابدانهم ويهانون ويتلف من أموالهم ما أبقته أيدي السراق والامطار والانواء . ولقد لقيت أحد كبراء هذه الجهات بعد خروجه من المحجر فرأيته كانما نشر بعد ماقبر ولو أراد أن يذهب بأحد مراكب البريد أو يركب من غير مراكب الشركة المحتكرة للحجيج لأقامت الحكومة عليه وعلى الباخرة التي تقله الدعوى وحكم عليه وعليها بأشد أنواع العقوبات رحمة وشفقة ! !

لو فرضنا ان الحكومات الاوربية تحب ان تخدم الحجيج ، وانها تعتقد أنهم في منزلة القصار وعديمي الرشد لعملت معهم ماتعمله لو أرادت نقل قطيع من البقر للذبح فانها تعلن ذلك الامر والشروط المرغوبة وتعطيه لمن يطلب أقل أجرة عليه . ولو فعلت هذا لما كانت تبلغ أجرة الحاج الواحد ذهابا وايابا ٤٠ ريالا فيتوفر لكل نفر من الحجاج من ركاب السطح ٧٠ ريالا وهي شيء كبير بالنسبة لفقر الاهالي اذ الكثير منهم لايقدر على توفير ذلك المبلغ في ثلاث سنين ولكنهم عندها أذل من البقر ومعاملتها تفصح بهذا وكان يجب عليها ان تحتم على من متعهم نقل الحجاج ارجاع اجرة العودة الى ورثة من مات ولكن الامر الآن بالعكس فأنا أكتب هذه الاسطر وأمامي أحد الاهالي وبيده ٢٥ ورقة مات أهلها وقد دفع أجرة العودة كل واحد منهم ٥٥ ريالا ولكن الشركة (الكبانية) أبت ان تدفع له ذلك واتفق مع احد المنتسبين اليها أن يشتري منه تلك الاوراق بعشرين ريالا فقط ثم أبي وقال بعها لمن يريد العودة من جدة ومعلوم انها هناك تباع بثمانية ريالات أو نحو ذلك والحكومة تساعد الاوربي الظالم على الاهالي المساكين ، وذلك ايضا رحمة وحنان !!

نعم ان طرحها أمر تسفير الحجيج في المزاد كما قلنا مناف لحرية التجارة ولكن ذلك مع نفعه للمساكين أقل اثما من انها كالحرية الاشخاص يمنعهم من السفر كما يشاؤن . فاذا جاز هذا جاز ذاك بالاولى قطعا اما تقييدها حرية الحجاج المساكين

وتركها لهم مربوطين بين يدي اولئك النخاسين الفلاظ الاكباد فظلم من اشنع وأبشع أصناف الظلم فيما نعتقد

ويجب أن يستثنى من يركب الكمرات من كل قيد كما هو الحال بالهند والصين ومن العجب أن يكون ركاب الدرجة الاولى والثانية وخدامهم مستثنين من الحجر الصحي والتطهير مطلقا هنا وفي الهند والصين ولا يستثنون إن سافروا الى الحجاز؛ فماذا يفعل التعصب الاعمى قاتل الله الاغراض

ومن الغريب ان مجلس المبعوثان المحترم لم ينبس أحدمن اعضائه ببنت شفة في هذا الصدد وذلك اهمال او جبن ولا نقول لاجل أن يتحقق مسلمو الشرق مايقوله اعداء جمعية الاتحاد والترقي الموقرة من بغضها لكل ما يتعلق بالدين ليفصموا عرى أتحاد المسلمين من كل جهة فاننا نتحقق كذب هذا القول بالنسبة لعقلاء القوم وفضلائهم واذا كان فيهم زنادقة أو متفرنجة او نصارى جهال فاني لاأبخل عليهم بنصيحة يتحققون صدقها : وهي ان منفعتهم كبيرة جدا في تمسكهم بالاعتدال في كل حال وفي اجتلاب محبة المسلمين كلهم والسياسة توجب عليهم الاجتهاد في ذلك ولهم بفرنسا قدوة حيث طردت قسوس الجزويت من بلادها وحمتهم في الشرق فليتظاهروا بذلك لنفعه المقطوع به ولا يكونوا السبب في خسارة الدولة أهم قوة يحسب لها عدوها الف حساب وحساب فلهذا نستصرخ باعضاءالمبعوثان الكرام و باهل الجرائد وحملة الاقلام والعلماء الاعلام ليقيموا الحجة ولا يسكتوا عن المطالبة بالحق والانصاف فان انصار الحق كثيرون في أوربا وغيرها وحسبنا الله ونعم الوكيل

سنغافورة (س . س . ي)

* * *

﴿ الشيعة وتعدد الزوجات ﴾

كتابي الى مولاي الاستاذ الحكيم ، بعد السلام عليه ورحمة الله وبركاته ، كتاب معجب بماله من الايادي البيضاء في اصلاح الامة ورفع منار الاسلام

وارشاد المسلمين الى الطريق الاقوم والصراط السوي ، بيد اني اعتقد انه لابد للجواد أن يكبو ، وللصارم أن ينبو ، فقد رأيت في الجزء الثامن من ناركم (صفحة ٥٩١) ما يشعر بالنسبة الى الشيعة ماهم منه براء ، وما نسبة ذلك اليهم الا محض وهم وافتراء ، وهي انهم يجوزون الزواج الدائم باكثر من اربع لانهم أولوا الآية الكريمة بخلاف ظاهرها وفهموا منها مالم يفهمه سائر المسلمين بل ادعيتم اجماعهم على ذلك مع ان اجماعهم على عدم حل التزوج باكثر من اربع كما ستعلم . ولما قرأت ما كتبتموه عجبت اشد العجب لعلمي بعدم صحة ما نسب لهم قلت لعلي لم أطلع تمام الاطلاع على دخيلة الامر فعرضت ذلك على فريق من علماء الشيعة فاستنكروا ما عزي اليهم غاية الاستنكار ، وعجبوا كيف يصدر هذا الخطأ من فاضل نظير صاحب المنار ، ثم استحضرت الكتب الفقهية التي عليها اعتماد الطائفة الشيعية ، لعلي أعثر لذلك على اثر ، أو أقف له على خبر ، فلم أجد ضالتي المنشودة بل وجدت خلافها وها انا انقل لكم عباراتهم بالحرف الواحد لتعلموا صدق ما اقول وتكونوا على بينة من الامر وتزيلوا هذا الغشاء عن البصائر والابصار

قال في تذكرة الفقهاء لمولفها الحسن بن المطهر الحلي المعروف بالعلامة وهو من اعظم علماء الشيعة واجلهم قدرا عاش في القرن السابع والثامن مانصه :

« مسألة : أجمع علماء الامصار في جميع الازمان والاقطار على أنه يجوز للحر المسلم أن يتزوج بالعقد الدائم اربع حرائر ولا يجوز له الزيادة عليهن لما روي عن غيلان بن مسلمة الثقفي أنه اسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : امسك اربعا وفارق سائرهن ، وأسلم نوفل بن معاوية فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : امسك اربعا وفارق الاخرى ، ورواية زرارة بن اعين ومحمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال لا يجمع ماءه في خمس ، وفي الحسن عن جميل بن دراج عن الصادق عليه السلام في رجل تزوج خمسا في عقد قال يخلي سبيل أيتهن شاء ويمسك الاربع ، وحكي عن القاسم بن ابراهيم أنه أجاز العقد على تسع واليه ذهبت القاسمية من الزيدية — قال الشيخ رحمه الله : هذه حكاية الفقهاء عنهم ولم اجد احدا من الزيدية يعترف بذلك بل انكروها اصلا واستدلوا بقوله تعالى (فانكحوا

ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) والواو للجمع ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات عن تسع والواو ليست للجمع بل للتخيير كما في قوله تعالى (أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع) ولم يرد به الجمع اذ لوكان المراد الجمع لقال تسعة ولم يكن للتطويل معنى» قال الشيخ رحمه الله: لو كان المراد الجمع لجاز الجمع بين ثماني عشرة لان معنى قوله مثنى اثنين اثنين وكذلك قوله ثلاث معناه ثلاثا ثلاثا وقوله رباع معناه اربعا اربعا كما في قوله جاء الناس مثنى وموحدا أي اثنين اثنين وواحدا واحدا وهو باطل اجماعا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مخصوصا بذلك فانه جمع بين اربع عشرة امرأة فثبت ما قلناه » اه

وجاء في اللمعة الدمشقية لمؤلفها محمد بن مكي المعروف بالشهيد الاول وشارحها زين الدين المعروف بالشهيد الثاني وهما من اعظم علماء الشيعة عاش الاول في القرن الثامن» والثاني في القرن الالف مانصه:

« السابعة لا يجوز لحر أن يجمع زيادة على اربع حرائر او حرتين وأمتين او ثلاث حرائر وامة بناء على جواز نكاح الامة بالعقد بدون الشرطين والا لم يجز الزيادة على الواحدة لانتفاء العنت معها وقد تقدم من المصنف اختيار المنع وبعد فرض بقاء الحاجة الى الزائد عن الواحدة ولا فرق في الامة بين المؤمنة والمدبَّرة والمكاتبة بقسميها حيث لم تؤد شيئا وأم الولد» ولا للعبد أن يجمع اكثر من اربع اماء أو حرتين أو حرة وأمتين ولا يباح له ثلاث اماء وحرة والحكم في الجميع اجماعي » اه

وكلا الكتابين اللذين ننقل عنهما مطبوعان في طهران عاصمة بلاد فارس

وقال في مجمع البيان وهو التفسير المعتمد عند الشيعة في معنى الآية (فانكحوا ماطاب لكم) الخ وطريقه ان يذكر الآية أولا ثم القراءة فالحجة فالاعراب فالنزول فالمعنى وهذا من جملة ما ذكره في معناها:

« وقوله مثنى وثلاث ورباع معناها اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فلا يقال ان هذا يؤدي الى جواز نكاح التسع فان اثنين وثلاثة وأربعة تسعة لما ذكرناه فان من قال دخل القوم البلد مثنى وثلاث ورباع لا يقتضي اجتماع الاعداد في الدخول

ولأن لهذا العدد لفظا موضوعا وهو تسع فالعدول عنه الى مثنى وثلاث ورباع نوع من العي جل كلامه عن ذلك وتقدس وقال الصادق عليه السلام لايحل لماء الرجل أن يجرى في أكثر من اربعة أرحام من الحرائر اه

ولو أردنا استقصاء كلام علماء الشيعة لضاق المقام وطال الكلام وأظن فيما أوردناه مقنعا ومنه تعلم ان اجماع الشيعة على عدم حل التزوج بأكثر من أربع في العقد الدائم وأزيدك على هذا اني رأيت في أثناء مراجعتي الكتب الفقهية مالم أكن اعهده وهو استشكال لبعض علمائهم في الزيادة على اربع حتى في المتعة مع ان الاكثرين منهم ذهبوا الى عدم الحد بها

ومن المعلوم لدى الاستاذ ان العصر عصر دليل وبرهان فلايجمل بصاحب مجلة معتبرة ان يورد أمرا لم يسبره بمسبار التحقيق ثم يعده من المسلمات البديهيات وعندي ان عدم التثبت في نقل الاخبار أوصل الامة الاسلامية الى هذه الحالة وجعل كل فرقة تسيء الظن بالاخرى وكل هذا راجع على ماأعتقد الى عدم مراجعة كتب الفرقة المنسوب اليها تلك المقالة التي تتبرأ منها والاعتماد على كتب مناظريها فاني رأيت كثيرا ماينسب علماء السنة الى الشيعة مايتبرأون منه ومالم يوجد في كتبهم المعتبرة وكذلك يفعل علماء الشيعة وخذ لذلك مثالا ماينسبه أغلب المسلمين الى الوهابية من المقالات الشنيعة والاعتقادات الفاسدة ولو راجعنا كتبهم لالفيناهم يتبرأون منها ولم تكن علاقتهم بها الا كقول الشاعر

انما أنت من سليمى كواو　　الحقت في الهجاء ظلما بعمرو

ولا اظنكم اعتمدتم فيما كتبتم الا على كتب أمثال ذلك (العالم الغيور) مع انكم لو امعنتم النظر واعملتم الفكر لالفيتم اولئك يخبطون في بعض الامور خبط عشواء لانهم لايعتمدون على المصادر الموثوقة بل يتكلون على السماع وهو مالايجوز ان يتخذ حجة يتمسك بها كما فعل ذلك العالم الغيور في رسالته التي بعث بها اليكم عن أحوال العراق ونشرتموها في الجزء الاول من المجلد الحادي عشر وكل مطلع على احوال العراق يقهقه ضاحكا من عدم التثبت في اسانيدها والاغرب من ذلك تذييلكم

لها وقولكم ان مجتهدي الشيعة يبيحون لامراء العرب التمتع بعدة نساء مما يصادف هوى في فؤادهم مع ان اولئك الاعراب يأنفون أشد الانفة من المتعة ولا يفعلونها قطعيا وهي مع حلها عند الشيعة لا ترى عربيا يفعلها بل لا ترى عربية تقبل بها الا في النادر وربما كانت شائعة عند الفرس لا غير وهذا ما حمل بعض علماء الشيعة من العارفين بأحوال العراق على الرد على ذلك العالم الغيور في مجلتنا (العرفان) ولما كنت اعلم منكم الانصاف وأجلكم عن عدم التثبت ودعم ما تنقلونه بالدليل مع ان مبدأكم المطالبة بالبرهان جئت بكتابي هذا كي تنشروه على صفحات مجلتكم الحرة احقاقا للحق وإعلاء لمنار الصدق حتى اذا كان لكم دليل من كتب الشيعة على مدعاكم اتيتم به واني على يقين بأنه لا يوجد بتاتا وبقي امر آخر لا بد من استطلاع طلائعه واستجلاء حقيقته منكم وهو قولكم لا يعتد باجماع الشيعة لان المسلمين اجمعوا قبلهم فلعمري هذا من الغرابة بمكان لان الشيعة أقدم من بقية المذاهب المستحدثة في الاسلام كما يعلم ذلك كل من له مسكة من علم التاريخ واطلاع على نشأة القوم واني انبهكم قبل ختام الكلام الى ان كتب الشيعة اصبحت منتشرة ومطبوعا اكثرها في بلاد فارس والهند والحصول عليها متيسر فيمكنكم استجلاب شيء منها حتى اذا نقلتم شيئا عنهم يكون على ثقة وتثبت والسلام . ٣٠ رمضان سنة ١٣٢٧ منشيء العرفان

احمد عارف الزين

(المنار) أرسلت الي هذه الرسالة وأنا في سياحتي بالاستانة فأنا اعلق عليها بالايجاز وأنا جالس في احد المطاعم بعد الغداء وابدأ كلامي بالبراءة من التعصب المذاهب ثم أقول :

أشكر للكاتب بيانه وأعده له يدا يمنها على المنار اذ لا أحب ان ينشر فيه شيء من الخطإ ولا يعقب ببيان الصواب ولكني أنكر عليه ما ذكره من الكلمات الجارحة التي اعتادها الذين ينكر بعضهم على بعض انتصارا لمذهب على مذهب والتشيع لقوم وإهانة آخرين كقوله « محض وهم وافتراء » فان الافتراء تعمد الكذب ويبعد جدا ان يكون الذين عزوا هذا القول الى الشيعة قد تعمدوا الكذب في نسبته اليهم بل لا يعقل أن يقع هذا من عاقل اذ لا فائدة فيه ولا هو من المسائل التي يرجح بها مذهب على

مذهب والخطأ في فهم آيات القرآن جائز على كل أحد وقد وقع من بعض الصحابة وهم أهل اللسان وشهداء البيان وممن دونهم من أئمة الفقه وعلماء المذاهب المنسوبون الى السنة كثيرا مايخطيء بعضهم مذهب بعض ، فنقلهم مثل ذلك القول عن الشيعة لاوجه لان يكون من الافتراء عليهم أو انتقاصهم لانهم شيعة بل لابد ان يكون له أصل وان لم يكن هو المعتمد في مذهب الإمامية أو الزيدية ، ونسبة الاقوال الشاذة في المذهب الى أهل المذهب معهود وغاية مايقال فيه ان نقل المخالف لايعتد به . وأنت تقول إن القاسم بن ابراهيم أجاز العقد على تسع واليه ذهبت القاسمية من الزيدية ، وهم من الشيعة في عرف أهل السنة . ولا يبعد ان يكون أولئك الناقلون عن الشيعة ماذكر قد سمعوا منهم أوقرأوا عنهم قولا آخر من الاقوال الشاذة فظنوا انه هو المعتمد في المذهب ، ويكفي في بيان مثل هذا الخطأ ان يقال ان مانقل عن الشيعة في مسألة كذا غير صحيح أو غير معتمد عندهم والمعتمد هو كذا ولاحاجة الى مثل هذا التطويل والتهويل والتذكير بالانصاف والدليل

وأما القول بأنه لايعتد بخلاف الشيعة في مسألة كذا لان المسلمين اجمعوا قبل ذلك عليها فلا ينقض بدعوى ان مذهب الشيعة اقدم من بقية المذاهب لان المراد باجماع المسلمين قبلهم هو اجماع الصحابة لا إجماع أهل المذاهب المستحدثة أو القديمة ، وجميع المذاهب حادثة في الاسلام وقد كان الاسلام على أفضل ما كان عليه في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصر الصحابة والتابعين ولم يكن فيه مذاهب ، ثم حدثت المذاهب ففرقت كلمة المسلمين وما زادت الاسلام الا ضعفا ووهنا ولا نبحث في قدم بعضها على بعض الا من باب التاريخ اذ لا علاقة لذلك بالحق والباطل والخطأ والصواب فكون مذهب المعتزلة سابقا لمذهب الاشعرية لا يقتضي كونه أصح منه وكون مذهب الجهمية متأخرا عن مذهب الخوارج لا يستلزم ان يكون اقرب الى الصواب منه . ونحن نعترف بأن ذكرنا للمذاهب أحيانا في تفسير القرآن مخالف لمشربنا وهو انما يقع منا سهوا فالقرآن فوق المذاهب كلها ونحن لا نلتزم في تفسيره مذهبا من المذاهب لان هذا من تفسيره بالرأي والهوى وهو منهي عنه

وأما مانشرناه لذلك العالم السائح فهو من باب النقل والناقل عدل ثقة لا شك

عندنا في عدالته وقد يخطيء ويصدق بعض الروايات الباطلة فينقلها بحسن النية ولو جاءنا رد عليه لنشرناه اذ لاحظ لنا غير اتباع الحق والسلام

* * *

﴿ الصدّيق وميراث النبي (ص) (*) ﴾

سيدي الدكتور مرجليوث

اليك ماوعدتك في جوابي عن تذكرتك من الملاحظة على بعض ماجاء في انتقادك لكتاب بلاغات النساء الذي شرحته وطبعته

(١) جاء في انتقادك ان الكتاب لم يذكره ياقوت في مؤلفات ابن ابي طاهر وانه قد يكون هو كتاب المستظرفات

وأفيدك : ان بلاغات النساء هو الجزء الحادي عشر من كتاب المنظوم والمنثور لابن ابي طاهر أسماه باسم خاص به هواسم بلاغات النساء الخ، وقد اخترت نشره بهذا الاسم لانه خير عنوان لمشتملاته وادعى لإلفات النظر اليه فان غرضي من نشره هو مساعدة الحركة العاملة عندنا لترقية المرأة وترى عقب المقدمة التي وضعناها للكتاب اشارة الى ذلك فلتراجع هذا وان كتاب المنظوم والمنثور ذكره ياقوت في مؤلفات ابن أبي طاهر (راجع معجم الادباء)

(٢) ثم جاء في الانتقاد : ان اخراج ابي بكر لفاطمة من ميراث ابيها كان يقينا بتحريض عائشة التي لم تسامح عليا قط فيما كان له من اليد في حديث الافك ! !

أقول : ان انباء الحوادث لاتثبت الا من طريق النقل وهذه كتب التاريخ كلها خلو من ذكر ماحسبته يقينا ولم يشر اليه في واحد منها لاتصريحا ولا تلميحا فتفردك بقول في حادثة مضى عليها ١٣ قرنا موضع نظر !

ان الفكر لايلجأ الى الاستنتاج العقلي لمعرفة السبب في حادثة تاريخية الا اذا

(*) كتاب لاحمد افندي الالفي بعث به الى الدكتور مرجليوث المدرس بجامعة اكسفورد ردّاً على ماتعرض له بتقريظه كتاب بلاغات النساء من اتهام الصديق (رض) بحرمان فاطمة عليها السلام من ميراث ابيها (ص) اجابة لتحريض عائشة (رض) وقد سبق به لنا نشر مقالة في الانتقاد في التفسير من الافاضة في هذا الموضوع راجع (ص ٧٢٧ — ٧٣٤) من هذا الجزء

خلت روايتها من ذكره على وجه صريح معقول وليس ذلك في حادثتنا فان أبا بكر لم يخرج فاطمة من الميراث الا أخذا بقول ابيها صاحب الشريعة الاسلامية: «لا نورث ماتركناه فهو صدقة» وقد اقتنعت فاطمة وآلها واشراف الامة حينئذ بصحة هذا القول وأقروا العمل به وقبلوه

ان مثلك لا يند عنه معرفة قوة سلطة الدين على منتحليه في ابان نشأته كما كان ذلك في عهد تلك الحادثة حينئذ والعرب على فطرتهم البدوية وسذاجتهم الطبيعية فلا يمكن أن يلتئم مع ذلك ان يجنح أبو بكر الى هضم انسان حقه بتحريض محرض وأن يقره على ذلك الباطل اعيان الامة وان يخفى كل ذلك على رواة التاريخ فيغفلوه

ان العيان يكذب ان الموجدة الشخصية تكون سببا في ان يمنع الانسان غيره من حقه فان كثيرا من المتعاملين يجني بعضهم على بعض ومع ذلك فقل أن يكون ذلك سببا للجسارة على ان يهضم انسان حق آخر خصوصا اذا كان صريحا كما في مسألة الميراث في مثل تلك الظروف

ان عليا لم تكن له يد في حديث الافك وانما صدر عنه رأي في تخفيف وقعه على محمد واليك ما نسبته عائشة نفسها الى علي في هذا الشأن وقد نقلته عن كتاب البخاري اصح كتب الرواة الاسلاميين بالاجماع قالت :

« ثم اصبحت فدعا رسول الله علي ابن ابي طالب واسامة بن زيد يستشيرهما في فراقي فأما علي فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعاها رسول الله فقال لها يابريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك؟ » فقالت بريرة لا والذي بعثك بالحق مارأيت منها أمرا اغمصه عليها قط »

وقد طوي حديث الافك بأسبابه ونتائجه لما تحققت براءة عائشة حتى أن أبا بكر أعاد صدقته على « مسطح » أحد القائلين فيه وكان قطعها عنه أثناءه

إن عائشة لم يكن لها في حياة أبي بكر وعمر الى أواخر زمن عثمان دخل في شئون الامة العامة وبعيد أن يحصل منها تحريض في مسألة الميراث يخفى خبره على رواة الاخبار حتى لا يذكره منهم ذاكر ويجوز باطله على اعيان الامة في ذلك الحين حتى لا يجهر بالحق منهم جاهر

ان المـيراث لم يكن راجعا الى علي حتى تندفع عائشة بدافع موجدتها منه فتحرض أباها عليه فيه بل الميراث ميراث فاطمة والعباس عم النبي وأزواج الرسول ومنهن عائشة

جاء في تاريخ الطبري رواية عن عائشة نفسها :

« ان فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما حينئذ يطلبان ارضه من فدك وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر أما اني سمعت رسول الله يقول : لا نورث ما تركناه فهو صدقة ، انما يأكل آل محمد من هذا المال واني والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته »

لولم تقتنع فاطمة والعباس بحجة أبي بكر أو لو أحسا بأن الدافع اليه حقد يضم جوانحه عليه لابت لهما انفسهما العربية وهما هما صفوة بني هاشم ، وعزتهما الاسلامية وهما هما آل الرسول وبجانبهما علي وشيعته ـ ان يستخذيا للباطل ولأ ثارا على أبي بكر غارة شعواء لا قبل له بها

قد كان علي ينفس على ابي بكر منصب الخلافة ولكن منعه دينه أن يتعرض لخليفة سلك مسلك الحق ولو وجد علي في عمل أبي بكر منفذا يدخل عليه منه لما وَنى وقد أراده ابو سفيان رأس بني امية (راجع الطبري) على مناوأة أبي بكر فاستعصم علي لعدم المسوغ وأي مسوغ كان أدعى من أن يجبر ابو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله والعباس عم رسول الله ميراثهما بتحريض عائشة ؟

ان ابا بكر في حسن سياسته وقوة ايمانه اجل قدرا وارجح رأيا من أن يندفع بالباطل لمنع آل الرسول حقهم الصريح وسيرته تترفع بقارئها عن أن يظن به ذلك خصوصا ان ابا بكر لما ولي الخلافة تخلف عن بيعته من تخلف وارتد عن الاسلام من ارتد فكان إزاء نارين فارتأى بحكمته مداراة المتخلفين حتى سكتوا عنه وراجعوه وعزم بحزمه حرب المرتدين حتى انصاعوا اليه فكيف مع هذه الظروف يجسر على منع رؤس بني هاشم وآل الرسول حقهم بالباطل ؟ وبعيد جدا أن يغلبوا على حقهم الصريح بغالب الباطل والغرض مع قدرتهم على المقاومة لوأرادوا ، وبعيد جدا أن يقر العرب اجمع ابا بكر على باطل ارتكبه بدافع التحريض وهم الذين انكروا

على عثمان توليته بعض مناصب الدولة لاحداث قومه حتى قتلوه

لو أن حادثة الميراث غير معلومة السبب وكان لابد من تلمس العلة فيها لكان غير رأي يتفق مع طبيعة ذلك العصر وظروف هؤلاء الناس أن يقال : ان ابابكر اراد بتقرير ان النبي لا يورث توهين اعتماد علي في احقيته بالخلافة على قرابته من النبي لانه اذا كان النبي لا ترثه قرابته في عقار وهو ملك خصوصي فبالحري او بالاولى أن لا تتخذ قرابته وُصلة للاحقية في امر عمومي

(٣) اما اسناد خطبة فاطمة فان ملاحظتك عليه صحيحة والصواب ان (زيد) الذي سأله ابن ابي طاهر ليس هو زيد بن علي المتوفى سنة ١٢٢ بل هو زيد حفيده كان معاصرا لابن ابي طاهر المتوفى سنة (٢٨٠) . وقد روى ابن ابي طاهر عنه غير هذه الخطبة كما ورد في صفحة ١٦٢ من الكتاب ذاته اذ قال : حدثني زيد بن علي بن حسين بن زيد العلوي . فزيد العلوي هذا هو المتوفى سنة ١٢٢ وهو من اجداد زيد المعاصر لابن أبي طاهر

وعليه فيكون قد سقط من اسناد خطبة فاطمة ثلاثة رجال خطأ من الناسخ للنسخة الخطية التي طبعت عنها هذا الكتاب

هذه ملاحظاتي اقدمها مع الثناء الجميل لك واعجابي الزائد بفضلك وأود أن تنشرها في المجلة التي نشرت فيها تقريظ الكتاب حتى يطلع عليها قارئو التقريظ فلا يفوتهم ما جاء فيها من التصحيحات والملاحظات وارجو أن ترسل لي نسخة من العدد الذي تنشر فيه وعلى كل حال احب أن تتفضل بافادتي عن رأيك فيها فان الحقيقة بنت البحث وهي ضالتنا المنشودة جميعا .

* * *

﴿ حركة الاصلاح في جاوة ﴾

سيدي الامام ، الداعي الى سبيل السلام ، بعد التحية والسلام : قد وصلنا العدد التاسع من المنار المنير وكله فوائد تهش لها افئدة المؤمنين ، وحجة قاطعة لالسنة الجامدين ، وقد انتعش بها قوم احبوا الهدى ، وغص بها آخرون اخلدوا الى زينة

الحياة الدنيا ؛ ولقد احسنتم كل الاحسان فيما انتقدتم به رسالتي الفاضل السيد عثمان ونحن نوافقكم عليه حرفيا وانه لكما ذكرتم حري بأن تحسنوا به الظن لانه قد بلغ من الكبر عتيا وله خدم مشهورة ومآثر حسنة وان كانت له هفوات معدودة

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

واني اكاد اجزم أنه سيرجع الى الصواب ويضيف بذلك لنفسه منقبة ان شاء الله ان لم يكن ادركه الخرف لانه في العقد التاسع من العمر ؛ نسأل الله أن يوفقنا واياه واياكم لرضاه آمين

وكيف لا ارجو له الرجوع الى هدي الكتاب ونبذ تقديم آراء الرجال عليه وجده الادنى السيد عقيل بن عمر كان من المجتهدين الذين لا يحتقبون الناس دينهم فلقد عطل ابن سعود دروس المقلدين من الحرم الشريف لما استولى على مكة المكرمة ولكنه لم يتعرض لحلقة السيد عقيل المذكور بل كان علماء نجد يجتمعون فيها كما أنه منع جميع المفتين بمكة عن الافتاء ولكنه لم يمنع السيد عقيل لانه كان يفتي بما يظهر له من محكم الكتاب وصحيح السنة وهاهي فتاوى السيد عقيل وكتبه موجودة وهو شيخ مشايخ العلويين في علوم الشريعة والطريقة وطريقتهم الاخذ بالكتاب والسنة ومن احق الناس بسلوك طريق السيد عقيل حفيده السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل

ولقد ظهرت بشائر نفع دعوة المنار ودعاته ومن يدعو الى ما يدعو اليه بهذه الجهات فصار الناس يتأففون من حالتهم الحاضرة ويئنون مما اصابهم من الجهل وابتدأوا في تأليف جمعيات وجمع نقود لفتح مدارس اسلامية تعلم الناشئة اللغة العربية والعلوم الدينية وطرفا مما ينفعهم في امورهم الدنيوية وبالفعل قد فتحت مدرسة في بتاوي وأخرى في فاليمباغ وثالثة في سورابايا ورابعة في قرسي استاذها الشاب الغيور الفاضل السيد محمد بن هاشم بن طاهر سبط الفاضل السيد عثمان ؛ وقد جعلوا لتلك المدارس نظاما وترتيبا نؤمل مع الزمن أن يكون مرقاة الى بلوغ الكمال ؛ وقد امتحن منذ شهرين تلاميذ مدرسة قرسي للسنة الاولى فنجحوا نجاحا يكاد يعد من المعجزات ، بفضل اجتهاد وذكاء استاذها وجميل صبره ؛ فلا أعد مبالغا ان قلت انها افضل مدرسة في

هذه الجهات وان ستين في المئة من تلاميذها أعلم من آبائهم ولمّا يمض عليهم بها ١٨ شهرا وان الهمة مبذولة من رجال النهضة في هذه البلدان في طلب مدرسين من الخارج ليستفيدوا من تجاربهم ومعرفتهم بالنظام والترتيب

نعم قد صنف حضرة السيد عثمان رسالة سماها جمع النفائس ونشرها وصدر لكم منها مع هذا نسخة لاعذر لكم عن تصفحها وهي اقل من ١٢ صفحة واراها (ورقيا ا كون مخطئا) ستعرقل هذه النهضة الشريفة ان لم تقض عليها في بعض البلدان لما لصاحبها من الصيت والجاه واني لا أشك في حسن نيته ولكني اقول انه اراد أن ينفع فضر فعسى أن تلاحظوا ما كتبه وتنشروا رأيكم فيه لتنشئوا من همة الدعاة وتكسروا شرة الجامدين وتقووا هذه النهضة قبل أن يجهز عليها اصحاب العمائم وهي في سن الطفولية ادامكم الله نفعا للعباد وشجى في حلوق اهل الفساد .

آمين آمين لا أرضى بواحدة   حتى أضيف اليها الف آمينا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته   س · م · م بتاوي (جاوة)

المنار : نثني على القائمين بنشر التعليم اطيب الثناء ونحثهم على المضي في عملهم بدون مبالاة بأرباب النزعات والاهواء ، وسنذكر رأينا في رسالة « جمع النفائس » في الجزء الثاني عشر إن شاء الله تعالى

* * *

مدافعة صاحب جريدة (وطن) عن نفسه

حضرة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا أدام الله فضلكم ونفعنا بعلومكم آمين

أما بعد السلام والاحترام : أثني عليكم ثناء جميلا لحسن ظنكم بهذا العاجز ومعاناة الرد على شبهاتي العديدة بالحسنى ، ودفع التهم الموجهة اليّ من جرائد الاستانة الآخذة بالظن والغير المبالية بالحقائق وأشكر فضلكم

ان اقوال جريدة « يني غزته » وغيرها في اتهامي بالطمع باحراز المال والجاه وتوقع الانعامات الحميدية ـ لا أجد حاجة لتفنيدها ، وكل من يرجع الى وجدانه

الصحيح يرى بطلانها عيانا لان الدولة التي أجدها محتاجة لاعانة المسلمين وكنت اجتهد جهد طاقتي في جمع الاعانات المالية لها حينا بعد آخر وآخذ من اهل البر من المسلمين من بضعة اعشار القرش الى القرش فصاعدا وأحفظها عندي ومتى اجتمع مبلغ من المال ارسله الى الاستانة ، - لا يعقل انسان اني كنت أؤمل من مثل تلك الدولة منفعة مالية لان ذلك الامل يجب أن يكون من الغني لا من المعوز ! وعدا ذلك فاني لو كنت أنوي الفوز بالوسامات والانواط من الدولة العلية وكاتبت بهذا الامر رجال المابين، لما كنت أجد جسارة في ذم القابضين على زمام الاقتدار فيه ورجاله المشهورين مثل عزت «افندي» العابد وغيرهم ومدح الحكومة الدستورية في تأليفي « تاريخ السكة الحجازية » ؟

والحاصل اني لم اكتب قط إلى المابين كتابا ، وأنى لمثلي أن يكاتبه ويجد منه أذنا صاغية ويتشرف بالرد الجميل منه ، اللهم اني كتبت مرة الى سعادة السيد مصطفى ذهني باشا ناظر النافعة الاسبق لكونه مشرفا على ادارة السكة الشريفة حوالي موعد الاحتفال بافتتاح السكة الكريمة الى مدينة النبي (ص) - بأسماء بضعة من اكابر الملة الاسلامية وأصحاب الجرائد لدعوتهم الى حضور الاحتفال رسميا ودعوة رجل أو رجلين من صحافيي الانكليز أيضا لذلك الغرض ولا أذكر الآن هل كان اسمي ايضا في تلك القائمة أم لا ، وكان ذلك الكتاب كمشورة نافعة لجمع الاعانات للسكة الحجازية من مسلمي الهند وغيرها من الاقطار الاسلامية لان الكبراء والصحافيين الذين يدعون الى الاحتفال ويشتركون فيه لاشك في أنهم يصيرون بعد العودة من الاحتفال ساعين في بني قومهم بترغيبهم وحثهم على اعانة ذلك المشروع الاسلامي العظيم وتستفيد الدولة بحصول حبهم الخالص ايضا ولا أظن انكم ترون في مشورتي هذه غير الاخلاص والحب الصادق لدولة اسلامية عظيمة ، وكثيرا ما كنت اقترح على سعادة الباشا الممدوح ما أراه مفيدا من اسباب توفير الاعانة والاصلاحات الضرورية لهذه السكة المباركة

وأما أمر الوسام والنيشانات فأكرر قولي في ذلك الباب كما قلت لكم قبلا بأني لم أؤمل قط حصولها بل لما أرسل اليَّ سعادة مصطفى ذهني باشا النيشان العثماني من

الطبقة الرابعة كتبت الى سعادته « لو كنتم أخذتم رأيي في ذلك الباب قبل ارسال النيشان فلم أكن لاقبله ، وأما الآن وقد أرسلتموه الي فأرى رده من سوء الادب »

وأرجو من كرمكم نشر كتابي هذا في «المنار» الاغر والفات رصيفاتنا الجرائد التركية و بالاخص جريدة «يني غزته » إلى نشر كتابي الذي وجد في المابين والذي بنت هذه الجريدة قولها عليه بنصه مع الترجمة باللغة التركية لينصف العالم هل أنها صادقة أم لا ، والا فالواجب الصحافي والاسلامي يحتم عليها نفي قولها الغير الصادق باتهامي بما لست فاعله أبدا

والرجاء من غيرتهن الاسلامية قبول دعوتي هذه ليثبتن طهارة ذمتهن بتبرئة البريء من التهم الباطلة الموجهة اليه والا فلا أكون مخطئا في ظني بحزب تركيا الفتاة انه بعيد عن الانصاف والحق كل البعد ولذلك ارسل نسخة من كتابي هذا الى رصيفتي المؤيد ايضا وارجو منها نشره

هذا واقبلوا فائق احتراماتي افندم ودمتم سالمين   كاتبه المخلص

محمد انشاء الله صاحب جريدة «وطن» الهندية

لاهور — بنجاب (الهند)



افتتاح مجلس المبعوثان

كان يوم غرة ذى القعدة الحرام يوما مشهودا في الاستانة العلية ، تطالت اليه اعناق العثمانيين ، وحدَّجت ابصار الشاهدين منهم له والغائبين ، اذ هو يوم من ايامهم المشهودة ، وعيد من اعيادهم المعدودة ، ألا وهو افتتاح مجلس الامة الذي استردت به الامة حياتها ، وحفظت كيانها ، واصبح امرها بيدها

ولإن كان يوم اعلان الدستور هو العيد العام لجميع العثمانيين ، والحد الفارق بين عصر ترقب العدل ، وزمن سلطة الجائرين ، فجدير بهذا اليوم أن يكون عيدا مثله عظيما ، اذ به تتحقق مباشرة الامة القبض على أزمة الحكم عملا ، وذلك بسن القوانين العادلة ، والتصديق على انفاذ المشروعات النافعة

لقد كان هم المبعوثان في العام الماضي محصورا في تقرير طرق المحافظة على الدستور ، والسعي في حمل الحكومة على التنازل عن واسع سلطتها ، لتكون في يد المجلس ، وبينا هم يكافحون ويناضلون ، ويتحاجون ويتحاورون ، اذ نجمت تلك الفتنة المائلة ، والبلية النازلة ، التي كادت تلتهب جذاها في جميع انحاء السلطنة ، فاقتضت على الدستور بقية زعزعة اركانه ، ونقض بنيانه ، وصدت المجلس عن عمله ، وحالت دون تحقيق امله ، وكان من فضل الجيش وقائده المعظم محمود شوكت باشا اجتثاث تلك الفتنة من اصولها ، والقضاء على السلطة الجائرة ، فكانت بحمد الله صفقتنا رابحة ، وصفقة ربها عبد الحميد خاسرة

انقضى ذلك العام بخيره وشره ، وقطعت قبل مغيب شمسه السنة الفتنة ، وأخمدت نار المحنة ، وقد هل هلال هذا الشهر وهو اول العام الثاني للمجلس – ونوابنا الكرام جالسون على مقاعدهم ، مترقبون لطلعة سلطانهم وخليفتهم ، ليفتتح مجلسهم ، ثم ينصرفون بعد ذلك الى ما تمحضوا له

هذا : ولم تكد تبتسم شمس نهار افتتاح المجلس الا وقد برزت العاصمة في لبوس من الزينة يروق الابصار ويسر البصائر ، وما كان خفقان الاعلام على الدور والقصور ، والحوانيت والفنادق ، إلا دون خفقان القلوب واهتزازات النفوس !

ثم اقبل الخليفة بموكبه الجليل والنهار في مستوى شبابه يحيط به امراء الاسرة المالكة كالنجوم حول القمر ، ولما بلغ القصر بصر بوزراء الدولة وقوادها واقفين أمام باب القصر لاستقباله اجلالا وتعظيما

بعد أن جلس الخليفة على كرسي السلطنة واتخذ كل واحد مكانه ، – وكان المجلس حفيلا بالوزراء والقواد والسفراء وحملة الاقلام – ناول مولانا السلطان خطابه للصدر الاعظم وأمره بقراءته فتلاه بصوت جهوري دوى له المجلس حتى وعاه كل سامع

عارف بالتركية ، وانه لخطاب حكيم ، واني أنشره على القراء مترجما ترجمة صحيحة وهاؤم الترجمة :

﴿ خطاب السلطان ﴾

أيها الأعيان والمبعوثان المحترمون

أحمد الله جل جلاله الذي جعل جلوسي على أريكة السلطنة العثمانية في دور الدستور السعيد ووفقني في السنة الاولى منه أن أحضر افتتاح الاجتماع الثاني للمجلس العمومي وأهنىء أعضاءه جميعا بقدومهم المأنوس .

ان الشرع الشريف يأمر بالحكومة المقيدة الشورية عقلا ونقلا ويعدها لنا كطريق نجاة وسلامة فاذا داومنا مسيرنا في هذه السبيل وصلنا إلى الاتحاد والقوة اللازمين لحياتنا الاجتماعية والسياسية

إن من أكبر أمانيّ المحافظة على الدستور وتأييد مبادئه وتطبيق قواعده وسأشتغل بمنتهى مقدرتي مع رعيتي مستعينا بعونة الله وروحانية النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيق هذه الاماني الشريفة والوصول الى هذه الغاية المجيدة

ان امتناني كان عظيما جدا عند مارأيت الاخاء عاما شاملا بين عموم ابناء الوطن اثناء سياحتي في بورصه وأزميد وكنت سعيدا جدا باقترابي من افراد الأمة الصادقة

ان الخدمة العسكرية التي تشمل اليوم جميع رعايانا بلا استثناء هي من نتائج ما يأمر به القانون الاساسي الذي يضمن لهم المساواة بالحقوق والواجبات وإنني أعد وضع هذه الخدمة العامة المطلية لقوة الدولة وعظمتها موضع التنفيذ من أهم الحوادث التي سينقلها تاريخ نهضتنا الوطنية لان من طبائع هذه الخدمة في الجيش تحكيم عرى التآخي الصحيح بين ابناء هذا الوطن

ان الرقي والانتظام اللذين اظهرهما أفراد جيوشنا اثناء المناورات البرية والبحرية التي جرت لاول مرة في هذا العام يحملان على ان تقدرهم حق قدرهم وان نصرف مساعينا لايصال هذه القوى الى درجة الكمال اذ عليها يتوقف الذب عن حوزة الوطن والمحافظة التامة على السلم العام

ان أحوالنا الداخلية - ولله الحمد - لا توجب القلق وان الحوادث التي وقعت في قضاء الزيدية التابع لمتصرفية الحديدة وفي متصرفية عسير من ولاية اليمن وفي قضائي بارزان ولوما من ولايتي الموصل وقوصوه اخذت تزول بالتدابير الرشيدة التي اتخذتها الحكومة المنفذة حتى ان القبائل الثائرة جنحت للطاعة والسكون والآمال معقودة على انها لا تتكرر فيما بعد ولا سيما متى تعممت المعارف وفهمت الاهالي عامة القواعد الدستورية فيجب علينا في الوقت نفسه أن نعمل باهتمام وسرعة في سبيل إنهاض المعارف وترقية الاحوال الزراعية والصناعية والتجارية في ممالكنا الواسعة وكل عمل من شأنه ان يعود على العموم بالراحة والرفاه وعلى البلاد بالثروة والعمران

الاوان اكبر آمالي حصول التوازن المالي الذي هو أس إساس الاصلاحات وستقدم ميزانية سنة ١٣٢٦ العمومية لمجلسكم فعليكم ان تدققوا فيها أصلا وفرعا وإذا كان واضعوها لم يتمكنوا من الوصول بها إلى هذا التوازن المنشود بالرغم عما أنفقوه من الحكمة والاقتصاد في وضع النفقات المعقولة اللازمة فانهم سيتوصلون بلا شك الى سد عجز الميزانية العمومية المقبلة متى استوفيت الزيادة التي ستجبى من الرسوم الجمركية ووضعت الاحتكارات المنوي وضعها وتحسنت طرق جباية الاموال الاميرية وعندئذ تزداد الثقة المالية بنا وقد أثبتت أعمالنا المالية الاخيرة لنا ذلك

لقد أقمتم الدستور باجتماعكم الاول على قواعد متينة لا تزعزع وأيدتم النظامات الكافلة للامن والراحة في البلاد وستنظرون في اجتماعكم الثاني لوائح القوانين والنظامات التي وضعتها الحكومة المنفذة مجددا فيما يتعلق بحياة المملكة الاجتماعية والاقتصادية وتأييد النظام والراحة بقوة القانون ومن هذه المشروعات التي تستحق الذكر نظام التجارة البرية والبحرية وحقوق الملكية ونظام قضاة المحاكم المتنقلين وادارة الولايات وقانون الجزاء

ان علاقاتنا مع الدول كافة ودية محضة وبما أننا نراها جميعها متحدة على السعي في سبيل المحافظة على السلم العام فلذلك ترى حكومتي من واجباتها أن تكون عنصرا شريفا ساعيا معها في سبيل تأييد السلم

اني مع بيان فائق امتناني من المساعي الوطنية التي صرفت من قبل هيئتكما

في الاجتماع الاول أعلن لكما افتتاح جلساتكما اعتبارا من هذا اليوم باسطا أكف الدعاء اليه تعالى أن يوفقكما و يسهل اعمالكما إلى مافيه خير الدولة والامة انه سميع مجيب » اه

بعد ان أتم الصدر الاعظم قراءة الخطاب السلطاني هتف الحاضرون للسلطان ، وصافحه السفراء ، ثم غادر قصر النواب والقلوب هاوية الى طلعته الغراء ، والابصار شاخصة الى موكبه ذي الجلال والرواء ، والألسنة منطلقة بالهتاف له والدعاء ، أدامه الله رافلاً في مطارف الصحة والهناء

وبعد فإن أعمال المبعوثان في هذا العام ستتناول شؤونا جمة تتوقف على انفاذها على وجهها حياة الامة وعزة السلطنة ، وهي النظر في القوانين المسنونة والنظامات الموضوعة لتأييد الحق وشمول الامن والعدل ، ومن اعظم تلك الشؤون وآكدها مشروع تعميم العلوم والمعارف بين طبقات الشعب ومشروع التجارة وانشاء نظارة خاصة لها ، والنظر في توسيع سلطة الولايات ، وتهذيب قانون الجزاء (الجنايات) وغير ذلك من الاعمال التي تجعل اعمال المجلس في هذا العام ايجابية ، وقد كانت في العام المنصرم سلبية

ولنا الرجاء بأن يقوم اعضاء المجلس بما انتدبوا له خير قيام ، ولا سيما بعد أن تمرنوا على نسق السير في المجلس ، وسمعوا كثيرا من الصيحات والانتقادات بحق وبغير حق والله المستعان   حسين وصفي رضا

* * *

﴿ خطاب رئيس المبعوثان ﴾

خطب احمد رضا بك رئيس المبعوثان اخوانه الاعضاء بعد انتخابه رئيسا خطبة حفيلة نورد منها هذه الكلمات الحكيمة :

ان أول واجب على النائب الشريف النفس بعد اجتماعنا تحت سقف قصر ذي شهرة بالتاريخ هو شكر جلالة مولانا السلطان الذي تفضل علينا بهذا القصر ، ولي

الامل انكم تنيبوني عنكم في القيام بتأدية هذا الواجب ، ولاشك بأنكم تشتغلون بهدوء وسكون ونظام لتخدموا الامة الخدمة التي تنتظرها منكم ولكنكم لاتبلغون هذا القصد الا إذا حاذرتم تجاوز حدود الاعتدال الى التطرف

والواجب ان تكون الشرائع والقوانين والمطالب مماتطلبه حالة البلاد وينطبق على تقاليد الامة واخلاقها حتى يسهل تنفيذها . فقبل ان نصوغ القوانين يجب ان نعد معدات التنفيذ التي تعم نفع تلك القوانين لكل عناصر الامة على حد المساواة

ولا بد للوزارة التي تتولى التنفيذ من المساعدة والعون داخلا وخارجا اكبر من مساعدة مجلس النواب لها بالاماني والتمني . والعون الاول هو بلاجدال مايكون من ناحية العاطفة الدينية قبل كل شيء ، ثم من آداب الامة ودرجة تعلمها . والنجاح والمدنية يشبهان مركبة تدفعها قوة ذكرى العهد الماضي فاذا لم يكن وراء هذه المركبة روح قوية تدفعها الى الامام وقوات ادبية ومادية تؤيد الدافع فإما أنها تقف واما انها تتقهقر

وبما ان اعمال المجلس ومجهوداته لم تأت حتى الآن بالنتيجة التامة فهم يظنون أن هذا المجلس لانفع له ! . وقد جسموا بعض الهفوات . ومن عادة الشعب ان يعد الخير الذي لايدركه أو الاعمال التي لا تعود عليه بالنفع المادي والاعمال الحسنة بنفسها اذا هي مست مرافق الافراد — من الشر

وليس ذلك غريبا في فهم الشعوب للامور وعلى هذا الوجه فان الاصلاحات التي تقلب كيان الامة اذا كانت فجائية قد تعود غالبا بالضرر على الافراد فالناموس الطبيعي يقضي بأن يكون الانقلاب تدريجيا وعلى مهل فليس من الواجب علينا وحدنا العمل فقط . بل من الواجب على كل عثماني ان يأخذ بيد اخيه العثماني للسعي وراء نجاح الوطن متحاشيا البحث أو التفتيش عن سيآت اخيه ليعيبه بها

واذا كان نقد الامور حقا ومنحة من الحرية فان من الفضيلة الشريفة للضمائر الحرة الطاهرة أن لا ترى الشيء من جهته السيئة وبأن لا تثق بكل فكر يقال دون تحقيق أقوال هذا معربا عن أملي بأن تكون الروح التي أشرت الى فضائلها هي الروح السائدة في هذا المجلس

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿مصر الثلاثاء سلخ ذي الحجة ١٣٢٧ - ١١ يناير (كانون الآخر) ١٢٨٥هـ ١٩١٠م﴾

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ مدة حمل النساء شرعا وطبا ﴾

(س ٣٨) من صاحب الامضاء في قفصه (بتونس)

الحمد لله وحده

(مشكلة واقعية)

حضرة العلامة فيلسوف الاسلام سيدي السيد محمد رشيد رضا الحسيني منشيء مجلة المنار دامت سعادته وتوالت مسراته ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فمن المعلوم أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وأقصاها خمس سنين عند مالك وأربعة عند الشافعي وسنتان عند أبي حنيفة القائلين بجواز رقاد الجنين في بطن أمه ثم يفيق في خلال هذه المدة المحدودة ، ويلحق بأبيه بعد إتمام الموجبات الشرعية . وروى مالك في الموطأ ان امرأة هلك عنها زوجها فاعتدت أربعة أشهر وعشرا ثم تزوجت حين حلت فمكثت عند زوجها أربعة أشهر ونصف شهر ثم ولدت ولدا تاما فجاء زوجها الى عمر بن الخطاب فذكر له ذلك ، فدعا عمر نسوة من نساء الجاهلية قدماء فسألهن عن ذلك فقالت امرأة منهن أنا أخبرك عن هذه المرأة : هلك عنها زوجها حين حملت فأهريقت عليه الدماء فحشّ ولدها في بطنها فلما أصابها زوجها الذي نكحها وأصاب الولد الماء تحرك الولد في بطنها وكبر

فصدقها عمر بن الخطاب وفرق بينهما . وقال عمر أما إنه لم يبلغني عنكما الاخير وألحق الولد بالاول اه وقال ابن سينا في الشفاء : بلغني من جهة من أثق به كل الثقة ان امرأة وضعت بعد الرابع من سني الحمل ولدا نبتت أسنانه اه وعلى هذا جرى عمل الفقهاء والمفسرين في مشارق الارض ومغاربها قديما وحديثا الى ان ارتقى علم الطب والتشريح واجلاه للعيان علم الطبيعة الذي اتضح بمواهبه وأسراره بنو الانسان ورأوا ما كان جوازه مستحيلا واقعا لاغبار عليه . فقام من بين أطباء الافرنج عندنا جماعة حكموا بمنع رقاد الجنين في بطن أمه ونسبوا الى من ادعت رقادها زناها واعتذروا لما عليه علماء الاسلام في هذا الشأن بأن علم الطب لم تنكشف أسراره في الازمنة الغابرة انكشافها في زمننا الحاضر . وهاهي (ذي) واقعة حال صورتها ان امرأة فارقها زوجها منذ أربعة أعوام بريئة الرحم والآن ظهر به حمل نسبته لمفارقها الذي ناكرها فيه، وزعمت رقاده في هذه الاعوام واعترفت بعدم مسيس مفارقها لها بعد الطلاق ، ونشرت معه النازلة لدى المحكمة الشرعية من حيث لحوق الولد أو نفيه كما نشر معها النازلة لدى المحكمة العدلية من حيث رميها بالحمل من زنا . وان أدري بحكم الحاكم عليها في المحكمتين بيد أن النفوس على حيرتها تتطلع الى معرفة هذه الحقيقة الشرعية الطبية ولما كانت لمقامكم العلمي قدم راسخة في العلوم الشرعية ولصديقكم النطاسي سيدي محمد توفيق صدقي معرفة عالية في علم الطب جئتكم بهذا السؤال ألتمس ادراجه قريبا على صفحات المنار مع الجواب عنه بما يقنع النفوس ويرفع الالتباس ويزيح الاشكال وربما كان انموذجا راجحا عند تعارض الادلة ، لا زلتم ملجأ السائلين ، وقدوة المسترشدين ، والسلام من معظم حضرتكم حموده بوتيبي

رئيس مجلس عدلية قفصه (تونس)

(ج) اذا قلنا ان مسألة مدة الحمل دينية يجب العمل فيها بما جاء في الدين من غير زيادة ولا نقصان فالواجب حينئذ أن نعمل بقوله تعالى في سورة الاحقاف عن الانسان (٤٦ : ١٥ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) فاذا كانت مدة الحمل والفصال ثلاثين شهرا وهي سنتان ونصف فكيف نجعل مدة الحمل وحده عدة سنين من ثنتين الى خمس ونقول ذلك هو حكم شرعنا في المسألة ؟ فاذا كان المعلوم لكل

الناس ان مدة الحمل تسعة أشهر فمدة الرضاعة التي يكون الفصال بانتهائها ٢١ شهراً هذا هو أقلها الذي لا بد منه شرعا واكثرها سنتان كما في آية ٢٣٣ من سورة البقرة ولذلك قال فيها (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) وقد ذكرنا في تفسيرها قول بعض المفسرين انه يستنبط من مجموع الآيتين أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانها هي التي تبقى بعد طرح ٢٤ شهرا مدة الرضاعة التامة من ٣٠ شهرا مدة الحمل والفصال (راجع ص ٤٠٨ ج ٢ تفسير) فاذا عاش الولد الذي تلقيه امه بعد تمام ستة أشهر من حمله كالشهر السابع اوالثامن فينبغي أن يكون حظه من الرضاع اكثر من حظ من يولدلتسعة أشهر ليكون غذاؤه من اللبن عوضا عما فاته من التغذي بالدم في رحم امه فلاتقل مدة الحمل والفصال عن ثلاثين شهرا وهي حكمة ظاهرة فان زادت ثلاثة اشهر كان ذلك من تمام العناية بالولد . واذا جرينا على ذلك في جميع الاحكام الشرعية المتعلقة بالحمل نكون موافقين لاقوال اطباء هذا العصر واستقرائهم واختبارهم لان تحديد القرآن الحكيم لمدة الحمل والرضاعة لم ينقصه من اقوالهم شيء بل لا يزداد القرآن بازدياد علوم البشر الاقوة وظهورا

واذا قلنا ان هذه مسألة دنيوية وما يتعلق منها بالمعاملات الشرعية لا يكتفى فيه بظواهر الكتاب أو السنة وما يتبادر من معنى النصوص بل يجب أن يضم الى ذلك اختبار الناس وما يصلون اليه من معرفة الواقع بطريق الاستقراء والبحث ، قلنا حينئذ ان ما قاله العلماء الذين بحثوا في المسألة من قبل كالائمة الثلاثة الذين ذكرت أقوالهم في السؤال ليس نصا دينيا يجب التعبد به وعدم اعتبار بحث غيرهم واستقرائه بل يعمل اهل كل عصر بما يصل اليه علمهم واستقراؤهم ، وقد وقفنا على طريقة بحث الاوائل في مثل هذه المسألة وهو انهم كانوا يسألون العجائز ويصدقونهن كما سأل عمر (رض) العجائز الجاهليات في واقعة المرأة التي تقلت في السؤال عن الموطإ وكما كان الشافعي (رح) يسأل العجائز عن مدة الحيض والطهر ومن الجائز أن يكذب بعضهن ويجيب بعضهن عن جهل ، وثقة بعض أئمة الفقه بما سمعه من عجائز زمانه لا يوجب أن يكون ذلك دينا متبعا لكل من يعمل بفقهه وان ظهر له استقراء أتم وعلم أصح

ثم ان ماقاله الفقهاء غير محال عقلا ولا طبا فاذا فرضنا ان ماقل اليهم من مكث الجنين في الرحم أربع سنين أو خمسا قد وقع شذوذا كما نقل مثل ذلك الى ابن سينا فهل يصح ان يجعل قاعدة مطردة تبنى عليها الاحكام الكثيرة لمجرد احتمال تعدد ذلك الشذوذ الذي يسميه أهل هذا العصر فلتة طبيعة كولادة حيوان أو إنسان برأسين ؟ أم القواعد تبنى على الغالب المألوف . وما جاء على خلاف الاصل وخلاف الغالب لايقاس عليه ؟

اذا نحن بنينا أحكام الحمل على ماصدقه بعض أولئك الفقهاء من أقوال النساء نكون قد خالفنا إطلاق القرآن وقيدناه بقيد لاثقة لاحد من المتعلمين به في هذا العصر ، وخالفنا الثابت المطرد في مدة حمل المرأة وهي انها لاتكاد تبلغ سنة واحدة فضلا عن عدة سنين وخالفنا القياس الفقهي على تقدير صدق أولئك العجائز فيما أخبرن به الأئمة من ان ذلك قد وقع شذوذا فكيف اذا لم نصدقهن ، وخالفنا ماقرره أطباء هذا العصر من جميع الملل والنحل على سعة علمهم بالطب والتشريح وعلم وظائف الاعضاء (physiologie) واستعانتهم في بحثهم واختبارهم بالآلات والمجسات والمسابير والاشعة التي تخترق الجلد واللحم فتجعل البدن شفافا يظهر مافي داخله ويرى بالعينين ، وعلى بناء علمهم على التجربة والاستقراء واستعانة بعضهم في ذلك ببعض على اختلاف الاقطار بسهولة المواصلة البريدية والبرقية ، وعلى كثرة النساء اللواتي على حرية القول وعدم الخجل من إظهار مالم يكن يظهره أمثالهن في بلادهن أو غيرها من قبل ومالا يظهره غيرهن من سائر البلاد التي لاحرية فيها كحرية بلادهن

ثم اننا نكون مع هذه المخالفات ، اللواتي نحملها لتصديق اولئك النساء المتهمات قد تعرضنا لمفاسد كثيرة (منها) طعن الاجانب في شريعتنا طعنا مبنيا على العلم والاختبار لاعلى التحامل والتعصب وذلك منفر عن الدخول في ديننا ومانع من ظهور حقيته لمن لايعرف منشأ هذه الاقوال عندنا (ومنها) تشكيك الكثير من المسلمين في حقية شريعتنا وكونها إلهية ، وأعني بالكثير جميع الذين يتعلمون الطب والذين يقفون على أقوال أطباء وعلماء هذا العصر ونطمئن قلوبهم بأقوالهم في مدة الحمل مع مخالفته لما يظنون انه هو الشريعة المقررة الثابتة بالكتاب اوالسنة (ومنها) إلحاق الاولاد بغير آبائهم

وهي مفسدة يترتب عليها مفاسد كثيرة في الارث والنكاح وغير ذلك

(ومنها) انه يجرئ المرأة الفاجرة اذا طلقها زوجها أو مات عنها ان تدعي انها حامل منه وان الولد راقد في بطنها ويكون لديها وقت واسع تستبضع فيه ولدا من غيره بالزنا ثم تلحقه وتستولي على جميع ماله إن لم يكن له وارث آخر او على أكثره (ومنها) ان تصدق من يغيب زوجها عنها من سنة الى خمس سنين فيما تأتي به من ولد في هذه المدة انه منه ، وللفقهاء في أمثال هذه المسألة كلام لامحل هنا لذكره ولا للاشارة اليه باحتراز أو غيره ؛ فمنهم من يقول ان هذه المرأة تصدق في الحاق ماتأتي به من ولد بزوجها الغائب وان كانت غيبته أطول من أكثر مدة الحمل مهما كانت المسافة بعيدة كأن تكون هي في تونس وهو في داخل بلاد الصين التي ليس فيها سكك حديدية وذلك الاحتمال ان تطوى له الارض كرامة فيجيء من الصين الى تونس فيغشاها ويعود الى مكانه في ليلة واحدة !! أكثر مثل هذا بعض الحنفية الذين قال بعضهم بأن مدعي طي المسافة يكفر !

واذا نحن بينا أحكام الحمل على الظاهر من اطلاق القرآن الحكيم المطابق للواقع المعروف عند كل الناس ولما يقرره الاطباء وقلنا إذا ثبت غير ذلك في حق بعض النساء يكون من الشاذ النادر الذي لايبني عليه حكم فاننا نسلم من كل تلك المخالفات والمفاسد ولا نكون قد خرجنا عن هدي أئمتنا فانهم إنما كانوا يتبعون الدليل القوي اذا ظهر لهم ولكن المقلدين المنسوبين اليهم يفضلون العمل بما في هذه الكتب التي بين أيديهم مهما ترتب على ذلك فلا فائدة من مخاطبتهم بالدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

﴿ اسئلة من جاوه ﴾

(س ٣٩) من (وطني) في تلو سماوي جنوب اسيه (سمترا)

مولاي الاستاذ الحكيم .

نرى امراء واغنياء هذه البلاد الوطنيين منهم يتهافتون تهافت الفراش على ادخال

أولادهم مدارس الحكومة لتعليمهم لغة أوربا . ولم يفكروا يوما ان تعليم اللغة العربية من الامور المطلوبة شرعا لانها لغة القرآن . وان من المصلحين من يرى ان لا رجوع للاسلام الى مركزه الاول الا بعد تعميم هذه اللغة الشريفة بين أتباعه . واذا جئت تقول لهم ان الواجب الاهم على المسلمين القادرين إقامة مدارس عربية لتعليم أولادهم وأولاد الفقراء العاجزين لغة القرآن قبل تعلم أي لغة كانت . قالوا ليس المطلوب شرعا هذا . وانما المطلوب هو تعلم الاولاد مايجب عليهم من مبادي الدين فقط !!.

واستشهد بعضهم بدولة الخلافة الجديدة من انها لم تجعل لهذه اللغة مقاما في بروجرام مدارسها واشتهر انها جعلت التركية الزامية ثم بعض لغات أوربا كالانكليزية والفرنسية . ولو كانت دولة الخلافة مع وجود كثير من رجال الاصلاح الاسلامي في مجالسها ترى بعض ماراه رجال الاصلاح من ضرورة تعميم هذه اللغة بين المسلمين لكانت دولة الاسلام الكبرى هي القدوة للمسلمين في المعمورة . فماذا تقول أيها الاستاذ في هؤلاء ؟ وهل توجد طريقة لاقناعهم ؟ وهل عندكم علم بما قررته الدولة العثمانية تجاه هذه اللغة الشريفة ؟ وهل صحيح من ان الدولة قررت جعل لغة حاكم بلاد سورية والعرب تركية وألزمت المترافعين بذلك ؟ فادركونا بالخبر اليقين متع الله بوجودكم المسلمين . فنحن على أحر من الجمر والسلام .

(ج) انني أعتقد منذ سنين كثيرة بعد طول البحث في حال المسلمين انهم لاحياة لهم الا بالاهتداء بالقرآن الحكيم سواء منهم من يؤثر الاستقلال في فهم الاسلام ومن يؤثر تقليد بعض الائمة والعلماء . ذلك بأن هداية القرآن التي أنزل لاجلها ليست محصورة في الاحكام العملية التي أباح جمهور المسلمين من الخلف التقليد فيها بل هذه الاحكام أقلها وأدناها مرتبة فان فوقها آيات العقائد وصفات الله تعالى وسننه في خلقه وأسرار دينه ، والعبر بسيرة رسله في أممهم ، والآداب العالية ، والاخلاق الفاضلة ، وأصول الاجتماع البشري ، والسياسة ، والترغيب في رضوان الله تعالى في الدار الآخرة ، والترهيب من عقابه ، وغير ذلك من الحكم المؤثرة في النفوس ، المصلحة للقلوب ،

ولا يمكن ان يستغني المسلم عن القرآن بغيره في ذلك ، بل أقول ان تفسيره وترجمته لا يغنيان في ذلك عن تلاوته وتدبره لان لا ساوبه من التأثير في النفوس ما حير البلغاء والعقلاء من المسلمين وغير المسلمين من المتقدمين والمتأخرين حتى قال فيه بعض المشركين في زمن التنزيل « ان هذا الا سحر يؤثر » وقال بعض فلاسفة فرنسا المتأخرين « ان محمدا (ص) كان يقرأ القرآن في حال مؤثرة من الوله والخشوع فيجذب قلوب السامعين الى الايمان به جذبا خارقا للعادة أغناه عن جذبهم بالخوارق والآيات الكونية التي بامثالها آمن الناس بالانبياء من قبله »

يجب على كل مسلم ان يأخذ عقيدته من القرآن أو أن تكون عقيدته مطابقة للقرآن ، ومن قال من المتكلمين ان مسائل الاعتقاد المتعلقة بالالهيات مقدمة على مسائل الايمان بالوحي والرسل وما انزل اليهم من ربهم فانما يريد بهذا الترتيب ما يحتج به على غير المتدين فمن كان لا يؤمن بوجود الله عز وجل لا يدعى أولا الى تطبيق عقيدته على القرآن أو أخذها منه فانه ليس له عقيدة ، و إنما يبدأ في دعوته باثبات وجود الله وصفاته بالدلائل التي جاء بها القرآن والتي هدى اليها من حيث هي براهين لا من حيث هي وحي ، ويثني بالوحي مطلقا ويثلث بالرسول والقرآن ، ولا يراعى هذا الترتيب فيمن ينشأ على الاسلام بل يؤخذ بعقيدة القرآن من أول وهلة ، وقد ذهب جماهير المحققين من العلماء الى وجوب معرفة الدليل على العقيدة وامتناع التقليد فيها ، والايمان بالقرآن من أصول العقيدة وإنكار شيء منه كفر باجماع المسلمين ، فكيف يستغني مسلم منهم عن معرفته و يعد نفسه من أهل الدليل في اعتقاده ؟ ومن المعلوم في كتب العقائد أن إيمان المقلد مختلف في صحته بل نقل السنوسي في الكبرى وغيره الاجماع على عدم الاعتداد بإيمانه أي على كفره ، و بعضهم قال بصحة إيمانه اذا كان مطابقا للحق وكان هو جازما به ومن أكبر هؤلاء ابو حامد الغزالي وهو قد صرح في كتاب إلجام العوام عن علم الكلام بوجوب الايمان بصفات الله تعالى كما جاءت في القرآن وانه لا يجوز ترجمتها لان الترجمة لا يمكن أن تؤدي معنى الاصل تماما وفي الانحراف عن الاصل خطر الكفر لا خطأ المعصية فقط

انا قد أفتينا في المنار من قبل بوجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم ، ونقول

الغزالي هذا يؤيد فتوانا بل قال لنا أحد علماء الشافعية المدرسين في الأزهر انه رأى نصا للامام الشافعي في ذلك وما جرى عليه الخلفاء الراشدون وعمالهم ومن بعدهم من الفاتحين الامويين والعباسيين يدل على ذلك . فانهم نشروا لغة الدين في جميع البلاد التي فتحوها مع بعدهم عن العصبية الجنسية وعدم التفاتهم اليها في معاملاتهم الاجتماعية والدولية . وجميع المجتهدين والقائلين بوجوب الاجتهاد في الدين يجزمون بوجوب معرفة اللغة العربية لان الاجتهاد يتوقف على ذلك كما هو مصرح به في كتب الاصول.
واننا نذكر مسلمي جاوة بالبينات الآتية على وجوب تعلم العربية :

(١) ان القرآن هو آية الله الكبرى على صدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة والرسالة، وطريق العلم الصحيح بكونه آية معجزة هو فهمه الذي يعرف به وجه إعجازه وكونه آية تشتمل على آيات كثيرة. وان جماهير علماء العقائد قد قرروا ان أقوى وجوه الإعجاز فيه هي بلاغته وأسلوبه،وهل يعرف هذا الا من يتقن العربية إتقانا ؟

(٢) ان الله قد أنزل القرآن هدى للمتقين ورحمة لقوم يؤمنون ولا يهتدي به الا من يفهمه كما هو بديهي ولا يفهمه من لا يعرف العربية

(٣) ان الله تعالى قد حث على تدبر القرآن في آيات كثيرة « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ،ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم » «أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ، أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون » ؟ ولا يمكن تدبره الا بفهم لغته

(٤) ان الله قد أوعد من يعرض عن القرآن بترك تدبره والاهتداء به أشد الوعيد كقوله «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى» الخ الآيات ، ومن البديهي ان ترك تدبره والاهتداء به هو عين الاعراض عنه والهجر له الذي يخشى ان يدخل صاحبه في زمرة من اشتكى منهم الرسول (ص) الى ربه عز وجل كما قال تعالى في سورة الفرقان « قال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا» وقد بالغ بعض علماء الحنفية في التوقي من الدخول في زمرة هؤلاء حتى قالوا انه يكره ان يواظب المرء على قراءة سورتي الم السجدة والانسان في صلاة فجر الجمعة لما في ذلك من هجر غيرهما من القرآن!! فاذا قالوا في قراءة سورتين وردت

قراءتهما في السنة فاذا يقولون فيمن لاحظ له من فهم شيء من القرآن لعدم معرفته؟!

(٥) ما تقدم شرحه في وجوب اخذ العقيدة من القرآن أو مطابقتها له على الاقل

(٦) ان الصلاة وهي عماد الدين المفروضة على كل مسلم ومسلمة لا تصح الا بقراءة شيء من القرآن فيها و بأركان أخرى كالتكبير والتشهد كلها عربية والمقصود منها فهمها لان فهمها هو الذي يؤثر في النفس ويذكرها بعظمة الله تعالى ومراقبته فتكون جديرة بأن تنهاه عن الفحشاء والمنكر كما وصفها الذي فرضها بقوله « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وبأن تكون عونا للعبد على مقاومة المصائب والنوائب كما قال تعالى «واستعينوا بالصبر والصلاة » وبأن تحول بينه و بين الهلع كما جاء في سورة المعارج ومن لا يعرف العربية لا يستفيد من صلاته ذلك ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا كما ورد

(٧) ان الخطب المشروعة في الاسلام من مفروضة ومسنونة كخطبة الجمعة والعيدين وعرفة كلها تؤدى باللغة العربية لغة الدين ، فمن لا يعرف العربية من المسلمين لا يستفيد منها بل تكون هذه العبادة كسائر عباداته العربية رسوما وتقاليد صورية والاسلام أجل وأكبر من ذلك

(٨) ان الاسلام قد جاء بدعوة جميع البشر الى ترك الشقاق والعداوات الجنسية والدخول في السلم كافة ليكونوا أمة واحدة ويتآخوا في هذا الاصلاح فلا يتعصب أحد لجنس على جنس كما ثبت في آيات واحاديث كثيرة ، ولا يتم هذا الارتباط والتآخي بين الداخلين في هذا السلم الا اذا كان لهم لغة واحدة يتعارفون بها ، وهل توجد لغة لهذا الجمع الكبير من الاخوة يتعارفون بها غير لغة الدين الذي يتعرفون به الى ربهم عز وجل ويرجون رحمته ويخشون عذابه ؟؟

هذا ما اتسع له الوقت القصير من البينات على وجوب تعلم المسلمين لغة دينهم كتبته في أحد الاندية العامة في القسطنطينية على عجل وقد قرب الوقت الذي اودعه فيه بالبريد فاكتفي به لاشير الى شبهة ترد عليه وهي :

ينكر علينا ما تقدم بعض المتفرنجين من المسلمين ، الذين غلبت في نفوسهم نزعة الجنسية الجاهلية على نزعة الدين ، فهم يحاولون مقاومة ما يجدونه في العالم الاسلامي

من الشعور بخطر التفريق والميل الى التعارف وإحياء مااندرس من معالم الاسلام
فيقول هؤلاء المنكرون إن الاسلام ليس له لغة فيمكن لكل جنس من الاجناس التي
دخلت في الاسلام ان يترجم القرآن والاحاديث الى لغته ويستغني بها عن الاصل
العربي وقد بينا في المنار من قبل ان ترجمة القرآن ترجمة تقوم مقام الاصل متعذرة
فان القرآن معجزة تشتمل على معجزات كثيرة ولايمكن ان تكون الترجمة كذلك ٠
وان القرآن مؤثر بأسلوبه في القلوب ولا تكون الترجمة كذلك كما بيناذلك بالايجاز
في أول هذه الفتوى وسنزيد ذلك بيانا في وقت آخر

واما زعم اولئك الجاويين أن دولة الخلافةالجديدة لم تجعل لهذه اللغة مقاما في
بروجرام مدارسها الخ ماقالوه فهو زعم باطل وكدنا نغتر بمثله اذ أطلعنا بعض الناس
هنا على آخر بروجرام المدارس الاعدادية فرأينا فيه عدد الدروس العربية مساويا
في بعض السنين للغة الارمن ولغة البلغار الاختياريتين، وقد اشرنا إلى هذا في مقالنا
« العرب والترك » الذي كتبناه ونشرناه في بعض جرائد العاصمة نصيحة لأولي
الامر ثم راجعنا البروجرام كلهفوجدنا ان دروس العربية في النحو الصرف وحفظ
بعض المنثور والمنظوم قد قررت فيه تقريرا ٠ نعم ان ماهو مقرر غير كاف وانهذه
البروجرامات والقوانين لاتنفذ كما يجب ولكن كانهذا من طبيعةالخلل الذي جرت
عليه الدولة في دور الاستبداد الطويل العريض ونرجو ان يصلح الحال في دور
الدستور وان كان يوجد في بعض رجال الحكومة الآن أفراد كثيرون متعصبون
للجنسية التركية تعصبا ضارا وهؤلاء هم الذين حاولوا جعل المرافعات في محاكم البلاد
العربية بالتركية وترون بيان ذلك مفصلا في مقال « العرب والترك » من هذا الجزء،
ونحن ساعون في تدارك ذلك والله الموفق

***

﴿ الزكاة في القراطيس المالية ﴾

(س ٤٠) من صاحب التوقيع الرمزي في (سمبس برنيو)

حكيم الاسلام والمسلمين ، سعد الملة والدين ، حضرة سيدي الاستاذ السيد

محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر متعني الله بعزيز وجوده آمين

بعد إهدائكم عظيم تحيتي واحترامي جزاكم الله عنا جزاء موفورا وجعل سعيكم سعيا مشكورا على فتياكم في حكم القراطيس المالية بوجوب الزكاة فيها . وهي التي نعتمد عليها ونتمسك بها غير اني أرجو من فضيلة سيدي الجواب عما سألت عنه وهو : من أي طريق عدت هذه القراطيس من النقود الذهبية ؟ واستمهلت حتى أرفعه الى حضرة سيدي فوضحوه لي أشكركم

وأرجو أيضا سيدي أن تنظروا الى أقوال القائلين في هذه القراطيس منهم من قال أنها لا تجب فيها الزكاة الا زكاة التجارة وأنها كفلوس النحاس في عدم وجوب زكاة العين فيها اه ومنهم من قال انها في حكم السندات تجب فيها الزكاة على قدر الدراهم التي بها من فضة أو ذهب اه

فهل هذان القولان لهما وجه صحيح أم لا ؟ تفضلوا سيدي بزيادة الايضاح في هذه المسألة حتى لا أعيد ذكرها بعد . ولكم من الله جزيل الاجر ومنى جميل الحمد والشكر ملتمس الدعاء

م . ب .

(ج) ان هذه القراطيس لا يفرق بينها وبين نقد الذهب أحد من الماليين كما هو معروف للمتعاملين بها وهناك اوراق أخرى تسمى سندات مالية تؤخذ في مقابلة حصة معينة بالسهام من شركة مالية وهي أشبه بعروض التجارة لان ثمنها يزيد في السوق وينقص وتباع كذلك وتشرى ولكنها لا قيمة لها في ذاتها

وقد يفتي بعض الفقهاء في المسائل المالية المستحدثة في هذا الزمن وهو على غير بينة من انواعها وعرف الناس فيها ومن كان عارفا منهم بذلك يقيس عرف الحادث على ما يراه اشبه به في عرف سابق مما تكلم عنه الفقهاء فبعضهم يرجح في ذلك جانب المعنى أو المقصد ومنهم من يرجح جانب اللفظ أو الصورة فمن قال ان القراطيس المالية التي تدعى « بنك نوت » و يطلق عليها بعض العرب لفظ « الانواط » هي من عروض التجارة وجعل التعامل بها كبيع العرض بمثله أو بالنقد فقد بالغ في الوقوف عند ظاهر الصورة ، فالعروض قيمها ذاتية وهذه لا قيمة لها في ذاتها ومن

قال انها في حكم السندات والسفاتج راعى الصورة ايضا من جهة والمعنى من أخرى ووجه قوله انها اوراق تؤخذ في مقابلة نقد ويسترجع مثل ذلك النقد باعادتها ، وغفل عن الفرق الكبير بينها و بين السندات بالمعنى الفقهي وهو ان السند يكون بدين على شخص معين وهذه القراطيس تروج في الاسواق المالية فيشتري بها من كل احد كالنقدين بلا فرق ...

هذان القولان يتفقان مع قولنا في غايته من حيث الزكاة إلاعند من يقول ان الدين لازكاة فيه قبل قبضه و يترتب على الخلاف من المسائل المهمة ان جعل القراطيس المالية كالنقدين يقتضي وقوع الربا فيها وهو ما نجزم به ومن قال إنها عروض تجارة منع الربا فيها وحينئذ يسهل على كل أحد أن يأكل الربا أضعافا مضاعفة بهذه الاوراق التي لا فرق بينها و بين الذهب عند أحد من الماليين ، وكذلك القول بانها في حكم السندات قد يكون موصلا لا كل الربا ولمنع الزكاة ولا حاجة الى تفصيل فمن نظر الى حقيقة المسألة في الواقع واحتاط لدينه اخذ بما قلناه والسلام

***

﴿ الاحاديث الموضوعة في كتاب الاحياء ورواتها ﴾

(ص ٤١) ومنه أيضا

حضرة العلامة المفضال سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء متعني الله بعزيز وجوده آمين

بعد اهداء أزكى السلام والتحيات العظام: تعجب بعض الافاضل مما ذكر في كتاب أسنى المطالب ونصه « اعلم ان كتاب الاحياء لسيدنا الغزالي مع جلالة قدره وعلو مرتبته ورسوخ قدمه في العلم لايعتمد عليه في الحديث لذكره في كتابه المذكور جملة من الاحاديث الموضوعة » اه (ص ٢٦٨) فهل يتصور أن حجة الاسلام شحن كتابه الجليل بالموضوعات ؟ خصوصا وقد زينت مجلة المنار بترجمة صاحب ذلك الكتاب وقد قلتم : وانما صرحت بهذا ليعلم من يقرأ ترجمة حجة الاسلام في

المنار — الى قولكم — ولعل ذلك يكون مشوقا لهم (أي طلاب العلوم والازهريين) الى مطالعة الاحياء وغيره من كتبه (٨٥١ — ١٠ ص ٥٩٥)

وعليه فهل يجوز لمن لا يتميز له الصحيح من الضعيف أو نحوه رواية أو قراءة ما فيه من الاحاديث احتياطا أم لا ؟ تفضلوا سيدي ببيان الحق لئلا نكون في ريب مما أتى به حجة الاسلام من أحاديث سيد الانام لا زلتم في اجلال وا كرام

(ج) ان ماقاله صاحب كتاب أسنى المطالب حق وسنذ كر ذلك في ترجمته التي ننشرها في المنار فان لها بقية صالحة ، وان أبا حامد الغزالي رحمه الله تعالى لم يعن في أول امره برواية الحديث وحفظه وكذلك كان الكثيرون من الفقهاء والمتكلمين والصوفية ولا سيما في عصره و بعد عصره ، وانما عني بالحديث في آخر عمره . وقد جمع التاج السبكي في ترجمته هذه الاحاديث المطعون في روايتها في عدة صحائف من طبقات الشافعية الكبرى ووضع الحافظ العراقي كتابا خاصا في تخريج أحاديث الاحياء وهو الذي اعتمد عليه الزبيدي في شرحه للاحياء وزاد عليه مباحث وفوائد وإذا كان الامر كذلك فلا يجوز لغير العارف بالحديث المطلع على تخريج تلك الاحاديث ان يعتمد عليها في الاستدلال أو يجزم برفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ما اسنده الغزالي الى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث المعتبرة وهو يفعل ذلك كثيرا في مقام الاحتجاج والاستدلال بعزو الحديث الى الصحيحين أو كتب السنن . وا كثر ما فيه من الاحاديث الضعيفة والموضوعة قد ذكر في مقام الترغيب في العبادات والفضائل (كصلاة الرغائب في رجب وصلاة شعبان) أو الترهيب والتنفير عن المعاصي والرذائل ، وهم يتساهلون في مثل هذا المقام بتأييد كلامهم بالروايات الضعيفة على ما في ذلك من الخلاف والتفصيل في شروط جوازه عند من أجازه . وحاش للغزالي من تعمد ايراد الموضوعات وانما نقل ما نقله منها من الكتب التي أحسن الظن بمؤلفيها كقوت القلوب لأبي طالب المكي فمعظم الاخبار والآثار الضعيفة والمنكرة والموضوعة في كتاب الاحياء منقولة من ذلك الكتاب

العرب والترك (*)

٤

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

قد انشق ليل الاستبداد عن صبح الدستور والعثمانيون الذين في بلادهم نيام يغطون : بعضهم يرى احلاما مخيفة ، وبعضهم يرى احلاما سخيفة ، والذين في بلاد الحرية قيام يرقبون : بعضهم يتعلل بالآمال القوية ، وبعضهم يلهو بالاماني الضعيفة ، فاستيقظ بصوت مؤذنه النائمون ، وحمد عقب سُراهم المجدّون ، وعاود الرجاء نفوس اليائسين ، وغادر الغداء قلوب المتدابرين ، واقبل المسلم بوجهه على النصراني ، والتركي على الارمني ، وعانق الشيوخ القسوس ، وصافحت الشعوب الشعوب ، واذّن مؤذّن بينهم (عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام)

هكذا كان العثمانيون في نشوة من السرور العام ، الذي كاد يكون من اضغاث الاحلام ، أو من خوارق العادات ، بعد انقضاء زمن المعجزات ، لتأليف الدستور بين الشعوب الكثيرة المختلفة في الاديان والمذاهب والمشارب والعادات واللغات والبقاع والتربية والتعليم ، وهي ضروب من الاختلاف لم تعهد في أمة ولا مملكة ، وبعضها كاف لاستمرار الاختلاف والافتراق ، ومنع الاتحاد والاتفاق ، وانهم لكذلك واذا بنبأة من بعض الترك بمصر ، ونبآت من كتابهم بالاستانة ، قد اجفلت الوادعين الساكنين ، وروّعت الآمنين المستبشرين ،

كتب أحد شبان الترك المقيمين في القطر المصري مقالات في جريدة الأهرام

(*) تابع لما نشر في ص ٨١٨ ج ١١ من هذا المجلد

يفاخر فيها العرب بقومه وجنسه معبرا عنهم بالملة المالكة، متبجحا بزعمه انهم هم وحدهم الذين أزالوا الحكومة الاستبدادية، وأدالوا منها الدستور والحرية، وانهم هم وحدهم الذين لهم الحق بالتمتع بثمرات الدستور الكاملة، وليس للعرب ولا لغيرهم من الاجناس ان يطمعوا في مساواتهم في مناصب الدولة وأعمالها لأن ولاياتهم مستعمرات أو مستملكات للترك! فيجب ان يكون قصارى حظ العرب من الدستوران يستريحوا من اعباء الظلم ويتذوقوا طعم العدل فيكونوا من الترك كأهل الجزائر من فرنسا أو أهل الهند من انكلترا!!

هذه المعاني العالية كانت تصخ مسامع العرب أحيانا في عصر الاستبداد، وقلما كانت تكتب ولا سيما في مثل مصر التي هي أرقى من جميع الولايات التركية علما وعملا وثروة وحرية، وفيها الاقلام المرهفة، والالسنة الذلقة، والقلوب الجريئة، نعم كانت كتبت منذ بضع سنين في جريدة «ترك» التي كانت تصدر في القاهرة محررة بأقلام نفر من أذكياء الترك كعلي كمال بك وجلال الدين بك عارف. أسرفت تلك الجريدة في الفخر بجنس الترك معبرة عنهم بالملة المالكة وحقرت العرب في سياق الكلام عن مراكش ونصبت الميزان للترجيح بين الترك والعرب والخلافة العربية فجعلت العرب كلهم بمنزلة قبائل المغرب الاقصى وفاخرتهم بالترك في مدارسهم ودواوينهم وقصورهم وجيوشهم وملأت مواضعها بالفخر والتبجح ناسية ما يكتب فيها وفي غيرها من الجرائد العثمانية في البلاد الحرة في وصف مظالم خليفتهم عبد الحميد خان وافساده للمملكة وتخريبه للولايات التركية والعربية والكردية والالبانية والرومية ومنعه للعلم وعبثه حتى في الجيش وفرار كتاب جريدة «ترك» وغيرهم من ظلمه الى مصر العربية. ولا أقول ان كاتب تلك التبجحات الفتة الباردة نسي عدل الخلفاء الراشدين وعلوم العباسيين في الشرق والامويين في الغرب بل أقول انه عمي عن البلاد التي اوى اليها والمدينة التي يطبع جريدته فيها وهو يرى العرب فيها أرقى من قومه علما وثروة ومدنية. ولكنني ذكرت تلك الجريدة يومئذ بخطأها في تحريك العصبية الجنسية التي أماتها الاسلام وبوجوب اتحاد العرب والترك وضرر تفرقهم باختلاف الجنس. وبأن العرب اذا فاخروا أي جنس بجنسهم فانهم يفخرونه ويبذونه :

هم الاولى ان فاخروا قال الملا بني امرىء فاخركم عفر الثرى
هم الاولى جوهرهم اذا اعتزوا من جوهر منه النبي المصطفى

وانما كتبت ذلك الرد في المنار على جريدة ترك، لئلا يغريها السكوت عنها بالتمادي في ذلك التبجح الذي يولد الاضغان و يورّث الاحقاد و ينفر المصريين وغيرهم من الدولة العلية ، و يفتح في المسلمين باب الشقاق باختلاف الجنسية ، ولكن كتاب تلك الجريدة صاحوا بعد ردي صيحة أخرى ثم خفت صوتهم لاني لم أشأ أن تستمر المناظرة في ذلك . ثم قام أحدهم جلال الدين بك عارف يوم احتفالنا باعلان الدستور خطيبا فقال : اننا اليوم قد تنازلنا عن كلمة « ترك » وهي محبوبة لنا فكلنا عثمانيون لافرق عندنا بين الترك والعرب والروم والارمن وغيرهم ، فصفقت الجماهير المختلفة لقوله هذا تصفيقا وكذلك قال غيره من سائر الخطباء العثمانيين ونادى لسان الحال والمقال الدستور يجبُّ ماقبله كما ورد في الحديث الشريف « الاسلام يجبُّ ماقبله »

فلما انبرى ذلك الكاتب التركي بعد ذلك لكتابة ماذكرنا تذكر الناس ماكان كتب من قبل وما كان يقال ، وأقبل العثمانيون بعضهم على بعض يتساءلون : قال أكثر من واحد منهم ان القوم لايتركون مايألفون وانهم سيستبدون مجتمعين كما استبد آحادهم (كعبد الحميد) منفردين ، وربما كان استبداد الجماعة أشد وأبقى من استبداد الواحد . وقال الاكثرون : إنْ هذا إلا شاب مغرور لايزال جذعا في السياسة وان القرّح والبزّل من ساسة الترك المحنكين لايقولون بقوله ، ولا يدينون برأيه، ولكن لم يلبثوا ان سمعوا تلك النبآت الاخرى من جرائد العاصمة (الآستانة) ورأوا اعمالا من الحكومة الجديدة استدلوا بها على التحامل على العرب وهضم حق العربية فنفرت القلوب وساءت الظنون

قامت بعض جرائد الآستانة تضرب على نغمة التغاير بين الترك والعرب وتلفظ بتلك الكلمات المنفرة « ملة مالكة، مستملكات، استقلال العرب ، الخلافة العربية، بغض العرب للترك ، فضل الترك على العرب، عجز العرب عن تدوين لغتهم ، ونشر الاسلام خارج جزيرتهم » الى غير ذلك من الكلم الدال على الجهل بالتاريخ أو تعمد العبث به فيما يضر ولا ينفع . وكان من أشهر هذه المباحث التي حركت التغاير،

واحدثت التنافر، مانشر في جريدة (اقدام) من اقتراح تنقية اللغة التركية من الالفاظ العربية، وما أودعه بعض الكتاب في مقالات نشرت فيها عن السنوسية، ومنها طعن بعض الجرائد في المصريين وفي الدمشقيين خاصة، وأهل هذين المصرين هم اعظم العرب حضارة وأوسعهم مدنية وفيهما السراة والاباة والعلماء والكتاب

رب قول يصدر عن حسن نية ويكون جديرا بأن يحترم وان كان خطأ يحدث من الاثر السيء مالم يكن يراد به، ويتفاقم ذلك بمقتضى الحال وطبيعة الزمان، وطريقة الاداء والتعبير، وكذلك كان حظ اقتراح صاحب (اقدام) بدعواه في تنقية التركية من الالفاظ العربية – يقول هو ان هذا بحث فني محض وان الغرض منه الاستغناء عن الالفاظ العربية التي يوجد في التركية مايقوم مقامها، ولكن لماذا طلب هذا المصلح اللغوي تطهير لغته من العربية دون الفارسية والفرنسية؟ ونقول ان هذه فلسفة مبتسرة كان يجب عدم الخوض فيها الآن وان الكلام عندما ينقل من لغة الى أخرى ويتحدث به الخاص والعام يعرض له التحريف والتبديل ويفسر بحسب الحال الغالبة فقد شاع في بلاد سورية ومصر وغيرهما من البلاد أن بعض كتاب الترك يدعون قومهم الى الابتعاد عن العرب حتى في ترك الالفاظ العربية المستعملة في لغتهم وانهم يعبرون عن ذلك بلفظ التطهير كأنهم يرون اللغة العربية نجسة قد تدنست بها التركية !! وانتقل بعض الناس من الملزوم الى اللازم فقالوا إن هذا الكلام يمد خطنا في كتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وان هذه الدعوى قد تكون مقدمة لدعوة أخرى تترتب عليها اذا أجيبت وعمل بها وهي الدعوة الى الارتداد عن دين الاسلام لأن أصله وأساسه من الكتاب العزيز والسنة السنية، وانما هما باللغة العربية، والرسول الذي جاء به عربي (صلى الله عليه وسلم)

الى هذا الحد البعيد وصل سوء تأثير ذلك الاقتراح الفني لنشره في هذا الوقت النحيف (أو النازك كما تقول الترك) الذي يجرحه مر النسيم، ويدميه لمس الحرير، وقد ردت بعض الجرائد العربية على هذا الرأي فعرفه الناس وعدوه ذنبا للترك ولم يعلم السواد الاعظم منهم ان من كتاب الترك انفسهم من رد على مقترحه بأوسع مما رد به كتاب العرب

وقد سمع أيضا من جريدة طنين كلام في غمص العرب لم يكن كطنين الذباب

فيناسب اسم الجريدة بل كان كدوي المدافع وقصف الرعود ولاشتهار هذه الجريدة بأنها لسان جمعية الاتحاد والترقي ومظهر سياستها وكان الجمعية من سياسة الدولة معروف ولاسيا في اوائل العهد بالانقلاب — فهذا من الاسباب القولية في سوء التفاهم والتنافر بين الترك والعرب الذي نجم قرنه بعد الدستور فزلزل الآمال الجميلة وأساء تعبير الاحلام اللذيذة ، وقد سمع شيء منها من بعض رجال الحكومة الدستورية كطعن سليمان بك نظيف والي البصرة في الحزب الوطني المصري وهو في مصر اثناء مروره بها في سفره الى البصرة وقد اشتهر هذا لرد جريدة اللواء عليه ولكنه قال قولاً آخر شرًا منه وأسوأ تأويلاً : قال في سياق الكلام على الفتن التي تحدث في جزيرة العرب ما مآله : ان الدولة مستعدة لسحق أولئك العرب بالقوة القاهرة فان عندها سبعة فيالق من الابطال !!! فهل يصح أن يقال مثل هذا القول بمصر أو بغير مصر ؟ وهل تدرب الدولة الجند من ابناء الامة لاجل سحقها وتدميرها ! ؟ أم لاجل حمايتها وتعزيزها ؟ أما كان ينبغي له أن يقول ان أولئك العربان وغيرهم كانوا مرهقين بالظلم وسوء الادارة وسنريهم العدل والنظام فنجعلهم بذلك يتفانون في حب الدولة وطاعة الحكومة ؟؟

ومن أسباب سوء التفاهم ان كثيرًا من احرار العرب الذين جاهدوا في سبيل الدستور حق الجهاد (ومنهم من هو معروف الاسم أو الشخص عند اكثر احرار الترك) وكثيرا من الفضلاء والكتاب الذين أظهروا الاحتفال بالدستور بخطبهم ومقالاتهم جاؤا الاستانة زائرين ومختبرين ، وأكثرهم كانوا ممنوعين منها ومحرومين ، فلم يعبأ بهم احرار الترك ولا رأوا منهم عواطف الاخاء كما رأى الارمن مثلا !

وأما الأسباب المتعلقة بحكومة العاصمة فنها اسرافها في عزل ابناء العرب من وظائفهم حتى انها عزلت في وقت قصير زهاء بضعة عشر متصرفا منهم ، ومنها بخلها بالوظائف على طلابها منهم وجودها بها على غيرهم من العناصر الاخرى ، ومنها تعجلها بأمور تشعر بتعمد اضعاف اللغة العربية كجعل المرافعات في محاكم الولايات العربية باللغة التركية مع علمها بأن الناس يجهلونها في الغالب حتى وكلاء الدعاوي (المحامين) — وكجعل الكشوف (البيانامه) التي يقدمها التجار من ابناء العرب

في بلادهم الى ادارة المكس (الجمرك) باللغة التركية أو الفرنسية مع تعسر ذلك أو تعذره عليهم واقتضائه نفقات كانوا في غنى عن بذلها — وكعدم قبول عرائض الشكوى بالعربية حتى في مجلس الامة مع ان المشتكين من الامة وهي ذات لغات متعددة للعربية منها مكانة خاصة من حيث هي لغة الدين الرسمي الذي يكفله مقام الخلافة كما سنبين ذلك بعد

ومنها ما يتعلق بنظارة المعارف خاصة كالغاء الدروس العربية من المكتب الملكي في العام الماضي (ولكنهم أعادوها في هذا العام) وكجعل العربية في المدارس الاعدادية اختيارية كاللغة الارمنية واللغة الرومية وعدد دروسها كعدد دروسهما مع كون العربية أصلا من اصول اللغة الرسمية يحتاج اليها في اتقانها أكثر مما يحتاج الى اللغة اللاتينية لاتقان الفرنسية ، وكونها ينطق بها أكثر العناصر العثمانية عددا وأقلهم لها معرفة ، وكونها لغة الدين الاسلامي الذي هو الدين الرسمي للدولة — وكارسال النظارة خمسة وسبعين تلميذا من مكاتبها الى أوربا لتحصيل العلوم العالية ليس فيهم غير اثنين من ابناء العرب — وكارسالها معلمين من الترك الى مدارس البلاد العربية لأجل تعليم العربية نفسها وهم يجهلونها — وكتعصب بعض المعلمين في المكاتب العالية على ابناء العرب واسماعهم ما يجرح عواطفهم حتى في الدروس

ومنها ما يتعلق بنظارة الحربية كاستحضارها الضباط ولا سيما اركان الحرب منهم من الولايات العربية الى سلانيك والآستانة ثم تفريقهم في البلاد التركية — وكاخراجها بعض التلاميذ العرب من المكتب الحربي حتى بصورة اداوية كما أشيع في مصر وغيرها . ولعل الشبهة اوالشبه المتعلقة بنظارة الحربية اضعف من الشبه المتعلقة بغيرها ولا أرى شيطان التفريق بين العنصرين يقبل وسواسه فيها فالحربية في دولتنا هي أرقى ما فيها فنسأل الله تعالى لها ولسائر النظارات أكمل التوفيق وأتم النظام

ومنها ما يتعلق بمجلس الاعيان فقد كان ينتظر أن يكون فيه اعضاء من العرب ولو بعدد ولاياتهم ان لم تقل بحسب عدد نفوسهم ولكن ذلك لم يكن

ومنها ما يتعلق بمجلس المبعوثين وهو المظهر الا كمل المساواة والاخاء ولكن

اخباره في السنة الماضية لم تكن تدل على ما نحب من توثيق الرابطة بين العرب والترك كسائر العناصر بل وجد العرب اموراً منتقدة ، ووجوها متجهمة ، وسمعوا من بعض اخوانهم كلاما لا نحب أن يكتب و يطبع ونرجو أن يكون هذا العام خيرا من سابقه وأن يكون مجلسنا وسائر امورنا العامة في ارتقاء دائم بالاخاء الصحيح والمساواة مع الاخلاص بسعي الفضلاء محبي الوفاق من العنصرين وسائر العناصر

تلك كليات من اسباب ما سميناه سوء التفاهم بين الترك والعرب وفي ضمن تلك الكليات جزئيات كثيرة

لا أقول ان كل ما روي من ذلك صحيح المتن والسند ، ولا أقول ان ما صح منها كان بسوء النية وتعمد هضم حقوق العرب ، ولكنني لا أستطيع أن أنكر قول من يقول انها في مجموعها تفيد التواتر المعنوي الدال على انه يوجد في رجال الدولة ورجال الصحافة التركية أناس يسيئون الظن بالعرب ولا يعطونهم حقوقهم ولا يعرفون قيمة اتحادهم بالترك واتحاد الترك بهم ، وانه تتوقف عليه حياة الدولة العثمانية و بقاؤها وان هذا الاتحاد تقتضيه طبيعة العنصرين الاجتماعية وان دار الخلافة والسلطنة هي الآلة التي يكون بها التركيب والتحليل ، وان الكيماويين الاجتماعيين الذين يحركون هذه الآلة هم رجال الحكومة ورجال الصحافة ، وانه يجب في هذا الدور — دور الانقلاب والتحول من الاستبداد الى الدستور — أن يؤخذ على أيدي المحللين بسوء القصد أو بسوء الفهم حتى لا ينقل عن العاصمة الا ما يدل على ارادة المزج والتركيب والاعتصام والتأليف . ولكن وجود هؤلاء الجاهلين بهذه الحقائق والمسيئين الى العرب بأقوالهم وأفعالهم لا ينافي كون العنصر التركي أخا للعنصر العربي ومحبا له كما يحبه هو ، ولذلك قلنا فيما سبق من نبذ مقالنا هذا ان التغاير والتنافر محصور بين المتزاحمين على اعمال الدولة ومناصبها و بين رجال الصحافة وحملة الاقلام وسأبين طريقة تداركه مع حفظ حرية الصحافة وتنفيذ قوانين الحكومة أو بترجيح الترك في المناصب ترجيحا مقرونا بالحكمة والذوق

ان ما أشرت اليه من اسباب سوء التفاهم قد سرى في اكثر البلاد العربية ولا سيما أرقاها وهي المصرية والسورية بسرعة الكهرباء وكثر حديث الناس فيه

وخاضت فيه الجرائد ولها العذر وتبارت فيه اقلام الكتاب والشعراء فيجب تداركه قبل أن يتم نشره فيصل الى سائر البلاد والبوادي وقبل أن تضعف حجة امثالنا من محبي الوفاق والساعين في الاتحاد الذين اجتهدوا ولا يزالون يجتهدون في الاعتذار عن الحكومة ، وما كل عذر يقبل ولا سبيل الى ايصال الاعذار الى الملايين

اذا قلنا ان الحكومة عزلت الجم الغفير من عمالها العرب لأنها تظن انهم من صنائع أبي الهدى وعزت العابد قال لنا ولماذا لم تعزل جميع رجال الدور السابق وهم صنائع عبد الحميد وبقية رجاله من الترك وقد ثبت بالعيان والبرهان انهم خربوا المملكة لان العمل كان في أيديهم ؟؟ وكم سألنا وسأل غيرنا من الناس : ماذا ثبت على أبي الهدى وعزت العابد من الخيانات والاعمال المخربة للدولة ؟ أما أنا فلا أعرف لهما ذنبا خاصا وراء ثقة عبد الحميد بهما وما نالاه بها من مال وجاه الا أن الاول آذاني وآذى اهل بيتي بسعيه او سعايته والثاني اذا كان لم يوافق على ذلك فانه لم يعارض فيه ، فانا على عدم حمدي لاحد منهما وعدم دفاعي عنهما لا أرى من العدل عزل كل من نال عملا في الحكومة بجاههما ، وأعلم ان كثيرا ممن عزل من العرب لم يكن له صلة باحد منهما ، وان بعض المنتمين اليهما لا يزالون في اعمالهم . وانما اعذر الحكومة بعض العذر بأن اكثارها من عزل العرب وغيرهم كان من بعض الاضطراب الذي جاءت به طبيعة الانقلاب ، وقد آن أن أبين شيئا من ضرر التنافر ، وطريقة ازالة سوء التفاهم ، وقطع عروق التقاطع والتدابر ، وهو موضوع النبذتين التاليتين

٥

ما كاد ليل الاستبداد ينجلي بصبح الدستور ، وتنقضي أيام الاحتفال بعيده في فرح وسرور ، الا وبادر كاتب هذا المقال الى زيارة القطر السوري زائرا ومختبرا للبلاد التي نشأ فيها وحجبه الظلم الحميدي عنها احدى عشرة سنة ، فطفت المعاهد ، وبلوت الافكار والسرائر ، فما رأيت فيها رأيت للنزعة الجنسية العربية حركة ، ولا سمعت فيما سمعت لها دعوة ، اللهم الا نبأ لداعية الجمعية العربية العثمانية ، منعكسا عن الآستانة العلية ، لم يفهم منه معنى التفرقة ، ولم تشتد من الجمهور فيه الرغبة ، وكنت

مع هذا انفر الناس عن هذه الجمعية، وأتشاءم من تسميتها بالعربية ، لئلا يفهم منها إخواننا الترك معنى العصبية الجنسية . بل أقول طالما السماح والعفو من مؤسسيها أني لم أكن أحسن الظن فيهم، ولا أبرئهم من الاغراض الشخصية ـ دون الجنسية ـ في عملهم ،

وكنت أقول في خطبي ودروسي في البلاد انه يجب على كل بلد أو ولاية عثمانية أن تُعنى بترقية نفسها بالعلم والثروة ، لتكون عضوا قويا عاملا في بنية الامة ، وعضدا عظيما لتعزيز الدولة ، لا لأجل انفراد أهلها بنفسهم ، أو اعتصامهم بأبناء جنسهم ، (اي الجنسية اللغوية لا السياسية) فان الامم المستقلة في أحكامها المختلفة في لغاتها ومذاهبها ومواقعها ، يتحد بعضها ببعض ليقوى الجميع بالمحالفة ، فكيف تضعف الشعوب العثمانية نفسها وهي أمة واحدة ـ بالتفرق والمخالفة ، ثم ان على العرب ان يحيوا لغتهم، وان يطالبوا الدولة بمساعدتهم ، لان لغتهم في الدرجة العليا من الارتقاء ، ولها في العلوم والآداب أفضل تُراث ، وهي لغة الاسلام ، التي يتدارسها المسلمون من جميع الشعوب والاقوام ، فهي رابطة الاخاء والمودة المعنوية ، بين الملايين المذعنين للديانة والخلافة الاسلامية ، فترقية هذه اللغة خدمة للدولة العلية وترقية لها ـ فكنت أرى الجماهير يتقبلون كلامي بقبول حسن وما كنت أرى أحدا يعارضني بتوهم الفصل بين الترك والعرب ،

هذا ما كانت عليه البلاد في العام الماضي وكانت قد نجمت قرون الخلاف ولكن لم يشعر بها الجمهور فلما كثرت وكبرت كما بينا في النبذة الرابعة تنكر الناس في سورية ومصر وخاضت في المسألة الجرائد العربية حتى في أمريكا وتبارت فيها قرائح الشعراء وتجاوبت فيها الاصوات ، حتى عمت البلاد والجهات ، فاهتزت بذلك النعرة العربية اهتزازا شديدا ، وصبغها بعضهم بصبغة الدين فكان تأثيرها عظيما ، ومن المعاني التي نظمها الشعراء وخطب بها الخطباء ونشرت في الجرائد المصرية : ان الترك جاروا على لغة القرآن وعدوها من النجاسات !! فانفطرت القلوب ، وفاضت العيون ، وضج البيت والحرم ، وكاد الركن يتحطم ، وشكا القبر المعظم ، وغضب الرب عز وجل ...

فهل تظن حكومتنا العليا ، وأصحاب الجرائد التركية في عاصمتنا ، ان هذه الغارة الشعواء هين أمرها، خفيف وزرها ،مأمونة عواقبها ،اذا ألقي حبلها على غاربها ؟؟ كلا ان من عرف حقيقتها ،وتفكر في عواقبها ، يعلم ان الامر إدّ ، والخطب جدّ ، وانه يجب اخذه برُبَّانه ، وتداركه في إبَّانه ، قبل ان يستقر في نفوس العامة ، وتقتنع به الحاضرة والبادية

ان هذا العاجز على ضعفه صوتا مسموعا في البلاد العربية ،وفي غيرها من البلاد الاسلامية ،وقد دافع بقدر طاقته ، عن الدستور والقائمين به، حتى أزال كثيرا من شبهات المشتبهين ، ومكَّن الثقة في نفوس الجماهير من المتزلزلين ، وهو على ذلك وعلى حرصه على الاتحاد والاعتصام بين جميع العناصر العثمانية لم يستطع ان يقف في مجرى التيار الذي حركته تلك الاقوال والافعال التي أشرنا اليها في نفوس العرب كما وقف في مجرى التيار الذي حركه خلع عبد الحميد في بلاد الهند وفي غيرها من البلاد ،بل رأيت ان هذا التيار قد تدفق من (الدردنيل)فلا بد من السعي الى قطعه من هنالك ، فكان أحد باعثين بعثاني على ترك عملي بمصر في مثل هذا الوقت ، وتيممي عاصمة الملك كما سبق القول ، (وأما الباعث الآخر فسأبينه في مقال آخر انشره في بعض الصحف التركية ان شاء الله تعالى)

أحمد الله ان كانت هذه الحركة محصورة في دائرة الغيرة على اللغة العربية والمزاحمة في الوظائف والمناصب ، وصفوف المدارس والمكاتب ، وأنها لم تتعد الى مقام الخلافة ، ولا الى اساس الحكم والسلطة ، ولم يجر على لسان منتقد ولا خطيب ولا من قلم كاتب ولا شاعر دعوة الى الانفصال من الترك ، أو الاستقلال في الحكم ، ولهذا كان التدارك سهلا ،وحسن التفاهم ميسورا ،

ما رأيت خطأ بعيدا عن السياسة المثلى خارجا عن قواعد علم الاجتماع ،مثل خطأ رجال السياسة في الآستانة الذين يلغطون في الجرائد بذكر استقلال العرب والدولة العربية والخلافة العربية ،يتهمون العرب بطلب ذلك و يعدونه جهلا منهم لانه محال لتوقفه على المحال وهو اتفاق زعماء جزيرة العرب وشرفائها من جهة وعلى مساعدة أوربا

من جهة أخرى ، وما كان خطأ الحكومة في الاصغاء الى الواشي والتحقيق في مسألة الشام في هذا العام الا كخطإ الجرائد أو أشد

ذلك بأن هذه الاقوال والاعمال هي التي تشغل الافكار بما كانت خالية منه ، ويخشى ان توجه النفوس الى ما كانت غافلة عنه ، وتمدها لما لم تكن مستعدة له ، ألم تر أن علماء التربية يحرمون ذكر الالفاظ التي تدل على الرذائل وتثير كوامن الشهوات لئلا يدعو التفكر فيها الى الاقدام عليها ، حتى ان بعض الاوربيين حذفوا من معاجم اللغة ولا سيما التي يراجع فيها التلاميذ مثل لفظ الخيانة والسرقة كما اجمعوا على حذف ألفاظ الرّفث ، وعلى هذه القاعدة جرى عبد الحميد في منع الجرائد من كثير من الالفاظ التي توجه النفوس الى ما يراه مخالفا لسياسته ، ولا نجيز للحكومة الدستورية ان تحذو حذوه ولكن يجب عليها أن لا تكون هي المثيرة لتلك الافكار الضارّة كما يجب مثل ذلك على الجرائد من غير ان يمنعها منه القانون - فهذا هو مدرك قولي في النبذة الاولى من هذا المقال انني لم أذكر مسألة اقتراح شيخ لحج على امراء العرب في المنار ولا في غيره من الصحف « لاعتقادي انه لاضرر فيها وإنما الضرر في نشرها ، وخوض العامة بذكرها ، لما سأبينه بعد » وهذا بيانه :

ان عظمة الدولة العثمانية وعزتها وسائر ما يرجى لها في مستقبلها الدستوري يتوقف على العنصر العربي ما لا يتوقف على عنصر آخر من العناصر التي نطلب اتحادها كلها حتى التركي منها فان البلاد العربية المحضة أوسع من البلاد التركية المحضة مساحة وأغزر ثروة وأحسن موقعا وأشرف بقعة من حيث هي مهبط الوحي ومثابة الامم الاسلامية والنصرانية تهوي الى زيارتها من كل فج عميق . وأهلها أقدر على الزراعة والصناعة والتجارة فمن تجارهم في الصين والهند وجاوة واستراليا وأمريكا من يملكون الملايين . وأما ذكاؤهم واستعدادهم للعلم فهو اشهر من ان يوصف . وأما القوة الحربية فيمكن للدولة ان تجند منهم مليونا أو أكثر من أشجع خلق الله وأصبرهم على القتال ناهيك بفرسان العرب وخيولهم اذا تدربوا على الفنون العسكرية الحديثة ، وهل تكون الدولة بأمن من مطامع أوربا في العراق اذا أصلحت أرض الجزيرة (بين

النهرين) الا بتجنيد أولئك الاسود الذين يهابهم الموت ولا يهابونه، ولا تحتاج الدولة الى نفقة كبيرة في تجهيزهم عند الحاجة؟؟

إن قوام الدول وعظمتها في هذا العصر على مقدار ثروتها ، وانما ثروتها مستمدة من الامة وان أرجى عناصر الامة العثمانية لثروتها هو العنصر العربي وان ما بين النهرين (دجلة والفرات) من بلاده هو أخصب البقاع تربة وأوفرها غلة حتى قال هيرودتس شيخ المؤرخين انها كانت تؤتي غلاتها مضاعفة من مئة ضعف الى مئتي ضعف ثم كانت بعده هي ينبوع ثروة الدولة العباسية ، ولا يكون اشتغالها وحفظها للدولة في هذا العصر الا بالعرب وان شاركهم غيرهم في اصلاحها وثمرتها

مركز الدولة في أوربا محفوف بالمشاكل والقلاقل ، مضطرب بالمطامع والفتن ، ومركزها في الاناضول عرضة للفتن أيضاً فليس في ولاياتها اهدأ من الولايات العربية الحضرية كبيروت وفلسطين والشام وحلب ، واما ما كان يجري في الولايات التي تغلب عليها البداوة كاليمن فسببه سوء الادارة وفساد السياسة التي كانت عليها الدولة الى آخر يوم من أيام الاستبداد ولم تصلح الحكومة الدستورية من ذلك الفساد شيئاً بل لم تتق أسباب سوء التفاهم الذي تنشر أسبابه في ظل الحرية بسرعة البرق ، فعليها ان تتدبر وتعلم علم اليقين انه لم يجر الى هذا اليوم شيء من السعي ولا من التدبير لانفصال العرب من الترك ولم يمل الى ذلك أحد من المشتغلين بالسياسة العامة من العرب وانه لا يوجد سبب من الاسباب يوجههم الى هذا الا هضم اخوانهم في العاصمة لحقوقهم وأهمها التعالي عليهم بالجنسية التركية ، والتقصير في حفظ لغتهم العربية ،

***

سوء التفاهم محصور الآن في هذين الامرين : تعالي التركي على العربي بجنسه وإيثار نفسه عليه بأعمال الدولة ومكاتبها ، والتقصير في نشر اللغة العربية ، فأما الاول فانني أعذر الترك فيه من جهة وأعذل المتعصبين منهم على غيرهم من جهة اخرى : اعذرهم من حيث ان المتعلمين منهم قد جروا على اتخاذ اعمال الحكومة معاشاً وموردا للرزق وهم قلما يحسنون عملا آخر كما جروا على حسبان ذلك حقاً خالصاً لهم من دون سائر العثمانيين الذين اذا نالوا منه شيئاً فانما يكون من إيثار الترك لهم

على انفسهم دوءا لمفسدة اوجلبا لمصلحة ، فان كان الدستور قد ساوى بينهم وبين سائر العناصر في كل شيء فلا ننسى ان تطبيق الدستور على الامة ، يجب أن تراعى فيه الحكمة ، ومنها أن يكون بالتدريج ولا سيما فيما يتعلق بتغيير العرف والمعاملات المتبعة والعادات المألوفة ومن هذا الباب نلوم الحكومة في بعض المعاملات المخالفة للعرف التي يمكن تطبيقها على القانون اذا أسرعت فيها قبل اعداد الامة لها . فاذا نحن طالبنا الحكومة أن تجعل اعمال الحكومة مشتركة بين العناصر العثمانية على نسبة عدد كل عنصر منها نكون قد طلبنا الطفرة في التغيير وقطعنا على متعلمي الترك اوسع ابواب الرزق التي ألفوا الدخول فيها ، وجعلناهم دون سائر الشعوب العثمانية بعد أن كانوا فوقها من هذه الجهة التي هي اشرف الجهات في نظرهم ، فهل من الحكمة أن يكون أول حظهم من الدستور خسران اعظم شيء عندهم ؟ كلا اني أرى جميع عقلاء العرب يفهمون هذا و يقدرونه قدره وإنما ينكره ويتألم منه من هم مثل الترك في قصر هممهم على خدمة الحكومة واتخاذ ذلك وسيلة للمعيشة ، وهذه هي الجهة التي اعذل الحكومة على عدم مراعاتها وأطالبها بان تعدل في هؤلاء المتطلعين في سلكها والمرشحين انفسهم لذلك وان لا تشعر احدا منهم بان جنسه علة للتحامل عليه رفقا بهم واقناعا لهم ولغيرهم بانها تنفذ الدستور بالعدل والمساواة بقدر الاستطاعة وتفاديا من سوء التفاهم في هذا الدور الخطر - دور التحول والانقلاب

وليعلم الفريقان ان الحكومة الدستورية لا تكون موردا واسعا للرزق ولا ينبغي ان تطلب وظائفها لأجل المعيشة لان المرتبات الكبيرة فيها قليلة جدا ، وما عداها لا يكاد يصل الى درجة الكفاف ولاسيما مع نفقات الاسفار في هذه المملكة البعيدة الارجاء اذا بطلت الرشوة كما هو المنتظر من الاصلاح في عهد الدستور وانما كانت الحكومة بابا من ابواب الثروة ايام كان الحاكم مستبدا نهابا مستبيحا لجميع ما تصل اليه يده من اموال الامة لا يخاف في ذلك دَرَكا ولا يخشى . واني لاشفق على اخواننا من الترك وأخشى ان يكونوا في عهد الدستور وراء الروم والارمن المزاحمين لهم في عقر دارهم وفي عاصمة الملك اذا لم ينزعوا من اذهان ناشئتهم فكرة الارتزاق من الحكومة . وقد كان المتعلمون من المصريين على رأي المتعلمين من الترك في ايام

الاستبداد المحض والظلم ، وفي اوائل العهد بالحرية والعدل ، ثم لما عمرت البلاد صرنا نرى بعض عمال الحكومة الذين يأخذون في كل شهر عدة الوف من القروش راتبا معينا لا يتخلف قبضه عن اليوم الاول من الشهر يستقيلون راغبين عن خدمة الحكومة الى الاعمال الحرة التي هي اوفر كسبا واوسع بابا لتحصيل الثروة ، ونرى الذي يتقاضى من الحكومة في كل شهر ثمانية آلاف وعشرة آلاف قرش يعد فقيرا اذا لم يكن له مورد آخر من الزراعة مثلا

واما التقصير في نشر اللغة العربية فلا أرى للحكومة فيه عذرا معقولا فان قيل ان اللغة التركية هي اللغة الرسمية فما عداها من اللغات تجب فيه المساواة فاذا رجحت الحكومة اللغة العربية على غيرها قام سائر العناصر يطالبونها بمساواة لغتهم لها ويعدونها مقصرة معهم غير عادلة فيهم؛ فالجواب عنه يعلم مما أشرنا الى بعضه قبل من مزايا العربية وخصائصها التي يمكن للحكومة أن تحتج بها على أي عنصر يطلب مساواة لغته بها في المكاتب الرسمية ونزيده ايضاحا بالتفصيل بخمسة أمور :

(١) ان العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهما اصل الدين الاسلامي الذي هو الدين الرسمي للمملكة الذي يجب على خليفة المسلمين أن ينشره ويحميه

(٢) ان السواد الاعظم من اهل المملكة مسلمون يحتاجون الى العربية في فهم دينهم وطاعة ربهم فيما حث عليه من تدبر القرآن وليس لهم جمعيات دينية تنشئ لهم المدارس كالنصارى فالحكومة الوارثة لهم هي المطالبة بتعليمهم

(٣) ان الشريعة الاسلامية هي الينبوع الذي تستمد منه الاحكام التي يحكم بها في الاحوال الشخصية والمدنية وتطابق عليها القوانين ومعظم كتبها التي عليها الاعتماد في ذلك والتي يرجع اليها عند المشكلات هي باللغة العربية فالدولة محتاجة في ذلك الى تعليم هذه اللغة

(٤) ان العنصر العثماني العربي هو اكبر العناصر وابعدها عن معرفة اللغة الرسمية للدولة ولا يتيسر تعميم هذه اللغة فيهم إلا بعد اتساع مالية الدولة بعشرات من السنين ، فاذا لم تعلم الحكومة اللغة العربية لمن تعدهم في مكاتبها للوظائف كان

نتيجة ذلك ان اكثر عمال الدولة في اوسع ولاياتها لا يعرفون لغة الاهالي فيتعذر عليهم اقامة العدل والنظام . ولا يقال انهم يستعينون على ذلك بالمترجمين لانها لا تجد الذين يحسنون الترجمة في كل مكان وان وجدتهم كانت في حاجة الى نفقات كثيرة لهم لا تحتاج الى اكثر منها لتعليم العربية ولامندوحة عن أحدهذين الامرين الا بابقاء الحكومة كما كانت في شر ايام الاستبداد جمعيات نهب وسلب لا يهمها الا ملء الجيوب ؛ واما الروم والارمن وغيرهما من العناصر فاللغة الرسمية منتشرة بينهم لا تحتاج الحكومة الى المترجمين الا في القليل من بلادهم وما ذلك بالامر الشاق ولا المتوقف على النفقات الكثيرة

(٥) ان اللغة العربية اصل من أصول اللغة التركية الرسمية يقرب أن يكون ثلث مفرداتها أو نصفها مستمدا منها ولا سيما المفردات في علوم الطب والتشريح والنبات والحيوان، فتعليم العربية في مكاتب الدولة يقوي تعليم اللغة الرسمية ويعدها فالتركية أحوج الى العربية من اللغة الفرنسية الى اللغة اللاتينية وانا نرى الافرنج يعلمون اللغة اللاتينية التي لا يوجد عندهم شعب يتكلم بها لانها من اصول لغاتهم فاعراض الترك عن تعليم العربية على كونهم أحوج اليها من هذه الجهة وعلى ما لهم فيها من الفوائد الدينية والمدنية لا يظهر تعليله الا بتعمد اضعاف العربية وهذا شيء لا يرضى به جمهورهم وان نزع اليه بعض المتفرنجين المتعصبين ؛ الذين ليس لهم رأي ولا دين

٦

زبدة المقال وخاتمته

(١) إن الجواذب التي تجذب الترك الى العرب والعرب الى الترك وتمزج احدهما بالآخر فيكونان عنصرا واحدا قويا نافعا كالماء و الهواء في كونه علة للحياة والبقاء هي قوية جدا لانها جامعة بين الاخوة الدينية والمصالح المدنية والسياسية التي لا قوام للدولة بدونها

(٢) ان الحوادث السابقة واللاحقة أعدت المشتغلين بالسياسة والبحث في

الامور العامة والمتزاحمين في المكاتب والمناصب الى شيء من سوء الفهم والارتياب والظنة قواها في نفوس بعض الترك شبهات أوهمتهم ان العرب يريدون الانفصال من الدولة العثمانية والاستقلال بأنفسهم ، وقواها في نفوس بعض العرب أقوال منكرة قالها وكتبها بعض المشهورين من الترك وأعمال مستنكرة من الحكومة لا يصح ان تعد أصلا راسخا في الدولة لأنها حدثت في عهد الانقلاب والفتن التي اضطرت الدولة الى الاحكام العرفية مع تبدل الوزارات وعدم انتظام الاحزاب في مجلس المبعوثين الذي يرجع اليه الامر كله

(٣) انه يمكن ان تنهض حجة قيمة على التباغض بين الترك والعرب اذا وقع الشقاق بين المبعوثين في مسألة تعليم اللغة العربية أو مسألة المساواة بين العنصرين المحتمة في القانون الاساسي ولكن هذا الشقاق ماوقع ولن يقع ان شاء الله تعالى . وقد حضرت مذاكرة بين فاضلين من المبعوثين أحدهما عربي والآخر تركي فقال هذا اني أحب العرب أكثر من الترك لان الذي يحبب الي الترك هو النزعة الجنسية الدنيوية وأما الذي يحبب الي العرب فهو ديني الذي عليه مدار سعادتي الأبدية ، ـ أوما هذا مؤداه

(٤) ان الذين قد بدت البغضاء من أفواههم للعرب في معاهد السياسة والحكومة ومكاتب التعليم هم على قلتهم ليسوا من العنصر التركي باليقين وإنما أكثرهم أوشاب وأوزاع من عناصر شتى قد تتركوا وأسلموا من زمن بعيد أو قريب لأجل مناصب الدولة فهم لاحظ لهم من الحياة الا فيها فلا عجب اذا أبغضوا كل من يزاحمهم عليها

(٥) يجب على العقلاء السعي في إزالة سوء التفاهم وسد منافذه مهما كان سببه لئلا يتمكن في نفوس العامة فيتعذر نزعه وتسوء مغبته .

مابه يكون التأليف بين العنصرين

يجب أن يتعاون على هذا التأليف الذي تتوقف عليه حياة الدولة كل من عقلاء الامة وعقلاء الحكومة ويجب ان تكون العاصمة هي البادئة بذلك صحافتها وحكومتها العليا فأما الصحافة فيجب عليها أن تترك الخوض في مسألة الجنسية النسبية واللغوية ،

الى الجنسية السياسية المعبر عنها بالعثمانية ،فتجعل هذه هجيرها بكرة وعشياً وتجعل تلك نسياً منسياً ، ولا تذكر لفظ الترك والعرب ،ولا اسم غيرهما من العناصر الاخر" بكلمة تشعر بالترجيح أو التفضيل " أو عصبية العنصر والقبيل " ولعمري ان أولئك الرجال الذين تبدلوا كلمة العثمانية « بكلمة تركية » فصاروا يقولون ويكتبون « لغة عثمانية ولايات عثمانية » ،لهم اعلى في السياسة رأيا ،وأصح في علم الاجتماع حكماً من هؤلاء الذين يقرعون الاسماع كل يوم بكلمة « تركلر تركلر » (١) متوهمين انه يمكن تحويل العناصر العثمانية الى التركية ،أو انهم يمكن ان يتحدوا بشعوب التتار الروسية وتركستان الصينية ،ومن الذين يريدون ازالة الالفاظ العربية ،من هذه اللغة الرسمية" قال كمال بك زعيم النهضة الحديثة : اننا اخترنا أحاسن الكلم من أرق اللغات الشرقية ،وهي العربية والفارسية والتركية ،فألفنا منها لغتنا العثمانية "فهذه اللغة هي لغة العثمانيين المشتركة "ليس للترك حق الاختصاص بها والاثرة" كما ان العربية" هي اللغة الاسلامية" المشتركة" بين العرب وبين الترك والفرس وأهل الهند والصين والملاو وغيرهم من المسلمين ،فنحن العثمانيين لا نسمح لاحد ان يعبث بلغتنا العثمانية" ومن شاء ان يتعلم لغة" تركستان فليتعلمها وهي غير لغتنا الرسمية" والأمة كلها تطالب مبعوثيها بصيانتها وحفظها لسهولة" نشرها وكون أكثر كتبنا ودفاترنا بها .

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المقام اتقاء عزو ذنب بعض الافراد الى الشعب أو العنصر على الاطلاق فاذا رأينا بعض الترك أو العرب أو الارمن -مثلا- يعيب عنصراً آخر أو يدعو الى استقلال قومه فعلى الجرائد أن تنسب الذنب اليه لا الى جميع قومه . وعلى هذه الطريقة جرينا في مقالنا هذا فقد برأنا العنصر التركي الاسلامي من بغض العرب والتحامل عليهم وحصرنا ذلك في فئة" من الترك المشتركين في القالب لا الخالص

كذلك يجب على الجرائد ان تخوّل قراءها بالمقالات الداعية الى اتحاد العناصر العثمانية" مع بيان فوائدها للجميع .واذا اهتدت جرائد الآستانة" الى هذا الصراط

(١) كتب بعضهم في هذه الايام مقالة في جريدة صباح بهذا العنوان يحرك بها النعرة الجنسية

المستقيم تبعتها الجرائد السورية والمصرية وكان تأثير ذلك عظيماه واحكم على العكس بحكم الطرده وينبغي لاصحاب الجرائد التركية ان يُعنوا بالاطلاع على الجرائد العربية المنتشرة ويترجموا المهم من مقالاتها في سياسة الدولة العلية وادارتها ويعلقون عليها مايرون فيه المصلحة للتأليف ، وكذلك المهم من أخبارها فمن العار على جرائد العاصمة ان لايذكر فيها شيء عن الولايات العربية ، الا مايكون من صبابة الشركات البرقية أو الأخبار الرسمية ، وكل من هذا وذاك رموز لانعرف حقائق الاحوال ، ولاتبنى على مثلها الاحكام ، ولو قامت هذه الجرائد بوظيفتها حق القيام لجعلت لها مراسلين في تلك الولايات فوق تتبع الجرائد العربية وترجمة أخبارها

وأما مايجب على الحكومة فأهونه وأقربه أن تنصف الواقفين على أبوابها من العرب طلاب الوظائف — وقليل ماهم — فتساوي بينهم وبين اخوانهم الكثيرين من الترك وترقي بعضهم من رتبة القائمقام الى رتبة المتصرف ومن هذه الى رتبة الولاية ، وأن تزيد أعضاءهم في مجلس الاعيان . وأهمه وأعظمه ينحصر في امور :

(أحدها) قطع عروق العصبية الجنسية من مكاتب الحكومة واستئصال جذورها فاني اسمع كل يوم من أخبار هذه المكاتب مايشعر بأن فيها كماويين معنويين يحللون عناصر الوحدة العثمانية ويفرقون بعضها من بعض حتى بلغ ببعض المعلمين الجهل أو سوء القصد أن قال بعضهم في الدرس ان العرب كانوا يجهلون علم الفلك وان الترك هم الذين علموهم ذلك وهم الذين بنوا لهم المراصد ! وقال بعضهم انهم كانوا يجهلون فن الإحصاء حتى علمهم الترك إياه في زمن المأمون ! وقال بعضهم انهم كانوا يجهلون الفلسفة وجل ما كتب بالعربية في الفلسفة فهو من الترك ! ! فصار بعض الطلاب من العرب يترحمون على فيلسوفهم المعري ويتناشدون لاميته المشهورة . بل سمعت عن معلمي بعض المكاتب ماهو شر من ذلك وأضر ، وأدهى وأمر ، فيجب على نظارة المعارف أن تختار لمكاتبها من المفتشين المنصفين المهذبين من يكشف لها الحقيقة في ذلك وان تعنى أشد العناية بتطهير معاهد العلم من هذه المفسدة التي لاأرى شيئا أضر على الدولة منها

(...) نه يسهل تقرير كل حقيقة فيها فضيلة لفرد أو أفراد من عنصر من العناصر

مع تحامي اهانة غيره لا سيما اذا كانت تلك العناصر قد وحدت بينها جنسية أخرى أوسع من جنسية النسب واللغة كما جمع الاسلام العرب والفرس والترك وغيرهم فجعلهم امة واحدة . فهل جهل أولئك المعلمون المفرقون المحللون انهم يجنون بتلك النزعات على دولتهم المؤلفة من عدة اجناس اكبرها وأعظمها عنصرا العرب والترك فاذا هما انحلا تنحل والعياذ بالله ، ويجنون أيضا على ملتهم الاسلامية ، أم هم يرمون الى ذلك ؟ ؟ وكذلك يجب أن تتيقظ سائر النظارات لمثل ذلك فقلما يخلو شيء منها من افراد متعصبين الا باب المشيخة الاسلامية

(ثانيا) العناية بتعليم اللغة العربية في مكاتبها وفي المدارس الدينية في العاصمة وغيرها فان هذا يرضي العرب عامة ويسر جميع المسلمين ولا يضر الترك ولا يضعف جنسيتهم كما انه لم يضر الفرس ولم يضعف جنسيتهم وهم اكثر عناية من الترك بهذه اللغة من حيث انها لغة الدين وليسوا بمحتاجين اليها لاجل الادارة والسياسة اذ ليس في مملكتهم ولايات عربية .

ألا ان من المحال في هذا العصر تحويل عنصر الى عنصر أصغر منه أو أكبر فالحريص على جنسيته النسبية او اللغوية في هذه الامة العثمانية يجب أن يكون امينا مطمئنا عليها والطامع من الترك في تحويل أضعف عنصر من العثمانيين الى العنصر التركي وادغامه فيه انما هو طامع في المحال ، والمتوسل الى مطمعه بتعظيم قومه وتحقير غيرهم ، والتعصب لهم على سواهم ، انما يطلب الشيء من ضده أو من نقيضه ، ولولا ان كلا من امتنا ودولتنا لا يقوى على مثل هذه التجارب الاجتماعية لما كنت شديد الخوف من هذه النزعة الجنسية فيها فان من يكون له ولد عزيز هو محل رجائه في ارث مجده وماله لا يسمح باختياره أن يجرب في جسمه الادوية التي تجهل عاقبتها ، بَلْهَ الادوية التي يترجح خطرها ، وسوف يعلم المجربون انهم هم الخاسرون ، اذا ظلوا في طريقهم يهرعون ، وأخشى أن لا يظهر خطأهم الاحيث يعز تلافيه وتداركه

(ثالثا) العناية بنشر العلوم والمعارف واسباب العمران في الولايات العربية كغيرها من الولايات من غير أدنى فرق يمكن أن يفسر بالتعصب الجنسي وأرى

أن تكثر الدولة من المدارس الصناعية والزراعية وتكتفي من المدارس التي يتخرج فيها عمال الحكومة بقدر الحاجة

(رابعا) الاخلاص التام في تنفيذ القانون الاساسي . والقيام بهذا يجمع كل مايراد من اعطاء كل عنصر حقه فان لم تفعل الحكومة هذا فانها تهيج عصبية جميع العناصر عليها حتى العرب الذين هم أشد ارتباطا بالترك واخلاصا لهم من سواهم وذلك هو البلاء المبين

قد استخف الدستور اهل البلاد العربية فقاموا يطرون الترك ويحثون الناس على تعظيم شأنهم والاتحاد بهم وتهافتوا على جمعية الاتحاد والترقي في كل مكان حتى ان اهل لبنان أخذوا يتحدثون بالسعي الى الغاء امتيازهم بل كتب أدباؤهم كثيرا من المقالات في وجوب اتحادهم بسائر العثمانيين ، ومشاركتهم في مجلس المبعوثين ، على ان بعض الاتحاديين قد شوهوا بعض تلك الاحتفالات بعيد الدستور اذ نفثوا فيها بشيء من سموم التعصب كذلك الضابط الذي خطب في حلب خطبة حقر بها العرب تحقيرا ، وشهر بهم تشهيرا ، ولكن اكثر الناس لم يفهمها حق الفهم ، ولو ألقاها في بيروت او الشام لكان مالا خير فيه

ظهرت أريحية العرب بسورية ومصر وغيرهما في مقاطعة النمسا في تجارتها وفي الاحتفالات بالدستور وقد ألفنا بمصر لجنة لاجل جمع الاعانات الكبيرة للاسطول العثماني وضعت لذلك قانونا ليكون جمع المال عاما ولكن تلك النبآت التعصبية التي سمعت من دار السلطنة أضعفت الهمم . فاذا طال العهدعلى هذا التنافر فان خسارته المالية والمعنوية تكون اول بوادر شؤمه ونعوذ بالله من أواخره

ويسرني أن أبشر العرب بانني رأيت من كبراء العاصمة ارتياحا الى حسن التفاهم وازالة اسباب التنافر ولا سيما من الصدر الاعظم حسين حلمي باشا والعلماء الاعلام فأنصح لهم أن يكونوا عونا لاخوانهم على هذا الزمان كما نصحت للآخرين « إنْ أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

اسباب سقوط الدولة الاموية (*)

سادتي

وعدتكم يوم الخطبة الغراء التي خطبها فينا الاستاذ الخضري في ترجمة أبي مسلم الخراساني أن أقول كلمة ألمّ فيها بشيء من الاسباب التي دعت الى ضعف الدولة الاموية وتيسر قيام الدعوة العباسية وانتشارها في المملكة الاموية بواسطة أبي مسلم وأضرابه من رجال الدعوة ثم نجاحهم في الامر وقلبهم الدولة الاموية وثلّ عرشها وقيام الدولة العباسية مقامها

ولما هممت بتتبع التاريخ من اجل هذه الغاية عذرت الاستاذ الخضري لاكتفائه بايراد سيرة أبي مسلم وما كان من انتشار الدعوة العباسية لانه لو أراد أن يطرق هذا البحث ويتبسط في مناحيه لاحتاج الى الوقوف أمامكم ساعات وانا بعده كذلك ومع هذا فلا نكون وفينا هذا البحث حقه من البيان لذا ألتمس من حضراتكم المعذرة فيما سأتلوه عليكم مختصرا في هذا الباب ولو اضعت وقتا ما في تمهيد الكلام ببحث في الخلافة لارتباط هذا البحث بسقوط بني امية وقيام دولة العباسيين

تمهيد

تعلمون ايها السادة أن السلف اختلفوا في: هل الخلافة واجبة شرعا اوعقلا ؟ والذين قالوا انها واجبة عقلا قالوا انها وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم و يفصل بينهم في التنازع والتخاصم الى آخر ماقالوه

وتعلمون ان ما وجب بالعقل وجب تحكيم العقل فيه ولما كان تعريف الخلافة

---

*) خطبة لرفيق بك العظم المؤرخ المشهور القاها على اعضاء نادي دار العلوم بمصر

انما حمل الكافة على الشرع وانما تحمل الكافة على الشرع بمن تتوفر فيه شروط اللياقة لتولي امور الامة أيا كان من المسلمين فقد ترك الشارع صلى الله عليه وسلم أمر الخلافة لرأي الامة تحكم فيه ضمائرها وعقولها دون أن ينص على شخص بعينه

ومما يدلنا على أنه ليس هناك نص ديني من قِبل الشارع على تخصيص الخلافة بعلي او العباس وآلهما أو غيرهم من المسلمين ان أبا بكر لما احتج على الانصار يوم السقيفة لم يحتج عليهم بخبر عن الرسول بل بالكفاءة والاستحقاق ورضا الامة فيمن تختاره اميرا عليها حيث قال :

« يا معشر الانصار : انكم لا تذكرون فضلا الا وانتم له اهل وان العرب لا تعرف هذا الامر إلا لقريش . هم اوسط العرب دارا ونسبا . قد رضيت لكم احد هذين الرجلين » واخذ بيدي عمر بن الخطاب وابي عبيدة بن الجراح . فكثر اللغط بين الانصار حتى بادر عمر بن الخطاب وقال : ابسط يدك ابايعك . فبسط يده فسبقه بشير بن سعد من الانصار فبايعه وبايعه سائر الناس

ولو كان هناك نص على علي لما فات ابا بكر وسائر الناس ولما قال الانصار منا امير ومنكم امير وهم اول من نصر رسول الله في حياته فلا يعدلون عما امر به بعد وفاته وعلي نفسه اعترف بصحة خلافة ابي بكر ولم ينازعه عليها باسم الدين اذ خطب مرة فقال :

« لقد امر النبي ابا بكر أن يصلي بالناس وإني شاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا ما رضي به النبي لديننا »

توفي ابو بكر فولي الخلافة بعده منه عمر بن الخطاب ثم توفي عمر فصرفتها الشورى الى عثمان وعلي معروف المكانة من الدين والقرابة من رسول الله فلم يقل فريق منهم بصرفها اليه باسم الدين وكل ماقيل وكتب بعد ذلك من المغامز التي غمزت بها الشورى أو غمزت بها ولاية أبي بكر وعمر ليست بصحيحة وما جاء من اخبار الخلاف على الخلافة بين الصحابة لا يحمل على غير ما يقع عادة من النزاع بين المتنافسين على الامارة في كل امة وجيل لكن صورة الامامية بعد

بالصورة التي توافق مذاهبهم السياسية والدينية حتى تمكنوا من صبغه بصبغة الدين والقول بوجوب الامامة شرعا لعلي وآله وسوقها بعد ذلك في بنيه أو بني عمه العباس باسم الدين

علمتم أيها السادة من هذه المقدمة ان الخلافة صارت الى ابي بكر ثم الى عمر ثم الى عثمان رضي الله عنهم ولم يقم بين العرب من أجلها أدنى نزاع باسم الدين بل كان العقل هو المحكم والمصلحة رائد جمهور العقلاء من الامة بقطع النظر عما اذا كان علي (رض) حقيقا بالخلافة فانه حقيق بها بلا شك ولا ريب وانما كانت هناك ظروف وأحوال اذا وصل الينا خبر بعضها فانا نجهل بعضها الآخر بتاتا وقد راعى جمهور الصحابة تلك الظروف والاحوال مماشاة لسنة الطبيعة والعقل فقدموا عليه الثلاثة الكرام ولو كان للدين حكم باستخلاف علي لما عدلوا عنه الى العقل ومكانتهم من الدين سامية شهد لهم بها القرآن الكريم والنبي العظيم

إذاً فمن أين دخلت السياسة في الدين فجعلت الخلافة حقا شرعيا من حقوق آل البيت ؟ ومتى ظهر النزاع عليها باسم الدين وظهرت مقالة الامامية التي تلتها بدع كانت آفة المجتمع الاسلامي ومنها مسألة المهدوية التي عانى ويعاني المسلمون مضضها الى اليوم ؟ .. الجواب عن هذا يعرفه كل مطلع على التاريخ وكلكم مطلع عليه : دخلت السياسة في الدين وظهرت مقالة الامامية لما دخل الاعاجم في الاسلام وظهر هذا الدين وأهله على الامم وذلك بعد مضي صدر من خلافة عثمان

وأول من قام بهذه الدعوة عبد الله بن سبأ واخوانه من الموالي وأبناء الملل الاخرى الذين دخلوا في الاسلام، وابن سبأ هذا هو من الذين أحرقهم عليّ (رض) لغلوهم فيه

تلك البذرة الصغيرة التي بذرها ابن سبأ واخوانه من جمعية الدعوة العلوية انبتت ذلك النبات العظيم الذي قوي فيما بعد على ماحوله فأكل دولة الامويين في المشرق أكلا بعد أن دخلها الضعف من جهات أخرى وهذا موضوع البحث وها أنا ذا متكلم فيه

الموضوع

تولى عثمان (رض) الخلافة بانتخاب أهل الشورى وعمل فيها ست سنين لا ينقم المسلمون منه شيئا وانما اضطرب أمره في السنين الست التالية من خلافته حيث اتسعت دائرة الفتح وكثر الموالي اللاجئون الى المدينة من الاطراف ودخل في الاسلام أو تحت سلطته أقوام لم يكن لهم ما للعرب يومئذ من العصبية والقوة والاخلاق الحربية العالية فخضعوا لجيوش العرب طوعا أو كرها وكان استغراقهم في الحضارة جعل فارقا عظيما بينهم وبين العرب الذين كانوا على جانب عظيم من سلامة الفطرة والاخلاق الثابتة المستقيمة فكان ذلك من الوسائل التي جعلت أولئك الاقوام يأتون العرب من جهة العقائد تارة والسياسة أخرى فألقوا بينهم أول بذرة من بذار التفريق في الدين والسياسة بواسطة الدعاة منهم كعبدالله بن سبأ المذكور وحمران بن سودان والاول لم يترك مصراً من الامصار الكبيرة كالشام ومصر والبصرة والمدينة الا دخله لاجل بث الدعوة وزرع هذه البذار الجديدة في النفوس.

والارض البكر الصالحة سريعة الإنبات بالضرورة ولاسيما إن العرب محبون بطبعهم للتحزب ميلا مع العصبيات التي كانت تتنازعهم في عصر الجاهلية فتقبلوا الدعوة الى نصرة علي وانه أحق بالخلافة دينا بشيء من القبول وأخذت تمكن من نفوس بعضهم هذه المقالة الجديدة حتى أفضت الى انقسامهم الى حزبين ينتصر أحدهما لعلي والآخر لعثمان

قامت الفتنة من ثم على الوجه الذي عرفناه في التاريخ وانتهت بقتل عثمان (رض) وقيام علي ومعاوية يتنازعان امارة المؤمنين وانقسم يومئذ هذان الحزبان الى أحزاب أخرى سياسية ودينية كانت الغلبة فيها للقسم الذي شايع معاوية باسم القوة والعصبية لا باسم الدين والشريعة لان الشريعة نفسها تحتاج في تنفيذها واستمرارها الى القوة كما تعلمون

لما تطاحن العرب من أجل النزاع على الخلافة بتلك الروح الدينية التي بثها بينهم دعاة الفتنة ورأى فريق منهم ان عاقبة هذه الحرب الآكلة ربما أتت على

العرب ودينهم وملكهم من أجل الامارة أجمعوا رأيهم على الخروج عن جماعة المتقاتلين وألفوا لأنفسهم حزبا سياسيا برآسة عبدالله بن وهب الراسبي غايته نسف الخلافة وطلابها من قريش نسفا وان يقام الامام من غير قريش على شرط أن يحكم برأيهم وعلى مايشيرون به أو ينهجون له من طرائق العدل والا عزل ونصب غيره والافلا لزوم لامام أصلا . ومعناه أن تكون الحكومة جمهورية بالضرورة واليكم ماقاله عن هذا الحزب صاحب الملل والنحل قال :

« انهم جوزوا أن تكون الامارة في غير قريش وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على مامثلوا له من العدل واجتناب الجور كان اماما ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه و إن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله وهم أشد الناس قولا بالقياس وجوزوا أن لايكون في العالم إمام أصلا وان احتيج اليه فيجوز أن يكون عبداً أو حراً أو نبطيا أو قرشيا »

هذا رأيهم الذي أورده صاحب الملل والنحل ومنه تعلمون أن مبدأهم جمهوري بحت لاسيما في التشريع يظهر لنا ذلك كل الظهور من قوله : من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على مامثلوا له أي على ماسنوا وشرعوا له بالضرورة. وقوله: وكانوا أشد الناس قولا بالقياس . وكلكم يعلم ماهو القياس بالنسبة لمن يريد التوسع في الاحكام بمايدور مع الزمان والحاجة . ولذا فقد جاز لنا أن نسمي هذا الحزب أول حزب جمهوري في مباديه ومراميه ظهر في الاسلام . ولو لم يعجل باستعمال السلاح لتأييد مباديه وحمل الامة عليها بالقوة وانتظر ريثما تسأم جماعة معاوية الحرب القائمة من أجل الخلافة كما سئمتها جماعة علي لكانت مباديه هي السائدة الى ماشاء الله في الامة الامية ولانقطع النزاع على الخلافة منذ ذلك الحين

ولكن من الاسف أن ذلك الحزب لما عجل باستعمال القوة بعد مؤتمرهم الذي عقدوه في حروراء خارج الكوفة ودعوا من أجله بالحرورية اضطر أمير المؤمنين علي لقتالهم وقاتلهم في النهروان وكانوا نحو عشرة آلاف فقتلهم جميعا الا عشرة منهم أفلتوا من القتل وتفرقوا في البلاد وأخذوا يبثون دعوتهم سراً فكان من ذلك ماذا؟

كان من ذلك ان انقلبوا الى جمعية سرية أقرت على الفتك بعلي ومعاوية وعمرو بن العاص قائلة فلنريح البلاد منهم كما ذكر ذلك المؤرخون لتبقى امارة المؤمنين شاغرة للأمة من المتنازعين عليها من قريش وتختار الامة اميرا عليها من شاءت من عامة المسلمين أو خاصتهم كما هو من مقتضى مباديهم التي مر ذكرها

انتدب لهذا الغرض ثلاثة منهم هم عبد الرحمن بن ملجم المرادي للفتك بعلي، وعمرو بن بكر التميمي لعمرو بن العاص، والبرك بن عبدالله الصريمي لمعاوية. وانتدبوا لسبع عشرة من رمضان فقتل ابن ملجم عليا ولم يتمكن الاثنان الآخران من معاوية وعمرو كما هو معروف في التاريخ

وكانت هذه الجمعية السرية ثانية جمعية تألفت في الاسلام بعد الجمعية السبئية التي تأسست في خلافة عثمان للدعوة الى علي كما تقدم في صدر البحث ومباديهما متباينة بل متضادة كما تعلمون

بعد ذلك استصفى معاوية الخلافة لنفسه وأدالها عن آل علي باستنزال الحسن (رض) عنها وان يترك منازعته عليها فتم له الامر بهذا وجمع كلمة العرب عليه واستمالهم اليه فكانت له منهم عصبية كبيرة احتمى عنها بها وضرب ضعيفها بقويها وقبض على زمام الخلافة بيد من حديد وحماها بلسان من سكر واستمال بدهائه بني هاشم والمهاجرين وابناء المهاجرين وجلة الصحابة تارة بالترغيب وتارة بالترهيب حتى ملك السنتهم وقلوبهم فانفرط عقد الناس الا عن بني أمية واجتمعت كلمتهم على تأييد هذه الدولة أيما تأييد

لكن هل زالت تلك الروح التي بثها دعاة الامامية من الوجود ؟ وهل امكن لمعاوية ومن خلفه أن يقتلعوا ذلك الغرس الذي غرسه خصومهم بالامس ؟

كلا ان تلك الروح باقية وذلك الغرس كان ينمو ليثمر ويأكل منه غارسوه من غير العرب ولو بعد قرن وما القرن من أعمار الدول والامم الا كيوم مما تعدون

اغتصب الامويون الخلافة اغتصابا والغاصب خائف كما يقولون وهم اذا تذرعوا بالقوة والعصبية لخصومهم من بني هاشم متذرعون بالدين والمكانة الادبية التي لهم بين المسلمين والعواطف الدينية اذا تكونت ونمت واندفعت بأهلها تدك العروش

وتزلزل قوات الدول فاضطر الامويون بعد معاويه الى مطاردة بني هاشم والتنكر لهم وفعل يزيد فعلته الشنعاء بأبناء فاطمة فكان ذلك داعيا الى حذر بني هاشم وسكوتهم الى حين وتستر شيعتهم وعلمهم في الخفاء الى أن قامت دولة بني مروان وآلت الخلافة الى عبد الملك فتولاها والفتنة مستمرة في الاطراف: فالخوارج يريدون هدم الخلافة ، وشيعة المختار بن أبي عبيد الثقفي يطالبون بدم الحسين ، وعبدالله بن الزبير ينازع الامويين على الخلافة ، وعمرو بن سعيد الاشدق يريدها لنفسه . فماذا يصنع خليفة يستقبل مثل هذه العواطف ؟ وماذا تعيش دولة قامت في بحر من الدماء

لا جرم انها تلجأ الى أقصى ما عندها من القوة، وتستعمل منتهى القسوة، والقسوة تملأ الصدور حفيظة وتلجيء الخصم الى استعمال أساليب الختل والتحيل على أخذ الخصم على غرة منه

ذلك ما دعا عبد الملك الى استعمال منتهى القسوة في اخماد هذه الفتن وألجأ الخلافة الا قليلا منهم الى انتهاج منهجه في معاملة الخارجين عليهم واستعمال مثل الحجاج بن يوسف في الامصار الثائرة واشتداد هؤلاء العمال على الناس حتى كان ذلك من جملة الاسباب التي أوغرت على الامويين الصدور ومهدت للدعوة الهاشمية سبيل الانتشار في الخفاء وعجلت على دولة بني أمية بالدمار

بلغ من قسوة عبدالملك وإظهاره الشدة في تهديد من يناوئه ان خطب بعد قتل الزبير عام خمس وسبعين خطبة قال فيها :

« أما بعد فلست الخليفة المستضعف (يعني عثمان) ولا الخليفة المداهن (يعني معاوية) ولا الخليفة المأفون (يعني يزيد) الا وان من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الاموال . الا واني لا اداوي ادواء هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم . تكلفونا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم فلن تزدادوا الا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم ! هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته وموضعه موضعه قال برأسه هكذا فقلنا بأسيافنا هكذا . الا وإنا نحمل منكم كل شيء الا وثوبا على أمير أو نصب راية . الا وان الجامعة (أي القيد) التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد

عندي والله لايفعل أحد فعله الا جعلتها في عنقه، والله لايأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه !!! » ثم نزل

ثم ان السيوطي أوهن سندهذه الخطبة بقوله : في اسنادها الكريمي وهو متهم بالكذب، لكن من درس أخلاق عبدالملك بن مروان لايستبعد عليه النطق بهذه الخطبة اللهم الا الفقرة الاخيرة فربما كانت مدسوسة عليه ومن أجلها شكك السيوطي في صحة الخطبة والا فان قساوة الطبع التي عرف بها عبد الملك لا يحتاج اثباتها الى كثير امعان فان تطبعه بالقساوة اكسبه خلق الثبات والجلد حتى ما يعبأ بالمصائب اذا توالت عليه

ففي رواية لابن عساكر عن ابراهيم بن عدي قال : رأيت عبد الملك بن مروان وقد أتته امور أربعة في ليلة فما تنكر ولا تغير : قتل عبيدالله بن زياد ، وقتل حبيش بن دلجة بالحجاز ، وانتقاض ما كان بينه وبين ملك الروم ، وخروج عمرو بن سعيد الى دمشق ، يعني مشاقا

ولكي ينهج ابنه الوليد في الشدة منهجه ولا تأخذه هوادة في امر الملك او الخلافة اوصاه قبل وفاته بوصية قال فيها :

« ياوليد اتق الله فيمن أخلفك فيه — الى أن قال — وانظر الحجاج فاكرمه فانه هو الذي وطأ لكم المنابر وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناوأك فلا تسمعن فيه قول احد وانت اليه احوج منه اليك ، وادع الناس اذا مت الى البيعة فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا ! »

على أن الوليد مع استعماله منتهى اليقظة في ولايته لم يسلك في الشدة مسلك ابيه بل عدل عنها الى الفتح والاحسان الى الناس وشغل المسلمين بالفتوح والعمران فشيد المصانع والمستشفيات والمساجد الكبيرة كمسجد دمشق والمسجد الاقصى وكتب الى البلاد باصلاح الطرق وجعل لكل اعمى قائدا ولكل زمن خادما وأقام الفنادق فيما بين البلدان تسهيلا على ابناء السبيل وامر بحفر الآبار في الحجاز الى غير ذلك من الاعمال النافعة

و بالجملة فقد كان عمرانيا محبا لرقي البلاد حتى كان الناس على عهده لا يتكلمون

بغير العمران ووجّه همه الى انتقاء العمال فولى خالد بن عبد الله القسري مكة وعمر بن عبد العزيز المدينة وموسى بن نصير بلاد المغرب ففتح الاندلس كما هو معروف وكثر الفتح في زمنه ففتح قتيبة بن مسلم ما وراء النهر الى بخارى وسمرقند أي التركستان ، وتجاوزها إلى بلاد التبت ففتح عاصمتها كاشغر ، واوغل مسلمة بن عبدالملك من جهة ارمينيا في جبال القفقاس

وهكذا انقضت مدة خلافة الوليد على احسن حال رآها الامويون اذ استفحل ملكهم وعلا شأنهم وشأن دولتهم واحبهم العرب حتى اذا ولي الخلافة سليمان بن عبد الملك اراد قتيبة بن مسلم ان يخلع طاعته لاسباب لا محل لذكرها فلم يوافقه على ذلك جند خراسان ووقع بينه و بينهم خصام افضى الى قتله فخسرت الدولة قائدا من أكبر القائدين في الاسلام وسار سليمان في الناس سيرة حسنة أيضا لم تجعل للناقمين من دولته سبيلا اليها وختم أعماله بأحسن عمل له وهو عهده بالخلافة الى عمر بن عبد العزيز وكلكم يعرف من هو عمر بن عبد العزيز

الا ان سليمان غرس بيده غرس الدولة العباسية وقد سبقني الاستاذ الخضري فذكر لكم في خطبته الماضية كيفية تسميم أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الذي كان الشيعة يدعون اليه وعهده بالامر بعده إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس فلا لزوم للاعادة هنا

كان الامويون شديدي الحذر من آل علي كما ذكرنا وكان هؤلاء بعد نكبتهم في خلافة يزيد قليلي الجرأة على الظهور لشدة العمال عليهم ومراقبتهم لحركاتهم وسكناتهم ولان الخلفاء من بني امية كانوا مع شدة حذرهم منهم يراعون مكانتهم ويحسنون اليهم فلم ينزع أحد منهم الى الخروج عليهم لضعفهم الا زيد بن علي فقد خرج في خلافة هشام فقتل في الكوفة وقُتل ابنه يحيى في خراسان أما تسميم أبي هاشم فقد كان بامر سليمان بن عبد الملك لانه خاف جانبه لما رأى فيه من النجابة والذكاء

وربما كان هناك سبب آخر لضعف آل علي من بني فاطمة وهو أن الذين بقوا منهم احياء بعد نكبتهم في كربلاء كانوا اطفالا لا يصلحون لقيادة الناس فالتف الشيعة حول محمد بن علي المعروف بابن الحنفية من غير ولد فاطمة وهكذا ساقوا

الامامة في بنيه من بعده كما ساقها غيرهم الى بني فاطمة ايضا وانتقلت من ثمّ الى أبي هاشم الى بني العباس

لاجرم أن سليمان بن عبد الملك جنى على دولته بقتل أبي هاشم لان آل علي كانوا لشدة ما عانوا من المراقبة والاضطهاد شديدي الحذر بطيئي الخطى في الوثوب على الخلافة الاموية والظهور لمنازعة الامويين عليها فتلقى العهد بها آل العباس وهم بعيدون عن سوء الظن والمراقبة لم يعانوا مشاق الدعوة ولم يذوقوا طعم الاضطهاد فيخافوا الوقوع فيه . ولذا مالبث أن عهد الى محمد بن علي بالامر حتى نهضوا بأعباء الدعوة بجرأة عظيمة وكان لابراهيم بعد موت اخيه محمد ما كان مع أبي مسلم بتفويض امر الزعامة اليه وقيام هذا ببث الدعوة أحسن قيام حتى استفحل امرها وظهرت على خصومها

أحس الامويون بهذا الخطر السريع فبادروا ابراهيم الامام بالقتل فنهض ابو العباس السفاح بعد قتل اخيه ابراهيم وعاجل الامويين بالوثوب عليهم قبل أن يدب الفشل في اهله وشيعته منتهزا فرصة وقوع الشقاق بين الاخوة وابناء الاعمام من آل مروان وتلظي المملكة الاموية بنار الفتن وظفر بما أراد وقضى على دولة الامويين في المشرق فذهبت كأن لم تكن بالامس

على ان ظفر العباسيين على هذا الوجه وبهذه السرعة له بواعث واسباب أخرى كاختلال نظام الدولة وغيره أرى أن ألمّ بها على قدر ما يكتفي من الاختصار

تعلمون أن الدولة تموت برجل وتحيا بآخر وان الرجال في الدول قبل والدولة الاموية لما فقدت رجالها فقدت جانبا عظيما من قوتها وأعني بأولئك الرجال الرجال المخلصين الذين يخدمون الدولة بمنتهى الصداقة بقطع النظر عما ينسب الى افراد منهم من القسوة فيتهمونهم من اجل ذلك بالظلم اذ الرجال يصطبغون بصبغة الدولة ويتشكلون بشكلها والدولة الاموية لما كانت دولة مطلقة لزم أن يسير عمالها على سنتها

من رجال الدولة الاموية المخلصين : موسى بن نصير ، والحجاج بن يوسف وخالد بن عبدالله القسري ، ويزيد بن المهلب ، وقتيبة بن مسلم واضرابهم ، ومن

خطأ الخلفاء الامويين انهم لم ينصفوا امثال هؤلاء الرجال فاحرجوا من احرجوه منهم حتى اخرجوه وقتلوه كخالد بن عبدالله وقتيبة بن مسلم ويزيد بن المهلب الذين ذهبوا ضحايا سوء الظن او سوء التفاهم ، وموسى بن نصير الذي زج به في السجن في نظير فتحه الاندلس ومات اتعس ميتة فقدت الدولة بفقد هؤلاء الرجال وامثالهم جانبا لا يقدر من قوتها واخذت تنحط من ثم هيبتها أما الحجاج فوفاته في الحقيقة مبدأ افول نجم الدولة لانه كان يدها التي بها تضرب وعينها التي بها تبصر فانه بعد ان اخمد لهم فتنة ابن الزبير كان واليا على الكوفة واليه ولاية خراسان وكلا المكانين عش الفتنة ومنبع الدعوة الامامية ومع هذا فقد ضبط البلاد وارهب ببطشه المنازعين للدولة والنازعين الى الشغب ، وأحسن في انتقاء العمال والقواد فامتد ملك الامويين على عهده الى كابل من بلاد الافغان شرقا والتركستان الصينية شمالا ولو وجد بعد من يخلص من الولاة للدولة اخلاصه ويكون في مثل حزمه وعزمه لطال عمر الدولة الاموية بلا ريب

ولعل نوابغ الرجال يكثرون في مبدأ نشوء الدولة وإن كانت هذه النظرية تحتاج الى تمحيص .

ومما ساعد أيضا على اختلال نظام الدولة الاموية تباعد أطراف المملكة بما صار اليه من الفتح الى عهد هشام بن عبدالملك اذ اتسعت دائرة ملكهم الى ما لم تبلغه قبلهم غير دولة الرومان

فما بين النهرين المعروف بالجزيرة وايران وقسم من الافغان والتركستان والتبت والقوقاس وارمينيا وشبه جزيرة العرب وسورية ومصر والمغرب والاندلس كل هذه الممالك دخلت في حوزتهم وأصبحت خاضعة لسلطانهم ، وضبط مثل هذا الملك المترامي الاطراف مع صعوبة المسالك والمواصلات لذلك العهد متعذر جدا ولا سيما على أمة حديثة عهد في سياسة الامم . ولذا فقد كانت تكون الفتنة في طرف من أطراف المملكة بين الجنود والامراء المتنازعين على الولاية وتنتهي بقتل وال وقيام غيره وربما انتهت بغلبة المتغلب أو النازع وضم البلاد الى حوزته واستقلاله

بالولاية عليها دونه وفصلها عن جسم الدولة والخليفة لايعلم ذلك أولا تصل قدرته الى اخماد نار الفتنة في تلك البلاد النائية

مثاله ماوقع في المغرب في خلافة الوليد بن يزيد سنة سبع وعشرين ومئة اذ تنازع عبد الرحمن بن حبيب من ولد عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقية مع حنظلة بن صفوان والي إفريقية فكانت الغلبة للاول واستأثر بالسلطة على البلاد وبقيت إفريقية مستقلة عن الخلافة الاموية حتى قيام الدولة العباسية

ومثل هذا وقع في الاندلس وفي بعض الاطراف السحيقة ولا يخفى مافي هذا من الوهن والخطر على المملكة

ثم ان من الامور الثابتة في الاجتماع ان الدول الحربية الفاتحة لاتزال في أفق مجدها مادامت على الخشونة وما دام الراعي والرعية مترفعين عن الانغماس في الترف والاستغراق في ملاذ الحضارة . قد عرفنا هذا في كثير من الدول البائدة كدولة اليونان وخلفاء دارا والاسكندر (أي البطالسة)والرومان حتى لقد قال مونتسكيو في تاريخه أسباب صعود الرومان وهبوطهم : «ان دخول الرومانيين إلى الشام كان مبدأ ضعفهم بسبب ما كان متسلطا على أهلها وملوكها من الرخاوة والترف »

والدولة الاموية انما هلكت في نفس تلك البيئة التي هلك بها الرومان من قبل ، و بعد أن حافظت على خشونتها الاولى الى خلافة هشام بدأت في خلافة الوليد بن يزيد المعروف بالتهتك تنحط عن خشونتها التي عرفت بها واخذ الخلفاء من ثم يميلون الى الترف والراحة والاستغراق في الملاذ تبعا لاحوال البيئة التي نشأوا فيها وهذا بالضرورة كان من الاسباب التي عجلت على دولتهم يضاف اليه انقسام العرب في خراسان التي هي منبع الدعوة العلوية والعباسية الى مضرية ويمانية وتنازع روءسائهم على الولاية في ابان استفحال الدعوة

مثاله ماوقع بين الحارث بن سريج والكرماني و بين هذا وقحطبة و بينهما و بين نصر بن سيار حتى ملت نفوس العرب هذه الحال وسئمت ممارسة الحرب ورأوا أنفسهم تباع ضحايا لقحطان وعدنان وترهق في سبيل المتنازعين على الخلافة من قريش حتى قال قائلهم :

تولت قريش لذة العيش واتقت　　بنا كل فج من خراسان أغبرا
فليت قريشا اصبحوا ذات ليلة　　يعومون في لج من البحر اخضرا

لاجرم أن الذي بث روح الشقاق بين العرب في خرسان انما هم أهل الدعوة الهاشمية من علويين وعباسيين والذي أنجح قصد أبي مسلم في نشر الدعوة العباسية وقلب الدعوة الاموية تواطؤ سكان البلاد الاصليين على قهر الامويين وقل عصبيتهم العربية وقد عرف ابراهيم الامام منازع الفرس وعلم ان دولته تقوم بغير العرب من الناقين منهم وان العرب شديدو العصبة للامويين لاصطباغهم بالصبغة العربية الخالصة فكتب فيما كتب الى أبي مسلم أن لا يبقي في خراسان ان استطاع عربيا وكان رجال الدعوة يضربون العرب بعضهم ببعض لان قسما كبيرا منهم ممن قام من الامويين كما تقدم في صدر الكلام قبل الدعوة وصار من القائمين بالعاملين على تشييد دعائمها تعبداً واعتقاداً

هكذا أثمر الغرس الديني الذي غرسه قبل ذلك بقرن ابن سبأ واضرابه من الموالي الناقين من الدولة السائدة واستطال على العرب في المشرق استبقاء السلطة خالصة لهم من دون الامم الاخرى المحكومة منهم وقد جرت سنة الوجود هذا المجرى في كثير من الامم من قبل

قال مونتسكيو: اقتضت الحكمة الالهية أن يكون للممالك حدود طبيعية تمسك بأعنة الملوك عن تجاوز هذه الحدود وتعدي بعضهم على بعض ولما تجاوز هذه الحدود الرومانيون أهلكهم البرث أي قدماء الفرس وبددوا شملهم ولما تجاوزها البرث أنفسهم اضطروا الاول أمرهم للرجوع الى أراضيهم

وأقول إن العرب أصيبوا بما أصيب به الرومان والبرث وطبائع الاجتماع تعذر أولئك الاقوام على مافعلوه مع العرب وحسب العرب أن نشروا بينهم دين الاسلام فلا مؤاخذة ولا ملام ولا سيما أن الاسلام يرمي بطبيعته الى محو الحدود والسياسة الجنسية بين الشعوب كما ترمي الى مثل هذا مبادي جماعات السوسيالست أو الاشتراكيين أو الاجتماعيين لهذا العهد

ورب قائل يقول ان هذا الانقلاب أي انقلاب الدولة الاموية الى عباسية

لم تكن نتيجته كلها كما يريد أولئك الاقوام المغلوبون للعرب إذ دولة الامويين عربية قرشية ودولة العباسيين كذلك

الجواب عن هذا يأتي من وجهين : الوجه الاول ان أمم المشرق لذلك العهد قلما كانت تقدر قيمة الحرية الكاملة لفنائها في وجود زعماء الاجتماع الشرقي أو كما قال مونتسكيو «ان أمم آسيا لم يكن ميلهم الى الحرية كميل أمم أوربا اليها اليوم - أي لعهده - ليحملهم على الخروج من الاسر والاستعباد وانما كان ميلهم الى تغيير الملك ولا صبر لهم على بقائه طويلا»

وسواء صحت هذه النظرية أولم تصح فانه يجوز لنا تطبيقها على الامم التي دخلت تحت حكم العرب لذلك العهد باعتبار ان الاسلام جمع بينهم جميعا فلا فرق عند الفرس وغيرهم أن يكون الخليفة أو الملك عربيا أو غير عربي ماداام الملك آئلا الى غير الدولة التي قضوا عليها وما دام مصير أكثر السلطة اليوم بعد قل حد الصبغة العربية التي كانت قائمة في دولة الامويين متسلطة بقوتها على كل شيء

وقد كان ماأرادوه بقيام الدولة العباسية التي لم يكن لها من العربية الا الاسم وهي مصطبغة بالصبغة الاعجمية مشتبكة مع العناصر الاخرى بالنسب والصهر مشاركة لهم بمصالح الدولة كما تعلمون

هذا الوجه الاول ، أما الوجه الثاني فانتظار النتيجة الطبيعية لمثل هذا الانقلاب ولو في المستقبل البعيد وتلك النتيجة هي أن اصطباغ الدولة أو الامة السائدة بصبغة اهل البلاد يجعلها مع الزمن الى عنصر هذه الصبغة والعكس بالعكس اذ من الشعوب من اصطبغوا بصبغة العرب بعد الفتح فاندمجوا فيهم ومن الشعوب من اصطبغ العرب بصبغتهم فاندمج هؤلاء فيهم وهذا ماوقع لسكان آسيا الوسطى بعد قيام الدولة العباسية ثم سقوطها وقيام غيرها من الحكومات الوطنية على انقاضها وهكذا رأينا دولة الفرس وغيرها من الدول الاسلامية دينا المختلفة جنسا قد عادت الى أصلها وهي قائمة الى الآن وستبقى قائمة عزيزة الجانب منيعة الجناب الى الابد ان شاء الله

وهكذا نرى الخلافة الاسلامية التي سالت من اجلها أو باسمها تلك الدماء الغزيرة صارت الى غير العرب اليوم وفي دولة هي اعز دول الاسلام مكانا واجدرها

بحفظ بيضة الخلافة ولم يمنع الدين أن تكون اليها الخلافة كما لم يمنع أن تكون فيمن يقع عليه اختيار الامة ورضاها في عهد الصحابة الكرام ولو من غير بني هاشم والتاريخ يعيد نفسه

هذا ما أمكنني ايراده من اسباب انحطاط الدولة الاموية ثم انقراضها تلوته عليكم ايها السادة بوجه الاختصار لان الاستقصاء والتتبع و بسط كل الاسباب والنتائج لا تقوم به خطبة لانه تاريخ دولة باكلها

أما ما يقوله بعض المؤرخين من ظلم الدولة الاموية و يعزي اليه دمارها فبالغ فيه وما كان منه صحيحا فهو في نظري ثانوي بالنسبة للاسباب التي ذكرتها وتكاد تكون نتائجها طبيعية وليس من دولة في الأرض قائمة بالعدل المحض حتى الدول المقيدة نامبك بالمطلقة

ومن قال إن دولة الامويين كانت ظالمة وان ظلمها هو الذي جر عليها الدمار فجاهل باحوال الاجتماع او متعصب لدولة اخرى ولوطولب بالدليل على أن الدول التي قامت دولة الامويين على انقاضها كالفرس والروم والقوط وغيرهم كانت اعدل منها لما استطاع اليه سبيلا

والحقيقة ان الخلفاء الامويين كانوا اشداء على خصومهم دون سائر الناس وكانوا في منزلة من العناية بالرعية والاهتمام بالعدل بين الناس فوق منزلة كثير من الحكومات المطلقة وحسبك ان اشدهم قسوة وهو عبد الملك بن مروان استهل وصيته لابنه الوليد حين الاحتضار بقوله : ياوليد اتق الله فيمن اخلفك فيهم ! والشواهد على مثل هذا كثيرة لا يسعها المقام وحسب تلك الدولة فضلا فتوحها العظيمة التي سودت دين العرب ولسانهم على احسن اجزاء المعمور الى اليوم وتلك الايام نداولها بين الناس

و بعد فاني لست في مقام الجرح او التعديل وانما انا باحث في التاريخ اقول ما تبادر الى فهمي وما بلغ اليه علمي من غير أن اقصد التحيز الى فئة دون اخرى او شخص دون آخر وكل ما بسطته لديكم لم ارد به غير الوجهة التاريخية فارجو تمام الصفح عما اذا كان زل لساني بخطأ سمعتموه اذ الانسان محل الخطأ والنسيان والسلام عليكم

المطبوعات الجديدة

كانت كثرة مواد أجزاء المنار في هذا العام تحول دون ذكر المطبوعات التي أهديت اليه ، وان سنة المنار في هذا الشأن عسى لا تتفق مع سنة الصحف الاخرى فالمنار لا يبدي رأيه في المطبوعات الا بعد تلاوتها واذا لم يتسن له ذلك أشار إلى موضوعاتها بالجملة

ونحن اتباعا لهذه السنة وجريا على هذا السنن نذكر الكتب المهداة بالاختصار ، والرجاء أننا نوفق لقراءة ما يستحق العناية والاعتبار ، فنكتب عنه في العام القابل للمنار

﴿ الكتب ﴾

بلاغة الغرب

يكاد يكون هذا الكتاب جديدا في موضوعه فقد عمد محمد كامل افندي حجاج من موظفي المحكمة المختلطة بمصر الى اختيار قطع وفقرات من أحاسن كلام مشهوري رجال القلم في فرنسا كهوجو (Hugo) ولامارتين (Lamartine) وراسين (Racine) وأضرابهم وترجمها بالعربية ترجمة ممتازة بالاسلوب البليغ مع المحافظة على الاصل جهد الطاقة فجاء ذلك كتابا شعريا في مئتي صفحة مطبوعا طبعا متقنا على ورق جيد وهو يطلب من مؤلفه ومن المكتبات المشهورة في مصر

تاريخ الفنون الجميلة عند قدماء المصريين

هذا الكتاب فريد في بابه ، فريد في طبعه والعناية به ، جميل بصوره ورسومه جمع فيه مؤلفه شكري افندي صادق ناموس نادي الفنون الجميلة المصرية ما وعاه التاريخ لقدماء المصريين من العناية بالنقش والحفر والموسيقى واثبت فيه رسوم كثير من الآثار التي لم تقو عوادي الايام على محوها ، فجدير بعشاق الفنون الجميلة اقتناء هذا الكتاب ، والتوفر على مطالعته . وهو يباع بمكتبة المعارف بالفجالة وثمنه ١٥ قرشا

روح الاجتماع

مؤلفه الدكتور جوستاف لوبون من مشهوري علماء فرنسا ، وقد عني بترجمته بالعربية احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية المشهور بتأليفاته النافعة، وحسن اختياره لترجمة الكتب المفيدة، وهذا الكتاب يعد منها ، ومثل هذا الكتاب جدير بأن يفرد له فصل خاص وهذا ما سنقوم به في احد اجزاء السنة القابلة للمنار

وما رأيت فيما رأيت من المطبوعات العربية كتابا أتقن منه طبعا أوأجود ورقا فكان بذلك طابعه خليل بك صادق صاحب مسامرات الشعب خليقا بالشكر والثناء . و يباع بمكتبة الشعب وادارة المنار وثمنه عشرون قرشا واجرة البريد قرشان

فك التقليد

كتاب في علم الصرف يقع في نيف ومئتي صفحة مطبوع طبعا نظيفا مضبوط كله بالشكل وهو تأليف صديقنا جبر أفندي ضومط و بولس أفندي الخولي من أساتذة كلية الامريكان في بيروت المشهورين بخدمتهما للغة العربية

والاول منهما معروف عند قراء المنار بما ذكر له فيه من التأليفات المفيدة وقد تصفحنا صفحات من هذا الكتاب فوجدناه من أحكم كتب هذا الفن وضعا وأجمعها مادة وأسهلها أسلوبا ، ونتمنى أن يتاح لنا قراءته فنكتب فيه كلمة نقد كما رغب الينا مؤلفاه الفاضلان

كتاب الفوائد

هذا الكتاب « المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » من تأليفات الامام ابن قيم الجوزية وكفى بذلك تعريفا بمكانة الكتاب ودلالة على نفعه وقد طبعه محمد افندي الخانجي الكتبي وهو يطلب منه بشارع الحلوجي بمصر

الاسعافات الطبية

كتاب يقع في ٢٧٠ صفحة بالقطع الصغير، يصف فيه مؤلفه الادوية اللازمة للادواء الطارئة باسلوب سهل ، ورسوم كثيرة تعين على الفهم ، وقد استهله بكلام في وظائف الاعضاء (physiologie) والتشريح وهو من خيرة الكتب في هذا

الموضوع بل انه لانظير له في بابه ، وهذا النوع من الكتب من الضروريات لكل منزل فنثني على مؤلفه الدكتور محمد بك رشدي رئيس حكماء محافظة مصر أطيب الثناء ، ونحث قراء المنار على اقتنائه

زهرة الصبا

مجموع مقالات وقصائد لعبد العزيز افندي صبري من شبان مصر الاذكياء اكثرها في الوصف وبيان بعض وظائف الاعضاء وما ينتابها من الاعراض ، والالمام بذكر أسباب ذلك ، وصفحات الكتاب ٢٢١ بالقطع الصغير وهو يباع بخمسة قروش في سائر المكتبات

اثر حسن

هو مجموع تأبين ورثاء في الدكتور سليمان الخوري الحمصي المتوفى من بضع سنين مع ترجمة حفيلة له واثبات شهادات رجال الطب والحكومة بحذقه ومكانته من الاطباء لجامعه رزق الله افندي نعمة الله عبود أحد اساتذة المدرسة الارثوذكسية بحمص وهذا العمل من أعظم دلائل البر وأحسن الوسائل لتخليد الذكر

* * *

﴿ الدواوين الشعرية والقصص والرسائل ﴾

خمسة دواوين العرب

عنيت المكتبة الاهلية في بيروت بطبع المأثور من شعر النابغة الذبياني وعروة ابن الورد والفرزدق وحاتم الطائي وعلقمة الفحل وجمعت شعرهم في كتاب واحد سمته خمسة دواوين العرب

وكل واحد من هؤلاء غني بشهرته عن التقريظ ، ولا سيما بعد أن طفحت كتب الادب — منذ اشتغل مؤلفو العرب بوضعها — بذكرهم ، وتخليد مقدرتهم في شعرهم ، ومنهم مثل النابغة الذي فضل شعره كثير من أئمة الادب على كل شعر قيل ، في كل زمن وجيل ، وهو زعيم سوق عكاظ الذي كان يجلس فيه من الشعراء مجلس الرئيس المقدم والعليم المحكم ، ومنهم مثل الفرزدق وهو من فحول الشعراء الاسلاميين الذي قيل فيه « لولا شعره لذهب ثلث لغة العرب »

وديوان النابغة أثبت في طبعه شرح البطليوسي المشهور فزاد ذلك في حسنه وكذلك ديوان عروة قد طبع بشرح ابن السكيت وكلا الشارحين من أئمة الادب ويباع الكتاب بثمانية قروش صحيحة بادارة المنار و بالمكتبة الاهلية في بيروت وأجرة البريد قرش ونصف وثمن كل ديوان على حدة قرشان الا ديوان الفرزدق والنابغة فثمن كل واحد منهما ثلاثة

بدائع الشعر في الحماسة والفخر

كتاب يقع في ٢٥٤ صفحة بالقطع الصغير لجامعه بشير افندي رمضان من مشهوري أدباء بيروت وهو مجموع القصائد التي وقع عليها اختياره مما قيل في الحماسة والفخر من الشعراء الجاهليين والاسلاميين والمحدثين وقد علق عليه الشيخ عبد الرحمن سلام حواشي حل بها غريبه وأوضح مبهمه فجاء كتابا جديرا بالاقبال عليه من الادباء دالا على ذوق جامعه في الشعر وحسن اختياره للحماسة والفخر والمرء يعرف باختياره كما يعرف بنظمه ونثره كما قال الشاعر

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره

وثمنه ثمانية قروش صحيحة ويطلب من جميع المكتبات المشهورة

مناجاة الحبيب في الغزل والنسيب

هذا الكتاب هو صنو «بدائع الشعر» في حجمه وعدد صفحاته وكون جامع ذلك هو جامع هذا الا ان هذا خاص بالنسيب والغزل ، واذا كان ذاك ممتازا بالبلاغة والجزالة ، فان هذا ممتاز بالرقة والسلاسة ، ومن دلائل الاقبال عليه انه صار مطبوعا خمس مرات وهو يباع بخمسة قروش بسائر المكتبات

ديوان عبد الرحمن شكري

طبع عبد الرحمن افندي شكري شعره في كتيب بلغت صفحاته الثمانين بالقطع الصغير وهو في اغراض مختلفة اكثرها في الغزل والوصف وقد قال فيه حافظ افندي ابراهيم مقرظا :

شهدت بأن شعرك لا يجارى   فذكت الشهادة باعترافي

كشف الغمة في مدح خير الامة

كان المرحوم محمود سامي باشا البارودي أمير الشعراء في هذا العصر غير منازع، وأقدرهم على التفنن في مناحي الشعر غير مدافع، وقد كان الادباء ومازالوا أسفين لحرمانهم من مأثور منظومه وبدائع آياته، متمنين ان يمثل ديوانه للطبع لتعم به الفائدة والنفع، وقد طبع له في هذا العام قصيدته الميمية المشهورة «راجع (ص ٢٨٩ م ٧) من المنار» وهي تتضمن سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذا عن سيرة ابن هشام، وانها لمن الشعر الذي لا يطاول بلاغة وجزالة، ولا يتحدى اسلوبا ومنحى، وقد عني بتصحيحها وحل غريبها الشيخ ياقوت المرسي «كاتب يد الناظم في سنيه الاخيرة» والقصيدة تطلب من ادارة الجريدة بمصر وصفحاتها ٤٨

مقالات النديم

انتخب «ابن منتصر!» بضع مقالات من مجلة «الاستاذ» التي كان يكتبها فقيد الصحافة المرحوم عبد الله النديم وطبعها في كتيب صغير والمقالات في أغراض شتى سياسية واجتماعية ولا بد ان يقبل على هذه المقالات عشاق أدب النديم

كلمة حول الشورى

رسالة ضمت بضع مقالات وقصيدتين للدكتور أيوب ثابت كان نشرها في جريدتي «الوطن» و «الثبات» البيروتيتين وقد جمعها منهما صديقه نجيب افندي شوشاني. والدكتور صاحب هذه المقالات معروف بتحري النفع والافاضة فيما يكتب

برنامج جمعية الاعمال الخيرية الاسلامية في بيروت

أصدرت هذه الجمعية النافعة برنامجا أودعته مقاصدها ونظامها وأعمالها وذكر رئيسها وأعضائها والمتبرعين لها، وقد بلغ مجموع نفقات ما قامت به من الاعمال الخيرية ١٢٥٤٥ قرشا و٣٥ بارة في تسعة أشهر، وهذا المبلغ انفق على تطبيب المرضى ودفن الموتى واطعام المعدمين وتسفير المنقطعين وغير ذلك من صنائع البر والخير فنشكر لرئيسها صديقنا الشيخ محي الدين الخياط ولاعضائها الكرام تمحضهم لهذه الخدمة العظيمة جزاهم الله افضل ما يجازي به المحسنين

﴿ الجرائد ﴾

(لسان الشرق) — جريدة يومية أصدرها في مدينة حماه الشيخ احمد افندي الصابوني وهي من الجرائد المثليات في سورية ، ولها عناية خاصة بالالتفات الى تاريخ الشرق المجيد والحث على التربية والتعليم ، وقيمة اشتراكها أربعة ريالات في حماه وليرة عثمانية في الخارج فتمنى لها النجاح والفلاح

(الاصلاح) — جريدة اسبوعية لمنشئها الشيخ كرامة بلدرم في سنغافورة ولم تصدر قبلها جريدة عربية هنالك فيما نعلم ولذلك جعلها الادباء ميدانا تتسابق فيه قرائحهم ولقد سررنا سروراً عظيما بصدور هذه الجريدة العربية في تلك الاصقاع فعسى أن يكثر مشتركوها و ينمي قارئوها

(الحرية) — جريدة أسبوعية أنشأها في بيروت صديقنا داود افندي مجاعص ، وقد دلت أعدادها التي صدرت منها على انها حرية باسمها وما أقل الحريات بين الصحيفات ! ونحن نقول اننا عرفنا داود افندي حراً من صميم الاحرار في الزمن الذي كان كثير من أحرار اليوم يتجسسون علينا أو يفرون منا ! فلا غرو اذا أقبل على الكتابة فيها الادباء وتهافت على طلابها القراء وقيمة اشتراكها ثمانية فرنكات في الخارج

حسين وصفي رضا

(جمع النفائس) — لم يتسع هذا الجزء لانباء رأينا في هذه الرسالة وموعدنا « ج ١ م ١٣ »

تصحيح — في (س ٢٣ ص ٧٤٠) كلمة « بالدخول فيهن » وهي زائدة يجب ترميجها

﴿ التفرق والخلاف بين المسلمين في سنغافورة ﴾

الحمد لله ، الى حضرة أخي العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قد قرأت بمناركم الاغر في العدد الاخير المحرر آخر شعبان رسالة مصطنعة من بتاوى يقول كاتبها في اثنائها انها نبت في هذه السنين رجال يدعون الى الكتاب الى أن قال وقد غاظ أمرهم هذا أناساً عاشوا بترويج الرابطة والتوجه وآخرين جمدوا على ماقاله بعض مصنفي المتأخرين كابن حجر المكي فاتخذوهم أرباباً من دون الله الى آخره . فيا أيها السيد رشيد اني سأخبرك بالحق والواقع ان ذلك الكلام لا وجود له مطلقا بهذه الديار والناس في جهل لا يعرفون معنى التقليد ولا الاجتهاد وانما ظهر واحد جاهل مبتدع فجعل يتذرع بذكر الكتاب والسنة كذبا وما ذلك الا ليطعن على المصلحين . اني لا أعرف أحداً بهذه الديار يعرف الشيخ ابن تيمية وأولئك الذين يدعون بفضل ابن تيمية هم اول من يرمون بقوله عرض الحائط فيما اذا لم يوافق هواهم واني شارع في جمع رسالة اعتمدت فيها على ما يقوله ابن تيمية مما هم مجاهرون بأقوال لا يرضى ابن تيمية بها وهاهنا المحك فان أذعنوا واعترفوا وسلموا لاقوال ابن تيمية وحفظه ونقله عرفنا ان ضالتهم المنشودة الحق والا فاليك مايقولونه واستمع به . تأمل أيها الاخ أولئك الذين يدعون انهم يذبون عن ابن تيمية ونحن نعترف بجلالة ابن تيمية والذي أعتقده انهم جعلوا ذبهم عن ابن تيمية ذريعة للطعن على من يذب عن معاوية وكل منهما جدير بأن يذب عنه ومعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه أولى بالذب ان كانوا عبيداً للحق ونحن لا نرضى لهم أن يلبسوا على صاحب المنار فان السائل

أسير المسؤل « ? » ليس هنا شيء مما يزعمونه الا الطعن على معاوية وجواز لعنه وسبه بل كفره ولم يرضوا بالشيخ ابن حجر الا لاجل كتابيه تطهير الجنان والصواعق المحرقة . هذا هو الحق الذي ندين الله به ونرفعه الى صاحب المنار لينشره على صفحات المنار اعلاء للحق وان لم يكن ما أقوله فليتفضلوا وليبينوا ما هي المسائل التي اتخذنا فيها ابن حجر رباً سبحانك هذا بهتان عظيم وانه لا يجوز التلاعب بالدين والتغرير بالمسلمين ليطعنوا على ابن حجر ولا ابن تيمية ولا غيرهم والكل ليسوا بمعصومين من الخطأ ولو عرف حقيقة مغزى ذلك الكاتب أخونا السيد محمد رشيد لما أجابه مطلقاً وأنى له ان يعرف ذلك وها أنا أصرح باسمي أسفل ما أكتبه لمرفقي بضاعتي . حسن بن علوي بن شهاب

(المنار) جاءنا من هذا الكاتب رسالة أخرى في هذا الموضوع أيضاً أسهب فيها بما لا يخرج عن معنى رسالته هذه فاخترنا المختصرة . ومما صرح به في الأخرى انه لا غرض لمن كتبوا الينا ما كتبوا الا الاحتجاج بقول المنار على عدم الاعتماد على كلام ابن حجر لاجل كتابيه اللذين ذكرهما لا لأجل الانتصار للكتاب والسنة قال « وقد أطال صاحب المنار في الرد ظنا بأن الحروب قائمة على قدم وساق في المباحث العلمية العملية النافعة المفيدة وأضاعوا عليه وقته وان كان كلامه لا يخلو من فائدة » ثم قال « ان تطويله وتعريفه في محله ولكن أولئك يتخذونه حجة على لعن معاوية وسبه فقط فلا علم ولا بحث ولا خالد ولا بكر الا معاوية فقط » وطالب ان يبينوا مسألة غلط فيها ابن حجر فخالف الكتاب أو السنة وقلدوه فيها . فظهر انه من الذين يعرضون فيهم وطلب منا فصل النزاع في ذلك . وذكر ان الذي قوى الخوض في هذه المسـ كتاب النصائح الكافية لمن يتولى معاوية الذي ألفه ونشره صديقه وصديقنا السيد محمد بن عقيل

أما ما كتبناه في منار شعبان فلا وجه فيه للاحتجاج على لعن معاوية وهو يعلم انهم كانوا استفتونا في لعن معاوية فلم نفت بالجواز ولم نرض تلك الفتوى السيد محمد بن عقيل وربما كانت من أسباب تأليفه لذلك الكتاب الذي لم نفرغ لقراءته لكثرة الاعمال والاسفار ، ونحن من أولياء علي عليه السلام والرضوان ، لا من أولياء معاوية وفئته الباغية عليهم من الله ما يستحقون ، ولكننا لسنا بسبابين ولا لعانين كما ورد في وصف المؤمن وقد ذكرت في ترجمة الوالد رحمه الله تعالى من المجلد الثامن انه كان يقول « لا نحب معاوية ولا نسبه » وكيف نحب من بغى على جدنا وخرج عليه وكان سببا في تلك الفتن التي كانت نكتة سوداء في تاريخ عصر النور وهو القرن الاول من الاسلام ،

و به تحول شكل الحكومة الاسلامية عن القاعدة التي وضعها لها الله تعالى في كتابه بقوله في المؤمنين (٤٢: ٣٧ وأمرهم شورى بينهم) الى حكومة شخصية استبدادية جعلت مصالح الامة كالمال يرثه الاقرب فالاقرب الى المالك وان كرهت الامة كلها. فكان هذا أصل جميع مصائب الامة الاسلامية في دينها ودنياها

وأما الذي انصح به الآن لاخواني المسلمين في سنغافورة وجاوة وحضرموت كما انصح به لسائر الناس: فهو ان لايتفرقوا ولايتعادوا لاجل الاختلاف في هذه المسألة ولا في غيرها، وان يتأدب بعضهم مع بعض في الخطاب والكتاب، وان يعلموا ان التفرق والتعادي أشد ضررا في الدين والدنيا من الخطإ الذي يتفرقون ويتعادون لاجله، وان المخلص في بحثه عن الحق وبيانه له لايعادي اخوانه الذين لم يظهر لهم ماظهر له بل يعذرهم ويرفق بهم وإنما يؤذي ويعادي صاحب الهوى، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكره التفرق والخلاف أشد من كراهته لسائر المعاصي حتى انه كان يريد ان يرشد أصحابه الى شيء فيتركه اذا رآهم تماروا واختلفوا كما فعل يوم خرج ليعين لهم ليلة القدر، ويوم أراد أن يكتب لهم كتابا لايضلون بعده، والحديثان في صحيح البخاري. واني لاخشى أن تزيد الرسالة التي يؤلفها أخونا السيد حسن بن شهاب هذا الخلاف والشقاق لان الغرض منها هو الافحام والالزام

وقد ذكر السيد حسن في هامش رسالته السيد عثمان بن عقيل واثنى عليه بالدين والتقوى وحسن النية على كونه من المقلدين. وهذا ماأشرنا اليه في جزء شعبان فاننا شممنا رائحة الاخلاص مما رأيناه من رسائله فرجحنا حسن الظن فيه على ما كتب الينا مرارا منذ سنين من الطعن فيه بكونه آلة في يد الحكومة أوحساما تقابل به المسلمين من طريق الاسلام نفسه ولذلك لم ننشر شيئا من تلك المطاعن الكثيرة، ولكن لايجوز لنا السكوت عنه اذا هو قاوم دعوة الاصلاح ونفر المسلمين من المنار ومن كتب ابن تيمية على الإطلاق ولو كان يخطئنا أو يخطيء ابن تيمية في مسألة أو مسائل معينة بأن يطلع على المسألة في كلامنا أو كلامه وعلى دليلها ثم يقرع الدليل بالدليل لاحترمنا قوله مطلقا فان رأيناه صوابا اذعنا له وان رأيناه خطأ بينا ذلك بالدليل مع الادب والثناء

رحلة هذا العام الى القسطنطينية

(١)

رحلت في العام الماضي — وهو العام الاول للدستور — الى الديار السورية لصلة الرحم التي قطعها الاستبداد على احدى عشرة سنة، ولاختبار حال البلاد، بعد ماعاثت به فيها حكومة الاستبداد، وللوعظ والارشاد، والحث على الاتفاق والاتحاد، وبيان مزايا الدستور وفوائده، وما يجب على الامة من العمل للتقدم في عهده، وقد نشرت في المنار ملخص تلك الخطب والدروس فعرفها قراؤه

ورحلت في هذا العام — وهو العام الثاني للدستور — الى القسطنطينية عاصمة الدولة لاسعى في أمرين عظيمين أحدهما وهو أجلهما خدمة للدين الاسلامي ولجميع المسلمين وثانيهما خدمة للدولة العلية من حيث هي حكومة الدستور القائم على أساس العدل والمساواة ولعنصري الامة العثمانية الكبيرين

اما الاول فهو انشاء معهد ديني علمي في العاصمة للتربية الاسلامية الصحيحة الكاملة بالتزام آداب الاسلام العالية واخلاقه الفاضلة وعبادته المطهرة للارواح من الفرائض والنوافل كالقيام والصيام وكثرة ذكر الله عز وجل — والجمع بين هذه التربية والتعليم الاسلامي الذي يكون وسيلة لسعادة الدنيا والآخرة كالتفسير والحديث والتوحيد وحكمة التشريع والاخلاق والسيرة النبوية الشريفة وتاريخ الاسلام وأصول الفقه وفروعه ووسائل ذلك من اللغة وفنونها وكالفنون الرياضية والطبيعية والصحية والاقتصادية التي هي وسائل عمران الدنيا وتقوية الملة والدولة

من منافع المعهد الاسلامي تعزيز دولة الخلافة وتأييدها بجعل عاصمتها ينبوعا للاسلام وكعبة معنوية لطلاب علومه وآدابه - ومنها تخريج العلماء الذين يقدرون على الدفاع عن الدين على النحو الذي كان يدافع به الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله) مثل (رنان) و(هانوتو) وما أشد الحاجة الى مثل هذا الدفاع في عهد الحرية

والدستور - ومنها تخريج الدعاة الى الخير والمرشدين للامة الذين يقومون بما فرضه الله تعالى على المسلمين من الدعوة والارشاد وحرمه عليهم من التفرق في مثل قوله عز وجل (٣: ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)وأقرب فوائد المرشدين ارسالهم الى البلاد التي فشا فيها الجهل وكثرت المشاغب (كاليمن والعراق والاناضول) للوعظ والارشاد الذي ينفر عن الشرور والفتن ، والفواحش ماظهر منها وما بطن ، ويرغب في البر والتعاون بين جميع أهل الوطن ، والاخلاص للدولة العلية في السر والعلن ، وتعليم أحكام الدين بأسلوب يكون في منتهى السهولة ، مع مبادي حفظ الصحة والثروة ، فهؤلاء الوعاظ الذين يمكن تخريج طائفة منهم في مدة أربع سنين أو خمس سنين هم الذين يطهرون البلاد بتأثير الدين من الثورات والقلاقل ، ويؤلفون بين جميع الطوائف والعناصر ، ويعملون بالتصرف في القلوب والسرائر ، مايعجز عن بعضه من لا تأثير لهم الا في الظواهر ، كأصحاب الجرائد والحكام والعساكر ،

ليس الغرض الذي أسعى اليه أن تكون الحكومة العثمانية هي التي تنشيء هذا المعهد الاسلامي فإن الحكومات تعجز عن مثل هذه الاعمال ، وان كانت قادرة على بذل المال واستخدام الرجال ، لان الحكام رسميون فأعمالهم كلها رسوم لا يمس شيء منها سواد القلوب ، ولان ماتقوم به الحكومة تدخل فيه السياسة والسياسة مادخلت في شيء الا أفسدته كما قال الاستاذ الامام وانما الغرض ان تقوم بهذا العمل جمعية من محبي الاصلاح العلماء الصلحاء ، ان تساعدهم الحكومة بما يمكن من الاوقاف الخيرية وبغير ذلك كاستثناء طلاب العلم من الخدمة العسكرية واتخاذ الوعاظ منهم بالمرتبات الشهرية

عرضت هذا المشروع على رئيس حكومتنا الصدر الاعظم حسين حلمي باشا وعلى بعض أعضاء وزارته وعلى بعض الكبراء والعلماء هنا ومنهم محمود شوكت باشا وعلى بعض أعضاء مجلس الامة عمومي من الاعيان والمبعوثين وعلى [illegible] رجال جمعية الاتحاد والترقي فكلهم أظهروا الاستحسان به والاعتراف بفوائده ومنافعه وشدة [illegible] اليه وقال بعضهم إنه [illegible] الى مثله من قبل [illegible] كذلك [illegible] ذاكرتهم فيه بعضهم

وسورية وقد وعدت بالمساعدة الممكنة من كثيرين وسأبين ذلك في وقته ان شاء الله تعالى

وأما الامر الثاني الذي سعيت اليه فهو ازالة ما وقع أخيرا من سوء التفاهم بين عنصري الدولة الاكبرين — العرب والترك — وقد شرحت هذا في مقال مطول مؤلف من ست نبذ أو فصول نشرت في جريدة (إقدام) مترجمة بالتركية فصادفت استحسانا عند فضلاء الترك . وسيراه قراء المنار مجموعا في الجزئين الاخيرين — ١١ و ١٢

المشهور عندنا عن ساسة الترك انهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة عربية أو خلافة عربية في جزيرتهم وان هذا الخوف قديم فيهم ولكن أليس قد مرت القرون ولم تظهر من زعمائهم الدعوة الى ذلك حتى في الازمنة الاخيرة التي كاد اليأس من الدولة يستولي فيها عليهم ؟ بلى ! فأي حجة لهم على استمرار هذا الخوف والحذر وبناء الاعمال عليه وكثرة الكلام فيه ؟

يقول بعضهم ان هذا غير ممكن ولذلك لم يتشبثوا به ولم يحاولوا تنفيذه ونرد عليهم بأن العرب اذا كانوا يعلمون ان هذا غير ممكن فكيف يريدونه والارادة لا تتعلق بالمحال كما هو معلوم واذا كانوا لا يعلمونه فلماذا لم يسعوا اليه سعيه ؟

هذه وساوس وأوهام يجب أن لا تذكر ولا يبنى عليها قول ولا عمل في هذا العصر لئلا يصير الوهم حقيقة ! وان جميع من أعرف من عقلاء العرب متفقون معي على وجوب تدارك ما قوي الآن من سوء التفاهم ولما جئت الاستانة رأيت كثيرا من عقلاء الترك يميلون الى هذا ولكن العقلاء من الفريقين يرتابون في سياسة بعض الزعماء في العاصمة !

بلغ من سوء ظن بعض ساسة الترك بالعرب ما أشرنا الى بعضه في المقالات التي نشرناها هنا مترجمة بالتركية ولاسيما مسألة الشام . وهناك أمور كثيرة لم نكتب فيها شيئا كاهتمام الكثيرين بحج الخديو ، وبما يتعجب المصريون من ادخاله في باب السياسة كحضور عزت العابد دعوة الشيخ علي يوسف اليوم الاربعين لابنته الجديدة ؟ وبلغ من سوء ظن العرب بالترك أن قال لي اكثر من واحد من أذكيائهم وأهل الرأي فيهم بمصر والاستانة ان وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقي لا يقدرون مشروعك الاصلاحي حق قدره ولا يعرفون الا قيمة الخلاف [illegible]

فيما لانك عربي . . . فلما رأيت من عناية بعض الوزراء ولا سيما رئيسهم الصدر الاعظم وعناية كبراء رجال الجمعية ما رأيت وسمعت من الوعود المؤكدة منهم ما سمعت ذكرت ذلك لبعض الظانين ظن السوء فقالوا ان الاعمال بالخواتيم وسنرى هل أنت المخطئ أم نحن المصيبون ؟ وإني لارجو أن تطيش هذه الاوهام بما أنتظر من محاسن الاعمال ؛ وعلى الله الاتكال في تصديق الآمال

صاحب جريدة وطن الهندية وتفسير القرآن

جرى ذكر صاحبنا (مولوي محمد إنشاء الله) صاحب جريدة (وطن) الهندية في بعض المجالس فرأيت القوم يسيئون به الظن فذكرت لهم ما أعرف من فضله وغيرته على الاسلام ودولته وأهله ؛ حتى اني ذكرت للصدر الاعظم ولبعض الكبراء وأصحاب الجرائد انه لم يدفعه الى جمع تلك الاموال الكثيرة للسكة الحجازية إلا غيرته وان من دلائل غيرته الدينية انه كتب الي قبل الدستور كتابا قال فيه ان هذا التفسير الذي تنشرونه في المنار هو أنفع ما كتب للمسلمين وانه لا شيء يرشدهم الى ما يحييهم مثله فأقترح عليكم أن تتركوا كل عمل وتصرفوا همتكم الى إتمامه وأنا أرتب على نفسي مساعدة مالية أقدمها لكم في كل شهر الى أن يتم التفسير. هذا معنى ما كتبه فأجبته بأني لا أقبل على خدمة الدين مالا من أحد واني أجتهد في إتمام التفسير ما استطعت . فكتب إليّ ثانيا يشكر لي ذلك ويطلب الاشتراك بمئة نسخة من كل جزء يصدر من التفسير مجلد ويوزع على المساجد في البلاد العربية لاجل أن يرشد الخطباء والمدرسون الامة به ، ويطلب أيضا أن يرسل اليه عدة نسخ من كل جزء لاجل أن ينشرها في الهند ويبيعها لنا . وقد أرسل عدة حوالات مالية من ثمن النسخ التي اشترك فيها

ذكرت هذا للصدر الاعظم ولغيره فتعجبوا بفضل الرجل وغيرته وترجح عندهم صدق قولي في اخلاصه في ... شأن الانقلاب العثماني [illegible] الايام اكبر [illegible] الناس ، كلهم اصلاح حكومة الدستورية للدولة العلية مع محافظتها على الدين [illegible] احكامه الاسلامية على ما قرره القانون الاساسي

﴿ خاتمة السنة الثانية عشرة ﴾

قد تمت السنة الثانية عشرة للمنار بتوفيق الله تعالى وعنايته فله الحمد والشكر والثناء الحسن أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ونسأله تعالى أن يوفقنا دائماً لإتمام عملنا ويلهمنا الحكمة والسداد فيه

كان من قضاء الله وقدره أن كتبت الأجزاء الأوائل والأواخر من منار هذا العام في السفر، ففي أوله كنا في سورية، ويرى القارىء في جزئي المحرم وصفر شيئاً يتعلق بأهلها وحكومتها، وفي آخره صرنا إلى القسطنطينية، ويرى القارىء في جزئي ذي القعدة وذي الحجة كلاماً في سياستها وحكومتها والكلام في سياسة الدولة وشئونها كثير في سائر الأجزاء، [illegible]

(المشتركون) لا يزال الكثيرون من المشتركين يلوون ويمطلون كما تعودوا وقد يتفاوت حالهم في المطل والوفاء من قبل، فلا يزال جمهور أهل القطر التونسي أشد مطلاً من غيرهم بل زادهم تمادياً فيه عدم وجود وكيل يتقاضاهم على أن أماثلهم [illegible] حتى الوكيل الأخير على مكانته في الآداب، ومنهم أفراد هم خير الناس وفاء وأحسنهم أداء كالفاضل عبد الجليل الزاوش ومحمد بن الخوجه في الحاضرة ومحمد المنيوتي بسفاقس وحمودة بوتيتي في قفصة» ––– ولا يزال العرب في جزيرتهم وفي جاوة وسنغافورة والجزائر والمغرب الأقصى في الذروة العليا من الوفاء فالمماطل منهم قليل، ولكن مسلمي روسيا قد نزلوا إلى الدرجة التي يكثر فيهم المماطلون، وأما أهل البلاد السورية فكان أحسنهم وفاء في هاتين السنتين أهل حمص فأهل دمشق وللوكلاء الكملة الفضل الأول في ذلك وسنبين درجة سائر البلاد في ذلك بعد

(الانتقاد على المنار) نشرنا ما انتقده بعض القراء على المنار وعدما كان الانتقاد موجهاً إلينا كانتقاد أحمد بيومي أفندي [illegible] ما كان موجهاً إلى كلام نشرناه لغيرنا كانتقاد الأستاذ اليافعي على الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي [illegible] فقد بعثت إلينا إدارة الجلة بانتقاد لبعض أصحابنا من علماء تونس على ما كتبناه في تفسير الآية الأولى من سورة النساء في أبوة آدم عليه السلام، وانتقاد لبعض أصدقائنا في مكة المكرمة على ما كتبناه منذ بضع سنين في مسألة المتعة، [illegible] الانتقاد فقد أودع في رسالة طويلة جداً والمسألة لا تحتمل ذلك كله [illegible] المكرمة [illegible] في هامش الصفحة ٨ [illegible] من الكتاب [illegible] في تفسير «[illegible]» [illegible]

[illegible]

[illegible] في القسطنطينية في [illegible] ذي الحجة سنة ١٣٢٧